

نزهة الأفكار في شرح قرّة الأبصار

تأليف

الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم
المجلسي الشنقيطي المالكي الأشعري
المتوفى ١٣٣٧ هـ

شرح به النظم المسمى قرّة الأبصار في سيرة النبي المختار
للشيخ عبد العزيز اللمطي المالكي الأشعري

حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف

الجزء الأول

قام بنشره وطبعته على نفقته السيد الفاضل الشريف
اعزيزي بن الهادي السباعي

جميع حقوق الطبع محفوظة

نواكشوط - موريتانيا ٢٠٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع :

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة عن المؤلف العلامة عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي؛
مولده ونشأته، نسبه، إخوته، مؤلفاته، مؤلفات والده، مقتطفات من
تقاريط كتبه وتزكياته.**

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته ومنه هدايته واجتبايته وبه
سبب نيله للعلی ومكانته حمدا يستجلب المرغوب من رضائه ويجعلنا
الشاكرين لنعمائه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلي آله
وصحبه الطيبين الطاهرين محمد الذي قال تعالى في حقه «إن الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليماً».

مولده ونشأته

ولد الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم في بيئة
بدوية شأنه في ذلك شأن الشناقطة الذين كان لهم الفضل في إحياء
التراث العلمي العربي الإسلامي وازدهاره خلال القرون الماضية وهم
بدو رحل.

وصاحبنا هذا ذكره باهر، وخصمه عاثر، لا تحصي الدفاتر، ما يتحلى
به من المآثر، تبوأ هامة زحل، بعلمه وورعه يضرب المثل.
ناهز عمره قرناً وتوفي تغمده الله بنعمائه سنة ١٣٣٧ هجرية قبل
صلاة الظهر يوم عيد النحر ودفن بـ"اسباعيه"، وهي أكمة صغيرة في
"امخاسير" أرض ذات رمال وغيطان جنوب شرقي اگجوجت تابعة
إداريا لأبي تلميت من ولاية اترارزه تربي في حجر جده لأمه الشيخ

محمد بن سيدي محمد السباعي خال أبيه وبعد ما تفوق إخوته قدمت والدته فاطمة "أمت" على أبيها وقالت له إن إخوته تفوقوا في كل فن فأجابها دعي عنك ولدي واشتغلي بأبنائك فعبد القادر مهمل في الظاهر إلا أنه سيتفوق في آخر المطاف.

وكان والده دب سالم بعد ذلك يقول "عبد القادر سيل يكفح" وقد بعث له الشيخ باب بن الشيخ سيدي أثناء شرح عبد القادر لقول عبد العزيز اللمطي

في عام حفظ من سنى الاسكندر في طالع الجدي وكان المشتري
مع زحل في وسط السماء تقارنا بالعقرب الغراء

لما تحير عبد القادر في شرح بعض هذين البيتين بعث له أن يشرحهما بما تبادر له وكتب له إن عندياته تفوق عنده كثيرا من النقول فلما شرحهما عبد القادر حلف باب أن ما شرحهما به هو مراد قائل البيتين عبد العزيز اللمطي.

وقد ألف محمد حبيب الله بن ماياب كتابا سماه تزيين الدفاتر في مناقب الشيخ عبد القادر.

وكان بادئ أمره يحفظ شرح التراجم حتى أمره والده بترك حفظها ليلا تشغله عن حفظ النصوص

وسمته والدته عبد القادر الجيلاني بأمر والدها لأجل رؤيا فسر لها بذلك وقد رأى رجل في النوم أنه أناخ ببابه محمد عليه الصلاة والسلام فأناخ بذلك المكان عبد القادر معه ابنه محمد عبد الله بلّاه وكان عبد القادر ثريا جدا بشكل مدهش وكذلك والده وإخوته وسبب ذلك الثراء هو التدريس وتقوى الله.

وكانت محاضرتهم تاتيها من أقصى الجنوب وأقصى الشمال ومن الشرق والغرب طلبة العلم يبلغون المئات في كل وقت وكان كثير من التلاميذ يخرجون علماء أثرياء من الزكاة والهبات.

وكان جل سكنى آل محمد سالم في الصحراء الغربية "تيرس" ودفن هنالك لمرابط محمد واحمد ابنه الكبير وأبناء عبد الله بن أحمد وبن محمد سالم رحمهم الله.

نسبه

ذكره هو نفسه في ترجمة هذا الكتاب وهو من مجالس العلم من ذرية ابراهيم الأموي الذي اختاره أبوبكر بن عمر قاضيا ومعلما خلال تأسيس دولة المرابطين.

وابراهيم هذا يقال والله أعلم أنه من ولد عمر بن عبد العزيز وللعلامة محمد مولود بن اغشممت المجلسي :

بني سالم من يشهد الحال أنهم بقية أسباط الأشج الرضى عمر وصاحبنا عبد القادر والدته فاطمة بنت الشيخ محمد بن سيدي محمد السباعية الجليلة كأبيها وإخوتها وأعمامها.

إخوته

أولا : أحمد بن دب سالم وهو أسن من المؤلف وأحمد رغم أنه لا عقب له تسمى به القبيلة لدى كثير من الناس في أقصى الشرق وفي أقصى الغرب يقولون آل أحمد بن محمد سالم لعظمة صيته وكثرة تلامذته توفي في تيرس عند ابير أحمد سنة ١٣٠٩ هجرية.

في عام بز بعد سين بعد شين قد مات أحمد الأمين بن الامين تصدر من محظرة أحمد كثير جدا من فطاحلة العلماء ومن بينهم العلامة يحظيه بن عبد الودود والعلامة سيدي محمد بن داداه والعلامة عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل بن حرمه واددو ويقول عبد السلام فيه:

إذا خضت في من تيقنت أنه مدى الدهر لم يسطر سواه له سطر
ويقول فيه العلامة ادو رحمه الله.

فما الشهد إلا وجهه وحديثه وما الراح إلا راحه والأصابع
وكان أديبا شاعرا فائقا لا يتغزل على النساء وله قصائد في مدح
النبي صلى الله عليه وسلم إحداهن مطلعها:
أُتذري عينه فضض الجمان غراما من تذكره المغان إلخ.

وواحدة مطلعها:
لما من الشوق والتهيام قد دخله
نار الرغام على أحشاه مشتعله
وأثاره لا تحصي إلخ..

ثانياً: حبيب الله بن محمد

وهو أصغر من عبد القادر وكان علامة صوفيا ورعا مثقفا ترك فيه والده السر وكان قادريا كإخوته.

توفي سنة ١٣٣٧ هجرية عام الدفّاره عبارة عن مطر شديد وفي ثناء العلامة اشريف بن سيد احمد بن الصبار عليهم يقول فيه:

قرت عيون هدى الهدى بسنناته	وقننوته في ليلة ونهار
إعراضه عن زهرة الدنيا به	ولي الرجيم مولى الإدبار
صافي الحقيقة والسريرة والندى	سام الوري بسكينة ووقار
صبح الهدى شمس الهدى بدر الهدى	نجم الهدى علم الهدى المختار

ويقول فيه عبد السلام:

فلتبكه الايتام والارامل	وليبكه أبو العيال الخامل
ولتبكه العزلة والتعب	والنسك والصيام والتهجد
ولتبكه تلاوة القرآن	في السر والاعلان كل أن إلخ..

ويقول فيه العلامة محمد الامين بن أبي المعالي:

حبيب الله ليس له نظير	إذا ما الدهر ساق له عديما
يقاسمه معيشته احتسابا	كما الانصار تفعله قديما

ثالثاً: حمد الله بن محمد

عبد الله وهو أصغر أولاده أعطاه الله من الذكاء والعلم ما لا يتصور وتعبيره ومنهجيته في التعليم عبرة للمعتبر كما قال فيه أهل مراكش لما سافر ومرض ولم يتمكن من إكمال رحلة حجه ثم تزوج

هناك بالسيدة إنكيه بنت أحميدت السباعية التي انجبت له بنته فاطمة بنت حمد الله.

توفي حمد الله سنة ١٣٢١ هجرية وأرخ لوفاته هو ورجال معه من قال:

في عام ألف وثلاثمائة والحادي والعشرين بعد الهجرة
ماتت عبادلة آل مالك ومجلس الحاج في الهوايك

وأنظامه معروفة بالكثرة والجودة والدقة ويقول في النميمة
إذا سمعت كلاما قيل فيك فقل لنا قل لا تقل وأبغضه في الله

واستغفر الله مما قد سمعت وكن مكذبا قول ذاك الفاسق اللاه
ولا تعاتب بذاك القول قائله هذا لميارة ذي العلم والجاه

ويقول في تذكر الموت:

إن نحن إلا مغذ السير عن عجل بلا تـوان ولا عي ولا كسل
ولا مبيت ولا نوم بقائلة ولا انتظار رفيق لا ولا ملل

إلى المقابر لا ندري المعد لنا ولم نكن يا لنا منه على وجل إلخ..
وفي ثناء اشريف بن سيد احمد بن الصبار الذي تقدمت الإشارة إليه

عليهم يخصه بقوله:

والحبر عبد الله ذي الفيض الذي في العلم حقا فاق في الأقطار
اللوزعي المعمم الشهم الذي يذري العلوم تبعق الامطار

إلخ..

ويقول فيه الشيخ عبد العزيز بن الرباني:

بناظـم الدول عبـد الله وبأبيـه القانـت الأواه إلخ..

مؤلفات المصنف رحمه الله

أ- في علم الكلام

- تأليف في تكفير من قال إن عذاب النار يفنى (ورقات)

- العقيدة الصغرى (ورقات)

- شرح كتاب والده محمد في الصغيرة (نبذة كبيرة)

- نظم الواضح المبين في أن أشرف العلوم أصل الدين حوالي ثمانمائة

- بين (٨٠٠ بيت)
- بغية الراغبين على الواضح المبين شرح لنفس النظم مجلد كبير في طريق الطباعة
- سلم القاصد على أشرف المقاصد (نبذة كبيرة)
- شرح إضاءة الدجته في اعتقاد أهل السنه مجلد كبير
- المباحث الجليله على شرح الوصيله شرح لنظم المختار بن بونه وهو في علم الكلام (مجلد ضخم جدا جدا)

- ب- في الفقه المالكي
وقد تطرق فيها لكثير من أقوال المذاهب الأخرى
- الحق الراسخ في أن تحريم المبتوتة لم يرد فيه ناسخ
- ثمان الدرر في هتك أستار المختصر شرح لمختصر خليل سبع مجدات اختصر فيه "لوامع" والده
- توضيح المعاني علي رسالة القيرواني أي على رسالة ابن أبي زيد في التوحيد والفقه (مجلد ضخم).
- ورقات في عدم ملك الأرض باللحاء يتضمن أن الصمغ العربي لا يملك شجره بنزع دباغه

- ج- في السيرة النبوية
- قررة العينين في شرح غزوات سيد الكونين مجلد شرح فيه نظم الشيخ البدوي المجلسي في السيرة النبوية المتداول في المحاضر نظم بديع جدا
- نزهة الأفكار في شرح قررة الأبصار وهو الذي بين أيدينا مجلد ضخم وقد تقررت طباعته في جزئين لتسهيل قراءته.

- د- المنطق
- شرح على نظم السلم المرونق للامام الأخضرري

هـ- مؤلفات أخرى

- الدرر الثمان علي تبصرة الازهان للإمام الجكني على البيان
- وجوب إكرام الشرفاء آل البيت ومحبتهم
- الفائق البديع في الذب عن الجنب الرفيع "نظم"
- نظم في ذم الغضب
- قد غرز الغضب في الانسان وأصل غرزه من النيران

مصنفات والده لم رابط محمد بن محمد سالم

- الريان في تفسير القرآن سبع مجلدات ضخام جدا فحجمه حجم تفسير القرطبي
- تفسير النهر الجاري على صحيح البخاري سبع مجلدات كذلك بحجم فتح الباري
- لوامع الدرر في شرح المختصر أي على مختصر خليل بنفس الحجم السابق.
- منح العلي في شرح الاخصري في الفقه كتاب صغير
- ورقات في الطريقة النقشبندية وهي طريقته رحمه الله مع أدعية وأنظام
- وهذه الكتب تبهر العقول كما وكيفاً ولذا قرظها أجلاء عصره وأثنوا عليه
- الشيخ ماء العينين بن مامين
- الشيخ سعد أبيه
- محمد عبد الله بن البخاري بن الفلالي اليزيدي
- الشيخ محمد المامي البزيدي
- الشيخ احمد حامد بن محمد بن المختار الله البحبيني التندغي
- محمد فال بن احمد بن العاقل الديماني
- اشريف بن سيد احمد بن الصبار المجلسي
- الشيخ محمد عبد الحي المجلسي
- محمد بن الهادي المجلسي

زياد الإدكودي
أدو المبارك
محمد مولود بن اغشممت المجلسي
السالك بن احمدناه السمسدي
الشيخ عبد العزيز بن الرباني التندغي
البخاري بن الشيخ محمد المامي البزيدي
محمد قال بن عينينه الحسني
احمد وباب بن عينينه الحسني
محمد محمود بن الرباني
احمد بن الشيخ محمد بن سيدي محمد السباعي
عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل بن حرمة العلوي
محمد بن عبد الجليل بن حرمة العلوي
احمد بن محمد بن احمد باب اليعقوبي
الشيخ عبد ابن تكرر اليعقوبي
ابنه احمد
ابنه عبد القادر
ابن أخيه عبد الله بن احمدو بن محمد سالم
لبخاري بن اد الشاعر المعروف
وجلهم من تلامذته.
امحمد بن هدار
حمدا القناني

وقد كتب العمر الفرنسي اتيان رشي المتوفى بباريس ١٩٢٠ في كتابه
موريتانيا تحت عنوان القبيلة والفخذ أن بداية محظرة محمد بن
محمد سالم نهاية المحاضر وأن العلماء يبعثون بنهم وتلامذتهم بعد
التخرج لينهلوا من معين محظرة محمد وأنها كلية للحقوق يعني
الفقه (انظر ١٤٣-١٤٤) من كتاب هذا الاوربي والحق ما شهدت به
الأعداء.

وقد حرر ستة تلاميذ من خريجي المعهد العالي رسائل على حياة محمد ودوره العلمي الكبير، وحقق أحمد بن النين مقدمة كتابه الريان في تفسير القرآن ١٩٩٣ المعهد العالي للدراسات الإسلامية من كتابة الريان نالوا بها شهادة المتريز.

مقتطفات من تقاريط كتب عبد القادر وتزكياته

أدّوُ المباركي رحمه الله في نزهة الافكار "تقريط"
كتاب جليل جل عن قدر جنسه أنار منار الدين من بعد طمسه
كتاب سراج الدين وابن سراج وبدر ظلام المشكلات وشمسه
وما نزهة الافكار إلا بصنعه وما طيب الاثمار إلا بغرسه
إلى أن قال:
يغوص على اللغز المعمي بفهمه فيستخرج المدفون من قعر رسمه
كأنك إن طالعت ما فيه حاضر وتر نوالي خير البرية نفسه
إلخ إلخ..

باب بن الشيخ سيدي يقرظه أيضا

عد عن زورة حلال الديار وهزار من طيف نائي المزار
إلى أن قال
بحر علم حوى جواهر منها عاطل جل هذه الاسفار
هبة من مواهب الله للجهد شفاء عنوان فتح البار
أحكمته صناعة الحبر عبدالقادر اللوذعي ذي الأنوار
إلخ... إلخ...

محمد حبيب الله بن ماياب الذي صدر علم آبائه وعلم هؤلاء
إلى الجزيرة العربية وجميع العالم الاسلامي وكان من خريجي محظرة
أهل محمد ولد محمد سالم.
لئن كنت يوما بالمدينة ثاويا ومكة والبيت العتيق وبالحرم
إلى أن يقول

فيا ليتني جبت المهامه نحوهم وكنست ولا ساق لدي ولا قدم
فذلك عبد القادر الشيخ ناشر فتاوي يبدي ضوءها بعد ما ادلهم
إلخ... إلخ...

عبد السلام بن محمد بن عبد الجليل بن حرمه العلوي
في عام سبع وثلاثين سنه قرن يد والدهر قوام السنه
في يوم عيد النحر قبل الظهر حدث امر أي أمر أمر
أن مات محي الدين عبد القادر مجدّد الشوارد النوادر
فكم لــــه من المؤلفات مختصرات ومطولات
إلى أن يقول ناهيك حسنا نزهة الافكار
كشــــرحه لقرة الابصار الخ.. الخ..

وتقاريط كتب هذا الشيخ ووالده ومدائهم دواوين يصعب التعرض
لعشرها.
فمصنفاته الأخرى قرظها الشيخ سعد ابيه والشيخ ماء العينين وكثير
من الاجلاء لا يحصون
وفي الشعر الحساني يقول الاستاذ الفاضل والد ولد صلاحى البحبيني
من آل محمد رثاء
كان جاداً اعليّ ولشّ كاع جَدّ وجُود ذَا الموتُ من كُول كَوَانِ
بالشاهد أَلْمَا اتَّكَدَ تَنْجَحَدُ وامن امتنّ اليقين يقين عِيَانِ
إلى أن قال مَا كَطُ عَادُ فِيهِ كُونُ بَرَّانِ
والدني مَاهِ لُ كَاعُ فِي ابلَدُ الخ.. الخ..

ويقول اشريف بن سيد احمد بن الصبار المجلسي في ثنائهم عليهم
كالهبر عبد القادر الجيلاني من قد رئي غرة قيهل الاعصار
من فاز من غر التقي بفوارض واهاله والعون والأبكار
من شق في حرب الرجيم عجاجة خاض الرجيم بها أخوا إدبار

من اعربت اسفاره عن كونه
من قبل عقد يمينه لازاره
كفطمطم متلاطم التيار
أبدا على الشيطان شن مغار
الخ. الخ...

الشيخ ماء العينين يقرظ المباحث سجعا
الحمد لله الذي أمد علينا من يتولى عنا الامور الجسام ويتحفنا بما
اردنا من الرغائب والفضائل الجسام
إلى أن كتب
وبعد فإن كاتب هذه الحروف غفر الله له واعاذه من كل مخوف تصفح
هذا الكتاب العجب العجائب فالفاه مسماك سماء حضرة الأقطاب وثفال
رحى الكون وقطبه من الاضطراب الخ.. الخ..

الشيخ سعد ابيه يقرظ المباحث ايضا سجعا
السلام عليك ورحمة الله وبركاته اكرمك الله بصحة الايمان والبدن
والتعمير في عافيه واکرمك بدوام المراقبة والمشاهدة والمكاملة في عين
الاستقامة وملاقاة الارواح الروحانية وممازجة الانوار البهيه الخ..
الخ..

بقلم القاضي
دب سالم بن دحم محمد محمود بن حبيب الله

كلمة عن الناشر اعزيزي بن المامي

بقلم القاضي دب سالم بن دحم

الحمد لله منقذنا من عبادة الأوثان، ومن الكفر والطغيان مدير الأفلاك وخالق الأملاك، لا إله غيره، نحمده ونشكره ونستغفره، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ما سحت البهائم وشدت العمائم، ما دجت الأحلاك، وسبحت الأملاك ودارت الأفلاك.

وبعد فلقد كان من توفيق الله تعالى للسيد الفاضل الشريف اعزيزي بن المامي أن ألهمه العزم الأكيد والعمل الصادق على طباعة هذا الكتاب الجليل «نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار» للشيخ العلامة المحقق عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي، وهو شرح لكتاب قرة الأبصار في سيرة النبي المختار للشيخ العالم الفهامة عبد العزيز اللمطي.

ويمتاز هذا الشرح بالدقة والشمولية حيث حاول الشارح رحمه الله الإحاطة قدر استطاعته بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم صعوبة تلك المهمة، فالمؤلف وكل من سبقوه في هذا العمل العظيم بصدد النبي الخاتم رسول الحق والرحمة سيد الأولين والآخرين مضرب الأمثال في الصدق والأمانة والصبر والتضحية والزهد وحسن الخلق، وتمام الخلق، محمد صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله عن أمته بخير ما جوزي نبي عن أمته، لتكون هذه السيرة الزكية العطرة نبراسا تهتدي به الأجيال، ويقتدي به المسلمون في سائر حياتهم مهما تتالت الأيام وتبادلت الأزمان. يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه «تركتم فيكم ما إن لو تمسكنم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي».

ولقد اعتنى هذا الشرح إضافة إلى ما سبق بمختلف جوانب المعرفة من لغة وعلوم وآداب، وغيرها تبعا لسياق النظم ومتطلبات الشرح وقد امتاز المؤلف بالتدقيق والحرص على إيراد الصحيح، وتجنب المرجوح،

ومواطن الضعف والشك، وهو بذلك يبين عن منهج محكم محترم ناضج يستحق الإشادة والتقدير.

وقد تابع السيد الفاضل اعزيزي ولد المامي كافة مراحل طباعة هذا الكتاب في مرحلة الجمع على الكومبيوتر إلى السحب النهائي في المطبعة، وخروج الكتاب في صورته النهائية، وصرف على ذلك من ماله، ومن وقته فجزاه الله خيرا بما خدم به سيرة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتعه بالعمر المديد مع الصحة والعافية.

وفيما يلي كلمة عن الناشر السيد اعزيزي ولد المامي، هو الشريف عبد العزيز بن أحمد باب بن المامي بن لمخيطير بن الخنوسي الدميسي السباعي الإدريسي الحسني الهاشمي القرشي وشهرته اعزيزي بن المامي.

ولد سنة ١٩٣٣ ببلدة اندگبعد على بعد ١٤٠ كلم جنوب غربي أگجوجت بولاية اينشيري.

وتربى في أحضان بيت علم ودين وشرف وإنفاق فقد كان والده أحمد باب بن المامي شهما عالما عابدا ورعا لا تلومه في الله لومة لائم، حسن الخلق كريما، ذا مكانة مرموقة في قبيلته ومنطقته بشكل عام، وكانت والدته الشريفة أغلانه بنت اعلي سيدة فاضلة ذات حظ وافر من العلم سخية منفقة على الفقراء مساعدة للضعفاء وذوي الحاجة. وهكذا حرص هذان الوالدان الجليلان على تربية أبنائهما المكرمين ومن بينهم أعزيزي أحسن تربية، فكان هذا البيت المبارك مدرسته الأولى حيث درس فيه القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية قبل أن يواصل تعليمه على يد عدد من علماء عصره، كما كان لمطالعاته الخاصة دورها الهام في اكتمال شخصيته العلمية التي تميزت بالشمولية والمزج على نحو متميز بين الأصيل في فرادته وعمقه المتجدد وبين الحديث في معاصره التي تتواصل مع الماضي وتستشرف المستقبل.

وقد اطلع أعزيزي ولد المامي بدور اقتصادي بارز سخره لمصلحة بلاده الغالية موريتانيا التي لم يدخر وسعا في خدمتها وتنميتها ولا يزال والحمد لله، هذا إضافة إلى مكانته الاجتماعية المتميزة.

ولم يشغله ذلك كله عن البحث العلمي والتأليف والنشر وذاعت مؤلفاته في موريتانيا، ونفذ بعضها من المكتبات بسبب إقبال الجمهور عليها، كما استفاد منها الباحثون والدارسون واشتهر أعززي بن المامي بتقدير العلماء وإكرامهم وإعانة الضعفاء وذوي الحاجة، والحضور المادي والمعنوي عند الشدائد ومن أبرز صفاته الصدق والكرم والوفاء أطال الله في عمره.

مؤلفاته

١- موسوعة الأمثال الشعبية: وقد اشتمل على ٩٣٢ مثلاً وقد اتجه اهتمام المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب عندما لاحظ ضعف عرى التواصل بين ثقافة الأجيال، بل إن الأبناء أصبحوا يجدون صعوبة في فهم أساليب الآباء، وذلك بسبب قلة محصلهم من التراث الشعبي خاصة الأمثال التي هي ذاكرة الأمم.

وبتشجيع من السيد الرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايح الحريص على حفظ التراث الموريتاني فقد قام المؤلف بجمع زبدة الأمثال في هذا الكتاب الذي نشره عام ١٩٩٧ حيث لقي إقبالا منقطع النظير، ونفدت نسخه في عدة شهور، وتزايد الإلحاح على المؤلف من طرف جمهور القراء والباحثين بإعادة طبعه، الشيء الذي استجاب له، حيث قام بإعادة النظر في الطبعة الأولى وهكذا صدرت الطبعة الثانية بعنوان: موسوعة الأمثال الحسانية، وتضاعف عدد الأمثال الوارد فيها حيث بلغت ٢٣٩٦ وقد أورد المؤلف الأمثال الحسانية مع مضربها ودلالاتها وامتازت أيضا بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونماذج من الشعر العربي ولغز الحساني أوردتها المؤلف حسب السياق.

وأخذ المؤلف بعين الاعتبار ملاحظات الأصدقاء المهتمين والباحثين على الطبعة الأولى وخاصة صديقه العزيز المثقف الكاتب صاحب التأليف القيمة محمد محمود ولد ودادي الكنتي الذي أشار عليه أن يقوم «بتفصيل» الأمثال الحسانية، باللغة العربية بعد إيراد نصها الأصلي

وكان لذلك فائدة عظيمة، وقد لقيت هذه الطبعة من الترحيب أكثر مما لقيته سابقتها والحمد لله.

٢- منهل الحكم من فرائد أمثال الأمم

ويمثل إكمالا للجهود القيّمة التي بذلها المؤلف في إطار رصد الأمثال، إذ يمتد هذا العمل ليشمل عقدا من لآلئ أمثال العالم سواء العربية أو الافريقية أو الآسيوية أو الأوروبية أو الامريكية... ويمثل هذا الكتاب موسوعة غنية لثقافات العالم من خلال الأمثال التي هي عصارة العقل البشري وتجاربه عبر الزمن. وقد اهتم به القراء نظرا لتمييزه وطرافته وفائدته الكبيرة، وقرظه الكثيرون كسابقيه من كتب المؤلف.

٣- من تاريخ الأنظمة في موريتانيا

وهو يؤرخ على نحو دقيق وبأسلوب مشرق لمراحل هامة من تاريخ البلاد الحديث خاصة منذ الاستقلال إلى اليوم ويعتبر أول كتاب حسب علمنا في هذا المجال باللغة العربية، وقد تلقفه القراء بإقبال كبير ويشهد الإلاحاح على المؤلف لإعادة طبعه.

القاضي دب سالم بن دحم

مراحل تحقيق الكتاب

لقد عيّنت لجنتان للإشراف على أعمال تحقيق الكتاب وطباعته وتصحيحه وتنفيذ ذلك على أفضل صورة بعون الله وتيسيره وذلك كالآتي:

أولاً: لجنة المتابعة وتتألف من:

- ١- اعزيزي بن المامي - ناشر الكتاب
- ٢- محمد الحسن بن محمد المصطفى - أستاذ جامعي وباحث
- ٣- لكور بن محمد عبد القادر أقا - إمام ومعلم محظرة وخريج المعهد العالي الإسلامي
- ٤- محمد بن ابيمين محمد الامين بن عبد القادر - إمام جامع
- ٥- أحمد بن انين محمد الأمين بن حمد الله - مدير مؤسسة الأوقاف
- ٦- أحمد محمد بن ابيمين - من أساتذة المحاضر
- ٧- القاضي دبّ سالم بن دحم - مدير زواية محمد بن محمد سالم والأمين العام المساعد لرابطة العلماء الموريتانيين.

ثانياً: لجنة تحقيق الكتاب وتصحيحه في مختلف مراحل الطباعة حتى خروجه في نسخته النهائية:

- ١- لكور بن أقا محمد عبد القادر بن حبيب الله
- ٢- القاضي دبّ سالم بن دحم محمد محمود بن حبيب الله
- ٣- أحمد بن انين محمد الامين بن حمد الله
- ٤- محمد بن ابيمين محمد الامين بن عبد القادر
- ٥- أحمد محمد بن ابيمين محمد الامين بن عبد القادر

وقد داومت هاتان اللجنتان الاجتماعات وبعد إملاء الكتاب وإتمام نسخه تم سحبه وتصحيحه بصبر وتأن عدة مرات لضمان خروجه إلى القارئ في أصح صورة والحمد لله.

وقد قام الأستاذ الباحث محمد الحسن بن محمد المصطفى بجهد مشكور في عملية التحقيق والطباعة تمثل في المتابعة المستمرة لمراحلها المختلفة، والإسهام في التصحيح والتدقيق.

هذا وقد اعتمدت أربع نسخ هي:

- ١- نسخة أصلية بخط والد بن صلاحى البحبيني يملكها الاستاذ لكور بن أقا
 - ٢- نسخة أصلية بخط انين محمد الامين بن حمد الله يملكها الاستاذ أحمد بن انين
 - ٣- نسخة مصورة بخط محمد بن بلاه بن عبد القادر يملكها الاستاذ أحمد محمد بن ابيمين
 - ٤- نسخة مصورة بخط انين محمد الامين بن حمد الله يملكها القاضي دبّ سالم بن دحم
- ونظرا لكبر حجم الكتاب، وصعوبة تداوله والاستفادة منه إن ظل في مجلد واحد كما هو الحال في الأصل، فقد أرأيتنا بعد التشاور والدراسة المتأنية أن نقسمه إلى جزأين يكون حجمهما واحدا تقريبا ليكون سهل الاستخدام والقراءة.
- وينبغي القول إنه لولا الإشراف المباشر للناشر السيد الفاضل اعزيزي بن المامي والمراقبة المستمرة للعمل والصبر والرزانة والخلق الكريم، وما صرفه من ماله في كامل تكاليف طباعة الكتاب، لما قدر لهذا الكتاب أن يظهر وبهذه الصورة المحترمة الأنيقة التي خدمت بالتحقيق والمراجعة.. جزانا الله وإياه أحسن الجزاء وأقر أعيننا وإياه في النفس والأهل والمال والولد وتقبل منا ومنه إنه سميع مجيب وأعطانا وإياه

مقعد صدق عند مليك مقتدر:

بعد طول العمر على طاعة الديان ومتعنا وإياه بصحة الأبدان
وسلوك مناهج الأعيان اللهم أجب دعاءنا بجاه أسمائك الحسنی
وبجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وجاه جميع أنبيائك يا الله
وجاه من له جاه عندك أمين يا رب العالمين.
ونذكر هنا أن الكتاب تم تصحيحه من الأخطاء وقد قلت تنويها بنشر
هذا الكتاب:

عبد العزيز بن احمد باب قد طرقا بابا عظيما به للمكرمات رقى
ها هو ابرز للعشاق نزهتهم بالحي زقت تنير الدور والأفقا
تزور عشاقها في عقر دورهم ولا تغازل جهالا ولا حمسقا
جاءت تبرج للأندا تروادهم ولا تسيء إذا ما خانها الرُفقا
بسيرة المصطفى الغرا تعاشرهم وسيرة الصحب قد جاءت بذا نسقا
يا رب حقق لنا كل الرجا وله وحطم الكفر والطغيان والنزقا

تمت الكلمة بقلم دبّ سالم بن محمد محمود بن حبيب الله الامين العام
المساعد لرابطة العلماء الموريتانيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله تعالى وسلم على محمد نبيه الكريم صلاة نستجير بها من عذاب الجحيم وننال بها في الدارين نحن وأحبتنا أرفع التكريم بجاه من قال توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم.

الحمد لله الذى من علينا بجزيل الانعام وأتحفنا بما لا نطيق شكره من أياديه الجسام وتفضل علينا بالتوفيق لأجل نعمائه فأَمَنَّا به وبكتبه وملائكته وجميع أنبيائه وخصنا بخيرته من خلقه ونخبته من أصفياه، ومن يكون آدم فمن دونه من الأنبياء في القيامة تحت لوائه أرسله إلى كافة الثقليين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وجعله للمقربين إماما وللأنبياء والمرسلين ختاماً ولما به صلاح العباد في الدارين قواماً ونظاماً وخصه بالشفاعة الكبرى في الموقف الهائل حين تبرأ منها أكابر الرسل الأمثال صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم وعلى آله وأزواجه وأصحابه الأخيار ما همعت ديم معارفه على قلوب الأبرار وما تغنى الحمام بالأسحار ومادام النظر في سيره وشمائله قرة للأبصار وروضة تنزه للأفكار وعدد ما وصل إلى العباد من المواهب في هذه الدار وما يصل إليهم في تلك الدار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير وأن محمدا عبده ورسوله شهادة عبد معترف بالتقصير ونتوسل إلى ربنا اللطيف القدير أن يثبتنا عليها في الحياة الدنيا وبعد الممات وأن يبدل بمحض فضله وكرمه سيئاتنا حسنات، إنه جواد كريم ورؤوف رحيم، له الفضل العظيم والطول العميم.

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الحليم الكبير المجلسي المالكي الأشعري عبد القادر بن محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر بن علي بن يمغدر ومعناه بالعربية السالم بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت، ومعناه اخيار بن

يدر ومعناه بإعجام الدال الحسن وبإهمالها يعيش بن إبراهيم الأموي، وإبراهيم هذا يقال والله أعلم انه من ولد عمر بن عبد العزيز، لا يخفى أن الإشتغال بالعلوم من أشرف المكاسب والاعتناء بها من أفضل المراتب وشرف كل علم إنما هو بحسب شرف المعلوم فلهذا كان الإهتمام بعلم السيرة النبوية فضله عظيم وخطبه جسيم لأنه هو الكفيل ببيان أحوال نبينا العلية وأطواره الشريفة الزكية من لدن كان في بطن أمنة الشريفة حملا إلى انتقاله إلى دار كرامته ولحوقه بالرفيق الأعلى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ولذا كان من أشرف العلوم قدرا وأرفعها منزلة وأطيبها ذكرا، فاليه ترتاح الأنفس والطباع وبه تلتذ الأفواه وتتشنف الأسماع وبرسمه ترشح المحابر والأقلام وبإشادة ما اشتمل عليه تفرح الليالي والأيام، فهو حديث لا يمل منه، يا ليتنا لم نله قط عنه. وقد اعتنى بالتأليف فيه من أهل الإسلام كثير من الأكابر الأجلة الأعلام فتبوؤوا من المجد السنام وحازوا من الشرف أعلى مقام وقربوا في تأليفهم للأنام ما كان من السيرة صعب المرام ما بين منثور يروق عند العيان ومنظوم يزري بالدر على نحور الخرد الحسان، جزاهم الله تعالى عنا أحسن الجزاء ومن علينا وعليهم بالعفو والإرضاء، ومن أجمع ما رأينا فيه كتاب «المواهب» وشرح الزرقاني عليه وفيه أنشد لسان الحال ما صدق المقال:

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبون
ومن أشهر المختصرات المؤلفة فيه في هذه الأقطار النظم المسمى ب:
«قرة الأبصار» فقد تداولته الكبار والصغار وهو كتاب قد طابق منه
الإسم المسمى، فكم احتوى عليه من أخبار صاحب العز الأحمى والقدر
المنيف الأسمى عليه أفضل السلام وأعلاه وأزكى الثناء وأعذبه وأحلاه،
لكنه في هذه الناحية لا شرح له يحل رموزه ويفتح ألفاظه ويبرز
كنوزه فحملني التطفل على الدخول في خدمة هذا الجنب العالي
والانتماء إلى ظل حماه المتعالي على أن صرفت قصدي إلى شرح هذا
الكتاب فشرحته بعون الملك الوهاب شرحا يبين ألفاظه لمن يتعاطاه من

الطلاب وذكّرت فيه الغزوات النبوية وجل ما اطلعت عليه من بعث
وسرية ولم آل جهدا في تبیین ما يحتاج إليه من البیان لكن من هو
مثلي عرضة للذهول والنسيان وسميته «نزهة الأفكار في شرح قرّة
الأبصار» وإلى الله تعالى الضراعة في أن يجعله لوجهه الكريم وأن
يحمينا نحن وأحبّتنا من عذاب الجحيم وأن ينيلنا بمحض فضله رفیع
الدرجات وأن يحلنا من الفردوس أعالي الغرفات. وجعلت اعتمادي في
هذا الشرح على الزرقاني وشروحه وسيرة العراقي وشرح المناوي
عليها وعيون الأثر وغير ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم.

قال الناظم رحمه الله تعالى وهو الشيخ العابد الحافظ الفائق لأقرانه
عبد العزيز اللمطي نسبا المالكي مذهب الأشعري اعتقادا المدني دارا
وقد ألف كتابه هذا في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها، كذا قاله
شارح لهذا النظم رأيت أنه ولم يعرف بنفسه والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على البسملة هنا من ثمانية أوجه: معنى مفرداتها ومعنى تركيبها وإعرابها وسبب الإبتداء بها وحكمها وفضلها وقرآنيته وكتابتها وأذكر جميعها إن شاء الله تعالى على طريق الاختصار وبالله تعالى التوفيق.

أما معنى مفرداتها فالباء يصح أنها للمصاحبة والمصطحبان هما العمل المبدؤ بها أو البادي ومدخول الباء والمراد منها التبرك والتبرك منسحب على جميع العمل فكأن المبتدئ بها يقول أفعل كذا متبركا فيه ببسم الله ويصح أن الباء للاستعانة وباء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل، فكأن باسم الله هي الواسطة في حصول الفعل ببركة الاسم الشريف فمال المعنيين هنا واحد وقيل الباء للالصاق وقيل للاستعلاء المجازي والإسم هو اللفظ الدال بالوضع على معنى ما فيتناول الإسم النحوي وقسيميه وقوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها يعم جميع ذلك وهو هنا اسم جنس أضيف إلى معرفة فيعم جميع أسماء الله تعالى فالتبرك بجميع الأسماء.

والله علم خاص بالذات الموصوفة بكل كمال المنزهة عن كل ما يتصف به الحوادث والأكثر على أنه غير مشتق وعلى أنه مشتق قال الإمام السنوسي الأقرب أنه مشتق من أله بالمكان إذا أقام به. قال:

ألهنا بدار لا تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد وقيل مشتق من أله إلهة كعبد عبادة وزنا ومعنى قاله بمعنى ماله أي معبود وقيل من لاه بمعنى ارتفع ومنه قيل للشمس إلهة، قال: تروحننا من اللهباء قسرا واعجلنا الإلهة أن تغيبا أو بمعنى احتجب، ومنه:

لاهت فما عرفت يوما بخارجة يا ليتها برزت حتى عرفناها وقيل من وله إذا تحير لأنه تتحير في عظمته العقول ومذهب سيبيويه أنه هو أعرف المعارف وحكي أنه ربي في النوم فأخبر أن الله

فعل به خيرا كثيرا لقوله إنه هو أعرف المعارف والرحمن هو المنعم بالنعمة التي لا تدخل تحت كسب العباد كبعث الرسل والرحيم المنعم بالنعمة التي تدخل تحت كسبهم وغيرها فهو أعم من الرحمن على هذا ولهذا صح إطلاقه على غيره تعالى.

أو الرحمن ذو الرحمة العامة في الدنيا على جميع الخلق والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة أو الرحمن المنعم بجلال المنعم كمية وكيفية والرحيم المنعم بدقائقها كمية وكيفية وآخر عن الرحمن لاختصاص الرحمن به تعالى وأما معنى تركيبها فاعلم أنها نقلت من الخبر إلى الإنشاء فهي لإنشاء التبرك لأنه يحصل عند النطق بها وأما اعرابها فالجور متعلق بمحذوف والمختار كونه فعلا ويقدر مؤخرا ليدل على الحصر والرد على الكفار في ابتدائهم بأسماء ألهمت خاصة كأولف هنا لا عاما كأبدأ والعمل المشروع فيه يعين العامل المحذوف فكل فاعل يضم أي يقدر في ضميره عاملا مناسبا لما شرع فيه من أكل أو قراءة مثلا، وقيل المجرور خبر مبتدئ محذوف واسم الجلالة مضاف إليه وليست إضافته بيانية لأن المقصود من الأول الأسماء ومن الثاني الذات ولذا وصف بما بعده على طريق النعت أو البيان أو البدل وقيل الأول بدل من الجلالة والرحيم نعت للرحمن. وأما سبب الابتداء بها فالاعتداء بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وقد أجمع علماء كل أمة أن الله افتتح كل كتاب بها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ بها في رسائله وكان أولا يكتب باسمك اللهم حتى نزلت باسم الله مجريها فكتب بسم الله فلما نزل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت بجملتها في سورة النمل كتبها.

وفي الحديث: «كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع» وفي رواية «أبتر»، وفي رواية «أجزم» أي ناقص البركة وإن تم حسا، وأما حكمها فتجب مرة في العمر وتسب في الأكل والشرب وتندب في سوى ذلك مما تشرع فيه وتكره في المحرم والمكروه وقيل تحرم في

المحرم، وذكر غير واحد أنها تجب في الزكاة، وقال الأمير: ان الواجب في الزكاة مطلق ذكر اسم الله تعالى ومما تشرع فيه: الشعر المحتوي على علم أو وعظ أو مدحه صلى الله عليه وسلم.

فائدة:

نظم بعضهم ما يجب مرة في العمر من الكلام فقال:
هاك جميع ما من القول يجب في العمر مرة وما زاد استحباب
بسملة حمدلة والهيللة استغفر الله كذا والحوقله
والحكم في التسبيح والتكبير كذا وتعويذ بذى التقدير
ثم الصلاة معها السلام على السذي اقتدى به الأنعام
وأما فضلها فصحح الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «من
قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة
ومحى عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة». وقال: «من
قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
صرف الله عنه سبعين بابا من البلاء أدناها الهم والغم واللمم». وقال:
«ستر ما بينكم وبين الجن أن تقولوا بسم الله الرحمن الرحيم». وقال:
«خير الناس وخير من مشى على الأرض المعلمون كلما خلق الدين
جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فإن المعلم إذا قال للمعلم قل بسم الله
الرحمن الرحيم فقالها كتب الله للصبي ولوالديه وللمعلم براءة من
النار».

وأما قرآنيتهما فمذهبنا أنها ليست من القرآن وإنما هي رقية تنزل
مع كل نبي وترتفع معه إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بقيت
رحمة لأمته. ومذهب الشافعي أنها آية من الفاتحة فمن تركها بطلت
صلاته. وقيل آية من كل سورة وقيل بعض آية من كل سورة وقيل آية
في الفاتحة وجزء آية في غيرها وقيل بالعكس وقيل آية فذة. ومحل
الخلاف في غير التى في «النمل» وأما هي فلا خلاف أنها من القرآن.
وأما كتابتها فعن معاوية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ألق الدواة

وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك « اهـ. يقال لاق الدواة ثلاثيا كباع وألاقها رباعيا أصلحها فلاقت هي أي صلحت والمراد أن يلزق مدادها على صوفة ونحوها، وتحريف القلم جعل أحد شقيه أطول من الآخر قال بعضهم الأقصر هو الأيسر وهو الذى يلي الكاغد، وإقامة الباء جعلها غير منعطفة، وتفريق السين إبعادها من الميم أو تفريق رؤوسها، ومعني لا تعور الميم اتركها مفتوحة، ومعنى حسن الله، اكتبها بخط حسن وقلم حسن ومداد حسن، ومد الرحمن أن يمد بين الميم والنون، وتجويد الرحيم كتابتها كتابة جيدة. والباء ترسم قدر نصف الألف فالقدر الذى جرى عرفك في كتابة الألف اجعل الباء نصفه وحروفها الرسمية تسعة عشر عدد الزبانية فمن ذكرها نجا منهم.

(الحمد لله الذى بأحمداً هدى إلى أقوم نهج من هدى)
قوله الحمد لله مبتدأ وخبره، والذى نعت لله وهو موصول وصلته قوله هدى، ومن مفعوله، وبأحمداً يتعلق بهدى، وكذا إلى أقوم. ونهج بالتنوين مضاف إليه ما قبله ومعناه أن الوصف بكل كمال ثابت ومستحق لله تعالى الذى هدى أي أرشد من أراد هدايته إلى أقوم الطريق وهي طريق الإسلام بسبب نبينا أحمد صلى الله تعالى عليه وسلم. والنهج الطريق الواضح وهذا المعنى أخذه من قوله تعالى: {وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم} وقوله تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}. قال صاحب الأنوار: الهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير. وقوله تعالى: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم} وارد على التهكم، وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا: الأول إفاضة القوى التى يتمكن بها المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالعقل والحواس، والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل وإليه أشار تعالى حيث قال: {وهديناه النجدين} وقال: {فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، والثالث الهداية بإرسال الرسل {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}، {وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم}، والمستقيم المستوي يعنى طريق الخير أو

الإسلام، والرابع كشف السرائر على القلوب وإراءة الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام. وهذا يختص به الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} وقوله: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} نقله الزرقاني في شرح المواهب.

فائدة:

لم يتسم أحد بأحمد قبله، صلى الله عليه وسلم. قال ابن حجر: والمشهور أن أول من سمي به بعده، صلى الله عليه وسلم، والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدي أنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد وحكى ابن فتحون في ذيل الاستيعاب أن اسم أبي حفص بن المغيرة الصحابي أحمد، ويقال في والد أبي السفر إن اسمه أحمد. قال الترمذي: أبو السفر هو سعيد بن محمد ويقال ابن أحمد، اهـ من الزرقاني في موضع آخر.

والحمد لغة هو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري أو القديم، والوصف ذكر الصفة منسوبة إلى المتصف بها فلا يكون إلا بالكلام، وبالجميل مخرج للوصف بالقبيح بدم وبما ليس جميلاً ولا قبيحاً كزيد تميمي إذا قصد مجرد الإعلام بنسبه، وعلى الجميل مخرج للوصف بالجميل لأجل قبيح كقولك للبخیل ما أجوده في مقام التهكم. ومجموع الاختياري أو القديم مخرج للوصف برشاقة الخد. والحمد عرفاً الثناء باللسان أو القلب أو غيرهما من الأركان بسبب ما أسدى إلى الحامد فالأول أخص مورداً لأنه لا يكون إلا بالكلام وأعم متعلقاً لأنه يكون في مقابلة نعمة وغيرها، والثاني أعم مورداً لحصوله بالكلام وغيره وأخص متعلقاً إذ لا يكون إلا في مقابلة نعمة فبينهما عموم وخصوص من وجه.

(حمداً جديداً دائماً البقاء)

قوله حمداً منصوب بفعل محذوف أي أحمدته حمداً، ولا يصح أن يعمل فيه قوله الحمد لأن المصدر لا يخبر عنه إلا بعد تمام معمولاته. وقوله جديداً أي طارئاً بعد الحمد الأول مع أنه دائماً البقاء والظاهر أن الحمد

الأول حمد منه لله تعالى لأنه يستحق الحمد لذاته والثاني حمدٌ له لإنعامه فلا يتكرر مع الأول كما يرشد له قوله: (مكافيا) أي مساويا، (ترادف) أي تتابع، (الآلاء) أي النعم. فكلما تجددت لى نعمة منه تعالى تجدد مني حمد له تعالى. واعلم أن مقابلة الحمد لجميع النعم يعجز عنها الخلق غاية العجز لأن التوفيق للحمد نعمة جليلة تقتضي حمدا وهلم جرا.. قال:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قلبي لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

تنبيه:

اختلف في تعيين الفاضل من الحمد، فقليل: الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم، وقيل: اللهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وقيل: الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده. قال الشيخ يوسف بن عمر وينبني على ذلك مسألة فقهية فيمن حلف ليحمدن الله تعالى بأفضل محامده، فمن أراد أن يخرج من الخلاف فليحمد بجميعها، اهـ. نقله الخطاب.

وأتى الناظم رحمه الله بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم وعملا بقوله، صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجدم» أو قال: «أبتر» أو قال: «أجدع» أو قال: «أقطع» أي ناقص الشرف.

(ثم الصلاة والسلام تتبرا على أجل المرسلين قدرا)
أردف الحمد بالصلاة والسلام على من وصلت النعم المحمود عليها بواسطته، صلى الله عليه وسلم، امثالا لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} وعملا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يبدأ بذكر الله ثم بالصلاة عليّ فهو أقطع». والصلاة من الله تعالى انعامه، ومن العبد طلبه منه تعالى كانت على

نبي أو غيره، وكل ما ذكره فيها يرجع إلى هذا، قاله في «نور البصر». وهي وإن كان معناها طلب الرحمة التي هي الانعام فيها معنى زائد عليه وهو التعظيم ولذلك اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإن كان الراجح جوازه. والسلام من الله تعالى انعامه بالسلامة، ومن العبد طلب ذلك منه تعالى قاله في «نور البصر» أيضا. والصلاة مبتدء والسلام عطف عليه وخبره المجرور بعده. وتترا حال أي متتابعة فإن كانت ألفها للتأنيث فهي حال من الصلاة وإن كانت منونة، والألف فيها كالألف في زيدا من رأيت زيدا، فهي حال من السلام أو من كل منهما. وهذا كقوله تعالى: {أرسلنا رسلا نترا} قال الخازن أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا، وقال في «الضياء» تترا بلا تنوين للجمهور وبه لابن كثير وأبي عمرو أي متتابعين والتاء بدل من واو لأنه من المواتره وهي المتابعة بين الأشياء اهـ.. وقال ابن جزي تترا مصدر وهو موضوع موضع الحال أي متواترين والتواتر التتابع اهـ.

وقال في القاموس وجاءوا تترا وينون وأصله وترا أي متتابعين وواتره مواتره وواترا تابع أو لا تكون المواتره بين الأشياء إلا إذا وقعت بينهما فترة وإلا فهي مداركة ومواصلة اهـ..

وقوله على أجل المرسلين قدرا أي أفضلهم منزلة عند الله تعالى. ولا شك أنه، صلى الله عليه وسلم، أفضل من جميع الرسل والملائكة وجميع الخلق اجماعا ولا يدخل في الخلاف الجاري في التفضيل بين الأنبياء والملائكة. قال السراج البلقيني: ولا تظن بأحد من أئمة المسلمين أنه يتوقف في أفضليته، صلى الله عليه وسلم، على جميع الملائكة وسائر الأنبياء ومن زعم أن هذا ليس مما كلفنا به فزعمه باطل بل هذا من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف اهـ.. نقله محمد الأيسى في شرحه للهمزية في البيت الأول. وكون هذا عقيدة نحوه للهيثمي عن الزركشي وغيره. وقال السنوسي في شرح الجزائري: أفضليته صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقات تكاد أن تكون مما علم من الدين ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم خارج عن الخلاف في

التفضيل بين الأنبياء والملائكة اهـ..

(وآله)، عطف على أجل، وآله الصحيح في مذهبنا أنهم بنو هاشم قليل وبنو المطلب وهو مذهب الشافعي، وقيل ما خرج من لؤي آل له، وهو قول أصبغ، وقيل ما خرج من غالب وقيل آله: أتباعه. قال الزرقاني في شرح المواهب: وفي أنهم بنو هاشم أو المطلب أو عترته وأهل بيته أو بنو غالب أو أتقياء أمته واختير في مقام الدعاء وأيد بأنه إذا اطلق شمل الصحب والتابعين لهم بإحسان أقوال اهـ منه.

(وصحبه) اسم جمع صاحب، والصاحب في الأصل الملازم وفي العرف إذا أضيف له صلى الله عليه وسلم كل من لقيه مؤمنا به وإن لم يلزمه ولا روى عنه ولا رآه لعمى أو غيره مميزا أو غيره حيث يحكم بإسلامه لإسلام أبيه ومن ارتد منهم والعياذ بالله تعالى ثم أسلم عاد له اسم الصحابي على المرجح ولا بد من كون اللقاء قبل الوفاة فيخرج من لقيه بعدها كأبي ذؤيب ولا يدخل الأنبياء الذين اجتمع بهم ليلة الإسراء ولا الملائكة لأن المراد الاجتماع على الوجه المتعارف.

(ومن سلك سبيلهم) أي ذهب واتبع طريقهم، وسلك يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالهمزة وعداه بعضهم بالباء، والسبيل والطريق والصراط ألفاظ مترادفة كلها تذكر وتؤنث.

(ما دار) أي تقلب **(نجم في فلك)** والفلك جسم لطيف مستدير الشكل مشتمل على أجرام صقيلة نورانية تتحرك بتحركه دائما وتلك الأجرام هي الكواكب، والقمر في الفلك الذي يلينا وهو السماء الدنيا، والفلك الثاني السماء الثانية وهو العطارد والثالث وهو السماء الثالثة للزهرة كرتبة والرابع للشمس والخامس للمريخ وهو نجم الحمرة ويقال له كوكب الدم وكوكب النار للدلالة على ذلك في زعمهم والفلك السادس وهو السماء السادسة للمشتري والسابع لزحل اهـ..

وكل ما يظهر من المنازل والكواكب في الفلك الثامن وهو فوق السماء السابعة بألف عام كما قال بعضهم وأصغرها أكبر من الأرض بمائتين وعشرين مرة كما في بعض شراح الرسالة، عند قوله ولا ينظر

في النجوم إلا ما يستدل به على القبلة نقله في شرح المقنع. ول بعضهم بيت نقله الحفني في شرح الجامع الصغير في ترتيب الداراري في الأفلاك وهو:

زحل اشترى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار
ويسمى زحل كيوان والمقاتل والشيخ ويسمى المشتري البرجيس
ويسمى عطارد بالكاتب وفي طوالع البيضاوي ممزوجا ببعض كلام
الشيخ زكريا والأفلاك تسعة محيط بعضها ببعض الأول منها الفلك
الأعظم وهو بلسان أهل الشرع العرش المجيد وهو الجسم المحيط بسائر
الأجسام ويسمى الفلك الأطلس لكونه غير مكوكب وتحت الفلك الأعظم
فلك الثوابت وسميت بذلك لبطء حركتها ثم بعده سبعة أفلاك: فلك
زحل على الترتيب المار إلى أن وصل إلى فلك القمر وهو سماء الدنيا،
اهـ..

وقال العضد في المواقف ممزوجا ببعض كلام غيره المقصد الأول أن
الحكماء زعموا أن الأفلاك تسعة: فلك الأفلاك وهو المسمى عندهم بالفلك
الأطلسي لأنه غير مكوكب والمسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع
وتحت فلك الثوابت وهو الكرسي ثم فلك زحل إلى أن وصل إلى فلك
القمر، قال وهو سماء الدنيا. اهـ..

وفي الطوالع والمواقف أن الأفلاك شفافة لا لون لها إذ لو كانت ملونة
لحجبت الأبصار عن رؤيتها ورؤية ما وراءها لأن كل ملون كذلك واللازم
باطل ولم ير شيء من الكواكب فكذلك الملزوم اهـ.. ومقتضاهما أن
الأفلاك السبعة هي السماوات وفي كلام بعضهم أنها أجسام لاصقة
بالسماوات والله أعلم.

وقال الزرقاني في شرح المواهب: ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن
العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وربما
سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس قاله ابن كثير وليس بجيد لأنه قد
ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا قوائم له وأيضا
فالعرش في اللغة سرير الملك وليس فلكا والقرآن إنما نزل بلغة العرب

فهو سرير تحمله الملائكة كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات اهـ.

تنبيهان:

الأول: قال في المواهب اللدنية: قال الحليمي المقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى وقضاء بعض حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله لكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء، فأرشدنا الله لما علم من عجزنا عن مكافأة نبيينا إلى الصلاة عليه ونحوه للشيخ المرجاني وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى المصلي عليه لدلالة ذلك على نصوص العقيدة وإظهار المحبة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم اهـ. منه. ونقله العارف بالله أبو زيد الفاسي في حاشيته على كيمياء السعادة.

الثاني: سئل الإمام السنوسي عن قول الفقهاء ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعاً هل هو صحيح أم لا؟ فأجاب: بأنه رأى ذلك منصوصاً للإمام الشاطبي، قال وهو مشكل إذ لو قطع بقبولها لقطع للمصلي عليه بحسن الخاتمة، ثم أجاب بأن معنى القطع بالقبول أنه إذا ختم له بحسن الخاتمة وجد حسناتها مقبولة حتماً بخلاف سائر الحسنات لا يوثق بقبوله ولو مات صاحبه على الإيمان ويحتمل أن قبولها إذا صدرت من صاحبها على وجه محبته له عليه السلام فيقطع بانتفاعه بها في الآخرة، ولو في تخفيف العذاب إذا قضى عليه به، ولو على وجه الخلود لعظم موضع محبة أشرف الخلق. ألا ترى أن تخفيف العذاب عن أبي لهب يوم الاثنين لعنقه من بشرته بولادته عليه الصلاة والسلام اهـ..

وبحث اللمطي في هذا الجواب بأنه احتمال عقلي لا دليل عليه، لأن النصوص مصرحة بإحباط عمل الكافر. قال وأما أبو لهب فخرج بالنص فلا يقاس عليه.

(وبعد) ظرف زمان بنى لشبيهه بحرف الجواب، كنعم في الاستغناء به عما بعده وعامله محذوف، أي وأقول بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنبه (فاعلم) أيها المخاطب أي تحقق؛ (ان خير) أي أفضل، (ما اقتفى) من العلوم أي اتبعه وتعلمه أو علمه وألف فيه؛ (ذو) أي صاحب؛ (همة) هي قوة الانبعاث في الشيء وطلبه بالصدق بقطع الشواغل عما سواه؛ (سيرة) خبر أن وهو مضاف لقوله (خير مقتفى) بصيغة اسم مفعول أي متبع وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ والسيرة بكسر السين هيأة السير وجمعها سير أي طريقته وهيأته وحالته ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها نقله الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح المواهب ولا يخفى عظيم فضل الاهتمام بسيرته صلى الله عليه وسلم لأن شرف كل علم بحسب شرف معلومه وهذا العلم هو الكفيل ببيان أحواله صلى الله عليه وسلم العلية وأطواره الشريفة من لدن كان في بطن أمه إلى انتقاله إلى دار كرامته ولحوقه بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم تسليما. (وها أنا) ها حرف تنبيه وأنا مبتدأ وخبره قوله (أذكر) أي أبين ويكثر استعمالها التنبيه مع ضمير رفع منفصل بشرط أن يكون مرفوعا بالإبتداء بخلاف ما قام إلا أنا فلا تدخل على أنا وبشرط أن يخبر عنه باسم إشارة نحوها أنتم هؤلاء، وشذ قوله:

أبا حكم ها أنت خصم مجادل

قاله الدماميني واستعملها الناظم بدون اسم إشارة (في هذا الرجز) أحد البحور المعروفة يعنى نظمها (من ذاك) أي من علم السيرة النبوية (ما) مفعول أذكر أي الذي (فيه) لمن حفظه وشرحه (سداد) بكسر السين وفتحها أي غنى وكفاية (من عوز) أي احتياج وعدم يعنى انه جمع في هذا النظم من علم السيرة ما يغني من تعلمه ويكفيه حتى لا يحتاج إلى غيره قال في المصباح السداد بالكسر ما تسد به القارورة وغيرها واختلف في سداد من عيش وسداد من عوز لما يرمق به العيش وتسد به الخل فقال ابن السكيت والفارابي وتبعه الجوهري بالفتح

والكسر واقتصر الأكثر على الكسر منهم ابن قتيبة وشعلب والأزهري لأنه مستعار من سداد القارورة. اهـ. من شرح الزرقاني للمواهب بلفظه. وفي القاموس وسداد من عوز وعيش لما يسد به الخلة قد يفتح أو يجر وإذا تأملته علمت أن قول مولاي إبراهيم في شرحه هو بكسر السين لا بالفتح مخالف لما مر وذكر في شرحه هنا أن المامون قال يوما بحضرة النضر بن شميل انه صلى الله عليه وسلم قال: «ان الرجل إذا تزوج المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» بفتح السين، فقال النضر بكسر السين، فقال له المامون أوتلحنني يا نضر؟ قال لا ولكن لحن هشيم الذي حدثك. فأجازه المامون بجائزة سنينة وقال النضر سبحان الله كُسرت سين أعطاني الله عليها كذا وكذا..

(المبتغي التحصيل من أولي الهدى)

المجروح متعلق بقوله سداد والمبتغى الطالب والتحصيل تمييز ما أراد حصوله ومعرفته وأولى الهدى أصحابه والهدى التوفيق، يعنى أنه يبين في هذا النظم من علم السيرة النبوية ما فيه الكفاية لمن يطلب معرفة ما يريد حصوله من أصحاب التوفيق حتى لا يحتاج إلى غير هذا النظم لكثرة ما جمع من مسائل هذا الفن إذ قد حصل له من هذا النظم ما يسد خلته ويغنيه من احتياجه. وفي القاموس العوزُ بالتحريك الحاجة عوز الشيء كفرح لم يوجد والرجل افتقر كأعوز.

(عسى بنفعهم به أن أرشدا) هذا في المعنى بيان للسبب الحامل له على النظم فأفاد أنه إنما نظمته لأجل رجائه أن يرشد أي يوفق بسبب نفعه للناس بنشر العلم لكثرة ثواب من يعلم الناس الخير والنفع إيصال الخير ودفع الضرر وأن أرشدا خبر عسى وبنفعهم معمول أرشدا وقدم على أن لأنه مجروح يتسع فيه ما لا يتسع في غيره كقوله:

كان جزائي بالعصا أن أجلدا

وفي القاموس رشد كنصر وفرح اهتدى وأرشده الله، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه اهـ..

(سميته) أي هذا النظم أي وضعت له هذا الاسم (بقرة الأبصار) جمع

بصر يقال قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرّة بالضم وقرورا أي سكنت وثبتت لأنها رأت ما كانت متشوفة إليه وأقر الله عينه، واسمها طابق مسماهها، فإن من حصلها وفهم معناها تم مرامه وشفى غليله لكثرة ما حصل له من علم السير وسكن بصره فلم يتشوف إلى غيره (في سيرة المشفع المختار) أي طريقته وأحواله والمشفع من قبلت شفاعته والشفاعة لغة الضم ومنه الشفع ضد الوتر لأنه ضم واحد لآخر وكذا الشفاعة لأنها ضم أحد الشريكين نصيب صاحبه إلى نصيبه هو والشفاعة ضمك للغير في جاهك قاله القرطبي في المفهم في شرح مسلم، والجاه الشرف ورفعة القدر، والمختار المفضل على جميع الخلائق يعنى بهذا نبينا وحبينا وقرّة أعيننا وملاذنا ووسيلتنا إلى ربنا محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ولا شك أنه المنفرد بالشفاعة العظمى في الموقف الهائل حين ضاق بالخلائق الخناق واتهم البراء أنفسهم وكشف عن ساق نسأل الله تعالى بمنه أن يميّتنا على ملته ومحبته وأن يحشرنا في زمرة نحن وأحبّتنا بجاهه العظيم فقد قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» (مرتبا) حال من فاعل أذكر (له) أي لهذا الرجز (على الأبواب) جمع باب وهو في اللغة فرجة في ساتر يتوصل بها من داخل إلى خارج وبالعكس حقيقة في الذوات كباب الدار ومجازا في المعاني كما هنا فقوله بيان نسبة إلخ.. هو الباب الذي يتوصل منه إلى معرفة نسبه، صلى الله عليه وسلم، التي هي وراء الساتر الحائل دون معرفته والساتر هو الجهل فمن دخل من هذا الباب توصل إلى ما وراء ذلك الساتر، ورتب الناظم رحمه الله مسائل السيرة النبوية على أحواله، صلى الله عليه وسلم، فذكر كل حال في باب معبرا عن الباب بالبيان لأن ذلك أيسر لمن أراد الوقوف على مسألة منه فإنه إذا كانت أبوابه مرتبة مذكورا كل نوع منها خاص في باب بانفراده سهل طلب تلك المسألة على طالبها إذ لا يبحث عنها إلا في باب واحد بخلاف ما إذا كانت أنواع مسائله كلها مذكورة في باب واحد من غير ترتيب فإنه يعسر على الطالب الوقوف على تلك المسألة

التي يريد الوقوف عليها إذ لا يدري في أي موضع من الكتاب كما أشار له بقوله: (مقرباً) حال أيضاً ومفعوله قوله، (مقاصد الطلاب) والمقاصد جمع مقصد بكسر الصاد كما قاله الزرقاني على المواهب وهو الأمر الذي يقصد الطلاب جمع طالب يعنى أنه رتبته على أبواب فذكر كل نوع خاص في باب بعد باب آخر حال كونه مقرباً أي مسهلاً ما يقصده طلاب الوقوف على كل مسألة بانفرادها إذ لا يطلب إلا في باب نوعها الخاص بها، ولما ذكر أنه يذكر في هذا الرجز ما يسد خلة المحتاج إلى معرفة هذا العلم وأنه يرتبه على أبواب متعددة ليسهل طلبه على طالبه وكان مقصده ذلك لا قدرة له على اتمامه إلا بعون الله تعالى تبرأ من حوله وقوته تواضعاً لله تعالى فقال سائلاً منه تعالى أن يعينه على ذلك:

(ومن ممد الكون في انعامه استوهب العون على اتمامه)
 المجرور معمول لقوله استوهب وقدمه لإفادة الحصر والامداد من معانيه الإعطاء {أمدكم بأنعام وبنين} ويعدى لمفعول ثان بالباء والناظم عداه بفي وعليه، ففي بمعنى الباء، ومن معانيه الإمهال وهو اللائق بفي. والله تعالى أعلم. والكون المكون فهو يعم جميع الحوادث، والعون التقوية على الأمر ومعنى البيت عليه أنه يسأل العون على اتمام هذا الرجز على وفق مراده من الله تعالى لا من سواه فهو الذي أمهل جميع الخلائق في انعامه أي أخرهم ولم يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة الكفر والعصيان في إنسهم وجنهم وهذا استعطاف منه لله تعالى ليحصل له مراده، وممد اسم فاعل من أمدّه رباعياً ومعنى أستوهب العون أطلب منه أن يهبني أي يعطيني العون على اتمام هذا النظم وإنما سألته ذلك لأنه لا قوة له على اتمامه إلا بعون الله تعالى وفي هذا المعنى قال بعضهم:

إذا كان عون الله للمرء خادماً تهياً له من كل صعب مراده
 وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

(والنفع للراوي وللمسـروى عنه بجـاه المصطفى النبي) قوله والنفع بالنصب عطف على العون، أي ومن الله تعالى أسأل النفع لكل من روى شيئاً من علم السيرة أي نقله ولكل مروى أي منقول عنه ممن تقدم أو تأخر فيدخل فيه الناظم ومن نقل هو عنه ومن نقل عن الناظم هذا النظم المحتوي على السيرة الغراء وهو دعاء عام بعد خاص وهو قوله أستوهب العون على اتمامه. وبدأ بنفسه لأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دعى بدأ بنفسه، وقال تعالى حكاية عن نوح: {رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات} وفي الخبر: «الدعاء إذا عم نفع وإذا خص ارتفع» وتوسل في هذا المطلب بجاء أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم تسليماً، والنفع إيصال الخير ودفع الضرر والجاء الشرف ورفع القدر، والمصطفى المخلص من الكدر، ولفظ النبي على وجهين في اللغة: مهموز وغير مهموز، فأما المهموز فيصح أنه بمعنى مفعّل بصيغة اسم الفاعل لأنه من أنبأ لأنه مخبر عن الله تعالى ويصح أنه بمعنى مفعّل بصيغة اسم المفعول لأنه مُنبأ أي مُخبر ويصح أنه من نَبأ بمعنى ارتفع ففي القاموس نبا الشيء يعني بالهمزة بمعنى ارتفع ويصح أنه مأخوذ من النبيء بالهمز على وزنه وهو الطريق الواضح لأنه طريق إلى الله تعالى وأما غير المهموز فيصح أن أصله الهمز وترك الهمز تسهيلاً ويصح أن يكون واوياً فيحتمل معنيين أحدهما أنه من النبوة وهي الارتفاع والثاني أنه من النبي على وزنه وهو الطريق أيضاً قاله المحقق اليوسي في حواشي الكبرى (عليه) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم (أزكى) أي أكثر وأفضل (صلوات الباري) أي رحماته المقترنة بالتعظيم والإجلال والباري الخالق لجميع المخلوقات من برأ الله الخلق خلقهم (وآله وصحبه) تقدم قريباً تفسيرهما (الأبرار) أهل الصدق والطاعة والإحسان الذين اختارهم الله تعالى لصحبة خير خلقه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي

كلهم خير»، وفي الحديث: «مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به» وفيه: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ذكرها في الشفا.

تنبيهان:

الأول: قال في الشفا عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال شارحه ابن سلطان أي من سائر الأنبياء بل هي مستحبة لما روى البيهقي والخطيب مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما استحقها أهـ. وفي الشرح بعد هذا ما يفيد أنه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الأنبياء تبعا وفي الشفا ان الذي ذهب إليه المحققون ما قاله مالك وسفيان وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء قال شارحه المذكور أي افرادا وإنما تجوز اتباعا أهـ.

الثاني: أتى الناظم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الدعاء لأن ذلك أرجى لإجابته ففي الحديث: «كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء»، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعن علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد قاله في الشفا، وقوله الصلاة أي المفروضة والنافلة وقوله معلق أي كل منهما وقوله إلى الله أي محل قبوله أو مكان عرشه وقوله منه أي مما ذكر قاله ابن سلطان. ولما فرغ من خطبة نظمه شرع في ذكر نسب هذه الدرة الشريفة والذات المطهرة المنيفة لينجز ما بذكره وعد ويتمم من مرامه ما قصد فقال:

(بيان نسبة النبي المصطفى صلى الله عليه ربنا وشرفنا)
قوله بيان خبر مبتدأ محذوف والنسب محركة والنسبة بالكسر

والضم القرابة أو في الآباء خاصة قاله في القاموس أي هذا بيان نسب النبي صلى الله عليه وسلم المجمع عليه إلى عدنان إذ بذكر نسبه يقع تمييزه عن غيره ويظهر شرفه على من سواه بانتقاله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة وبالعكس وفي معالم التنزيل كان آدم يسمع من تخطيط أسارير جبهته نشيشا فقال يا رب ما هذا فنودي يا آدم هذا تسبيح ولدك محمد مزج بمائك فيكون لك ولدا وأنت له أب فنعم الوالد ونعم المولود، ثم انتقل ذلك الجزء من صلب آدم إلى رحم حواء ومنها إلى صلب شئث ومنه إلى رحم قيصة ومنها إلى صلب أنوش وهكذا كان ينتقل وكان يؤخذ في كل مرتبة عهد وميثاق على أن لا يوضع ذلك الجزء إلا في المطهرات اهـ نقله مولاي ابراهيم في شرحه، والنشيش: الصوت. وقوله صلى الله عليه وسلم تقدم معناه، وربنا مالكننا جميع الحوادث ومبلغنا إلى كمالنا شيئاً فشيئاً وأصل الرب مصدر يقال ربه ربا ورباه تربية وربيه تربيها وربته ترتبيتا وربته ربتا أي بلغه إلى كماله شيئاً فشيئاً فمن الأول لئن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن، ومن الثاني: ربيتـه حتى إذا تمعددا وأض نهدا كالحصان أجردا ومن الثالث:

بيضا مرازية غلبا أساوره أسدا تربب في الفيضات أشبالا
ومن الرابع:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجمهور حزوى حيث ربتني أهلي
وقيل أصله راب فخفف بحذف الألف كما فعل في بر. وقوله وشرفا أي أعلاه والشرف العلو وهذا دعاء بلفظ الخبر وهو صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق نسبا وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه فهو نخبة بنى هاشم خلاصة قريش وصميمها ولله در القائل:

قد أوث المجد عبد الله شيبه عن عمرو بن عبد مناف عن قصيهم
فجاء فيهم بمن جال السماء ومن سمي على النجم في سامي بيوتهم
فالعرب خير أناس ثم خيرهم قريشهم وهو فيهم خيرهم

قوم إذا قيل من قالوا نبيكم منا فهل هذه تلتفى لغيرهم
وفي الحديث: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى
من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم». قال الترمذي حديث
صحيح. وفي حديث الطبراني أن الله اختار خلقه فاختر منهم بنى آدم
ثم اختار من بنى آدم العرب ثم اختارني من العرب فلم أزل خيارا من
خيار. وقوله أن الله اختار خلقه أي ممن لو تعلقت بهم الإرادة ووجدوا
كانوا دونهم في الفضل لكونهم لم يختاروا أي اختارهم ممن يقدر
وجودهم فلا يراد أن الاختيار إنما يكون من شيء إذ لا بد من مختار
ومختار منه اهـ حرره الزرقاني في شرح المواهب وفي الحديث:
«كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» بمعنى أن نبوءته محكوم بها
ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه في عالم الأرواح
وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوآته والاقرار بها فمن خصائصه
صلى الله عليه وسلم إلى خروجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح ونبأه
وأخذ عليه الميثاق قبل نفخ الروح في آدم إذ هو المقصود من خلق النوع
الإنساني إذ لولاه ما خلق، انظر الزرقاني. ولبعضهم:

ألا بأبي من كان ملكا وسيدا	وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك النبي الأبطحي محمد	له في العلا مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدى	وكان له في كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه	فأثنت عليه ألسن وعوارف
إذا رام أمرا لا يكون خلافه	وليس لذاك الأمر في الكون صارف

أنشدها القسطلاني في المواهب لغيره. وقوله في آخر المدى بفتح التين
يعنى الزمان الأخير من أزمنة الأنبياء وقوله مواقف أي أحوال لتقدم
خلقه وقوله وعوارف جمع عارفة ومعناه أن الأمور المعروفة في الشرع
أثنت عليه لإظهاره لها وذبه عن معارضتها قاله الزرقاني.

(ونسب المختار محفوظ إلى عدنان بالإجماع عند الفضلا)
يعني أن آباءه صلى الله عليه وسلم إلى جده عدنان أجمع العلماء وهم

مراده بالفضلاء على عددهم ومعرفتهم وإن اختلفوا في أسماء بعضهم وأما ما فوق ذلك ففيه اختلاف كثير، قال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوز، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون، قال الله تعالى {وقرونا بين ذلك كثيرا}.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إنما ينسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا يدري ما هو. وقوله إنما ينسب بتحتية فنون النبي صلى الله عليه وسلم أو بنونين أي معاشر قريش وقوله لا يدري بياء ونون وفي سيرة العسقلاني اختلف فيما بين عدنان وإسماعيل اختلافا كثيرا ومن إسماعيل إلى آدم متفق على أكثره وفيه خلاف يسير في عدد الآباء وفيه خلف أيضا في ضبط بعض الأسماء. وقال عروة بن الزبير ما وجدنا أحدا يعرف بعد معد بن عدنان.

وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له فإلى إسماعيل فكره ذلك أيضا وقال على سبيل الإنكار من أخبره حتى يعتمد عليه وكذا روي عنه أنه كره ذلك في رفع نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى آدم وإذا كان كذلك فالذي ينبغي لنا الاعراض عن ما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وصعوبة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في ذكرها اهـ من المواهب وشرحها.

ورأيت في شرح لهذا النظم لم يسم مؤلفه نفسه أن معرفة آبائه صلى الله عليه وسلم المجمع عليهم واجبة على كل مؤمن. وفي مطالع المسرات بعد قول دلائل الخيرات النبي العربي القرشي الزمزمي المكي التهامي ما نصه هذه الأوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم إذ هي من جملة مشخصاته المعينة له اهـ.

(وها أنا أشير لاسم كل منهم بحرف منه مستقل)
ها حرف تنبيه وأنا مبتداء وأشير خبره ومر ما يقال فيه، وبحرف متعلق بأشير ومنهم صلة لحرف أي حرف من اسم كل واحد منهم

ومستقل صفة لحرف والإشارة تأدية المعنى بلفظ غير صريح.
أخبر الناظم رحمه الله أنه يشير -أي في البيت الآتي- لاسم كل واحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً وأبائهم إلى عدنان بحرف من اسم كل واحد مستقل بذلك الحرف أي كاف في تعيين من أشير إليه به لقصد الاختصار وضيق النظم والبيت الذي فيه الحروف المشار بها إلى أسمائهم هو قوله: مع إلخ.

ولنذكر عمود نسبه صلى الله عليه وسلم أولاً على طريق الاختصار متوالياً فأقول كما قال في المواهب: أعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشترك معه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتها صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية فإذا علمت شرف نسبه وطهارة مولده علمت أن هذا النبي العربي الأبطحي القرشي الهاشمي المنتخب من خير بطون العرب حسبا وأعرقها نسباً وأكرمها من قبل أبيه وأمه ومن أكرم بلاد الله تعالى على الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(مع) أما الميم فهي إشارة لاسم نبينا صلى الله عليه وسلم محمد الذي سماه به جده عبد المطلب فطابق ما سماه الله تعالى به فقليل له لم سميت ابنك محمداً وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ فقال رجوت أن يحمد أهل السماء والأرض فحقق الله رجاءه والمحمد الذي تكاملت فيه الخصال الحمودة، قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها إلى الماجد القرم الجواد الحممد
وأما العين فهي إشارة إلى والد المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله، قال الحافظ لم يختلف في اسمه الذبيح وكنيته أبو قثم بقاف فمثلاثة وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم مأخوذ من القثم وهو الإعطاء أو الجمع، يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم وقيل كنيته أبو

محمد وقيل أبو أحمد، قاله ابن الأثير اهـ. فإن قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى صلى الله عليه وسلم حمل فلعله كنى بالإنعام وإلا فالأمر ظاهر قاله الزرقاني.

(شه) أما الشين فهي إشارة لاسم جده شيخ البطحاء عبد المطلب بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل كما في المصباح وفي «الحلة السيرة» انه بفتح اللام شيبة الحمد مركب إضافي سمي به كما قال ابن قتيبة لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال فكان يقال مطعم طير السماء والفياض لجوده وفيه يقول الشاعر:

على شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وهو قول ابن اسحاق وهو الصحيح كما قال السهيلي وقيل سمي به لأنه ولد في رأسه شيبة وقيل لأن أباه أوصى أمه بذلك ولعل وجه إضافته إلى الحمد رجاء أنه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له فحقق الله ذلك. فكثر حمدهم له لأنه مفزع قریش في النوائب وسيدهم كما لا وفعالا وكان مجاب الدعوة وحرم الخمر على نفسه، قال ابن الأثير وهو أول من تحنَّت بحراء كان إذا دخل رمضان صعد وأطعم المساكين وقال ابن قتيبة اسم شيبة عامر وتابعه على ذلك صاحب القاموس وقال أبو عمران ذلك لا يصح وكنية شيبة أبو الحارث وهو أكبر ولده وقيل كنيته أبو البطحاء وسمي عبد المطلب لأن أباه هاشما لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطلب أدرك عبدك يشرب، وقال له ذلك استعطافا وقيل إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيأة بزة فكان يسأل عنه فيقول هو عبدي حياء من أن يقول ابن أخي فلما أدخله مكة أحسن حاله وأظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وعاش مائة وأربعين سنة فيما قاله الزبير بن بكار وجزم به السهيلي وقيل مائة وعشرين وصدر به مغلطاي نقله الزرقاني وأما الهاء فإشارة لهاشم واسمه عمر وسمي هاشما لأنه أول من هشم الشريد بمكة لأهل الموسم ولقومه أولا في سنة المجاعة فإنه لما أصاب أهل مكة شدة رحل إلى فلسطين فاشترى منها

دقيقا كثيرا وكعكا وقدم به مكة فأمر به فخبز ثم نحر جزورا وجعلها
ثريدا عم به أهل مكة ولم يزل يفعل ذلك حتى استقلوا، وفيه يقول ابن
الزبير:

عمرو العلاءشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
والثريد بمثلثة ما اتخذ من لحم وخبز، قال:

إذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد
وفي المنتقى كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا
ترفع لا في السراء ولا في الضراء وكان نور رسول الله صلى الله عليه
وسلم في وجهه يتوقد شعاعه ولا يراه حبر إلا قبل يده ولا يمر بشيء إلا
سجد له تغدوا إليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم
يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال إن
لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهها فاقدم علي حتى
أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك وإنما أراد نور المصطفى الموصوف
عندهم في الإنجيل فأبى هاشم، قال ابن اسحاق وهو أول من مات من
بنى عبد مناف واختلف في سنه فقليل عشرون وقيل خمس وعشرون
سنة قاله الزرقاني.

(عق) أما العين فأشارة لعبد مناف من أناف ينيف إذا ارتفع لقب
بذلك لأن أمه حبي بضم الحاء المهملة وموحدة مشددة ممالة أخدمته صنما
عظيما لهم يسمى مناة ثم نظر أبوه قصي يوما فرآه يوافق عبد مناة
بن كنانة فحوله إلى عبد مناف واسمه كما قال الشافعي المغيرة منقول
من الوصف والهاء للمبالغة سمي به تفاؤلا أنه يغير على الأعداء وساد
في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش ويدعى القمر لجماله، قال الواقدي
وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده لواء نزار
وقوس إسماعيل وذكر الزبير عن موسى بن عقبة أنه وجد في كتابة في
حجر أنا المغيرة بن قصي أمر بتقوى الله العظيم، وبصلة الرحم وإياه
عنى القائل بقوله:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالخ خالصه لعبد مناف

ومات بغزة. وأما القاف فأشارة لقصي تصغير قصي بفتح فكسر فياء ساكنة أي بعيد لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته فاطمة بنت سعد العذري وكرهوا اجتماع ثلاث ياءات فصغروه على فعيل مثل فليس واسمه مجمع قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر
في مكة بعد تفرقهم في البلدان، ذكر ثعلب في أماليه أنه كان يجمع قومه يوم العروبة فيذكرهم ويامرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم أنه سيبعث فيهم نبي، وقوله به جمع بالتثقيب للمبالغة وفي الخميس كان اسمه زيد فسمي مجمعا لما جمع من أمر قريش فسمي مجمعا، اهـ.
وبعد البيت المتقدم:

وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم به زيدت البطحاء فخرا على فخر
وقيل اسمه يزيد وكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا طاع له به قومه وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وحاز شرف مكة جميعا وكان جلدا جميلا وعالم قريش وأقولها بالحق.

(كم) أما الكاف فأشارة لكلاب وهو إما منقول من مصدر كالبت العدو مكالبة وكلابا ومعناه المشاركة وإما من جمع كلب للحيوان المعروف كأنهم يريدون الكثرة كما يسمون بسباع وأنمار. وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء عدة للأعداء وسهام في نحورهم فاختراروا لهم هذه الأسماء دون عبيدهم لأنهم لا يقصد منهم قتال غالبا بل كان ذلك عارا عند العرب وقيل لقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد وكان يجمعها فمن مرت به قال هذه كلاب ابن مرة واسمه حكيم وقيل عروة، هذا كله من المواهب وشرحها.

وأما الميم فأشارة لمرة بضم الميم علم منقول من وصف الرجل بالمرارة والتاء للمبالغة وكنيته أبو يقظة وأولاد مرة ثلاثة: كلاب وتميم ويقظة.
(كل) أما الكاف فأشارة لكعب قال ابن دريد منقول من كعب القناة

سمي بذلك لشرفه وارتفاعه في قومه فكانوا يخضعون له حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل فأرخوا به، ثم بموت عبد المطلب، وقيل من الكعب الذى هو قطعة السمن الجامد وهو أول من جمع الناس لمجرد الوعظ يوم العروبة وكانت تجتمع إليه قریش فيه فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويامرهم بالإيمان به إن أدركوه وينشد مع ذلك أبياتا منها قوله:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته إذا قریش تبغي الحق خذلانا
وقوله نجواء بنون وجيم أي دعوته السر إشارة إلى ما في ابتداء الدعوة من الخفاء قبل الأمر بالصدع ومدّه ضرورة وفي نسخة فحاء بفاء فحاء مهملة أي معنى ومدّه ضرورة. وقوله تبغي بضم الفوقية وفتح الموحدة وكسر الغين المعجمة من بغاه الشيء بالتخفيف طلبه شدد مبالغة وفي نسخة: حين العشيرة تبغي الحق خذلانا، بفتح فسكون فكسر مخففاً، والمراد أنه يتمنى إدراك زمن دعوته صلى الله عليه وسلم للناس وقریش يعارضونه ويطلبون خذلان دينه لينصره ويظهر دينه وكان كعب فصيحاً خطيباً وكان يأمر بتعظيم الحرم وعلمه هو به صلى الله عليه وسلم من الوصية المستمرة من آدم أن من كان فيه النور لا يضعه إلا في المطهرات لأن ختام الأنبياء منه وكان طاهراً أو من الكتب القديمة أن من كان بصفة كذا كان محمد من ولده والأول أظهر، وروى أبو نعيم عن كعب الأحبار أن بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة وستين سنة، انظر الزرقاني. وأما اللام فإشارة إلى لؤي بضم اللام وبالهمز وتبدل واوا، تصغير لأى كعصى وهو الثور الوحشي قاله ابن الأنباري، قال ويحتمل أنه تصغير لأي بوزن عبد وهو البطاء ويؤيده قوله:

فسدونكم بنى لؤي أخاكم ودونك مالكا يا أم عمرو
واختار السهيلي الثاني وقال أبو حنيفة اللأ البقرة وقال الأصمعي هو تصغير لواء الجيش وقيل منقول من لوى الرمل وكنيته أبو كعب وكان له سبعة ذكور.

(غف) أما الغين فأشارة لغالب منقول من اسم فاعل مشتق من الغلب بالتحريك أو بفتح فسكون ويقال غلبة بهاء وأما الفاء فأشارة إلى فهر بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفهر الحجر الطويل الأملس، قاله السهيلي وقال الخشني الفهر حجر ملء الكف يذكر ويؤنث وخطاً الأصمعي من أنثه وفي الفتح الفهر الحجر الصغير وفي الارشاد الطويل والأملس واسمه قريش. وعن الزهري أن أمه سمته قريشا وأبوه سماه فهرا وقيل فهر لقبه وقيل بالعكس وإليه تنسب قريش ونسب للأكثر، قال الزهري وهو الذي أدركت عليه من أدركت من نساب العرب أن من جاوز فهرا فليس من قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي على الصحيح قاله في المواهب. قال الزرقاني صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما. (من) أما الميم فأشارة لمالك، اسم فاعل من ملك، قال الخميس سمي مالكا لأنه كان ملك العرب وأما النون فأشارة للنضر واسمه قيس ولقب بالنضر لنضارة وجهه وجماله وله من الذكور مالك والصلت ويخلد بفتح التحتية وسكون المعجمة وضم اللام فдал مهمة وبه يكنى أبوه ولكن لم يعقب إلا من مالك وذهب الأكثرون إلى أن النضر هو قريش وبه قال الشافعي قال النووي وهو الصحيح المشهور وصححه أيضا الحافظ العلائي وعزاه للمحققين وللعراقي.

أما قريش فالأصح فـهـرٌ جماعها والأكثر النضر قال الحافظ: وعندي أنه لا خلف في ذلك لأن فهرا جماع قريش ثم أن أباهم مالكا لم يعقب غيره وكذلك النضر لا عقب له إلا مالك فاتفق القولان بحمد الله تعالى فقريش ينتهي نسبها كلها إلى فهر وقيل قريش هو إلياس وقيل مضر وقيل قصي، قال البرهان وهو باطل وكأنه قول رافضي لأنه يقتضي أن أبا بكر وعمر ليسا من قريش فإمامتهما باطلة وهو خلاف إجماع المسلمين. واختلف في سبب تسمية قريش فقيل منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة من أقوى دواب البحر سميت به لقوتها لأنها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وكذلك قريش أخرج البخاري في تاريخه أن ابن عباس سأل عمرو بن العاص فقال ان

قريشا تزعم أنك أعلمها فلم سميت قريش قريشا؟ فقال بأمر بين. فقال
ففسره لنا. ففسره: قال هل قال فيه أحد شعرا؟ قال نعم. وقد قال
الشمرخ بن عمرو الحميري:

وقريش هي التي تسكن البطح	ربها سميت قريش قرشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ	رك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش	ياكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى	يكثر القتل فيهم والخموشا
يملا الأرض خيله ورجال	يحشرون المطي حشرا كشيشا

وأكلا كميشا أي سريعا والخموش الخدوش قاله الزرقاني وقيل من
التقريش وهو التفتيش لأنهم يفتشون عن خلة الناس فيسدونها وقيل
لأنهم كانوا يتجرون من قرش كضرب إذا تجر وقيل من الاقراش وهو
وقوع الرايات والرماح بعضها على بعض وقيل غير ذلك، وقريش
البطحاء من دخل مكة مع قصي والظواهر من أقام بظاهر مكة ولم يدخل
الأبطح.

(كخم) أما الكاف فإشارة إلى كنانة بكاف مكسورة فنونين مفتوحتين
بينهما ألف ثم هاء منقول من الكنانة التي هي الجعبة بفتح الجيم
وسكون العين المهملة سمي بذلك تفاؤلا بأنه يصير كالكنانة الساترة
للسهام فكان سترا على قومه وقيل سمي به لأنه لم يزل في كن من
قومه وكان عظيم القدر يجتمع إليه العرب لعلمه وفضله بينهم وأما
الخاء فإشارة لخزيمة تصغير خزمة وهي مرة من الخزم وهو شد الشيء
وإصلاحه وقال الزجاجي يجوز أنه من الخزم بفتح فسكون تقول خزمته
فهو مخزوم إذا أدخلت في أنفه الخزام وقيل تصغير خزمة بكسر فسكون
برة في أنف البعير يشد فيها الزمام، قال في الفرر ولم أر من تعرض
لوجه المناسبة لنقله مما ذكر، قال ابن عباس مات خزيمة على ملة
إبراهيم.

تنبيه:

ذكر الزبير بن بكار وتبعه السهيلي أن خزيمة لما مات خلف ابنه كنانة على زوجته برة بنت إد بن طابخة فتزوجها فولدت له النضر علي ما كانت تفعله الجاهلية من أن أحدهم إذا مات خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها وقد قال تعالى: {ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف} أي من تحليل ذلك قبل الإسلام. قال وفائدة الإستثناء ليلا يعاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن في أجداده سفاح اهـ. وتعقب هذا الحافظ القطب الحلبي بما حاصله أن هذا غلط نشأ من اشتباه وذلك أن أبا عثمان الحافظ قال أن كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد ذكرا ولا أنثى فنكح ابنة أخيها وهي برة بنت مر بن إد بن طابخة فولدت له النضر، قال الحافظ وإنما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما، قال وهذا الذي عليه مشائخنا من أهل العلم ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال: «مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام»، ومن قال غير هذا فقد أخطأ والحمد لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا اهـ..

قال الدميري وهذا أرجو به الفوز للحافظ في منقلبه وأن يتجاوز عنه ما سطره في جميع كتبه اهـ. وقد صوب مغلطاي كلام الحافظ وأن خلافه غلط ظاهر، قال وهذا الذي يثلج به الصدر ويذهب حره ويزيل الشك ويطفئ شرره قال الشامى وهو من النفائس التى يرحل إليها والسهيلي تبع الزبير بن بكار والزبير كأنه تبع الكلبي وهو متروك بل لو نقله ثقة لم يقبل لمخالفة الأحاديث الناطقة بخلافه اهـ.

وكذا ما قيل أن هاشما خلف على وافدة زوجة أبيه بفرض صحته وليست جدة للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن أم عبد المطلب أنصارية ولذا كانت الأنصار أخوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، اهـ. نقله محمد بن عبد الباقي.

وأما الميم فإشارة لمدركة والتاء للمبالغة منقول من اسم فاعل من

الإدراك لقب به لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ظاهرا بينا واسمه عمرو عند الجمهور وهو الصحيح وقيل عامر وتنوين كخم غير معتبر.

(أمن) أما الهمزة فإشارة إلى إلياس والمعروف أنه اسمه وفي سيرة مغلطاي اسمه حبيب وهمزته همزة قطع، ثبت في الدرج عند ابن الأنباري وهي مكسورة وفي الخميس إنما سمي إلياس لأن أباه كبر ولم يولد له فولد على الكبر الياس فسمي إلياس وكنيته أبو عمر وله أخ يقال له الناس وهو عيلان قال ابن الأنباري وهو إفعال من قولهم أليس الشجاع الذي لا يفر. قال الشاعر:

ليس كالنشوان وهو صاح

ووافق ابن الأنباري علي كسر همزته طائفة وقال قاسم بن ثابت هو بفتحها وهي همزة وصل من اليأس ضد الرجاء واللام للتعريف وأنشد قاسم على ذلك قول قصي:

أمهتي خندف وإلياس أبي

قال الإمام السهيلي وهذا أصح من قول ابن الأنباري وهو أول من أهدى البدون إلى البيت ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم في الحج ولما أدرك إلياس أنكر علي بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وبأن فضله عليهم ولأن جانبه لهم حتى جمعهم رأيهم ورضوا به فردهم إلى سنن آبائهم وكان ذا جمال بارع وهو وصي أبيه ولم تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه وكان يدعى كبير قومه وسيد عشيرته ولا يقطع أمر دونه، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا »، ولما مات إلياس أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديدا ونذرت أن لا يأويها بيت ولا تقيم في بلد فتركت بنيها منه وساحت في الأرض حتى هلكت حزنا عليه ومات يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت الشمس يوم الخميس حتى تغيب وضربت الأمثال بحزنها عليه انظر الزرقاني. وأما الميم فإشارة لمضر قيل سمي به لأنه كان يحب اللبن الماضر أي الحامض

وفيه نظر لأنه يستدعي أن يكون له اسم غير هذا قبل أن يتصف بهذه الصفة. نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفا بهذه الصفة وقيل لبياضه وقيل لأنه كان يضر القلوب لحسنه وجماله، وفي الخميس لأنه أخذ بالقلوب ولم يكن يراه أحد إلا أحبه، وفي السبل: اسمه عمرو وكنيته أبو إلياس ومن حكمه: من يزرع شرا يحصد ندامة، وخير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهاها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق بضم الفاء وتفتح ما بين الحبتين وهو أول من سن الحداء للإبل وذلك أنه سقط وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه، وكان من أحسن الناس صوتا فآبت إليه الإبل من المرعى فلما صح وركب حدى وقيل بل كسر مولى له فصاح فاجتمعت إليه الإبل فوضع الحداء وزاد الناس فيه. وأخرج ابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد قال صلى الله عليه وسلم: « لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم » اهـ من الزرقاني.

وفي القاموس مضر اللبن كنصر وفرح وكرم حمض وابيض ثم قال ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولوعه بشرب اللبن الماضر أو لبياض لونه اهـ. وسمي مضر الحمراء لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه وأعطى ربيعة الخيل انظر القاموس. وأما النون فإشارة لنزار بكسر النون من النزور وهو القليل. قيل سبب ذلك أنه لما ولد ونظر أبوه إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو نور النبوة الذي كان في الأصلاب فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال إن هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمي نزار بذلك وبهذا جزم السهيلي وتبعه النور والخميس وزاد انه خرج أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وقال أبو الفرج الأصبهاني سمي بذلك لأنه فريد عصره واقتصر عليه الفتح والإرشاد وقيل لقب به لنحافته، قال الماوردي كان اسمه خلدان وكان مقدما وانبسطت له اليد عند الملوك وكان مهزول البدن فقال له ملك الفرس ما لك يا نزار، قال وتفسيره يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم وكنيته أبو إياد وقيل أبو ربيعة ويقال إن

قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة قاله الزرقاني.

(مع) أما الميم فأشارة إلى معد بفتح الميم المهمة وشد الدال ابن الانباري يحتمل انه مفعول من العد أو من معد في الأرض إذا أفسد وقيل غير ذلك قاله في الفتح وقال الخميس: سمي معدا لأنه كان صاحب حروب وغارات على بنى إسرائيل ولم يحارب أحدا إلا رجع بالنصر والظفر وكنيته أبو قضاة وقيل أبو نزار قاله الزرقاني وذكره في القاموس في فصل العين وفي فصل الميم ولفظه في فصل العين ومعد بن عدنان أبو العرب أو الميم أصلية لقولهم تعدد أي تزيأ بزي معد في تقشفهم أو تنسب إليهم أو تصبر على عيشهم. وأما العين فأشارة إلى عدنان من العدن أي الإقامة وعن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعه وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير. وروى الزبير بن بكار مرفوعا: « لا تسبوا مضرا ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين » وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل ابن المسيب.

(إلى هنا زكن) المجرور معمول لزكن معناه علم والإشارة لعدنان ونائب زكن راجع من النسب الشريف أي علم نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان. وأما ما فوق عدنان من النسب فلم يعلم كما تقدم.

فائدتان:

الأولى: لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهة آدم كالشمس المشرقة رواه ابن عباس ثم كان في وجهه وصيه على أولاده ابنه شيث بكسر المعجمة فتحتية ساكنة فمثلة وهو مصروف وقيل لا يصرف بناء على أن الثلاثي الأعجمي الساكن الوسط يجوز صرفه وعدمه، قال في الهمع وهو فاسد وقال السهيلي هو بالسريانية شيث وبالعبرانية شيث ومعنى شيث هبة الله وفي الشامية يقال شاث بإمالة الشين وكان شيث أجمل أولاد آدم وأشبههم به وأحبهم إليه وأفضلهم وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وولد شيث وحده على المشهور كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معه أخت. ثم

بعدما أوحى الله تعالى إلى شيث أن اتخذ ابنك أنوش صفيا ووصيا علم أنه نعتت إليه نفسه فأوصى ولده أنوش بفتح الهمزة فنون مضمومة آخره شين معجمة ومعناه الصادق ويقال يا نش بتحتية فنون مفتوحة فمعجمة لوصية آدم وهي أن لا يضع هذا النور الذي كان في وجه آدم كالشمس إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن إلى قرن أي من واحد إلى واحد وسماه قرنا تجوزا إلى أن أوصل الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله ولم يوص عبد المطلب ولده بذلك لتعاطيه تزوجه من أمنة مع علمه بمكانها وأن نكاحها لا أثر فيه من الجاهلية فكفاه ذلك عن الوصية وذلك النور موجود في جميع الآباء ويجوز تفاوته فيهم انظر الزرقاني، وما ذكره من ضبط شيث أنه بالتحتيه نحوه في شرح الشفا لابن سلطان وفي مطالع المسرات وكذا في الحلة السيرة أنه كقيل ولم أر الهمز في واحد منهم.

الثانية: اعلم أن الله تعالى طهر هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث المرضية فروى البيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام» والسفاح الزنا والمراد به هنا أن تسافح المرأة رجلا مدة ثم إذا أعجبته وأعجبها يتزوجها بعد ذلك، وهذا التفسير للقسطلاني، قال شارحه ولولي كما قال شيخنا أن يراد به ما هو أعم فإن جملة الأحاديث دلت على نفي جميع نكاح الجاهلية عن نسبه من نكاح زوجة الأب لأكبر بنيه والجمع بين الأختين ونكاح البغايا وهو أن يطاء البغي جماعة متفرقون فإذا ولدت ألحق بمن غلب عليه الشبه منهم ونكاح الاستبضاع وهو أن المرأة إذا طهرت من الحيض قال لها زوجها أرسلني لفلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يبين حملها فإن بان أصابها زوجها إن أحب ومن نكاح الجمع وهو أن يجتمع رجال دون عشرة ويدخلوا على بغي كلهم يطؤها فإذا وضعت ومر لها ليال بعده أرسلت إليهم فلا يتخلف رجل منهم فتقول قد عرفت الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحببت فلا يستطيع نفيه

وان لم يشبهه اهـ.

وقال الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في أمر الجاهلية وفي الحديث خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي رواه الطبراني وابن عساكر وروى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا « لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأضلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا»، وروى أبو نعيم عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال: « قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام، ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم» وأخرجه الطبراني والإمام أحمد والبيهقي والديلمي وابن لال وغيرهم قال الحافظ ابن حجر لوائح الصحة لائحة على صفحات هذا المتن وقال ابن تيمية وليس فضل العرب لقريش فبنى هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل أي باعتبار الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة. قال وبذلك يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا ثبت الدور انظر الزرقاني.

ولما ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم جره ذلك إلى ذكر حفر زمزم وذكر الذبيحين لأن حافرها عبد المطلب جده وحفرها هو بسبب كون عبد الله ذبيحا، فقال:

(وشيبة) هو عبد المطلب شيبة الحمد (إذ) أي حين فهو ظرف زماني مضاف للجملة بعده والعامل فيه قوله الآتي همت وقوله (بئر زمزم) مفعول حفر ومضاف إليه ما قبله ومعنى (حفر) أراد حفرها وشرع فيه كما يأتي وحفر كضرب (همت بمنعه) من اتمام حفرها (قريش) فاعل همت وذلك أنه جعل يحفرها ثلاثة أيام فلما بدى له الطي كبر وقال هذا طي إسماعيل فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا فيها فأبى فقال عدي بن نوفل بن عبد مناف، يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذل لا ولد لك ولم يكن له يومئذ ولد إلا

الحارث فقال له أبا القلة تعيرني والله لنن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة رواه ابن سعد والبلاذري وفي الخميس سفيه عليه وعلى ولده ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما قاله الزرقاني وإلى هذا أشار بقوله **(فنذر)** كضرب ونصر أي إلّتم بالهلف كما مرّ فيحتمل أنه المراد بالنذر ويحتمل أن الإلّام تكرّر مرة بالنذر ومرة بالهلف قاله محمد بن عبد الباقي. وفي عبارة المواهب الممثالة لعبارة الناظم **(إن جاءه)** أي ولد له من **(البنين)** أي الذكور **(عشره)** بفتح الشين وكسرهما **(يحمونه)** أي يمنعونهم **(من البغاة)** جمع باغ وهو الظالم وإنما كانوا بغاة لأنهم أرادوا منعه من أمر اختصه الله تعالى به بل هي في الحقيقة إنما قصد بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ولده فهي لعبد المطلب لا لغيره **(الفجره)** جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي **(لينحرن واحدا)** منهم عند الكعبة **(تقربا به)** مفعول لأجله أي لأجل التقرب لله، وعبارة المواهب وشرحها ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة **(فلما رام)** أي طلب وقصد عبد المطلب **(نحره)** أي نحر ولده الذي خرج القدح عليه وهو عبد الله والد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولد عبد المطلب إليه لرؤية نور المصطفى صلى الله عليه وسلم في وجهه كما في الزرقاني **(أبى)** أي امتنع **(منه)** أي من نحره **(قريش)** لعزه وشرفه فيهم فقاموا إليه في أنديتهم وقالوا له والله لا ندعك تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك بأن تسأل الكاهنة فإنها إن ذكرت أنه يذبح كان ذلك عذرا عندهم وإن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه ويذبحه وتكون سنة مستمرة في قومك لأنك رئيسهم فيقتدون بك فما بقاء الناس على هذا. وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر وابن مخزوم وكان عبد الله بن أختهم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه انظر الزرقاني. **(فمضى)** عبد المطلب أي ذهب وركبوا معه **(لخيبرا)** حصن قرب المدينة **(مستامرا)** حال من فاعل مضى أي حال كونه مشاورا **(كاهنها)** أي خيبر فيما يصنع أي شخصها الموصوف بالكهانة وذلك أنهم قالوا له انطلق إلى فلانة الكاهنة وعند

ابن اسحاق وانطلق إلى الحجاز فإنه به عرافة لها تابع من الجن وهو على حذف مضاف أي أحد أرض الحجاز فلعلها أن تامرک بأمر فيه فرج لك فركبوا حتى أتوها بخيبر والكاهنة قيل اسمها قطبة ذكره عبد الغني في كتاب الغوامض وذكر ابن اسحاق ان اسمها سجاح والذي في الروض سجساح فلما أتوها قص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر، كم الدية عندكم؟ فقالوا عشرة من الإبل، فقالت ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم إلى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة أخرى ثم اضربوا أيضا هكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجى صاحبكم وإلى هذا أشار بقوله (فأمرأ) أي الكاهن عبد المطلب (أن) بفتح الهمزة تفسيرية (استهم عليه) أي على عبد الله أي اضرب عليه بالسهم أي القداح (والآبالي) جمع إبل (فإن عليه) أي على عبد الله (خرجت) القداح بالذبح (في الحال) أي الزمن الذي ضربت القداح فيه عليه وعلى الإبل (فزد عليه) أي على العدد الذي ضربت عليه وعلى عبد الله القداح (عشرة) أخرى (واقترعا) أي أضرب عليه وعلى عبد الله القداح أيضا وهكذا حتى تقع القداح على الإبل (حتى) غاية للزيادة (إذا السهم) أي القدح، (عليها) أي الإبل (وقعا* فانحر) الإبل فداء له (فإن ربه) أي الولد (قد رضيا* بأنها) أي الإبل (له) أي لولدك (فداء) خبر إن ويتعلق به المجرور قبله أي فإن وقوع السهم على الإبل أمانة على رضى ربك بفداء ولدك بالإبل فانحرها ودع ولدك وكأنها غلب على ظنها أن السهم واقع على الإبل لا محالة قال جميعه في المواهب وشرحها (فعيا) فعل أمر من وعى أي حفظ والألف بدل من نون التوكيد الخفيفة تتميم للبيت، (ففعل) عبد المطلب بعد ان رجع هو وقومه إلى مكة (الذي به قد أمرأ) أي أمرته به الكاهنة فقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الإبل وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى، قاله

الزرقاني فخرج القدح في كل مرة على ولده فلم يزل يزيد عشرة ويضرب عليه وعلى الإبل القداح (حتى انتهت) الإبل (لمائة) أي وصلتها فوقع السهم على الإبل (فنحرا) عبد المطلب الإبل (من بعد ضربها) أي السهام على الإبل وولده (ثلاثا) أي ثلاث مرات وذلك أنه لما وقع السهم على الإبل أول مرة قالت قريش ومن حضر قد انتهى. رضى ربك يا عبد المطلب، فقال لا والله حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربها ثلاث مرات كلها تخرج على الإبل فنحرت وتركت لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع،

(وهي) بسكون الهاء أي الإبل (لا تعدو) أي لا تجاوز (العشار) جمع عشاء وهي النوق التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء، قاله في القاموس، (الكوم) جمع كوماء وهي العظيمة السنام (فيما نقلا) ومراده أن المائة كلها عشار كوم ولم أقف على أوصافها في كتاب معتمد غيره والله تعالى أعلم، (فكان) مفعرا على ما قبله (والد النبي) صلى الله عليه وسلم (المفتدى) بصغة اسم المفعول صفة لوالد (بمائة) من الإبل (فداؤه من الردى) أي الهلاك ووالد اسم كان وفداؤه مبتدئ وخبره قوله بمائة والجملة خبر كان ومن الردى يتعلق بقوله فداؤه (وكان ذاك) المال المفتدى به (سنة) أي شريعة مستمرة إلى يوم القيامة (في أمته) أي أتباعه صلى الله عليه وسلم (عن نفس كل مؤمن في فديته) لم أجد من تكلم على هذا والظاهر أن قوله عن نفس يتعلق بمحذوف صفة لسنة أي سنة مؤداة عن نفس كل مؤمن يتعلق بذلك المحذوف أيضا قوله في فديته والضمير للمؤمن ويكون أطلق الفدية على الدية تجوزا ويصح على بعد أن الضمير في فديته راجع للوالد ويتعلق أيضا بمحذوف أي كان ذلك المال المؤدى في فديته أي عبد الله سنة في أمة النبي صلى الله عليه وسلم مؤداة عن نفس كل مؤمن والله تعالى أعلم. ولنذكر حين تم شرح هذه الأبيات رؤيا عبد المطلب التي هي سبب حفره لمزم وما يتعلق بها وذكر البرقي عن ابن عباس سميت زمزم لأنها زمت بالتراب ليلا تاخذ يميننا وشمالا ولو تركت

لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال الحربي لزمزمة الماء وهي صوته وقال أبو عبيد لكثرة مائها وليس بخلاف حقيقي فقد تكون التسمية لجميع ذلك، وتسمى زمزم وزمازم وتسمى همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي وهزمة جبريل بتقديم الزاي وتسمى طعام طعم وشفاء سقم وهي بئر إسماعيل التي سقاه الله حين ظمأ وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستسقيه لإسماعيل ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك فبعث الله جبريل فهمز بعقبه في الأرض وظهر الماء وسمعت أمه أصوات السباع فخافت عليه فأقبلت نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء تحت خده ويشرب. قال السهيلي وحكمة همز جبريل بعقبه دون يده أو غيرها الإشارة إلى أنها تعقبه أي إسماعيل ووارثه وهو محمد صلى الله عليه وسلم، اهـ. من الزرقاني.

وفي القاموس همزه يهمزه غمزه بيده فصارت فيه حفرة ثم قال وهزم البئر حفرها اهـ. فمعنى همزة جبريل وهزمتها واحد والله أعلم.

وفيه ماء زمزم كجعفر وزمازم كعلابط كثير وفيه زمه شده، اهـ. والمراد بحفر عبد المطلب لها إظهارها وتجديدها بعد أن بالغ الجرهمي في طمها أي دفنها وتسويتها وذلك أن عمرو بن الحارث بن مضااض بكسر الميم وضمها كما في الزرقاني لما بغى قومه بحرم الله وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا ما يهدى للكعبة وقبض الله لهم من أخرجهم من مكة فعمد عمرو إلى غزلان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن كما عند ابن هشام وغيره فجعلها في زمزم وبالع في طمسها وفر إلى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى حفر شيبة الحمد لها بسبب رؤياه التي دلت عليها وعينت له موضعها وروى ابن اسحاق عن علي قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني أت فقال احفر طيبة! فقلت وما طيبة؟ فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال احفر برة! فقلت وما برة؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المذنونة! فقلت وما المذنونة؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه

فجاءني فقال أحفر زمزم! قلت وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا ولا تدم، تسقي الحجيج الأعظم، بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل. برة بفتح الموحدة وشد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها، قال في الروض وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار والمضنونة بضاد معجمة ونونين لأنه ضن بها عن غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق قاله وهب. وفي رواية الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له أحفر المضنونة ضننت بها عن الناس إلا عليك ولا يذف بكسر الزاء لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ولا تدم بمعجمة لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة أي قليل ماؤها. قال والغراب الأعصم فسرره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الذي إحدى رجليه بيضاء فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها غدى بمعوله ومعه ولده الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة فلما بدى له الطي كبر وقال هذا طي إسماعيل فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها، قال ما أنا بفاعل. إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم. قالوا له فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم عليه. قالوا كاهنة سعد بن هذيم وكانت بإشراق الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى إذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام وظمأ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستقوا من معهم من قبائل قريش وقالوا إنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى ما صنع القوم قال ماذا ترون؟ قالوا ما رأينا إلا نتبع رأيك، فأمرنا بما شئت. فأمرهم بحفر قبورهم، وقال من مات واروه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت عجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤوا

أسقيتهم ثم دعى قبائل قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه وخلوا بينه وبينها وفي رواية أنه وجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عنها بين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقامت إليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه الحارث رد عني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت، فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر، فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والأسياف والأدراع التى دفنتها جرهم، فقالت قريش انا معك في هذا شرك، فقال لا، ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح، قالوا كيف نصنع؟ قال: اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له، فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأبيضين لقريش، فخرج الأصفران على الغزالين والأسودان على الأسياف والأدراع وتخلف قدحا قريش فضرب الأسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلите الكعبة ثم لما حفرها كانت له عزا وفخرا على قريش وعلى سائر العرب. وقوله فعمد بفتح الميم ومضارعه بكسرها كذا المنقول ورأيت في بعض الحواشي أن في بعض شروح الفصيح انه يجوز فيه العكس. وقوله إساف بكسر الهمزة وفتح المهملة مخففة ونائلة بنون فألف فتحتية صنمان عند الكعبة، قال الكلبي إساف رجل من جرهم ونائلة امرأة من جرهم وكان يعشقها فحجا فدخل البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فمسخا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما عبداً. نقله الزرقاني مفرقاً. ثم لما كمل لعبد المطلب بنون عشرة بعد حفره لزمزم بثلاثين سنة كما عند ابن سعد والبلاذري وقر الله بهم عينه نام ليلة عند الكعبة فرأى قائلاً

يقول له يا عبد المطلب أوف بنذكرك فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فنودي أن قرب ما هو أكبر من ذلك، قال وما هو أكبر من ذلك؟ قال قرب أحد أولادك الذي نذرتَه! فاغتم غما شديدا، وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء فقالوا إنا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم إيتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل بضم الهاء وفتح الموحدة صنم عظيم عندهم من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب وكان في جوف الكعبة وكان تحته بئر يجمع فيه ما يهدى للكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون عنده بالقداح، قال ابن اسحاق كان عنده قداح سبعة كل قدح في كتاب قدح العقد إذ اختلفوا من يحمله وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه وقدح فيه لا وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه إذا أرادوا حفرها فكانوا إذا أرادوا الختان أو النكاح أو دفن ميت أو شكوا في نسب ذهبوا إلى هبل بمائة درهم وجزور فأعطوها الذي يضرب بها ثم ما خرج عملوا به، فدفع عبد المطلب إلى القيم القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم إني نذرت لك نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت، ثم ضرب السادن للقداح فخرج على عبد الله فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة إلى آخر ما مر من منع قريش له.

نكتة حسنة:

استشكل كون عبد المطلب نذر ذبح أحد بنيهِ إذا بلغوا عشرة بأن حمزة والعباس إنما ولدا بعد وفاته بنذره، وأولاده إنما كانوا عشرة بهما، وأجيب بأن بعض العلماء قال أولاده اثني عشر وقيل ثلاثة عشر فكانوا عشرة بدونهما وقال بعضهم الولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا

مجازا، وكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره وهذا أحسن لسلامته من الإشكال انظر المواهب وشرحها.

ولما ذكر أن الوالد الشريف وقع عليه قدح الذبيح ففدي، جره ذلك إلى الخلاف الذى جرى في ولد إبراهيم هل الذى أمر بذبحه وفدي إسماعيل جده صلى الله عليه وسلم أو هو إسحاق على نبينا وجميعهم الصلاة والسلام فقال **(والخلف في ثاني الذبيحين)** أي ثانيهما بالنسبة لوالده صلى الله عليه وسلم، فهو ذبيح بلا خلاف **(ورد)** أي جاء عن الصحابة فمن بعدهم من العلماء **(فجلهم)** أي أكثرهم قال في القاموس: وجل الشيء وجلاله بضمهما معظمه **(إسحاق)** بالرفع خبر مبتدأ محذوف والجملة محكية بقول محذوف، أي قال هو إسحاق أو بالنصب بجعل محذوف خبر جلهم أي فجلهم فجعل الذبيح الثاني إسحاق **(وهو)** بسكون الهاء أي كون الذبيح الثاني إسحاق **(المعتمد)** أي الصحيح فقال به من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنه ومن التابعين ومن بعدهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، قاله الخازن نقله الوالد حفظه الله في الريان وفي شرح المواهب مع هؤلاء وقال به القاسم بن زيد والقاسم بن أبي برة وعبد الرحمن بن سابق ومكحول والحسن وإليه ذهب مالك واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلي وعزاه ابن عطية والقرطبي للأكثرين **(وقال قوم)** الذبيح الثاني **(هو إسماعيل)** فقال به جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس في رواية عنه وعبد الله بن سلام وقال به سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي قاله الخازن نقله في الريان أيضا وفي الزرقاني أنه رجحه جماعة وقال أبو حاتم إنه الصحيح والبيضاوي أنه الأظهر ثم قال والحاصل كما قال السيوطي أن الخلاف فيه مشهور بين الصحابة ومن بعدهم ورجح كل منهما اهـ **(وكل قول)** منهما **(فله دليل)** يرجحه، قال الخازن وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم. واحتج الأول بقوله تعالى: {فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي} أمر بذبح من بشره به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق كما في هود {بشرناه بإسحاق} وكما في قوله تعالى: {فبشرناها بإسحاق} فثبت أن أول الآية وآخرها يدل على أنه الذبيح واحتج بما ذكر من كتابة يعقوب لولده يوسف بمصر من يعقوب بن إسحاق ذبيح الله واحتج الثاني بأن الله ذكر البشارة بعد الفراغ من قصة المذبح فدل على أن الذبيح غيره. وبقوله تعالى في هود: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} فكيف يأمر بذبح إسحاق وقد وعد بيعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: {وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين} وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق العدل لأنه وعد أباه بالصبر على الذبح وبأن عمر بن عبد العزيز سأل رجلا من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال إسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم. يا معشر العرب ان يكون أبوكم هو الذي أمر الله بذبحه ويدعون أنه إسحاق أبوهم وبأن قرني الكباش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى احتراق البيت في زمن ابن الزبير. وفي البيضاوي أن ما روي من كتابة يعقوب لما مر لم يثبت وفي ابن جزي اختلف في الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله، الثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح {وبشرناه بإسحاق} الآية، فدل على أن الذبيح غيره، الثالث أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علي وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة بالولد إنما كانت بإسحاق لقوله تعالى: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} الثاني أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله. اهـ

من الريان باختصار.

وروى الحاكم في المستدرک وابن جریر وابن مردويه عن معاوية قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة أي مجدبة لا خصب فيها والماء أي محلاته التي يصيبها يابسة لعدم الماء وخلفت المال عابسا أي متغيرا مهزولا هلك المال وضاع العيال فعد علي أي اعطني شيئا مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه. وهذا الحديث احتج به معاوية على من قال انه إسحاق. واحتج من قال انه إسحاق بحديث الدارقطني مرفوعا الذبيح إسحاق وتأولوا الأول بأن العرب تسمى العم أبا قال تعالى: {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت} إلى قوله: {وإله آبائكم إبراهيم وإسماعيل}، فجعل إسماعيل أبا وهو عم. اهـ من المواهب وشرحها.

وجزم تقي الدين السبكي بأن الذبيح إسماعيل ورده بعضهم وأنشد لبعضهم في المواهب:

ان الذبيح هديت إسماعيل نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا وأبانه التفسير والتاويل
(ثالثها) أي لأقوال (الوقف) عن تعيين الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام. قال الناظم وهو مروي (عن الزجاج فاسلك سبيلا) أي طريقا ذا استقامة (غير ذي) أي صاحب (اعوجاج) والاعوجاج ضد الاستقامة (بيان) خبر مبتدأ محذوف أي هذا بيان (مولد) أي ولادة أي وقت ولادة (النبي المجتبي) أي الذي اختاره الله تعالى وفضله على جميع مخلوقاته صلى الله عليه وسلم (صلى عليه الله ما هب الصبا) هبت الريح تهب بالضم، ثارت والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، قاله في القاموس، قال في المواهب اللدنية ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مرّ على امرأة من بنى عبد العزى عند الكعبة واسمها فيما صدر به مغلطاي قتيلة بضم القاف وفتح الفوقية فتحية ساكنة فلام فهاء تأنيث وقيل رقيقة بنت نفيل بن أسد أخت ورقة وكانت تسمع من

أخيها أنه كائن في هذه الأمة نبي، فقالت حين نظرت إلى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل ربي في قريش لك مثل الإبل التي نحررت عنك وقع علي الآن أي جامعني ولعله كان من شرعهم أن المرأة تزوج نفسها بلا ولي ولا شهود لأنها لم تكن زانية ولا مريدة له بل هي عفيفة وقالت له ذلك لما رأت في وجهه من نور النبوة رجاء أن تحمل بهذا النبي الكريم فأبى الله أن يجعله إلا حيث شاء، فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع فراقه ولو لم أكن معه لوقعت عليك بوجه جائز كتزويجي بك وقيل أجابها بقوله:

أما الحرام فالحمام دونسه والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه
قوله فالحمام في رواية فالممة وقوله والحل لا حل أي لعدم تزويجي بك
وقوله فأستبينه أي أطلب ظهوره وأعمل بمقتضاه وتبغينه تطلبينه
ويحامي يمنع وعرضه كلما يحمده عليه أو يذم من نفسه أو أسلافه أي لا
يفعل ما يندس عرضه أو دينه. وعند أبي نعيم لما خرج عبد المطلب بابنه
ليزوجه مر على كاهنة من تباله بفتح الفوقية فموحدة خفيفة فألف
فلام فتاء تأنيث موضع باليمن وآخر بالطائف متمسكة بدين اليهود قد
قرأت الكتب يقال اسمها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة
في وجهه وذكر نحو ما تقدم من دعائه إلى نكاحها وإبائته، زاد البرقي
فلما أبى قالت :

إني رأيت مـخـيلة نشأت
فسمي لها نور يضيء به
ورأيت سقيهاها حيا بلد
ورأيتها شرفا ينوء به
لله ما زهرية سلبست

ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة
بضم الزاء بن كلاب وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه
ابنته أمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا أي من جهة الأب

وموضعا أي من جهة الأم فأُمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي وأم أمها حبيب بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب فزعموا أن عبد الله لما تزوج أمنة وقع عليها مكانه فحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها بعد ما أقام عندها ثلاثا وكانت تلك السنة عندهم فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي ما عرضت بالأمس فقالت فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك حاجة لأنني إنما أردت أن يكون النور في فأبى الله إلا أن يجعله حيث شاء. وعن العباس أنه لما بنى عبد الله بأمنة أحصوا مائتي امرأة من بنى عبد مناف وبنى مخزوم متن أسفا على ما فاتهن من عبد الله. اهـ. من المواهب وشرحها والإكتفاء.

(وحملت أمنة الزهرية) بضم الزاء نسبة إلى زهرة بن كلاب فهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وزعم ابن قتيبة والجوهري أن زهرة امرأة كلاب وغلب على ولدها النسب إليها مردود كما في الفتح وقال السهيلي منكر غير معروف. وما مرّ من أن وهبا هو المزوج لها هو المشهور. وقيل كانت في حجر عمها وهيب وهو المزوج لها واقتصر عليه اليعمرى، قاله الزرقاني **(طوبى لها)** بضم الطاء مصدر طاب الشيء لذّ ومعناه فرح لها وقرّة عين بحملها بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فهي مبتدء وخبره المجرور وقيل عطية ونعم وهو مقتبس من حديث يأتي قريبا **(بأكمل البرية)** أي الخلق كله فهو صلى الله عليه وسلم أكملهم خلقا وخلقاً ونسبا والمجرور متعلق بحملت وكذا قوله **(في رجب الفرد)** هو شهر الله المعظم وسمي فردا لانفراده عن غيره من الأشهر الحرم وهي أربعة ثلاثة متوالية وهو منفرد عنها وجمعها بعضهم بقوله: ذو قعدة ذو حجة محرم ورجب الفرد شهور حرم وحملها في يوم الإثنين منه، وقيل يوم الاثنين في أيام منى وبه صدر في المواهب واقتصر عليه في الحلة السيرا ففيها وحملت به أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى يوم الاثنين فأما آدم فأطواره كلها يوم الجمعة وأطوار نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين

حتى لا يتوهم شرفه بشرف الزمان والمكان فالزمان والمكان يشرفان به صلى الله عليه وسلم اهـ.

(بدار وهب* والدها) متعلق أيضا بحملت (وقيل بل) حملت به صلى الله عليه وسلم (في الشعب) بكسر المعجمة أي شعب أبي طالب ولفظ المواهب ممزوجا ببعض الشرح فزعموا كما قال ابن إسحاق أنه دخل عليها عبد الله حين ملكها مكانه فوقع عليها أي جامعها زاد الزبير بن بكار يوم الإثنين من أيام منى وقيل من شهر رجب في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى كما هو المنقول عن الزبير قال النجم وهذا موافق لمن ذهب إلى أن ميلاده في رمضان، وأما القول بأنه في رجب فمطبق على أن ميلاده في ربيع وزعم الحاكم أن سنَّ عبد الله حينئذ ثلاثون سنة والصحيح خلافه وهو ما جزم به السهيلي من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين أبيه ثمانية عشر عاما اهـ. ثم قال في المواهب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب لما أراد الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد في السماوات والأرض ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن أمنة ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. وفي رواية كعب الأحبار أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها أي جوانبها والأرض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل في بطن أمه فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا جميعها منكوسة أي مقلوبة على رؤوسها وكانت قريش في جذب شديد وضيق عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرُّفْد بالكسر أي الخير الكثير من كل جانب فسميت تلك السنة سنة الفتح والإبتهاج اهـ وما ذكر من حملها به ليلة الجمعة لا ينافي كون أطواره عليه السلام يوم الإثنين لأنه في الأطوار الظاهرة كالولادة وما هنا ما قبلها قاله الزرقاني. والتستري نسبة إلى تُسْتَر بضم الفوقية الأولى وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة

آخره راء مهمة كما ضبطه النووي وغيره، وحكي ضم الفوقييتين وفتح الأولى وضم الثانية مدينة بالأهواز. وطوبى الحسنى والخير قاله في القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعم وفي حديث ابن اسحاق أن أمنة كانت تحدث أنها أوتيت أي رأت في المنام حين حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الأمة وقالت ما شعرت بأني حملت به ولا وجدت ثقلًا ولا وحماً إلا أنني أنكرت رفع حيضتي والثقل بكسر المثلثة وفتح القاف وتسكن، الفتور والوحم بفتححتين وحكى بكسر الحاء شهوة الحبلى، وحيضتي هنا، بكسر الحاء. قالت وأتاني أت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنعام ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال قولي إذا وضعته:

أعـيـيـذـهـ بالواحد من شر كل حاسد
ثم سميّه محمداً وعند غير ابن إسحاق وعلقي عليه هذه التميمة
فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها:

أعـيـيـذـهـ بالواحد من شر كل حاسد
وكل خاسق رائد من قوائم وقاعد
عن السببيل حائد على الفسّاد جاهد
من نافث وعائد وكل خلّيق مارد
ياخذ بالمراصد من طروق المصاد

قال العراقي هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال من دلالة حمل أمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارة وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً وله في كل شهر من شهور حملة نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن

يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم. وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا مكان إلا دخله النور ولا دابة إلا نطقت، وقوله رائد أي طالب له بسوء وقوله على الفساد جاهد، أي يتحمل للمشقة في تحصيله حتى كأنه استعلى عليه والنافث الساحر والعاقد من يعقد عقداً في خيط وينفخ فيها بشيء يقوله بلا ريق أو معه بيان لجاهد والموارد المواضع التي يجتمع بها الناس وطرق المياه المقصودة للاستقاء.

فائدة:

اختلف في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم ف قيل تسعة أشهر كاملة وبه صدر مغلطاي قال في الغرر وهو الصحيح وقيل عشرة أشهر وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة ذكرها في المواهب وشرحها.

(بيان مولد النبي الهادي) أي المرشد للخلق إلى الدين الحق (صلى عليه خالق العباد) أي أعطاه صلاة أي رحمة مقرونة بالتعظيم (عام قدوم) أي مجيء (الفيل) الذي قصر الله تعالى ما فعل بأهله والعياذ بالله تعالى في سورة الفيل (للقوام) أي قريش لهدم الكعبة، ومراده أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل، قال ابن الجوزي اتفقوا على أنه ولد عام الفيل وكذا قال ابن الجزار لكن قال مغلطاي في الاتفاق نظر لكثرة الخلاف (بإثر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة وفي الزرقاني في قصة إتيانه صلى الله عليه وسلم لثقيف في شرح قول المواهب ولما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود ما نصه إثره بتثليث الهمزة وفتح المثلثة وإسكانها اهـ.

(خمسين من الأيام) أي ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً، وهذا الذي ذكر الناظم هو الذي شهره القسطلاني تبعا لجماعة منهم السهيلي وقيل ولد بعده بخمسة وستين يوماً وبه قال أبو جعفر محمد بن علي قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لعشر خلون من ربيع الأول وكان قدوم الفيل لنصف الحرم فبين الفيل ومولده خمس وخمسون ليلة نقله في المنتقى، وذكر اليعمري في عيون الأثر عن الخوارزمي أن قدوم

الفيل يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة وقيل ولد بعد قدومه بشهر وقيل بعد قدومه بأربعين يوما وقيل لم يولد عام الفيل بل ولد بعده قيل بسنتين وقيل بعشر سنين، قال مغلطاي وهذا الأخير لا يصح وقيل ولد بعد الفيل بخمس عشرة سنة ورد وقيل غير ذلك، والمشهور أنه ولد بعد الفيل لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوءته وتأسيسا لظهوره وقد كثرت الخوارق قبله إرهاسا بكسر الهمزة أي تأسيسا لرسالته كقصة الفيل وكثرة الهواتف به وإخبار الكهنة وغير ذلك. والصحيح الذي عليه الجمهور، بل حكى بعضهم عليه الاتفاق أنه ولد بمكة فقيل في الدار التي كانت بيد عقيل بن أبي طالب وصارت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج وهي بزقاق المدك بدل مهمة قيل ان المصطفى صلى الله عليه وسلم وهبها لعقيل فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده محمد بن يوسف. وقيل إن عقيل باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين فأدخل محمد بن يوسف ذلك البيت الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم في داره ولم تزل كذلك حتى حجت خيزران جارية المهدي أم هارون الرشيد فأفردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلى فيه، وفي الروض أن الدار التي لمحمد بن يوسف بنتها زبيدة زوجة الرشيد مسجدا حين حجت وهي عند الصفا وقيل إنه ولد بالشعب بكسر الشين المعروف بشعب بنى هاشم وقيل ولد بالرَّم بفتح الراء وسكون الدال المهملتين أي ردم بنى جمح وقيل لم يولد بمكة بل ولد بعسفان، قال في النور وهي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة اهـ. لكن هذا القول لا يعول عليه، قاله محمد بن عبد الباقي (في يوم الإثنين من الشهر الأغر) الغرة بياض في الوجه وغرة المال خياره وغرة القوم شريفهم والأغر الأبيض من كل شيء ووصفه بكونه أغر لإضاءته بوجود المصطفى صلى الله عليه وسلم فيه دون غيره من المشهور، فبها لها من خصوصية ما أعظمها، ومراده به ربيع الأول (في ثالث الشهر) الذي هو ربيع (أو الثاني عشر) منه وهو المشهور عند الجمهور، قاله ابن كثير، قال محمد بن عبد

الباقى وهو الذى عليه العمل وبالى ابن الؤوزى وابن الؤزار فنقلافىه الإجماع؁ وقال القسطلانى هو الذى على عمل أهل مكة قديما وحديشا فى زيارتهم موضع مولده فى هذا الوقت (أو لثمان من ربيع الأول) أى بعد مضي ثمان منه؁ قال قطب الدين القسطلانى وهو اختيار من له معرفة بهذا الشأن واختاره الحميد الأندلسى وحكى القضاءى إجماع أهل الميقات علىه ورواه الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وقيل ولد لعشرة مضيى من ربيع حكاه مغلطاى والدمياطى وصححه؁ وقيل لثمان عشرة خلت منه وقيل لثمان بقين منه وقيل ولد لليلتين خلتا منه وقيل لسبع عشرة خلت منه؁ وقيل فى يوم اثنين من ربيع غير معين. قال جامعہ سمح الله له القول الأول فى كلام الناظم لم أراه والأقوال الآخر الثمانية حصلها القسطلانى سبعة منها فى تعيين اليوم الذى ولد فيه من ربيع والثامن أنه غير معين منه وقيل ولد فى ربيع الآخر وقيل فى رمضان وقيل فى يوم عاشورا؁ وهو غريب لا يعرف؁ وقيل ولد فى رجب واختلف هل ولد بالليل أو النهار والمشهور أنه ولد فى النهار مع بقاء الظلمة كما فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ولد عند طلوع الفجر وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم قال لما حضرت أمنة الولادة قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وأبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد أذن الله تعالى أى أراد تلك السنة أى التى حمل فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم لنساء الدنيا الحاملات منهن أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اهـ. وكانت تقول أتانى أت حين مر من حملى ستة أشهر فى المنام وقال يا أمنة إنك قد حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه محمدا واكتمى شأنك؁ قالت ثم أخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى أحد وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالنى أى رؤية -عين بصيرة- كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء أى بآنية شربة أو أطلق الشربة على

محلها وهو المشربة بكسر الميم مجازا من تسمية المحل باسم الحال فيه فتناولتها فشربتها. وفي رواية وكنت عطشى فشربتها فإذا هي أحلى من العسل فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينما أنا أتعجب وأنا أقول وا غوثاه من أين علمن بي؟ فقلن لى نحن أسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وإني أسمع الوجبة في كل ساعة أهول وأعظم مما تقدم، فبينما أنا كذلك إذ بدى بكسر الدال ويجوز فتحها نوع من الحرير أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة، قال شارحه ولعل الحكمة في ذلك الإشارة إلى أن دينه يعم المشارق والمغارب ويعلو مكة ويصير بيننا كالأعلام فأخذني المخاض، قال البيضاوي بفتح الميم وكسرهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج، فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته. وقولها من بنات عبد مناف شبهت بهن لاشتهارهن بين النساء بالطول والجمال. ومن عجائب ولادته أيضا روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم، قال انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه

فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشياً عليه وقال ذهب
النبوءة من بنى إسرائيل أما والله ليستون بكم سطوة يخرج خبرها
من المشرق والمغرب، ومن عجائب أمره أنه ولد مختونا وذكرنا معه
سنة عشر كلهم ولد مختونا ونظمهم السيوطي فقال:

وسبعة مع عشر قد رووا خلقوا وهم ختان فخذ لازلت مأنوسا
محمد آدم إدريس شئت ونو ح، سام هود شعيب يوسف موسى
لوط سليمان يحي صالح ذكر ياء وحنظلة الرسي مع عيسى

وقوله حنظلة لم يزد في تعريفه على أن قال وحنظلة بن صفوان.

فائدة:

كما ولد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين بعث فيه فهو أول يوم أوحى
إليه فيه، كما رواه مسلم، وهاجر فيه ودخل المدينة فيه ووضع الحجر
الأسود موضعه فيه، ونزلت فيه {اليوم أكملت لكم دينكم} وفتحت مكة
فيه على قول والمعروف أنها افتتحت يوم الجمعة وتوفي صلى الله عليه
وسلم فيه، انظر الزرقاني (موافق) حال كون المولد المفهوم من ولد
موافق (الزيسان) بفتح النون وكسرهما وسكون الياء رابع الشهور
الرومية وهو إبريل بكسر الهمزة وابتدائها من ينير بشد النون
وسكون الياء قاله اليوسي (عند) جماعة العلماء (الأول) بضم الهمزة أي
المتقدمة وأشار بهذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم ولد في فصل الربيع
وهو أعدل الفصول وأنشد القسطلاني في ذلك لغيره:

يقول لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذل للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع
قوله فوجهي الفاء جواب شرط مقدر أي إن سألت عن صفاتي فوجهي
إلخ.. وربيع الأول وجهه عليه السلام شبهه بالربيع في اعتداله وحسنه
والثاني الفصل والثالث شهر ربيع النبوي. قال محمد بن سعيد
السوسي وقد نظم شيخنا القاضي أسماء الشهور القبطية والسريانية

فقال:

ولشهور القبط * حقق تفز بالقسط * توت وبابه وهتور * على
التوالي بالشهور * كيهك طوب يات * امشير برهمات * برمودة
بشنس * بؤونة لابس * ثم أبيب مسرى * له فقدر قدرا .
ثم قال:

ومن أغشت الابتدا * حكي على طول المدى * ثمت بالسريانيه * خذ
عدها علانيه * أولها تشرين * كالثاني إذ يبين * وبعد كانون ظهر * وما
يلي به اشتهر * سباط مع أذارا * نيسان مع أيارا * ثم حزيران أتي *
تموز أيضا ثبتا * آب وأيلول ورد * وهو الأخير في العدد * والبدء من
اكتوبرا * فحققن الخبرا .

وتوت بمثنائين من فوق أولاهما مضمومة وبينهما واو ساكنة وبابه
بموحدتين بينهما ألف وآخره هاء، وهتور بفتح الهاء وضم المثناة
الفوقية، وكيهك بكاف وتحتية مفتوحة وهاء وفي نسخة بتقديم الهاء
على الياء وطوب بضم الطاء المهملة وامشير بفتح الهمزة وسكون الميم
وشين معجمة مكسورة بعدها ياء ساكنة وراء وبرهمات بفتح الموحدة
وسكون الراء وبرمودة بفتح الموحدة وسكون الراء وميم بعدها واو
ساكنة فдал مهملة فهاء وبشنس بموحدة مفتوحة وشين معجمة ونون
ساكنة فسين مهملة وبؤونة بهمز بين الموحدة والواو وأبيب بفتح
الهمزة وكسر الباء فباء ساكنة وموحدة ومسرى بضم الميم وسكون
السين المهملة وقوله تشرين كالثاني أي تشرين الأول وتشرين الأخير
بشين معجمة ساكنة وراء مهملة مكسورة بعدها ياء ساكنة فنون
وكانون الأول وكانون الأخير على وزن فاعول وسباط بضم وإذار بقصر
الهمزة ومدّ الذاو وإيار بتشديد المثناة التحتية وحزيران بحاء مهملة
مفتوحة فزاي فراء بينهما ياء ساكنة فألف فنون وتموز بفتح التاء
وضم الميم مشددة بعدها واو ساكنة، وآب بمد الهمزة، وأيلول بفتح
الهمزة وسكون التحتية اهـ . من شرح المقنع لمؤلفه وفي البناني
يرهمات بياء تحتية وهو مخالف لما مر عن السوسي أنه بالموحدة وفيه

بؤونة على وزن شؤونة اهـ.

وفي القاموس أن إذار بذال معجمة وأن تشرين بكسر أوله وفيه حزيان إسم شهر بالرومية. قال في التاج يفتح فكسر والمشهور على الألسنة بضم ففتح اهـ. وقال قبل هذه أن سعيدا افترى ضبطه بالتصغير اهـ. واكتوبر بفتح الهمزة وسكون الكاف والواو الساكنة بعد التاء المضمومة قاله السوسي.

(في عام) متعلق بمولد (جفظ من سني الأسكندري) قوله جفظ قال الشريف مولاي إبراهيم في شرحه هو بالجيم والفاء المروسة والظاء المشالة لأن الذي بين ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ووفاة الأسكندري الرومي ثلاث وثمانون وثمانمائة سنة على ما حكاه في جامع الأصول وقيل اثنتان وثمانون على ما صدر به، قال ولا تعارض بينهما إذ لعله لم يعتبر الكسر في القول الأول واعتبره في الثاني، قال والجاري على الألسنة من قراءة حفظ بالحاء المهملة لا أصل له وجلب على ذلك كلام جامع الأصول. والمراد به ذو القرنين الأصغر وهو الذي قتل دارا وسلب ملكه وتزوج بابنته اهـ. منه.

واقصر اليوسي في شرح المقنع علي أنه صلى الله عليه وسلم ولد سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة سنة لتاريخ ذي القرنين والله أعلم. (بطالع الجدي) والظاهر أن الباء للمصاحبة والجدي هو أحد البروج ومنازله سعد الذابح وسعد بلع وثلاث سعد السعود ومراده والله تعالى أعلم أنه صلى الله عليه وسلم ولد مصحوبا بطالع الجدي ويصح أنه أراد بعض طوالعه وهو سعد السعود ولم يرد أنه ولد بذلك البرج لما سيأتي وإنما مراده أن مولده صلى الله عليه وسلم طلع به نجم كل سعد على البرايا لأنه هو الوسطة في نيل كل نعمة في الدارين ويصح أنه أراد جميع طوالع الجدي لأنه صلى الله عليه وسلم طلع به سعد الذبح والبلع على من كذبه وأشرك بالله وطلع به سعد السعود على من آمن به قال الإمام السنوسي وقد حجر الله تعالى نعمه أن يصل منها إلى مخلوق شيء إلا بواسطته صلى الله عليه وسلم اهـ.

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
 في ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل
 إلا وطه المصطفى عبده نبیه مختاره المرسل
 واسطة فيهما وأصل لها يعلم هذا كل من يعقل
 وإنما لم أحمله على ظاهره لأن مولده صلى الله عليه وسلم في فصل
 الربيع في النيسان وهو إبريل كما هو معلوم وقد قال الناظم: موافق
 النيسان، والجدي من بروج فصل الشتاء كما سنبينه إن شاء الله وقد
 قيل إنه عليه السلام ولد عند طلوع الغفرة وهو من منازل الميزان وهو
 أول بروج فصل الخريف. وفي القسطلاني: وقيل إنه ولد عند طلوع
 الغفرة وهو مولد الأنبياء ثم قال وقيل إنه ولد ليلا، قال الزرقاني في
 شرحه أي من غير تعيين لكونه عند طلوع الغفرة اهـ. واقتصر
 السوسي في شرح المقنع على أنه صلى الله عليه وسلم ولد عند طلوع
 الغفرة في شهر إبريل ولفظه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم ولد
 ليلة الإثنين عند طلوع الغفرة في شهر إبريل والشمس في الحمل اهـ.
 وكذا في المواهب وشرحها أنه ولد في برج الحمل، أي ولد والشمس في
 برج الحمل كما هو لفظ السوسي وبرج الحمل منازل النطح والبطين
 وثالث الثريا، وكونه عليه السلام ولد والشمس في برج الحمل هو الذي
 يلائم أنه ولد في إبريل ويلائم كونه عند طلوع الغفرة في إبريل أي
 طلوعها ليلا في إبريل وإن كان مولده ليلا فيه خلاف وبيان ذلك أن
 تكون الشمس في برج الحمل وتكون الغفرة إذ ذاك في إبريل من مطالع
 الليل. وأما حمل كلام المؤلف على ظاهره فلم يظهر لي أنه يلائم كون
 ولادته عليه السلام في النيسان كما ذكر المؤلف وغيره هذا مع أنني أعلم
 قوة كون المولد عند طلوع الفجر لكن لم اهتمد أيضا لالتئامه مع القول
 بأنه ولد عند الغفرة هذا معنى البيت عندي وقلته ارتجالا والله تعالى
 أعلم بالصواب. وقولي الجدي واحد البروج وهي اثني عشر برجا أولها
 الحمل بالتحريك ثم الثور فالجوزاء، فالسرطان، فالأسد فالسنبل ثم
 الميزان، فالعقرب، فالقوس، فالجدي وهو عاشرها، فالدلو فالحوث وقد

أشار بعضهم لها على الترتيب فقال:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان
قال بعض شروح المقنع: البروج عند المنجمين عبارة عن أجزاء قسم
الفلك عليها بحسب سير الشمس ومكثها في كل جزء منها شهرا فتقطع
الفلك كله في إثني عشر شهرا وقسموا الفلك لأجل ذلك على اثني عشر
جزءا وسميت تلك الأجزاء بروجاً أولها الحمل إلى آخرها ثم لما كانت
تقيم في كل برج ثلاثين يوما قسموا كل برج ثلاثين جزءا ثم قسموا تلك
الأجزاء دقائق مفردها دقيقة والبروج عند العرب عبارة عن جماعة من
النجوم على صورة حيوان أو صورة آلة في رؤية العين فسميت كل
جماعة باسم تلك الصورة التي هي عليها والفرق بين قسمة العرب
وقسمة المنجمين مع ان كلا منهما على اثني عشر برجا ان قسمة العرب
محسوسة مدركة بالرؤية غير متساوية وقسمة المنجمين معقولة غير
محسوسة مدركة بالذهن مستوية فأخذ المنجمون تسمية العرب
لأجزائهم المرئية ووضعوها على أجزائهم الذهنية. وأما المنازل فهي عند
العرب ثمانية وعشرون وعند المنجمين عبارة عن ثمانية وعشرين جزءا
مستوية قسم الفلك عليها قسمة متوهمة معقولة ومقدار كل منزلة
ثلاث عشرة درجة تنقص سبع درجة فلذلك كانت الشمس تقيم في كل
واحد ثلاثة عشر يوما إلا الجبهة فأربعة عشر فتقطعها جميعا في عام
واحد اهـ. منه. وقوله ثم قسموا كل برج ثلاثين جزءا هي الدرجات
والدرجات هي المقسومة إلى الدقائق وقال محمد بن سعيد في شرحه
الكبير وكذلك تقسم البروج على الفصول الأربعة فلكل فصل ثلاثة
بروج فلفصل الربيع الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد
والسنبل لفصل الصيف والميزان والعقرب والقوس للخريف والجدي
والدلو والحوت للمشتاء وكل برج له منزلتان وثلاث، فللحمل النطح
والبطين وثلاث الثريا وللثور ثلاثا الثريا والدبران وثلاثا الهقعة
وللجوزاء ثلاثا الهقعة والهنة والذراعان إلى أن قال وللميزان غفرة

وزوبانيان وثلاث اكليل والميزان أول بروج الخريف وللجدي سعد الذابح وبلغ وثلاث سعد السعد فالجدي أول بروج الشتاء فلو ولد عليه السلام في طالع كانت الولادة في الشتاء وحينئذ فلا تكون في إبريل لأنه من شهور الربيع لكنه ولد في الربيع فليست ولادته صلى الله عليه وسلم في طالع الجدي قاله كاتبه وفقه الله لما يرضاه وأحسن بمحض فضله عقباه.

(وكان المشتري * مع زحل في وسط السماء) مراده والله أعلم أن هذين الدريين وهما المشتري ويقال له البرجس والقاضي وزحل بوزن عمر معدول عن زاحل ويقال له الشيخ والكيوان والمقاتل كانا في وقت مجتمعين في وسط السماء (تقارنا) اصطحبا الظاهر انها حال مؤكدة (بالعقرب) أي برج العقرب أحد بروج الخريف (الغراء) أي الشهيرة ومحل زحل في الفلك السابع والمشتري في السادس والله أعلم. وإذا كانت الشمس مع البطين في برج الحمل كانت العقرب في وسط السماء في الليل والله تعالى أعلم. والفلك مر قول العلماء فيه عند قول الناظم:

ما دار نجوم في فلك

وأن الأفلاك هي السماوات السبع والكرسي والعرش وقال المنجمون حقيقة الفلك جسم لطيف مستدير الشكل كفلكة المغزل وبعضها على بعض كقشور البصلة ونحن في وسطها أقربها إلينا الذي في سماء الدنيا وهو أصغرها والثاني أكبر منه وكذا كل فلك أكبر من الذي تحته وأصغر من الذي فوقه وانظر يا أخي إلى عظيم قدرته حين جعلنا نرى الكواكب في السموات السبع وما فوقها مع بعد المسافة وغلظ الحجاب فإنما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل واحدة كذلك وقيل ان الفلك السابع والثامن بينهما مسيرة ألف عام ثم حجب عنا ما هو أدنى وأدنى من ذلك كالثوب يغطي الإنسان لا ندري ما تحته هل بياض أو سواد مع قرب المسافة ورقة الحجاب، إن ربك فعال لما يريد لا إله إلا هو أهـ من شرح المقنع لمؤلفه.

تتمة:

محالٌ الدُراري السبعة عند أهل الحساب أشار لها في المقنع بقوله:
فالتسعة الأفلاك كان القمر منها بتالينا وثن أكبر
فيها عطارد وجيم زهره للشمس دال ها لنجم الحمرة
مريخ والسادس مشتر زحل لسابع والغير في الثامن حل
وتاسع عار حواها كلا فدار، عز ربنا وجلا
يعني أن الأفلاك تسعة سبعة هي في السماوات السبع وهي التي
فيها الدُراري السبعة والثامن فوق السماوات السبع وهو الذي فيه كل
نجم سوى الدُراري والتاسع فوق الثامن ولكنه عار من الكواكب وفيه
جميع الأفلاك الثمانية يدور بها كل يوم وليلة دورة واحدة عز ربنا إذ
غلب جميع هذه الأشياء العظيمة فهي تحت قهره. ومحل القمر الفلك
الذي يوالينا والثاني أكبر منه وفيه عطارد والثالث المشار له بالجيم
للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع
لزحل. وفي الحديث: « رأيت ليلة أسري بي النجوم معلقة بسلاسل من
نور في أيدي الملائكة»، وقال بعض شروح الرسالة أصغر كوكب في
السماء أكبر من الأرض بمائة وعشرين مرة اهـ من شرح المقنع الكبير
لمؤلفه ول بعضهم في ترتيب الدُراري في الأفلاك بادئا بأعلاها بيت وهو:
زحل اشترى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد أقمار
نقله الحفني. وقوله عام قدوم الفيل لم يذكر المصنف قصة الفيل
ولنذكرها على وجه الاختصار إظهارا لإكرام من وقعت لأجله وهو نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وحاصلها أنه لما كان المحرم والنبى صلى الله
عليه وسلم حمل على الصحيح كما مرّ قدم ابرهة بفتح الهمزة والراء
ابن الصباح الأشرم لهدم الكعبة لما ولي اليمن من قبل النجاشي وسبب
ملكه لليمن أن بعض أهلها من أصحاب الأخدود لما أكثر فيهم ملكهم
القتل وهو ذو نواس آخر من ملك اليمن من حمير فرّ إلى قيصر
يستغيثه فكتب له إلى النجاشي ليغيثه فأرسل معه أميرين إليّاط

وابرهة بجيش عظيم فقتلوا ملك اليمن واستولوا عليه ثم اختلفا فقتل
إلياط بعد أن شرم أنف ابرهة وحاجبه وعينه وشفته فبرئ واستقل
بالمك فغضب عليه النجاشي فأرسل تحفا إليه حتى رضي فأقره ولهذا
سمي الأشرم وقيل لأن أباه ضربه فشرم أنفه وجبينه ثم إن ابرهة رأى
أن الناس يتجهزون أيام الموسم فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت
الله بمكة قال ما هو قيل من الحجارة قال وما كسوته قيل ما يأتي من
هنا، قال والمسيح لأبنين لكم خيرا منه فبني كنيسة بصنعاء بأنواع
الرخام ونقل لها الحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس
وحلى الكنيسة بالذهب والفضة وأنواع الجواهر ونصب فيها صلبانا من
ذهب وفضة ومنابر من عاج وغيره كان يشرف منها على عدن لارتفاع
بنائها ولذا سماها القليس بضم القاف وفتح اللام مشددة ومخففة
فتحنية ساكنة فسين مهملة أو بفتح القاف وكسر اللام لأن الناظر لها
تسقط قلنسوته عن رأسه، فأراد صرف الحج إليها وكتب للنجاشي إني
بنيت كنيسة باسم الملك لم يكن مثلها أريد صرف حج العرب إليها
وأمنعهم من الذهاب لمكة فلما شاع ذلك في العرب خرج رجل من كنانة
مغضبا فتغوط فيها ولحق بأرضه، وقيل أجبت فيها فتية من العرب
نارا فحلف ليهدم الكعبة حجرا حجرا فكتب إلى النجاشي بذلك
وسأله أن يبعث له فيله "محمودا" فلما قدم الفيل خرج في ستين ألفا
فلما سمعت العرب بخروجه رأوا جهاده حقا عليهم فخرج رجل من ملوك
اليمن اسمه ذو نفر بنون ففاء فراء فقاتله فهزم هو وأصحابه وأتى به
في وثاق فحبسه عنده ثم مضى فلما كان بأرض خثعم خرج إليه نفيل
الختعمي في قبيلته ومن تبعه من العرب فهزموا وأسر نفيل فلما هم
بقتله قال لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب فخرج به يدله فلما مر
بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فقالوا أيها الملك
إنما نحن عبيدك سامعون مطيعون ولست تريد هذا البيت يعنون بيت
اللات إنما تريد الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك فبعثوا معه أبا
رغال فلما بلغ الجيش المغمس وهو موضع بطريق الطائف كمعظم

ومحدث على ثلثي فرسخ من مكة مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذي يرجم إلى اليوم ثم أرسل ابرهة خيلا له عليها رجل من الحبشة يقال له الأسود بن مفسود بقاء وصاد مهملة وأمره بالغارة فاستاق إبل قريش وغنمها وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وقيل له فيها أربعمائة ناقة وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم فتركوه وركب عبد المطلب في قريش فلما طلع جبل ثبير استدارت دارة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته واشتد شعاعها حتى صار مثل الشمس ومعنى استدارة الدارة حصولها فلما نظر عبد المطلب إلى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون لنا الظفر فرجعوا ثم إن ابرهة أرسل حناطة بضم المهملة الحميري وقال سل عن سيد أهل هذا البلد ثم قل له ان الملك لم يأت لحربكم إنما جاء لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا دونه فلا حاجة له بدمائكم فإن هو لم يرد حربا فأتني به فسأل ف قيل له عبد المطلب فقال ما أمره به ابرهة فقال عبد المطلب والله لا تريد حربيه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فإن يمنعه فهو بيته وحرمة وإن يخلي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه قال حناطة فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه فتكلم أنيس سائس فيل ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عز مكة ويطعم الناس في السهل والوحوش والطير في رؤوس الجبال فأذن له ابرهة وكان عبد المطلب أجمل الناس وأعظمهم فعظم في عين ابرهة فأجله أن يجلس تحته وكره ان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره وجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك قال حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيته ثم قد زهدت فيك تكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك لا تكلمني فيه، فقال عبد المطلب إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه. قال ما كان ليمنع مني، فقال أنت وذاك،

فرد عليه إبله فقلدها وأشعرها وهللها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم فرجع عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال والشعاب اهـ. ويروى ان حنطة لما نظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند الذبح فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا ثم أخبره بمراد ابرهة ويروى أن عبد المطلب لما حضر عند ابرهة أمر أنيسا بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة سائس فيله الأكبر الأبيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة كما كانت تسجد له الفيلة أن يحضره بين يديه ليرهب به شبيعة الحمد فأحضره فلما نظر إلى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله تعالى الفيل وقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب واستشكل كون النور في عبد المطلب على المشهور من أنه كان عليه السلام حملا في بطن أمه إذ ذاك وأجيب بأن الله تعالى أحدث نورا في عبد المطلب يحاكي النور الذي استقر في أمانة مع زيادة حتى صار في وجهه كالشمس وأطلع عليه الفيل فسجد إكراما له قاله الزرقاني ثم ان ابرهة لما بلغ المغمس برك الفيل فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك فوجهوه الي المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك، وفي ذلك يقول أمية ابن أبي الصلت:

إن آيات ربنا بينات ما يماري بهن إلا الكفور
برك الفيل بالمغمس حتى ظل يحبوكأنه معفور
ويروى أنه لما برك ضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم فأبى ونحوه
قول ابن اسحاق فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا
محاجنهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى. والطبرزين بفتح الطاء
المهملة والباء الموحدة وسكونها آلة عوجاء من حديد والمحاجن جمع
محجن عصى معوجة وقد يكون في طرفها حديد والمراق أسفل البطن
وبزغوه بفتح الموحدة وزاي مشددة فغين معجمتين شرطوه بحديد

المحاجن ثم بعد بروتك الفيل أرسل الله عليهم طيرا أبابيل أي جماعات قال الشافعي أمام كل جماعة طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقره وحجران في رجليه وعلى كل حجر اسم من يقع عليه واسم أبيه لا تصيب أحدا منهم إلا أهلكته وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فإن كان راكبا خرج من مركبه فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل:

أين المفر والإله الطــــالب والأشـرم المغلوب ليس الغالب وأصيب ابرهة بالجدرى وما مات حتى تساقطت أنامله أنملة أنملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه. وحكمة إظهار شناعة امر أبي رغال حتى صار يرجم دون نفيل مع أنه كان دليلا لهم أيضا أنه إنما جعل نفسه دليلا وقاية له من القتل فكان كالمكره على ذلك بخلاف أبي رغال فإن قومه تلقوا ابرهة بالسلم واختاروه دليلا له وهو بكسر الراء وخفة المعجمة واللام. اهـ.

من الزرقاني (ففاضت المياه) هذا من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم يعنى فلما ولد صلى الله عليه وسلم غاضت المياه أي نقصت تلك الليلة حتى لم يبق منها شيء ويعنى بالمياه بحيرة ساوة بسين مهملة بعدها ألف بعدها واو مفتوحة فهاء تأنيث تصغير بحرة وهي بحيرة عظيمة بين همذان وقم وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلاد فنشف ماؤها في تلك الليلة بالكلية وأصبحت يابسة كأن لم يكن بها شيء من ماء حتى بنيت موضعها مدينة ساوة الموجودة إلى اليوم. وفي المواهب أن بحيرة طبرية غاضت تلك الليلة قال في ترتيب المطالع وهي بالشام لزمتها التاء وهي تصغير بحرة وهي بحيرة عظيمة يخرج منها نهر، بينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا، قال البكري طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال اهـ. لكن المعروف بالغرض إنما هو بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس كانت بحيرة كبيرة إلى آخر ما قدمت من وصفها وقال

فأما بحيرة طبرية فباقية إلى اليوم وأجيب بأن غيظ كليهما ثابت في الأحاديث فمن أثبت غيظ بحيرة طبرية أراد أنها نقصت نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل وأن ماءها غار ثم عاد لما فيها من العيون النابغة التي تمدها الأمطار اهـ من الزرقاني.

وذكر في الشفا أن بحيرة طبرية غاضت. قال شارحه ابن سلطان وطبرية بفتحتي مدينة معروفة بناحية الأردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين والبحيرة مصغرة مع أنها عظيمة وغيضا نقصها، هذا والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس اهـ.

(والنيران * قد خمدت) كنصر وسمع يعنى أنه من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم خمود نار فارس التي كانوا يعبدونها فإنها خمدت أي انطفأت تلك الليلة وكان لها ألف عام لم تخمد فكأنها طفئت بماء بحيرة ساوة قاله ابن سلطان وقال البوصيري:

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها إطفاء وروى الببهقي وأبو نعيم والخرائطي وابن عساكر وابن جرير كلهم من حديث مخزوم بن هاني عن أبيه وأتت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأي الموبذان فذكر الحديث بطوله قاله الزرقاني ورؤيا الموبذان التي أشار إليها تأتي قريبا إن شاء الله (وانصدع الإيوان) أي انشق وسقطت شرفاته والإيوان بالكسر وأصله بواوين فاعل كديوان ويقال بوزن كتاب وهو الصفة العظيمة يعنى إيوان كسرى بكسر أوله ويفتح لقب ملوك الفرس كقيصر ملوك الروم وتبع ملوك اليمن والنجاشي ملوك الحبشة قاله ابن سلطان وفي القاموس الإيوان بالكسر الصفة العظيمة كالأزج كالإوان ككتاب اهـ. يعنى انه من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته ليلة ولادته والارتجاس الصوت الشديد

من الرعد ومن هدير البعير كما ضبطه البرهان وفي نسخ ارتجاج
بجيمين أي تحركه واهتزازة فكأنه لما صوت تحرك وهو بناء أزج
بفتحتين أي بنى طولاً فإنه ارتج حتى سمع صوته وانشق لا لخلل في
بنائه وقد كان بناؤه بالمداثر محكما مبنيا بالأجر الكبار والجص، سمكه
مائة ذراع في طول مثلها وقد أراد الخليفة الرشيد هدمه لما بلغه أن
تحتة مالا عظيما فعجز عن هدمه وإنما أراد الله أن يكون آية باقية
لنبيه صلى الله عليه وسلم قاله الزرقاني.

(وخرس الملوك) يقال خرس كفرح، انعقد لسانه عن الكلام ومراده
والله أعلم انهم لما رأوا ما حدث تلك الليلة من الحوادث الخارقة العادة
علموا أنه حدث عظيم وخطب جسيم فارتج عليهم في الكلام لما رأوا من
الحوادث العظام حتى صاروا يبعثون إلى من يظن به علم بهذا الشأن من
علماء أهل الكتاب والكهان فهذا هو مراده بخرسهم والله أعلم. ألا ترى
ما روي أن كسرى لما سقطت شرفات إيوانه لم يدر ما سبب ذلك ولم
يتكلم فيه، فبعث عبد المسيح الغساني إلى سطيح يسأله هل له علم
بذلك. روي أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم ارتعد إيوان كسرى وسقطت
منه أربع عشرة شرفة وكتب إليه صاحب اليمن بأن بحيرة ساوة
غاضت تلك الليلة وكتب إليه صاحب فارس بأن النيران التي كانوا
يعبدونها خمدت تلك الليلة ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وكتب
إليه صاحب الشام بأن وادي السماوة انقطع جريه تلك الليلة ثم أخبره
الموبدان ومعناه القاضي والمفتي بلغتهم أنه رأى إبلا صعبا تقود خيلا
عرايا فانتشرت في بلادهم، فأرسل عبد المسيح الغساني إلى سطيح
الكاهن يستخبره علم ذلك وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له ووجهه
في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب
انتفخ وقد قيل له أنى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع
أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى عليه السلام فهو
يؤدي إليه من ذلك ما يؤدي فلما قدم عبد المسيح عليه وجده قد أشفى
على الموت فسلم عليه فلم يرد عليه جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمين
يا فاضل الخطبة أعيت من ومن
وأمه آمن آل ديب بن حجن
رسول قيل العرب يسري في الوسن
تجوب بالأرض علنداة شزن
حتى أتى عاري الجاجي والقطن
الغطريف: السيد وباء: يبود بالباء المروسة هلك وازلم: قبض أو ولى
وشأ العن: الموت والفضفاض: الواسع والقليل: الملك، وأصله التشديد،
وهو ذو القيل النافذ، والعلنداة: الناقة الشديدة، الشزن: الغليظ،
والوجن: جمع وجن، سكنت جيمه تخفيفا وهو متين الأرض ذو الحجارة
الصغار، والجاجي: جمع جؤجؤ وهو الصدر وجعل كل شيء منه جؤجؤا
فلهذا جمعه والبوغاء: التراب الهاب، والدمن: جمع دمنة وهي ما قرب
من الدار تبول فيه المواشي وتبعر. فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه
وقال عبد المسيح على جمل مشيح، أي مسرع جاء إلى سطيح وقد أشفى
على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران
ورؤيا الموبذان، رأي إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة
وانتشرت في بلادها، عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب
الهرادة يعنى السيف وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وغاض
وادي السماوة فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم مليك وملكات على
عدد الشرفات وكل ما هو آت آت. ثم مات سطيح مكانه. قالوا وكان
أقصى ملكهم عشرة رجال وامرأتين فنقص عن عدد الشرفات ولعله أخطأ
في النقل وقد فتحت بلادهم على يد عمر رضي الله عنه وذلك بدعائه
صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق فلم يكن ملك للفرس بعد هذا
كله، ذكره الإمام السنوسي في شرح وسطاه وسطيح بفتح فكسر كاهن
بنى ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن في بدنه عظم
سوى رأسه وزعم الكلبي أنه عاش ثلاث مائة سنة وأنه خرج مع الأزد
أيام سيل العرم قاله ابن سلطان. وفي الحلة السيرا أن اسمه ربيع بن

ربيعة بن عدي بن مازن بن ذؤيب وأنه له رأس وكفان ويطوى طي الثوب من ترقوته إلى رجله. اهـ..
وقوله والقطن في القاموس، القطن محرّكة ما بين الوركين والسمّاء بفتح السين المهملة وتخفيف الميم مفاضة بين الشام والكوفة.

تنبيه:

لم يذكر القسطلاني ولا الزرقاني أن ملوك الفرس نقصوا عن أربعة عشر عدد الشرفات كما قال السنوسي بل ظاهره هما خلافه ونص المواهب وقد ملك منهم عشرة أربع سنين وملك الباقيون إلى خلافة عثمان اهـ. وآخر ملكهم يزيد جرد قتل في أول خلافة عثمان قاله السهيلي انظر الزرقاني، (والأصنام * تنكست) أي سقطت على وجوها ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم (فما لها قيام) أي انتصاب والأصنام جمع صنم بالتحريك، قال في القاموس الصنم محرّكة الوثن يعبد، وقال الوثن محرّكة الصنم، اهـ، وقال اليوسي في حاشية الكبرى الصنم والوثن شيء واحد هكذا في الصحاح والقاموس وفرق ابن التلمساني بينهما بأن الصنم ما له صورة جعلت تمثالا والوثن ما لا صورة له وقال السهيلي في الروض يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه اهـ، فيكون الصنم أعم على هذا والله تعالى أعلم. اهـ. كلامه.

وللإمام الشقراطي:

بشرى الهواتف في الإشراق والطفل	ضاءت لمولده الأفاق واتصلت
وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل	وصرح كسرى تداعى من قواعده
مذ ألف عام ونهر القوم لم يسلم	ونار فارس لم توقد وما خمدت
ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل	خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت
قوله وانقض بمهملة سقط من أصله وبمعجمة أسرع سقوطه، ونار فارس أي التي كانوا يبعدونها وكان لبيوتها سدنة ينتابون إيقادها فلم يخمد لها لهب في ليل ولا نهار إلى ليلة مولده عليه السلام. وقوله لم	

توقد أي كأنها لم توقد تلك الليلة مع تعاطيهم إيقادها بل خمدت، قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي ومن عجائب ولادته أيضا انه صلى الله عليه وسلم لما ولد قال في أذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علما وأشجعهم، اهـ من المواهب.

تنبيه:

إنما فسرت قوله وخرس الملوك بما مرّ لأنني لم أر ممن تعرض لعجائب ولادته عليه الصلاة والسلام من ذكر ذلك وإنما رأيته في الحمل به. ففي المواهب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال كان من دلالة حمل أمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا. قال الزرقاني بأن صار أعلاه أسفله، قال الزرقاني وفي الخميس وكلت الملوك حتى لم يقدرُوا في ذلك اليوم على التكلم وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا أن ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم اهـ.. وقد مرّ بعضه ويحتمل أن هذا هو الذي أشار له الناظم لقرب زمن الولادة من زمن الحمل ويصح ان ذلك وقع لهم أيضا عند الولادة والله تعالى أعلم. (بيان) خبر مبتدء محذوف وكذا كل ما فيه من لفظ بيان أي هذا بيان (موت والد المختار) صلى الله عليه وسلم (و) بيان (كم له كان من الأظفار) أي يذكر في هذه الأبيات موت أعز فتى في قريش وأفضله وأجمله وهو عبد الله الشريف ابن شيخ البطحاء عبد المطلب وهو والد المختار المفضل على جميع الأولين والآخرين عليه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين ويذكر فيها أيضا عدد ما كان له صلى الله عليه وسلم من الأظفار جمع ظئر بالكسر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له، فقوله وكم عطف على موت كما قررت فهو مجرور بإضافة

كم إليه ولا يعمل في كم متقدم عليها إلا مضاف أو حرف جر وقد ذكر العلماء أن مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشر: أمه أمنة أرضعته تسعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وما وقع لبعضهم من سبعة أشهر وهم وهي أول من أرضعه وما رواه ابن سعد من أن أول من أرضعته ثويبة فالأولية نسبية ثم بعد أمه الكريمة ثويبة أرضعته أياما قلائل قبل قدوم حليلة وأرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة المخزومي وحليمة السعدية التي فازت بجناية سعدتها منه قاله ابن الجوزي وابن المنذري وعياض وغيرهم وخولة بنت المنذر بن زيد أم بردة الأنصارية وامرأة من بنى سعد غير حليلة أرضعته عند حليلة وأم أيمن ذكرها القرطبي والمشهور أنها من الحواضن لا من المراضع وأم فروة ذكرها المستغفري وثلاث نسوة من سليم، قال في الاستيعاب مر به صلى الله عليه وسلم على نسوة أبكار من سليم فأخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت قال بعضهم ولذا قال: «أنا ابن العواتك من سليم» اهـ، لكن قال السهيلي عاتكة بنت هلال أم عبد مناف عمة عاتكة بنت مرة أم هاشم وعاتكة بنت الأوقص أم وهب جده صلى الله عليه وسلم ولأمه ثلاث عواتك ولدته صلى الله عليه وسلم ولذا قال أنا ابن العواتك من سليم وقيل في تأويل هذا الحديث أن ثلاث نسوة من بنى سليم أرضعنه كل تسمى عاتكة والأول أصبح نقله الزرقاني. (ومات عبد الله) بن عبد المطلب، والده عليه السلام، (وهو حمل) جملة حالية والحال أن المصطفى صلى الله عليه وسلم حمل في بطن أمه الكريمة وقد مضى لها شهران من حملها على ما صدر به في المواهب وقيل قبل ولادته بشهرين وكونه توفي عنها وهي حامل قول ابن اسحاق وخالفه كثير من الفقهاء فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في المهد حين توفي أبوه قيل ابن شهرين وقيل أكثر من ذلك قاله الكلاعي والقول بأنه كان في المهد قال السهيلي هو قول أكثر العلماء واحتج له بقول عبد المطلب لأبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمئتم بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد. اهـ.

والمهد ما يمهد للصبي ليربى عليه من مهدت له المكان أي وطأته له ولينته قاله الزرقاني. وقال في المواهب قيل توفي عنه وهو ابن شهرين وقيل ابن سبعة أشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الأول اهـ. يعنى أن كون عبد الله مات وهو حمل رجحه الواقدي وابن كثير والبلاذري وابن سعد والذهبي والحجة لهم ما في المستدرک عن قس بن مخرمة، قال توفي أبو النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حبلى به قال الحاكم صحيح على شرط مسلم، قاله محمد بن عبد الباقي وكان عبد الله قد خرج تاجرا مع قريش فرجع من غزاة ضعيفا فمروا بالمدينة فتخلف مريضا عند أخواله أي أخوال أبيه بنى عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث إليه أخاه الحارث وقال ابن الأثير الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها في دار التابعة بفوقية فموحدة فعين مهمة كما في الزهر الباسم وهو رجل من بنى عدي بن النجار وقيل دفن بالابواء وقالت أمنة زوجته ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المذايا دعوة فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريـره تعاوره أصحابه في التـزاحم
فإن تك غالته المنون وريبها فقد كان معطاء كثير التـراحم
جعلت خلوها منه خلوا من آل هاشم مبالغة لعدم قيام غيره منهم
مقامه فقولها وجاور لحدا إلخ.. الغماغم بغينين معجمتين وميمين أي
الأغطية والمراد بها الأكفان التي لف فيها والمجور حال وقولها خارجا
صفة للحد فكأنها قالت وجاور حال كونه مدرجا في أكفانه لحدا بعيدا
عن أماكن أهله ومعنى تعاوره إلخ.. أي تداوله أصحابه مع التزاحم عليه
ففي بمعنى مع وريب المنون أسبابها المؤدية لها وعبر بأن التي هي
للشك لاستبعاد وقوع الموت به استعظاما له وجواب الشرط محذوف أي
أسف الناس عليه لأنه كان معطاء إلخ.. فالفاء للتعليل انظر الزرقاني.
وروي أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة يا إلهنا وسيدنا بقي نبيك

يتيما فقال الله تعالى أنا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لقب بذلك لأنه ما كذب قط لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ويتم بكسر التاء كما اقتصر عليه الجوهري وزاد المجد فتحها والمصباح ضمها قاله الزرقاني (وكم حوت من شرف هذيل) فاعل حوت يقال حواه واحتوى عليه جمعه وأحرزه وكم تكثيرية مفعول حوت والشرف العلو (لما غدت) أي صارت (بنتهم السعدية) نسبة إلى جدها وخبر غدت قوله (من أمهات) جمع أم وأمهة والأكثر في جمع العاقل أمهات ويقال أمات (أشرف البرية) أي أفضل الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم . وقول الناظم رحمه الله: وكم حوت من شرف هذيل إلخ.. سبق لسان بلا شك لأن هذيل بن مدركة كما هو معلوم وكون مرضعته صلى الله عليه وسلم حليلة من بنى سعد بن بكر بن هوازن أظهر من أن يستدل عليه وهوازن أخو منصور والد سليم وهما ابنا عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وكأنه غره أن في هذيل قبيلة يقال لها بنو سعد منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهي مماثلة في الاسم لبني سعد بن بكر ولما سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن قالوا له يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك كن يكفلنك ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أنزل بنا مثل ما أنزلت بنا رجونا عطفه وأنت خير المكفولين، فخيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سباياهم وأموالهم فاختاروا السبي فرده عليهم وهي حليلة بنت أبي ذؤيب مصغرا واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بكسر الشين المعجمة فجيم ساكنة فنون فهاء تأنيث هكذا في النور وفي الشامية بشين مهملة ابن جابر بن رزام بكسر الراء ثم زاي فألف فميم ابن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن هكذا في الاستيعاب وقيل غير ذلك قاله في شرح المواهب وفي الحلة السيرا أما بنو سعد بن بكر بن هوازن فهم أظآره صلى الله عليه وسلم منهم حليلة بنت أبي ذؤيب واسمه الحارث بن عبد الله بن شحته بن قاصرة بن فصية بالفاء تصغير فصاة وهي النواة أو حب الزبيب ويروى قصية

بالقاف بن نصر بن سعد بن بكر والصحيح أنها أسلمت وأسلم زوجها أيضا وأسلمت بنتها الشيماء أو الشماء اهـ. المراد منه. وفي الزرقاني في موضع آخر قيل بنت عبد الله بن الحارث وقيل بنت الحارث بن عبد الله إلخ.. وقال في الشفا لما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء أو الشماء في سبايا هوازن بسط لها رداءه اهـ. وهي بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية أو بلا ياء وهي ممدودة، قال الحجازي أسلم أبوها الحارث بمكة وأسلمت هي واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم وقال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة أو أختها اهـ، قيل انها فازت هي وأبواها وأخوها بسعادة الإسلام وزيادة الإكرام ببركته عليه السلام وقوله أبوها يعنى أباه وأمه حليمة وقال الحافظ الدمياطي لا يعرف لحليمة صحبة ولا إسلام والمرأة التي بسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها الشيماء وروى ابن عبد البر أن حليمة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفي سيرة مغلطاي وصحيح ابن حبان وغيره ما يدل على إسلامها اهـ، من شرح ابن سلطان.

وفي الزرقاني ان ابن أبي خثيمة وابن عبد البر وابن الجوزي وابن المنذر والحافظ ابن حجر وغيرهم قد ذكروا حليمة في الصحابة قال وحسبك بهذا حجة قال وقول ابن كثير لم تدرك البعثة رده الحافظ بأن عبد الله بن جعفر حدث عنها عند أبي يعلى والطبراني وابن حبان وهو إنما ولد بعد البعثة وزعم أبي حيان النحوي أنها لم تسلم مردود فقد ألف مغلطاي فيها جزءا سماه التحفة الجسيمة في إثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره.

فأما أبو حيان فليس من فرسان هذا الميدان يذهب إلى زيده وعمره اهـ. كلامه.

وقد ذكروا انه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قال الطيور نحن نكفله

ونفتنم خدمته العظيمة وقالت حيوانات البر نحن أولى بذلك منكم،
ننال شرفه وتعظيمه، فنأدى لسان القدرة أن يا جميع المخلوقات ان الله
كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة
الحليمة وذكر العزفي أن عبد المطلب وقت دخول حليمة سمع هاتفا
يقول:

إن ابن أمنة الأمين محمد ما إن له غير الحليمة مرضع
خير الأنام وخيرة الأخيار نعم الأمينة هي على الأبرار
مأمونة من كل عيب فاحش ونقيصة الأثواب والأزرار
لا تسلمنه إلى سواها إنسه أمر وحكم جا من الجبار
وذكر ابن الطراح ومغلطاي والحافظ وأبو المظفر ان حليمة كانت ترقص
النبي صلى الله عليه وسلم وهي تقول:
يا رب إذ أعطيتته فأبقه وأعله إلى العلاء ورقه
(وفي رواية وأرقه) (وإدحض أبا طيل العدى بحقه (...))

وقوله وإدحض بكسر الحاء حذفتم همزته للضرورة أي أذل، وذكر ان
الشيما أخته من الرضاة كانت تحضنه وتقول:

هذا أخ لي لم تلده أمي وليس من نسل أبي وعمي
فديته من مخول معمي فأئمه اللهم فيما تنمي
رجل مخول معم أي كريم الأخوال والأعمام بكسر الواو والعين وفتحها
ومنع الأصمعي الكسر وقال كلام العرب الفتح وقولها فأئمه اللهم من
إطلاق السبب وإرادة المسبب، فالكثرة يلزمها القوة فكأنها قالت قوه
فيمن قويت وزد رفعته أو بحذف مضاف أي اتم أتباعه. وقالت الشيما
أيضا:

يا ربنا أبق أخي محمدا حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سييدا مسودا واكبت أعادييه معا والحسدا
وأعطه عزا يبدوم أبدا
قال الأزدى ما أحسن ما أجاب الله دعاءها يعنى لرؤيتها إياه بجميع

ما طلبت اهـ من الزرقاني.

وقولها واكبت يقال كبت العدو كضرب رده بغيظه وأذله كما في القاموس، (وكم رأيت) أي عاينت وأبصرت (له) أي النبي صلى الله عليه وسلم (من الآيات) أي العلامات الدالة على رسالته ومكانته صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى (حليمة) ولما كان ما رأيت له عليه السلام لا يكاد ينحصر أشار لبعضه بمن التبعية فقال (منها) أي الآيات المذكورة (دور الشاة) أي كثرة لبنها، وفي المصباح در اللبن وغيره درا من باب قتل وضرب كثر وشاة دار بغير هاء ودور اهـ، وأراد بالشاة الجنس يعنى غنمها كلها كما يأتي في قولها فكانت غنمي تروح حين قدمنا به شباعا لبنا بضم اللام وكسرهما لغتان حكاهما الجوهري وشد الموحدة أي كثيرة اللبن جمع لبون واعلم أن عادة نساء قبائل العرب التى حول مكة ونواحي الحرم أنهن ياتينها في كل عام مرتين ربيعا وخريفا للرضعاء يذهبن بهم حتى تتم الرضاعة لأن نساء قريش يرين ارضاع أولادهن عارا عليهن كما قاله العزفي وقال غيره لينشأ الولد غريبا فيكون أنجب له ولسانه أفصح لخبر أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت في بنى سعد وكانت مشهورة في العرب بالكمال وتمام الشرف وقيل لتفرغ النساء للأزواج فلما كان عام ولادته صلى الله عليه وسلم خرجت حليلة كما رواه ابن اسحاق وابن راهويه والبيهقي وأبو نعيم أنها قالت قدمت مكة في نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء على أتان لى ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع مع صبينا ذلك لا يجد في ثديي ما يغذيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل انه يتيم فوالله ما بقي من صواحيبي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري فلم أعط لما أنا عليه من الضيق فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلناخذنه، فذهبت إليه فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه

المسك وتحتة حرير أخضر راقد عليه يغط فأشفقت أن أوقظه لحسنه
وجماله فدنوت منه فتبسم وفتح عينيه فخرج من عينيه نور حتى دخل
خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن فأقبل
عليه بما شاء من لبن فحولته إلى الأيسر فأبى وكانت تلك حالته بعد، ثم
أخذته بما هو فيه إلى أن جئت به إلى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء
من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي فقام صاحبي تعني
زوجها إلى شارفنا تلك فإذا أنها لحافل فحلب لنا ما شرب وشربت حتى
روينا وبتنا بخير ليلة وقال صاحبي يا حليلة والله إنني لأراك قد
أخذت نسمة مباركة فلم يزل الله يزيدها خيرا. وفي النطق المفهوم
فودعت النساء بعضهن وودعت أنا أم النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ركبت أتانى وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي فنظرت إلى
الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجعات ورفعت رأسها إلى السماء
الهمها الله ذلك شكرا له أن خصها بكونه صلى الله عليه وسلم على
ظهرها ثم مشت حتى سبقت دواب الناس والناس معي يتعجبون ويقلن
النساء لى وهن ورأى يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها
فأقول تالله انها لهى فيعجبين ويقلن إن لها لشأنا عظيما قالت فكنت
أسمع أتانى تقول والله ان لى لشأنا عظيما بعثنى الله بعد موتى ورد
لى سمنى بعد هزالى ويحكى: يا نساء بنى سعد انكن لفي غفلة وهل
تدريين من على ظهري، على ظهري خير النبيئين وسيد المرسلين وخير
الأولين والآخرين وحبیب رب العالمين قالت ثم قدمنا منازل بنى سعد
ولا أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها فكانت غنمي تروح علي شباعا
لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان غيرنا قطرة لبن حتى كان
الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث تسرح غنم بنت أبي
ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شباعا
لبنا اهـ.

وابن راهويه هو اسحاق اجتمع له الحديث والفقہ والصدق والورع
براء فألف فهاء مضمومة فتحتية مفتوحة عند المحدثين لأنهم لا يحبون

وبفتح الهاء والواو وسكون التحتية قال الكرمانى وهو المشهور وقولها ومعى صبي لنا هو عبد الله بن الحارث قال النووي لا أعلم له إسلاما ولا ترجمة وهوتقصير ففي الإصابة سماه بعضهم عبد الله وذكره في الصحابة والشارف الناقة المسنة وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وشد الضاد المعجمة تدر وزوجها هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي أدرك الإسلام وأسلم ويغط بكسر المعجمة يردد نفسه صاعدا إلى حلقة حتى يسمعه من حوله كما في المصباح والحافل ممتلئة الضرع والنسمة محركة الذات ولبنا بضم اللام وكسرهما لغتان حكاهما الجوهري وشد الموحدة كثيرة اللبن جمع لبون ونحلب بضم اللام وكسرهما والحاضر القوم المجتمعون على ماء يجتمعون به ولا يرحلون عنه ويقال للمناهل الحاضر للاجتماع والحضور اهـ من الزرقاني. والله در القائل:

لقد بلغت بالهاشمي حليلة مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعا وقد عم هذا السعد كل بنى سعد
قالت حليلة لما دخلت به منزلي لم يبق منزل من منازل بنى سعد إلا
شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته في قلوب الناس حتى أن أحدهم
كان إذا نزر بجسده أذى يأخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعه على
موضع الأذى فيبرأ سريعا وكذا إذا اعتل لهم بغير أو شاة. وعن العباس
رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك
أمارة لنبوتك رأيته في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث
أشرت إليه مال فقال إني كنت أحدثه ويحدثني يلهيني عن البكاء
والمناغة: المائدة، وقد ناغت الأم صبيها أي لطفته وشاغلته بالملاعبة
والمحادثة. وعن ابن عائد أول ما تكلم به صلى الله عليه وسلم حين خرج
من بطن أمه: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
وأصيلا وفي شواهد النبوة أنه صلى الله عليه وسلم لما وقع على
الأرض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا إله إلا الله وإني رسول الله
ونظم السيوطي جملة من تكلم في المهد فقال:

تكلّم في المهد النبي محمد
ومبري جريح ثم شاهد يوسف
وطفل عليه مرّ بالأمّة التي
وماشطة في عهد فرعون طفلها
ويحيى وعيسى والخليل ومريم
وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
يقال لها تـزني ولا تتكلم
وفي زمن الهادي المبارك يختم

ذكر هذه الأبيات بهذا اللفظ الزرقاني في شرح المواهب في ولادته
صلى الله عليه وسلم وقوله وطفل لدى الأخدود هو ان امرأة جيء بها
لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي فتقاعست فقال لها يا أماه اصبري
إنك على الحق. والمبارك يعنى به مبارك الإمامة وكانت قصته في حجة
الوداع أوتي بصبي فقال له من أنا فقال له أنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت يا صبي، بارك
الله فيك، ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك
الإمامة ويعرف حديثه بحديث شاهونة. انظر الشفا. وروى ان حليلة
رأت غمامة تظله عليه السلام عندها نقله في الشفا (وشق صدر أكرم
الأنام) الأنام كسحاب وساباط وأمير الخلق (وهو ابن عامين وسدس عام)
أي شهرين أشار بهذا إلى ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن
ابن عباس قال كانت حليلة لا تترك النبي صلى الله عليه وسلم يذهب
مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة الى البهم
فخرجت حليلة تطلبه حتى تجده قالت في هذا الحر قالت أخته يا أمه ما
وجد أخي حرا رأيت غمامة تظلل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت
حتى انتهى إلى هذا الموضع.

وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليلة
فلما فصلته تعني بعد مضي عامين قدمنا به على أمه ونحن أحرص
شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا نود لو تركتيه
عندنا حتى يغلظ فإننا نخشى عليه وباء مكة ولم تنزل بها حتي رده معنا
فرجعنا به فوالله إنه لبعد مقدما بشهرين أو ثلاثة مع أخيه لفي بهم
لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان

عليهما ثياب بيض فأضجعا وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه
فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال
أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا
منه شيئا ثم رداه كما كان فرجعناه معنا فقال أبوه يا حليلة لقد خشيت
أن يكون ابني قد أصيب فانطلقني بنا نرده إلى أهله فاحتملناه حتى
قدمنا به مكة على أمه فقالت ما ردكما فقد كنتما حريصين عليه قلنا
نخشى عليه فقالت ما ذاك فأصدقاني شأنكما فلم تتركنا حتى
أخبرناها خبره، قالت أخشيتما عليه الشياطين كلا والله ما للشياطين
عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما هـ . واسم
أخيه عبد الله وفي رواية البيهقي ان اسمه ضمرة والبهم بفتح الموحدة
ولد الضأن كذا في النهاية. وقولها قالت في هذا الحر بحذف الهمز أي
أفيه تخرجين به. ويشب بكسر الشين. روي أنه صلى الله تعالى عليه
وسلم لما صار ابن شهرين كان يتزحلق مع الصبيان إلى كل جانب وفي
ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمشي ولما مضى له
ثمانية أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح وفي عشرة أشهر كان يرمي
بالسهام وقولها أو ثلاثة شككت ويشتد يسرع ومنتقعا لونه بنون
ففوقية فقفاف مفتوحة أي متغيرا وقوله رجلان أي ملكان في صورة
رجلين وهما جبريل وميكائيل وقوله شيئا هو مضغة سوداء وقوله
أصيب أي من الجن وقولها قدمنا به على أمه أي بعدما ضل منا في باب
مكة حين نزلت لأقضي حاجتي فأعلمت بذلك عبد المطلب فطاف بالبيت
أسبوعا ودعى الله يرده فسمع مناديا ينادي معاشر الناس لا تضجوا
فإن لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله. قال عبد المطلب يا أيها الها تف من
لنا به وأين هو قال بوادي تهامة فأقبل عبد المطلب راكبا متسلحا فلما
صار في بعض الطريق لقي ورقة بن نوفل فسارا جميعا فوجداه صلى
الله عليه وسلم تحت شجرة وعن ابن عباس لما رد الله محمدا صلى الله
عليه وسلم على عبد المطلب تصدق بألف ناقة كوماً وخمسين رطلا من
ذهب وجهز حليلة أفضل الجهاز قاله الزرقاني، قال وظاهر هذا السياق

بل صريحه أن شق الصدر ورجوعه إلى أمه كانا في السنة الثالثة لقوله بشهرين أو ثلاثة وقال ابن عباس رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وقال غيره ابن أربع حكاهما الواقدي وقال ابن عبد البر رده بعد خمس سنين ويومين وقال الأموي ابن ست سنين والراجح أنه صلى الله عليه وسلم رجع إلى أمه وهو ابن أربع سنين وإن شق الصدر إنما وقع في الرابعة كما جزم به الحافظ العراقي وتلميذه الحافظ بن حجر في سيرته وذكر أنه التزم فيها الاقتصار على الأصح مما اختلف فيه نقله الزرقاني وعلى هذا فقوله وهو ابن عامين إلخ، خلاف الراجح. والراجح أنه وقع وهو ابن أربع سنين والله تعالى أعلم. وفي الكلاعي قال ابن عباس يقال رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول رد إليها وهو ابن أربع سنين أهـ. وعند أبي يعلي وابن عساكر وأبي نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ممتلأ ثلجا فأخذوني من بين أصحابي فانطلق الصبيان هربا مسرعين إلى الحي فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر إليه وصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم مال بيده يمنا ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار فيه الناظر دونه فختم به قلبي وامتلا نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني ثم قال الأول للثالث زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا

رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك:

(وششق للبعث وللإسراء أيضا كما قد جاء في الأنباء)

يعني أنه صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف وأخرج قلبه عند
مجيء جبريل بالوحي في غار حراء وكذا وقع له الشق ليلة الإسراء
فذكر الناظم رحمه الله تعالى أنه وقع له ثلاث مرات الأولى عند حليلة
وهو صبي والثانية عند نزول إقرأ باسم ربك والثالثة في قصة الإسراء
كما جاء في الأنباء جمع نبأ وهو الخبر يعني الأحاديث الواردة بذلك أما
الأولى فقد مر الكلام عليها وأما الثانية فرواها أبو داود الطياليسي
والحارث البغدادي في مسنديهما والبيهقي وأبو نعيم في دلائلهم كلهم
عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة
فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فقال السلام عليك قال فظننت
أنها فجأة الجن فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ما شأنك
فأخبرتها فقالت أبشر فإن السلام خير ثم خرجت أخرى فإذا أنا بجبريل
على الشمس جناح له بالشرق وجناح له بالمغرب فملت عنه فجئت
مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى أنست منه ثم واعدني
موعدا فجئت له فأبطأ علي فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدا
الأفق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل
فألقاني لحلاوة القفى ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما
شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه
ثم لأمه ثم كفاني كما يكفؤ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس
الخاتم في قلبي اهـ. من نسخة مطبوعة من محمد بن عبد الباقي ولعله
سقط منه قبل قوله فقال السلام فجاءه جبريل والله أعلم وقوله لحلاوة
القفى لم يتعرض لشرحه وفي القاموس حلاوة القفى ويضم وحلاوته
وحلواؤه وحلواؤه بالضم وسطه جمع حلأوى اهـ والحكمة في
هذا الشق ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى إليه بقلب قوي

ففي أكمل الأحوال من التطهير. وأما الثالثة وهي شقه عند الإسراء فرواها الشيخان وأحمد من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم فذكره الشيخان والترمذي والنسائي من طريق الزهري عن أنس عن أبي ذر مرفوعا ورواه البخاري من طريق شريك عن أنس رفعه ومسلم والبرقاني وغيرهما من طريق ثابت عن أنس رفعه بلا واسطة فلا عبرة بمن نفاه لأن رواته ثقة مشاهير قال الحافظ والحكمة فيه الزيادة في إكرامه ليتأهب للمناجاة اهـ. من الزرقاني.

وقال العراقي قد انكر وقوع الشق ليلة الإسراء ابن حزم وعياض وادعيا أنه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك في الصحيحين وقال الغربطي لا يلتفت إلى إنكاره لأن رواته ثقة مشاهير وقال العسقلاني استنكر بعضهم وقوع الشق ليلة الإسراء وقال إنما وقع وهو صغير في بنى سعد ولا إنكار في ذلك فقد تواترت به الروايات وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة ولكل حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم وقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان اهـ. المراد من ابن سلطان.

فائدة:

الراجح أن الشق وغسل القلب الشريف في طست ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل شاركته فيه الأنبياء كما قاله الشامي وابن كثير والطبري وأخرج هو وسعد بن منصور بإسناد صحيح عن السدي الكبير في قوله تعالى: {فيه سكينه من ربكم} قال طست من ذهب الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، قال الشامي وما صححه الشيخ يعني السيوطي من عدم المشاركة لم أر ما يعضده بعد الفحص الشديد اهـ أنظر الزرقاني. ولمؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه في هذه المسألة ونظائر لها أبيات على طريق السؤال وهي:

أجبنى عن الاسرا إلى حضرة الحق أكان لغير الهاشمي من الخلق

وهل هو مخصص بغسل لقلبه أم الرسل قد ساوته في الغسل والشق
 وهل كان نسج العنكبوت لغيره أم النسج خصيص الذي جاء بالصدق
 وبدلاً من الأنصار عند مهاجرا فحاز بذاك الوصف سبقا على سبق
 جواب ما ذكر أن الإسراء بالروح والجسد يقظة من خصائصه صلى
 الله عليه وسلم كما في المواهب وأن نسج العنكبوت ليس من خصائصه
 فقد نسجت على داود مرتين حين كان طالوت يطلبه ونسجت على
 الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل
 خالد بن نبيح الهذلي وعلى عورة زيد بن علي بن زين العابدين لما صلب
 عريانا وأما الأنصاري المهاجري فهو ذكوان بن عبد القيس الزرقى كذا
 في المواهب وكذا العباس بن عباد كما في الزرقاني عليها وشق الصدر
 عند البعثة هو الثالث وقبله شق ثان في قصة له مع عبد المطلب رواها
 عبد الله بن الإمام أحمد بسند رجاله ثقة وابن حبان والحاكم وابن
 عساكر والضياء أن أبا هريرة قال يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به
 من أمر النبوة قال إني لفي صحراء ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق
 رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو؟ فقال نعم، فأخذاني فاستقبلاني
 بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها
 على أحد تط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد
 لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني وفي لفظ فقال
 أحدهما لصاحبه أفلق صدره ففلقاه فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان
 أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي ثم قال
 شق قلبه فشق قلبي فأخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنزبه،
 قال الشامى هل كان في هذه المرة بختم لم أقف عليه في شيء وأما
 الثلاث المرات ففي كل منهما يختم. انتهى من الزرقاني.
 وروي شق صدره مرة خامسة وهو ابن عشرين ولا يثبت وخلقت هذه
 العلقة فيه تكملة للخلق الإنساني لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية
 ونزعت منه كرامة ربانية فأخرجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة
 وعظيم الاعتناء من خلقه بدونها قاله السبكي اهـ من الزرقاني.

(وكم حوت) أي جمعت وأحرزت، (ثويبة) بضم المثلثة وفتح الواو وسكون التحتية فياء موحدة فهاء تأنيث عتيقة أبي لهب اعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم (من بركه) من الخير الكثير (لما غدت) أي حين صارت (ظئرا) بكسر الظاء (له) أي النبي صلى الله عليه وسلم فإنها أرضعته أياما قلائل قبل مقدم حليلة وتوفيت بمكة سنة سبع من الهجرة قال ابن منده اختلف في إسلامها وقال أبو نعيم لم أر أحدا ذكره إلا ابن منده، وقال ابن الجوزي لا نعلم أنها أسلمت والبرهان لم يذكرها أبو عمر في الصحابة وقال الذهبي يقال انها أسلمت فإذن الراجح عنده انها لم تسلم وقال الحافظ في طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم لكن لا يدفع به نقل ابن منده قال ولم أقف في شيء من الطرق على إسلامها مع ابنها مسروح اهـ.

وذكر ابن العربي أنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت نقله السيوطي. ومسروح بفتح الميم وسكون السين المهملة فراء مضمومة فحاء مهملتين قال البرهان لا أعلم أحدا ذكره بإسلام قاله الزرقاني وقد رى أبو لهب بعد موته أي رآه أخوه العباس فقال له ما لك؟ قال في النار. إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي هاتين ماء وأشار برأس أصبعه وإن ذلك باعتاقي ثويبة حين بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له أي بأمره. قوله اصبعي هاتين الظاهر انهما السبابة والإبهام، وقوله أمص بفتح الميم أفصح من ضمها من باب تعب وقتل، وقوله خفف عني أي بسبب ما أسقاه من الماء وحملناه على أن التخفيف بسبب الماء ليلتئم مع ما رواه البخاري وعبد الرزاق والإسماعيلي أن ثويبة مولاة أبي لهب كان أبو لهب اعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أوريه بعض أهله بشر خيبة فقال ماذا لقيت؟ قال لم ألق بعدكم، زاد عبد الرزاق رحمة، والإسماعيلي رخاء، وقال ابن بطال سقط المفعول من جميع رواة البخاري ولا يستقيم إلا به غير أنني سقيت في هذه، زاد عبد الرزاق وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه، بعناقتي ثويبة حبيبة بحاء مهمة

مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة أي سوء حال وأصلها حوبة وهي المسكنة والحاجة وذكر البغوي أنها بفتح الحاء وللمستملي بخاء معجمة مفتوحة، قال ابن الجوزي وهو تصحيف وروي بالجيم، قال السيوطي هو تصحيف باتفاق. قوله وأشار برأس أصبعه أي أشار إلى تقليل ما يسقاه، قال ابن بطال يعنى أن الله سقاه ماء في مقدار نقرة إبهامه لأجل عتقها وقال غيره أراد بالنقرة التي بين إبهامه وسبابته إذا مد إبهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة وبهذا علم أن النقرة التي أشار إليها على صورته في الدنيا لا على صورة الكفار في جهنم والمراد أنه وصل إلى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه لأنه يؤتى له به من خارج جمعا بين الروايتين. وقد تعسف من قال ما يسقاه ليس من الجنة لأن الله حرمها على الكافرين فإنه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا أنه مما يمصه أو يؤتى له به من خارج، قاله الزرقاني وهذا لا ينافي ما ورد من إحباط عمل الكافر لأن هذه خصوصية له كما خفف عن أبي طالب حتى كان هو أهون أهل النار عذابا إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم انظر إزالة اللبس وفي التوشيح قيل هذا خاص به إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبي طالب بسببه، نقله الزرقاني. ولله در حافظ الشام محمد بن ناصر في قوله:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما يخفف عنه بالسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمه ره بأحمد مسرورا ومات موحدا
(وبركه * إذ حضنته) قوله وبركة عطف على ثوبية أي وكم جمعت وأحرزت من الخير الكثير بركة إذ حضنته صلى الله عليه وسلم وكنيتها أم أيمن بفتح الهمزة وسكون التحتية، وفتح الميم وبالنون بن عبيد الخزرجي المستشهد يوم حنين وهي حبشية وهي بنت ثعلبة بن حصن اعتقها أبو المصطفى وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لأمه أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين. وفي صحيح مسلم عن الزهري أنها

ماتت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل بستة أشهر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها: «أنت أُمِّي بعد أُمِّي»، أي كأمي في رعايتك لي، وتعظيمي والشفقة علي أو في رعايتي لك واحترامي لك وكانت تدل عليه صلى الله عليه وسلم وكان العمران يزورانها بعده. ومن مناقبها ما رواه ابن سعد أنها لما هاجرت أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت فدلي عليها دلو من السماء برشاء أبيض فأخذته فشربت حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد تلك الشربة عطش ولقد تعرضت للصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، قاله الزرقاني مفرقا، وقوله حضنته في القاموس حضن الصبي حضنا وحضانة بالكسر جعله في حضنه أو رياه أهـ.

وفي عبد الباقي وغيره زيادة الفتح (ثم بعد الأم * غدى كفيل الجد) غدى بمعنى صار وأسمها مستتر يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وخبرها كفيل يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كفله جده عبد المطلب بعد موت أمه أمنة أي ضمه إليه ورق له رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه وأولاده لا يجلسون عليه وذكر ابن اسحاق أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه من بنييه أحد إجلالا له وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فتذهب أعمامه يوخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابني ويمسح على ظهره بيده ويقول ان لابني هذا لشأنا (ثم العم) أي ثم بعد موت جده عبد المطلب وله مائة وعشرون سنة وقيل عشر ومائة وقيل أربعون ومائة كفله عمه أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله دون الحارث وقيل أن عبد المطلب أقرع بينه وبين الزبير وهو شقيق عبد الله أيضا وخرجت القرعة لأبي طالب، وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل المصطفى معهم شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي فيأكل معهم فيفضل من طعامهم، وإذا كان لبنا شرب أولهم ثم يشربون فيروون كلهم

من قعب واحد، وإن كان أحدهم يشرب قعبا وحده فيقول أبو طالب إنه لمبارك. وروى أبو نعيم عن ابن عباس قال كان بنو أبي طالب يصبحون عمشا رمضا ويصبح محمد صلى الله عليه وسلم صغيلا دهينا كحिला وكان أبو صالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج وذكر ابن قتيبة أنه كان يوضع له الطعام ولصبية أبي طالب فيتناولون إليه ويتقاصر هو تكرما منه ونزاهة نفس وأخرج ابن عساكر عن جلهمة بضم الجيم وتفتح ابن عرفطة بضم العين والفاء قال قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعمدوا الالة والعزى وقائل منهم اعمدوا مناة فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل؟ قالوا كأنك عنيت أبا طالب! قال إيها! فقاموا جميعهم فقامت فدققنا عليه الباب فخرج إلينا فثاروا إليه فقالوا يا أبا طالب اقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب معه غلام يعنى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه أي أشار به إلى السماء كالمترعرع المتلجئ وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق وأغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤوا عليه صلى الله عليه وسلم يده وبركته عليهم من صغره: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به هلاك من آل هاشم

فهم عنده في نعمة وفواضل

في قصيدته الآتية إن شاء الله تعالى في ذكر الحصار.

قوله اقحط الوادي بالبناء للفاعل والمفعول والقتماء التى يعلوها سواد غير شديد أي كأنه شمس يوم الغيم حين ينجلي سحابها، الرقيق فانها حينئذ تكون مشرقة مقبولة للناس ليست محرقة والقزعة:

القطعة من السحاب. وقوله من ههنا إلخ.. أي من جميع الجهات، وأغدق السحاب كثر ماؤه وأغذودق مرادف له والنادي أراد به أهل الحضر، والبادي أهل البادية والشمال الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة والفواضل الأيادي الجسيمة، عطف خاص على عام وأبيض مجرور برب مقدرة على ما صدر به الحافظ كالكرماني والسيوطي وجزم به في المغني وهو منصوب، قال الحافظ بإضمام أعني أو أخص، قال والراجح أنه بالنصب عطف على سيدي في البيت قبله وهو: وما ترك قومي لا أبالك سيدي يحوط الذمار عند ذرب مواكلي انتهى.

وبه قطع الدماميني في مصابيح ورد على ابن هشام واستظهره في شرح المغني. ومرفوع خبر مبتدء محذوف قاله الكرماني وأفاده القسطلاني عن ضبط الشرف في نسخته من البخاري والذمار بالكسر ما يحق على الإنسان حمايته والذرب بذال معجمة بوزن كتف وسكنت راؤه تخفيفا الحاد والمواكل المتكل علي غيره والأرامل المساكين من رجال ونساء انظر المواهب وشرحها، ولما اختلف في سنه عليه الصلاة والسلام حين وفاة أمه وحين وفاة جده عبد المطلب، فقليل ماتت أمه وله أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل هو ابن اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وقيل مات جده وله ثمان سنين وقيل وشهر وعشرة أيام وقيل تسع وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر بين الراجح من ذلك فقال:

(وخلفته أمه ابن أربع سنين والجدة ابن ضعفا فعي) قوله خلفته أي تركته خلفها أي ماتت عنه وابن في الموضعين منصوب على الحال والجدة بالرفع عطف على أمه يعني أنه صلى الله عليه وسلم ماتت عنه أمه الشريفة وهو ابن أربع سنين وكفله بعدها جده أربع سنين ومات عنه وهو ابن ثمان سنين، أما موت أمه وهو ابن أربع فصدر به مغلطاي وتبعه في المواهب وحكاة العراقي والقول بأنه ابن ست قطع به ابن إسحاق وصدر به العراقي وزاد عليها مائة يوم

واقصر الحافظ على أنه ابن ست سنين وثلاثة أشهر وأما كون جده مات وهو ابن ثمان سنين فجزم به ابن إسحاق وتبعه العراقي وتلميذه الحافظ هذا كله من المواهب وشرحها وموت أمه الكريمة كان بالأبواء بفتح الهمزة واد بين مكة والمدينة وقيل بشعب أبي ذؤيب رجل من سراة بنى عمرو بالحجون بفتح المهملة وضم الجيم جبل بمعلاة مكة الشعب بكسر المعجمة منفرج بين جبلين أو الطريق في الجبل وفي القاموس ودار رائعة أي براء بعدها ألف فتحتية بمكة فيه مدفن أمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله أي أخوال جده عبد المطلب بنى عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها أم أيمن فنزلت به دارا لتابعة رجل من بنى عدي وهذه الدار دفن فيها عبد الله بن عبد المطلب كما مر فأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت في مقامه كذلك ونظر صلى الله عليه وسلم إلى الدار وهو في المدينة فقال ها هنا نزلت بي أُمِّي، وأحسن العوم في بئر بنى عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة، وهذه الدار دار هجرته يعني المدينة، فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به أمه قاصدة إلى مكة سريعا خوفا عليه، عليه السلام من اليهود، فلما كانت بالأبواء توفيت. وعن أسماء بنت رهم بضم الراء المهملة عن أمها قالت شاهدت أمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع بفتح الفاء أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه إلى وجهه وقالت:

يا ابن الذي من حومة الحمام	بارك فيك الله من غلام
فدي غداة الضرب بالسهم	نجى بعون الملك المنعم
ان صح مسا أبصرت في المنام	بمائة من إبل سوام
تبعت في الحل وفي الحرام	فأنت مبعوث إلى الأنعام
دين أبك البر إبرهام	تبعث بالتحقيق والإسلام

فألله أنهـاك عن الأصنام أن لا توالـيها مع الأقوام
ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، ثم
ماتت رضي الله عنها كما قاله الزرقاني.

فكنا نسمع نوح الجن عليها أسفا فحفظنا من ذلك أبياتا هي:
تبكي الفتاة البرة الأمينه ذات الجمال العفة الرزينه
زوجة عبد الله والقرينه أم نبسي الله ذي السكينه
صارت إلى حفرتها رهينه لو فديت لفديت ثمينه
وللمنايا شفرة سنيـنة لا تبقي ظعانا ولا ظعينه
إلا أتت وقطعت وتينة، اهـ.

والتابعة بمثناة فوقية فموحدة فمهملة كما مرّ وموتها بالأبواء هو
المشهور وهو قول ابن إسحاق وجزم به العراقي والحافظ ويعارضه ما
في الأحاديث أنها بالحجون وجمع بينهما بأنها دفنت أولا بالأبواء ثم
نبشت ونقلت إلى مكة والمام ككتاب الموت وحومة القتال معظمه
والمعنى هنا يا ابن الذي نجى من سبب الموت وفدي بلا و أو به أي
أعطي فداءه والمراد بضرب السهام ضرب عبد المطلب القداح على عبد
الله وإخوته والسوامي جمع سامية أي مرتفعة القيمة بدون ياء في
أكثر النسخ وفي بعضها بياء وهو القياس لأن الياء أصلية، وقوله
أخواله لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حداث
بن عامر بن عدي بن النجار وقولها تبعث في الحل وفي الحرام أي في
بيان الحلال والحرام أو في أرض الحل والبلد الحرام، أي تبعث في جميع
الأرض وقوله تبعث في التحقيق أي لبيان الحق من الباطل، وقال
السيوطي وعندي أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف وإبرهام لغة في
إبراهيم قرأ بها ابن عامر في مواضع والله منصوب على التوسع أي
أنها مقسمة عليك بالله والبرة المطيعة والعفة بفتح العين وشد الفاء
والرزينة ذات الوقار انظر الزرقاني.

فائدة حسنة:

وباتباع من قال بها قمنة، اعلم ان بعض العلماء جزم بأن أبويه صلى

الله عليه وسلم في الجنة تمسكا بحديث إحيائهما له وأنهما آمنا به، قال السيوطي مالت طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث إلى أن الله أحياهما حتى آمنا به واستندوا في ذلك إلى حديث ضعيف لا موضوع كما قاله ابن الجوزي فقد خالفه في حديثنا هذا كثير من الحفاظ وذكروا أنه ضعيف تجوز روايته في الفضائل والمناقب كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وابن سيد الناس ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح الصفدي والحافظ بن ناصر قال وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا اهـ وقال العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لأنه صلى الله عليه وسلم انتقل من الأصلاص الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ولا يكون ذلك إلا مع الإيمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب اهـ.

قال الزرقاني وهذا لازم في جميع الآباء وإن قصر اه على الأبوين وإلا لزم المحذور اهـ.

وقال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم عند قبر أمه ليس لتعذيبها إنما هو على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به وقد رحم الله تعالى بكاءه فأحياها له حتى آمنت به اهـ..

وقال الإمام السيوطي بعد ذكر الحجج على نجاتهما ثم إنني لم أدع أن المسألة اجماعية غير أنني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه الأنسب بهذا المقام وقال في المواهب بعد الإطناب في هذه المسألة ولقد أحسن ابن ناصر الدمشقي حيث قال:

حبى الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا
فأحبيب أمه وكذا أباه لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا
ثم قال القسطلاني والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فإن ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لأن العرف جار بأنه إذ ذكر أبو

الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف به فيه نقص أذى ولده ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الباقي بعد كثير من الكلام ما نصه وقد بينا لك أيها المالكى حكم الأبوين فإذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان في الجنة إما لأنهما أحياها له حتى أمانا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وإن كان الحديث ضعيفا كما جزم به أولهم ووافقته جماعة من الحفاظ لأنه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الأبى وإما لأنهما كانا على الحنفية والتوحيد ولم يتقدم لهما شرك كما قطع به الإمام السنوسي والتلمساني المتأخر محشي الشفا فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم ما يخالفه إلا ما يشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبي اهـ بحروفه. وقال السخاوي الذى أراه الكف عن ذلك اثباتا أو نفيا اهـ.

وقال السيوطي ومن لم تقو عنده هذه المسالك ولم يجب عما في مسلم بنسخ ولا غيره فمع ذلك قالوا لا يجوز أن يذكر ذلك، وسئل أبو بكر بن العربي عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فقال أنه ملعون لقوله تعالى: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله} الآية ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار. وأخرج بن سعد عن ابن عباس قال ما بين آدم إلى نوح من الآباء كانوا على الإسلام وسام بن نوح مؤمن بنصر القرآن والإجماع بل ورد في أثر أنه نبي ويدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: {إنما المشركون نجس} فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا، قال الهيثمي أجمع أهل الكتابيين والتاريخ أن أزر لم يكن أبا إبراهيم حقيقة وإنما كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى: {وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل} مع أنه عم يعقوب وقال في الدرج المنيفة الأرجح أن أزر عم إبراهيم لا أبوه انتهى من الزرقاني في

(ثم إلى الشام مع العم ارتحل والعمر فى الثالثة العشر دخل)
المجروح الأول متعلق بارتحل والعم هو أبو طالب وفاعل ارتحل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والعمر مدة الحياة وهو مبتدأ وخبره دخل والجملة حالية أي ثم سافر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبي طالب والحال أن عمره دخل فى السنة الثالثة عشر، قال ابن الجوزي قال أهل السير والتواريخ وذلك لما أتت عليه صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وفى سيرة مغلطاي اثنتي عشرة سنة وشهر، والذي اقتصر عليه فى المواهب انه ابن اثنتي عشرة سنة قال الزرقاني: قاله الأكثر وقيل تسع سنين قاله الطبري وغيره وقيل ثلاثة عشر حكاه أبو عمر، قال الزرقاني بعد نقله لكلام ابن الجوزي ومغلطاي ويمكن حمل القول الأول يعنى ما للمواهب عليه بأن المراد اثنتا عشرة سنة وما قاربها.

(فرده خوفا من اليهود عليه أهل المكر والجحود)
فاعل رد عائد على العم والمنصوب للنبي صلى الله عليه وسلم كالمجروح ربعلى وخوفا مفعول لأجله وأهل نعت لليهود والمكر الخديعة والجحود الإنكار للشيء مع علم حقيقته ولا شك أن اليهود جحدوا المصطفى صلى الله عليه وسلم، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أي فرد أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة أي رجع به إليها لأجل خوفه عليه من اليهود أهل الخديعة وجحدوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بهذا إلى ما روي أن أبا طالب أراد الخروج فى ركب من قريش تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للخروج صبّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فرق له أبو طالب، وقال والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا، فخرج به حتى بلغ بصرى بضم الموحدة فرأى بحيرا الراهب وكان إليه علم النصرانية فخرج إليهم وكانوا قبل يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش وما

علمك بذلك؟ قال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا للنبي وصبّ بصاد مهملة فموحدة مشددة اشتاق، قال السهيلي الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب، وقرئ {أصب إليهن}، وروي أنهم لما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا ونزلوا ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة وأظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل عن صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم صغيركم وكبيركم أحراركم وعبيدكم، فقال رجل منهم والله يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا صدقت! ولكنكم ضيف وقد أحببت إكرامكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه فى رحال القوم فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي! قالوا والله ما تخلف إلا غلام هو أحدث القوم سنا، قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر! فقال رجل من قريش ان كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا فقام إليه الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. وإنما قال له ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرا بالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، من نومه ويقظته وهياته

وأمره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة فلما فرغ أقبل على أبي طالب فقال ما هذا الغلام منك؟ فقال ابني، فقال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا، قال انه ابن أخي، قال ما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به. قال صدقت! فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لأن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغتنه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلده. فخرج به أبو طالب سريعا حتى أقدم به مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

قوله تهصرت بالصاد المهملة المشددة أي مالت وتدلت. وروى أنه وجدهم سبقوه لفيئها فجلس فمال إليه فيئ الشجرة، وروي أنه في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم؟ قالوا هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس، فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا لا، فبايعوه وأقاموا معه ورده أبو طالب. وفي الترمذي أن بحيرا قال أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي وضعفه الذهبي بأن أبا بكر لم يبلغ إذ ذاك عشر سنين وبأن بلالا لم يكن خلق، قال اليعمرى ولم يملكه أبو بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين عاما وقال ابن حجر رواته ثقات وهذه اللفظة يحتمل أنها مدرجة مقتطعة من حديث آخر وهما أي غلطا من أحد رواته فلا يحكم على جميع الحديث بالضعف اهـ.

وبحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة قاله في المواهب، وإلى هذه القصة أشار أبو طالب بأبيات من قوله:

فلما هبطنا أرض بصرى تشوفوا	لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا	لنا بشاراب عنده وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا	فقمنا جميع القوم غير غلام

يتيم فقال ادعوه إن طعامنا
فلما رآه مقبلاً فوق رأسه
حتى ظهره شبه السجود وضمه
فذلك من أعلامه وبيانه
(وعاد) هو أي النبي صلى الله عليه وسلم أي رجع (مع مسيرة) غلام
خديجة. قال في النور ولا ذكر له في الصحابة فيما أعلمه والظاهر انه
مات قبل البعثة ولو أدركها لأسلم (للشام) في تجارة لخديجة رضي الله
عنها وكانت ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فتكون
عيرها كعمامة عير قومها وكانت تستأجر الرجال وكانت قریش قوما
تجاراً ومن لم يكن تاجراً منهم فليس بشيء عندهم فخرج صلى الله عليه
وسلم في تجارتها وله عليه السلام خمس وعشرون سنة فيما رواه
الواقدي وابن السكن وصدر به ابن عبد البر وقطع به عبد الغني قال
في الغرر وهو الصحيح الذي عليه الجمهور وقيل سنة إحدى وعشرون
قاله الزهري. وقال البرقي تسع وعشرون وقيل ثلاثون، حكاه ابن عبد
البر. وقال ابن جريج سبع وثلاثون انظر المواهب وشرحها واقتصر
الكلاعي على الأول (وهو) بسكون الهاء أي النبي صلى الله عليه وسلم
مبتدء (من الرحمن) متعلق بخبر المبتدء وهو قوله (في إكرام) أي
تعظيم لا تعظيم يدانيه، وإحسان لا إحسان يوازيه فالتنكير للتعظيم
وبين بعض إكرامه المتعلق بالظاهر بقوله (تظله) أي النبي صلى الله
عليه وسلم (الأملاك) جمع ملك يأتي أن ميسرة كان يرى عليه ملكين
يظلاله في الهاجرة (في المسير) أي مسيره هذا (حين اشتداد الحر)
الظرف متعلق بتظله (في الهجير) أي القائلة. وسبب هذه القصة أن أبا
طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي
وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليست لنا مادة ولا
تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث
رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك
على غيرك لما يبلغها من طهارتك وإن كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف

عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بداً فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل إلي في ذلك. فقال أبو طالب إنني أخاف أن تؤتى غيرك، فبلغ خديجة ما كان من محاوره عمه له وقبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه وقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت إليه وقالت دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك فذكر ذلك لعمه فقال إن هذا لرزق ساقه الله إليك وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة في تجارة لخديجة حتى بلغ سوق بصرى لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة فنزل تحت ظل شجرة قريباً من صومعة نسطورا الراهب فاطلع إلى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، وروي أن الراهب دنى إليه صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه وقدميه، فقال أمنت بك وأشهد أنك الذي ذكر الله في التوراة، فلما رأى الخاتم قبله وقال أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى فإنه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ثم قال الراهب لميسرة في عينيه حمرة قال ميسرة لا تفارقه أبداً، قال الراهب هو هو، وهو آخر الأنبياء ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج، فوعى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع واشترى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل أحلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط، فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده إنه لهو الذي تجد أحبارنا منعوتاً في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعاً وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلاله في الشمس ولما رجعا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عليّة بكسر العين والضم لغة أي غرفة لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكاً يظلال عليه فأرته نساءها فعجن بذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأخبرها بما ربح فسرت به.

وروي أن تجارتها ربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له خديجة ما كانت سمته له، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت قال قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول نسطورا وبقول الآخر الذي خالفه في البيع اهـ ونسطورا بفتح النون وسكون السين وضم الطاء المهملتين وألفه مقصورة وقوله ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي قال السهيلي يريد ما نزل تحتها هذه الساعة ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد العهد بالأنبياء وإن كان لفظ قط في رواية فقد تكلم بها على جهة التوكيد بالنفي ويبعد في العادة أن تخلو شجرة من نزول أحد تحتها حتى يجيء نبي إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث أحد بعد عيسى. وقوله وكان ميسرة يرى إلخ.. فيه جواز رؤية الملائكة، اهـ. ملخصا من الكلاعي والمواهب وشرحها.

(وإذ إلى مكة عاد) إذ ظرف زمان مضاف للجملة بعده والعامل فيه نكح الآتي أي ونكح خديجة حين عاد أي رجع من سفره مع ميسرة إلى مكة (و) الحال أنه صلى الله عليه وسلم حين نكاحه إياها قد (افتتح) أي ابتداء (ستا وعشرين) سنة (من العمر) قال في القاموس العمر بالفتح وبضممتين الحياة وتزوجه بها عقب قدومه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما وذلك عقب صفر سنة ست وعشرين قاله ابن عبد البر نقله الزرقاني (نكح) أي تزوج (خديجة) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكانت في الجاهلية تدعى بالطاهرة لشدة صيانتها وعفافها وكانت تسمى سيدة نساء قريش وأم خديجة فاطمة بنت زائدة ابن الأصم العامرية واللبدوي:

وأما فاطمة بنت الخضم زائدة القرم الهمام ابن الأضمر خديجة (من بعد أربعينا* مضت لها من عمرها سنينا) بدل من أربعين رواه ابن سعد واقتصر عليه اليعمرى وقدمه مغلطاي والبرهان قال في الغرر وهو الصحيح وقيل عمرها إذ ذاك خمس وأربعون وقيل ثلاثون سنة وقيل ثمانية وعشرون وقول المواهب أربعون سنة وبعض

أخرى قال فيه الزرقاني فليُنظر ما قدر البعض اهـ.

ثم ان خديجة رضي الله عنها عرضت نفسها على صلى الله عليه وسلم بلا واسطة كما عند ابن إسحاق، قالت يا ابن عمي إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك أو بواسطة كما رواه ابن سعد عن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر قد طلبوها وبذلوا لها الأموال فأرسلتني دسيسا إلي محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في غيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به، قلت فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال فمن هي؟ قلت خديجة! قال وكيف لي بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن أتى الساعة كذا قال الزرقاني والجمع بينهما ممكن بأنها بعثت نفيسة أولا لتعلم هل يرضى فلما علمت ذلك كلمته بنفسها وسبب عرضها ما أخبرها به غلامها ميسرة مع ما رآته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش إنه يوشك أن يبعث فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعلن، فحصبته وأغلظن له وأغضت خديجة ووقر ذلك في نفسها. فلما أخبرها ميسرة بما رأى وما رآته هي قالت إن كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك إلا هذا اهـ وحصبته : رمينه بالحصباء، وأغضت بغين وضاد معجمتين سكنت قاله الزرقاني، ثم لما أرسلت إليه خديجة ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة كما عند ابن إسحاق وخطبها من أبيها له صلى الله عليه وسلم فتزوجها عليه السلام وقال المبرد ان أبا طالب هو الذي نهض معه وهو الذي خطب خطبة النكاح، قال في النور فلعلهما خرجا جميعا والذي خطب أبو طالب لأنه أسن من حمزة اهـ.

ولابن إسحاق من طريق آخر: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب

أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمة وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به فإن كان فى المال قل المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما عاجله وأجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم. وفى المنتقى فلما أتم أبو طالب الخطبة قال ورقة بن نوفل الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عدت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبتنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربع مائة دينار ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها أشهدوا علي يا معاشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة من ماله زيادة على ما دفعه أبو طالب وهو على ما ذكره الدولابي أربعون أوقية ذهباً ونشاً، والنش بفتح النون وبالشين المعجمة نصف أوقية وتقدم عن المنتقى أنه أصدقها أربع مائة دينار اهـ.

وما سرّ من أنه خطبها إلى أبيها وأنه هو الذي زوجها هو ما جزم به ابن إسحاق أولاً، وقيل إن الذي زوجها عمرو بن أسد عمها ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه لأن أباهما مات قبل ذلك قال السهيلي وهو الأصح وقيل زوجها أخوها عمرو بن خويلد وكونه صلى الله عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة قتاله فى المواهب. قال الزرقاني عقبه كما قتاله المحب الطبري قائلاً ولا تخالف بينه وبين ما يقال إن أبا طالب أصدقها عنه لجواز أنه صلى الله عليه وسلم زاد فى صداقها فكان الكل صداقاً اهـ. وقولي فيما مرّ زيادة على ما دفعه أبو طالب قتاله الزرقاني أيضاً فى موضع آخر. وقوله وزرع إسماعيل أي مزروعه والمراد ذريته غاير

بينه وبين ما قبله تفننا وكراهة لتوارد الألفاظ. والضئضئ بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الأولى ساكنة ويقال ضئضئ بوزن قنديل وضؤضوء بوزن سرسور ويقال أيضا بضادين وسينين مهملتين وهو فى الجميع الأصل. والعنصر بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد المهملة وقد تفتح الأصل والإضافة فيهما بيانية أي أصل هو معد ومضر وسوأس حرمه أي مدبروه والقائمون بأمره وقوله الحكام على الناس أي حكم طوع وانقياد لمكارم أخلاقهم وحسن معاملاتهم لا حكم ملك وقهر ولا ينافى قول صخر لقيصر ليس فى آبائه من ملك. والقُل بالضم مشترك بين ضد الكثرة والشيء القليل. وقوله حائل أي لا بقاء له لتحوله من شخص لآخر ومن صفة إلى أخرى. وقوله عرفت قرايته أي لهاشم وعبد المطلب الآباء الكرام، فالحسب أعظم من كثرة المال. وقوله ما أجله إلخ.. فى رواية ان أبا طالب قال: وقد بذل لها من الصداق ما حكم عاجله وأجله اثنتي عشرة أوقية ذهباً ونشأ، قالوا وكل أوقية أربعون درهماً وجملة الصداق خمسمائة درهم شرعي والصداق ذهب ولا ينافيه التعبير بالدرهم لأنه بيان للوزن فلا يستلزم كون الصداق فضة قاله الزرقاني.

فائدة:

تزوج خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هالة التميمي بميممين نسبة إلى تميم وكان حليفاً لبنى عبد الدار كما فى الفتح، فولدت له هند الصحابي راوى حديث وصف النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصيحاً بليغاً وصافاً وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأماً وأخاً وأختاً أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخي القاسم وأختي فاطمة وأمي خديجة، وولدت له أيضاً هالة وهو ذكر قال أبو عمر له صحبة ووهم من زعم أن هالة أنثى واسم أبي هالة قنيل زرارة وقنيل مالك، وقنيل هند وقنيل النباش بفتح النون وشد الموحدة ومات فى الجاهلية وبعد موته تزوجها عتيق بن عابد بالموحدة والبدال المهملة بن عبد الله

بن عمرو بن مخزوم كذا ضبطه فى الإكمال، وتبعه التبصير وقال اليعمرى انه الصواب، ولابن الأثير أنه بتحتية وذاك معجمة وهو مردود وقد صرح العلامة النسابة الزبير بن بكار بأن من كان من ولد عمرو فهو بالموحدة والمهملة كان من ولد أخيه عمران فهو عائذ بتحتية ومعجمة وولدت لعتيق أنثى اسمها هند أسلمت وصحبت وقيل ان عتيقا هو الذي تزوجها أولا وهي بكر واقتصر عليه فى العيون والفتح ثم هلك عنها، وتزوجها بعده أبو هالة انظر المواهب وشرحها.

(خير نساء الناس أجمعينا) قوله خير منصوب نعت لخديجة ويصح رفعه خبر مبتدأ محذوف على أنه مقطوع عن التبعية ومراده أن خديجة رضى الله عنها هي أفضل النساء جميعا وظاهره تفضيلها حتى على فاطمة ومريم، وقد قال فى فتح الباري فى فضل عائشة، قال السبكي الكبير الذى ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع، ثم قال ابن حجر وقيل انعقد الإجماع على تفضيل فاطمة، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة اهـ - المراد منه هنا.

وقال فى مناقب فاطمة وأقوى ما استدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها قوله صلى الله عليه وسلم انها سيدة نساء العالمين إلا مريم، وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وفى بعض طرقه ذكر مريم عليها السلام وغيرها مشاركا لها اهـ. وقال ابن حجر أيضا فى شرح حديث البخاري خير نساءها مريم وخير نساءها خديجة، عن الطيبي أنه قال: والذى يظهر لى أن قوله خير نساءها خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نساءها، أي نساء زمانها، وكذا فى خديجة وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها، ثم قال جاء ما يفسر المراد صريحا فروى البزار والطبراني من حديث عمار رفعه لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، وهو حديث حسن وأخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعا: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم

وأسية» وقد أورد ابن عبد البر من وجه آخر عن ابن عباس رفعه: «سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم أسية» قال وهذا حديث حسن يدفع الإشكال اهـ.

وقال ابن جزي في قوله تعالى: {واصطفاك على نساء العالمين} يحتمل أن يكون الإصطفاء مخصوصاً بأن وهب لها عيسى من غير أب فيكون علي نساء العالمين عاماً وأن يكون الاصطفاء عاماً ويخصص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ويكون علي نساء عالم زمانها وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق وقال الثعالبي: والعالمين يحتمل زمانها وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق وقال الثعالبي واليعمرى والعالمين يحتمل عالم زمانها وقال ابن عطية وسائغ أن يتأول عموم الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس أن مريم نبيئة وجمهور الناس على أنها لم تتنبأ امرأة وقال السيوطي على نساء العالمين أهل زمانك اهـ.

وقال الشيخ محي الدين النووي ويظهر أن معناه يعنى حديث البخاري المتقدم، أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، فأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه، روي البخاري عن أبي موسى رفعه، كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وأسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، انتهى من الريان.

وقال في المواهب ممزوجاً ببعض كلام شرحها وكانت خديجة أول من آمن من الناس على الإطلاق، كما حكى عليه الثعالبي وابن عبد البر وابن الأثير الاتفاق وفي الصحيحين أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة أتتك أي توجهت إليك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب، بالشك من الراوى، فإذا هي أتتك فاقرأ بهمزة وصل وفتح الراء، عليها السلام من ربها ومنى. وهذه خاصة لم تكن لسواها، وبشرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فيه بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة، الصياح والمنازعة برفع الصوت، ولا نصب بفتح النون والمهملة فموحدة التعب، والقصب اللؤلؤ المجوف، وروي الطبراني عن

فاطمة قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أمى خديجة؟ قال
فى بيت من قصب! قلت أمن هذا القصب؟ قال لا من القصب المنظوم
بالدر واللؤلؤ والياقوت اهـ..

وفى لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق لمبادرتها إلى
الإيمان وكذا فى لفظ البيت لأنها كانت ربة بيت فى الإسلام منفردة به،
فلم يكن على وجه الأرض فى أول يوم بعث فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها، وجزاء الفعل يذكر غالباً بلفظه، فلذا
عبر ببيت دون قصر، وفيه مناسبة أخرى لأن مرجع آل بيته صلى الله
عليه وسلم إليها، وكذا فى نفي الصخب والنصب مناسبة لفعلها، فلم
تحوج النبي صلى الله عليه وسلم لما دعى إلى الإيمان إلى رفع صوت ولا
تعب، قال الإسكاف والبيت زائداً على ما أعد لها من ثواب عملها، ولذا
قال ولا نصب، أي لم تتعب بسببه ففي جميع ألفاظه مناسبة وخرج
الإمام أحمد والنسائي وأبو داود والحاكم وصحاحه أنه صلى الله عليه
وسلم قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت
محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون»، وهما من زوجاته صلى
الله عليه وسلم فى الجنة كما عند ابن عساكر بسند ضعيف، قال الشيخ
العراقي خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار عند العلماء
بدليل هذا الحديث والذى قبله من اقراء السلام عليها من الله تعالى
ولقوله صلى الله عليه وسلم خير نساءها مريم وخير نساءها خديجة أي
مريم خير نساء الأمة الماضية وخديجة خير نساء هذه الأمة كما قال
الحافظ جاء ما يفسر المراد صريحاً يعنى ما قدمت عنه فى حديث البزار
والطبراني وقال فى الإصابة يفسره ما أخرجه ابن عبد البر أنه صلى
الله عليه وسلم قال لفاطمة ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا
أبت فأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالمها اهـ..

ولأنه صلى الله عليه وسلم أثنى على خديجة ما لم يثن على غيرها،
قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج من البيت حتى يذكر
خديجة فيحسن الثناء عليها. وللطبراني وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم

من ثناء عليها واستغفار لها، وقيل عائشة أفضل وضعف بحيث بالغ ابن العربي فقال لا خلاف أن خديجة أفضل من عائشة قال فى الفتح ورد بأن الخلاف ثابت وإن كان الراجح أفضلية خديجة. وقال شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وأفضلهن خديجة وعائشة، وفى أفضليتهما خلاف وصحح ابن العماد والسبكي وغيرهما تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لما حملتها الغيرة من كثرة ثنائها على خديجة على أن قالت قد رزقك الله خيرا منها، قالت فغضب حتى قلت والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير. فقال والله ما رزقنى الله خيرا منها. أمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقت بى حين كذبنى الناس، وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس، وأوتننى إذ رفضنى الناس، ورزقت منى الولد إذ حرمتموه . وسئل الإمام أبو بكر بن الامام المجتهد دواوود الظاهري أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل من قبل نفسه وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربه على لسان محمد، فهي أي خديجة أفضل، قيل له فمن الأفضل خديجة أم فاطمة؟ قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة منى بفتح الموحدة كما هو فى الرواية وحكي ضمها وكسرهما أي فاطمة لحم منى فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. قال السهيلي وهذا استقراء حسن، ويشهد له أن أبا لبابة لما ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة لتحله فأبى لقسمه فقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى، فحلته ويشهد له أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فهذا دليل على فضلها على أمها، وبهذا استدل السبكي قال فى الفتح والذي يظهر أن الجمع بين الحديثين أولى وأن لا تفضل إحداهما على الأخرى. اهـ..

وقال فى الإصابة وقد ذكر حديث خير نسائها خديجة وقوله لفاطمة أما ترضين بأنك سيدة نساء العالمين يحتمل على التفرقة بين السيادة

والخيرية أو على أن ذلك بالنسبة لما وجد من النساء حين قاله لفاطمة.
اهـ.

وفيه نظر فإن المراد بالسيادة الخيرية وهي الفضل كما صرح به فى رواية أحمد وحمله على الموجودات ياباه قوله نساء العالمين وهو فى الصحيحين لأنه تخصيص للعام بلا مخصص فقد ساوت أمها وزادت عليها لكونها بضعة المختار فهي أفضل منها وقد صرح هو فى الفتح فى المناقب بما لفظه قيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة. وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة اهـ.. بل توسع بعض المتأخرين فقال فاطمة وأخوها إبراهيم أفضل من سائر الصحابة حتى من الخلفاء الأربعة فإن أراد من حيث البضعة فمحتمل وإن كان الخلفاء أفضل من حيث العلوم الجمة وكثرة المعارف ونصر الدين والأمة قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي وقال فى المواهب عن السبكي الكبير والذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة. قال فى المواهب واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة قال الزرقاني ولم يتعرض للتفضيل بين مريم وفاطمة واختار السيوطي تفضيل فاطمة على مريم وسبقه إلى اختيار ذلك الزركشي والخيضري والمقرئى لكن يرد عليهم قوله لفاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم نعم يعارضه حديث أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فيأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالمها. ولم ينقدح لى وجه الجمع اهـ. كلام الزرقاني. قال مؤلفا، سمح الله له وتحصل مما مر أن الراجح المشهور تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما وأن الراجح تفضيل فاطمة على أمها كما جزم به السبكي والإمام أبو بكر بن داود واستحسنه السهيلي وجزم به الزرقاني وتعقب ما فى الفتح من أنه لا يفضل بينهما بما مر قريبا ومنه أنه فى الفتح نقل الإجماع على أفضلية فاطمة فى كتاب المناقب ويعني به ترجمة فضل عائشة فقد ذكر ذلك فيها، وأما التفضيل بين مريم وفاطمة فاختار الزركشي والسيوطي والخيضري والمقرئى أن فاطمة أفضل وأما ما بين خديجة ومريم فقال فيه النووي أن التفضيل

بينهما مسكوت عنه يعنى على أنها ليست نبية كما هو مذهب الجمهور. وقد مرّ عن المفسرين أنه قيل بتفضيلها على نساء العالمين على الإطلاق والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وحينئذ فقول الناظم خير نساء الناس أجمعينا يعنى الموجودات فى زمانها وتستثنى من ذلك فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

(قد) للتحقيق (أقامت معه عشرينا) سنة (وأربعاً) من السنين ومراده أن خديجة رضي الله عنها مدة حياتها بعد تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها أربع وعشرون سنة وقال الحافظ فى الفتح وأقامت معه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة على الصحيح وقال ابن عبد البر أربعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وسيأتى من حديث عائشة ما يؤيد الصحيح فى أن موتها قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد المبعث على الصواب بعشر سنين وتقدم تصديقها للنبي صلى الله عليه وسلم فى أول وهلة اهـ..

وقال القسطلاني فى المواهب وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة اهـ، قال فى الشرح على الصحيح كما فى الفتح وهو المطابق للصحيح وهو قول الأكثر أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وقال فى المواهب وشرحها وقيل أربعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر قاله ابن عبد البر وهو مطابق له أيضاً بإلغاء الكسر فى عامي الزواج والوفاة، اهـ.. وقد علم أن الناظم مشى على الصحيح من أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين ودخل فى السادسة وقوله هنا أربعاً وعشرين أي وأربعة أشهر فيصح كلامه بإلغاء الكسر فى عام التزويج وعام الوفاة، كما أول به الزرقاني عبارة المواهب المحكية بقوله وهي موافقة لعبارة الناظم والله أعلم. أما على أن سنه إحدى وعشرون أو ثلاثون فلا يتأتى أن قالوا أن موتها سنة عشر من البعثة، قاله الزرقاني وغيره **(ورزق البنينا منها سوى أحدهم يقينا)** نائب رزق ضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والبنين مفعوله الثانى والضمير المجرور لأمنّا خديجة رضي الله عنها ويقينا مصدر مؤكد

لمضمون الجملة قبله وعامله محذوف أي أتيقن هذا أو نحوه يعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى من الذرية الكرام ما أعطاه من البنين والبنات سوى إبراهيم من خديجة الطاهرة سيدة نساء قريش وهي من أعظم مزاياها التي اختصت بها عن غيرها ليمنها وسعادتها وإبراهيم هو المراد بقوله سوى أحدهم وسياتي للناظم التعرض لأولاده صلى الله عليه وسلم ويأتى الكلام عليهم إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لهم.

وتوفيت خديجة رضي الله عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح كما فى الفتح والإصابة وزاد عن الواقدي لعشر خلون من رمضان وقيل قبل الهجرة بأربع سنين وقيل خمس حكاها فى الإصابة وقيل ست حكاها فى الفتح ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وهي بنت خمس وستين سنة كما فى رواية الواقدي، وفى السمط الثمين أربع وستون وستة أشهر ولم يكن يومئذ يصلى على الجنائز وروى ابن عساكر بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي فى الموت فقال يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام، فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلى؟ قال لا. ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وأسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى ورواه الزبير بن بكار بلفظ أنه دخل على خديجة وهي فى الموت فقال تكرهين ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله فى الكره خيرا، أشعرت أن الله أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم وأسية وكلثم؟ فقالت الله أعلمك بهذا؟ قال نعم. وماتت هي وأبو طالب فى عام واحد، قيل فسماه عام الحزن صلى الله عليه وسلم، انظر الزرقاني.

(ثم ابن خمس وثلاثين حضر بناء بيت السلسه ...)
قوله ابن بالنصب حال من فاعل ضمير وهو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وبيت الله الكعبة زادها الله تعالى تعظيما يعنى أنه صلى الله عليه وسلم حضر بناء قريش للكعبة وهو عليه السلام إذ ذاك ابن

خمس وثلاثين سنة من مولده عليه الصلاة والسلام.

(إذ) أي حين (بنى) أي وضع صلى الله عليه وسلم (الحجر) الأسود موضعه إذ تولى هو صلى الله عليه وسلم وضعه في محله (بيده) متعلق ببنى (الكريمة) أي الثابت لها ولصاحبها صلى الله عليه وسلم أعلى ما توصف به الحوادث من الكمالات (الزكية) أي المباركة الكثيرة الخير (صلى عليه بارئ البرية) أي خالق المخلوقات كلها وهو الله تعالى. وكونه صلى الله عليه وسلم حين بناء قريش للكعبة ابن خمس وثلاثين هو الذي جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء وهو الأشهر كما قال الحافظ وقيل ابن خمس وعشرين وجزم به موسى بن عقبة وروى عن مجاهد ومحمد بن جبير وسبب بناء قريش للكعبة أن قريشا خافت أن تنهدم الكعبة من السيول وذلك أن السيل أتى من فوق الردم الذي بأعلى مكة فخربه فخافوا أن يدخلها الماء، وقيل سببه احتراقها، فروى أن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة في ثيابها فأحرقتها، وقيل أن نفرا سرقوا حلي الكعبة وغزالين من ذهب وقيل غزالا واحدا مرصعا بجوهر وكان في بئر في جوف الكعبة فأرادوا أن يرفعوا بنيانها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا، وقيل أن السيل دخلها وصدع جدرانها بعد توهينها وجمع كما في الزرقاني بأنه لا مانع أن سبب بنائهم ذلك كله ويجوز أن خشية هدم السيل حصل من الحريق حتى أوهن بناءها ووجدت السرقة بعد ذلك، وأعدوا لذلك نفقة وعمالا ثم عمدوا إليها ليهدموها على إشفاق وحذر منهم أن يمنعهم الله ما أرادوا فأمرؤا باقوم القبطي مولى أسيد بن العاصي بن أمية وصانع المنبر النبوي المدني أن يبنيها لهم وباقوم بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة ويقال بلام بدل الميم صحابي كما في الإصابة، وروى ابن عيينة عن عبيد بن عمير قال اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم الرومي وكان في سفينة حبسها الريح وخرجت إليها قريش فأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بناء الكنائس فيحتمل أنهما اشتركا في بنائها أو أحدهما بنى والآخر سقّف وأنهما واحد رومي في الأصل ونسب إلى القبط حلفا وهذا هو الظاهر من كلام

الإصابة اهـ..

وروي ان السفينة ألقاها الريح بجدة فتحطمت فخرج إليها الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش فابتاعوا خشبها وكلموا باقوم فى بنائها فقدم معهم. وقال ابن اسحاق كان بمكة رجل قبطي نجار فتهياً لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها قال فهاب الناس هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأكم فى هدمها فأخذ المعول وهو يقول اللهم لم ترع بفوقية مضمومة فراء مفتوحة أى لم تفزع الكعبة وهذا أولى من إعادة السهيلى الضمير لله تعالى، وفى رواية لم نزع بفتح النون وكسر الزاء وغين معجمة أى لم نمل عن دينك اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين الأسود واليماني وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننتظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شئ هدمنا فقد رضي الله ما صنعنا. فأصبح الوليد عائداً إلى عمله فهدم وهدم معه الناس، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة جمع سنام وهو أعلى الظهر للبعير ومن رواه كالأسنة جمع سنام شبهها بها فى الخضرة، أخذ بعضها ببعض فأدخل رجل ممن كان يهدم عتلة بين حجرين ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنغضت مكة بأسرها وأبصر القوم برقعة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فأنتهوا عن ذلك الأساس وبنوا عليه اهـ..

وقوله عتلة فى القاموس العتلة محرقة حديدة كأنها رأس فأس أو العصى الضخمة من حديد لها رأس مفلطح يهدم بها الحائط وفى القاموس تنغض أى بالغين والضاد المعجمتين تحرك اهـ..

وفى رواية أنهم لما شرعوا فى نغض البناء خرجت لهم الحية التى كانت فى بطنها تحرسها سوداء البطن فمنعتهم من ذلك فاعتزلوا عند مقام إبراهيم فتشاوروا فقال لهم الوليد ألسنتم تريدون الإصلاح؟ قالوا بلى! قال فإن الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا فى بيت ربكم إلا طيب أموالكم فإن الله لا يقبل إلا طيباً وعند موسى بن عقبة أنه قال لا تجعلوا فيها مالا أخذ غصباً ولا قطعت فيه رحم ولا انتهكت فيه حرمة

وعند ابن اسحاق أن الذى أشار بذلك أبو وهب بن عمر بن عامر بن عمران بن مخزوم ففعلوا وقالوا اللهم إن كان لك فى هدمها رضى فاته واشغل عنا هذا الشعبان فأقبل طائر من جو السماء كهياة العقاب ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان والحية على جدار البيت فأخذها ثم طار بها فقالت قريش إنا لنرجو أن الله قبل عملكم ونفقتكم ثم إن قبائل قريش جمعت الحجارة لبنائها فكل قبيلة تنقل الحجارة على حدة وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة من أجياد وكانوا يضعون أزهرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال له العباس اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل، فلبط به بالموحدة كعني أي سقط من قيامه فهو من الأفعال التى جاءت بصيغة المبنى للمفعول وهي بمعنى المبنى للفاعل ونودي يا محمد غط عورتك فشد عليه إزاره فلما رى بعد ذلك عريانا، وفى رواية كانوا كلما أرادوا القرب منه أي البيت لهدمه بدت لهم حية فاتحة فاهها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألغاهما نحو أجياد فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك فلم ير عريانا بعد، قال الزرقاني ليس المراد العورة المغلظة اهـ..

وفى المواهب فى هذه القصة وكان ذلك أول ما نودي اهـ.. ثم إن قريشا بنوها فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فكل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاربوا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسموا لعقة الدم فمكث قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما

تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فؤوتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الكريمة صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه، وعند موسى ابن عقبة ان الذى أشار إليهم بذلك أخوه الوليد قال السهيلي وذكر أن إبليس كان معهم فى صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أرضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا.

خاتمة:

نسأل الله تعالى بحسنها

أختلف فى أول من بنى الكعبة فذكر الطبرى أن الله وضعه أولا لا ببناء أحد وذكر الأزرقى ان الملائكة بنته قبل آدم وروى عن عطاء أول من بنى البيت آدم وعن وهب أول من بناه شئت بن آدم وفى الكشف أول من بناه إبراهيم وجزم به ابن كثير، قال إذ لم يثبت عن معصوم أنه كان مبنيا قبله ثم بنته العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب نقله الزبير بن بكار وجزم به الماوردي ثم قريش فجعلوا ارتفاعه ثمانية عشر ذراعا، وفى رواية عشرين ذراعا ثم لما حوصر ابن الزبير من جهة يزيد تضعضعت من الرمي بالمنجنيق فهدمها فى خلافته وبنائها على قواعد إبراهيم وأعاد طولها على ما هو عليه الآن وأدخل من الحجر الأذرع المذكورة وجعل لها بابا آخر فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك فى نقض ما فعله ابن الزبير فكتب إليه أما ما زاده فى طولها فأقره وأما ما زاده فى الحجر فردّه إلى بنائه وسد بابيه الذى فتح ففعل ذلك كما فى مسلم.

وذكر الفاكهي أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج فى هدمها ولعن الحجاج وفى مسلم نحوه من وجه آخر وقد أراد الرشيد أو أبوه أو جده أن يعيده على ما فعل ابن الزبير فناشده مالك وقال أخشى أن يصير ملعباً للملوك فتركه واستمر ما فعله الحجاج إلى الآن وسيبقى إلى تخريب الحبشة للكعبة فقال العلماء إن هذا البناء لا يغير ولم يتفق لأحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شيء مما فعله الحجاج إلا فى الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترقيم فى الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيها الرخام وأول من قرشها به عبد الملك قال الزرقاني فالمتحصل من الآثار كما أفاده الفتح والإرشاد والسبل وشفاء الغرام أنها بنيت عشر مرات، وقد علمتها. وزعم بعضهم أن عبد المطلب بناها بعد قصي وقبل بناء قريش قال الفاسي ولم أره لغيره وأخشى أن يكون وهما اهـ. المراد منه.

وبعض ما قدمته من الاكتفاء وفى الإكتفاء أن آدم على بنائه له بناء من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتاء ولبنى والجودي وبنى قواعده من حراء وفيه أن آدم وحواء أسساه بصخر أمثال الخلفات أي النوق الحوامل أذن الله للصخر أن تطيعهما فلما مات آدم وليه بعده ابنه شئت فكان كذلك حتى حجه نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع البيت وبقيت قواعده وعلى أن شئت أول من بنى الكعبة فإنها كانت قبل أن يبنيتها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم وياتسرها لأنها أنزلت إليه من الجنة وأول من بناه بعد رفعه إبراهيم اهـ. المراد منه.

(بيان مبعث النبي الهادي صلى عليه خالق العباد)
المبعث الإرسال والنبي تقدم اشتقاقه عند قوله بجاء المصطفى النبي وهو من أوحى إليه بواسطة ملك أو دونه سواء أمر مع ذلك بالتبليغ أو لم يؤمر به فإن أمر بالتبليغ فرسول وإلا فنبي غير رسول هذا هو المشهور الذى عليه الجمهور كما قاله القاضى عياض والسنوسى وغيرهما. وقال التفتازانى بتردافهما وأن كلا منهما مأمور بالتبليغ وهى طريق المشاركة وقيل بينهما عموم وخصوص بإطلاق لكن لا على الوجه المتقدم وعليه فالنبي أعم لأنه من أوحى إليه كان له كتاب أو

شرع جديد أو لم يكن، ويخص الرسول بمن أوحى إليه وكان له شرع جديد أو كتاب، والهادى المرشد للعباد إلى دين الله تعالى، ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى تعيين الآتى له بالوحي من الله تعالى وتعيين المكان الذى أتاه فيه والسن التى أوحى إليه عند بلوغها وغير ذلك مما يتعلق بأمر البعثة مما سيذكره فقال:

(وجاءه) أي النبي صلى الله عليه وسلم (جبريل) سيد الملائكة على مذهب الجمهور وقيل ميكائيل أفضل منه وهما أفضل من جميع الملائكة اتفاقا قاله البيجوري وجبريل هو صاحب الوحي إلى الأنبياء على نبينا وعلى جميعهم الصلاة والسلام، ومعناه عبد الله، قال فى القاموس وجبرائيل أي عبد الله، وفيه لغات كجبرعيل وحزقييل وجبرعل وسمويل وجبراعيل وجبرعل وحزعال وكربال وبسكون الياء بلا همز كجبريل وبفتح الياء جبريل وبياءين جبرييل وجبرين بالنون ويكسر اهـ..

(في غار حرا) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء والمد والتذكير على الصحيح وحكى الفتح والقصر وهي لغة مصروف على إرادة المكان ممنوع على إرادة البقعة فيذكر ويؤنث جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى متى وزعم الخطابي خطأ المحدثين فى قصره وفتح حائه والأربعة فى قباء أيضا وجمعها القائل:

حيا وقبأ ذكر وأنثهما معا ومد واقصر واصرفن وامنع الصرفاء
قاله الزرقاني.

(من بعد أربعين عاما غبرا) أي مضى يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان أول مجيء جاءه جبريل له صلى الله عليه وسلم بالوحي أي كلام الله عز وجل بعد أن أتم أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذى قاله جمهور العلماء، قال السهيلي وهو الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر، النووي وهو الصواب المروي فى الصحيحين عن ابن عباس وأنس وقيل وأربعين يوما، وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين، وعن مكحول أنه بعث بعد اثنين وأربعين سنة، وقيل ابن ثلاث وأربعين، وهو شاذ، وقيل خمس وأربعون، وهو أشد منه قال الخطابي وجمع بأن ذلك حين حمى الوحي وتتابع (في يوم الإثنين) متعلق بجاء أي وجاءه

جبريل فى يوم الاثنين ويشهد له ما رواه مسلم عن أبى قتادة الحارث بن ربعي بكسر الراء شهد المشاهد إلا بدرا ففيها خلف أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الإثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل علي وفي رواية لمسلم فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أوقال أنزل علي فيه والمشهور الذى عليه الأكثر أنه بعث فى رمضان قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر وصححه الحافظ العلائي، قال فى الفتح فعلى الصحيح المشهور أن مولده فى ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر وعلى أنه بعث فى رمضان فالذى اقتصر عليه القسطلاني فى الإرشاد وبه صدر فى المواهب أنه بعث يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع منه وقيل لأربع وعشرين ليلة منه وقال ابن عبد البرّ والمسعودي بعث يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وبه صدر ابن القيم وعزاه للأكثرين ثم حكى أنه كان فى رمضان قال فى الفتح فعلى هذا يعنى كونه بعث فى ربيع يكون عمره أربعين سنة سواء، وجمع بين النقلين بما فى حديث عائشة أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة وحكى البيهقي أن مدتها ستة أشهر فيكون نبىً بالرؤيا فى ربيع الأول ثم أتاه جبريل فى رمضان وحمل عليه بعضهم الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، لأن مدة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة فيها ستة أشهر منأما وذلك جزء من ستة وأربعين وأما الجمع بين نزول اقرأ فى رمضان وأول المدثر فى ربيع فاعترض بأن نزول المدثر بعد ثلاث سنين وقيل كان ابتداء المبعث فى رجب لسبع وعشرين منه، اهـ. ملخصاً من المواهب وشرحها.

تنبيه:

أختلف فى المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقوال:
* أحدها اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ كل حرف بقدر جبل قاف، وتحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله،
* الثاني ان جبريل نزل بالمعاني خاصة وعلم صلى الله عليه وسلم تلك

المعاني وعبر عنها بلغة العرب لظاهر قوله نزل به الروح الأمين على قلبك،

* الثالث أن جبريل ألقى عليه المعنى وعبر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماوات يقرؤنه بالعربية اهـ. من الزرقاني.

وقريب منه اليوسي في حاشية الكبرى، فعلى الأول يكون جبريل تلقى الحروف من اللوح وعلى كلا القولين الأخيرين يكون جبريل سمع كلام الله تعالى القائم بذاته الذي ليس بحرف ولا صوت ولكن على الأول منهما عبر جبريل عما فهمه من كلام الله تعالى بلغته للنبي صلى الله عليه وسلم فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عما فهمه من كلام جبريل بلغته التي هي العربية وعليه فألفاظ القرآن مخلوقة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الأخير فألفاظه مخلوقة على لسان الملك، وهي التي نزل بها، ويدل على أن المنزل الألفاظ ظاهر قوله تعالى قل نزله روح القدس انظر اليوسي.

(... بسورة العلق صلى عليه الله فالق الفلق)

المجروح متعلق أيضا بجاء يعني أن أول ما نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن سورة العلق وهي إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق والعلق الدم المجتمع الغليظ لأن أول الإنسان نطفة ثم يكون علقة والفلق الصبح وفالقه خالقه وهو الله تعالى، قال المفسرون في قوله تعالى {فالق الإصباح} وهو مصدر بمعنى الصبح أي خالق الصبح، فالفلق هو الخلق وقيل الفلق الشق وهو على حذف مضاف أي فالق ظلمة الصبح انظر الريان. وأشار بهذا إلى ما رواه البخاري وغيره ففي كتاب التعبير منه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال إقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ

منى الجهد ثم أرسلنى فقال إقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال إقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال إقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملونى، زملونى. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال يا خديجة ما لى.. وأخبرها الخبر، وقال قد خشيت على فقلت له كلا أبشر والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها أخو أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له خديجة أي ابن عمى اسمع من ابن أخيك! فقال ورقة ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك. وقال صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم؟ فقال ورقة نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدى منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك لرسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك، انتهى.

والرؤيا الصادقة التى لا تكذب فيها وفى بدأ الوحي الصالحة هما بمعنى بالنسبة للآخرة فى حق الأنبياء، وأما بالنسبة لأمر الدنيا فالصالحة فى الأصل أخص، فرؤيا الأنبياء كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الأكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كرؤيا يوم أحد ومثل فلق

الصباح أي شبيهة له فى الوضوح، وقال البيضاوي شبه ما وجده فى الخارج طبقا لما رآه فى النوم بالصباح فى إنارته و وضوحه .
والفلق الصباح لكنه لما استعمل فى هذا المعنى وغيره أضيف إليه للتخصيص، ويتحنت يتجنب الحنث أي الإثم، كتحوب وتأنم أو هو بمعنى رواية ابن هشام يتحنف أي يتبع الحنفية دين إبراهيم والفاء تبدل ثاء وقوله وهو التعبد من إطلاق المسبب على السبب على التفسير الأول، وعلى الثانى ظاهر واللىالى ظرف نصب بيتحنث وهل تعبد قبل البعثة بشريعة أم لا؟ قولان:

الجمهور على الثانى، واختار ابن الحاجب والبيضاوي الأول يعنى أنه بشرع إبراهيم أو موسى أو عيسى أو بجميع الشرائع، ونسب للمالكية أو الوقف أقوال، ولم يأت تصريح بصفة تعبد بحراء وعن ابن المرباط كان يتعبد بالفكر وقوله لمثلها أي الليالى وفجئه بكسر الجيم وتفتح والحق الوحي والملك جبريل اتفاقا وقوله فقلت كذا فى رواية الأكثر، وفى رواية أبى ذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وغطنى بغين معجمة وطاء مهملة ضمنى وعصرنى والجهد بالنصب وفاعل بلغ هو الغط وبالرفع والمفعول محذوف أي بلغ منى الجهد، مبلغه، وما أنا بقارئ أي لا أحسن القراءة أي حكى كسائر الناس من أن القراءة لا تحصل إلا بالتعلم، وقوله فرجع بها أي بالآية وترجف بضم الجيم تضطرب، والبوادر بفتح الموحدة وخفة الواو فألف فдал مهملة فراء جمع بادرة ما بين المنكب والعنق، قال فى المواهب ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه السلام، فإنه صلى الله عليه وسلم أجل من ذلك وأثبت جنانا، بل غبطة أي فرحا لحاله وقيل خاف من ثقل أعباء النبوة انتهى . وزملونى أي غطونى، وزملوه أي لفوه أي خديجة ومن معها، ولا يخزيك بضم التحتية وسكون المعجمة وكسر الزاء فتحشية ساكنة أي لا يفضحك والكل بفتح الكاف وشد اللام من لا يستقل بأمره زاد هنا فى بدء الوحي وتكسب المعدوم بفتح التاء فى الأشهر، وروي بضمها، أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، يقال كسبته مالا وأكسبته إياه

بمعنى وتقرى بفتح الفوقية ثلاثي قال الأبى وسمع بضمها رباعيا والنائب الحوادث وهي جامعة لما سبق ولغيره، وقيدت بالحق لأنها تكون فيه وفى الباطل أي فلا يصيبك مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق. وفيه دلالة على أن ذلك سبب للسلامة من مصارع السوء وفيه مدح الإنسان فى وجهه لمصلحة، وأما حديث «أحثوا التراب فى وجوه المداحين» ففى مدح بباطل، أو تؤدى إلى باطل، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة وكمال خديجة وجزالة رأيها وانطلقت به أي معه فالباء للمصاحبة وأخو أبيها بالرفع خبر مبتدء محذوف والناموس صاحب السر والمراد به جبريل وأهل الكتاب يسمونه الناموس الأكبر والعبرانية بكسر العين وهي لغة التورية وأما الإنجيل فالمشهور أنه سرياني، وقيل عبراني وجذا بال نصب وهو المشهور فى الصحيحين خبر أكون مقدرة أو حال من الضمير المستكن فيها أي مدة النبوة أو على أن ليت تنصب الجزأين كقوله:

يا ليت أيام الصبا رواجعا ...

وهو بفتح الجيم المعجمة أي شابا، أو مخرجي؟ بفتح الواو وشد الياء مفتوحة خبر مقدم لهم، ويومك يوم انتشار نبوءتك ومؤزرا يضم الميم وفتح الزاء المشددة آخره راء مهموز من الأزر أي القوة أي قويا بليغا، وقال أبو شامة يحتمل أنه من الإزار إشارة إلى تشميره فى نصرته قال الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا ما زهرهم دون النساء ولو باتت بأطهار
ولم ينشب بفتح التحتية والمعجمة أي لم يلبث وأن توفي بفتح
الهمزة بدل اشتمال من ورقة أي لم تتأخر وفاته وفترة الوحي بعد
مجيئه له فى غار حراء، كانت مدتها ثلاث سنين على ما فى المواهب،
وقيل سنتان ونصف وفى المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني ودليل
كونها ثلاث سنين ما فى تاريخ الإمام أحمد عن الشعبي أنزلت عليه
صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوءته
إسرافيل ثلاث سنين وكان ياتيه بالكلمة والشيء أي الأفعال والآداب

التي يعلمها له، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه لأن إنزال الكتب الإلهية من خصائص جبريل، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوءته جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة اهـ.. وما ذكر من أن أول ما أنزل عليه إقرأ، هو الصواب وهو الذي عليه الجماهير من الخلف والسلف كما قاله النووي، وأما ما روي أن أول ما نزل مطلقاً أول سورة يا أيها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل، وإنما أنزلت يا أيها المدثر بعد فترة الوحي، وقوله حزن بكسر الزاي وجزم عياض بأن هذا من قول معمر وخالفه السيوطي والقسطلاني تبعاً للحافظ وقالوا هو شيخه الزهري، وقوله غدا يغين معجمة من الذهاب غدوة وبمهملة من العدو وهو الذهاب بسرعة ويتردى يسقط وشواهد الجبال طوالها وأوفى بفتح الهمزة والفاء وسكون الواو أشرف، والذروة بكسر الذال المعجمة وتفتح وتضم وإلقاؤه لنفسه للإشفاق أن تكون الفترة لسبب منه، فخشي أن تكون عقوبة من ربه، ففعل ذلك ولم يرد بعد شرع بالنهي عنه فيعترض به وجأشه بجيم فهمزة ساكنة فشين معجمة أي اضطراب قلبه وتقر بفتح الفوقية والقاف والعطف تفسيري، قال القاضي عياض وابتدأ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوءة بغتة فلا تحملها قوى البشر، فبدأ بأوائل خصال النبوءة وتبشير الكرامة من المرائي الصادقة الصالحة الدالة على ما يؤول إليه أمره.

تنبيه:

قال غير واحد لم يبعث نبي إلا بعد أربعين سنة، لأنها سن كمال القوة والعقل، قال الزرقاني وهذا الحصر شامل لجميع الأنبياء حتى يحيى وعيسى وهو الصحيح، ففي زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، لا يعرف به أثر متصل يجب الرجوع إليه. قال أبو شامة وهو كما قال والمصرح به في الأحاديث النبوية أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين، ففي الطبراني بسند رجاله ثقة أنه صلى الله عليه

وسلم قال فى مرضه الذى توفي فيه لفاطمة إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام مرة، وإنه عارضنى بالقرآن العام مرتين وأخبرنى أنه لم يكن نبى إلا عاش نصف الذى قبله وأخبرنى أن عيسى بن مريم عاش مائة وعشرين سنة، ولا أرانى إلا ذاهبا على رأس الستين اهـ.. وجزم السيوطي بأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين اهـ..

(فقام يدعوا الإنس والجن إلى توحيد رب العالمين مرسلًا) أشعرت الفاء بالفورية، وقام بمعنى شرع والتوحيد أفراد الإله بالعبادة واعتقاد أنه واحد فى ذاته، فليست ذاته مركبة من الأجزاء ولا ذات تماثلها، وواحد فى صفاته، فلا صفة تماثل صفته تعالى وواحد فى أفعاله، فلا فعل لشيء سواه، فهو الخالق لجميع المخلوقات وأفعالها، والرب المالك، والعالمين جميع الخلائق، ومرسلًا حال من الضمير فى قام، يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما أتاه جبريل عليه السلام بأنه مرسل إلى كافة الثقليين لم يتوانى فى دعائهم إلى ما أرسل به طرفة عين، بل شرع يدعو الثقليين وهما الإنس والجن إلى توحيد الله تعالى، حال كونه مرسلًا إليهم من الله تعالى قال اليوسفي فى حواشى الكبرى لا نزاع بين المسلمين أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الثقليين جميعاً الإنس والجن، مؤمنها وكافرها، عربها وعجمها، جاهليها وكتابيها، والدليل على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الكل أنه صلى الله عليه وسلم ادعى ذلك، وقال إنه خاتم النبيئين وأقام على ذلك المعجزات فوجب تصديقه فى كل ما قال، والقرآن الذى هو أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم مفسح بذلك، قال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس، {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً} ليظهره على الدين كله، هذا فى حق الإنس وأما الجن فقال تعالى: {قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن} (الآية). وقال: {وإذ صرفنا إليك نفر من الجن} (الآية). وقد قيل إن لفظ الناس يشملهم. الجوهري: الناس يكون من الإنس والجن، وقال ابن عقيل الجن داخلون فى مسمى الناس لغة، وقال صاحب أحكام الجان لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى أنه صلى

الله عليه وسلم مرسل إلى الإنس والجن وفى الحديث: «بعثت إلى الأحمر والأسود». قيل المراد الإنس والجن، وأما الملائكة فقليل إنه مبعوث إليهم وصححه السبكي والسيوطي، وقيل لم يبعث إليهم، وبه قال البيهقي والحليمي والعراقي والنسفي والفخر، وغيرهم وحكى بعضهم عليه الإجماع، وذهب قوم إلى أنه مرسل إلى جميع الأنبياء وأممهم السابقة وأن قوله صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الخلق كافة شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة وحكاه السيوطي عن السبكي قال ورجحه المازري، وقال السيوطي إنه مرسل إلى حور الجنة وولداتها. اهـ. المراد من اليوسي.

وما مر من قوله قيل المراد الإنس والجن وقيل المراد بالأحمر والأسود العرب والعجم، وهو الذي اقتصر عليه فى شرح الشفاء.

(مؤيدا) حال بعد حال وهو بصيغة اسم المفعول أي مقوا هو أي الرسول صلى الله عليه وسلم على دعواه الرسالة أي مصدقا، (منه) أي من الله تعالى، (بما) أي بالذي، (أعياى البشر إحصاؤه) يقال أعياى السير البعير إذا أكله والبشر محركة الإنسان ذكرا أو أنثى واحدا أو جمعا، والإحصاء العد، يقول قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الثقلين إلى توحيد الله تعالى حال كونه مقوا من الله تعالى بما أكل بنى آدم عده (من معجزات) تبين لما، (كالمطر) الغيث (نفعا) منصوب بنزع الخافض أي مثل الغيث فى الانتفاع والنفع إيصال الخير ودفع الضر (وكثرة) عطف على ما قبله (وكالسراج نورا ورفعة) السراج هنا الشمس والنور الضياء، والرفعة بكسر الراء العلو (مع ابتهاج) أي حسن وجمال ومراد الناظم تشبيهه معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر فى الكثرة والانتفاع به، ولا شك أن الانتفاع بالمعجزة أعظم بكثير من الانتفاع بالمطر بل لا مناسبة بينهما لأن المعجزة هي دليل صدق الرسول فهي سبب الإيمان به الذى يحصل به فى هذه الدار الأمان والعصمة للأموال والأبدان، وفى الآخرة النجاة من النيران والفوز بفرايس الجنان، ومحاسن الحور والولدان، بفضل الكريم المنان، وتشبيها أيضا بالشمس

فى الضياء والعلو والحسن، ولا شك أن معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه أرفع من الشمس وأنور وأحسن منها وأظهر، وكيف لا ومنها وهو أعظمها القرآن الذى عجز عن معارضته جميع البلغاء والفصحاء مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء، وأقر جميع العقلاء بأنه أحسن من جميع الكلام وأنهم لم يقدرُوا على الإتيان بمثله فى نشر ولا نظام، والمعجزة فى الأصل اسم فاعل من الإعجاز وهي لفظ أطلق على الآية الدالة على صدق الرسول والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية أو للمبالغة كعلامة قاله اليوسي وهي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي الرسالة مقارن لدعوى الرسالة، متحدى به قبل وقوعه، غير مكذب ولا يقدر أحد على معارضته، قال السنوسي وعبر بأمر دون فعل لشموله للفعل كنبح الماء وعدمه، كعدم إحراق النار وخرج بالخارق للعادة الموافق لها وبالجاري على يد مدعى الرسالة الكرامة، لأنها على يد مدعى الولاية واحترز به أيضا من أن يتخذ الكاذب معجزة نبي قبله معجزة له هو إذ لم تظهر على يده، واحترز بقوله متحدى به إلخ.. عن الخوارق الواقعة قبل البعثة إرهاسا بكسر الهمزة، أي تأسيسا للنبوة مصدر أرهص الحائط، جعل له رهصا أي أساسا كما فى اليوسي وذلك كشق الصدر وإظلال الغمامة الواقعين له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وأصل التحدى طلب المعارضة، يقال تحديت فلانا إذا نازعته الغلبة، وأصله من المباراة فى الحداء وهو هنا كما قال السنوسي عبارة عن قول الرسول آية صدقى أن يكون كذا.. ولبس من شرط التحدى أن يقول ولا يأتى أحد بمثل ما جئت به، لكن لابد من عدم صدور المعارضة ممن يبغيتها، وقال الهيثمي أن قيد التحدى إنما يخرج ما قبل البعثة ولا يخرج المتأخر عنه ولا يخرج عن المقارنة العرفية لأنه يلزم عليه إخراج أكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم، كمنطق الحصى ونبع الماء وحنين الجذع مع أن اصطلاح السلف ومنهم الإمام أحمد على إطلاق المعجزة على كل خارق ليس بسحر، اهـ. كلامه.

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث دعا الناس إلى الإيمان فكان

أول الناس إيماناً خديجة كما مرّ وحكى ابن عبد البرّ والشعلبي
والسهيلي عليه الاتفاق. وقال ابن الأثير لم يتقدمها رجل ولا امرأة
بإجماع المسلمين، فأمن بعدها صديق هذه الأمة أبو بكر واسمه عبد الله
بن عثمان أبي قحافة، وكان أبو بكر يسمى أيضاً عتيقاً، إما لحسنه أو
لسبقه إلى الإسلام، أو لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله
أعتقه من النار أو لأن أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم إن هذا
عتيقك من الموت، لأنه كان لا يعيش لها ولد وكونه أول من آمن بعدها
قاله ابن عباس واستشهد بقول حسان رضي الله عن جميعهم:

إذا تذكرت شجوى من أختي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها إلى النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرسلا
ووافقهما على ذلك الأخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر
الراء فتحتحية ساكنة واسم الأخنس أبي وهو ثقيفي حليف لبني زهرة
صحابي من مسلمة الفتح وشهد حنيناً وأعطى مع المؤلفة وتوفي أول
خلافة عمر، ذكره الطبري وابن شاهين، ووافقتهم أسماء بنت أبي بكر
وإبراهيم النخعي وابن الماجشون وقيل أسلم قبله وبعد خديجة علي
قاله أبو ذر وسلمان وجابر وأبو سعيد الخدري بضم المعجمة وقتادة
وقطع به ابن اسحاق ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن مسلم الزهري
وحكاة العراقي عن أكثر العلماء، وقال الحاكم لا أعلم فيه خلافاً بين
أصحاب التواريخ، قال والصحيح عند الجماعة أن أبا بكر أول من أسلم
من الرجال البالغين ثم زيد بن حارثة ثم عثمان بن عفان والزبير وسعد
بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله أسلموا
بدعاء أبي بكر فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم
أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة والأرقم بن أبي الأرقم المخزوميان رضي
الله عن جميعهم. ولبعضهم:

أول الناس بالنبي اقتداء أم أولاده الكرام الجسود
فعلي ثم ابن حارثة الكل جبي زيد مولى النبي المجيد

ثم إذ آمن العتسيق دعى الناس فجاءت عصابة كالفريد وهي عثمان والزبير وسعد وابن عوف وطلحة بن عبيد ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به ثم ان الله تعالى أمر رسوله أن يصدع بما أمر به أي يظهره فصدع بما أمره به وكان إظهاره لأمره بعد ثلاث سنين من مبعثه فيما يقال، ومع ذلك لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه بل كانوا إذا مرّ عليهم فى مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب، يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى عاب آلهتهم وعبادتهم لها، وكان ذلك سنة أربع من النبوة فأجمعوا على خلافه وصمموا على عداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وحذب عليه بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أي عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه ومنعه منهم فاشتد الأمر بينهم حتى تضاربوا بالفعل كما جاء أن سعد بن أبي وقاص كان فى نفر من قريش يصلون فى بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين فعابوا صنعهم حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلا منهم بلحي بغير فشجه فكان أول دم أريق فى سبيل الله، وتذامرت قريش أي حض بعضهم بعضا على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب وبنى هاشم ما عدى أبا لهب، وبنى المطلب بن عبد مناف إذ طلب منهم أبو طالب ذلك، (ومع ذا) الذي رأوا منه صلى الله عليه وسلم من الآيات الدالة على صدقه، (حاصره) قال فى القاموس حصره وحاصره حبسه وحصار العدو معروف اهـ... (الفجار) جمع فاجر وهو المنبعث فى المعاصي يعنى كفار من حاصره من قريش ولا معصية أعظم من الكفر (كما أتت بذلك) الحصار (الأخبار) أي الروايات، وسبب الحصار أنه لما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وبإسلام عمر بن الخطاب وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الإسلام فى القبائل قالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وأجمعوا أن يقتلوه صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك أبا طالب وبنى هاشم وبنى أخيه المطلب فأمرهم أبو طالب فأدخلوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى شعب بنى هاشم وكان منزل بنى هاشم غير مساكنهم وكان لهاشم فقسمة عبد المطلب بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حظ أبيه ومنعوه صلى الله عليه وسلم حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك إئتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم بفتح حرف المضارعة أي لا يتزوجوا منهم، فألى بمعنى من ولا ينكحوهم بضمها أي لا يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله للقتل وكتبوه فى صحيفتهم بخط منصور بن عكرمة، قال ابن إسحاق فشلت يده على ما يزعمون، قال فى النور والظاهر هلاكه على كفره، وقيل بخط بغيض بفتح الموحدة فمعجمتين بينهما تحتية ابن عامر ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عبد الدار ابن قصي فشلت يده، والظاهر أنه لم يسلم وهو بغيض كاسمه، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة وقيل سنة ثمان، وكان كتبها بخيف بنى كنانة كما فى الصحيح وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه فى شعبهم مؤمنهم وكافرهم فالؤمن ديناً والكافر حمية إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً قاله ابن إسحاق، وأو تحتمل الشك والإشارة إلى قول، وجزم موسى بن عقبة بأنها ثلاث سنين، وقال بن سعد سنتين حتى جهدوا لقطع الميرة عنهم وكان لا يصل شيئاً إليهم إلا سرّاً ولا يحجون إلا من مرسم إلى موسم وكان يصلهم حكيم بن حزام وهشام بن عمرو العامري وهو أوصلهم لبنى هاشم وكان أبو طالب مدة إقامتهم فى الشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً أو غائلة، فإن نام الناس أمر أحد بنيهم أو إخوته أو بنى عمه فاضجع على فراش المصطفى وأمره أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها. ثم فى السنة العاشرة أو التاسعة قام فى نقض الصحيفة خمسة رجال وأشدّهم فى نقضها هشام بن عمرو بن الحارث العامري أسلم بعد ذلك رضى الله عنه

وكان يصلهم في الشعب، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاما، فعلمت قريش فكلموه فقال إنى غير عائد إلى شيء خالفكم، ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهل رحمه، أما أنى أحلف بالله لو فعل مثل ما فعل لكان أحسن بنا، فمشى هشام إلى زهير بن أبي أمية رضي الله تعالى عنه أسلم بعد، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أتناكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت؟ فقال ويحك يا هشام ما أصنع، فإنما أنا رجل واحد!؟ والله لو كان معى رجل واحد لقمتم فى نقضها. فقال أنا معك. فقال ابغنا ثالثا. ومشيا إلى المطعم بن عدي فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد؟ فقال إنما أنا واحد. فقالا إنا معك. فقال ابغنا رابعا، فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال ابغنا خامسا، فذهب إلي زمعة بن الأسود فقعدها ليلا بأعلى مكة وتعاقدها على ذلك، فلما جلسوا فى الحجر تكلموا فى ذلك وانكروه، فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل، وفى آخر الأمر أخرجوا الصحيفة ومزقوها وأبطلوا حكمها وروى أنه عليه الصلاة والسلام أطلعه الله على أن الأرضة أكلت ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا أسماء الله فقط، وروى أنها لم تدع إسما لله إلا أكلته وبقي ما عداه، قال البرهان وهو أثبت.

وعلى تقدير تساوى الروايتين يجمع بأنهم كتبوا نسختين فأبقت فى إحداهما ذكر الله وفى الأخرى ما عداه لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك أبا طالب قال له أربك أخبرك بهذا قال نعم. فانطلق فى نفر من بنى هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر ذلك قريش وظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال أبو طالب جرت بيننا أمور لم تذكر فى صحيفتكم فاتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك خشية أن ينظروها قبل أن ياتوا بها، فاتوا بها معجبين لا يشكون أنه صلى الله عليه وسلم يدفع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا

لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال إنما أتيتكم لأمر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني إن الله بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك لله اسما إلا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما قال فأفيقوا. فلا والله لا نسلموه حتى نموت عن آخرنا وإن كان باطلا دفعناه إليكم فقتلتهم أو استحييتهم. فقالوا رضيينا. فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم، فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا. والجمع بين هذا وبين ما مر من سعي رجال في نقضها أنهم لما جلسوا في الحجر وتكلموا وافق قدوم أبي طالب وقومه بهذا الخبر، فزادهم رغبة فيما هم فيه انظر الزرقاني.

وروي أن أبا طالب لما رأى من قومه ما يسره من حذبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ويذكر مكانه ليشتد رأيهم فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا	هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها	علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكننا قديما لا نقر ظلاما	إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحامي حماها يوم كل كرية	ونضرب عن أحسابها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما	بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وروي أن قريشا لما علموا أنه لا يسلمه إليهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد ليتخذوه ولدا ويسلم إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، فقال لهم والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدا! وقال حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم وهذا تعليق لهم على ما لا يقع لأنها لا تحن إلى غيره مع كونها عجماء، فأولى أنا مع أني ذو لب ومعرفة. وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
ودعوتني وزعمت أنك ناصحى
وعرضت ديننا لا محالة أنه
لولا الملامة أو حذار مسيبة

قوله سرها السر لب كل شيء ومحض النسب أفضله والصميم
الخالص والأروم بالفتح ويضم الأصل قاله فى القاموس، وقوله فاصدع
أي أجهر بالشيء الذى أمرت بتبليغه والغضاضة بفتح الغين وضادين
معجمات الذلة، وابشر بحذف الهمز للضرورة وأصله القطع نحو
وأبشروا بالجنة، وقر إلخ.. من قرئت عينه، سكنت وبردت، وعيونا تميز
ولغة نجد كسر القاف وبهما قرئ وقرئ عينا ودعوتنى طلبت منى
الدخول فى دينك، ولا محالة بفتح الميم لا حيلة، أو دفع، والسببة بضم
السين العار، وقال أبو طالب لما رأى تمالؤ قريش عليهم:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم
وقد جأهرونا بالعداوة والأذى
وقد حالفوا قوما علينا أظنة
صبرت لهم نفسى بسمرء سمحة
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى
قياما معا مستقبليين رتاجه
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم
موسمة الأعضاد أو قصراتها
ترى الودع فيها والرخام وزينة
أعوذ برب الناس من كل صاعن
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة
وبالحجر الأسود إذ يمسخونه
وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة

وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد طأوعوا أمر العدو المزائل
يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
وأبيض غضب من تراث المقاول
وأمسكت من أثوابه بالوصائل
لدى حيث يقضى حلفه كل نافل
بمفض السيول من أساف ونائل
مخيممة بين السديس وبازل
بأعناقها معقودة كالعثاكل
علينا بسوء أو ملح ببساطل
ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
وراق لبر فى حراء ونازل
وبالله إن الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
على قدميه حافيا غير ناعل

ومن حج بيت الله من كل راكب
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها
كذبتهم وبيت الله، نبزى محمدا
ونسلمه حتى نصرع حوله
وينهض قسوم في الحديد إليكم
وما ترك قومي لا أبا لك سييدا
وأبيض يستقى الغمام بوجه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
فعبد مناف أنتم خير قومكم
لعمري لقد وهنتموا وعجزتموا

ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
يؤمنون قذفا رأسها بالجنادل
ولما نقضاتل دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والصلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده فى نعمة وفواضل
عقوبة شر عاجلا غير أجل
وأل قصي فى الخطوب الأوائل
فلا تشركوا فى أمركم كل واغل
وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل

قال الزرقاني وما أحلى قوله فى آخرها:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد
فمن مثله فى الناس أي مؤمل
حليم رشيد عاقل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسببة
لكننا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحمد فى أرومة
حدبت بنفسى دونه وحميته

وأحببتسه دأب المحب المواصل
إذا قاسه الحكام عند التسفاصل
يوالى إلهها ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا فى المحافل
من الدهر جدا غير قول التهازل
لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
تقصر عنها صورة المتناول
ودافعت عنه بالذرى والكلال

العري: العهود، والوسائل: القربات، والمزائل: المفارق، والواغل:
الضعيف النذل، والمدعي نسبا: كاذبا والداخل على القوم، والملح: اسم
فاعل من ألح إذا واظب، وثور بمثابة مفتوحة جبل وثبير بفتح المثناة
فموحدة مكسورة فتحية فراء، والراقى: الصاعد، والبر بكسر الموحدة
الطاعة، وهذه النسخة هي الصواب. وأما رواية ابن هشام ليرقى من

الرقى فقال السهيلي هو وهم منه أو من شيخه، وفى الشامية انه تصحيف ضعيف المعنى، فمعلوم أن الراقي يرقى ونبزى بضم النون وسكون الموحدة وفتح الزاء أي نقهر ونسلب، ومحمدا بالنصب كذا ضبطه الشامي لكن فى النهاية أنه بالتحذية بدل النون ورفع محمد على أنه نائب فاعل يبرزى أي لا يبرزى أي لا يقهر، فحذف لا من جواب القسم، ونناضل نجادل ونخاصم، وقال الشامي ترامي بالسهم والذمار والذمار بكسر الهمزة والذال المعجمة ما يحق على الإنسان حمايته، والذرب بذال معجمة وموحدة على زنة كتف سكنت راؤه تخفيفا وهو الحاد والمواكل المتكل على غيره، وقوله وأبيض مجرور برب كما صدر به الحافظ كالكرماني والسيوطي وجزم به فى المغنى أو منصوب قال الحافظ بإضمار أعني وأخص، قال والراجح أنه بالنصب معطوف على سيد المنصوب فى البيت قبله اهـ.. وبه قطع الدماميني فى مصابيحہ واستظهره فى شرح المغنى. أو، مرفوع خبر مبتدأ محذوف وقاله الكرماني وأفاده القسطلاني عن ضبط اليونيفي فى نسخته من البخاري، ويستسقى إلخ.. أي يطلب السقي من الغمام بوجهه، أي يتوسل إلى الله به، وقوله يلوذ به إلخ.. أي وإذا التجأ بنو هاشم فغيرهم أولى، والفواضل الأيادي الجسيمة أو الجميلة وعطفه على النعمة عطف خاص على عام لشمول النعمة للفضيلة والدقيقة، والثمال بكسر المثناة وتخفيف الميم الملجأ والغياث وقيل المطعم فى الشدة وتصح إرادتهما معا، وعصمة للأرامل أي يمنعهم من الضياع، والأرامل المساكين من رجال ونساء وهذه القصيدة قال القسطلاني فى شرح البخاري عدة أبياتها مائة بيت وعشرة أبيات وفى المزهري زاد الناس فى قصيدة أبي طالب هذه بحيث لا يدري أين منتهى اهـ. من الزرقاني.

وفى الجوهري أبزا فلان بفلان: قهره وغلبه. وحديث بكسر الدال أي عطفت، قاله فى محل آخر، اهـ.. والسمراء الرمح، والسمحة اللينة، والعضب: القاطع، والمقاول: جمع مقول كمنبر، وهو من ينفذ قوله، والرتاج: ككتاب الباب، وأساف: كسحاب وكتاب صنم وضعه عمرو بن

لحي على الصفا ونائلة صنم على المروة ورخمه هنا، والقصرات: جمع قصرة بالتحريك وهي أصل العنق، والمخيسة: المذلة، والودع: ويحرك خرن بيض تخرج من البحر شقها كشق النواة تعلق لدفع العين والرخام: كغراب حجر أبيض رخو والعثاكل جمع عثكول أو عثكولة بضمهما أو عثكال كقرطاس وهو العنق أو الشمراخ، والكاشح العدو لأنه يضر عداوته في كشحه، وقوله وبالحجر الأسود فيه حذف نون مفاعيل مثل ألا رب يوم لك منهم صالح، وصمدوا لها: قصدوها، والطائش: خفيف العقل، والسببة: بضم السين العار، والأرومة: وتضم الأصل، والسورة: بفتح السين الارتفاع، والمتناول: المرتفع، والكلاكل: الصدر، قاله جامع غفر الله له.

ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى عظيم حلمه مع قومه صلى الله عليه وسلم مع شدة إيذائهم له فقال:

(وكان قادرا على التدمير لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء منهم ومن أصلا بهم أبناء)

التدمير: الإهلاك. يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يواخذ قومه في تكذيبهم له وحصارهم له وقطيعتهم وإيذائهم له ولأصحابه مع أنه أعطاه الله القدرة على إهلاكهم واستئصالهم أول مرة، لكنه صلى الله عليه وسلم لشدة حلمه ورأفته بهم وشفقته عليهم أخر الدعاء عليهم حتى آمن منهم من أراد الله إيمانه وأمن من أراد إيمانهم ممن خرج من أصلاهم فضمير شاء لله تعالى أي أراد، وضمير به للنبي صلى الله عليه وسلم وأشار بهذا إلى ما رواه الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم لما كذبه قريش أتاه جبريل أي تسلية له وتسكيناً لتأله فقال له إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك وقد أمر ملك الجبال أي بالانقياد لك لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت أي في قومك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، بل أرجو أن يخرج الله من أصلاهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً. وقوله أطبق بضم الهمزة وكسر الموحدة أي أوقع

وأرمني وجواب الشرط محذوف أي فعلت، وفي أصل الدلجي أطبقت لكنه مخالف للنسخ المصححة والأخشبان بخاء وشين معجمتين فموحدة تثنية الأخشب وهو الجبل الخشن، قيل وهما أبو قبيس وقعيقعان، أو الجبل الأحمر الذي أشرف على قعيقعان، وعن ابن وهب هما جبلان تحتها عقبة منى فوق المسجد، وقوله لا يشرك به شيئاً كالمؤكد لما قبله، وقد أمضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالخير اهـ من ابن سلطان.

وفي الشفا أيضا وروى ابن المنكر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فامرها بما شئت، فقال أواخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم، وقوله أواخر عن أمتي أي العذاب الذي استحقوه بكفرهم. ولما كسرت رباعيته وشج وجهه صلى الله عليه وسلم يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم، فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون. وروى أن عمر بن الخطاب قال له بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا} ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله أنظر ما في هذا القول من جماع الفضائل وحسن الخلق وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم رحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم أغفر أو اهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام: لقومي، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون اهـ.

قال ابن سلطان وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجي وقال كل ذلك لكونهم رحمه إذ ما من بيت إلا وله قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع أمته ورباعية بفتح الراء بوزن ثمانية وهي بين التثنية والذات وفي سيرة ابن هشام أنها ثنيته السفلى

اليمنى وجارح شفته السفلى وكاسرها، والعياذ بالله تعالى، عتبة بن أبى وقاص فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي ولم يولد من نسله ولد فيبلغ الحلم إلا وهو أبخر أو اهتم فعرف ذلك فى عقبه اهـ.

والصحيح أنه لم يسلم وعده ابن منده فى الصحابة وأنكر ذلك أبو نعيم وفى المستدرک أنه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن أبى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل بك هذا؟ فأشار إلى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله والذى جرح وجنته فى سيرة ابن هشام انه ابن قميئة لعنه الله. قال يعقوب بن عاصم فسلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله أو فألقاه من شاهق فمات. اهـ..

وروي ان الذي شج وجهه الشريف عبد الله بن شهاب الزهري وأسلم بعد ذلك اهـ من ابن سلطان.

(ثم أعز) الله بالنبي صلى الله عليه وسلم (دينه) الذي هو الإسلام أي قواه غاية التقوية (ونصره) أي أعانه ضمير الفاعل لله تعالى والمنصوب للنبي صلى الله عليه وسلم (وأيد) هو أي الله تعالى أي قوى الدين (الحق) أي الثابت فى نفس الأمر وهو الإسلام (به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم (وأظهره) أي أعلاه على سائر الأديان كلها (وأبطل) أي أذهب (الباطل) وهو الكفر بهذا، فسروا قوله تعالى ويبطل الباطل (والأعداء كبتا) قوله الأعداء مفعول بفعل محذوف ناصب للمصدر الذى هو كبتا أي وكبت الأعداء كبتا والأعداء الكفار وكبت العدو كضرب رده بغيظه وأذله كما فى القاموس (وخزيا) الخزي بالكسر الفضيحة وهو منصوب بمحذوف أي أخزاهم خزيا أي فضحهم ويقال أيضا خزاه خزوا بالواو قهره كما فى القاموس (لهم جزاء) قوله جزاء مفعول مطلق أو مفعول لأجله ولهم متعلق به أي وكبت الأعداء وأخزاهم لأجل المجازاة أي المكافأة لهم على فعلهم وهو الكفر.

(وأمد الحصار فى الشعب على حـولين أربى لا ثلاثا وصلا) قوله أمد مبتدء وخبره قوله أربى والأمد، هنا، الزمان فهو كقوله

تعالى: {فطال عليهم الأمد} قال الخازن أي الزمان، ونحوه للنسفي والشعب بالكسر الطريق في الجبل أو ما انفرج بين الجبلين يعنى أن زمن حصار قريش لبني هاشم يزيد على سنتين ولا يبلغ ثلاث سنين على ما للناظم والذي في المواهب وشرحها أنهم قاموا على حصاره سنتين أو ثلاثا على ما قاله ابن إسحاق، قال الزرقاني وأو يحتمل الشك والإشارة إلى قول وجزم موسى بن عقبة بأن مدته ثلاث سنين وقال ابن سعد إنها سنتان انتهى.

(وعندما انقضى الحصار بممره تسعاً وأربعين كان قدره)
يعنى أن ممره صلى الله عليه وسلم وقت خروجهم من الشعب الذي كانوا فيه زمن الحصار تسع وأربعون سنة وفى الإستيعاب خرجوا من الشعب فى أول سنة خمسین وتوفي أبو طالب بعد خروجهم بستة أشهر انتهى.

وفى المواهب وكان ذلك يعنى انقضاء الحصار فى السنة العاشرة قال الزرقاني من النبوءة بناء على ما صدر به فيما مر أن إقامتهم بالشعب ثلاث سنين، أما على قول ابن سعد سنتين فيكون فى التاسعة والله أعلم أهـ كلامه.

وفى المواهب ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً مات عمه أبو طالب وقيل مات فى شوال من السنة العاشرة انتهى.

وقوله مات عمه أبو طالب أي بعد خروجهم من الشعب فى ثانى عشر رمضان سنة عشر من النبوءة وقوله وقيل مات أي بعد ذلك بقليل فى شوال فقوله من السنة العاشرة متعلق بكل من القولين. وفى سيرة الحلبي أنه مات فى السنة العاشرة بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وعشرين يوماً انظر الزرقاني ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات عمه أبو طالب وخديجة رضي الله عنها خرج إلى الطائف يلتئم النصر من ثقيف لما ناله من قريش بعد موت عمه أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهراً ولابن سعد عشرة أيام وجمع بأن

العشرة فى نفس الطائف والعشرين فيما حولها يدعو أشراف ثقيف إلى الله، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمحاربك من أرضك وأغرو به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم والعياذ بالله تعالى، وقعدوا صفين على طريقه فلما مر بين صفيهم جعل لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم إذا أزلقته بمعجمة وقاف أي ألتته الحجارة قعد فيأخذون بعضديه فيقيمونه لئلا يخف تعبهم وليتمكنوا من رميه فى المراق والمفاصل لأن ألمها أشد فإذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج زيد شجاجا فى رأسه. وفى الصحيح أن عائشة قالت له صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟ قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق ما أنا فيه إلا وأنا بقرن الثعالب فعرفت نفسى وإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت إليها فإذا فيها جبريل فنادانى فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وما ردوه عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بأمرك إن شئت أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

قوله لقيت من قومك: سقط المفعول فى رواية مسلم وثبت فى البخاري بلفظ لقيت من قومك ما لقيت وأبهمه تعظيما وقوله أشد بالرفع أو بالنصب واسم كان عائد على مقدر هو مفعول لقد لقيت، وقوله ما لقيت منهم أي من قومك قريش، إذ كانوا سببا لذهابى إلى ثقيف فهو من إضافة الشيء إلى سببه فلا يرد أن ثقيفا ليسوا من قومها والعقبة قال شيخنا لعل المراد بها هنا موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل وقوله ابن عبد ياليل ابن عبد كلال كذا فى الحديث

والذي ذكره أهل المغازي أن الذي كلمه صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ وغيره، وعبد ياليل بتحتية بعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم لام بوزن هابيل قال ابن حبان له صحبة وقال غيره إنما هو ولده مسعود اختلف فيه وعبد ياليل ومسعود وحبیب بنو عمرو بن عوف وهم سادة ثقیف ومسعود وحبیب أسلما بعد وصحباً كما جزم به فی الإصابة وکلال بضم الکاف وتخفیف اللام آخره لام بعد ألف وقرن الثعالب جبل هو ميقات أهل نجد انظر الزرقاني.

ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف مرّ في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما من يساتين الطائف فلما رأيا ما لقي عليه السلام تحركت رحمهما فبعثا له قطف عنب مع غلامهما عدّاس، بفتح العين وشد الدال فألف فسين مهملات، النصراني، فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف قال بسم الله ثم أكل فنظر عدّاس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك؟ قال نصراني من نينوى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال عدّاس وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال ذلك أخى وهو نبي مثلى، فأكب عدّاس على رأسه ويديه ورجليه يقبلهما وأسلم رضي الله عنه، فلما جاء لابني ربيعة قالوا له ويلك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه؟ فقال يا سيديّ بشدّ الياء مثنى ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي قالوا له ويحك لا يصرفك عن دينك فإنه خير من دينه. والقطف بكسر القاف العنقود ونينوى بكسر النون وسكون التحتية فنون مفتوحة على الأشهر وروي بضمها فواو مفتوحة فألف قال ياقوت مماله، ومتى بفتح الميم وشدّ الفوقية مقصور اسم أبيه وفي تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه ورده الحافظ اهـ. من المواهب وشرحها.

وإنما ذكرت هذه القصة هنا لأن قصة الجن التي ذكر المؤلف كانت في

منصرفه من الطائف سنة عشر وهو صلى الله عليه وسلم ابن خمسين سنة كما قال:

(وبعدما أكمل خمسين سنة جن نصيبين أتته مذعنه)

قوله جن مبتدأ ونصيبين بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة فتحتيّة ساكنة فموحدة مكسورة فتحيّة ساكنة أيضا فنون: بلد مشهور ويجوز صرفه وتركه. وفى خبر أن جبريل رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم ورأها قال فسألت الله أن يعذب ماؤها ويطيّب ثمارها ويكثر مطرها وهي فى الجزيرة كما فى مسلم ووهم من قال باليمن، قاله الزرقاني وخبر المبتدء قوله أتته ومذعنه بضم الميم وسكون الذال المعجمة وكسر العين فنون فهاء تأنيث حال اسم فاعل من أذعن له أي خضع وانقاد وأقر وأسرع فى الطاعة كما فى القاموس وقوله بعد معمول لأتته يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فجاءه سبعة من جن نصيبين خاضعين له مقرين برسالته مسرعين فى طاعته وذلك بعدما أتم صلى الله عليه وسلم خمسين سنة فوجدوه يصلى فى جوف الليل فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن وقيل إقرأ وقيل الرحمن وجمع لأن إقرأ فى الأولى والرحمن فى الثانية والجن فى الثالثة وكونهم سبعة هو الذى رواه الحاكم فى المستدرک وابن أبى شيبه وأحمد بن منيع وإسناده جيد واسم أحدهم زوبعة وقيل كانوا تسعة وفى تفسير عبد بن حميد أن الجن من نينوى وقيل ثلاثة من نجران وأربعة من نصيبين وعن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وهؤلاء الوفد هم المذكورون بقوله تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن} (الآية)، وسمى السهيلي فى الروض عن ابن دريد منهم منشأ بميم فنون فشين معجمة وناشئا ونون وشاصر بشين معجمة فألف فصاد فراء، وماضر بميم فألف فمعجمة والأحقب وذكر السهيلي أن واحدا منهم سرق وفى الإصابة أنه بضم السين وفتح الراء المشددة المهملتين وقاف، قال وضبطه العسكري بتخفيف الراء على وزن عمر وأنكر شدّ الراء وعن ابن عباس أنهم

تسعة سليط وشاصر وماضر وحسا ونسا وبجعم والأرقم والأدرس
وخاصر وضبط فى الإصابة خاضرا بخاء وضاد معجمتين وآخره راء.
اهـ..

وفي التجريد أن حديث هامة بن الهيم بن الأريقيس بن إبليس فى
الجنة موضوع وروى ابن حبان والحاكم مرفوعا الجن على ثلاثة أصناف:
صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حياة وعقارب وصنف
يحلون ويظعنون اهـ..

وعن ابن عباس كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة
فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت
النجوم لا يرمى بها قبل المبعث النبوي فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابه
منه فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث
جنوده، وفى الصحيحين فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمن النفر
جماعة أخذوا نحو تهامة فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين
جبلين نخلة فأخبروه أي إبليس فقال هذا الحدث الذى حدث فى الأرض
قال فى المواهب وحديث ابن عباس وحديث ابن مسعود هذا يقتضى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وبهذا
جزم الدمياطي ثم بعد ذلك وفدوا عليه أرسالا فوجا بعد فوج اهـ..

قال الزرقاني عقبه كما تفيد هذه الأحاديث ففى حديث أنهم كانوا على
ستين راحلة وآخر ثلاث مائة وآخر خمسة عشر، وعن عكرمة اثني عشر
ألفا فهذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه فالمتحصل من الأخبار
أنهم وفدوا عليه لما خرجوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها
لاستكشاف الخبر عن حراسة السماء بالشهب فوافقوه صلى الله عليه
وسلم بنخلة عامدا سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر فسمعوا القرآن
وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا
يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا. فأنزل الله قل أوحى إلي وما قرأ عليهم
وما رآهم كما قاله ابن عباس فى الصحيحين وغيرهما وأخرى بنخلة

وهو عائد من الطائف، وأخرى بالحجون، وفي لفظ بأعلى مكة بالجبال لما أتاه داعي الجن فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ورجع لأصحابه من جهة حراء وأخرى ببقيع الغرقد، وفي هاتين حضرة ابن مسعود وخط عليه خطأ بأمر المصطفى وأخرى خارج المدينة وحضرها الزبير وأخرى في بعض أسفاره وحضرها بلال بن الحارث، وبهذا لا يبقى تعارض بين الأحاديث ويحصل الجمع بين نفي ابن عباس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم وبينما أثبتته غيره من رؤيته لهم والله أعلم ولا يشكل ما مر من حراسة الشهب عند المبعث بما روي من أن السماء حرسست بمولده صلى الله عليه وسلم لجواز أن يبقى لهم بعض قدرة الإستماع كاللص فلما بعث زال ذلك بل قال السهيلي إنه بقي منه بقايا يسيرة بدليل وجوده نادرا في بعض الأزمنة وبعض البلاد وقال البيضاوي لعل المراد منهم من كثرة وقوعه انتهى من الزرقاني في موضوعين.

وقوله يصلي الفجر، ولا يعارضه ما ذكر ابن إسحاق من أنه كان يصلي في جوف الليل لأن الأول كان قبل عند المبعث لما منعوا من استراق السمع، نعم وقع لمن ساق القصة التي هنا وهو يصلي الفجر فإن صح فيكون أطلق على الفجر جوف الليل لاتصاله به أو ابتداء الصلاة في الجوف فاستمر حتى دخل الفجر، والمراد بالفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس فسقط اعتراض البرهان بأن صلاة الفجر لم تكن فرضت اهـ.

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمته بهم سمرة وهي بفتح السين وضم الميم شجرة من شجر الطلح وفي الصحيح أنهم سألوه الزاد أي ما يفضل من طعام الإنس فقال: كل عظم ذكر اسم الله عليه هو زادكم يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحما، ولأبي داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه، وجمع بينهما بأن رواية مسلم في حق المؤمنين وهذه في حق شياطينهم، قال السهيلي وهو صحيح تعضده الأحاديث، وكل بعير علف لدوابكم، زاد ابن سلام في تفسيره إن البعير يعود خضرا، وسؤالهم الزاد كان في قصة أخرى كما قال الدمياطي لا في رجوعه من الطائف إذ

لم يشعر بهم صلى الله عليه وسلم حين استمعوه وفى هذا ردّ على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب، قال ابن العربي من نفى عن الجن الشرب والأكل فقد وقع فى إلحاد وعدم رشاد، بل الشيطان وجميع الجن يأكلون ويشربون وينكحون ويولد لهم وذلك جائز عقلا، وتضافرت به الأحاديث فلا يخرج عن هذا إلا حمار، ومن زعم أن أكلهم شم فما شم رائحة العلم اهـ. من المواهب وشرحها.

وقال المحلى فى تفسيره وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن جن نصيبين أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان وقال الثعالبي اختلف الرواة هل هؤلاء الجن هم الوفد أو المتجسسون والتحرير فى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون أن يشعر بهم وهم المتجسسون المتفرقون من أجل رمي الشهب الذى حل بهم وهؤلاء هم المرادون بقوله قل أوحى إلي ثم بعد ذلك وقد عليه وفدهم حسب ما ورد من الآثار اهـ..

وفى الخازن بعد كلام طويل: وروى أن الجن لما رموا بالشهب بعث إبليس سرياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة ثم قال وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عزّ وجلّ نفرا من الجن وهم أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأىكم يتبعنى؟ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال ابن مسعود ولم يحضر معه أحد غيرى، قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك، فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم

وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر، فانطلق إلي فقال لى نمت فقلت لا. والله يا رسول الله لقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا، فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، اهـ. المراد منه.

وفي الخازن أيضا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبداء الأصنام وفى مسلمهم مبتدعة ومنهم من يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع اهـ.

نقله الوالد حفظه الله تعالى فى الريان ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف جالس فى ظل حبة بمهملة فموحدة مفتوحة قال السهيلي وسكونها ليس بالمعروف اشتق لها اسمها من الحبل لأنها تحبل بالعنب والحبة الكرمة فلما اطمأن صلى الله عليه وسلم فى ظلها دعا بالدعاء المشهور المعروف بدعاء الطائف كما نقله العلامة الزرقاني وها أنا أذكره إن شاء الله تعالى تبركا به ممزوجا ببعض كلام الزرقاني عليه وهو: اللهم إليك أشكو ضعف قوتى بضم الضاد أرجح من فتحها وقلة حيلتى فى مخلص أتوصل به إلى القيام بما كلفتنى وهوانى على الناس احتقارهم لى واستخفافهم بشأنى، والشكوى إليه عز وجل لا تنافى أمره بالصبر فى التنزيل لأن إعراضه عن الشكوى لغيره وجعلها له هو الصبر، والله تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ويحب من يشكو ما به إليه، يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين، وصف له تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر لنفسه ما يوجبها، وأنت رب المستضعفين، فى ذكر لفظ رب والإضافة إليهم مزيد استعطاف فطوى فى هذه الألفاظ نحو أن يقول فقونى واجعل لى المخلص وأعزنى فى الناس وعدل إلي الثناء لأن الكريم بالثناء يعطى المرام ولا أكرم منه سبحانه وتعالى، إلى من تكلنى؟ إلى عدو بعيد؟ وسقط لفظ بعيد فى رواية الطبراني، يتجهمنى، بتحتية ففوقية فجيم فهاء مشددة مفتوحات أي يلقاني

بالغلظة والوجه الكريه، ومن المجاز الدهر يتجههم الكرام، والاستفهام للاستعطاف بحذف الأداة أي أتكلمنى إلى عدو بعيد أم إلى صديق قريب ملكته أمرى، جعلته مسلطاً على إيدائى؟ أي لا تجعل لى ذلك إن لم تكن غضباناً علي فلا أبالى بما تصنع بى أعدائى، غير أن عافيتك هي السلامة من البلى والأسقام، أوسع لى فيه، إن الدعاء بالعافية مطلوب، وهكذا عادة الأنبياء إنما يسألون بعد البلاء عنهم، أعوذ بنور وجهك أي ذاتك زاد الطبراني الكريم أي الشريف النافع الدائم نفعه الذى أضأت له السماوات والأرض وأشرقى بالبناء للفاعل أي أضأت له الظلمات أي أزيلت وصلح بفتح اللام وتضم استقام عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل بكسر الحاء وضمها بى سخطك ولك العتبي بضم العين وألف مقصورة أي أطلب رضاك حتى ترضى فى النهاية، استعتب: طلب أن يرضى عنه، ولا حول ولا قوة إلا بك اهـ..

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة فى جوار المطعم بن عدي بعد أن أقام بنخلة أياماً وقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك؟ فقال يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه، ثم انتهى إلى حراء وبعث عبد الله بن الأريقط إلى الأخنس بن شريف ليجيره، فقال أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال إنا بنى عامر لا نجير على بنى كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه فدخل صلى الله عليه وسلم فبات عنده، فلما أصبح تسليح هو وبنوه وهم ستة أو سبعة فقالوا له صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائى سيوفهم بالمطاف فقال أبو سفيان للمطعم أمجير أم تابع، قال بل مجير، قال إذا لا تخفر قد أجزنا من أجزت، فقضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه إلى منزله.

(وبعد واحد مع الخمسينا وأشهر مضت له يقينا
شرفه الرحمن بالإسراء وبعرجه إلى السماء)
يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما مضت من عمره المبارك إحدى

وخمسون سنة وأشهر هي تسعة على ما لليعمري شرفه الله تعالى بالإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، وصلى فيه بالنبیین إماما لهم ثم عرج به إلى السماء فأمر الأنبياء أيضا كما في الشفاء ثم ارتقى حتى جاوز سدرة المنتهى وبلغ إلى موضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولما وصل معه جبريل سدرة المنتهى قال له ها أنت وربك هذا مقامى لا أتعداه. وقوله هذا مقامى بفتح الميم أي موضعى المشار إليه بقوله تعالى: {وما منا إلا له مقام معلوم} وهو سدرة المنتهى التى لم يتجاوزها أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم، قاله النووي، قاله الزرقاني وما ذكره الناظم ذكره ابن سلطان فى آخر ما ذكر من الأقوال مضعفا له فإنه قال بعد قول الشفاء وقد قال غير واحد إنها، يعنى قصة الإسراء كانت قبل الهجرة بسنة ما نصه، ذكر النووي أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الذى نختاره ما قاله شيخنا أبو محمد الدمياطي أنه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الأول اهـ.

وروى السيد جمال الدين أنه كان فى سبعة وعشرين من رجب على وفق ما هم عليه فى الحرمين الشريفين من العمل، وقيل فى ربيع الآخر، وقيل فى رمضان، وقيل فى شوال، وقيل فى ذى الحجة، لأن كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما اهـ. منه.

وقال القاضي أبو الفضل عياض فى الشفاء: لا خلاف بين أئمة المسلمين فى صحة الإسراء به، عليه السلام، إذ هو نص القرآن، قال تعالى: {سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} وقال: {والنجم إذا هوى} إلى قوله {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديث كثيرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها ثم ذكر حديث مسلم عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت

المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقليل من أنت؟ قال جبريل. قيل من معك؟ قال محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقليل من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء عليهما السلام، فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بـيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله تعالى: {ورفعناه مكانا عليا}، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسننها، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك؟ قلت خمسين صلاة، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال فرجعت إلى ربي قلت يا رب خفف عن أمتي، فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى، فقلت حط عني خمسا، فقال إن أمتك لا يطيقون فارجع إلى

ربك فاسأله التخفيف، قال فلم أزل أرجع بين ربي وموسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها فلم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال فنزلت حتى أتيت موسى فأخبرته، فقال أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. وفي حديث ابن شهاب قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح. وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنه حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام اهـ..

والإسراء مصدر أسرى؛ يقال سرى وأسرى إذا سار ليلا قال أهل الإشارة وهم المحققون من الصوفية والحكمة فى تخصيص الإسراء بالليل أنه تعالى لما محى آية الليل أي طمس نورها لتسكن فيه والإضافة بيانية وجعل آية النهار مبصرة أي مبصرا فيها انكسر الليل فجبر بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أعظم الجبر، وقد افتخر النهار بالشمس فقل لا تفخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيخرج شمس الوجود فى الليل إلى السماء، وقيل لأنه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج إنما يحصل الإنتفاع به بإيقاده ليلا، وفى ذلك المعنى قيل:

قلت يا سيدي فلم توثر الـ ليل على بهجة النهار المنير
قلت لا أستطيع تغيير وسم هكذا الوسم فى طلوع البدور
إنما زرت فى الظلام لكي ما يشرق الليل من أشعة نورى
ومعنى الأبيات أنه سأل محبوبة عن حكمة زيارته ليلا دون النهار
فقال أنا بدر وهو إنما يظهر أثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الأثر، وإن
فى زيارته ليلا فائدة تظهر لو زار نهارا وهي إشراق الليل بنوره، اهـ.
من الزرقاني.

وظاهر الآية ان ابتداء الإسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا أنا

فى الحجر عند البيت بين النائى واليقظان أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم كما قال صاحب البردة: سرى من حرم ليلا، وسماه مسجدا لإحاطته به، ولحديث أنه كان فى بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسرى به ويمكن الجمع بينهما بأنه كان فى بيت أم هانىء فرجع إلى المسجد وأتى الحجر وإنما وصف المسجد بالأقصى لبعده من المسجد الحرام، والمراد بالبركة حوله، بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى إلى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالأنهار والأشجار والأزهار والأثمار وقوله والنجم أي الثرىاء أو نجوم السماء أو الرجوم منها وهوى غرب أو طلع أو انقض قاله ابن سلطان والبراق مأخوذ من البرق لسرعته أو من البريق وليس بذكر ولا أنثى قاله الهيثمي فى المنح وقال ابن سلطان هو بضم الموحدة لشدة بريقه ولعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق وقوله دابة أي مركوب أبيض وقوله بيت المقدس لأنه فيه يتقدس من الذنوب والحلقة بإسكان اللام وفتحها ويربط بضم الموحدة وكسرهما مفعوله محذوف أي دوابهم عند باب المسجد، كما صرح به صاحب التحرير، وللترمذي أنه صلى الله عليه وسلم حين انتهى إلى بيت المقدس أشار جبريل إلى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ثم فى ربطها دليل على أن الإيمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي الممالك والحذر ومنه قوله عليه السلام أعقل وتوكل، وقد قال وهب بن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله وقوله اخترت الفطرة أي علامة الإسلام والإستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق، سليم العاقبة، وقوله ابني الخالة لأن أم يحيى إيشاع اخت حنة أم مريم، وقوله شطر الحسن أي نصفه أو بعضه والمراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله إدريس هو سبط شئت وجد والد نوح أول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم، وقوله مكانا عليا هو شرف النبوءة ومقام القربة، وعن الحسن هو الجنة إذ قال لملك الموت اذقنى الموت ليهون عليّ ففعل فأذن الله تعالى ثم حيي فقال له ادخلنى

النار أزدد رهبة ففعل ثم قال له أدخلنى الجنة أزدد رغبة ففعل، ثم قال ملك الموت له أخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج، فقال الله تعالى بإذني دخل دعه وقيل هو فى السماء الرابعة لهذا الحديث وقوله البيت المعمور روي عن علي كرم الله وجهه: البيت المعمور فى السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من الضراحة بمعنى المقابلة إذ هو مقابل للكعبة وسدرة المنتهى أي ينتهي علم الخلائق عندها، والفيلة بكسر الفاء وفتح التحتية جمع فيل والقلال بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفى رواية كقلال هجر بفتحيتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لأنها تقل أي ترفع وليست بهجر التى من توابع البحرين، وقوله فرجعت إلى ربى: إلى الموضع الذى ناجيته فيه أولا، وقوله فتلك خمسون أي بحسب المضاعفة واعلم أن الصلوات الخمس فرضت فى مكة اتفاقا، وكذا الزكاة مطلقا وأما تفاصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها، قال جميعه ابن سلطان وقوله حتى ظهرت بمستوى أي سعدت فى مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على، وقوله أسمع فيه صريف الأقلام أي صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه، وينسخ من اللوح المحفوظ وفى نسخة صرير براءين قاله أيضا والمراد بالحلقة المارة، حلقة باب مسجد بيت المقدس، وجمع بينه وبين ما مر من أن جبريل خرق الصخرة يعني صخرة بيت المقدس فشد بها البراق فإنه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا بالحلقة تأديبا واتباعا للأنبياء فأخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها، كأنه يقول له أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى وأعلى، فلا يكون مركوبك إلا فى داخل المحل، قاله الزرقاني. وقال فى قوله: اخترت الفطرة، قال ابن دحية الفطرة تطلق على الإسلام كخبر كل مولود يولد على الفطرة وعلى أصل الخلقة نحو فطرة الله التى فطر الناس عليها، وقول جبريل اخترت الفطرة أي الذى عليه بنيت الخلقة، وبه نبت اللحم

قال الزرقاني ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء وليس بمراد بل هذا اختصار من الراوى وقال بعد هذا فى قول ابن المنير: إن البراق يكون بلوغه أعلى السماوات فى سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه أي بصره اهـ. وهو مبني على أنه عرج به على البراق أخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه اهـ.

وقال فى المواهب بعد كلام، فأما المعراج ففي غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق بل رقى فى المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به فى حديث عن ابن إسحاق والبيهقي، قال الزرقاني وقال النعماني ما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم رقى فى المعراج فوق ظهر البراق لظاهر الحديث، اهـ.. قال الزرقاني، والمانع موجود وهو أحاديث ربطه البراق بالحلقة اهـ.. والمعراج مرقاة له درجة من ذهب ودرجة من فضة وبه سميت القصة.

الثاني فى حديث عند أبي يعلا والبزار أن البراق إذا أتى أي أقبل على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه أي فلا مشقة على راكبه فى صعود ولا هبوط، وفى رواية عن الواقدي أنه له جناحان قال ابن حجر ولم أره لغيره. قال الزرقاني وهو عجب، مع قول الشامي له جناحان فى فخذه يحفر بهما رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا، ورواه ابن سعد عن الواقدي وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة. ويحفز بفتح التحتية وسكون المهملة وكسر الفاء أي يحث بهما رجليه على سرعة السير اهـ.. وفى الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس له خد كخد إنسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقرة وصدرة ياقوتة حمراء قاله فى المواهب، أي كياقوتة لا أن ذاته ياقوتة قاله الزرقاني.

الثالث: اختلف السلف والعلماء فى الإسراء هل كان بالروح والجسد

أو بالروح فقط، وهل هو يقظة أو منام؟ فذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه بالجسد يقظة في القصة كلها، قال في الشفاء وهو الحق والصحيح وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الإستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة وذهبت طائفة أنه بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحى، وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح اهـ. المراد من الشفاء.

(حتى أراه أكبر الآيات) غاية لقوله بالإسراء وبعبوجه إلى السماء وفاعل أرى عائد إلى الله تعالى والمفعول للنبي صلى الله عليه وسلم يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به الله تعالى وعرج إلى السماء حتى أراه الله تعالى أعظم الآيات أي العلامات الدالة على عظيم قدرته تبارك وتعالى وهذا اقتباس من قوله تعالى: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} واللام للقسم أي والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى، أي الآيات التي هي كبرها وعظماها يعني حين رقى به إلى السماء فأراه عجائب الملكوت، قاله النسفي وقال الخازن يعني رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام، وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى، وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قال رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح، وروى البخاري عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد فوق السماء. وذكر الخازن أن جبريل كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل كما كان يأتى الأنبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الأفق إلى المغرب وأما التي في السماء فعند

سدرۃ المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة التى خلق عليها إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى المراد من كلامه.

(وعاد) أي رجع هو، أي النبي صلى الله عليه وسلم، إلى منزله فى تلك الليلة (بعد الفرض للصلاة) أي بعد أن أوجب الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس وقد مرّ ذلك فى حديث الإسراء واختلف هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينه ليلة الإسراء أم لا؟ ومذهب الجمهور أنه رآه قال المقرئ:

وقد رأى خير الورى الديانا ليلة إسراء به عيانا
فى المذهب المصحح المشهور وهو الذى ينمى إلى الجمهور انتهى.

وروى الترمذى عن ابن عباس قال إن الله اصطفى إبراهيم بالخلّة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية. وقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلّم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال بهذا أنس بن مالك وعكرمة والحسن، وكان يحلف عليه، وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى ذرّ وأحمد بن حنبل، وروى عن أبى الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه واختلف هل كلمه ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا؟ فعن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس، اهـ من الخازن.

وفيه بعد هذا قال الشيخ محي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عزّ وجلّ بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بإسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا مما لا ينبغى أن يشك فيه اهـ..

وفى الجزء الأول من المواهب اللدنية ممزوجا ببعض كلام الزرقاني، ولما كان فى شهر ربيع الأول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال خمسة أقوال:

* أسرى بروحه وجسده يقظة لا مناما مرة واحدة فى ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه

* وقيل وقع الإسراء والمعراج مرتين مناما يقظة

* وقيل وقع الإسراء فى ليلة والمعراج فى ليلة

* وقيل الإسراء يقظة والمعراج مناما

* وقيل الخلاف فى أنه يقظة أو مناما خاص بالمعراج لا فى الإسراء.

وقيل الإسراء مرتان يقظة: الأولى بلا معراج والثانية به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سموات إلى حيث شاء العلي الأعلى ورأى ربه بعيني رأسه وأوحى إليه ما أوحى، ابهمه للتعظيم فلا يطلع عليه، أو الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك أو تخصيصه بالكوثر أو الصلوات الخمس أقوال. وفرضت عليه الصلاة ثم انصرف ليلته إلى مكة فأخبر بذلك الناس مؤمنهم وكافرهم فصدقوه الصديق، قيل لقب بذلك يومئذ وكل من آمن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له، وفى البخاري فجلى الله لى بيت المقدس أي كشف الحجب بينى وبينه حتى رأيت، وعند أحمد والبزار فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعتته وأنا أنظر إليه فجعل ينظر إليه ويصفه، قال الزهري وكان بعد المبعث بخمس سنين، ورجحه القاضي عياض كما فى الفتح ورجحه القرطبي والنووي ثلاثتهم فى شرح مسلم قال الزرقاني والذى فى الفتح عن الزهري أنه قبل الهجرة بخمس سنين وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدي، فعلى هذا كان بشوال انتهى المراد منهما. (صلى عليه) أي على النبي صلى الله عليه وسلم ربنا أي مالكننا جميع المخلوقات (وسلما وآله وصحبه وكرما) أي أعطاه كل ما يليق به.

(بيان هجرة النبي المختار والغزو والحج والإعتمار)
أي هذا بيان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أي خروجه من مكة

داره ودار آبائه زاده الله تعالى تشريفا إلى المدينة المنورة، دار أخواله وأنصاره ومحل قبره الشريف، خير بلاد الله تعالى وبيان غزواته وحجه وعمرته صلى الله عليه وسلم.

ولنقدم أولا ذكر بيعة الأنصار له صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة لأنها توطئة للهجرة وذلك أن الله تعالى لما أراد إظهار دينه وإعزاز نبيه بإنجاز مواعده له صلى الله عليه وسلم بذلك كما قال تعالى: {ليظهره على الدين كله} (الآية) وقوله: {وياأبى الله إلا أن يتم نوره} (الآية)، وقوله عليه السلام: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وكان في رجب كما في حديث أصحاب الستن فعرض نفسه على القبائل بأمر الله تعالى كما كان يصنع في كل موسم فلم يجد من ينصره فبينما هو عند العقبة الأولى أي عقبة الجمرة كما جزم به غير واحد لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال من أنتم؟ فقالوا نفر من الخزرج. قال أمن موالي يهود، يعنى حلفاءهم؟ قالوا نعم، قال أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلي، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قال اليهود إن نبينا سيبعث الآن قد أظل زمانه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت الذي كانوا يسمعون من اليهود فقال بعضهم لبعض بادروا باتباعه لا تسبقكم اليهود إليه فأجابوا إلى ما دعاهم إليه، فأسلم منهم ستة وكلهم من الخزرج وأتى بهذا مع قوله رهطا من الخزرج دفعا لما يتوهم مما جرت به عادتهم من تغليب الخزرج على الأوس والخزرج معا والستة المذكورون: أسعد بألف قبل السين بن زرارة بضم الزاي النجاري، شهد العقبات الثلاث وهو أول ميت صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم على قول الأنصار وقال المهاجرون أول ميت صلى عليه عثمان بن مظعون رواه الواقدي وعوف بن الحارث بن رفاعة بكسر الراء وبالفاء النجاري

استشهد ببدر وهو ابن عفراء بنت عبيد النجارية الصحابية وهي أم معاذ ومعوذ وإليها ينسبون ورافع بن العجلان اختلف فى شهوده بدرا، وهو زرقى وهو أول من قدم المدينة بسورة يوسف واستشهد بأحد، وقطبة بضم القاف وسكون المهملة ابن عامر ابن حديدة بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين السلمي حضر العقبات الثلاث وبدرا والمشاهد وعقبة بضم العين وسكون القاف ابن عامر بن نابی بنون فألف فموحدة منقوص كالقاضي قال ابن دريد من نبى ينبو إذا ارتفع، السلمي، شهد بدرا وسائر المشاهد واستشهد باليمامة وجابر بن عبد الله بن رباب بكسر الراء فتحتية خفيفة فألف فموحدة ضبطه ابن مأكولا وغيره ابن النعمان السلمي شهد بدرا وما بعدها ومن أهل العلم بالسير من يسقط ابن ارياب هذا ويعد فيهم عبادة بن الصامت البدرى وحضر سائر المشاهد، وعن الزهري هم أسعد، ورافع، ومعاذ بن عفراء، ويزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة، فلما أسلم هؤلاء قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، أتمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي؟ فقالوا يا رسول الله إنما كانت بعاث عام أول، وهو يوم من أيامنا اقتتلنا فيه، فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرننا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام القابل. وبعاث بضم الموحدة وحكى الفوزان فتحها وتخفيف المهملة فألف فمثالثة وذكر الأزهري ان الليث صحفه بالفاء عن الخليل بغين معجمة وهو مكان، ويقال حصن ويقال مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الأوس والخزرج ورئيس الأوس فيه حضير والد أسيد الصحابي ويقال له رئيس الكتائب ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وقتلا يومئذ وكان النصر فيها أولا للخزرج على الأوس فثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الأوس ذكره فى الفتح، وقتل فيها من أكابرهم من كان يأنف أن يدخل فى الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره

وإلى ذلك أشارت عائشة رضي الله عنها بقولها كان يوم بعثت يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ وقد كان بقي من هذا النحو عبد الله بن أبي وكانت هذه الواقعة قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح فلما كان العام القابل لقيه إثنًا عشر رجلا وفي الإكليل للحاكم أحد عشر وهي العقبة الثانية.

والاثنا عشر فيهم خمسة من الأولين وهم أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر ورافع بن مالك ولم يحضرها ابن رباب والسبعة الآخرون معاذ بن رفاعه وهو المشهور لأنه ابن عفراء أمه، ذكره في العيون وأقره البرهان وبه جزم في الإصابة وأبدل الشامي معاذًا بأخيه معوذ وضبطه بصيغة إسم الفاعل وذكر أن بفتح المعجمة وإسكان الكاف ابن عبد قيس البدرى الزرقى بتقديم الزاي المضمومة على الراء، وكذا كل ما في نسب الانصار نسبة إلى جده زريق الخزرجي وقيل انه رحل إلى رسول الله عليه وسلم بمكة فسكنها معه فهو مهاجر أنصاري وبه جزم أبو عمر وتبعه الذهبي قتل يوم أحد قتله أبو الحكم بن الأحنس بن شريق، فشدد علي رضي الله عنه على أبي الحكم فقتله، وعبادة بمهملة مضمومة ابن الصامت الخزرجي ويزيد بن ثعلبة بن حزيمة بفتح المعجمتين ضبطه الدارقطني كالطبري وقال الكلبي بسكون الزاي ابن اصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وشدد الميم بن مالك بن فرام بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها بن فران بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها بن بلي فهو بلوي حليف للخزرج والعباس بن عبادة بن نضلة بنون مفتوحة الخزرجي وأقام العباس بمكة حتى هاجر معه صلى الله عليه وسلم فكان مهاجريا أنصاريا واستشهد بأحد فهؤلاء خمسة من الخزرج ورجلان من الأوس: أبو الهيثم مالك بن التيهان بفتح الفوقية فتحية مخففة عند أهل الحجاز مشددة عند غيرهم وشهد بدرا والمشاهد كلها، وجده زعوراء وهو أخو عبد الأشهل وفي الاستيعاب حليف بنى عبد الأشهل وعويم بضم المهملة وفتح الواو وسكون التحتيتية فميم ليس بعده راء ابن ساعدة شهد العقبتين وبدرا وباقي

المشاهد فبايعه هؤلاء بيعة النساء التي أنزلت عند فتح مكة ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة للعام المقبل في ذي الحجة سبعة رجال كما قطع به الحافظ وامرأتان وقال ابن إسحاق ثلاثة وسبعة رجال وامرأتان وهما نسيبة بفتح النون وكسر المهملة بنت كعب بن عمرو بن عوف النجاري وشهدها معها زوجها زيد بن عاصم وولداها حبيب وعبد الله والمرأة الثانية أسماء بنت عدي من بنى سلمة وكان أول من ضرب على يده عليه السلام في البيعة البراء بفتح الباء والراء ممدودا مخففا ابن معرور بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء ثانية، قال السهيلي معناه مقصود وهو خزرجي ثم سلمى ابن عمة سعد بن معاذ كان سيد قومه ويقال إن أول من بايعه أسعد بن زرارة، هذا كله من المواهب وشرحها. ولما أرادوا البيعة جاء العباس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فكان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج، وكان العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها أن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى إلا الإنحياز إليكم والحق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة، قال كعب بن مالك فقلنا له قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعوا منه نساءكم فأخذ البراء بن معروف بيده ثم قال نعم، والذي يعثك بالحق لنمنعنك بما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب ورثناها كإبراهيم عن كابر، ثم بايعه القوم، ولما كان البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الهيثم يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال يعني اليهود

كما فى الزرقاني حبالا وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم، وأنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم. اهـ. المراد من الإكتفاء.

ولما أتى أهل البيعة الثانية المدينة وأظهر الله الإسلام كتب الأوس والخزرج للنبي صلى الله عليه وسلم ابعت لنا من يقرؤنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار وأسلم فى جماعتهم سعد بن معاذ بن النعمان بن أمراء القيس بن عبد الأشهل الأوسي، سيدهم، وافق حكمه حكم الله واهتز لموته عرش الرحمن وأسلم معه أسيد بضم الهمزة وفتح المهملة ابن حضير مصغر ابن سماك ابن عتيك الأشهلي أيضا فى يوم واحد وأسيد هو الأول وأسلم بإسلامهما جميع بنى عبد الأشهل وذلك أن سعدا لما أسلم أقبل إلى نادى قومه ومعه أسيد فقال يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم فقالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام عليّ حتى تؤمنوا بالله ورسوله فما أمسى فيهم امرأة ولا رجل إلا مسلما ومسلمة حاشى الأصيلرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم يوم أحد واستشهد ولم يسجد لله سجدة، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم مخلصين رضى الله عنهم، ومن المواهب وشرحها وروى أن أهل مكة سمعوا هاتفا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ وهو يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمدا بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فقال قريش لو علمنا من السعدان! قال عند ذلك:
فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ويا سعد سعد الخزرجين العطارف

ولما تمت بيعة العقبة الثالثة ليلة ثاني أيام التشريق وكانت سرا عن

كفار قريش وعن كفار الأنصار الذين قدموا حجاجا مع أهل البيعة هم خمسمائة كما قال الحاكم وطابت نفسه صلى الله عليه وسلم ان جعل الله له منعة أهل حرب ونجدة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة إلى المدينة بعد اشتداد الأذى عليهم من الكفار فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم فقال قد رأيت دار هجرتكم سبخة ثم مكث أياما ثم خرج مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد منكم أن يخرج فليخرج إليها فخرجوا أرسالا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج فكان أول من هاجر من أصحابه أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي البصري المصطفى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته برة وقال فيه أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة رواه ابن ابى عاصم ثم عامر بن ربيعة المذحجي أو العنزي بسكون النون من عنز بن وائل أحد السابقين وهاجر إلى الحبشة بزوجه وشهد بدرا وما بعدها وهاجرت معه أيضا إلى المدينة وهي ليلى بنت حثمة بفتح المهملة وسكون المثناة قال أبو عمر وهي أول ظعينة قدمت المدينة وقال موسى بن عقبة أولهن أم سلمة وجمع بأن ليلى أول ظعينة مع زوجها وأم سلمة وحدها لأن بنى محزوم حبسوها عن زوجها ثم أذنوا لها فى اللحاق به فهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة العبدري وكان يومئذ مشركا فشيّعها حتى إذا أوفى على قباء قال لها زوجك فى هذه القرية ثم رجع ثم عبد الله بن جحش بأهله وأخيه أبى أحمد عبد بلا إضافة على الصحيح كما قال السهيلي تبعا لابن عبد البر وقيل اسمه ثمامة ولا يصح كان ضريرا يطوف أعلى مكة وأسفلها بلا قائد فصيحاً شاعرا وعنده الفارعة بمهملة بنت أبى سفيان بن حرب قال أبو عمر وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم ثم المسلمون أرسالا ومنهم عمار بن ياسر وبلال وسعد بن أبى وقاص وفى الصحيح أنهم هاجروا قبل عمر ثم عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة المخزومي فى عشرين راكبا منهم سعيد بن زيد وواقد بن عبد الله وعمرو وعبد الله ابنا سراقبة بن

المعتمر العدوي وخنيس بن حذافة السهمي وبنو البكير الأربعة والزبير وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى واسم أبي خولى عمرو بن زهير وغيرهم ثم عثمان بن عفان وتتابع الناس بعده حتى لم يبق أحد إلا من حبس بمكة أو أفقتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عن جميعهم وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكون هو، وعند البخاري فقال صلى الله عليه وسلم على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر انتهى. ولما رأت قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له أصحاب من غيرهم حذروا خروجهم وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة بفتح النون والواو مهمة ساكنة ثم هاء تانيث وهي دار قصي بن كلاب سميت بذلك لاجتماع الندي فيها يتشاورون والندي الجماعة ينتدون أي يتحدثون وهي أول دار بنيت بمكة كما قال ابن الكلبي وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها وكان اجتماعهم فيها يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة يتشاورون فيما يصنعون فى أمره صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة كما فى المولد لابن دحية فأتاهم إبليس فوقف على باب الدار فى هيئة شيخ جليل عليه بت بفتح الموحدة وشد الفوقية كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من أهل نجد سمع بالذى أتعدتم له وحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأياً ونصحاً فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البخترى بفتح الموحدة وسكون المعجمة ابن هشام أحبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأى والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فلاؤشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا برأى فانظروا

فى غيرہ، وقال ربیعة بن عمر والعامري قال فى النور ولا أعلم ماذا جرى له نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال لما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك حتى يتابعوه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم فيه أرى أن تأخذ كل قبيلة شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي القول ما قال لا أرى غيره فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وإنما تمثل لهم فى صورة نجدي لأنهم قالوا لا يدخلن معكم أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم أمر عليا أن ينام مكانه وقال تسبح بردي هذا الأخضر فنم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم فكان علي أول من شرى نفسه فى الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول علي رضي الله عنه:

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى	ومن طاف بالبیت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به	فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا	موقى وفى حفظ الإله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى	وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ويتهموننى بضم التحتية وصوب الزمخشرى أنه لم يقل إلا بيتين لكن فى مسلم أنه قال مجيبا لمرحب اليهودي يوم خيبر:

أنا الذي سممتني أمي حيدرته إلخ..

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى: يس إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يصبرون ثم أنصرف حيث أراد وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم. وروى أحمد بإسناد حسن أنه خرج حتى لحق بالغار أي غار ثور وفى رواية ابن هشام فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه فى نحر الظهيرة ثم خرج إليه هو وأبو بكر ثانيا وفى البيضاوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر إلى الغار انتهى. فأتاهم أت ممن لم يكن معه فقال ماذا تنتظرون ها هنا؟ قالوا محمدا. قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك فيكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب. وفى رواية ابن أبى حاكم عن ابن عباس فما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا وفى هذا نزل {وإذ يمكر بك الذين كفروا} (الآية)، ثم أذن الله تعالى لنبيه فى الهجرة إلى المدينة، قال ابن عباس بقوله تعالى {وقل رب ادخلنى}. أي المدينة مدخل صدق أي ادخلا مرضيا لا أرى فيه ما أكره وأخرجنى أي من مكة مخرج صدق أي إخراجا لا التفت إليها بقلبي واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا أي قوة تنصرنى بها على أعدائك، أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم انتهى من المواهب وشرحها، وبعضه من الكلاعي ثم بين الناظم رحمه الله تعالى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر فقال:

(وهاجر المختار لما أن وصل خمسين مع ثلاثة حتى نزل بطيبة الغراء حيث أمرا ...)

يعنى أنه صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة زادهما الله تعالى تعظيما لما بلغ عمره المبارك ثلاثا وخمسين سنة فقوله حتى نزل غاية لهجرته عليه السلام، وطيبة من أسماء المدينة ووصفها بالغراء لإشراقها بنور المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد انتشر منها الدين

الحنيفي في جميع البلاد.

وقوله حيث أمر متعلق بنزل أي نزل بالموضع الذي أمره الله تعالى أن ينزل فيه وكانت مدة إقامته بمكة من حين النبوة ثلاث عشرة سنة كما رواه البخاري عن ابن عباس وروى مسلم عنه خمس عشرة. قال الحافظ والأول أصح اهـ، وهو قول الجمهور قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي، وكان خروجه عليه السلام من مكة بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها ذكره الحاكم وجزم ابن اسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما لأن البيعة في ذى الحجة ليلة ثانی أيام التشريق فالباقي من الشهر ثمانية عشر يوما إن كان تاما وإلا فسبعة عشر وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على الراجح وقيل لثمان خلت منه كما في الاستيعاب وقال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين ودخوله المدينة يوم الإثنين إلا أن محمدا ابن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج أثناء ليلة الإثنين وقول الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه يوم الإثنين مجاز أطلق اليوم على الليلة، وروي الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال أبو بكر الصديق قال الحاكم صحيح غريب، وأخبر عليا أنه يريد الخروج وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس وذلك أنه كما قال ابن إسحاق ليس في مكة أحد يكون عنده شيء يخاف عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من أمانته. قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة أتانا في الهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها.

فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا من حدث فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أخرج من عندك، فقال لا عين عليك إنما هما ابنتاي بأبى أنت وأمى. فقال صلى الله عليه وسلم فإنه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله. والصحبة بالنصب معمول لأريد محذوف أو مرفوع بتقدير مطلوبى، قال صلى الله عليه وسلم نعم. قالت عائشة رضي الله عنها: فرأيت أبا بكر بكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح؛ فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين؛ فقال صلى الله عليه وسلم إنى لا أركب بعيرا ليس لى فقال فهو لك قال لا ولكن الثمن الذى ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها بذلك.

وأفاد الواقدي أن الثمن ثمان مائة درهم وأن التى أخذ النبي صلى الله عليه وسلم هي القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبى بكر وكانت مرسله ترعى بالبقيع وذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء وكانت من إبل بنى الحريش بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية وشين معجمة وفى سيرة عبد الغنى أن الثمن أربع مائة درهم وإنما لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله أكثر من ذلك فقبله كما ذكر السهيلي انه إنما فعل ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة إلى الله تعالى وأن تكون على أتم الأحوال ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أجمع على الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوذة لأبى بكر فى ظهر بيته وهي بفتح المعجمتين بينهما واو ساكنة وهي الباب الصغير كما فى الزرقاني وغيره بعد دخوله عليه فى نحر الظهيرة وكان خروجهما ليلا فمضيا إلى غار ثور بمثلثة فمكثا فيه ثلاث ليال كما هو لفظ البخاري وثور جبل بمكة وفى الأنوار الغار ثقب فى أعلى ثور فى اليمنى مكة على مسيرة ساعة وقيل على ثلاثة أميال

وقيل على ميلين منها والبحر يرى من أعلى هذا الجبل وفيه من كل نبات الحجاز وشجره وفيه شجر البان وفي القاموس ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور في التنزيل ويقال له ثور أضحل واسم الجبل أضحل نزله ثور ابن عبد مناة فنسب له .

وروي أنهما لما خرجا لقيهما أبو جهل فأعماه الله عنهما وفي حديث أنه عليه السلام لما صعد ثبيراً ناداه اهبط عني فإنني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب وإنما خاف ذلك لأنه لو لم يذكر ذلك مع علمه بأنه لا مكان فيه يستتره كان غشا فناداه حراء إلى يا رسول الله وهو مقابل ثبير مما يلي شمال الشمس وبينهما الوادي وهما على يسار السالك إلى منى ولم يذهب إليه لسبق تعبه فيه فخشي أن يطلبوه فيه وذهب إلى ثور دون غيره لحبه الفال الحسن فقد قيل الأرض مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره فيه وروي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان به شيء نزل بي قبلك فدخله فجعل يلتمس به بيده فكلما رأى حجراً قطع من ثوبه وألقمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي حجر فألقمه عقبه، وفي رواية فأدخل فيه رجله إلى فخذه فجعلت الحيات والأفاعي تلسعنه فجعلت دموعه تتحدر، وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر فنام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فقال ما لك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أباي وأمي؛ فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولأبي نعيم فلما أصبح قال لأبي بكر أين ثوبك فأخبره بالذي صنع فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله إليه قد استجبنا لك والظاهر أنه كان عليه غيره مما يستتر جميع بدنه إذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان ياتيهما كابنه وابن فهيرة انتهى من الزرقاني فلما دخل صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر انبت

الله على بابہ الرائۃ بالراء المهملة والمد والهمزة فحجبت أعین الکفار
وهي أم عیلان ضرب من العضاه كما فی المصباح فأمر الله العنکبوت
فنسجت على فم الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فعششتا على بابہ
ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها
وأسفلها وبعثوا القافة أثره والقافة جمع قائف وهو الذى يعرف الأثر
فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره فلم يزل يتبعه حتى انقطع أثره لما انتهى
إلى ثور ولما انتهى قريش إلى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار قال
أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنکبوتا أقدم من ميلاد
محمد. وعند الطبراني وخرجت قريش حين فقدوهما وجعلوا فى النبي
صلى الله عليه وسلم مائة ناقة وطافوا فى جبال مكة حتى انتهوا إلى
الجبل الذى فيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر إن هذا الرجل ليرانا
وكان مواجهه فقال صلى الله عليه وسلم كلا إن ثلاثة من الملائكة يسترنا
بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجهه فى الغار فقال صلى الله
عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا، وروى أن أبا بكر لما رأى القافة
اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فإنما أنا
رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة فعندها قال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا، وفى رواية أن أبا بكر قال أما
والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال لا
تحزن إن الله معنا بالمعونة والنصر ولما خرجا إلى الغار أمر أبو بكر
ابنه عبد الله أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا
أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر فكان يفعل ذلك وأمر عامر بن
فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فكان
عامر يرعى فى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما فاحتلبا وذبحا
فإذا غدى عبد الله من عندهما تبع عامر أثره بالغنم حتى يعفى أثرهما
وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام بما يصلحهما ولله درّ
مجلى حلبة المديح النبوي حيث يقول ولقوله قبول:

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبى معمور ومأهول

ووجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فيا حبذا نسج وتحليل
 كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليشان قد أوأهما غيل
 عناية ضل كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
 إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول
 الغيل بالكسر الشجر الملتف وجلل غطى والعناية بكسر العين
 وفتحتها والأضاليل جمع إضليلة وروي أن أبا بكر قال نظرت إلى قدمي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تفتطرتا دما في الغار فاستبكيت
 وعلمت أنه لم يكن تعود الحفى والجفوة والسين والتاء للمبالغة لا للطلب
 والحفى المشي بلا خف ولا نعل وكان من قوله صلى الله عليه وسلم لما
 وقف على الحزورة بفتح المهملة فزاء ساكنة فواو فراء سوق كانت بمكة
 أدخلت فى المسجد ونظر إلى البيت والله إنك لأحب أرض الله إلى وإنك
 لأحب أرض الله إلي الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت منك وأقام
 صلى الله عليه وسلم فى الغار هو وأبو بكر ثلاث ليال وخرجا منه ليلة
 الإثنين كما مرّ ولما أرادا الخروج أتاهما صاحبهما الذى استأجرا ليدلّهما
 على الطريق وكان استيجارهما له قبل خروجهما من مكة فدفعا إليه
 راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما حين هدأت الأصوات
 كما قال ابن شهاب وهو رجل من بنى الديل بكسر الدال وسكون
 التحتيّة وقيل بضم أوله وكسر ثانيه مهموزا كما فى الفتح واسمه عبد
 الله بن أريقط بالقاف والطاء مصغر وفى رواية الأموي أريقط بالدال
 بدل الطاء والأول أشهر. قالت عائشة فجهازهما أحت الجهاز أي أسرعه
 وصنعنا لهما سفرة من جراب. وفى البخاري سفرة فى جراب قال
 الحافظ سفرة أي زاد فى جراب لأن أصل السفرة الزاد الذى يصنع
 للمسافر ثم استعمل فى وعاء الزاد ومثله المزايدة للماء وكذا الرواية
 فاستعملت هنا على أصل اللغة وأفاد الواقدي أنه كان فى السفرة شاة
 مطبوخة انتهى. وأتتهما بالسفرة أسماء بنت أبى بكر ونسييت أن تجعل
 لهما عصاما فغطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب
 بكسر الجيم وفتحتها والكسر أفصح قاله النووي. وفى القاموس انه لا

يفتح أو لغوية وهو المزود فسميت بذلك ذات النطاق وفى رواية الكشمينهي بالتثنية والنطاق ما يشد به الوسط وفى البخاري أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر فمن ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالإفراد والتثنية لهذين الاعتبارين وعند ابن سعد شقت نطاقها نصفين فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي وسميت ذات النطاقين وقال الهروي سميت بذلك لأنها كانت تجعل نطاقا على نطاق انتهى من الزرقاني.

ولما تجهزا ركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة مولى أبا بكر يخدمهما يردفه أبو بكر ويعقبه وليس معهما غيره هو وابن الأريقط ولم يعرف له إسلام كما قال الحافظ عبد الغني وتبعه النووي وفى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبي وقال السهيلي ولم يكن إذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد، ولا يعترض بأن الواقدي ذكر أنه أسلم لأنه قيد بصحيح ومعلوم ضعف الواقدي خصوصا مع الإنفراد وكأنه سلف الذهبي قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي. وعن أسماء قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقالوا أين أبوك يا ابنة أوى بكر؟ قلت لا أدري والله. فرفع أبو جهل يده فكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا. وفى رواية خرج منها قرطى وهو بضم القاف ولما ساروا أخذ بهم الدليل طريق الساحل أسفل عسفان فمروا بقديد بضم القاف مصغر موضع معروف على أم معبد الخزاعية واسمها عاتكة بنت خالد بن خليل مصغر وآخره دال مهملة وقيل ابن خليف بفاء بدل الدال مصغر وقيل ابن منقذ بضم الميم وسكون النون وكسر القاف وذال معجمة وهى صحابية وكذا أخوها حبيش وكذا زوجها أبو معبد صحابي له رواية وكانت أم معبد برزة بفتح الموحدة وسكون المهملة فزاي معجمة أى عفيفة جليلة مسنة أو غيرها وقيل هى المسنة التى برزت فلم تتخدر لسنها وخرجت عن المحجوبات جلدة قوية تحتبى أى تجلس بفناء القبة والفناء سعة أمام البيت ثم تسقى وتطعم من يمر بها وكان القوم

مرملين مسنتين بكسر النون والفوقية أي أصابتهم السنة فطلبوا لبنا ولحما وعند أبي عمر فسألوها لحما وتمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها أي جانبها خلفها بشد اللام الجهد بفتح الجيم وضمها أي الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أأذنين لى أن أحلبها بضم اللام وكسرهما قالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا بفتح اللام وسكونها أي لبنا فى الضرع فأحلبها، فدعا بالشاة أي طلبها أن تاتى فالباء زائدة فيكون معجزة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وظهرها وسمى الله فتفاجت بشد الجيم أي فتحت ما بين رجليها ودرت فدعا بإناء يربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة أي يرويههم ويثقلهم حتى يناموا من ربض بالمكان فحلب فيه ثجا بمثلثة وجيم أي حلبا قويا فسقى أم معبد حتى رويت ثم سقى القوم حتى رروا ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال ساقى القوم آخرهم شربا، ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل بفتح النون والهاء وتسكن ولام أي شربا ثانيا بعد الأول ثم حلب فيه آخر وغادره عندها فقال ارفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك. وفى رواية فحلب ثجا حتى علاه الشمال، وفى رواية حتى علاه البهاء، والشمال بضم المثلة واحده ثمالة وهى الرغوة بتثليث الراء، والبهاء لمعان رغوته ثم ركبوا وذهبوا وفى بعض الروايات أنها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكل هو وأصحابه وملأت سفرتهم منها ما وسعت قالت وبقي عندنا لحمها أو أكثر وبقيت الشاة التى مسح ضرعها إلى زمن عمر فقل ما لبثت أم معبد حتى جاء زوجها أبو معبد، قال السهيلي لا يعرف اسمه وقال العسكري اسمه أكثم بفتح الهمزة والمثلثة ابن أبى الجون ويقال ابن الجون وهو خزاعي يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلا بضم الهاء وسكون الزاء أي يتمايلن من الهزال فلما رأى اللبن أبو معبد عجب وقال ما هذا يا أم معبد، أنى لك هذا والشاء عازب أي بعيدة المرعى حيال ولا حلوب بالبית؟ فقالت

لا والله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.. فقال صفيه يا أم معبد. فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضأة بفتح الواو أي الحسن مليح الوجه أي مشرقه حسن الخلق بضم الخاء واللام لم تصبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع وفي لحيته كثافة إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سماه وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظم طوال يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين، فهو انضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس ولا مفند. فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش، ولو رأيت لا تتبعته، قوله ثجلة بفتح المثناة على ما للقسطلاني وبضمها على ما في النور والسبل عظم البطن ويروى بالنون والحاء أي نحول من نحل الجسم إذا قل لحمه والصعلة بفتح الصاد والعين المهملتين صغر الرأس وهي أيضا دقة البدن ونحو له، وفي رواية سقلة بالسين والقاف وفي أخرى صقلة بالصاد والقاف أي نحول من صقلت الناقة ضمرتها والوسيم الحسن وكذلك القسيم والدعج بالتحريك شدة سواد العين والوطف بالتحريك الطول وفي رواية غطف بغين معجمة ومعناها واحد والصل بفتح الصاد والحاء المهملتين هو كالبحة بضم الموحدة وأن لا يكون حاد الصوت والحوار بالتحريك أن يشتد بياض العين وسواد سوادها، وهو محمود محبوب ولذا كان أغزل ما قالت العرب قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لا يحيين قتلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا
والكل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة والرجل أكحل وكحيل
والمرأة كحلاء وكحيل والأزج بفتح الهمزة والزاي وشد الجيم الدقيق
طرف الحاجبين وفي القاموس الزجج محركة دقة الحاجبين في طول أي

امتداد إلى مؤخر العين والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع قال:
إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا
أي وكحلن العيون، والأقرن المقرون الحاجبين، ومثله في حديث علي
وهو مخالف لما في حديث أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن قال ابن
الأثير وهو الصحيح وقال غيره أنه المشهور وأجيب بأن بينهما شعرا
خفيفا جدا يظهر إذا وقع عليه الغبار في نحو سفر وفي عنقه سطع
بفتحتين أي ارتفاع وطول وفي لحيته كثافة بمثلثتين هي أن تكون غير
دقيقة ولا طويلة، وصمت بفتح الميم والوقار بفتح الواو الحلم والرزانة
وإذا تكلم سما أي ارتفع على جلسائه. وقوله وكأن منطق خرزات نظم
إلخ.. لعل وجه التشبيه التناسب بين كلماته وشدة اتصال بعضها
ببعض فأشبهت الكلمات في تناسقها وفي تواليها الخرزات إذا تتابعت
وقوله حلو المنطق، الحلو في المطعوم مستلذ فاستعير لما يعجب السامع
ويستلذ بسماعه، وفصل بقاء فساد ساكنة أي فاصل بين الحق والباطل،
أو ذو فصل بين أجزائه كقول عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسرد سردكم هذا. والنزر بسكون المعجمة، القليل، والهدر
الكثير، ضبطه القسطلاني بفتح الذال المعجمة، وفي بعض شراح الشفا
ضبطه بسكونها ولا تشنؤه من طول وفي رواية ولا يشنا من طول أي لا
يبغض لفرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزه إلى غيره
احتقارا له وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته، قاله ابن الأنباري، ومحفود
مخدوم والحشود الذي عنده، حشد بفتح المهملة وسكون المعجمة وتفتح
فدال مهمة وهم الجماعة وأجهر الناس أرفعهم صوتا وقوله وأحلاه
وأحسنه بإفراد الضمير فيهما حملا على لفظ الناس وربعة بسكون
الباء وتحرك، أي متوسط وقولها غصن أي كغصن بين غصنين تعنى
الصديق ومولاه عامر بن فهيرة ويحفون بضم الحاء يطوفون والمفند
الذي يكثر اللوم فهو إسم فاعل انتهى وما مر من تفسير الأزج
للقسطلاني. وفي الشفا والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر،
وقال ابن سلطان المقوس بفتح الواو المشبه بالقوس في نوع من الإدارة

فلا ينافه قوله الطويل وأزج الحواجب أدقها مع غزارة شعرها وتقوس أصلها قال ابن سلطان فى الجمع بين حديث أم معبد فى وصفه بالقرن وحديث ابن هالة بنففيه ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الرء وبعده، وقال فى الشفاء والأدعج شديد سواد الحدقة وفى الحديث الآخر أشكل العين، وأسجر العين، وهو أنها فى بياضها حمرة، قال شارحها قوله الحديث الآخر أى الذى رواه مسلم أشكل العين وأسجر العين وهما بمعنى، وقوله حمرة أى يسيرة انتهى.

وقول الشارح فيما تقدم كقول عائشة رضى الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هذا الحديث فى الترمذى فى الشمائل ولفظه ما كان رسول صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه. قال البيجورى فى شرحه يسرد بضم الرء ومعناه يأتى بالكلام على الولاء ويتابعه ويستعجل فيه وقولها كسر دكم فى نسخة بدون كاف، وقوله هذا أى الذى تفعلونه فإنه يورث لبسا على السامعين، وقوله بين فصل أى ظاهر مفصول ممتاز بفضه من بعض بحيث يتبينه من يسمع ويمكنه عده وهذا أدعى لحفظه ورسوخه فى ذهن السامع مع كونه يوضح مراده ويبينه بيانا تاما بحيث لا تبقى فيه شبهة، وقوله من جلس إليه مراده من أصغى إليه وإن لم يجلس إليه انتهى.

وما مر من تفسير كثافة اللحية بأن تكون غير دقيقة ولا طويلة هو للقسطلانى. وقال البيجورى فى تفسير قول الشمائل كث اللحية أى بفتح الكاف وفى رواية كثيف اللحية وفى أخرى عظيم اللحية وعلى كل فالمعنى أن لحيته صلى الله عليه وسلم كانت عظيمة واشتراط جمع من الشراح مع الغلط القصر متوقف على نقل من كلام أهل اللسان. انتهى كلامه.

وقال ابن سلطان فى شرح الشفاء: كث اللحية أى غزير شعرها وكثير أصلها، وفى رواية كثيف اللحية، وفى أخرى عظيم اللحية، كما فى شرح الشمائل لابن حجر المكي من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافي

الرواية والدراية لأن الطويل مسكوت عنه، مع أن عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفاً، فكما أن الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعاً، ثم هذا لا ينافي ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الأربعة، فإن الكثيف والخفيف من الأمور الإضافية فيحمل على الاعتدال الذي هو الكمال في جميع الأحوال ولا يبعد أن يحمل الكثيف على أصله والخفيف على عدم طوله وعرضه وأما قول الفقهاء اللحية الخفيفة هي التي تظهر البشرة من تحتها ومبنى الأحاديث هذه على المعنى اللغوي تصحيحاً واصطلاحاً انتهى كلامه.

تنبيه:

في الترمذي عن شعبة عن سماك بن حرب من حديث جابر بن سمرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكل العين قال شعبة قلت لسماك ما أشكل العين؟ قال طويل شق العين انتهى.

قال البيجوري هذا التفسير خلت منه كتب اللغة المتداولة ومن ثم جعله القاضي عياض وهما من سماك والصواب ما اتفق عليه العلماء وجميع أصحاب الغريب من أن الشكلة حمرة في بياض العين وأما الشهلة فهي حمرة في سوادها والشكلة إحدى علامات النبوة كما قال الحافظ العراقي والأشكل محمود محبوب قال الشاعر:

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عتاق الخيل شكل عيونها

انتهى كلامه.

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن من مؤمنينهم بعد ثلاث ليال ولا أعرف اسمه قاله في النور وفي رواية أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغني بأبيات شعر غناء العرب وإن الناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا
 فيال قصي مازوى الله عنكم
 ليهنا بنى كعب مكان فتاتهم
 سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
 دعاها بشاة حائل فتحلبت
 فغادرها رهنا لديها لحالب
 قوله جزى الله إلخ.. فى رواية جزى الله خيرا، والجزاء بكفه ورفيقي
 مفعول جزى وحلا من الحلول وفى رواية قالوا من القيلولة وخيمتي
 تثنية خيمة، بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر ومن قديد إلى المشال
 ثلاثة أميال بينهما خيمتا أم معبد، وقوله هما نزلا بالبر إلخ.. هو ضد
 الإثم، وقوله فأفلح الفلاح أجمع إسم لأنواع الخير وفى رواية هما رحلا
 بالحق وانتزلا به وفى أخرى هما نزلاها بالهدى فاهتدت به، فقد فاز
 وزوى قبض والفعال بفتح الفاء وخفة العين الكرم ويجوز أن يكون
 بكسر الفاء جمعا قاله البرهان وتبعه الشامي وقوله لا يجارى فى
 رواية يجازى بالزاي واليهنا بفتح الياء وتثليث النون ليسر وكعب هو
 ابن عمرو أبو خزاعة، وقوله مكان فى رواية مقام بفتح الميم والمرصد
 بفتح الميم والصاد مقعدها بمكان ترصد أي ترقب فيه المؤمنين
 لتواسيهم، وقوله سلوا أختكم عن شاتها أي التي حلب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم مرارا فى وقت واحد مع أنها لم يطرقها فحل ولم
 تستطع الرعي من الهزال فإنها معجزة باهرة لا تنكر، والصريح بالصاد
 والحاء المهملتين اللبن الخالص وضرة الشاة بفتح الضاد المعجمة وشد
 الرء أصل ضرعها وهو فاعل تحلبت، ومزبد بصيغة اسم الفاعل علاه
 الزبد نعت الصريح وقوله فغادرها البيت، أي ترك الشاة عندها ذات
 لبن مستمر يردد الحالب الحلب عليها مرة بعد مرة لكثرة لبنها انتهى
 هذا التفسير من الزرقاني. قالت أسماء فلما سمعنا قوله أي الهاتف
 عرفنا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلاعي وغيره
 فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف وقال فى النور

والظاهر أنه إنما قاله بعد إسلامه:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم
ترحل عن قوم فضلت عقولهم
هداهم به بعد الضلالة ربهم
وهل يستوى ضلال قوم تسفوها
وقد نزلت منه على أهل يثرب
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله
وإن قال في يوم مقالة غائب
ليهنأ أبا بكر سعادة جده

وقدس من يسري إليهم ويفتدى
وحل على قوم بنور مجد
وأرشداهم من يتبع الحق يرشد
عمى وهداة يهتدون بمهتدى
ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فتصديقها في اليوم أو في غد
بصحبته من يسعد الله يسعد

وفي المواهب وشرحها أخرج ابن سعد وأبو نعيم إن أم معبد قالت
بقيت الشاة التي لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمن الرمادة،
سنة ثمان أو سبع عشرة من الهجرة، زمن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه، وقيل لها ذلك لأن الريح كانت إذا هبت ألقت ترابا كالرماد،
وأجذبت الأرض إلى الغاية حتى أوت الوحوش إلى الإنس وإلى عمر أن
لا يذوق لحما ولا سمنا ولا لبنا حتى يحي الناس أي يأتيهم الحيا ويمتد
المطر فاستسقى بالعباس، قالت أم معبد وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا
وما في الأرض لبن قليل ولا كثير، قال هشام راويه وأنا رأيته وأنها
لتادم أم معبد، وجميع حرمها أي أهل ذلك الماء، وذكر الزمخشري عن
هند بنت الجون قالت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة خالتي
أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في
عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحت كأعظم دوحة وجاءت بتمر كأعظم ما
يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا
شبع ولا ظمئان إلا روي ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها بغير ولا
شاة إلا در لبنها انتهى المراد منهما.

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب أن أباه عازبا سأل أبا بكر رضي
الله عنهما: كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين
خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ قال ارتحلنا من مكة فأحيينا

يومنا و ليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوى إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها، فنظرت بقية ظلها فسويته وفرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم ذهبت أنظر ما حوله هل أرى من الطلب أحدا فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى أريد يعنى من الظل، فقلت لمن أنت قال لفلان رجل من قریش فعرفته فقلت هل فى غنمك من لبن؟ قال نعم. قلت هل حالب أنت لي؟ قال نعم. فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه على الأخرى فحلب لى كثبة من لبن وقد رويت ومعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدوات على قمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استيقظ فقلت يا رسول الله اشرب فشرب حتى رضيت وقلت قد آن الرحيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتحلنا انتهى المراد من الإكتفاء.

ثم لما رحلوا من عند أم معبد كما عند مغلطي تعرض لهم يوم الثلاثاء كما عند ابن سعد سراقه بن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين المعجمة وحكي الجوهرى فتحهما، المدلجى بضم الميم وكسر اللام من بنى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني والحجازي، أسلم على يده صلى الله عليه وسلم بالجعرانة مصرفه من حنين والطائف وروى عنه ابن عباس وجابر وابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وابن المسيب وسبب تعرضه لهم ما فى البخارى عنه، قال جاءنا رسل من كفار قریش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجالس قومى أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقه قد رأيت أنفا إسودة بالسواحل أراها محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال سراقه فعرفت أنهم هم، فقلت له إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم أثبت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن

تخرج بفرسى من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت الحديث وفيه أنه لما دنا منهم سقط عن فرسه واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره لا يضرهم ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الإلتفات فساخت يدا فرسه في الأرض إلى الركبتين فسقط عنها ثم خلاصها واستقسم بالأزلام فخرج الذي يكره فناداهم بالأمان، وفي رواية ابن عقبة: وكنت أرجو أن أردّه فأخذ المائة ناقة، وفي رواية عن أبي بكر: تبعنا سراقا ونحن في جلد من الأرض، فقلت هذا الطلب قد لحقنا، فقال لا تحزن إن الله معنا، فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب لقد لحقنا وبكيت، قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟ فقلت أنا والله ما على نفسي أبكى ولكن عليك.

وعند الإسماعيلي وغيره، فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت، وفي حديث أنس عند البخاري، اللهم أضرعه فصرعه فرسه، وللطبراني أن فرسه وقعت لمنخريها ولالإسماعيلي فساخت في الأرض إلى بطنها فطلب الأمان، زاد ابن إسحاق فقال أنا سراقا أنظروني أكلمكم فوالله لا ياتيكم مني ما تكرهونه، ولالإسماعيلي قد علمت يا محمد أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما، فدعا له صلى الله عليه وسلم، ولالإسماعيلي وهذه كنانتى فخذ منها سهما، فإنك تمر على إبلي وغنمي بمكان كذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في إبلك ودعا لي، وذكر ابن سعد أنه لما رجع قال لقريش قد عرفت نظري بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا فرجعوا، وروي أن سراقا قال يخاطب أبا جهل بعد انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

أبا حكم والله لو كنت حاضرا	لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا	رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى	أرى أمره يوما ستبدو معاله
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	بأن جميع الناس طرا يسالمه

وسراقة هذا أظهر الله فيه علما من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
ففى الحديث أنه عليه السلام قال له كيف بك إذا لبست سوارى كسرى.
وذكر ابن المنير أنه قال له ذلك لما لحقهما فى الهجرة فعجب من ذلك
فلما أوتى بهما عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقة فألبسه السوارى
وقال ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد الذى سلبهما كسرى بن هرمز
وألبسهما سراقة بن مالك أعرابى من بنى مدلىج ورفع عمر صوته ثم
قسم ذلك بين المسلمين. ومما وقع لهم فى الطريق ما أخرجه البيهقى عن
ابن بريدة قال لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبى صلى الله
عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته، فقال
من أنت قلت بريدة، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقال برد
أمرنا واصلح، فقال ممن أنت قلت من أسلم، قال سلمنا، ثم قال ممن قلت
من بنى سهم قال خرج سهمك يا أبى بكر، فقال بريدة للنبى صلى الله
عليه وسلم من أنت؟ قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله، فقال بريدة
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من
كان معه جميعا. ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة بفتح المهمة وشد
الراء أرض ذات حجارة سود كانت بها وقعة يزيد المشهورة ينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما طال انتظارهم فلما أووا
إلى بيوتهم طلع رجل من اليهود على أطم بضم الهمزة والطاء من
أطامهم والأطم الحصن فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عليهم ثياب بيض يرفعهم السراب فصاح بأعلى صوته يا بنى قيلة بفتح
القاف وسكون التحتية بنت كاهل بن عذرة والدة الأوس والخزرج هذا
جدكم! بفتح الجيم وشد المهمة أى حظكم ومطلوبكم وصاحب دولتكم قد
أقبل، فخرج إليه بنو قيلة سراعا بسلاحهم إظهارا للقوة والشجاعة
لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدمه عليهم ويظهر له صدقهم فى
مبايعتهم إياه فنزل بقباء على بنى عمرو ابن عوف على فرسخ من
المسجد النبوى وكان نزوله على كلثوم بن الهدم وقام أبو بكر للناس

يتلقاهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك ولا ينافى ما هنا من إصابة الشمس له صلى الله عليه وسلم ما مر من إظلال الغمامة له لأن ذلك قبل البعثة كما صرح به القسطلاني وغيره وأقام في بنى عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة على ما في الصحيحين عن أنس واثنتين وعشرين ليلة على ما ذكره موسى بن عقبة من رواية محمد بن بريدة وحكاة الزبير بن بكار عن قوم من بنى عمرو بن عوف وقيل ثلاثا فقط، رواه ابن عائذ عن ابن عباس وأسس صلى الله عليه وسلم مسجد قباء وقيل أقام فيه أربعة ثم خرج عليه السلام من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في أرض بنى سالم بن عوف فصلاها بمسجدهم في بطن وادي رانوءاء براء مهملة ونون كعاشوراء واسم المسجد غبيب بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة بتصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة في فضائل طابة وهو المجد صاحب القاموس واسم الوادي ذو صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهي أول جمعة صلاها عليه السلام وأول خطبة خطبها في الإسلام وقيل كان يصلي في مسجد قباء مدة إقامته ثم بعد صلاة الجمعة ركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راحلته متوجها إلى المدينة وهو مردف أبا بكر خلفه إكراما له وإلا فقد كان له راحلة كما مر وأبو بكر شيخ كان قد أسرع إليه الشيب والنبي صلى الله عليه وسلم لا شيب فيه وأبو بكر يعرف لأنه كان يمر عليهم تاجرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف لعدم ترده إليهم فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك؟ فيقول هذا الرجل يهديني السبيل فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق الحسية وإنما يعنى سبيل الخيرات وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الأنصار اعترضه رجالهم يدعونه إلى المقام معهم ويقولون له يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة والمنعة

بالتحريك مشترك بين العز والجماعة اللذين يحمونه وإن سكنت النون فبمعنى العز فقط، وسمى ممن قال له ذلك عتبان بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة من بنى سالم بن عوف وزياد بن لييد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة وسعد بن عباد والمنذر بن عمرو وفى رجال من بنى ساعدة وسعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبى زهير وعبد الله بن راحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرجي وأبو سليط وسليط بن القيس فى رجال من بنى عدي بن النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو منهم. ويقول عليه السلام لكل منهم خلوا سبيلها يعنى ناقتة فإنها مأمورة حتى أتت دار مالك بن النجار فبركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربد بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء فдал مهمة الموضع الذى يجفف فيه التمر لسهل وسهيل بنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء كما عند ابن إسحاق وأبى عبيد ويقال إنهما فى حجر سعد بن زرارة أى بالألف أحد سباق الأنصار وفى رواية أبى ذر وحده سعد بلا ألف والأول هو الصواب قال الحافظ سعد تأخر إسلامه انتهى وذكره غير واحد فى الصحابة، قال عياض ولم يذكره كثيرون لأنه ذكر فى المنافقين وحكى الزبير أنهما كانا فى حجر أبى أيوب قال فى الفتحة وأسعد أثبت، وقد يجمع باشتراكهم وبانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحدا بعد واحد انتهى من الزرقاني.

وقال الكلاعي فلما بركت ولم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم وثبت ومشى غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنىها به ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحللت ورزمت ووضعت جيرانها به، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى المراد منه.

وفى حاشيته منسوباً للسهيلي فسر ابن قتيبة تلحح أى بتقديم اللام بأن معناه لزم مكانه وأنشد:

أنا من إذا قيل انفروا قد اتيتم أقاموا على أنفألهم وتلحاحوا
وأما تقديم الحاء فمعناه زال عن موضعه وهذا الذى قاله قوي من جهة
الإشتقاق ولكن الرواية فى سيرة ابن إسحاق بتقديم الحاء وهو خلاف
المعنى. انتهى.

قال فى المواهب وشرحها بعد أن ذكر بروكها أولا بالمربد ثم ثارت
وهو صلى الله عليه وسلم عليها ومشيت حتى بركت على باب أبى أيوب
خالد بن زيد بن كليب من أكابر الصحابة من بنى مالك بن النجار شهد
بدرا والمشاهد ثم ثارت أي قامت وبركت فى مبركها الأول عند المسجد
وألقت جيرانها بالأرض وهو بكسر الجيم باطن العنق أو مقدمه من
المذبح وأرزمت بهمز فراء ساكنة فزاي مفتوحة أي صوتت من غير أن
تفتح فاهها، قاله أبو زيد وقال صاحب العين معناه رغت ورجعت فى
رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح انتهى. وروي رزمت بلا
ألف أي نامت من الإعياء والهزال ونزل عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم واحتمل أبو أيوب رحله بإذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته
ومعه زيد بن حارثة وكانت دور بنى النجار أفضل دور الأنصار والناقة
المذكورة هي القصواء والجدعاء وهل هما إثنان أو واحدة لها لقبان
خلاف، وفى الألفية عضباء جدعاء هما القصواء، وقال السهيلي
والصحيح أن العضباء غير القصواء قال أبو أيوب لما نزل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كنت فى العلو فلما خلوت على أم أيوب قلت
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة
وينزل عليه الوحي فبتنا تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة هنيئة بل
بشر ليلة، فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم
أيوب، قال لم يا أبا أيوب؟ قال قلت أنت أحق بالعلو منا تنزل عليك
الملائكة وينزل عليك الوحي قال صلى الله عليه وسلم الأسفل أرفق بنا.
فقلت لا والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا، فلم يزل أبو
أيوب يتضرع إليه حتى تحول إلى العلو وأبو أيوب فى السفلى وكنا
نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد فضله علينا تيممت أنا وأم

أيوب موضع يده نبتغى بذلك البركة وقد ذكر أن هذا البيت الذى لأبى أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الأول ابن حسان الحميري وكان ممن تدين بالزبور وبين موته ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لما مر بالمدينة روي أبى عساكر أنه قدم مكة وكسى الكعبة وخرج إلى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجال ولما نزلها جمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى مقامهم فقالوا إن شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية واعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالإقامة إلى وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه إسلامه ومنه شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارئ النسم، فلو مد عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم، ودفع الكتاب إلى عالم عظيم وأمره أن يدفعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولد ولده أبدا إلى حين خروجه فتداول الدار التي تبع للنبي صلى الله عليه وسلم لينزلها إذا قدم المدينة الأملاك إلى أن وصلت إلى أبى أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذى دفع إليه الكتاب ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليه كتاب تبع مع أبى ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى، ومعه كتاب تبع الأول، وقال وأهل المدينة الذين نصره عليه السلام من ولد أولئك العلماء فعلى هذا فالمصطفى صلى الله عليه وسلم إنما نزل فى منزل نفسه لا فى منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقَت المدينة بحلوله فيها وصعدت ذات الخدور على الأجاجير بجيمين جمع آجار وفى لغة الأناجير بالنون وهي السطوح عند قدومه عليه السلام يهنئنه ويقلن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع زاد رزين:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

قال القسطلاني في المواهب أنشئ هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي وأبو بكر المقرئ بضم الميم وسكون القاف كما في الزرقاني عن ابن عائشة وذكره الطبري وقال خرج الحلواني انتهى وسميت ثنية الوداع لأنه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض أسفاره يعنى غزوة تبوك كما في الزرقاني وقيل لأنه عليه السلام شيع إليها بعض سراياه أي سرية مؤتة كما للزرقاني أيضا فودعه عندها وهذان يعطيان أن التسمية حادثة وقيل لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديما فدل على أنه اسم قديم وقال ابن بطل سميت بذلك لأنهم كانوا يشيعون الحاج إليها ويودعونهم عندها وإليها يخرجون عند التلقى قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي وهذا كله مردود ففي صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس كلهم يتلقونه من ثنية الوداع وهذا صريح في أنها من جهة الشام لا من جهة مكة قال ولهذا قال والدى عبد الرحيم في شرح الترمذي كلام ابن بطل وهم وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة انتهى.

ونحوه في الفتح كما للزرقاني قال القسطلاني وسبقه إلى ذلك ابن القيم أي في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد فقال هذا وهم لأن ثنية الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك لكن قال ابن العراقي ويحتمل أن تكون الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى قال الزرقاني قال الخميس يشبه إن هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات قال ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك فلا ينافي ما في البخاري وغيره ولما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبيذا مسحما من جوار

فقال محمد صلى الله عليه وسلم: أتحببني أي بضم التاء من أحب وبفتحها وكسر الموحدة من حب؟ قلن نعم يا رسول الله، فقال عليه السلام الله يعلم أن قلبي محبكم بالميم يعني معشر الأنصار، وفي رواية فقال والله وأنا أحبكن فتفرق الناس في الطرق ينادون فرحاً: جاء محمد، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبؤ أرض الله وعك بالبناء للمجهول أي حمّ أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول: كل امرئ مصباح في أهله. والموت أدنى من شراك نعله قوله مصباح أي مصاب بالموت صباحا وشراك النعل سيره الذي على ظهر القدم والمعنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك النعل إلى الرجل وذكر ابن شعبة أن هذا الرجز لحنظلة ابن سيارة قاله يوم ذي قار وتمثل به الصديق رضي الله عنه وكان عامر يقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى أنفه بروقه
والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلاً في الحث على حفظ الحريم
ويذكر أن هذا الشعر لعمر بن مامة وكان بلال إذا أقلت عنه الحمى بالبناء للفاعل أو المفعول يرفع عقيرته أي صوته بالبكاء ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل تبتدون لى شامة وطفيل
وقوله بواد يعنى واد مكة والإذخر بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين حشيش مكة إلخ.. والرائحة الطيبة وجليل نبت ضعيف يحشى به البيوت وهو الثمام ومياه بالهاء ومجنة بفتح الميم والجيم والنون المشددة وتكسر الميم موضع على أميال من مكة كان به سوق في الجاهلية وشامة وطفيل بفتح المهملة وكسر الفاء عينان بقرب مكة كما ارتضاه الخطابي وقواه السهيلي وقيل جبلان وزعم في القاموس أن شامة بالميم تصحيف من المتقدمين وأن الصواب بالياء وأشار الحافظ لرده فقال زعم بعضهم أن الصواب بالموحدة بدل الميم والمعروف بالميم

انتهى. من الزرقاني.

تنبيه:

أصل العقيرة الساق المقطوعة وأصل هذا كما قال الأصمعي أن رجلا انعقرت رجله فرفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك وإن لم يرفع رجله قال ثعلب فهذا من الأسماء التي استعملت على غير أصلها وهذان البيتان ليسا لبلال بل تمثل بهما وإنهما لبكر بن غالب الجرهمي أنشدهما لما بعثهم خزاعة من مكة ولما أخبرت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححهما لنا وانقل حماها الى الجحفة. قوله حبيب إلينا المدينة إلخ.. فاستجاب الله دعاءه فكانت أحب إليهم من مكة كما جزم به السيوطي وقوله اللهم بارك لنا إلخ.. قد أجاب الله دعاءه فطيب الله هواها وترابها وساكنها والعيش بها. قال ابن بطال وغيره من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة، قال الشامي ويكفى المد منها ما لا يكفيه بغيرها، وهذا أمر محسوس لمن سكنها والجحفة بضم الجيم وسكون المهمل قرية جامعة نحو خمس مراحل من مكة وظهرت فيها معجزة عجيبة فهي من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها إلا حم ولا يمر بها طائر إلا حم وسقط وكانت يومئذ مسكن اليهود والذي نقل عن المدينة شدتها وسلطانها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة إليها شيئا.

(ثم بها أقام) أي ثم بعد نزوله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أقام بها أي لم يزل ساكنها (حتى احتضرا) أي توفي صلى الله عليه وسلم بها أي المدينة والفعل مبني للمفعول والاحتضر بفتح الضاد الذى حضره أجله أو حضرته الملائكة لنزع روحه قال الشاذلي المحتضر بفتح الضاد وكسرهما الميت لأن أجله حضره قال العدوي فى حاشيته هذه العلة تناسب الفتح، وفى زروق والمصباح بفتح الضاد ولم يذكروا الكسر أو لأن الملائكة تحضره لنزع روحه أو لحضور أجله غالبا، قال وهذه العلة كلها تناسب

الفتح اسم مفعول وإما بالكسر اسم فاعل فهو من قام به الإحتضار انتهى المراد منه.

وعلى هذا الأخير فيصح كون الفعل فى كلام الناظم مبنيا للفاعل والأول سالم من الاسناد فهو حسن فى ضبطه والله أعلم.

(بها فكانت أشرف البقاع) قوله فكانت إلخ.. مسبب عن قوله ثم بها أقام حتى أحتضرا بها واسم كان ضمير يعود على المدينة المنورة وأشرف بالنصب خبره والبقاع البلاد يعنى أن المدينة إنما كانت أفضل من جميع البلاد لسكنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها حيا وميتا وإلى ما ذكر ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثر أهل المدينة ومالك وأصحابه سوى من يأتي ذكره واختاره بعض الشافعية وذهب الأكثر إلى تفضيل مكة وبه قال الشافعي وابن وهب ومطرف وابن حبيب واختاره ابن عبد البر وابن رشد وابن عرفة والأدلة كثيرة من الجانبين حتى قال الإمام ابن أبى جمرة بتساوى البلدين واختار السيوطي الوقف عن التفضيل لتعارض الأدلة فى الحجج المبينة وجزم فى خصائصه بأن المختار تفضيل المدينة قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي فى شرح الموطأ. ولما كانت التربة التى ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم خارجة عن هذا الخلاف بل هي أفضل من جميع بلاد الله تعالى حتى من الكعبة ومن السماء بل ومن العرش كما نقله السبكي أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ذلك فقال: (أما ضريحه) صلى الله عليه وسلم أي قبره الشريف (ف) هو أفضل من جميع البقاع (بالإجماع) من جميع الأمة، قال الشيخ عبد الباقي عند قول الشيخ خليل والمدينة أفضل ثم مكة على قول مالك وهو قول أهل المدينة وعكس الشافعي وابن وهب وابن حبيب وأهل الكوفة ومحل الخلاف فى غير الموضع الذى ضم أعضاءه صلى الله عليه وسلم وهو مراد من عبر بغيره فإنه أفضل من جميع بقاع الأرض حتى الكعبة ومن السماوات والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت كما للسيد السمهودي ولعله أراد البيت المعمور فلا يتكرر مع الكعبة فإنها أفضل من بقية المدينة اتفاقا وأما المسجدان بقطع النظر عن الكعبة وعن القبر

الشريف فمسجد المدينة أفضل وما زيد من مسجده الشريف حكمه حكم مسجده عند الجمهور وهو مذهب الإئمة الثلاثة وصرح به الشافعية غير النووي وقيل رجع عن ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو زيد فى هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي، وعن عمر رضي الله عنه قال لو مدّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى الحليفة كان منه، والجمهور على تفضيل السماء على الأرض وقيل بتفضيل الأرض لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها والمراد بموضع قبره ما يمس أعضاءه كما مرّ لا أعم وإن كان لغير الناس حرمة أيضا كجلد المصحف وقال الدماميني والروضة تنضم أيضا لموضع القبر بالإجماع على تفضيله بالدليل الواضح إذ لم يثبت لبقعة أنها من الجنة بخصوصها إلا هي كما قال عبد الباقي ويلى مكة بيت المقدس فهو أفضل ولو من المساجد المنوسبة له صلى الله عليه وسلم كمسجد قباء انتهى المراد منه.

وقال الإمام الحطاب عند قوله والمدينة أفضل إلخ.. هذا هو المشهور وقيل مكة أفضل ثم المدينة بعد إجماع الكل على أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض ونقل الحطاب عن العلماء أن الصلاة تضاعف فيما زيد فى المسجد النبوي كما تضاعف فى القديم منه وقال مالك لما سئل عن الصلاة فيما زيد منه قال ما أراه عليه السلام أشار بقوله صلاة فى مسجدي هذا إلا لما سيكون بعده من مسجده لأن الله تعالى أطلعه على ذلك حتى أشار إليه انتهى.

وقال الشبراخيتي والمدينة عندنا وجميع السلف ومنهم عمر رضي الله عنه أفضل انتهى نقله الوالد حفظه الله تعالى فى اللوامع. وفى شرح الزرقاني للمواهب عن البرماوي الحق أن مواضع أجساد الأنبياء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها من الأرض والسماء ومحل الخلاف فى أن السماء أفضل أو الأرض غير ذلك انتهى. يعنى وأفضل تلك المواضع القبر الشريف بالإجماع، واستشكله العز بن عبد السلام بأن معنى التفضيل فى الموضعين أن ثواب العمل فى أحدهما أكثر من الآخر وكذا

التفضيل بين الأزمان وموضع القبر الشريف العمل فيه حرام فيه عقاب شديد ورد عليه تلميذه العلامة القرافي بأن التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود فلا يمسه محدث ولا يلبس بقذر لا لكثرة الثواب وإلا لزم أن لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف نفسه أفضل من غيره وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة وأسباب التفضيل أعم من الثواب وقال السبكي قد يكون للتفضيل لكثرة الثواب وقد يكون لأمر آخر، وإن لم يكن عمل فإن القبر الشريف ينزل عليه من الملائكة والرحمة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عنه فكيف لا يكون أفضل الأمكنة . وقال السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم وهو منبع الخيرات. وفي الشفاء ومن إعظامه عليه السلام إكرام مشاهده وأمكنته ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة ويقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وأفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية أن يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه وروي أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكياً منشداً:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبنا
نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا
ولما أشرف بعض المريدين على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
أنشأ يقول متمثلاً:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
أقربتنا من خير من وطئ الثرا فلها علينا حرمة وذمام
قال القاضي وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها
جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، صلى

الله عليه وسلم وانتشر عنها من دين الله ما انتشر، إلى أن قال تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها، وجدرانها. وللمؤلف يعني نفسه:

يا دار خير المرسلين ومن به عندي لأجلك لوعة وصباية وعلي عهد إن ملأت محاجري لأعفرن مصون شيبتي بينها لولا العوادي والأعداى زرتها لكن سأهدي من حفيل تحييتي أذكى من المسك المفتق نفحة وتخصه بزواكي الصلوات مع	هدي الأنام وخص بالآيات وتشوق متوقد الجمرات من تلکم الجدران والعرصات من كثرة التقبيل والرشفات أبدا ولو سحبا على الوجنات لقطين تلك الدار والجدران تفشاه بالأصال والبركات نوامي التسليم والبركات
---	--

قوله درة بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير وقوله قدرا أي جاها وعظمة وقوله منشد الإنشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لأبي الطيب المتنبي والرسم أثر الدار والفؤاد القلب، واللب العقل، والأكوار جمع كور بالضم رحل الناقة بإكافه كالسرج بآلته للفرس وقوله بان أي ظهر رسمه والإمام: النزول وكرامة نصب على العلة وركبا حال أي كرامة ان ننزل به راكبين كذا في ابن سلطان وغيره قال مؤلفه سمح الله له ولم يتعرض لقوله عنه وعلى تفسير بان بظهر فعنه يبدل منه قوله ان نلم بدل اشتمال أي لأجل إكرامنا له عن أن نلم به راكبين ويحتمل عندي معنى أظهر من هذا وهو أن يكون بان بمعنى بعد وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم ويعنى ببينه عن الرسم انتقاله أي بالوفاة إلى دار كرامته صلى الله عليه وسلم أي نزلنا عن الرحال إكراما لمن ارتحل عن تلك الدار أن ننزل به راكبين هذا ما ظهر لى والله أعلم بالصواب.

وقوله لاح أي لمع وتقطع بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف إحدى

التاءين أو بصيغة الماضى معلوما أي تضمحل لديه الأفهام بسطوع نوره والرحال بالمهملة جمع رحل البعير وفى نسخة بالجيم وذمام بكسر أوله أي عهد وأمان والأبيات لأبى نواس يمدح بها الأمين كذا بخط السخاوي. وجدير أي حقيق ولائق وعمرت بصغة المجهول مخففا ومشددا والروح أي أرواح الأنبياء المرسلين والروح الأمين وضجت صوتت والمعنى ارتفعت الأصوات فى عرصاتها جمع عرصة وهي كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء وأن تعظم بفتح الهمزة مبتدأ خبره جدير المقدم وتتنسّم أي تستنشق وفى نسخة تشم بشد الميم وفى أخرى تشم نفحاتها أي روائحها الطيبة ولوعة أي شدة محبة والصبابة بالفتح رقة الشوق وعن النخعي كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لأنه إذا تاب فربما كان ارعواؤه باعثا له عن شدة اجتهاده وكثرة نومه على ما فرط من عمله وأبعد له عن أن يعجب بحاله ولأن المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الإخلاص والعوادى جمع عادية وهي العوائق التي تصرف عن الشيء والأعادى جمع عدو والوجنة أعلى الخد وهي بفتح الواو وتكسر وتضم وسحبا من قولهم سحبتة أي جررتة وأهدى بضم الهمزة وحفيل تحيتى أي تحيتى الحافلة أي الكثيرة الكاملة والمفتق بفتح التاء المشددة أي المشقق ويقال فتق المسك إذا خلط به ما يزكى رائحته، قاله ابن سلطان فى شرح الشفاء وللشيخ الصالح أبى عمران:

وتحن من طرب إلى لقيهاها	دار الحبيب أحق أن تهواها
يابن الكرام عليك أن تغشاها	وعلى الجفون متى هممت بسزورة
وظللت ترتع فى ظلال رباها	فلأنت أنت إذا حللت بطيبة
سلبت عقول العاشقين حلاها	مغنى الجمال منى الخواطر والتي
هيهات أين المسك من رباها	لا تحسب المسك الذكي كتربها
فأدم على الساعات لثم ثراها	طابت فإن تبغى التطيب يا فتى
أن الإله بطيبة سماها	وابشر فى الخبر الصحيح مقرر
واختارها ودعى إلى سكنها	واختصها بالطيبين لطيبها
شرفا حلول محمد بفناها	لا كالمدينة منزل وكفى بها

خَصَّتْ بِهَجْرَةٍ خَيْرٍ مِنْ وَطْئِ الثَّرَى
كُلَّ الْبِلَادِ إِذَا ذَكَرْنَ كَأَجْرَفِ
حَاشَى مَسْمَى الْقُدْسِ فَهِيَ قَرِيبَةٌ
لَا فَرْقَ إِلَّا أَنْ تَمَّ لَطِيبَةُ
جَزْمِ الْجَمِيعِ بَأَنْ خَيْرِ الْأَرْضِ مَا
وَنَعَمْ لَقَدْ صَدَقُوا بِسَاكِنِهَا عِلَّتْ
فَلِهَذِهِ ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ طَيِّبَةِ

قال أبو العباس القلشاني ولقد أحسن فيها كل إحسان لاسيما قوله
في آخرها:

كَيْفَ السَّبِيلَ إِلَى تَقْضَى مَدْحٍ مِنْ
إِنْ الَّذِينَ يَبْأَيِعُونَكَ إِنَّمَا
انْتَهَى مَا ذَكَرَ الْقُلُثَانِي مِنْهَا.

قَالَ الْإِلَهَ لَهُ وَحَسْبُكَ جَاهُ
فِي مَا يَقُولُ يَبْأَيِعُونَ اللَّهَ

ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر كما فى المواهب تبعا لابن عبد البرّ وقيل بثمانية وقيل بتسعة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والتوارث واستمر ذلك إلى أن نزل بعد وقعة بدر حين أعز الله الإسلام وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فانقطعت المؤاخاة فى الميراث وبقيت فى التوادر والمناصرة كما قال تعالى : {إنما المؤمنون إخوة}، قال العز بن عبد السلام هو خبر بمعنى الأمر أي لينصر بعضهم بعضا، وقوله صلى الله عليه وسلم: المؤمن أخو المؤمن خبر أيضا بمعنى الأمر.

تتمة:

قال الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح المواهب: روى أبو داود عن جبير بن مطعم مرفوعاً لا حلف في الإسلام وأي حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة وروى أحمد والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه أوفو بحلف الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام قال في النهاية أصل الحلف المعاقدة

والمعاهدة على التعاضد والتساعد والإنفاق فما كان منه فى الجاهلية على القتال والغارات فذلك الذى نهى عنه بقوله لا حلف فى الإسلام وما كان منه على نصر المظلوم وصلة الأرحام فذلك الذى قال فيه وأى حلف فى الجاهلية إلخ.. يريد من المعاهدة على الخير ونصرة الحق انتهى.

(ومدة اللبث بها فى العده عشر سنين يا لها من مده)

قوله ومدة مبتدأ خبره قوله عشر واللبث بفتح اللام ويضم ويحرك المكث لبث كسمع، قاله فى القاموس، وقوله يا لها تعجب أى يا قوم أعجبوا لتلك المدة من مدة يعنى أن المدة التى أقام صلى الله عليه وسلم بها أى بالمدينة المشرفة عشر سنين وهذا عليه اتفاق العلماء، وفى الشمائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وبالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين، قال البيجورى فى شرحه قوله مكث بفتح الكاف وضمها أى لبث بعد البعثة، وقوله ثلاث عشرة سنة يوحى إليه أى باعتبار مجموعها لأن مدة فترة الوحي ثلاث سنين من جملتها وهذا هو الأصح الموافق لما رواه أكثر الرواة وروى عشر سنين وهو محمول على ما عدى مدة فترة الوحي وروى أيضا خمس عشرة سنة فى سبعة منها يرى نورا ويسمع صوتا ولم ير ملكا وفى ثمانية منها يوحى إليه وهذه الرواية مخالفة للأولى من وجهين الأول فى مدة الإقامة بمكة بعد البعثة ويمكن الجمع بحمل هذه الرواية على حساب سنة البعثة وسنة الهجرة والثانى فى زمن الوحي ويمكن الجمع بأن المراد بالوحي إليه فى ثلاث عشرة أعم من كون الملك مرئيا أولا وفى الثمانية خصوص الوحي مع رؤيته فلا تدافع، وقوله وبالمدينة عشرا أى عشر سنين باتفاق فإنهم اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين كما اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة قبل البعثة أربعين وإنما اختلفوا فى قدر إقامته بمكة بعد البعثة والصحيح أنه ثلاث عشرة سنة فيكون عمره الشريف ثلاثا وستين انتهى.

وفى الشمائى أيضا عن معاوية رضى الله عنه قال مات رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر قال البيجوري قوله وأبو بكر وعمر مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك أما أبو بكر فمتفق عليه وأما عمر فقليل مات وهو ابن إحدى أو ست أو سبع أو ثمان وخمسين سنة، ولم يذكر عثمان رضي الله عنه وقد قتل وهو ابن اثنتين وثمانين وقليل ثمان وثمانين سنة ولم يذكر عليا كرم الله وجهه والأصح أنه قتل وهو ابن ثلاث وستين وقليل خمس وستين وقليل سبعين.

(لقد غزى عشرين بعد خمس * فيها) ضمير فيها للمدة التي أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومعنى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم غزا بنفسه الشريفة في العشر سنين التي أقام بالمدينة خمسا وعشرين غزوة (أولها) غزوة ودان بفتح الواو وشد المهملة فألف فنون قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع وقليل واد في الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة، قاله الزرقاني وهي غزوة الأبواء قاله ابن أبي جمرة والقسطلاني والكلاعي وغيرهم خرج لها صلى الله عليه وسلم في ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري وحمل اللواء وكان أبيض، حمزة بن عبد المطلب وكان خروجه في صفر لاثنتي عشرة ليلة خلت منه على رأس اثنتي عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فخرج حتى بلغ ودان فقاته غير قريش ووادعه أي صالحه بنو ضمرة بفتح المعجمة وسكون الميم ابن بكر على أن لا يغزونه ولا يكثره عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وعقد معه ذلك سيدهم مخشي بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمة مع ياء مشددة ابن عمرو الضمري وقليل عمارة بن مخشي بن خويلد ومخشي بن عمر وقال البرهان لا أعلم له إسلاما وقال الشامي لم أر من ذكر له إسلاما فرجع إلى المدينة بعد خمسة عشر يوما ولم يلق كيدا، والأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمد قرية من عمل الفرع والصحيح أنها سميت بذلك لتبوء السيول لها وليس بين ما في سيرة ابن إسحاق من أن أول غزواته ودان وبين ما نقله عنه البخاري أن أولها

الأبواء اختلاف لأنهما مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية ولهذا وقع فى حديث الصعب بن جثامة وهو بالأبواء أو بودان انتهى من المواهب وشرحها. وقوله لقد غزا يقال غزا غزوا ومغزا والمغازي جمع مغزا والواحدة غزوة وغزاة وأصل الغزو القصد ومغزى الكلام مقصده، والمراد بالمغازي هنا ما حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة، قال الزرقاني جرت عادة المحدثين وأهل السير غالبا بأن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو سرية وبعثا وما ذكره الناظم من عدد الغزوات خلاف ما اقتصر عليه القسطلاني فإنه قال فى المواهب، وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين وقال الزرقاني عقبه كما قاله أئمة المغازي: موسى ابن عقبة وابن إسحاق وأبو معشر والواقدي وابن سعد وجزم به الجوزي والدمياطي والعراقي وغيرهم، وقال ابن إسحاق فى رواية عنه: ستا وعشرين وقيل غزا خمسا وعشرين، وعن ابن المسيب أربعة وعشرين، وقال المحب الطبري جملة المشهور منها: اثنتان وعشرون ويمكن الجمع بأن من عددها دون سبع وعشرين نظرا إلى شدة قرب بعض الغزوات من غيره فجمع بين غزوتين فعدهما غزوة واحدة فضم للأبواء بواطاً إذ الأبواء فى صفر وبواط فى ربيع الأول وضم حمراء الأسد لأحد لكونها صبيحتها وقريظة للخذق لأنها ناشئة عنها وتلتها وادى القرى لخيبر لوقوعها فى رجوعه من خيبر، والطائف لحنين لانصرافه منها إليها، فبهذا تصير اثنتين وعشرين وإلى هذا أشار الحافظ، قاله العلامة الزرقاني، وقال ابن أبي جمرة إن عدة غزواته صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون على ما ذكره ابن إسحاق وابن عقبة وقال غيرهما خمس وعشرون وفى صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة وفى الصحيحين عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم غزي تسع عشرة غزوة انتهى المراد منه.

قال الزرقاني عن الحافظ من قال تسع عشرة فلعله أسقط الأبواء

وبواطاً وكان خفي عليه ذلك لصغره انتهى. ثم بعد ودان وهي غزوة الأبواء غزوة بواط بفتح الموحدة عند الأصيلي والمستملى من روات البخاري والعذري من روايه مسلم وصدر فى الفتح فتبعه السيوطي والقسطلاني فى المواهب قائلين وقد تضم وهو صريح فى قلته مع أنه الأعرف كما فى المطالع واقتصر عليه فى المقدمة والقسطلاني فى الشرح وصاحب القاموس وواه مخففة فألف فطاء مهملة جبل من جبال جهينة قرب ينبع على أربعة برد من المدينة، غزاها صلى الله عليه وسلم فى مائتين من المهاجرين يتعرض عير قريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيهم أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مقدمه كما قاله ابن إسحاق، وقال أبو عمرو وتلميذه ابن حزم فى ربيع الآخر، حتى بلغ بواطاً من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة مقصور جبل، قال فى السبل على أربعة برد من المدينة وبه يفسر قول المجد على أبراد فرجع ولم يلق كيدا، أي حربا، قاله الإمام الزرقاني وبعضه من المواهب.

فائدة:

ذكر الشامي وغيره أنه فى هذه الغزوة حمل لواءه سعد بن أبي وقاص، وفى العيون سعد بن معاذ وناقضه البرهان والأقرب أنه ابن أبي وقاص للتصريح بأن الذين خرجوا من المهاجرين، نعم، قيل انه استخلف على المدينة سعد بن معاذ قال الزرقاني قال شيخنا فلعله التباس فى الاستخلاف بالحمل وقيل استخلف عليها السائب بن عثمان بن مظعون انتهى.

ثم بعد بواط العشيرة بضم العين المهمة وإعجام الشين مصغرا وآخره هاء، قال فى المواهب لم يختلف أهل المغازى فى ذلك الضبط قال الزرقاني قال فى المشارق وهو المعروف قال الحافظ وهو الصواب انتهى.

ثم قال فى المواهب وفى البخاري العشير والعسيرة بالتصغير

والأولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء انتهى.
قال الزرقاني ولأبى ذر العسير بالمهملة أو العشير بالمعجمة،
والتصغير فيهما وفى نسخة عن الأصيلي العشير بفتح العين وكسر
الشين المعجمة بغير هاء، انتهى.

وخرج إليها صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى على رأس ستة
عشر شهرا من الهجرة وقيل فى جمادى الأخيرة فى خمسين ومائة رجل
وقيل فى مائتين حكاهما ابن سعد، وزاد من قریش من المهاجرين ممن
انتدب ولم يكره أحدا على الخروج ومعهم ثلاثون بغيرا يعتقبونها وحمل
اللواء وكان أبيض حمزة أسد الله وأسود رسول الله يطلب عير أبى سفيان
فى خروجها إلى الشام أى العير التى كانت بسببها وقعة بدر ويقال ان
فيها خمسين ألف دينار وألف بغير ولا يرد على هذا أن العير هي الإبل
التي تحمل الميرة لقول المصباح أنها غلبت على كل قافلة فوجدوا العير
قد مضت قبله بأيام. قال أبو عمر فأقام هناك جمادى الأولى وليال من
جمادى الأخيرة ووادع أي صالح فى هذه السفرة بنى مدلج من كنانة ثم
رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا والعشيرة موضع بناحية ينبع قاله فى
القاموس وفى الكلاعي حتى نزل على العشيرة من بطن ينبع انتهى.

فائدة:

نسخة المودعة بينه صلى الله عليه وسلم وبين بنى ضمرة الواقعة
فى غزوة ودان: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم
وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم أن لا يحاربوا فى دين الله ما
بل البحر صوفة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصر
أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وعهد رسول الله واستعمل فى خروجه ذلك على
المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد رضى الله عنه ثم بعد العشيرة غزوة بدر
الأولى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة العشيرة لم يقم
بالمدينة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر كما عند ابن إسحاق وقال ابن

حزم أنها بعد العشيرة بعشرة أيام فأغار كرز بضم الكاف وسكون الراء وبالزاء آخره ابن جابر الفهري وكان من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب واستشهد فى غزوة الفتح على سرح المدينة وهو بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات الإبل والمواشى التى تسرح للرعي بالغداة كما فى النور والسبل ولعل المراد بالمواشى المال السائم وإن كانت المواشى كما فى القاموس الإبل والغنم وفى العيون السرح ما رعوا من نعمهم فخرج صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ سفوان وهو بفتح السين المهمة وفتح الفاء وبالنون بعد الألف موضع من ناحية بدر، هكذا فى النهاية، وتبعه السمهودي فقال سفوان بفتحات واد من ناحية بدر، وقيل الفاء ساكنة وحمل اللواء وكان أبيض كما فى الشامية على بن أبى طالب رضي الله عنه ففاته كرز فرجع ولم يلق كيدا وكرز هذا هو الذى استنقذ لقاح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من العرينيين وجيئ بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وهذه الغزوات الأربع التى ذكرت قبل ما سمى الناظم رحمه الله تعالى فلهذا ذكرناها هنا، يليها غزوة بدر الكبرى والكبرى نعت لغزوة لا لبدر وتسمى العظمى والثانية، وبدر القتال وبدر الفرقان، قاله الزرقاني ولما كانت الغزوات التى غزاها صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة منها ما اتفق فيه قتال ومنها ما لم يتفق فيه قتال، أشار المؤلف إلى بيان ذلك فقال (وفي سبع بغير لبس * قاتل) المجرور السابق متعلق بقوله قاتل وفاعل قاتل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم واللبس الإختلاط يعنى أنه صلى الله عليه وسلم قاتل فى سبع من الغزوات التى غزاها بنفسه الشريفة وسيبينها الناظم قريبا والمراد بقتاله فيها عليه السلام قتال أصحابه للكفار فيها بحضرته وأما هو عليه السلام فلم يعلم أنه قاتل بنفسه إلا فى أحد ولم يقتل أحدا إلا أبى بن خلف فقتله فى أحد، قال فى المواهب وقاتل فى تسع منها بنفسه بدر وأحدا والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف، قال الشيخ محمد بن عبد الباقي فى شرحها قال ابن تيمية لا

يعلم أنه قاتل فى غزاة إلا فى أحد ولم يقتل أحدا إلا أبى بن خلف فيها، فلا يفهم من قولهم قاتل فى كذا أنه بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله عليه السلام انتهى. ثم قال الزرقاني فى قوله يعنى القسطلاني بنفسه شيء وأجيب بأن المراد قتال أصحابه بحضوره فنسب إليه لكونه سببا فى قتالهم ولم يقع فى باقى الغزوات قتال منهم ولا منه، قال فى النور قد يرد على ابن تيمية حديث: «كنا إذا لقينا كتيبة أو جيشا أول من يضرب النبي صلى الله عليه وسلم» ويمكن تاويله، ثم قال القسطلاني وهذا يعنى عده لغزوة الفتح على قول من قال فتحت مكة عنوة قال الزرقاني وهم الجمهور وأما على قول الأقل فتحت صلحا فيكون القتال فى ثمان وقال الزرقاني أيضا قال ابن عقبة قاتل فى ثمان وأهمل عدّ قريظة لأنه ضمها للخذق لكونها كانت إثرها وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين وأحدا لكونها كانت فى أثرها هكذا فى فتح الباري وإنما كان لا ينفى أنه قاتل فى جميعها غايته أنه على عد الإثنتين واحدة بالاعتبار المذكور يكون قاتل فى موضعين منها انتهى.

والحديث الذى ذكر أنه يرد على ابن تيمية ذكره فى الشفا ونسبه ابن سلطان لأبى الشيخ وقال ابن سلطان إن النسفي قال فى تفسيره لم يقتل رسول صلى الله عليه وسلم بيده غيره، يعنى أبيا، انتهى كلامه. ثم بين الناظم رحمه الله تعالى أسماء الغزوات التى قاتل فيها عليه السلام فقال: **(بدر أحد والخذق * بنى قريظة بنى المصطلقى * وغزوة الطائف مع حنين)** قوله بدر وما بعده بالجر بدل من قوله سبع المتقدم يعنى أن هذه الغزوات السبع هي التى وقع فيها القتال من أصحابه بحضرتة صلى الله عليه وسلم على ما قال الناظم وهي غزوة بدر وهي قرية مشهورة بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة قاله النووي نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث ابن كلدة حافر بئرها وقيل بدر اسم البئر التى بها سميت البير بدرا لاستدارتها كبدر السماء أو لصفاء مائها ورؤية

البدر فيها وغزوة أحد وغزوة الخندق وغزوة بنى قريظة وغزوة بنى المصطلق وتسمى غزوة المريسيع وغزوة الطائف وغزوة حنين وها أنا أذكر إن شاء الله طرفا من جميعها على وجه الاختصار حذرا من التطويل الممل لأن الناظم لم يذكرها إلا بما مر فأقول ومن الله تعالى أسأل الإخلاص والقبول:

أما غزوة بدر فهي أعظم غزوات الإسلام وأفضلها قال ابن عبد البر وليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم ما يصل إليها فى الفضل ويقرب منها غزوة الحديبية حيث كانتبيعة الرضوان فيها نقله الزرقاني. وفى الحديث لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم. وفيه أن جبريل جاءه فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هذا كله فى البخاري. وقد قال العلماء الترجي فى كلام الله ورسوله للوقوع على أن أحمد وأبا داود وغيرهما رووه بلفظ إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وكان خروجه صلى الله عليه وسلم إليها يوم السبت كما جزم به مغلطاي. وعند ابن سعد يوم الإثنين وقالا معا لاثنى عشرة ليلة خلت من رمضان زاد مغلطاي على رأس تسعة عشر شهرا فقال ابن هشام لثمان خلون منه، واستخلف أبا لبابة الأوسي واليا على المدينة وذلك لما سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى غير عظيمة لقريش فندب المسلمين إليهم وقال هذه غير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فخف بعض الناس وثقل بعض إذ لم يظنوا أنه صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار حتى أصاب خبرا باستنقار رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولغيره فاستاجر ضمضما بفتح المعجمتين بعد كل ميم قاله الزرقاني بن عمرو الغفاري بكسر المعجمة وتخفيف الفاء والظاهر هلاكه على كفره قاله فى النور ليخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم فخرج

ضمضم وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث رؤيا أفزعته فقالت للعباس يا أخى لقد رأيت رؤيا تخوفت على قومك من أن يصيبهم منها شر فاكتم عنى ما أحدثك، فقال لها ما رأيت؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أرسل صخرة فأخذها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل انقضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها فلقة منها فقال لها والله إن هذه لرؤيا حق وأنت فاكتميه، فذكرها العباس للوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقا له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه عتبة وفشى الحديث، قال العباس فقال لى أبو جهل: يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبىة؟ قال قلت وما ذاك؟ قال الرؤيا التى رأت عاتكة، قد زعمت فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث: فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقا فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن نكتب عليكم كتابا انكم أكذب بيت فى العرب. قال العباس فما كان منى إليه كبير فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى وقالت أقررتم هذا الخبيث أن يقع فى رجالكم؟ ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غير لشيء مما سمعت. فقلت وأيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيكنه، قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى أنه قد فاتني أمر أحب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيت فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود فأقع به إذ خرج يشتد وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدعه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث، قال فشغلنى وشغله ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعا وقالوا يظن محمد وأصحابه أن تكون

كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث رجلا مكانه، واللطيمة العير تحمل المسك، ولما أجمعوا السير ذكروا حربا كانت بينهم وبين بكر بن كنانة وقالوا إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقعة المدلجي وقال إنى لكم جار من أن تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وكان البدريون من الصحابة ثلاثة عشر وثلاث مائة على ما رواه أحمد والبزار والطبراني عن ابن عباس وهو المشهور عند ابن اسحاق والبيهقي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص ثلاث مائة وخمسة عشر، وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنهم ثلاث مائة وتسعة عشر بفوقية فسين مهمة فجمع الحافظ بينه وبين الأول كما فى الزرقاني بأنه ضم إليهم من استصغر ولم ياذن له فى القتال كابن عمر والبراء وأنس وجابر وحكى السهيلي أنه حضر مع المسلمين سبعون نفسا من الجن كانوا أسلموا قال الزرقاني معه بعض كلام المواهب وإذا تحرر هذا فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال وإنما عدة من استمر معه حتى شهد القتال ثلاث مائة وخمسة رجال كما قاله ابن سعد، ولابن جرير عن ابن عباس وستة، قال الحافظ فكأن ابن سعد لم يعد النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قال ابن سعد المهاجرون منهم أربعة وستون وسائرهم من الأنصار وثمانية رجال منهم لم يحضروها حسا ولكنهم بدريون حكما لأنهم إنما تخلفوا للضرورات ولذا أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يخصهم من الغنيمة وأخبرهم أن لهم أجر من شهدا فكانوا كمن حضرها فعدوا فى أهلها، وهم عثمان تخلف على زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بإذنه فى مرض موته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما فى البخاري إن لك لأجر رجل ممن شهدا وسهمه وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش هؤلاء مهاجرون ومن الأنصار أبو لبابة استخلفه على المدينة وعاصم بن عدي على أهل العالية والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم والحارث بن الصامت

وقع للروحاء فكسر فرد هؤلاء من الروحاء وخوات بن جبير أصابه حجر
فى ساقه فرده من الصفراء، وذكر الواقدي فيهم سعد بن مالك الساعدي
والد سهل بن سعد، قال تجهز ليخرج لبدر فمات فضرب له بسهمه
وأجره، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ بئر أبى عنبة
كواحدة العنب الماكول وهي على ميل من المدينة عرض أصحابه فرد من
استصغر وسار حتى بلغ الروحاء بفتح الراء وسكون الواو وحاء مهملة
ممدودة قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة، وفى مسلم على ستة
وثلاثين ميلا فنزل سجسجا بفتح السين المهملة وسكون الجيم بعدهما
مثلهما وهي بئر الروحاء قال السهيلي سميت بذلك لأنها بين جبلين
وكل شيء بين شيئين سجسج فلما سار من الروحاء وقرب من الصفراء
أتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا غيرهم من رسوليهم اللذين أرسلهما
يتجسسان خبر أبى سفيان وهما بسبب بموحدتين مفتوحتين
ومهملتين أولاهما ساكنة ولجميع رواية مسلم بسياسة بضم الموحدة وفتح
المهملة وسكون التحتية وفتح السين فتاء تأنيث والأول هو المعروف
والأصح كما قاله الذهبي وكذا ذكره ابن إسحاق والدارقطني وابن عبد
البر وابن مأكولا والسهيلي قال فى الإصابة وهو الصواب وهو ابن
عمرو الجهني حليف الخزرج وعدي بن ابي الزغباء الجهني أيضا حليف
بنى النجار فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء وأخذا
يستسقيان فسمعا جارتين تقول إحداهما لصاحبتها إن أتانى العير
غدا أو بعد غد أعمل لهم ثم أقضيك الذى لك، فانطلقا حتى أتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير أي خيرهم
بين طلب العير وحرب القوم النافرين لقتالهم وقال ان الله وعدكم إحدى
الطائفتين إما العير وإما قريش وكانت العير أحب إليهم كما قال
تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} وذات الشوكة الطائفة
التي فيها السلاح كذا فى المواهب وشرحها ان الرسولين هما اللذان أتيا
بخبر النفير قرب الصفراء وظاهر الكلاعي أن الخبر أتاه بعد ذلك فإنه

قال بعد فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدي هل أحسست أحدا؟ قال لا إلا أنى قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بغيريهما ففتته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب فأسرع إلى أصحابه فضرب وجه عيره عن الطريق وترك بدرا بيساره ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى واديا يقال له ذفران فنزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فأخبر الناس واستشارهم فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن انتهى المراد منه.

وفى القاموس وذفران بكسر الفاء واد قرب واد الصفراء وتصحيف لدقران وقوله فأحسن أي جاء بكلام حسن، قال الزرقاني ولم أر من ذكره، ثم قام عمر فقال وأحسن وذكر ابن عقبة انه قال يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا أمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبطه وأعد لذلك عدته وعزها بالنصب أو بالرفع مبتدأ حذف خبره أي ثابت لم يتغير، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له عليه السلام خيرا ودعا له بخير ويعنى ببرك الغماد مدينة الحبشة، قاله القسطلاني وقال الزرقاني هو بفتح الموحدة عند الأكثر وهو المعروف فى الرواية، وفى رواية بكسرهما والراء ساكنة وحكى عياض عن الأصيلي فتحها قال الننوي وهو ضعيف والغماد بكسر المعجمة وتخفيف الميم قال الحازمي موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمين وقال البكري هي أقاصى هجر وحكى ابن فارس ضم الغين والفزاز فتحها وقال ابن دريد بقعة فى جهنم واعترضه بعضهم لأنه عليه السلام لا يدعوهم إلى جهنم، وخفي عليه أن ذلك بطريق المبالغة لا الحقيقة، والأولى تفسره بأنه

أقصى معمور الأرض كما هو أحد معانيه ثم قال صلى الله عليه وسلم أيها الناس أشيروا علي وإنما يريد الأنصار، لأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برؤاء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى أن عليها نصرتة إلا ممن دهمه بالمدينة فقال له سعد بن معاذ الذي هو في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين كما صرح به البرهان والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال أجل، قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر أي طلبت أن نقطع عرضه فخصته لخصناهم معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله، فسر عليه السلام بقول سعد، ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا بأن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم، قال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا فما أخطأ أحدهم أي ما تنحى عن موضع يده عليه السلام، قال ابن سيد الناس روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك المذكور عن سعد معاذ سعد بن عبادة سيد الخزرج وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ قال الحافظ ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الأولى بالمدينة والثانية بعد أن خرج قال ابن سيد الناس واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحاق في البدرين وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي فيهم اه وأشار في الفتح إلى أنه ليس بخلاف حقيقى لأنه قال لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وإن عد منهم لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره وفي العيون أيضا روينا عن ابن سعد أنه كان يتهيا للخروج ويحضر الأنصار علي الخروج فنهش فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدا

فلقد كان عليها حريصا، قاله الزرقاني، ثم ارتحل عليه السلام من ذفران بفتح المعجمة وكسر الفاء ونزل قريبا من بدر، ونزل قريش بالعدوة القصوى من الوادى أي البعدى من المدينة وهي بضم العين وكسرهما وبهما قرئ فى السبع وقرئ شاذا بفتحها جانبه وحافته ونزل المسلمون على كثيف أعفر وألقى الله الأمانة والنوم على المسلمين وأصبح بعضهم جنبا وألقى الخوف على المشركين حتى ضربوا وجوه خيلهم إذا صهلت لشدة الخوف ونزل صلى الله عليه وسلم أدنى ماء من القوم ثم أمر بالقلب فغورت بالمعجمة وشد الواو أي دفنت وبالمهملة معناه عند ابن الأثير وقال أبو ذر معنى المهملة أفسدت وبنى حوضا على القلب الذى نزلوا عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآتية وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش وهو شبه الخيمة يستظل به فكان فيه ولما عدل صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش وراءها قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم أحزنهم الغداة، فخرج الأسود بن عبد الأسد فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فتبعه حمزة رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما أن تبر يمينه فقتله حمزة فى الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين ابنه الوليد وشيبة بن ربيعة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار وهم عوف بالفاء وسماء بعضهم عوذا بالذال والأول أصح ومعوذا ابنا الحارث النجاريان وأمهما عفراء الصحابية النجارية أيضا ولها خصوصية لا توجد لغيرها كما فى الإصابة لأنها لها سبعة أولاد شهدوا بدرا كلهم وهم بنو الحارث معاذ وأخواه السابقان وأبناء البكيرى الليثي إياس وعاقل وخالد وعامر تزوجت أباهم بعد الحارث قاله الزرقاني وخرج مع ابني عفراء عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم؟ قالوا نحن رهط من الأنصار، فقالوا ما لنا بكم من حاجة. وفى رواية فقال عتبة أكفاء كرام إنما نريد قومنا، ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا فقال صلى الله عليه وسلم قم

يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما دنوا منهم قالوا من أنتم؟ لأنهم كانوا متلثمين فلا يرد أنهم كانوا يعرفونهم فتسموا لهم فقالوا نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة شيبه وقيل ان شيبه هو الذي قام لعبيدة وعلي الوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة شيبه وعبيدة ومن بارزه، ضرب كل منهما صاحبه ضربة أثخنه بها فوقع الضربة في ركة عبيدة فمات لما رجع بالصفراء فمال حمزة وعلي على من بارزه عبيدة فأعاناه على قتله فهو قاتله بإعانتها، وفي رواية هما اللذان قتلاه أي عجلا قتله، وإلا فعبيدة كان أثخنه، قاله الزرقاني وحمل عبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل فقال أشهيد أنا يا رسول الله؟ قال نعم، قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل، ثم أنشأ يقول:

فإن يقطعوا رجلى فأني مسلم أُرَجى بها عيشا من الله عاليا
والبسنى الرحمن من فضل منه لباسا من الإسلام غطى المساويا
رواه أبو داود ولما قتل المبارزون تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قریش حتى أتوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه يومئذ رجل إلا قتل إلا حكيم بن حزام فأسلم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذا اكثبوكم فارموهم واستبقوا انبلکم والمعنى إذا قربوا منكم وأمكنوكم فارموهم واستبقوا نبلکم فی الحالة التي إذا رميتم لا تصيبوا غالبا، قاله ابن السكيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه الصديق وليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ متوشحا سيفه في نفر من الأنصار على باب العريش يحرسونه وهو عليه السلام يناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر، وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أخذته سنة في العريش ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثنياه النقع بفتح النون وسكون القاف أي الغبار، وفي رواية هذا جبريل ءاخذ

برأس فرسه عليه أداة الحرب، ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر، وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا دخل العريش واستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف اللهم أنجزلى ما وعدتنى. وقوله ألف هذا أولى للصواب لصحته، وكونه عن عمر وافقه عليه ابن مسعود وهما بدريان وقال موسى بن عقبة تسعمائة وخمسون مقاتلا ويمكن الجمع بأن الخمسين باقى الألف غير مقاتلين، قاله الزرقاني وروى أن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمام بيض وقد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وقوله بيض أى من نور كما فى الرواية إذ لم يكن عليهم شيء من العمام المعروفة، وعن علي كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض أى النور المرئى للناظر مثل الصوف الأبيض، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال البرهان لا أعرف اسمه وهو مذكور فى الصحابة قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الواقعة على من تكون الدبرة فنذهب مع من ينهب، فبينما نحن فى الجبل إذ دنت سحابة فيها حممة الخيل فسمعت قائلاً يقول أقدم حيزوم، فأما ابن عمى فانشق قناع قلبه فمات، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت والحممة صوت دون الصهيل وأقدم بقطع الهمزة من الإقدام كما رجحه ابن الأثير وصوبه الجوهري وصححه النووي أو بهمزة وصل مضمومة وضم الدال بمعنى التقدم وقدمه ابن قرقول أو بكسر الهمزة وفتح الدال واقتصر عليه البارع قال أبو ذر كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بحذف حرف النداء فيعول من الحزم وتطلق على الصدر قال الشامي فيجوز أنه سمي به لأنه صدر خيل الملائكة ومتقدم عليها والدبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ويجوز فتحها وفى السبل بفتحتين وتسكن الهزيمة فى القتال وحيزوم اسم

فرس جبريل قال البرهان وله فرس أخرى ويحتمل أن أحدهما اسم والآخر لقب الحياة وهي التي قبض السامري من أثرها قاله الزرقاني وفي حاشية عليه انظر ما مرجع ضمير التثنية، وحاصل ما ذكره على ما يظهر أن البرهان يقول أن لجبريل فرسين أحدهما حيزوم والآخر الحياة ويحتمل أنه فرس واحد يسمى بحيزوم ويلقب بالحياة، وعن سهل بن حنيف بضم الحاء مصغر لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وما ذاك إلا من الملائكة قال السبكي والحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على أن يدفع الكفار بأجمعهم بريشة من جناحه كما روي أنه رفع مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل من الأرض السفلى على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها وقلبها، أن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مددا لهم على عادة الجيوش ولما التقى الجمعان أخذ صلى الله عليه وسلم بأمر جبريل ملئ كف من الحصباء فرمى به في وجوههم، وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسروا منهم من أسروا فممن قتل عدو الله أبو جهل، فرعون هذه الأمة، أقبل يرتجز ويقول:

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث السن
لمثل هذا ولدني أمي

وكان أول من ضربه فيما ذكر معاذ بن عمرو بن الجموح أحد بني سلمة قال سمعت القوم يقولون وأبو جهل في مثل الحرجة، أبو الحكم لا يخلص إليه، فصمدت نحوه وضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة فلقد قاتلت عامة يومي وإنني لأسحبها خلفي فلما أذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها، قال محمد بن عبد الباقي في رواية ابن وهب أنه جاء النبي صلى الله عليه وسلم يحملها فبصق عليها فلصقت

بكسر الصاد والحرجة بفتح الحاء المهملة وسكون الراء والجيم فهاء تأنيث شجر ملتف قاله فى النهاية وفى حواشي أبى ذر الشجرة الكبيرة الأغصان، وأطنت قدمه أسرعت قطعها وقال بعد كلام فى من قتله والحاصل أن معاذا ومعوذا ابني عفراء بلغا به بضربهما إياه منزلة المقتول حتى لم يبق به إلا مثل حركة المذبوح وفى تلك الحالة لقيه ابن مسعود فكأله ثم ضرب عنقه بسيف نفسه لكن فى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وأنه صلى الله عليه وسلم نظر فى سيفيهما وقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو وقال ابن عبد البر وعياض أصح منه حديث الصحيحين عن أنس أي وعبد الرحمن أيضا أن قاتله ابنا عفراء وجمع الحافظ باحتمال أن معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو وضربه بعد ذلك معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم حز رأسه ابن مسعود. انتهى. وسبقه إليه النووي فقال اشترك الثلاثة فى قتله لكن ابن الجموح اثخنه أولا فاستحق السلب، انتهى المراد منه.

وممن قتل أمية بن خلف أسره عبد الرحمن بن عوف وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فنظره بلال وكان أمية يعذبه بمكة فقال بلال يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجى، فتشبروه بأسياهم وقيل قتله بلال وهناه الصديق بقوله:

هنيئًا زادك الرحمن فضلاً فقد أدركت ثأرك يا بلال
ومنهم أهل المبارزة المار ذكرهم، ومنهم العاصى بن هشام أخو أبى جهل ومنهم أبو قيس بن الوليد أخو خالد وقيس بن الفاكه بن المغيرة وحنظلة بن أبى سفيان والأسود بن عبد الأسد، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي والعاصى بن قيس بن عدي السهمي ومسعود بن أبى أمية أخو أم سلمة وعمرو بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله بن عثمان وطعيمة بن عدي وثلاثة أولاد للأسود بن مطلب، زمعة وعقيل ابناه والحارث ابن زمعة وهو ابن ابنه وهو أي الأسود أحد المستهزئين كان دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالعمى وتكل الولد فسبق له

العمى وقتل له من ذكر وكان يحب أن يبكي عليهم فسمع نائحة بالليل فقال لغلام له انظر هل حل النحب، هل بكت قريش على قتلها لعلّي أبكي فإن جوفى قد احترق فرجع إليه وقال إنما هي امرأة تبكي على بعير قد أضلته فقال:

أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقبصت الجود
في أبيات ومنهم العاصي ولد أبو أحiche سعيد بن العاصي بن أمية وغيرهم ولما أمر صلى الله عليه وسلم بعظماء القتلى أن يطرحوا في القليب، وفي الصحيح أنهم أربعة وعشرون فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملاها فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبع أصحابه حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم الله حقا فإني وجدت ما وعدني الله حقا، وفي رواية أنه قال: عليه السلام يا أهل القليب بيس العشيرة كنتم كذبتُموني وصدقني الناس وأخرجتُموني وآواني الناس وقاتلتُموني ونصرني الناس فجزاكم الله عني من عصابة شرا وممن أسر وأسلم بعد ذلك خالد بن هشام أخو أبي جهل وسهيل بن عمرو وأبو العاصي بن الربيع وغيرهم رضي الله عنهم، وممن أخذ أيضا العباس رضي الله عنه، ويروى أن هاتفا من الجن مرّ على مكة في اليوم الذي أوقع المسلمون بقريش وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه:

أزار الحنيفيون بدرا وقيعة سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
أبادت رجالا من لأي وأبرزت خرائد يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد فقد حاد عن قصد الهدى وتحيرا
فقال قائلهم من الحنيفيون؟ فقالوا هو محمد وأصحابه. يزعمون أنهم على دين إبراهيم ثم لم يبلثوا أن جاءهم الخبر اليقين وكان أول من قدم مكة بمصائبهم الحيسمان بن عبد الله الخزاعي قاله الكلاعي وروى

الطبراني أن أبا اليسر الأنصاري ثم السلمي بفتححتين أسر العباس رضي الله عنه وقيل له وكان جسيما جميلا كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك؟ فقال ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخدمة وهي كما قال القسطلاني جبل من جبال مكة، وروى البخاري أن رجلا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يتركوا للعباس فداءه فقال والله لا تذرون منه درهما وروى ابن إسحاق أنه عليه السلام قال يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عامر، قال إني كنت مسلما ولكن القوم استكروهوني، قال الله تعالى أعلم بما تقول، إن يكن ما تقول حقا، فإن الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا وذكر ابن عقبة أن فداء كل واحد من الأسارى كان أربعين أوقية ذهباً وقال قتادة كان فداء كل أسير أربعة آلاف واستشهد يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين: عبيدة بن الحارث ومهجع بكسر الميم وفتح الجيم مولى عمر وهو أول من قتل من المسلمين وقال عليه السلام يومئذ مهجع سيد الشهداء، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعافل بن البكري الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي وستة من الخزرج: عوف بن عفراء وشقيقه معوذ بشد الواو وفتحها على الأشهر وجزم الوقشي بالكسر وحارثة بن سراقة وكان في النظارة فجاءه سهم غرب فوقع في نصره فقتله يزيد بن الحارث ورافع بن المعلی وعمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وخفة الميم بن الجموح واثنان من الأوس: سعد بن خيثمة الشهيد بن الشهيد والصحابي بن الصحابي واستشهد أبوه يوم أحد ومبشر بن عبد الله أنذر وقتل من الكفار سبعون وأسر منهم سبعون كما في حديث البخاري، ومسلم، قال صلى الله عليه وسلم في هؤلاء أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء لنتنى لتركهم له، سداهم نتنى لكفرهم، فزال الحافظ أي بغير فداء، وقد مات المطعم قبل وقعة بدر وذكر الفاكهاني أن حسان بن ثابت رثاه فجازاه مجازاة له على ما صنع مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى،

ونقل ابن اسحاق رثاء حسان وهو:

عيني ألا أبكي سيد الناس واسجمي
وبكي عظيم المعشرين كليهما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا
فلو سئلت عنه معد بأسرها
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم
وأنأى إذا يابى وألين شيمه

بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما
على الناس معروفا له ما تكلمنا
من الناس أبقي مجده الدهر مطعما
عبيدك ما لبى مهل وأحرما
وقحطان أو باقي بقية جرهما
وذمسته يوما إذا مسا تذكما
على مثله فيهم أعز وأكرما
وأنوم عن جوار إذا الليل أظلما

قال الزرقاني ورثاء حسان رضي الله عنه له وهو كافر لأنه تعداد
الحاسن بعد الموت، ولا ريب في أن فعله مع المصطفى صلى الله عليه
وسلم من أقوى الحاسن فلا ضير في ذكره به وبنحوه مما ذكره، وقد كفن
المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي المنافق بثوبه، مجازاة
له على الباس العباس قميصه يوم بدر لما كان في الأسارى وممن أسلم
من الأسارى أبو عزيز بفتح العين وكسر الزاي الأولى ابن عمير أخو
مصعب واسمه زرارة وقول الزبير بن بكار أنه قتل بأحد كافرا رده ابن
عبد البر وقال السهيلي غلط الزبير وقد أسلم يوم بدر والسائب بن
عبيد أسلم يوم بدر، وعدي بن الخيار والسائب بن أبي حبيش وأبو
وداعة السهمي وسهيل بن عمرو أسلموا في فتح مكة وأسلم منهم أيضا
خالد بن هشام وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن
أبي بن خلف، وعبد بن زمعة أخو سودة وهيب بن عمير الجمحي
وقيس بن السائب المخزومي ونسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن
الوليد نقله الشيخ محمد بن عبد الباقي وكان مع المسلمين يوم بدر من
الخيال فرس الزبير بن العوام وفرس مرثد بن أبي مرثد الغنوي وفرس
المقداد بن عمرو البهراوي، قاله الكلاعي، وقال في المواهب وكان معهم
ثلاثة أفراس: بعزجة فرس المقداد، واليعسوب فرس الزبير، وفرس
لمرثد الغنوي، لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه، وكان معهم سبعون
بعيرا انتهى. وبعزجة بفتح الموحدة وإسكان المهملة فزاي فجيم فهاء

تانيث كما فى النور وحرف نساخ الشامية الزاي بالراء، قال السهيلي البعزجة شدة جري الفرس فى مغالبة، كأنه منحوت من أصلين من بعج إذا شق وعز أي غلب انتهى ويقال اسمها سبحة بفتح السين وإسكان الموحدة وبالحاء المهملتين وبه صدر الشامي واليعسوب بفتح التحتية فعين فسین مضمومة مهملتين وقيل اسمها السيل وبه صدر الشامي ومرثد بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثناة فдал مهمة ابن أبى مرثد وكناز بن الحصين بدري بن بدري والغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة إلى غنى بن يعصر والمقداد بن عمرو وهو الشهير بابن الأسود، وقال ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم دفع اللواء وكان أبيض إلى مصعب بن عمير قال وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي والأخرى مع بعض الأنصار انتهى.

تنبيه:

قال الكلاعي قاتلت الملائكة يوم بدر، وقال ابن عباس ولم تقاتل فى يوم سواه، كانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا لا يضربون. انتهى. وفي المواهب، قيل ولم تقاتل الملائكة غير يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا، وبه صرح ابن كثير وهذا يرده حديث مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمينه صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعنى جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يقاتلان كأشد القتال، قال النووي، هذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح فى الرد عليه انتهى.

وقوله عدد بضم العين جمع عدة كغرف وغرفة، وأجاب البيهقي عن حديث مسلم بما حاصله أن قتال الملائكة ببدر كان عاما عن جميع القوم، وأما فى أحد فإنهما ملكان وقتالهما عن النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، قاله الزرقاني ومما قيل يوم بدر من الشعر قول حسان: عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي فى الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جـون
فأمسى رسمها خلقا وأمسى
فدع عنك التذكـر كل يوم
وخبر بالذى لا عيب فيه
بما صنع الإله غداة بـدر
غداة كأن جمعهم جراد
فلاقيناهم منا بجمع
أمام محمد قد أزروه
بأيديهم صوارم مرهفات
بنو الأوس الغطارف أزرتها
فغادرنا أبا جهل صريعا
وشيبة قد تركنا فى رجال
يناديهـم رسول الله لما
ألم تجدوا كلامى كان حقا
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا

من الوسمى منهمـر سكوب
يبابا بعد ساكنها الحبيب
ورد حرارة الصدر الكئيب
بصدق غير إخبار الكذوب
لنا فى المشركين من النصيب
بدت أركانه جنح الغروب
كأسد الغاب مردان وشيب
على الأعداء فى لفح الصروب
وكل مجرب خاطي الكعوب
بنو النجار فى الدين الصليب
وعتبة قد تركنا فى الجبوب
ذوى حسب إذا نسبوا حسب
قذفناهم كباكـب فى القليب
وأمر الله يأخذ بالقلوب
صدقـت وكنت ذا رأي مصيب

القشيب هنا الذى خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم، واللقح
بالسكون والتحرك مصدر لقح كفرح، وخاظ الكعوب مكتنزها، قوياها،
والجبوب الأرض أو غليظها أو هو موضع بدر قاله فى القاموس،
وكباكـب أي جماعات والكبكة الجماعة قاله أيضا، وقال حمزة بن عبد
المطلب ومنهم من ينكرها له:

ألم تر امرا كان من عجب الدهر
وما ذاك إلا أن قومـا أفادهم
عشية راحوا يوم بدر بجمعهم
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها
فلما التقينا لم تكن مثنوية
وضرب ببيض يختل الهام حدها
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا

ولحين أسباب مبينة الأمر
فخانوا تواصر بالعقوق وبالكفر
فكانوا رهونا للركيزة من بدر
فساروا إلينا فالتقينا على قدر
لنا غير طعن بالثقفة السمر
مشهرة الألوان بينة الأثر
وشيبة قتلاهم تجرجم فى الجفر

فشقت جيوب النائحات على عمر
كرام تفرعن الذوائب من فهر

وعمرو توى فيمن توى من حماتهم
جيوب نساء من لؤي بن غالب

إلى أن قال:

وفـينا جنود الله حين يمدنا
فشـد بهم جبريل تحت لوائنا
أفادهم بالفاء المروسة أهلـكهم وفاعله تواصل وتجرجم بجيمين أي تلقى،
قال فى القاموس تـجرجم سقط وانحدر فى البير والحفر البئر لم تطو
أو طوى بعضها والأثر يكسر فرند السيف قاله فى القاموس، وقال
الفرند بكسر الفاء والراء السيف وجوهره ووشيه انتهى. وقال كعب بن
مالك السلمي:

عـجبت لأمر الله والله قادر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا
وفينا رسول الله والأوس حوله
وجمع بنى النجار تحت لوائه
فلما لقيناهم وكل مجاهد
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وقد عريت بيض خفاف كأنها
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا
فكب أبو جهل صريعا لوجهه
وشيبة والتيمي غادرن فى الوغى
قال فى القاموس الماذي كل سلاح
البيضاء ولضرار بن الخطاب الفهري فى هذا الروي شعر وهو:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر
وفخر بنى النجار أن كان معشر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا
عليهم غدا والدهر فيه بصائر
أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإننا رجالا بعدهم سنغادر

وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم
ووسط بنى النجار سوف نكرها
فنترك قتلى تعصب الطير حولهم
وذلك أنا لا تزال سيوفنا
فإن تظفروا فى يوم بدر فإنما
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه
يعد أبو بكر وحمزة فيهم
أولئك لا من نتجت فى بيوتها
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك

بنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر
لها بالقنى والدارعين زوافر
وليس لهم إلا الأمانى ناصر
بهن دم ممن يحاربين مائر
بأحمد أمسى جدكم وهو ظافر
يحامون فى اللأواء والموت حاضر
ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
بنو الأوس والنجار حين تفاخر
إذا عدت الأنساب كعب وعامر
غداة الهياج الأطيبيون الأكابر
ولم ير ابن هشام أحدا يعرفها:

وقال علي رضي الله عن جميعهم
ألم تر أن الله أبلى رسوله
بما أنزل الكفار دار مذلة
إلى أن قال:

بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل

تبیت عيون النائحات عليهم
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم
ترى منهم فى بئر بدر عصابة

تجود بأسببال الرشاش وبالويل
وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
مسلبة حرا مبينة الثكل
ذوى نجدات فى الصروب وفى المحل
المسلبة التي لبست السلاب وهو خرقة سوداء تلبسها الثكلى، والثكل
بالضم فقدان الحبيب، وحشدوا جمعوا، والمعل المنعة، والمستبسل الذى
يوطن نفسه على الموت والضرب، والعناجيج جياذ الخيل انتهى.

ثم بعد بدر غزوة سليم وهي قرقرة الكدر، ثم غزوة بنى قينقاع ثم
غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذى أمر، ثم غزوة بحران،
فهذه خمس قبل أحد وبعد بدر، ولم أتكم عليها هنا لئلا يطول الفصل
بينما ذكره الناظم، ويأتى الكلام عليها إن شاء الله بعدما ذكر الناظم
وبعدها "غزوة أحد" بضم الهمزة والحاء، قال المصباح مذكر مصروف
وقيل يجوز تأنيثه باعتبار البقعة فيمنع وليس بالقوي، وهو جبل
معروف، بين أوله وبين باب المدينة المعروف بباب البقيع ميلين وأربعة

أسباع ميل تزید یسیرا وسمی بذلك لانقطاعه عن جبال آخر هناك، وهو أحمر، ويقال له ذو عينين لجاورته لجبل يسمى عينين، وفي القاموس وعينين بكسر العين وفتحها مثنى على كل منهما لا بفتح العين وسكون الياء وكسر النون الأولى كما قال المطرزي وعليه فليس بمثنى جبل بأحد وقف عليه إبليس فنادى إن محمدا قد قتل، وقال عليه السلام: أحد جبل يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة، أخرجه أحمد قيل وفيه قبر هارون عليه السلام وكانت عنده الواقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق قاله في المواهب وكان يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه بعد بدر بسنة وشهر، وسببها أن قريشا لما أصيبوا يوم بدر ورجع أبو سفيان بغيره قال عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن المغيرة وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزى وصفوا بن أمية وأسلموا كلهم بعد ذلك، إن محمدا قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثارا، فأجابوا لذلك وفيهم نزل: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها} (الآية). وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم أي بأن قريشا ومن أطاعها من أهل كنانة اجتمعوا لحربه وبعثه مع رجل من بنى غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها فقدم عليه بقباء فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا بعينين وكان رجال من المسلمين قد ندموا على ما فاتهم من مشهد بدر ورأى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤى فلما أصبح قال إني والله رأيت خيرا، رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، قالوا بما أولتها؟ قال فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل، وفي رواية أحمد وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا فإن دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا بالنبل من فوق البيوت، فقال القوم الذين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، يا رسول الله إنا كنا

نتمنى هذا اليوم اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جينا، ف صلى عليه السلام الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والإجتهاد فى التأهب للقتال وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا بفتح المعجمة ومضارعه بكسرهما أي اجتمعوا، وحضر أهل العوالى وهي القرى التى حول المدينة ثم دخل عليه السلام بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه وألبساه واصطف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام، فقال لهم سعد بن معاذ الذى هو أفضل الأنصار كما قاله البرهان وأسيد بن حضير، بصيغة التصغير فيهما، استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الأمر إليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمز وقد يترك تخفيفا، الدرع وقيل السلاح، وروى أبو يعلى أنه ظاهر بين درعين يوم أحد أي لبس درعا فوق درع، وتقلد سيفه أي جعل علاقته على كتفه الأيمن وهو تحت أبطه الأيسر فندموا على ما صنعوا، فقالوا ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، فقال ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية لواء المهاجرين بيد علي وقيل بيد مصعب بن عمير، قال الزرقاني وليس بخلاف حقيقي فإنه كان بيد علي فقال عليه السلام من يحمل لواء المشركين؟ ف قيل طلحة بن أبى طلحة فقال نحن أحق بالوفاء منهم، فأخذه من علي ودفعه إلى مصعب، أي لأنه من بنى عبد الدار بن قصي وكان بكر قصي فجعل إليه اللواء والحجابه والسقاية والرفادة، ولواء للأوس بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عباد، وفى المسلمين مائة دارع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب على رواية والأخرى أنه خرج من منزل عائشة على رجليه إلى أحد وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بأهل المدينة وبات بالشيخين تثنية شيخ موضع بين المدينة وأحد سمي بشيخ وشيخة كانا هناك وجعل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة الأنصاري وأدلى عليه السلام فى السحر، فكان الخارجون معه ظاهرا

وحقيقة ألف رجل، فلما انخزل ابن أبي بالثلاث مائة صاروا سبع مائة وقيل أنهم كانوا تسع مائة وصاروا ستمائة، قال ابن عقبة وليس فى المسلمين إلا فرس واحد وقال الواقدي لم يكن معهم إلا فرسه عليه السلام، وفرس أبي بردة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل، وفيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بغير وخمس عشرة امرأة من أشرفهم التماسا للحفيظة وأن لا يفروا وهي بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء الغضب للحرم قاله السهيلي، منهن هند بنت عتبة وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، مع زوجها عكرمة بن أبى جهل وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحارث بن هشام وبرزة بنت مسعود الثقفية مع زوجها صفوان بن أمية وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاصى وسلافة بنت سعد الأنصارية مع زوجها طلحة الحنظلي وأسلمن بعد ذلك كلهن وصحين، وخرجت خناس بنت مالك مع ابنها أبى عزيز أخى مصعب وعميرة بنت علقمة وقد صرح فى النور بأنه لا يعلم لهما إسلاما ولم يسم ابن إسحاق من بقي ونقله عنه فى الفتح ولم يزد عليه، قاله العلامة الزرقانى قال مؤلفه سمح الله له قوله وخرجت مع ابنها أبى عزيز إلخ.. قد مر له رضى الله عنه ونفعنا ببركته أن أبا عزيز أسلم يوم بدر بعد أن أسر انظره والله أعلم.

ولما انخزل ابن أبي بمن معه من المنافقين سقط فى أيدي طائفتين من المسلمين وهما أن يقتتلا وهما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة بكسر اللام من الخزرج وفيهما نزلت: {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما} قال جابر نزلت فينا وما أحب أنها لم تنزل والله يقول {والله وليهما} ابن حجر أى لأن الآية وإن كان فى ظاهرها غض منهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم قال ابن إسحاق {والله وليهما} أى الدافع عنهما ما هموا به من القتل، ولما انخزل المنافقون تبعهم عبد الله بن حرام يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبئكم عندما حضر من عدوهم ما ترون، قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وأبوا إلا الإنصراف فقال أبعدكم الله فسيغنى الله عنكم نبيه ومضى رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فاستسل سيفاً فقال صلى الله عليه وسلم يا صاحب السيف شمس سيفك فإننى أرى السيوف ستسل اليوم، ثم قال صلى الله عليه وسلم من يخرج بنا على القوم من كثب أي من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فننفض به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة بعين مهملة ابن قيظي بفتح القاف وسكون التحتية وطاء معجمة وياء مشددة وكان منافقاً ضريراً، فلما سمع حس المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثو التراب فى وجوههم وذكر أنه أخذ حفنة ثم قال والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر وقد بادر إليه سعد بن زيد الأشهلي قبل النهي فشجه فى رأسه ومضى صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وروى أنه لما وصل إلى أحد صلى به الصبح صفوفاً عليهم سلاحهم ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف المشركون بالسبخة بفتح المهملة وفتح الموحدة وسكونها وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد سيف الله الذى سله على الكفار بعد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية وعلى الرماة عبد الله بن أبى ربيعة وأسلموا كلهم، وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة بالنبل وهم خمسون: عبد الله بن جبير الأوسى العقبى البدرى وهو أخو خوات، وقال لهم إن رأيتمونا تخطفنا الطير بفتح الفوقية وسكون الخاء وفتح الطاء أو بفتح الخاء وشد الطاء وأصله بتاءين أي رأيتمونا قد زلنا عن مكاننا أو أكلتنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، ولابن إسحاق انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم بهمة مفتوحة فواو ساكنة أي مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وفى حديث احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا

تنصروننا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا بفتح التاء والراء أي لا تكونوا مشاركين لنا. زاد في رواية وارشقوهم بالنبل، فإن الخيل لا تقوم على النبل إنما لا نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم. وأول من أنشب الحرب أبو عامر الفاسق وهو عبد بن عمرو بن صيفي الأوسي وكان خرج إلى مكة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يعد قريشا أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس نادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، وبذلك سماه صلى الله عليه وسلم، وكان يسمى في الجاهلية الراهب، فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وجعل نساء المشركين يضربن الدفوف ويذكرنهم قتلى بدر، وكان أبو سفيان قد قال يا بنى عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه، وقالوا ستعلم كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان فاقتتل الناس وحميت الحرب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى سيف عنده من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال سمي منهم عمر والزبير كما عند ابن عقبة وعلي كما فى الطبراني وأبو بكر كما فى الينابيع وكان مكتوبا فى إحدى صفحتيه: فى الجبن عار وفى الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فأمسكه صلى الله عليه وسلم عنهم فقام إليه سماك بن خرشة أبو دجانة بضم الدال المهملة وبالجيم والنون الأنصاري البصري باتفاق، فقال وما حقه يا رسول الله؟ فقال أن تضرب به فى وجوه العدو حتى ينحني وروى الدولابي أن لا تقتل به مسلما، ولا تفر به من كافر، قال أنا أخذه بحقه يا رسول الله. أي بما يقابله من الثمن، وهو الصفة التى ذكرتها، وعند الطبراني قال لعلك إن أعطيتكه أن تقاتل به فى الكيول، قال لا فأعطاه إياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب، فلما رآه عليه السلام

يتبخر قال إنها لمشية يبغضها الله بضم الياء لا بفتحها وضم الغين لأنها لغة ردية إلا في مثل هذا الموطن أي لدالتها على احتقار العدو قال الزبير ووجدت أي حزنت أي على نفسي خوفاً أن المنع لسبب منه يقتضيه، فقلت والله لأنظرن ما يصنع به أبو دجانة، فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا في أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفي الأخرى الجبانة في الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بالتخفيف وبالتشديد بها رأسه فقالت الأنصار أخرج عصابة الموت وهكذا كانت تقول إذا تعصب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليل ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول
فجعل لا يلقي أحدا من المشركين إلا قتله، وفي مسلم عن أنس ففلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين ولابن هشام عن ابن الزبير وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأته حمل السيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، ولابن إسحاق قال أبو دجانة رأيت إنسانا يحمس الناس حمسا شديدا فصمدت إليه فلما حاملت السيف عليه ولول فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة، وفي رواية أنه لما حمل عليها السيف نادى يا لصخر فلم يجيبها أحد وذفف بالذال المعجمة والمهمله وشد الفاء الأولى مفتوحات أسرع في قتله ويحمس بحاء مهملة يروى بالسين من الحماسة وهي الشجاعة وبالشين المعجمة من أحمش النار أوقدها وصمد إليه: قصده، ولولت: قالت يا ويلها هذا قول أكثر اللغويين وقال ابن دريد الولولة رفع المرأة صوتها في فرح أو حزن قاله أبو ذر. وقوله أنا الذي.. أنشده الجوهري بلفظ إنى امرؤ عاهدني، والسفح جانب الجبل عند أصله والكيول بفتح الكاف وشد المثناة التحتانية مضمومة فواو ساكنة فلام آخر الصفوف، قاله الجوهري وأبو عبيد وغيرهما وقال أبو

ذر فى حواشيه الكيول بالتشديد والتخفيف آخر الصفوف فى الحرب
قاله العلامة الزرقاني وقاتل حمزة رضي الله عنه فأثخن خصوصا فى
الرؤساء والتقى حنظلة الغسيل بن أبى عامر الفاسق وأبو سفيان بن
حرب فعلاه حنظلة فضربه شداد بن أوس بن شعوب الليثي وقتله
وأسلم شداد بعد ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم رأيت الملائكة تغسل
حنظلة بماء المزن فى صحاف الفضة بين السماء والأرض، فسألوا امرأته
جميلة أخت عبد الله بن أبى المنافق وكانت عروسا وكان ابنتى بها تلك
الليلة فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال عليه السلام لذلك
غسلته الملائكة وفى الروض أنه ألتمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه
ماء وبهذا الحديث تمسك الحنابلة فى غسل الشهيد الجنب، قال الزرقاني
والجواب للجمهور أن تغسيل الملائكة إكرام له، وهو من أمور الآخرة لا
يقاس عليه، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بتغسيل أحد ممن
استشهد جنبا، ولما اشتد القتال أرسل عليه السلام إلى علي أن قدم
الراية فتقدم وقال أنا أبو القصم بالقاف والفاء فناداه أبو سعد طلحة
بن أبى طلحة أحد بنى عبد الدار وهو صاحب لواء المشركين وهو سيد
الكتيبة أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال نعم. فخرج
إليه فقتله وقيل قتله سعد بن أبى وقاص ثم حمل لواءهم عثمان بن أبى
طلحة وهو يقول:

إن على أهل اللواء حقا أن يحسنوا الصعدة أو تندقا
فحمل عليه حمزة رضي الله فقطع يديه وكتفيه ثم مات والصعدة
القناة المستوية تنبت كذلك قاله فى القاموس ثم حمله مسافع بن طلحة
فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة
فقتله عاصم أيضا ثم حمله كلاب ابن طلحة فقتله الزبير ثم حمله
الجلال بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله أرطاة بن شرحبيل
بضم الشين بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقتله علي
كما قال ابن سعد وغيره وصحح، وجزم ابن إسحاق بأن قاتله حمزة ثم
حمله شريح بن فارط فلا يدري قاتله ثم حمله صواب غلامهم فقتله

علي وقيل سعد وقيل قزمان وهو أثبت الأقوال، انظر الزرقاني، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بفتح الحاء وضم السين مشددة المهملتين أي استأصلوهم قتلا بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساءهم يدعون بالويل، قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير وأصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منهم أحد وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم بجيم وضاد معجمة أي أزالوهم ونحوهم ووقعوا ينتهبون واشتغلوا عن الحرب، قال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل طريقا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته إلى قريش فلاثوا به أي استداروا حوله ولما انهزم المشركون قال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرجال: الغنيمة الغنيمة بالنصب على الأغراء، ظهر أصحابكم أي غلبوا فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا والله لثنتين الناس فلنصيبين من الغنيمة، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة مكانه وقال لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لم يرد هذا قد انهزم المشركون، فانطلقوا ينتهبون وخلوا الخيل وقد كانت حملت على المسلمين قبل ذلك ثلاث مرات كل ذلك تنضحها الرمات بالنبل فترجع مفلولة قال الزبير ولما مالت الرمات وخلوا ظهورنا للخيل أوتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم ويقال إن الصارخ هو الشيطان وفي البخاري عن عائشة لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح إبليس أي عباد الله يعنى المسلمين أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى من ورائه فرجعت أولاهم فاجتلدت أي اقتتلت مع أخراهم لظنهم أنهم من العدو فوقع القتل في المسلمين بعضهم مع بعض وكان ممن قتل خطأ اليمان والد حذيفة فقال حذيفة غفر الله لكم وترك دينه لهم وقالت نسيبة بفتح النون وكسر السين أم عمار شهدت العقبة

وأحدا مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب بحاء مهمة وكسر
الموحدة وعبد الله وشهدت بيعة الرضوان وجرحته في يوم اليمامة
اثنتي عشرة جراحة وقول الشامي نسيبة بالتصغير على المشهور إنما
هو في نسيبة أم عطية كما في الفتح وغيره بنت كعب المازنية لما انهزم
المسلمون انحزت إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقامت أباشر القتال
وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلي، قالت أم
سعد بنت سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت
من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة أقماه الله لما ولي الناس أقبل يقول
دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير
وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه
الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله عليه درعان
وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه تقع النبل
في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمي سعد بن أبي
وقاص دون النبي صلى الله عليه وسلم، قال سعد فلقد رأيته يناولني
النبل وهو يقول أرم فذاك أبي وأمي ورمي رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قوسه حتى اندقت سيبتها وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف
فهشم وجرح عشرين جراحة أو أكثر وأصيبت يومئذ عين قتادة بن
النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن
عينيه وأحدهما قاله الكلاعي وقال في المواهب وكان مصعب بن عمير
قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل قتله ابن قمئة أي
بفتح القاف وكسر الميم بعدها همزة واسمه عبد الله كما قاله ابن هشام
قاله الزرقاني فصاح ابن قمئة لظنه الخائب ولله الحمد: إن محمدا قد
قتل، لأنه كان إذا لبس لامته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما قال
بعضهم، وجزم ابن هشام بأن الصارخ بذلك هو ازب العقبة وفي حديث
مرفوع أنه عليه السلام قال هذا ازب العقبة وجزم ابن سعد بأن الذي
صرخ بذلك إبليس تصور في صورة جعال ويقال له جعيل بن سراقه
الضمري والغفاري، قال في الاستيعاب وكان رجلا صالحا دميما أسلم

قديمًا وشهد معه عليه السلام أحدًا انتهى. فصرخ ثلاثًا إن محمدًا قد قتل، ولم يشك فيه أنه حق، وكان جعال إلى جنب أبي بردة بن نيار وخوات بن جبير فقاتل أشد القتال، قال الزرقاني وهذا ليس بخلاف محقق فالثلاثة صاحوا ابن قماءة لظنه والأزب وإبليس لمحاولة ما لم يصلإ إليه انتهى.

قوله أزب العقبة، قال السهيلي قيده هنا بكسر الهمزة وسكون الزاي وابن مأكولا قيده بفتح الهمزة انتهى.

وظاهر سكون الزاء وخفة الباء مع كسر الهمزة وفتحها ومقتضى القاموس ان مفتوحها بفتح الزاء وشد الموحدة وجعلهما بعض المتأخرين قولين انظر الزرقاني. والذي فى القاموس هو ما نصه: وأزب العقبة فى زبب ووهم من ذكره هنا يعنى فى أزب وقال فى زبب والأزب من أسماء الشياطين ومنه حديث ابن الزبير مختصرا أنه وجد رجلا طوله شبران فأخذ السوط فأتاه فقال من أنت؟ فقال أزب. قال وما أزب؟ قال رجل من الجن. فقلب السوط فوضعه فى رأس ازب حتى باص وفى حديث العقبة هو شيطان اسمه أزب العقبة انتهى.

وقوله باص أي استتر وهرب، كذا بالهامش المطبوع وهو بموحدة بعدها ألف فصاد مهملة انتهى. قال الحافظ بن حجر، والواقع أن المسلمين صاروا ثلاث فرق، فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم: [إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان] وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه، أو يستمر فى القتال إلى أن يقتل وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئًا فشيئًا لما عرفوا أنه حي، ولما غاب صلى الله عليه وسلم عن أعينهم لشدة ما دهشهم وقال رجل منهم ان محمدًا قد قتل ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي ليستأمن لنا من أبي سفيان قال رجال منهم قد تمكن الإيمان منهم إن كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء، منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك وفى الصحيح عن أنس قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر لك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرؤ إليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال الحافظ وأو للتقسيم لا للشك انتهى.

وروى ابن اسحاق أن أنس بن النضر جاء إلى عمر وطلحة فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد القوا ما بأيديهم فقال ما جلستم قالوا قتل صلى الله عليه وسلم، قال فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل. وثبت النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع ولم تزل قدمه شبرا واحدا وما زال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وروى البيهقي عن المقداد فوالذى بعثه بالحق ما زالت قدمه شبرا واحدا وإنه لفي وجه العدو، قال فى المواهب وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وسبعة من الأنصار، وفى البخاري لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا إثني عشر رجلا انتهى.

وسمى ابن سعد مع أبي بكر عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعدا وطلحة والزبير وأبا عبيدة والأنصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمت وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وقيل سعد بن عبادة ومحمد مسلمة بدل الأخيرين، ذكره الواقدي وذكر غيره فى المهاجرين عليا وكأن من لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج إلى أن يقال ثبت، وفى مسلم عن

أنس أفرد صلى الله عليه وسلم يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فقول طلحة وسعد أنه لم يبق معه غيرهما رواه البخاري أي من المهاجرين وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت فيحتمل أنه حضر بعد تلك الجولة وللنسائي والبيهقي بسند جيد عن جابر وبقي معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة وهو كحديث أنس إلا أنه زاد ثلاثة فلعلهم جاؤا بعد ويجمع بينه وبين حديث غير طلحة وسعد بأن سعدا جاءهم بعد ذلك وأن المذكورين من الأنصار استشهدوا كما فى مسلم عن أنس فقال صلى الله عليه وسلم من يردهم عنا فهو رفيقى فى الجنة؟ فقام رجال من الأنصار فاستشهدوا كلهم، فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء من جاء انتهى من الزرقاني..

قال الكلاعي واستشهد خمسة وستون رجلا أربعة من المهاجرين وسائرهم من الأنصار وقتل الله من المشركين اثنين وعشرين رجلا انتهى. وفى المواهب وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون ويقال اثنان وعشرون انتهى.

قال الزرقاني منهم حملة اللواء من بنى عبد الدار بن قصي وهم عشرة بسلامهم وفى الزرقاني روى سعيد بن منصور عن أبى الضحى قتل يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين: حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الأنصار وبهذا جزم ابن إسحاق وأخرج ابن حبان والحاكم عن أبى بن كعب قال أصيب يوم أحد أربعة وستون من المهاجرين ستة وكان الخامس سعدا مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو الأسلمي حليف بنى عبد شمس وذكر الطبري عن الشافعي أنهم اثنان وسبعون وعن مالك خمسة وسبعون من الأنصار خاصة أحد وسبعون وروى الترمذي والنسائي أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم خيرهم فى أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم قابل مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا انتهى.

قوله قابل هكذا فى النسخ ولعله سقط من قلم الناسخ فى الأصل فى قابل كذا بهامش المطبوع ولما أراد أبو سفيان الانصراف إلى مكة قال

أُفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال أُفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات قال لا تجيبوه ثم قال أُفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات فلما لم يجبه أحد قال لأصحابه أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله، والله إن الذين عدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسؤك، وفي البخاري في المغازي أُبقى الله عليك وفي لفظ لك ما يحزنك، بالتحية المضمومة وسكون الحاء المهملة بعدها نون أو بالمعجمة وبعدها تحية ساكنة، قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال، أي بكسر المهملة وتخفيف الجيم أي دول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، قال عمر لا سواء قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار، قال أبو سفيان إنكم لتزعمون ذلك لقد خبنا إذا وخسرنا، فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له هلم إلى يا عمر فقال صلى الله عليه وسلم لعمر أنته فانظر ما شأنه، فقال أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن. قال أنت عندي أصدق من أبي قحافة وأبر أنتهى.

وإنما أجاب عمر أبا سفيان بعد نهيه عليه السلام حماية للظن بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قاله القسطلاني.

قال الزرقاني عقبه في فتح الباري عن ابن عباس عند أحمد والحاكم أن عمر قال يا رسول الله ألا أجيبه قال بلى. فكأنه نهى عن إجابته في الأولى وأذن فيها في الثالثة انتهى.

وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه الشريف فأدموه وكسروا رباعيته بفتح الراء وهي السن التي بين الثانية والنايب والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها وهي اليمنى السفلى كما في سيرة ابن هشام ولما جرح صلى الله عليه وسلم أخذ شيئا فجعل ينشف دمه فيه ليمنعه من النزول على الأرض ويقول لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء وفي الينابيع لو وقع منها يعنى قطرات الدم شيء على الأرض لم ينبت عليها نبات ثم لم يكتف صلى الله عليه وسلم بإزالة ما ينزل

عليهم من العذاب حتى قال اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون. قال فى الشفاء انظر ما فى هذا القول من غاية الصبر والحلم وقد أظهر فيه سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام: لقومى. ثم اعتذر عنه بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون.

والذى كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد رماه بأربعة أحجار فكسر حجر منها رباعيته فقال سعد ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دى وجه رسوله، وروى عبد الرزاق أنه صلى الله عليه وسلم دعى عليه فقال اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا، فما حال عليه الحول حتى مات كافرا. وقال حسان فيه:

إذ الله جازى معشرا بفعالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق
فأخزأك ربى يا عتيب بن مالك ولقأك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يميننا للنبي تعمدنا فأدميت فاه قطعت بالبوارق
فهل لا ذكرت الله والمنزل الذى تصير إليه عند إحدى البوائق
وفي هذا أنه مات كافرا، وفى الإصابة فيمن ذكر فى الصحابة غلطا لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ابن منذة بفتح الميم وسكون النون كما فى الزرقاني واستند لقول سعد فى ابن أمة زمعة عهد إلى عتبة أخى أنه ولده وليس فيه ما يدل على إسلامه وقد شدد أبو نعيم فى الإنكار على ابن منذة وبالجملية ليس فى شيء من الآثار ما يدل على إسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر فلا معنى لإيراده فى الصحابة انتهى نقله الزرقاني.

وفي المواهب ومن ثم لم يولد من نسله ولد يبلغ الحنث إلا وهو أبخر أي منتن الفم أو أهتم: أي مكسور الثنايا من أصلها، يعرف ذلك فى عقبه. وقال فى الخميس أبخر أي عطشان لا يروى، وروى ابن الجوزي والخطيب عن الحافظ الفريابي قال بلغني أن الذى كسر رباعيته صلى

الله عليه وسلم لم يولد له صبي فنبتت له رباعية وجرح عتبة أيضا شفته السفلى والذي شجه فى جبهته كما لابن هشام هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب جد الإمام الفقيه من قبل أبيه وأسلم بعد ذلك قاله أبو عمر تبعا للزبير بن بكار وذكر البلاذري أنه مات فى أيام عثمان وأما جده من قبل أمه وهو أخو هذا واسمه عبد الله أيضا فمن السابقين ذكره الزهري والزبير والطبري فيمن هاجر إلى الحبشة ومات بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، والذي جرحه فى وجنته الشريفة وهي بتثليث الواو والأشهر الفتح ما ارتفع من لحم الخد هو عبد الله بن قميئة كسفيئة كما فى القاموس والصاح وسماه بعضهم عمرا فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله بفتح الهمزة فى أوله وفى آخره أخرى أي صغرك وذلك. فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة، وروى ابن عائذ أنه انصرف ذلك اليوم إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل فأخذ يعترضها ويشد عليه تيسها فنطحه نطحة رداه من شاهق الجبل فتقطع وهو منقطع ودخلت حلقتان فى وجنته حين جرحه من المغفر، تثنية حلقة بسكون اللام والمغفر بكسر الميم وسكون الفين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس قاله القسطلاني فعرض عليهما أبو عبيدة بن الجراح وانتزعهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة العض ومصر مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدردده فقال صلى الله عليه وسلم من مس دمي دمه لم تمسه النار، وروى عبد الرزاق عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين ضربة بالسيف ووقاه الله تعالى شرها، قال فى المواهب يحتمل أنه أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة فى الكثرة أي على عادة العرب فى ذلك ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق الأوسي يكيد بها المسلمين فأخذ علي بيده ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وجرح طلحة يومئذ تسعا وثلاثين أو خمسا

وثلاثين وشلت يده وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول ذلك اليوم كله لطلحة، وروى النسائي والبيهقي بسند جيد عن جابر أدرك المشركون النبي صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من الأنصار قال ثم قاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس، فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، حتى تلج بك في جو السماء، ورمي يومئذ أبو رهم بضم الراء كما في الزرقاني كلثوم بن الحصين الغفاري بسهم فوقه في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرئ وسمي المنحور وهي معجزة باهرة.

ولما انقطع سيف عبد الله بن جحش أعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد في يده سيفاً فقاتل به حتى قتل، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودفن هو وخاله حمزة في قبر واحد وأمه أميمة بنت عبد المطلب واختلف في إسلامها وقتله أي أبا الحكم علي بن أبي طالب وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع بمائتي دينار من بقا التركي أحد أمراء المعتصم إبراهيم بن هارون الرشيد وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته وقيل في يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها في موضعها، وقال اللهم اكسه جمالا، وفي رواية اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وروى الأصمعي أن رجلا من ولده قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدى
فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
فقال عمر بمثل ذا فاليتوسل المتوسلون. ووصله وأحسن جائزته.

وقوله ويا حسن ما خد هكذا رواه الأصمعي وأنشده اليعمري ويا حسن ما رد، وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التحدث بقتله كعب بن مالك الخزرجي ثم السلمي العقبي، قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر أي تضيئان ومن رواه تزران فمعناه تتوقدان، وفي الصحاح زرت عينه تزر بالكسر زريرا وعيناه تزران إذا توقدتا، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار لي صلى الله عليه وسلم أن اصمت أي اسكت، فلما سمعوا ذلك وعرفوه نهضوا إليه ونهض معهم نحو الشعب، فلما أسند أي صعد، قاله في النور، رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وكأن معناه لما دخلوا به في الشعب صعدوا به في الصخرة فاستندوا إلى جانب من الجبل بدليل رواية ابن إسحاق نهض صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وكان قد بدن وظهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها قال الزبير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ أوجب طلحة قال البرهان بدن بفتح الدال المهملة أي أسن أو ثقل من السن وأوجب طلحة يعنى أحدث شيئا يستوجب به الجنة، وجواب لما قوله أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجي، فاعترضه رجال من المؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه فلما دنا تناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله عليه السلام فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه، وفي لفظ في ترقوته، وفي لفظ فخدشه في عنقه خدشا غير كبير وقع بها عن فرسه مرارا وجعل يخور كما يخور الثور ولم يخرج له دم، فكسر ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكن من أضلاعه فلما رجع إلى قريش قال قتلني والله محمد، فقالوا ليس عليك بأس ما أجزعك؟ فقال واللات لو كان هذا الذي بى بربيعه ومضر لما اتوا أجمعين، وفي رواية بجميع الناس لقتلهم، أليس قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله

لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وبالفاء وهم قافلون إلى مكة، كذا رواه أبو نعيم والبيهقي. وعن الواقدي أن ابن عمر كان يقول مات أبي ببطن رابغ فإنني لأسير ببطن رابغ بعد هوى أي بفتح الهاء وكسر الواو وشد التحتية، أي حين طويل، وقيل خاص بالليل، وعليه فقوله من الليل صفة لازمة إذا نار تآجج فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها بذال معجمة أي يسحبها يصيح العطش بالرفع والنصب وإذا رجل يقول لا تسقه هذا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف انتهى.

والشعراء بشين معجمة مفتوحة فعين ساكنة فراء فألف تانيث ذباب أزرق أو أحمر له لذع وروي تطاير الشعراء أي بضم الشين وسكون العين جمع شعراء، ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه درقته من المهراس بكسر الميم وسكون الهاء وبالراء وسين مهمة آخره والمهراس صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء تجعل إلى جانب البئر ويصب فيها الماء لينتفع به الناس، وقيل هو اسم ماء بأحد، فجاء به إليه صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهذا وقع قبل انصراف الكفار، فلما انصرفوا كما في الطبراني أتت فاطمة في النسوة فجعلت تغسل وعلي يسكب وهو صلى الله عليه وسلم يقول: اشتد غضب الله على من دمي بفتح الميم المشددة وجه نبيه صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح وصلى المسلمون خلفه قعودا، وفي البخاري أنها لما غسلته ازداد الدم فأخذت قطعة من حصير فأحرقتها بالنار وللطبراني حتى صار رمادا وكمدته بشد الميم أي ألصقته به فاستمسك الدم ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال مثل به بفتح الميم والثاء المخففة يمثل بضم الثاء مثلا بفتح الميم وسكون الثاء أي نكل والاسم المثلة بالضم ومثل بالقتل جدعه وكثير من الناس يشدد مثل وكأنه إذا أريد التكثير يجوز ذلك يجدعن بفتح الياء وإسكان

الجيم وخفة الدال وكأنه إذا أريد المبالغة يجوز التشديد أي يقطعن الآذان والأنف بفتح الهمزة الممدودة وضم النون وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت هند على صخرة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جـزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر	ولا أخى وعـمـمـه وبكر
شفيت نفسى وقضيت نذرى	شفيت وحشي غليل صدرى
فشكر وحشي علي عمري	حتى ترم أعظمى فى قبر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب أخت مسطح :
خزيت فى بدر وبعـد بدر
صباحك الله غداة الفجر
بكل قطاع حـسـام يفر
إذ رام شـيـب وأبوك غـدر
ونذرك السوء فـشـر نذر

قال فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يحنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم أن الله تعالى هداها للإسلام وعبادة الله تعالى وترك الأصنام وأخذ بحجزتها عن النار ودلها على دار الإسلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها. ولما انصرف أبو سفيان نادى إن موعدكم بدر العام القابل، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قل نعم هو بيننا وبينكم موعد، ثم بعث عليه السلام عليا أو سعد بن أبى وقاص ويحتمل أنه بعثهما معا وقال اخرج فى آثار القوم فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزهم. قال علي أو سعد فخرجت فى آثارهم فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة. قال تعالى: {سنلقي فى قلوب الذين

كفروا الرعب} (الآية). قذف الله فى قلوبهم الخوف فانهزموا إلى مكة من غير سبب، قاله الكشف انتهى المراد من خبر غزوة أحد وتليها غزوة حمراء الأسد قال أبو عبيد وهي ثانيث أحمر مضاف إلى أسد وهي اسم مكان على ثمانية أميال وقيل عشرة على يسار الذهاب من المدينة إلى ذي الحليفة، قال فى المواهب وكانت صبيحة يوم أحد، قال الزرقاني وهو يوم السبت فهذه الغزوة يوم الأحد لست عشرة ليلة أو لثمان خلون من شوال على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة والخلاف عندهم كما سبق فى أحد ذكر الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم باتت وجوه الأنصار على بابه خوفا من كرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال للصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبره صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من أهله حتى إذا كان بمثل كجبل بميم ولامين موضع قرب المدينة إذا قریش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي، وصفوان بن أمية يقول لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا بمهملة وموحدة أي غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فإننى لا أمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم، فقال صلى الله عليه وسلم أرشدكم صفوان وما كان برشيد، والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذهاب ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا يا رسول الله اطلب العدو لا يقحمون على الذرية أي يدخلون فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالا أن ينادى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس أي من شهد أحدا ولعل حكمة ذلك أنه أراد إظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ فى الإيمان وحب الرسول، وقال الحافظ بن كثير والمشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمئة قتل منهم سبعون وبقي الباقي الشامي والظاهر

أنه لا تخالف بين قول عائشة الذى فى البخاري ومسلم، لما انصرف المسلمون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود وبين قول أهل المغازى لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقيون انتهى.

ودعا صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه إلى علي ويقال إلى أبي بكر واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق منهم اثنان بالقوم فى حمراء الأسد فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضوا ومضى صلى الله عليه وسلم ودليله ثابت بن الضحاك حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما بقبر واحد وأقام عليه السلام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد فكبت الله بذلك عدوهم. قال فى الاكتفاء وتكلم جابر بن عبد الله بن حرام لما أذن مؤذنه لطلب العدو وأن لا يخرج معنا إلا أحد حضر يومنا بالأمس فقال يا رسول الله كان أبى خلفنى على أخوات لى سبع، وقال يا بني لا ينبغي لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل لهن ولست الذى أثيرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنما خرج مرهبا انتهى.

وقوله سبع وفى رواية تسع بمثناة فوقية أوله وهو الصحيح قاله الزرقاني وشهد معه صلى الله عليه وسلم يومئذ أخوان من بني عبد الأشهل فرجعا جريحين قال أحدهما فلما أذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم بالخروج قلت لأخى أو قال لى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل! فخرجنا وكنت أيسر جرحا وكان إذا عقب حملته عقبه ومشى عقبه حتى

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون انتهى.

ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد معبد بن أبي معبد الخزاعي فعزاه بمصائب أصحابه وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد، كما جزم به ابن عبد البر وابن الجوزي كما فى الزرقاني. وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بالروحاء وقد أجمع الرجعة هو وأصحابه وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفترغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبد قال ما وراءك؟ قال محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف فى يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيئا لم أر مثله قط، قال ويلك ما تقول؟ قال ما أرى أن نرتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال فإنني أنهاك عن ذلك! والله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا، قال وما قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى	إذ سالت الأرض بالجرى الأبابيل
تردي بأسد كرام لا تنابله	عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت أعدو أظن الأرض مسائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقاءكم	إذا تغطمطت البطحاء بالخيل

إلى آخرها...

فثنى ذلك المشركين فرجعوا إلى مكة انتهى.

والتنابله القصار، وتغطمطت لفظ مستعار من الغطمطة وهي غليان القدر، ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصاب قبل وصوله إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة وكان لجأ إلى عثمان فاستامن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاثة أيام قتل فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعث صلى الله عليه وسلم زيدا بن حارثة

وعمار بن ياسر فقال لهما إنكما ستجدانه بموضع كذا فوجداه ووثقاه وقتلاه صبرا بأمر من رسول الله وأصاب أبا عزة بعين مهملة مفتوحة فزاي مشددة فهاء تأنيث عمرو بن عبد الله الجمحي وكان أسره ببدر ثم من عليه، فقال يا رسول الله أقتلني، فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه، وعن سعيد بن المسيب أنه قال قال صلى الله عليه وسلم إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه ثم بعد حمراء الأسد غزوة بنى النضير ويأتى الكلام عليها إن شاء الله عند ذكر الناظم لها، ثم بعد ذكر غزوة بنى النضير غزوة ذات الرقاع كما لابن إسحاق وغيره، وفى الإكتفاء أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزى نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان وهي غزوة ذات الرقاع انتهى المراد منه. والرقاع بكسر الراء بعدها قاف قألف فعين مهملة جمع رقعة بالضم كبرمة وبرام وهي غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة، فقول البخاري وهي غزوة محارب بن خصفة من بنى ثعلبة بن غطفان وهم، لاقتضائه أن ثعلبة جد لمحارب وليس كذلك، فصوابه كما عند ابن إسحاق وغيره وبنى ثعلبة بواو العطف فإن غطفان بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة هو ابن سعد بن قيس عيلان ومحارب بضم الميم هو ابن خصفة بفتح المعجمة والصاد المهملة والفاء ابن قيس عيلان، فمحارب وغطفان ابنا عم وبنو ثعلبة بمثلثة وعين مهملة من غطفان لأن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية فصاد معجمة ابن ريث بفتح الراء وسكون التحتية فمثلثة ابن غطفان قاله العلامة الزرقاني. وقال فى الفتح والذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة قال الزرقاني كما صنع البخاري وبه جزم أبو معشر، قال مغلطاي وهو من المعتمدين فى السير انتهى.

وفي المواهب سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام. وقيل شجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع، قال شارحه قيل لأن هذه الشجرة كانت العرب تعبدها وكل من كان منهم له حاجة يربط بها خرقة وقيل الأرض التى نزلوها فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت بذلك وقال الواقدي لجبل هناك فيه بقع وقال الداودي سميت بذلك لوقوع صلاة الخوف فيها لترقيع الصلاة فيها. وأصح من هذه الأقوال أنها سميت بذلك للفهم الخرق فيها على أرجلهم لما نقيت بفتح النون وكسر القاف أقدامهم، أي رقت وقرحت من الحفاء كما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضى الله عنه، وكان من خبر هذه الغزوة أنه عليه السلام غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة وبنى أنمار لما بلغه أنهم جمعوا الجموع إليهم فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على قول ابن سعد وابن حبان أو فى جمادى على ما تقدم وهو لابن إسحاق فى أربعمائة من أصحابه، وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وسار حتى وصل واد الشقرة بضم الشين المعجمة وسكون القاف فأقام يوما وبث سراياه فرجعوا من الليل ولم يروا أحدا فسار حتى نزل خلا بالخاء المعجمة، موضع من أراضي غطفان وهو من المدينة على يومين وهو بواد يقال له شذخ بشين معجمة بعدها مهملة ساكنة فحاء معجمة فلم يجد فى مجالسهم إلا نسوة فأخذهن وهربوا فى رؤوس الجبال كذا قال ابن سعد وقال ابن إسحاق لقي جمعا منهم ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس حتى صلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت غيبته عليه السلام فى هذه الغزوة عن المدينة خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين. وعن جابر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها له صلى الله عليه وسلم فنمنا نومة فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وهو نائم فاخترطه يعنى سله من غمده فقال له تخافنى؟ قال لا! قال فمن يمنعك منى؟ قال الله يمنعنى منك، فسقط

السيف من يده. فأخذه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني؟ فقال كن خيراً أخذ. قال تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله؟! قال الأعرابي أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال جئكم من عند خير الناس، وذكر الواقدي فى نحو هذه القصة أن هذا الإعرابي دعثور بضم الدال المهملة وسكون العين المهملة وضم المثلثة وسكون الواو وراء مهملة وأنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير. وفى رواية ابن إسحاق أنه أسلم بعد وأنه رمى بالزخعة بضم الزاء وشد اللام بعدها خاء معجمة فهاء تانيث وهي وجع الصلب حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فنذر، بنون ودال وراء مهملين، السيف أي سقط من يده وسقط هو إلى الأرض فلم يستطع القيام وقال البخاري عن مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر اسم الرجل غورث بن الحارث بفتح الغين المعجمة وسكون الواو وفتح الراء فمثلثة وقيل بضم أوله، وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الثاء وقال فى المواهب وتقدم فى غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وأنه قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني اليوم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الله! فدفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده، وأنه أسلم. قال فى عيون الأثر والظاهر أن الخبرين واحد اختلف الرواة فى اسمه فبعضهم سماه دعثورا وبعضهم سماه غورث وقال غيره من المحققين الصواب أنهما قصتان فى غزوتين قصة لرجل اسمه دعثور بغزوة ذي امر وفيه التصريح بأنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير وقصة بذات الرقاع لرجل اسمه غورث وليس فى قصته تصريح بإسلامه انتهى.

وفى انصرافه عليه السلام من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فلا يكاد يسير فنخسه النبي صلى الله عليه وسلم بعصى نخسات ولمسلم وأحمد فضربه برجله ودعا له فانطلق متقدما بين يدي الركاب ولأبى نعيم أنه نفث فى ماء ثم مچ من الماء فى نحره ثم ضربه بالعصى

فوثب فقال اركب! قلت إنى أرى أن يساق معنا، قال اركب فركبت فوالذى نفسي بيده لقد رأيتنى وأنا أكفه عنه صلى الله عليه وسلم إرادة أن لا يسبقه ثم قال أتبيعني فابتاعه بأوقية وقال لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها أعطى الثمن وأرجح ووهب له الجمل، ثم بعد ذات الرقاع غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع حرب فيها فهي صغرى بالنسبة لبدر الكبرى وتسمى بدر الموعد للمواعدة مع أبى سفيان عليها يوم أحد وهي الثالثة، فقد مر أن أبى سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الأخيرة ورجبا ثم خرج فى شعبان سنة أربع إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله ومعه كما رواه الحاكم ألف من أصحابه وخمسائة ومعهم عشرة أفراس فرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفرس لأبى بكر وفرس لعمر وفرس للزبير وفرس لسعيد بن زيد وفرس للمقداد وفرس لأبى قتادة وفرس للحباب وفرس لعباد بن بشر فهذه تسعة ولم يسم العاشر واستخلف ابن رواحة على المدينة وحمل اللواء علي بن أبى طالب فأقاموا ثمانى ليال على بدر ينتظرون أبى سفيان وخرج أبو سفيان فى قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا كذا عند الواقدي حتى نزلوا مجنة بميم فجيم فنون مشددة مفتوحات ويجوز كسر الميم سوق بقرب مكة من ناحية مر الظهران بفتح الميم وشد الراء وفتح الظاء المشالة وإسكان الهاء واد بين مكة وعسفان، ويقال حتى نزل عسفان ثم رجع فقال يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب وإنى راجع فأرجعوا، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون إنما خرجتم تشربون السويق، وهو قمح أو شعير يلقى ثم يطحن ويتزود به ملتوتا بماء أو عسل أو سمن وأتى مخشى بن عمر الضمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وهو الذى كان وادعه على بني ضمرة فى غزوة

ودان فقال يا محمد أجيئت للقاء قريش على هذا الماء؟ فقال نعم يا أبا بني ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك. قال لا والله ما لي بذلك منك من حاجة. ومرب به صلى الله عليه وسلم وهو هناك معبد الخزاعي فقال وناقته تهوي وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعسجد
تهوى على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد مسوعد
وماء ضجنان لها ضحى الغد

قوله كالعسجد في هامش منسوب للسهيلي أنه حب الزبيب وقديد كزبير موضع وضجنان كسكران جبل قرب مكة وقال ابن رواحة في ذلك ويقال انها لكعب بن مالك.

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد لميعاده صدقا وما كان وافيًا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأبت ذميما وافتقدت المواليا
تركنا بها أوصال عتبة وابنه وعمرا أبا جهل تركناه ثاويًا
عصيتم رسول الله أف لدينكم وأمركم الشيء الذي كان غاويًا
فإني وإن عنفتموني لقائل فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره شهابا لنا في ظلمة الليل باديا
وقال حسان بن ثابت:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج فقولوا لها ليس الطريق هنا لك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا بأرعن جرار عظيم المبارك
بكل كسميت جوزه نصف خلقه وقب طوال مشرفات الحوالك
ترى العرفج العادي تدمى أصوله مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن نلق في تطوافنا والتماسنا فرة ابن حيان يكن رهن هالك
في القاموس الفلج محرقة النهر الصغير، انتهى.

وفي هامش منسوب للسهيلي أن أبا حنيفة رواه بالحاء، وقال الفلحة

المزرعة والأوارك التي اشتكت من أكل الأراك والبئر النزوع القريبة القعر وجيش أرعن كثير له فضول والجرار الثقيل السيل لكثرتة والكميت الذي أصاب حمرتة قنوء والجوز الوسط والقب الضوامر والحارك أعلى الكاهل والمشرف المرتفع والعرفج شجر والعادي القديم، والرواتك المتقاربة الخطو انظر القاموس.

ثم بعد غزوة ذات الرقاع غزوة دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة سميت بدومي بن اسماعيل كان نزلها قاله القسطلاني في المواهب. قوله بضم الدال قال الزرقاني في شرحه عند أهل اللغة وأصحاب الحديث يفتحونها كذا في الصحاح. وقال اليعمرى بضم الدال وفتحها، وقال ابن القيم بضم الدال وأما بفتحها فمكان آخر، وقال بعضهم دومة الجندل بالضم والفتح، وأما المكان الآخر الذي باليمن فبالفتح فقط، قيل كان منزل أكيدر أولاً دومة الحيرة وكان يزور أخواله من كلب، فخرج معهم للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا الزيتون وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينهما انتهى. وكانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة فتكون سنة خمس قاله في المواهب. وسببها أنه عليه السلام بلغه أن بها جمعا يظلمون من مرّ بهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة وهي طرق من أفواه الشام وقيل له عليه السلام لو دنوت إليها لكان ذلك مما يفزع قيصر وكان بها سوق عظيم وتجار فخرج صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين من ربيع الأول في ألف من أصحابه فكان يكمن النهار ويسير الليل بضم الميم وفتحها واستخلف على المدينة سباع بكسر السين المهملة فموحدة فألف فعين مهملة ابن عرفة بضم العين والفاء الغفاري ويقال له الكنانى وكان دليله مذكور العذري ونكب عن طريقهم وقال له لما دنا من دومة يا رسول الله إن سوائهم ترعى عندكم فأقم حتى أطلع لك. قال نعم.

فخرج العذري طليعة وحده ووجد آثار النعم والشاء فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا فرقا للرعب منه صلى الله عليه وسلم ونزل عليه السلام بساحتهم فأقام بها وبث السرايا وفرقها ولم يصب منهم أحدا ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر فتكون غيبته عن المدينة خمسا وعشرين ليلة ولعله جد في السير لما مرّ أن بعد دومة من المدينة خمسة عشر انتهى من المواهب وشرحها.

وفي الاكتفاء بعد أبيات حسان ما نصه: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وهي سنة أربع من مقدمه المدينة ثم غزا دومة الجندل ثم رجع قبل أن يصلها ولم يلق كيذا صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى بحروفه.

تنبيه:

ذكر الكلاعي غزوة الخندق عقب غزوة دومة والذي في المواهب ذكر غزوة المريسيع قبل الخندق تبعا لابن سعد وقال انها كانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس. قال الزرقاني ورواه البيهقي عن قتادة وعروة وغيرهما ولذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق ورجحه الحاكم وهو الذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق ورجحه ابن حجر، وقال أي ابن حجر بعد كلام، فظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان قبل الخندق لأنها كانت في شوال سنة خمس أيضا انتهى المراد من كلام الزرقاني.

وسأتكلم عليها إن شاء الله عند قول الناظم الآتي بنى المصطلق لأنها هي المريسيع غزوة الخندق وتسمى الأحزاب، أما تسميتها بالخندق فلأجل الخندق أي الحفر الذي حفر حول المدينة في شاميه من طرق الحرة الشرقية إلى طرق الحرة الغربية وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من الكفار عليها وهم قريش وغطفان وسليم واليهود

حتى بلغوا عشرة آلاف وأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ... إلى قوله: قويا عزيزا}. وكان من سببها أنه صلى الله عليه وسلم لما أجلى بنى النضير خرج نفر من اليهود منهم سلام بالتشديد عند ابن الصلاح وغيره ورجح الحافظ التخفيف مستندا لوقوعه فى أشعار العرب، كقول أبي سفيان:

سقانى فروانى كميتا مدامة على ظمئى منى سلام ابن مشكم
ابن مشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف وسلام بن أبى الحقيق بحاء مضمومة ففاف مفتوحة فتحتية ساكنة ثم قاف أخرى وحيي بضم الحاء مصغرا بن أخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة كما فى الزرقاني وكنانة بن الربيع النضيريون وهوذة بفتح الهاء وسكون الواو فذال معجمة فهاء تانيث ابن قيس وأبو عمار الوائليان فقدموا على قريش ودعوهم إلى حربه عليه السلام، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش إنكم أهل الكتاب الأول والعلم فما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه. وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا} فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان ودعوهم إلى حربه عليه السلام وأخبروهم أنهم سيكونون معهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك وجعل اليهود لغطفان نصف تمر خيبر كل عام تحريضا لهم على الخروج، فخرجت قريش فى أربعة آلاف وحملوا اللواء على عثمان بن أبى طلحة وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن بدر الفزاري فى فزارة كسحابة قبيلة وكانوا ألفا وكتبوا إلى حلفائهم من أسد فخرج طليحة الأسدي فيمن تبعه من أسد والحارث المري بضم الميم وشد الراء فى قومه وكانوا أربعمائة وهو أحد الفرسان المشهورين وأسلم بعد تبوك فى وفد قومه وخرجت أشجع

يقودهم مسعود بن رخيطة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة فى أربعمئة وأسلم مسعود بعد، وكانت عدتهم عشرة آلاف وكان عناج الأمر إلى أبى سفيان، انتهى من المواهب وشرحها.

وعناج الأمر ككتاب ملاكه وكان المسلمون ثلاثة آلاف وهذا هو الصحيح المشهور وقيل فى عدد الجميع غير ذلك. قال الزرقاني كان لقريش ألفا بعير وخمسماية بعير ويقودون ثلاثمئة فرس ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران يقودهم سفيان بن عبد شمس فى سبعمئة وكان حليفا لحرب بن أمية وخرج غير ذلك وذكر ابن سعد أن المسلمين كان معهم ستة وثلاثون فرسا وأن قريشا لما تهيأت للخروج أتى ركب خزاعة النبي صلى الله عليه وسلم فى أربع ليال حتى أخبروه فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويحاربهم عليها؟ فأشار سلمان بالخندق فأعجبهم ولم يكن الخندق من شأن العرب ولكن من مكائد الفرس أي حيلهم التى يتوصلون بها إلى مرادهم ولذا أشار به سلمان، فقال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب الخندق على المسلمين أي جعل على كل عشرة أربعين ذراعا، روى الطبراني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خط الخندق من أحمر الشيخين تثنية شيخ ضد شاب وهما أطمأن تثنية أطم بضمتين طرق بنى حارثة حتى بلغ المواجح فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا، قال شيخنا لعلها حاصلة من ضرب قدر من الطول فى العرض والحاصل من ذلك فى العمق وليس المراد أن لكل عشرة أربعين طولا لزيادة ذلك على مسافة عرض المدينة بكثير لكثرة الصحابة الحافرين. قلت وفى رواية خط صلى الله تعالى عليه وسلم الخندق لكل عشرة أناس عشرة أذرع انتهى.

وعمل عليه السلام فيه بنفسه وعمل فيه المسلمون فدأب ودأبوا أي جدوا وتعبوا حتى كان سلمان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه قيس بن صعصعة أي أصابه بالعين فلبط بضم اللام وكسر الموحدة وبطاء مهمة أي صرع فجأة فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ

وليغتسل به سلمان وليكفى الإناء خلفه ففعل فكأنما حل من عقال
وتنافس المهاجرون والأنصار فى سلمان وكان رجلا قويا فقال المهاجرون
سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا. فقال صلى الله عليه وسلم سلمان
منا أهل البيت. وفى البخاري عن أنس خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون بكسر الفاء فى غداة
باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم إن العيش عيش
الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة بكسر الجيم وسكون الهاء، فقالوا أي
الطائفتان مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا
وقوله اللهم إلخ.. هو من قول ابن رواحة فتمثل به عليه السلام، فقال
الداودي إنما قال ابن رواحة لاهم بلا ألف ولا لام فأورده بعض الرواة
على المعنى، قال الحافظ وحمله على ذلك ظنه أنه يصير غير موزون
وليس كذلك بل يكون دخله الخزم وقوله فاغفر إلخ.. غير موزون ولعله
عليه السلام تعمد ذلك ولعل أصله فاغفر للأنصار وللمهاجرة باللام فى
المهاجرة، وعن طاووس زيادة فى آخر هذا الرجز، والعن عضلا والقارة
هم كلفونا ننقل الحجارة، قال الحافظ وأوله غير موزون أيضا ولعله
والعن إلهي عضلا والغارة انتهى.

وعضلا بالتحريك ابن الهون بن خزيمة كما فى القاموس، وفى
البخاري عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب وخندق صلى الله
تعالى عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار
جلدة بطنه فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب
ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصددقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد رغبوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
ويمد بها صوته أي بقوله أبينا. وقوله قد رغبوا أي رغبوا العدو على
قتالنا، وفى رواية بالعين المهملة أي رعبوا المسلمين بتحزبهم علينا،

وقوله أبينا أي أبينا الفرار فهو بالموحدة كما رجحه عياض وبالفوقية أي أتينا وأقدمنا على العدو، وروى البيهقي عن سلمان أنه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال باسم الإله وبه بديننا ولو عبدنا غيره شقيننا فحبذا ربا وحب ديننا.

قال فى النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال أي بدأت به، ووقع فى الخندق أمور من أعلام نبوءته صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما فى الصحاح عن جابر قال إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر من الجوع ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا بفتح الذال المعجمة أي شيئاً فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول بكسر الميم وسكون العين وفتح الواو أي المسحاة فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم فالشك من الراوى والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك وأهيم بمعنى أهيل وعند أحمد والنسائي عن البراء بن عازب لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول جمع معول وهو الفاس العظيمة التي ينقر بها قوى الصخر كما فى الجوهري فاشتكيننا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من يد سلمان فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها بشين معجمة أي قطع فخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحمر من مكانى، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاء ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، وفى رواية والله إنى لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكانى هذا، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كان مصباحاً فى جوف ليل مظلم، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إنى لأبصر

أبواب صنعاء من مكانى الساعة. قال ابن إسحاق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار افتحوا ما بدى لكم، والذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك. ومن أعلام نبوءته صلى الله تعالى عليه وسلم ما فى الصحيح من تكثير الطعام القليل فيه وهو صاع من شعير وعنز صغير فدعى بالقوم وهم ألف فبصق فى العجين والبرمة قال جابر أقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وإن برمتنا كما هي وإن عجينا ليخبز كما هو ومنها حفنة التمر التى جاءت بها ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير لأبيها وخالها ابن رواحة ليتغذيا به، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لإنسان أصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء فاجتمعوا عليه فجعلوا ياكلون وجعل يزيد حتى صدروا عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب. وقوله هم ألف قال الشامي أراد به الأكلين فقط لا عدة من حضر الخندق كما فى الزرقاني. قال فى المواهب وقد وقع عند ابن عقبة أنهم أقاموا فى عمل الخندق أي مدة حفره قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدي أربعة وعشرين وعند ابن سعد ستة أيام، قال السمهودي وما لابن سعد هو المعروف، قال والذى لابن عقبة والروضة والنووي إنما هو فى مدة الحصار لا فى عمل الخندق وفى الروضة للنووي خمسة عشر يوما ولما فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة، قال السهيلي بزاء مفتوحة وغين منقوطة وقيل بضم الراء وعين مهملة اسم موضع فى عشرة آلاف منهم ومن أحابيشهم أي حلفائهم من التحبيش وهو التجميع لتجمعهم على أنهم يد واحدة أو لتحالفهم بذنبه حبشي جبل بأسفل مكة ونزلت غطفان ومن تبعهم بذنبه نلقى إلى جانب أحد وهو بفتح النون والقاف وفتح الميم مقصور، قال الصاغانى موضع من أعراض المدينة انتهى.

فائدة:

قال فى القاموس وزغابة بالضم موضع قرب المدينة لكن فى هامش المطبوع أنه فيه نظر انتهى.

فالصحيح ما للسهيلي وحبشي بالضم كما فى القاموس، قال ومنهم أحابيش قريش لأنهم تحالفوا إلخ.. وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع بفتح السين المهمة وسكون اللام وبالعين المهمة جبل بالمدينة وكانوا ثلاثة آلاف فضرب عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان يبعث الحرس إلى المدينة، قال ابن سعد فكان يبعث سلمة بن أسلم فى مائتي رجل وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة يحرسون المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة، وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عهد بني قريظة وكان صالح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على قومه فأغلق كعب بابَه دون حيي وأبى أن يفتح له وقال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤم إنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه فإنى لم أر منه إلا وفاء وصدقا، فقال ويحك افتح لى أكلمك، فقال ما أنا بفاعل، فقال والله إن أغلقت دونى إلا تخوفا على جشيشتك أن أكل معك منها، ففتح له فقال ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه، فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ولم يزل يفتله فى الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مثل أصله البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغاربه فيجد لذة فيأنس عند ذلك فضرب مثلا فى المراوضة والمخاطلة، قال الحطيئة:

لعمرك ما قراد بني بغيز إذا نزع القراد بمس تطاع

قوله جشيشتك: قال فى القاموس جشه كسره، ثم قال والجشيشة ما جش من بر ونحوه والمجشة الرحى والجشيشة حنطة تطحن جليلا فتجعل فى قدر ويقلّى فيه لحم أو تمر فيطبخ اهـ.

وعن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال كنت يوم الأحزاب أنا وعمر بضم العين ابن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان وهو بضمّتين حصن مبنى بحجارة فنظرت فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت إلى منزلنا قلت يا أبت رأيتك تختلف إلى بنى قريظة قال أرأيتنى يا بنى؟ قلت نعم. قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يات بنى قريظة فياتنى بخبرهم؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لى صلى الله تعالى عليه وسلم بين أبويه فى الفداء فقال فذاك أبى وأمى أخرجه الشيخان. وعند أصحاب المغازي فلما انتهى الخبر أي خبر نقض قريظة للعهد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عباد ومعهما ابن رواحة وخوات بفتح الخاء المعجمة وشد الواو فألف ففوقية ابن جبير الأوسي البدرى، زاد الواقدي وأسيد بن حضير، فقال انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقا فلحنوا إلى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس، فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم، قالوا من رسول الله فتكلموا فيه بما لا يليق وتبرؤا من عهده فشاتمهم سعد بن معاذ فنهاه سعد بن عباد وقال ما بيننا أربى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما فلحنوا له كما أمرهم، فقالوا عضل والقارة، قال السهيلي اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه كما أن اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف، وتفتوا بضم الفاء وشد الفوقية أي لا تكسروا من قوتهم وتوهنوهم وضرب العضد مثلا لأنه كناية عن الرعب الداخلى فى القلب ولم يرد كسرا حقيقيا ولا العضد الذى هو العضو وإنما هو عبارة عما يدخل من

الوهن فى القلب وهو من أقصَح الكلام، وقوله عضل والقارة أي غدروك كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم من أعلى الوادي من قبل المشرق غطفان ومن أسفل منهم من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم بالنون والجيم أي ظهر النفاق من بعض المنافقين فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فقال السعدان يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئا تصنعه لنا؟ قال بل شيء نصنعه لكم. والله ما أصنع ذلك إلا أنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن ياكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة. والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك.

قال ابن عائد وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما عند أبي نعيم على فرس له ليوثبه الخندق فوق في الخندق فاندقت عنقه فمات، فكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه، وعن الزهري أنهم أعطوهم فى ذلك عشرة آلاف درهم، فرد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم إنه خبيث خبيث الدية، فلعن الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا فى ديته.

وقال ابن إسحاق وأقام عليه الصلاة والسلام وعدوهم يحاصره ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري

اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى كانوا بالسبخة فبارزه علي فقتله، وبارز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة انتهى من المواهب.

قال الزرقاني عن ابن سعد وعمرو بن عبد ودّ له يومئذ تسعون سنة والنفر الذين معه هم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب كما في ابن اسحاق وقوله خيولهم بالرفع بدل من الفاعل وقوله قتله الزبير: ضربه بالسيف حتى شقه اثنتين وقطع سرجه حتى خلص إلى كاهل الفرس فقبل ما رأينا مثل سيفك، فقال ما هو السيف ولكنها الساعد. وما ذكره عزاه في الفتح لابن اسحاق فتبعه المصنف ولم يذكر ذلك إلا بن هشام في روايته عن البكائي عنه فلعله في رواية غيره ثم هو معارض لما قدمه عن ابن عائذ وهو الذي ذكره ابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق ومثله في رواية أبي نعيم وعليه اقتصر اليعمري، وذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله انتهى كلامه.

وفي الاكتفاء أن الفوارس المذكورين خرج إليهم علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثخنته الجراح فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز؟ فبارز علي بن أبي طالب، فقال يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، فقال أجل. فقال له علي فإنني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، قال لا حاجة لي بذلك، قال فإنني أدعوك إلى النزال، قال له ولم يابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي لكني والله أحب أن أقتلك، فحامي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. قال وذكر ابن إسحاق في غير رواية البكائي أن عمرو لما نادى من يبارز؟ قام علي وهو مقنع في الحديد، فقال أنا له يا نبي الله. فقال له اجلس إنه عمرو، ثم كرر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون لي رجلاً؟ فقام علي فقال أنا يا رسول الله، قال اجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد لححت من النداء	لجـمـعـكم هل من مـبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	وقفة الرجل المناجز
وكذلك إنى لم أزل	متسرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفستي	والجود من خير الغرائز

فقام علي رضي الله فقال أنا له يا رسول الله، فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمرو؟ فأذن له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فمشى إليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتك	مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقـمـم	عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء	يبقى ذكرها عند العجائز

فقال له عمرو من أنت؟ قال علي. فقال غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإنى أكره أن أهريق دمك، فقال علي لكنى والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً ويقال انه كان على فرسه فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بدركته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن علياً قد قتله، وكانت صفية بنت عبد المطلب فى أطم حسان بن ثابت قالت وحسان معنا فيه

مع النساء والصبيان، قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا إن أتانا أت، قالت قلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود فأنزل إليه فاقتله، قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لى ذلك احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربتة بالعمود حتى قتلتة فلما فرغت منه رجعت للحصن فقلت لحسان انزل فاسلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا انه رجل، فقال ما لى بسلبه من حاجة انتهى المراد من الإكتفاء.

وفي الزرقاني أن عليا لما خرج إلى عمرو أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه وقال اللهم أعنه عليه وأنه لما قتله قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه؟ فإنه ليس فى العرب درع خير منها؟ فقال إنه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت. وفيه عن السهيلي بعد ذكر ما مرّ عن صفية فى شأن حسان فحمل هذا على أن حسان كان جبانا وأنكره بعض العلماء منهم ابن عبد البر لأنه حديث منقطع الإسناد ولو صح لهجي به حسان فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرى وكانوا يناقضونه ويردون عليه، فما غيرة أحد منهم بجنب ولا وسمه به فدل ذلك على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فلولا أنه كان معتلا ذلك اليوم بعلة تمنعه من شهود القتال انتهى انتهى.

وكانت عائشة رضي الله عنها يوم الخندق فى حصن بنى حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت معها أم سعد بن معاذ وكان ذلك قبل أن يضرب الحجاب قالت عائشة فمر سعد وعليه درع مقلصة وقد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرقل بها أي يسرع فى نشاط وهو يقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل

لا بأس بالموت إذا حان الأجل

وقالت له أمه الحق يا بني فقد والله أخرت. قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه، قالت وخفت عليه أين أصاب السهم فرمى سعد بسهم قطع منه الأكل رماه حبان بن العرقعة أحد بنى عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقعة، قال سعد عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن اكنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم أذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتني حتى تقرر عيني من بنى قريظة وقد أجاب الله دعاءه فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم فى بنى قريظة.

وعن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعدا إلا أبو أسامة الجشمي حليف بنى مخزوم والأكل بفتح الهمزة والحاء المهملة بينهما كاف ساكنة عرق فى وسط الذراع، قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان فى كل عضو منه شعبة فهو فى اليد الأكل وفى الظهر الأبر بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة ساكنة وفى الفخذ النسا بفتح النون مقصورا إذا قطع لم يرق الدم قال الأصمعي والنسا عرق من الورك إلى الكعب وابن العرقعة هو حبان بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن هصيص وابن عامر بن لؤي والعرقعة أمه كذا قال السهيلي وقال ابن الكلبي هي أم عبد مناف جد أبيه وهو عنده حبان بن أبى قيس بن علقمة بن عبد مناف وحبان بكسر المهملة وشد الموحدة والعرقعة بفتح العين المهملة وكسر الراء واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة ولقبت بذلك لطيب ريحها. انتهى ملخصا من الكلاعي والمواهب وشرحها.

وفى القاموس ولبن عرق ككتف فسد طعمه عن عرق البعير المحمل عليه وحبان بن العرقعة وقد تفتح الراء وهي أمه قلابة لقبت به لطيب ريحها، وهو الذى رمى سعد بن معاذ رضى الله عنه. انتهى.

وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الشدة والخوف لتظاهر عدوهم عليهم بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر على ما فى العيون وشهرا على ما فى الهدى وعشرين يوما على ما لابن عقبة ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف، بنون وفاء مصفر، الأشجعي، أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إنى أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرنى بما شئت. فقال إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم! قالوا صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلكم به أموالكم وأبناؤكم ونسائكم لا تقدروا أن تحولوا منه إلى غيره وإنهم جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم ونسائهم وبغيره فإن رأوا غرة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينه ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم على أن تقاتلوا معهم محمدا. فقالوا لقد أشرت بالرأي. ثم أتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وإنه قد بلغنى أمر رأيت حقا علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه عنى، قالوا نفعل، قال إن يهود ندموا على ما صنعوا وأرسلوا إلى محمد إنا قد ندمنا على ما فعلنا، أيرضيك أن نأخذ من أشراف قريش وغطفان رجلا تضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم نعيم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا، ثم أتى غطفان وقال إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهمونى، قالوا صدقت، قال فاكتموه عنى، قالوا نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش وكان من صنع الله لرسوله أن أبا سفيان ورؤس غطفان أرسلوا إلى بنى قريظة عكرمة فى نفر من القبيلتين فقالوا إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا

للقتال حتى نناجز محمداً أو نفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئاً وكان قد أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بمقاتلين حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإننا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا، ولا طاقة لنا به، فقالت قريش وغطفان والله إن الذى حدثكم به نعيم لحق، فأرسلوا إليهم أنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. وقالت قريظة ان الذى ذكر لكم نعيم لحق فأرسلوا إليهم إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شديدة البرد فكفأت قدورهم وطرحت أبنيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه لينظر ما فعل القوم ، وحدث حذيفة وقد قال له رجل من أهل الكوفة أرايتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبتموه؟ قال نعم. قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد، قال والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على وجه الأرض ولحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة والله لقد رأيتنى بالخندق فى ليلة باردة مطيرة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هوى من الليل ثم التفت إلينا، فقال من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعانى فلم يكن لى بد من القيام، فقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم وانظر ماذا يفعلون؟ ولا تحدثن بعدنا شيئاً حتى تأتينا. فذهبت فدخلت فيهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً فقال أبو سفيان لينظر كل أمرئ من جلسييه فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت من أنت؟ قال فلان بن فلان؛ ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش

إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام هلك الخف والكراع بضم الكاف اسم لجمع الخيل واختلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون لا يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارحلوا فإني مرتحل ووثب على جملة فما حل عقد يده إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، ثم شئت لقتلته بسهمي، فرجعت إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفييه، فلما سلم أخبرته الخبر. وفي رواية عنه أنه قال لما بعثه: حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا. قال فأذهب الله عز وجل عني القر بضم القاف أي البرد والفرع فإذا الريح لا تجاوز عسكرهم شبرا، فلما رجعت رأيت فوارس نحو عشرين في طريقى معتمين، فقالوا له أخبر صاحبك أن الله قد كفاه القوم بالريح والجنود. وعند أبي نعيم فوالله ما خلق الله قرا ولا فزعا في جوفى إلا خرج فما وجدت منه شيئاً فمضيت كأنما أمشي في حمام. وفي رواية البيهقي عن حذيفة لما دخلت نظرت في ضوء نار توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبة قد تفرق عنه الأحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل، ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهمي من كنانتي أبيض الريش لأضعه في كبد القوس لأرميه في ضوء النار فذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمسكت ورددت سهمي، فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم من غيرهم، فقال لياخذ كل رجل منكم يد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني، فقلت من أنت؟ قال معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت من أنت قال عمرو بن العاصي فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فبدرتهم بالمسألة. وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم

الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم. وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله وقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال نعم. قولوا اللهم استر عوراتنا أي عيوبنا وتقصيرنا، وآمن، بمدّ الهمزة وكسر الميم مخففة ويجوز القصر والتثقيل، روعاتنا، أي خوفنا وفزعنا.

وفي البخاري أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم الخندق، ملأ الله بيوتهم، أي الكفار، أي أحياء وقبورهم أي أمواتا نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس. زاد مسلم صليناها بين المغرب والعشاء، وزاد مسلم أيضا بعد قوله الوسطى صلاة العصر، قال النووي أما تأخيرها عليه السلام العصر حتى غابت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو بل تصلى بحسب الحال.

ولما أجلي الله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الأحزاب قال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا. وفي رواية أنه قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعدها أبدا ولكن أنتم تغزونهم.

قال الزرقاني وذكر الواقدي أنه عليه السلام قال ذلك بعد أن انصرفوا. وذكر ابن إسحاق والواقدي أنه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير وكلهم من الأنصار: سعد بن معاذ جرح فيه ومات من جرحه بعد حكمه في بني قريظة، وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل الأوسيون والطفيل بن النعمان وثلعب بن عنمة بمهملة ونون مفتوحتين وكعب بن زيد الخزرجيون رضي الله عن جميعهم.

وزاد الدمياني: قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبي خالد وذكر الحافظ منه: أبا سنان بن صيفي بن صخر وقتل من المشركين ثلاثة: منبه بن عبيد، قال ابن هشام هو عثمان بن أمية بن منبه العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي

وعمر بن عبد ود العامري، قاله العلامة محمد بن عبد الباقي وقال

حسان يوم الخندق يجيب عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش:

هل رسم دارسة المقام يباب	مستكلم لمحاوّر بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه	وهب سوب كل مظلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم	بيض الوجوه ثواقب الأحساب
ودع الديار وذكر كل خريدة	بيضاء أنسة الحديث كعاب
واشك الهموم إلى الإله وما ترى	من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بجمعهم إليه وألبوا	أهل القرى وبوادي الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم	متخمطين بحلبة الأحزاب
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا	قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم	ردوا بغيطهم على الأعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم	وجنود ربك سيّد الأرباب
وكفى الإله المؤمنين قتالهم	وأثابهم فى الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم	تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه	وأذل كل مكذب مـرتاب

أرض يباب كسحاب خراب، والمحاورة المراجعة فى الكلام، والرهمة كعنب جمع رهمة بالكسر وهي المطر الضعيف الدائم والمعصفة الريح الشديدة عصفت الريح كضرب اشتدت، وعصفت فهي معصف ومعصفة والمرباب الدائمة من أرب بالمكان أقام به، والحلول النازلون: جمع حال، والخريدة: الحية المتسترة، والكعاب كسحاب ناهدة الثديين، وألبوا: جمعوا، والمتخمط: المتكبر والشديد الغضب، والأيدي: القوة.

وقال كعب بن مالك يجيب ابن الزبعرى أيضا:

أبقى لنا حدث الحروب بقية	من خسيل نحلة ربنا الوهاب
بيضا مشرفة الذرى ومعاطنا	حم الجذوع غزيرة الأحلاب
كاللوب يبذل جمها وحفيلها	للجار وابن العم والمنتاب
وترائعا مثل السراج نمت بها	علف الشعير وجزة المقضاب
عري الشوى منها وأردف نحضها	جسد المتون وسار فى الآراب
قودا تراح إلى الصياح إذا غدت	فعل الضراء تراح للكلاب

وتروح سالبية الضمار وتارة
يغدون بالزغف المضاعف شكه
وصوارم ترع الصياقل عليها
إلى أن قال:
جاءت سخينة كي تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب
ترد العدا وتؤب بالأسلاب
وبمترصات فى الثقاف صياب
وبكل أروع ماجد الأنساب

قوله مشرفة الذرى: أراد بها الأظام وهي الحصون، وأراد بالمعاطن
منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل، ووصف النخل بأنها حم
لأنها تضرب إلى السواد من شدة الخضرة والأحلاب جمع حلب بالتحريك
وأصله اللبن المحلوب شبه به ما يجتنى من النخل واللوب جمع لوبة
بالضم وهي الحرة، وهي الأرض التي لبستها حجارة سود، وجمها
وحفيلها أي الكثير منها، والمنتاب الزائر، والنزائع يعنى بها الخيل
التي نزعت من العدو، وقوله مثل السراج بالجيم أي كل واحد منها
كالسراج، وبالحاء جمع سرحان وهو الذئب جمعه على تقدير الألف
والنون ولو جمعه علي لفظه لقال سراحين، والمقضاب مزرعة القضب،
وجزتها ما يجز منها للخيول، والقود جمع قوداء وهي طويلة العنق
والضراء الكلاب الضارية والكلاب جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذي
يصيد بها والمترصات المحكمات يعنى الرماح المثقفة، والعلب الجساوة
والخشونة، يقال علب النبات أي جسا وغلظ وسخينة مما سميت به
قريش قديما انتهى. معزوا للسهيلي.

وقوله تراح إلى الصياح بفتح المثناة أي تفرح وتخف، وفي القاموس
راح للأمر يراح رواحا وروحا وراحا فرح انتهى. والصياقل جمع صيقل
وهو شحاذ السيوف وجلأؤها والثقاف ككتاب ما تسوى به الرماح
والأروع من يعجبك بحسنه أو بشجاعته انتهى من القاموس.
وفيه وسخينة كسفينة طعام رقيق يتخذ من دقيق ولقب لقريش
لاتخاذها إياه وكانت تعير به انتهى.

«غزوة بنى قريظة». ولما دخل صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء الذى انصرف فيه من الخندق لسبع بقين من ذى القعدة كما لابن سعد هو وأصحابه ووضعوا السلاح، جاء جبريل عليه السلام وقت الظهر معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج والاعتجار أن يلفها على رأسه يرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه كما فى النهاية وتبعه الشامي ونحوه فى القاموس والاستبرق ضرب من الديباج غليظ، قال ابن سعد وكانت سوداء وأرخصى منها بين كتفيه، والرحالة بكسر الراء وخفة الحاء المهمتلين سرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد والجمع رحائل والقطيفة كساء له خمل والديباج بكسر الدال وقد تفتح وفي رواية للبخاري لما رجع ووضع السلاح واغتسل أي للتنظيف من آثار السفر أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح بحذف الاستفهام، والله ما وضعناه أخرج إليهم وأشار إلى بنى قريظة بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالطاء المعجمة فتاء تانيث، قال السمعاني اسم رجل نزل أولاده قلعة حصينة قرب المدينة فنسبت إليهم وقريظة والنضير أخوان من أولاد هارون ولابن اسحاق أن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمززل بهم أي مززل حصونهم فالمفعول محذوف. ولابن سعد فادبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع أي ارتفع الغبار فى زقاق كغراب أي سكة بنى غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون بطن من الخزرج. وفي البخاري عن أنس لكأنى أنظر إلى الغبار فى زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار إلى بنى قريظة، روي بنصب موكب بتقدير انظر وبالجاء بدل من الغبار والرفع خبر مبتدأ محذوف أي هذا وهو نوع من السير أو جماعة الفرسان أو جماعة يسيرون برفق، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى، قال البرهان لا أعرفه، وقال الشامي هو بلال فأذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة وعند

ابن عائذ أن جبريل عليه السلام قال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى يا خيل الله اركبى وعند ابن سعد ثم سار إليهم فى المسلمين وهم ثلاثة آلاف معهم ستة وثلاثون فرسا واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قتادة بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيث بفتح اللام وضمها وحاء مهملة كأمر وزبير ويروى بالجيم وبالحاء المعجمة والمعروف بالحاء المهملة قاله ابن الأثير. وللطبراني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتى بنى قريظة ركب على حمار له يقال له يعفور، فإن صحا فيمكن أنه ركب الفرس بعض الطريق والحمار بعضها وقدم عليا برايته فسار حتى دنا من الحصون فسمع مقالة قبيحة له عليه السلام فرجع حتى لقيه فقال لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابيث، قال لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال نعم. قال لو رأونى لم يقولوا شيئا. فلما دنا من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا. ومر بنفر من أصحابه قبل أن يصل إليهم فقال هل مر بكم أحد؟ قالوا مر بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء. فقال ذلك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم. ونزل عليه السلام بئرا من أبارهم يقال لها بئر أنا فى الشامية بالضم وتخفيف النون وقيل بالفتح والتشديد، وقيل بموحدة بدل النون وقيل غير ذلك، قاله الزرقاني. وفي القاموس فى مادة أنى الشيء ما نصه وأنا كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة بئر بالمدينة لبنى قريظة انتهى. فالإضافة بيانية والله أعلم.

ولما سار الناس وحانت العصر وهم فى الطريق قال بعضهم لا نصلى إلا فى بنى قريظة، ولم يأتوا إلا بعد صلاة العشاء ولم يبالوا بخروج الوقت حملا للنهي على حقيقته. وقال بعضهم لم يرد منا إلا الإسراع إلى قريظة

وصلوا فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعنف أي لم يلم واحدا منهم لا التاركين ولا الفاعلين. قال ابن إسحاق وحاصرهم عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار أي بلغ بهم غاية المشقة وأجهدهم بالآلف وبلاه بمعنى ورويا هنا ولابن مسعود حاصرهم خمس عشرة ليلة وألقى الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رئيسهم كعب بن أسد، يا معشر يهود قد نزل بكم ما ترون وإني أعرض عليكم خلا لا ثلاثا أي خصالا بكسر الخاء المعجمة جمع خلة بفتح المعجمة وشد اللام، قاله الشامي، قالوا وما هي؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتامنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا. فقال فإذا أبيتم هذه فهل فنقتل أبنائنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رجالا مصلتين بكسر اللام أي مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلا بفتححتين ونقاتل حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك فلن نترك وراءنا ما نخشى عليه. فقالوا أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فأنزلوا لعنا نصيب من محمد وأصحابه غرة بكسر المعجمة وشد الراء أي غفلة. قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قردة وخنازير.

قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه في ليلة حازما وارسلوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة أحد النقباء واسمه رفاعه، وقيل مبشر بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيرهم في أمرنا فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش بفتح الجيم والهاء وكسرهما فشين معجمة أي فزع وأسرع إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد وذلك أنهم لما أيقنوا بالهلكة

أنزلوا شمساً بن قيس فكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال تحققن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينزلوا إلا حكمه وعاد إليهم شماس بذلك، فقال أبو لبابة نعم، وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله، فندمت واسترجعت فنزلت وأن لحيتي لمبتلة من الدموع والناس ينظرون رجوعى إليهم، ثم انطلق أبو لبابة فلم يات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد وقال فى رواية وكان ارتباطى إلى الاسطوانة المخلقة أى التى طليت بالخلوق بوزن رسول وهو ما يخلق به من الطيب، وقال لا أبرح من مكانى هذا حتى أموت أو يتوب الله علي. وعاهدت الله أن لا أطأ بنى قريظة ولا أرى فى بلدة خنت الله ورسوله فيها.

فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه، قال أما لو جاءنى لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. قال فكنت فى أمر عظيم فى حر شديد عدة ليال لا أكل فيهن شيئاً ولا أشرب. قال ابن هشام أقام مرتبطاً ست ليال تأتیه امرأته فتحله فى وقت كل صلاة فتربطه. ولابن عبد البر أنه ارتبط بسلسلة ربوض بفتح الراء المهملة وضم الموحدة فواو فضاد معجمة أى عزيمة غليظة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره فكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة أو أراد أن يذهب لحاجة فإذا فرغ أعادته. والظاهر أن امرأته تقيدت به فى ست وبنته فى باقى البضع فلا تنافى بين الروایتين كما فى الزرقاني، ونزلت توبته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة استأذنته عليه السلام أن تبشره فأذن لها فبشرته وذلك قبل ضرب الحجاب، فثار إليه

الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده، فلما مرّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه كذا فى المواهب وغيرها. والآية التى نزلت فى توبته: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم} إلى {رحيم}، قال كاتبه سمح الله له وقد مرّ فى الكلام على التفضيل بين فاطمة وأمها رضى الله عنهما أن فاطمة هي التى حلت به وأنه لما أرادت أن تحله امتنع من أجل يمينه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، فاطمة بضعة منى، فحلت به، فإن صح هذا فيكون معنى قوله أطلقه أي أمرها هي بإطلاقه والله تعالى أعلم.

ثم إن ثعلبة بن السعية وأسيد بن السعية وأسد بن عبيد وهم ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكمه صلى الله تعالى عليه وسلم فأحرزوا دماءهم وأموالهم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي القروي فمر بحرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو بن سعد، وكان قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنا عثرات الكرام، فخلى سبيله فخرج حتى بات فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة ثم ذهب فلم يدر أين توجه، فذكر شأنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه انتهى من الإكتفاء.

ولما اشتد الحصار ببني قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت الأوس، قد فعلت فى موالى الخزرج أي بنى قينقاع ما علمت، أي حين سأله إياهم ابن أبى وهبهم له، فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال فذلك إلى سعد بن معاذ، فقال ابن هشام وحدثنى من أثق به أن علياً صاح وهم محاصرون: يا كتيبة الإيمان. وتقدم هو والزبير وقال والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا ننزل على حكم سعد وكان عليه السلام قد جعله

فى خيمة امرأة من اسلم فى المسجد النبوي يقال لها رفيدة بضم الراء وفتح الفاء وسكون التحتية فдал مهمة فهاء تأنيث وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على من به ضيعة من المسلمين. وعن الواقدي أن اسمها كعيبة بالكاف أوله وبالتصغير وهما امرأتان اختلف فيمن تنسب الخيمة إليه منهما وليس أحدهما إسما والآخر لقباً قاله الزرقاني.

ولما حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سعدا أتااه قومه فحملوه على حمار لأعرابي عليه قطيفة وقد وطئوا له بوسادة من آدم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنما ولاك لتحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال لقدء أن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا إلي سيدكم فانزلوه، قال رجل من بني عبد الأشهل قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد الأنصار وأما الأنصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمين، فقاموا إليه فقالوا إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فأحسن فيهم واذكر بلاءهم عندك أي مناصرتهم ومعاونتهم لك قبل اليوم فجلس إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إن هؤلاء قد نزلوا علي حكمك؛ فقال سعد فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء؛ فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة بالقاف جمع رقيع بتذكير العدد على معنى السقف إذ السماء مؤنثة وقياسه سبع، وأراد أن الحكم ينزل من فوق، ومثله قول زينب زوجني الله من نبيه من فوق سبع سماوات أي نزل تزويجها من فوق. قال فى المواهب والرقيع السماء سميت بذلك

لأنها رقعت بالنجوم. قال الزرقاني وظاهره أن كل سماء مرقوعة بالنجوم وهو أحد قولين والآخران الكواكب كلها فى السماء الدنيا حكاها ابن كثير. وفي رواية للبخاري عن أبي سعيد لقد حكمت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك أي بكسر اللام كما رجه الحافظ وهما بمعنى. وعند الكرماني بفتح اللام أي جبريل لأنه ينزل بالأحكام، وعند ابن عائذ من حديث جابر فقال أحكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم، قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم وأمر عليه السلام ببني قريظة بعد نزولهم من الحصن فكتفوا وجعلوا ناحية والنساء والذرية ناحية أدخلوا المدينة وحبسوا فى دار رملة بنت الحارث بن ثعلبة النجارية والواقدي يقول رملة بنت الحدث بفتح الدال المهملة بغير ألف قبلها قال السهيلي والصحيح الأول، وعن عروة أنهم حبسوا فى دار أسامة بن زيد قال فى الفتح ويجمع بأنهم جعلوا فى بيتين كما صرح به فى حديث جابر عند ابن عائذ انتهى.

وفي السبل سيق الرجال إلى دار أسامة والنساء والذرية إلى دار رملة فأمر لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأحمال تمر فنشرت لهم فباتوا يأكلون منها وحفر لهم أخدودا بضم الهمزة أي شق مستطيل فى السوق وأخرجوا إليه أرسالا فضربت أعناقهم أي ضربها علي والزبير وأسلم الأنصاري كما فى الطبراني وكانوا ستمائة أو سبعمائة، قال السهيلي والمكثر يقول ما بين الثمانمائة إلى تسعمائة وبقي عليه السلام عند الأخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب واصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة بنت شمعون بن زيد إحدى بني عمرو بن قريظة عند الأكثر وقيل كانت من بني النضير متزوجة فى قريظة رجل اسمه الحكم، وتزوجها عليه السلام بعد أن أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصف أوقية، وأعرس بها فى المحرم سنة ست فى بيت سلمى بنت قيس النجارية وضرب عليها الحجاب وغارت عليه غيرة

شديدة وطلقها تطليقة فشق عليها فأكثر البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت راجعة من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، ذكره الواقدي وابن سعد وغيرهما، وقيل كان يطؤها بملك اليمين والأول أثبت عند أهل العلم، كما قاله الواقدي، واقتصر عليه ابن الأثير انتهى من المواهب وشرحها.

وفي المواهب وشرحها وفي الكلاعي أنهم قالوا لكعب بن أسد سيدهم وهو يذهب بهم ارسالا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون أن الداعي لا ينزع؟ وأن من ذهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل. وأوتي بعدو الله حيي بن أخطب وعليه حلة فقاحية قد شقها من كل ناحية قدر أنملة ليلا يسلبها مجموعة يداها إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وقتل من نسائهم امرأة واحدة لم يقتل من نسائهم غيرها.

قالت عائشة رضي الله عنها والله إنها لعندي تحدث تضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل رجالها إذا هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا قلت لها ويحك ما لك؟ قالت أقتل. قلت ولم؟ قالت لحدث أحدثته. فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها مع علمها أنها تقتل. قال ابن هشام هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، وقوله فقاحية نسبة إلى الفقاح كرمان وهي الزهور إذ انفتحت أكمامه وعلى فلان حلة فقاحية وهي على لون الورد حين هم أن ينفتح وكان الزبير كامير بن باطيا القرظي قد من على ثابت بن قيس بن شماس يوم بعث أخذه وخلي سبيله فجاءه ثابت يوم قتل قريظة وهو أي الزبير شيخ كبير فقال إني أردت أن أجزيك بيدك عندي فاستوهبت رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم دمه فقال له عليه السلام هو لك فأتاه فأخبره فقال له الزبير شيخ كبير لا أهل له ولا مال فما يصنع بالحياة فاستوهب ثابت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرأته وولده فقال هم لك، فأخبره فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فسأل ثابت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماله فقال هو لك، فأتاه فأخبره، فقال يا ثابت ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية تترأى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال قتل. قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموال؟ قال قتل. قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال قتلوا. قال فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء خير. وقدمه ثابت فضرب عنقه انتهى وبعضه باختصار.

وأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنائم فجمعت؛ قال الزرقاني وهي ألف وخمسمائة سيف وثلاث مائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وحجفة وخمر وجرار سكر بفتحتين أي نبيذ تمر فاهرق ذلك كله ولم يخمس وجمال نواضح وماشية كثيرة قاله ابن سعد وحجفة بحاء مهملة فجيم ترس صغير وأخرج الخمس من المتاع والسبي وصار الخمس إلى محمية بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية فتحتية مخففة مفتوحة بن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي فهمزة الزبيدي بضم الزاي وفتح الموحدة حليف بني سهم كان قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الأخماس وذكر الكلبي أنه شهد بدرًا، ولما انقضى أمر بني قريظة انفجر جرح بضم الجيم سعد بن معاذ الذي أصابه فى الخندق بعد أن أشرف على البرء فمات شهيدًا، قال الزرقاني لعل مراده شهيد الآخرة، فقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غسله وصلى عليه ولو كان شهيد المعترك لم يفعل به ذلك، وفي البخاري أنه دعى زاد مسلم

وتحجر جرحه للبرء أي تيبس أي دعى بذلك لما كاد جرحه يبرأ، فقال كما فى البخاري اللهم انك تعلم أنه ليس أحد فى قوم أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شئ فابقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعتها فافجرها بضم الجيم أي الجراحة واجعل موتي فيها. قال الحافظ فيه جواز تمنى الشهادة وهو مخصوص من عموم النهي عن تمنى الموت وفيه صبر سعد فانفجرت من لبتة بفتح اللام والموحدة المشددة موضع القلادة من صدره، هذه رواية مسلم. وقال ابن خزيمة فإذا لبتة قد انفجرت من كلمه وكان الجرح ورم حتى وصل إلى صدره فانفجر من ثم. قاله الحافظ فلم يرعهم بفتح أوله وضم ثانيه وسكون العين المهملة، أي لم يفزع أهل المسجد، وفي المسجد خيمة لرجل من بني غفار بكسر المعجمة وخفة الفاء إلا الدم يسيل إليهم وذكر ابن اسحاق ان الخيمة لرفيدة الأسلمية قال الحافظ فيحتمل أن يكون لها زوج من بني غفار فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم أي من جهتك؟ فإذا سعد يغذوا بغين فذال معجمتين أي يسيل جرحه دما فمات منها.

ولأحمد عن عائشة فانفجر كلمه وقد كان برئ إلا مثل الخرص بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة من حلي الأذن انتهى. وسبب انفجار جرحه أنه مرت به عنز وهو مضجع فأصاب ظلفها موضع النحر فانفجر الدم حتي مات، وحضر جنازته رضي الله عنه سبعةون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن، رواه الشيخان من حديث جابر، وثبت عن عشرة من الصحابة أو أكثر قال ابن عبد البر هو ثابت اللفظ من طرق متواترة وقول البراء اهتز سريرته لم يلتفت إليه العلماء انتهى.

وفي العتبية أن مالكا سئل عنه فقال أنهاك أن تقوله، وما يدري المرء أن يتكلم بهذا. قال ابن رشد إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل

أن العرش إذا تحرك يتحرك الله لتحركه كالجالس منا على كرسيه، وليس العرش موضع استقرار الله تعالى، وتنزهه عن مشابهة خلقه، انتهى. واختلف في تأويله فقالت طائفة على ظاهره واهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد، لأن العرش جسم مخلوق، قابل للحركة والسكون، وجعل الله تعالى فيه تمييزا حصل به هذا التحرك، ولا مانع منه، كما قال تعالى: {وإن منها لما يهبط من خشية الله} أي ينزل من علو إلى سفلى، وهذا القول هو المختار عند القسطلاني ورجحه السهيلي وقال آخرون المراد باهتزازه استبشاره وقبوله بأن أودع فيه إدراكا علم بموته ففرح به وبهذا صدر الفتح ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون حركة جسمه، بل انه يرتاح إليها، وقال الحربي هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقول أظلمت الأرض لموت فلان، ولم تظلم، وقامت له القيامة ولم تقم، وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة، قال في المواهب وهو باطل ويرده صريح الروايات اهتز لموته عرش الرحمن فإن إضافته إليه تأبى السرير ومن قال هذا لم تبلغه هذه الروايات، وقيل المراد اهتزاز حملة العرش فرحا بقدومه. وروى الترمذي وصححه أن جنازته لما حملت قال المنافقون ما أخف جنازته. وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله وكأن المنافقين قالوا ذلك بزعمهم الفاسد أن خفته لخفة ميزانه، فرد عليهم عليه السلام، وكان سعد رجلا بادنا ولما حمل بكت أمه وقالت ويل أم سعد، سعدا، صرامة وحدا، وسؤددا ومجدا وفارسا معدا سد به مسدا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ. وقال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فإن ابنك يضحك الله عز وجل له واسم أمه كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية الصحابية ثم الخزرجية ذكر ابن سعد أنها أول من بايع من النساء وأهديت له عليه السلام حلة حرير فجعل أصحابه يعجبون من لينها، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة

خير منها وألين. والمناديل جمع منديل بكسر الميم وفتحها وهو أدنى الثياب لأنه معد للوسخ والامتهان وتمسح به الأيدي وينفض به الغبار ويلف فيه الثياب وفي هذا إشارة إلى عظم منزلة سعد في الجنة، إذ كان أدنى ثيابه أفضل من حلة الملوك فما ظنك بأعلاها.

وروي أن إنسانا قبض من تراب قبره قبضة، ثم نظر إليها فإذا هي مسك، وعن أبي سعيد الخدري سعد بن مالك الصحابي بن الصحابي قال: كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا.

وفي الحديث لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجى منها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه، وقوله لو كان أحد، أي من أمم إلا الأنبياء لأنهم أي الأنبياء لا يضغطون ولا ترد فاطمة بنت أسد بأن نجاتها بسبب اضجاعه عليه السلام في قبرها، ولا قارئ الإخلاص في مرض موته لأن نجاته بسبب هذه القراءة، والمنفي نجاة أحد منها بلا سبب، وروي ابن الأعرابي والبيهقي وابن مندة أنه عليه السلام قال ان ضغطة القبر، أو قال ضمة القبر على المؤمن كضم الأم الشفيقة يديها على رأس ابنه يشكو إليها الصداع فتغمز رأسه غمزا رفيقا، انتهى من المواهب وشرحها.

تتمة:

أسهم صلى الله تعالى عليه وسلم يوم قريظة جماعة أسهم للفارس سهم له وسهمان لفرسه وأخرج الخمس من الغنيمة ومضت تلك السنة في المغازي وقال مغلطاي في هذه السنة وهي سنة خمس فرض الحج وقيل سنة ست هي التي فرض فيها وصححه غير واحد وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه ثلاثة من العلماء وقال حسان يذكر بني قريظة:

تفاقد معشرا نصروا قريشا	وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه	وهم عمي عن التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أوتيتم	بتصديق الذي قال النذير

وهان علي سرارة بنني لؤي حريق بالبويرة مستطير
ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال أدام الله ذلك من صنيع. وحرقت
في طوائفها السعير في أبيات لم يأل فيها أن صدق حسان ثم تلى غزوة
قريظة من غزواته عليه السلام، غزوة بني لحيان بكسر اللام وفتحها
كما في الزرقاني وغيره، ولحيان بن هذيل بن مدركة، قال الحافظ وزعم
الهمداني النسابة أن لحيان من بقايا جرهم دخلوا في هذيل فنسبوا
إليهم، قال ابن سعد كانت في غرة ربيع الأول سنة ست من الهجرة،
وقال ابن اسحاق في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني
قريظة أي في السنة الخامسة، وصححه ابن حزم، وقيل كانت في رجب
وقيل في شعبان وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إلى بني
لحيان يطلبهم ببعث الرجيع خبيب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام
ليصيب من القوم غرة بكسر الغين المعجمة وشد الراء أي غفلة في
مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم
فسلك على غراب أي بلفظ الطائر جبل بناحية المدينة ثم على طريقه
إلى الشام ثم على محيص بفتح الميم وكسر الحاء فصاد مهملتين ثم على
البتراء تأنيث أبت، ثم صفق بشد الفاء أي عدل ذات اليسار فخرج على
بين بفتح التحتية الأولى وسكون الثانية ونون وضبطه الصغاني
بفتحهما واد بالمدينة على صخرات الثمام ثم استقام به الطريق على
المحجة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى إلى منازلهم بفران
بضم الغين وخفة الراء ونون واد بين أمج بفتححتين فجيم وعسفان بضم
العين فسمعوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فهربوا في رؤوس الجبال
فلم يقدر منهم على أحد فأقام يوما أو يومين يبعث سرايا في كل
ناحية وخرج حتى نزل عسفان.

قال في المواهب فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش
فيذعرهم بفتح التحتية والعين أي يفزعهم فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا
كيذا والغميم بفتح المعجمة وكسر الميم فتحتية ساكنة فميم، واد أمام

عسفان بثمانية أميال والكراع بضم الكاف وخفة الراء وعين مهملة جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه، والكراع ما سال من أنف الجبل وطرف كل شيء، قاله فى النور انتهى.

وفى الكلاعي أنه لما نزل عسفان بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا وراح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قافلا وهو يقول حين وجد راجعا أتَّبون تائبون عابدون بربنا حامدون وأعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال انتهى.

وقوله بعث فارسين يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم كما فى الزرقاني بأنه بعثهما ثم بعث أبا بكر فى العشرة أو عكسه وقوله أتَّبون بمد الهمزة أي نحن راجعون إلى الله وقوله لربنا متعلق بالصفات الثلاث قبله على طريق التنازع وكذا يتعلق بما بعده ووعثاء بمثابة أي مشقة والكآبة: الحزن، وغاب صلى الله تعالى عليه وسلم عن المدينة أربع عشرة ليلة ثم بعد غزوة بني لحيان غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء قاله فى المواهب زاد الحافظ وحكى الضم فيهما وحكى ضم أوله وفتح ثانيه قاله الزرقاني وآخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان قاله السهيلي، والقرد لغة الصوف وتسمى أيضا غزوة الغابة بغين معجمة فألف فموحدة وهو شجر لاحتطاب الناس ومنافعهم على بريد من المدينة وهو بعد مجتمع الأسيال وأضيفت الغزوة إليها لكون اللقاح التي أغار عليها عيينة بن حصن فيها فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم فى أثره كانت عند الغابة ويأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى مع ذكر الغارة التي هي سببها عند ذكر الناظم لها.

وقوله بني المصطلق مراده به أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل فى غزوة بني المصطلق أي وقع فيها قتال من أصحابه وهو معهم وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام فقف لقب بذلك لحسن صوته وارتفاعه من الصلق وهو رفع

الصوت وهو أول من غنى من خزاعة واسمه جذيمة بجيم مضمومة فذال معجمة مفتوحة فتحتية ساكنة ابن سعد بن عمرو بفتح العين بن ربيعة بن حارثة بطن من خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المخففة، قال فى القاموس حي من الأسد سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم أي تخلفوا وأقاموا بمكة انتهى. وتسمى أيضا غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة آخره عين مهملة وكانت كما قال ابن سعد يوم الاثنين فى ليلتين خلتا من شعبان سنة خمس ورواه البيهقي عن قتادة وعروة وغيرهما ولذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق ورجحه الحاكم، وفي البخاري عن ابن اسحاق فى شعبان سنة ست وبه جزم خليفة والطبري والذي لابن عقبة سنة خمس قال الحاكم وكونها سنة خمس أشبه من قول ابن اسحاق، قال الحافظ فى الفتح ويؤيده ما فى حديث الافك ان سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد فى أصحاب الافك فلو كانت المريسيع فى شعبان سنة ست مع كون الافك كان فيها لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا لأنه مات أيام قريظة وكانت فى سنة خمس على الصحيح، ثم قال فظهر ان المريسيع كانت سنة خمس فى شعبان قبل الخندق لأنها فى شوال سنة خمس أيضا فيكون سعد موجودا فى المريسيع. ورمى بعد ذلك بسهم فى الخندق ومات من جرحه فى قريظة انتهى من المواهب وشرحها.

وقد مرّ بعض هذا وعلي ما لابن اسحاق اقتصر الكلامي وسببها انه عليه السلام بلغه أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين وأسلم لما جاء فى فدائها دعى قومه ومن قدر عليه من العرب إلى حرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه وكانوا ينزلون بناحية الفرع بضم الفاء والراء كما نقل السهيلي وجرى عليه فى المشارق وعن الأحوال اسكان الراء ولم يذكره غيره كما فى التنبيهات لكن قال مغلطاي أن الحازمي وافقه وتبعهما

ابن الأثير والصفاني وغيرهما وهو موضع من ناحية المدينة بينه وبين المريسيع مسيرة يوم، وفي سيرة مغلطاي يومين، فقال وبين المدينة والفرع ثمانية برد انتهى.

وأما الفرع بفتحتين فموضع بين الكوفة والبصرة (أنظر الزرقاني) فلما بلغه ذلك بعث إليهم بريدة بضم الموحدة وفتح الراء المهمة مصغرا ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الاسلمي ليعلم حالهم فاستأذنه أن يقول فأذن له فأتاهم فوجدتهم قد جمعوا الجموع فكلم الحارث وقالوا له من الرجل؟ قال: منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني حتى نستأصله، قال الحارث ونحن علي ذلك فعجل علينا، فقال بريدة اركب الآن وأتيكم بجمع كثير من قومي، فسروا بذلك ورجع إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله تعالى عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها ليس لهم رغبة في الجهاد إلا أن يصيبوا عرض الدنيا واستخلف على المدينة زيد ابن حارثة وقيل أبا ذر وقيل نميلة الليثي تصغير نميلة وقادوا ثلاثين فرسا للمهاجرين منها عشرة ومعه صلى الله تعالى عليه وسلم لزاز بكسر اللام وزاي مكررة مخففة بينهما ألف من لاززته أي الصقته كأنه لصق بالمطلوب لسرعته وقيل لاجتماع خلقه ومعه الظرب بفتح الظاء المعجمة كما في القاموس والسبل والنور وتكسر على ما في بعض نسخ النور وصدر به الشامي فراء مكسورة فموحدة واحد الظراب وهي أي الروابي الصغار سمي بذلك لكبره وسمنه وقيل لقوته وصلابته وذكر الشامي أنهما من جملة عشرة المهاجرين، قاله الزرقاني وخرجت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب عليه السلام جاسوسا لهم فسألوه عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض عليه الإسلام فأبى فأمر عمر بن الخطاب بضرب عنقه وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام وأنه قتل جاسوسه فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا، وتفرق

عنهم من كان معهم من العرب ولقيهم عليه السلام على المريسيع فضرب عليه قبة وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر وقيل إلى عمار بن يسار وراية الأنصار إلى سعد بن عباد فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر عليه السلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما انفلت منه إنسان فقتلوا عشرة وأسروا سائرهم أي باقيهم، قال البرهان قال بعض شيوخه كانت الأسرى أكثر من سبعمئة فطلبتهم منهم جويرية ليلة دخوله بها فوهبهم لها انتهى.

ولا يشكل بما رواه ابن إسحاق أنه لما خرج الخبر إلى الناس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج بجويرية قال الناس أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم قالت عائشة فلقد عتق بتزويجها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها لأن طلبها إياهم لا يمنع كون المسلمين لما سمعوا أنه تزوجها أطلقوا الأسرى، قاله الزرقاني، وقال ابن سعد كانت إبلهم ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة، وكان المسيبي مائتي بيت، قال القسطلاني ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، كذا ذكره ابن إسحاق انتهى.

قال محمد بن عبد الباقي هوأي الرجل المقتول هشام بن صبابه بمهملة مضمومة فموحدة مخففة فالف فموحدة أخرى أصابه أنصاري يقال له أوس من رهط عبادة بن الصامت يرى أنه من المشركين فقتله خطأ وقدم أخوه مقيس بن صبابه من مكة مسلما في الظاهر فقال يا رسول الله جئتك مسلما وأطلب دية أخي قتل خطأ فأمر له بدية أخيه فأقام غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا فأهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمه فقتل يوم الفتح انتهى.

ومقيس كمنبر بتحتية بعد القاف وهو وأخوه من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث ثم قال في المواهب والذي في البخاري عن ابن عمر يدل على انه أغار عليهم على غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه ان النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون بغين معجمة فألف فراء مشددة أي غافلون وانعامهم تستقي على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان يكونوا لما دهمهم المسلمون وهم على الماء تصافوا ووقع القتال بين الطائفتين وثبتوا قليلا ثم وقعت الغلبة عليهم للمسلمين بحملهم حملة رجل واحد انتهى باختصار قليل. وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة للناس ومع عمر أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بفتح الجيم وسكون الهاء ابن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسان بن وبرة الجهني حليف بني عمرو بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب ابن أبي فقال أقد فعلوها قد نافرونا في بلادنا والله ما أعدنا وهؤلاء إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضره من قومه وفيهم زيد بن أرقم ذو الأذن الواعية أي الضابطة لما سمعته وهو غلام حدث فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى دار غيركم فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره الخبر وذلك عند فراغه من عدوه وعنده عمرو بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: فكيف يا عمرو إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟! لا . ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس ومشى ابن أبي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بلغه ما سمعه منه فحلف بالله ما قلت ما قال، وكان شريفا عظيما في قومه، فقال من حضر من الأنصار يا رسول الله عليك السلام، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه حذبا على ابن أبي فلما استقل صلى الله تعالى عليه وسلم لقي أسيد بن حضير فحياه تحية النبوة ثم قال يا رسول الله رحلت في ساعة منكرا ما كنت

ترحل فى مثلها؟! فقال له رسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال وأي صاحب يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبي. قال وما قال؟ قال زعم أنه إن رجع الي المدينة أخرج الأعز منها الأذل. قال فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال يا رسول الله عليك السلام أرفق به فوالله لقد جاء بك الله وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أن قد استلبته ملكا ثم متن بفتح الميم والمثناة الفوقية وبالنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالناس أي سار بهم يومهم ذلك حتى أمسا وليلتهم حتى أصبح وساروا يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نواما وإنما فعل ذلك ليفشل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس فهبت عليهم ريح شديدة أذتهم وتخوفوها فقال صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بالتابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبي ومن معه فأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بأذن زيد بن الأرقم فقال هذا الذي أوفى الله باذنه، وفي رواية إن الله صدقك يا زيد. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فقال يا رسول الله عليك السلام إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك رأسه إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فأقتله مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بل ترفق به، وتحسن صحبتته ما بقي معنا، وكان بعد ذلك إذا حدث الحدث عاتبه قومه وعنفوه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم بركة من أمري. وفي الإكتفاء أن مقيسا لما رجع الى مكة قال فى قتل قاتل أخيه والعيان

بالله تعالى:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندا
وكانت هموم النفس من أجل قتله
حللت به وتري وأدركت ثأرتي
ثأرت به جهرا وحملت عقله
وقال أيضا:

جللته ضربة باتت لها وشل
فقلت والموت تغشاه أسرته
وتضرج تلطخ والأخادع عروق القفا ووطاء أي لين، وفارح اسم حصن لهم
وجللته علوته ووشل أي متحلب وناقع الجوف دمه. وأصاب عليه السلام
من بني المصطلق سبيا كثيرا فقسمه في أصحابه وكان فيمن أصيب
يومئذ أمنا جويرية ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن
عم له فكاتبته على نفسها. قالت عائشة وكانت تعني جويرية امرأة
حلوة لها ملاحاة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم تستعينه في كتابتها فوالله ما هو إلا أن رأيته على
باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه
فقلت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه
وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، فوقع في سهم ثابت بن
قيس أو ابن عم له فكاتبته فجئت أستعينك على كتابتي. قال فهل لك
في خير من ذلك؟ قالت وما هو يا رسول الله؟ قال اقضي عنك كتابتك
وأتزوجك؟ قالت نعم يا رسول الله، قال قد فعلت. وخرج الخبر إلى
الناس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد تزوج جويرية فقال الناس
هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم
انتهى. وروى الواقدي أنها قالت رأيت قبل قدوم النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بثلاث كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرتي
فكرهت أن أخبرها أحدا من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا اهـ ثم بعث صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بني المصطلق الوليد بن عقبة مصدقا فلما سمعوا به ركبوا إليه فهابهم وأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره أنهم هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم صلى الله تعالى عليه وسلم بغزوهم فقدم وفدهم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونودي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم أنا خرجنا لنقتله والله ما جئنا لذلك. فأنزل الله فيه وفيهم {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا} - الآية، ولم يسلم الوليد إلا في الفتح سنة ثمان. وكونها نزلت في أمر الوليد قال ابن عبد البر لا أعلم فيه خلافا بين أهل العلم بتأويل القرآن. وفي رجوعه عليه السلام من هذه الغزوة قال أهل الافك في الصديقية الطاهرة ابنة الصديق ما أنزل الله كتابه ببراءتها رضي الله تعالى عنها منه، ففي الصحيحين عنها: خرجت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه حتى إذا فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوته تلك ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقامت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جازوت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلي رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملو هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركبه عليه وهم يحسبون أنني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا، فلم يغشهن اللحم إنما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء

الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأني وكان رأني قبل الحجاب فاستيقظت لاسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقامت إليها وركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي بن سلول - الحديث - والجزع بالفتح ويكسر الخرز اليمني وظفار كقطاع مدينة باليمن وقيل جبل سميت به المدينة وهي في أقصى اليمن إلى جهة الهند فقال ابن عبد البر انكر قوم أن يكون حسان خاض في الافك، فقال يمدح عائشة رضي الله تعالى عنها ويعتذر:

حصان رزان ما تزن بريبة	وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لسوي بن غالب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها	وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم	فلا رفعت سوطي إلي أناملني
فكيف وودي ما حييت ونصرتي	بآل رسول الله زين المحافل
له رتبة عال على الناس كلهم	تقاصر عنها رتبة المتساول
فإن الذي قد قيل ليس بلائق	ولكنه قول امرئ بي ناحل

وحصان كسحاب عفيفة ورزان كسحاب أيضا صاحبة وقار وعقل ثابت وما تزن أي ما تتهم وغرثى أي جائعة لا تغتاب أحدا وقوله عقيلة حي قال في القاموس العقيلة كسفينة الكريمة المخدرة، ومن القوم سيدهم، والخيم بكسر الخاء المعجمة الطبيعية والنصرة بالضم حسن المعونة واللائق اللاصق والماحل النمام وقيل إن آية التيمم نزلت في هذه الغزوة وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا في البيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء

وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا له ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال قد حبست رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والناس وليسوا معهم ماء، فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر فقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أصبح علي غير ماء فأنزل الله تعالى آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركاتكم علينا يا آل أبي بكر، قالت فبعثنا البعير فأصبنا العقد تحته، قال في الفتح قولها في بعض أسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد يقال كان ذلك في غزوة بني المصطلق جزم بذلك في الاستذكار وسبقه إلى ذلك الجزم بن حبان وابن سعد فإن كان ما جزموا به ثابتا حمل على أنه سقط منها في هذه السفارة مرتين، وقيل ان قولها في بعض أسفاره هو غزوة ذات الرقاع، وقيل غزوة الفتح، قال الزرقاني وحاصله يعني كلام الفتح، هل السفر المبهمة في قول عائشة في بعض أسفاره المريسيع أم ذات الرقاع أو الفتح أقوال وهل سقط العقد مرتين في غزوة واحدة وهي المريسيع أو مرتين في غزوتين، وقولها بالبيداء الخ.. الشك من عائشة، قاله القسطلاني، والبيداء بفتح الموحدة وبالمد قال ابن التين هو ذو الحليفة وذات الجيش بفتح الجيم وسكون التحتية وشين معجمة وهي وراء ذي الحليفة انتهى.

وفي القاموس البيداء أرض ملساء بين الحرمين وفيه، وذات الجيش واد قرب المدينة وفيه انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ثم بعد المريسيع على ما ذهب إليه ابن إسحاق غزوة الحديبية وترجم لها البخاري غزوة الحديبية، ولأبي ذر عن الكشميهني عمرة الحديبية فترجم في المواهب أمر الحديبية، قال الزرقاني في شرحه ولم يقل غزوة أو عمرة لتكون

الترجمة محتملة، والحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها، وقيل شجرة، وقال الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم وبقاياها في الحل وهي على تسعة أميال من مكة، وقال الواقدي من المسجد، قاله في المواهب. وسببها أنه عليه السلام رأى في منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقي رؤوسهم ومقصرين، كما ذكره الواقدي، وأما ما رواه البيهقي أنه عليه السلام رأى وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقي رؤوسهم ومقصرين. فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزل: {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق} (الآية)، فهي رؤيا رآها بالحديبية تبشيرا من الله ثانيا ولا يصلح جعلها سببا في خروجه من المدينة خرج عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة لا يريد قتالا واستنفر العرب ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه لئلا يتعرض له قريش بحرب، وساق الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس وأخرج معه أم سلمة رضي الله عنها في ألف وأربع مائة، كما في الصحيحين عن البراء، ويقال ألف وخمسمائة كما فيهما أيضا عن جابر ويجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال أربعمائة ألغى الكسر ومن قال خمسمائة اعتبره، ويؤيد هذا ما في البخاري عن البراء أيضا أنهم كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر وأما ما في الصحيحين عن ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس والزيادة من الثقة مقبولة وأما قول ابن اسحاق انهم سبعمائة فلم يوافقوه أحد عليه وجزم ابن عقبة بأنهم ألف وستمائة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، قاله في المواهب ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب، بضممتين جمع قراب، ومعهم مائتا فرس وبعث عليه السلام عينا له من خزاعة يقال له بسر بضم الموحدة وسكون المهملة بن سفيان وقيل بكسر الموحدة وإعجام الشين. وسار صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان بغدير

الأشطاط قريبا من عسفان والاشطاط بشين معجمة وطاءين مهملتين بينهما ألف جمع شط وهو جانب الوادي، أتاه عينه فقال إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والأحابيش بحاء مهملة وموحدة آخره معجمة جمع أحبوش بضم الهمزة والباء وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش على يد قصي بن كلاب، قيل عند الحبشي جبل بأسفل مكة، وقيل سمووا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم نقله الزرقاني. وفي رواية أن بسرا قال له هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، والعوذ بضم العين المهملة وسكون الواو فذال معجمة جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن، المطافيل بتفح الميم والطاء المهملة فألف ففاء مكسورة فتحتية ساكنة فلام التي معها أطفالها يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل، ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، أي أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون ذلك أدعى لعدم الفرار. قال السهيلي سميت عودا وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة والحنو قاله فى المواهب وشرحها. وروى الخرائطي أن بسرا بن سفيان قدم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية فقال يا بسر هل عندك علم ان أهل مكة علموا بمسيري؟ فقال إني لأطوف بالبيت فى ليلة كذا وقريش فى أنديتها إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس بصوت أسمع أهل مكة: هياوا لصاحبكم مثلي صحابته سيروا إليه وكونوا معشرا كرما بعد الطواف وبعد السعي فى مهل وإن يحوزهم من مكة الحرما شأهت وجوههم من معشر ثكل لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما فارتجت مكة وتعاقدوا أن لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله

إن شاء الله. فبينما هم كذلك سمعوا من أعلى الجبل صوتا:
شاهت وجوه رجال حالفوا صنما وخاب سعيهم ما أقصر الهمما
إني قتلت عدو الله سلفعة شيطان أو ثانكم سحقا لمن ظلما
وقد أتاكم رسول الله فى نفر وكلهم محرم لا يسفكون دما
قال الزرقاني فإن ثبت هذا فكأنه أخبره، فبعثه عينا هل اجتمعوا
فذهب وعاد مخبرا له باجتماعهم اهـ. ولما أتاه عليه السلام خبرهم
استشار أصحابه فقال أبو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا
تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، وقال
امضوا على اسم الله. وفي البخاري حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان خالدا بن الوليد بالغميم فى خيل
لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم
بقترة الجيش وهي بفتحتين غبار الجيش الأسود كذا قيد به الحافظ
والمؤلف يعنى القسطلاني قاله الزرقاني، فانطلق خالد يركض نذيرا
لقريش وسار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى إذا كان بثنية
المرار بكسر الميم وتخفيف الراء وهي الطريق التي تشرف على
الحديبية وهي التي يهبط منها على قريش بركت به عليه السلام ناقته
القصواء بفتح القاف وسكون المهملة وفتح الواو ممدود مهموز وقال
الناس حل، حل، بفتح الحاء وسكون اللام فيهما وقال الخطابي إن قلت
واحدة فبالسكون، وإن عددها نونت الأولى وسكنت الثانية، وحكى
غيره السكون فيهما، والتنوين كتنظيره فى بَخْ بَخْ، وهي كلمة تقال
للناقة إذا تركت السير. يقال حللت فلانا إذا أزعجته عن موضعه لكن
الرواية بالسكون قاله القسطلاني فألحت بفتح الهمزة واللام وشد الحاء
المهملة أي تمادت على عدم القيام فلم تبرح عن مكانها، فقالوا خلأت بخاء
معجمة ولام وهمزة مفتوحات أي حرننت وبركت من غير علة، القصواء
مرتين، قيل كان طرف أذنها مقطوعا والقصو قطع طرف الأذن، وقيل
لأنها لا تسبق، فقيل لها ذلك لأنها بلغت أقصى السير فقال النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق أي بعبادة ابن قتيبة، والخلاء لا يكون إلا للنوق ابن فارس لا يقال للجمل خلأ ولكن ألح ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة بضم المعجمة وشد الطاء أي خصلة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت وولى راجعا حتى نزل بأقصى الحديبية. وفي رواية ابن إسحاق: ثم قال للناس أنزلوا. قالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه انتهى.

فنزل على شمد قليل الماء بفتح المثلثة والميم فيتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم مضمومة يعني استراحوا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل، ولينفذن الله أمره. فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا وقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؟ فقال سفهاءهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول. قال سمعته يقول: كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقام عروة بن

مسعود بن معتب بضم الميم وفتح المهملة وشد الفوقية المكسورة الثقفي فقال أي قوم أستم بالوالد؟ قالوا بلى! قال أو لست بالولد؟ قالوا بلى! قال ابن اسحاق وذلك لأن أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف قال فهل تتهموني؟ قالوا لا! قال أستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ بضم المهملة وخفة الكاف أي دعوتهم إلي نصركم؟ فلما بلحوا علي بموحدة وشد لام مفتوحتين فمهملة مضمومة أي امتنعوا من الإجابة جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا بلى! قال فإن هذا يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرض عليكم خطة ودعوني ءاتيه، قالوا آتته، فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد رأيته أن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لأرى وجوها اشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا ان يفروا عنك ويدعوك. فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه، زاد ابن اسحاق وابو بكر قاعد خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه وهذا مبالغة من أبي بكر في سب عروة فأقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمه، وعادة العرب الشتم بذلك بلفظ الأم، فأبدله الصديق باللات والبظر بفتح الموحدة وظاء معجمة ساكنة فراء قطعة تبقى في الفرج بعد ختان المرأة وقيل هو فرج المرأة، وفي المصباح البظر لحمه بين شفري المرأة، واللات صنم كانت ثقيف وقريش يعبدونه وفيه النطق بمستبشع الألفاظ زجرا لمن بدى منه ما يستحق به ذلك فقال عروة من هذا؟ قالوا أبوبكر. فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وذلك انه تحمل بدية فأعانه أبو بكر فيها بعشر قلائص وغيره يعينه باثنتين وثلاث قاله الواقدي، وجعل عروة يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته الشريفة، والمغيرة بن شعبة بن مسعود قائم على رأس النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة أي أوماً بيده إلى لحيته صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال آخر يدك عن لحيته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. زاد عروة بن الزبير فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه، وكانت عادة العرب كما فى الفتح وغيره أن يتناول الرجل لحيته من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة، يريدون التواصل، فقال عروة من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبه؛ قال أي غدر ألسنت أسعى فى غدرك، بفتح الغين المعجمة أي جنايتك، ولا بن اسحاق: وهل غسلت سواك إلا بالامس؟ يريد أن المغيرة كان صحب فى الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك لما خرجوا للمقوقس بهدايا فأعطاهم وقصر بالمغيرة لأنه ليس من بني مالك بل من الأحلاف فغار منهم ولم يواسوه فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر فناموا فقتلهم المغيرة وأخذ أموالهم ثم جاء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم فقال عليه السلام أما الإسلام بالنصب على المفعولية فأقبل وأما المال فلست منه فى شيء أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لأنه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الأمن لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة، قاله الزرقاني؛ فبلغ ذلك ثقيفا فنتهايج الحيان للقتال بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين وأصلح ذلك، فقام عروة وقد رأى ما يصنع به عليه السلام أصحابه لا يتنخم نخامة بضم النون إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه بفتح الواو أي ما يجتمع من القطرات وما يسيل من الماء الذي باشر أعضاءه الشريفة، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحدون بضم التحتية وكسر المهملة أي يديمون النظر إليه تعظيما له ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش إني قد جئت كسرى بكسر الكاف وفتحها فى ملكه، لقب لكل من ملك الفرس، وقيصر فى ملكه، لقب لكل من ملك الروم، والنجاشي بفتح النون وتكسر وخفة الجيم فألف فشين

معجزة فتحتية مشددة أو مخففة، لقب لمن ملك الحبشة، وإني والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد وأصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فرووا رأيكم. وفي البخاري وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة هو الحليس مصغر ابن علقمة وكان سيد الأحابيش يومئذ قال البرهان الظاهر، هلاكه على كفره، دعوني آتية، فقالوا إئتته، فلما أشرف على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه، قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له أي أثيروها له، أي دفعة، فبعثوها له، فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. وروى الحاكم أن الحليس لما رأى البدن صاح وقال هلكت قريش ورب الكعبة إن القوم إنما أتوا عمارا. ولابن إسحاق أن الحليس لما قال لهم ذلك، قالوا إنما أنت اعرابي لا علم لك. فغضب الحليس وقال والله ما على هذا حالفناكم أیصد عن البيت من جاء معظما له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين من جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له اكفف يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، فقام مركز بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي ابن حفص ابن الأخيف بمعجزة فتحتية ففاء من بني عامر بن لؤي، قال فى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ابن حبان بلفظ يقال له صحبة، فقال دعوني آتية؛ فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا مركز وهو رجل فاجر بالفاء والجيم، ولابن اسحاق غادر وذكر الواقدي أن حفص بن الأخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر ابن كنانة بدم لهم كان فى قريش، فتكلمت قريش فى ذلك ثم اصطلحوا فعدى مركز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بنو بكر فقتله غرة فكأنه عليه السلام أشار إلى ذلك فجعل مركز يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له صلى الله تعالى عليه

وسلم، نحوا مما قال لبديل وأصحابه اهـ. ولنذكر شيئاً من شرح هذا الحديث قوله ثم يد يعني حفرة فيها ماء قليل قاله القسطلاني وغيره، ويتبرضه بتحتية ففوقية فموحدة فراء مشددة فضاد معجمة أي يأخذونه قليلاً قليلاً. وقال صاحب العين هو جمع الماء بكفين، وقوله فلم يلبثه الناس بضم أوله وسكون اللام من الألباث أو بضم أوله وكسر الموحدة المثقلة أي لم يتركوه يلبث أي يقيم والأعداد بفتح الهمزة جمع عد بالكسر والتشديد وهو الماء الذي لا انقطاع له والعوذ المطافيل مر تفسيره ونهكتهم بفتح النون والهاء وكسرها أي بلغت فيهم حتى أضعفت قوتهم، وأضعفت أموالهم، وقوله فإن شاؤوا ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة أترك الحرب فيها، والكنانة بكسر الكاف الجعبة التي فيها النبل ويجيش بفتح أوله وكسر الجيم آخره معجمة أي يفور والري قال الحافظ الراء ويجوز فتحها وقوله صدروا عنه أي رجعوا بعد ورودهم، زاد ابن سعد حتى اغترفوا بأنيتهم جلوساً على شفير البئر. وفي البخاري عن البراء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة، فأروا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا ويمكن الجمع بأن الأمرين وقعا معاً. وبديل بالموحدة مصغر وورقاء بفتح الواو وسكون الراء، وكان بديل سيد قومه، وأسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وقيل أسلم قبل الفتح، والعيبة بفتح المهملة وسكون التحتية فموحدة ما يوضع فيه الثياب لحفظها أي أنهم موضع نصح بضم النون وحكي فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم وأشوابا بتقديم المعجمة على الواو للأكثر، ولأبي ذر عن الكشميهني أو شاباً بتقديم الواو على المعجمة ويروى أو باشاً بتقديم الواو على الموحدة، وخليقا بالخاء المعجمة وبالقاف أي حقيقاً وزناً ومعنى، قاله الزرقاني. وفي الاكتفاء ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم خراشا بن أمية الخزاعي فحمله على بعير له وبعثه إلى قريش ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به الجمل، وأرادوا قتله، فمنعته

الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وبعثت قريش أربعين رجلاً منهم أو خمسين وأمرهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا أخذاً وأوتي بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخلى سبيلهم، ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال يا رسول الله أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحداً يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظما لحرمة، فخرج عثمان فلقية أبان بن سعيد، بن العاصي فحمله بين يديه ثم أجاره انتهى.

وفي الزرقاني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى قريش كتاباً مع خراش بن أمية على جملة عليه السلام فعقره عكرمة بن أبي جهل، قال وليس المراد به كتاب الصلح كما يوهمه سياق المواهب بل كتاب أرسله لأشراف قريش كما أخرجه البيهقي والحاكم يعلمهم أنه إنما قدم معتمراً، قال الزرقاني بعد كلام وكتب كتاباً بعثه مع عثمان بن عفان وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأن الله سيظهر دينه فتوجه عثمان فوجد قريشاً ببلدح بفتح الموحدة والdal المهمة بينهما لام ساكنة ثم جاء مهمة موضع خارج مكة قد اتفقوا على منعهم من مكة، فأجاره أبان بن سعيد وحمله على فرسه وركب هو وراءه، وقال له اقبل وادبر ولا تخف أحداً، بنو سعيد أعزة الحرم، فأنطلق حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً، فما أجابوا، فصمموا أنه لا يدخلها هذا العام، فقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف فطف، فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد قال المسلمون هنيئاً لعثمان، خلص إلى البيت فطاف به

دوننا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن ظني به أن لا يطوف حتى
نطوف معا، فبشر عثمان المستضعفين انتهى المراد منه.

وفي المواهب عن البخاري انه عليه السلام بينما هو يكلم مكرز بن
حفص إذ جاء سهيل بن عمرو وإنه لما جاء قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قد سهل لكم بفتح السين وضم الهاء كما اقتصر عليه
القسطلاني، زاد الدمامني وبضم السين وكسر الهاء مشددة من أمركم
ومن زائدة أو تبعية، وهذا من التفاؤل وكان يعجبه الفال الحسن،
ولما رأى صلى الله تعالى عليه وسلم سهيلا مقبلا قال عليه السلام قد
أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا. فلما انتهى إلى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم برك على ركبتيه وتربع المصطفى صلى الله تعالى
عليه وسلم وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في
الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى القول بينهما وأطال سهيل الكلام،
وكان خطيب قريش، فقال له عباد أخفض صوتك عند رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ووقع الصلح بينهما على وضع الحرب بينهم عشر
سنين، هذا هو المعتمد. ولابن عقبة أنه سنتان، وجمع بينهما الحافظ بأن
العشر هي المدة التي وقع الصلح عليها والسنتين هي التي انتهى أمر
الصلح فيهما حين نقضته قريش، فقال سهيل هات اكتب بيننا وبينكم
كتابا، فدعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الكاتب، وهو علي بن أبي
طالب، وفي رواية أنه محمد بن مسلمة وجمع بينهما بأن أصل عقد
الصلح بخط علي كما في البخاري ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل،
فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن
الرحيم، فقال سيهل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب
باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون والله لا تكتبها إلا بسم الله
الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب باسمك
اللهم، فكتب ثم قال اكتب هذا ما قاضى وفي رواية ما صالح عليه محمد
رسول الله أهل مكة، فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما

صددناك عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله إنني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله، ووقع الصلح على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه إليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة أي صدوراً منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وإنه لا إسلاسل بكسر الهمزة وهو السرقة والخلسة ولا إغلال أي لا خيانة مصدر أغل أي خان، أما ما في الغنية فغل بغير ألف وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش دخل فيه، فقالت خزاعة نحن في عقد محمد، وقالت بنو بكر نحن في عقد قريش وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك، فأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها. والحكمة في موافقته عليه السلام لسهيل على أن من أتى من قريش يرد إليهم وإن كان مسلماً كما قال العلماء هي ما ظهر فيه من المصلحة الباهرة والفوائد المتكاثرة التي علمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخفيت على غيره التي كان عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس في دين الله أفواجا وذلك أنه قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا يخلون بمن يعلمهم بأموره عليه السلام مفصلة، فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاء وهم بالمدينة وذهب المسلمون إلى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم من الكفار وسمعوا منهم معجزاته عليه السلام الباهرة وأعلام نبوؤته المتظاهرة فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى أسلم منهم خلق فيما بين الصلح والفتح، منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنهما وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام فأسلموا كلهم يوم الفتح وغير قريش من العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلم قريش أسلم العرب، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما كان فتح أعظم من صلح الحديبية لكن

قصر رأيهم عن ما كان بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ربه، والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد، قال الزهري فقد دخل فى تينك السننتين فى الإسلام مثل من كان دخل فيه قبل ذلك أو أكثر نقله الزرقاني، قال ابن إسحاق فإن الصحيفة لتكتب إذ دخل أبو جندل وزن جعفر بن سهيل بن عمرو وكان اسمه العاصي فتركه لما أسلم وكان منع الهجرة وعذب بسبب الإسلام وأخوه عبد الله بن سهيل حضر بدرا مع المشركين ففر منهم إلى المسلمين ثم كان مع المسلمين فى الحديبية وكان أبو جندل أوثقه سهيل فخرج وتنكب الطريق وركب الجبال يرسف بكسر السين ويقال بكسرهما كما فى المقدمة فى قيوده والرواية بالضم حتى رمى بنفسه بين المسلمين ففرحوا به فقام سهيل إلى أبي جندل فضرب وجهه وجعل يتلببه أي يجمع عليه ثوبه الذي هو لابسه ويقبض عليه نحره ثم قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال صدقت، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوني عن ديني فزاد الناس ذلك إلى ما بها، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يا أبا جندل أصبر واحتسب فإننا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي، وتلطفت بأبيك فأبى، وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فوثب عمر يمشي إلى جنبه فيقول اصبر فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم كدم الكلب ويدني قائم السيف منه، يقول عمرو رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية ولما تم كتاب الصلح وهم ينتظرون امضاء رمي رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر فكانت معاركة بالنبل والحجارة، فارتهن كل فريق من عندهم، وأمسك عليه السلام سهيل بن عمرو كما فى مغازي أبي الأسود وابن عائد وابن عقبة وامسك المشركون عثمان فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن عثمان قد قتل وقال لا نبرح حتى نناهز القوم، فدعا الناس إلىبيعة الرضوان

تحت الشجرة وهي سمرة أو أم غيلان، كان عليه السلام نازلا تحتها يستظل بها، فبايعوه على الموت كما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع وهو أول من بايع على ما فى صحيح مسلم. وروى مسلم عن معقل بن يسار أنهم بايعوه على أن لا يفروا وجمع الترمذي بأن بعضا بايع على الموت، وبعضا على أن لا يفر. وقال الحافظ لا منافاة فالمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا. وروى الطبراني أن أول من بايع أبو سنان الأسدي واسمه وهب أو عامر أو عبد الله بن محصن أخو عكاشة وكذا رواه ابن مندة والبيهقي وصحح أبو عمر قائلًا أنه الأكثر والأشهر وقيل ابنه سنان ابن أبي سنان ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شماله فى يمينه وقال هذه أي شماله عن عثمان وهذا قد يشعر بأنه لم يقتل فيكون معجزة ويؤيده ما جاء أنه لما بايع الناس قال اللهم أن عثمان فى حاجتك وحاجة رسolk فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خير من أيديهم لأنفسهم، قاله الزرقاني. ولما سمع المشركون بهذه البيعة ألقى الله فى قلوبهم الرعب فأذعنوا إلى الصلح ولما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره بالحديبية أي نحر أكثره بها، فلا ينافي ما رواه ابن سعد أنه بعث عشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وكانت البدن سبعين وفيها جمل لأبي جهل فى رأسه برة من فضة ليغيب به المشركين وكان غنمه يوم بدر ثم حلق وروي أن الذي حلقه يومئذ خراش بمعجمتين بن أمية الخزاعي فلما رآه الناس تواثبوا ينحرون ويحلقون وفيهم من قصر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يرحم الله المحلقين، قالوا يا رسول الله والمقصرين؟ قال يرحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال يرحم الله المحلقين. قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال والمقصرين. قالوا يا رسول الله لما ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال لم يشكوا. ولما حلق هو وأصحابه بالحديبية بعث الله ريحا عاصفة فحملت شعورهم فألقته إلى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم، وفي مسلم عن جابر مرفوعا لا يدخل

النار من شهد بدرا والحديبية. وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما، وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوسهم بعض شئ من عدم الفتح، الذي كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بضجنان كما عند ابن سعد يسليهم بها، وهو بفتح الضاد المعجمة، وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل علي يريد من مكة ولما قدم عليه السلام المدينة، أتاه أبو بصير بفتح الموحدة وكسر الصاد المهملة عتبة بضم العين وسكون الفوقية وقيل عبيد بموحدة مصغرا بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة بن جارية بجيم وتحتية ابن عبد الله الثقفي حليف لبني زهرة؛ فقلوه في الصحيح رجل من قريش أي بالحلف وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثا به مع مولى لهما ورجل من بني عامر بن لؤي سماه ابن سعد خنيس بضم الخاء المعجمة مصغر آخره مهملة ابن جابر والمولى يقال له كوثر، فقدموا بعد أبي بصير بثلاثة أيام بالكتاب، قال عليه السلام يا أبا بصير إنا أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما إلى قومك، فقال أتردوني إلى المشركين يفتنونني عن ديني ويعذبونني، قال يا أبا بصير انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، وفي رواية فقال له عمر أنت رجل وهو رجل ومعك السيف اهـ.

فخرجوا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين ولابن سعد لخنيس بن جابر انتهى والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد، وفي رواية لأضربن به في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به أبو بصير حتى برد وفر الآخر حتى دخل المدينة فدخل المسجد يعدو فقال صلى الله تعالى عليه وسلم

لقد رأي هذا ذعرا، فلما انتهى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قتل والله صاحبي وإنني لمقتول أي إن لم ترده عني. ولا بن عائذ وتبعه أبو بصير حتى دفع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عاض على أسفل ثوبه وقد بدا طرف ذكره والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير يتبعه فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد ينصره، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، ولا بن عقبة وجاء أبو بصير بسلبه فقال خمسه يا رسول الله قال إني إذا خمسته لم أوف بالعهد الذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت. فخرج معه خمسة قدموا معه من مكة مسلمين فخرج حتى أتى سيف البحر بكسر المهملة أي ساحله فنزل العيص بكسر المهملة وسكون التحتية فصاد مهمة وكانت طريق مكة إذا قصدوا الشام وتفلت منهم أبو جندل في سبعين راكبا مسلمين فلحقوا بأبي بصير قريبا من ذي المروة على طريق قريش فقطعوا مادتهم من طريق الشام وأبو بصير يصلي بأصحابه فلما قدم أبو جندل كان يؤمهم أي لأنه من قريش، ولا بن عقبة واجتمع لأبي جندل ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاث مائة مقاتل وهم مسلمون اهـ. فلا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه قالوا ومن خرج منا إليك فهو لك حلال، قال فأرسل إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ولا بن عقبة فكتب صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في يده يقرؤه كما في الكلاعي فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل ومن معه المدينة فلم يزل بها حتى

خرج إلى الشام مجاهدا فاستشهد في خلافة عمر.

وقال أبو جندل فيما صنع في قریش:

أنا بذی المروة بالساحل
بالبيض فیها والقنا الذابل
من بعد اسلامهم الواصل
والحق لا يغلب بالبساطل
أو یقتتل المرء ولم یأتل
قوله مسعر حرب كمنبر هو موقد نار الحرب، وفي رواية محش حرب،
وفي القاموس وهو محش حرب بالكسر موقد لها.

فائدة:

اختلف العلماء هل يجوز الصلح مع الكفار على أن یرد إلیهم من جاء مسلما من عندهم؟ فقل نعم علي ما دلت علیه قصة أبي جندل وأبي بصیر وقیل لا وإن ما وقع فی القصة منسوخ بحديث أبي داود والترمذي مرفوعا أنا بريء من كل مسلم یقیم بین أظهر المشركین لا تتراءى نارهما. انتهى من المواهب وشرحها.

وفي هذه السنة سنة ست كسفت الشمس بالحديبية وظاهر فی تلك السنة أوس بن الصامت الخزرجي البصري أخو عبادة من زوجته خولة ويقال لها خويلة بالتصغير بنت ثعلبة بن أصرم الخزرجية أيضا وفيها أيضا استسقى فی رمضان قبل الحديبية فمطر الناس وجزم مغلطي أن تحريم الخمر كان فی تلك السنة والذي لابن إسحاق أنها حرمت فی وقعة بني النضير سنة أربع، والله أعلم. ثم بعد الحديبية غزوة خیبر سمیت باسم رجل من العمالیق نزلها وهو خیبر أخو یثرب ابنا قانية ابن مهلالیل ذكره البكري واقتصر علیه الروض والفتح وغيرهما وقیل خیبر بلسان اليهود الحصن ولذا سمیت خیابر أيضا ذكره الحازمي قاله العلامة الزرقاني وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام. قال ابن إسحاق أقام رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض الحرم ثم خرج فى بقية الحرم إلى خيبر سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر وقيل كانت فى آخر سنة ست وروى عن مالك وبه جزم ابن حزم والراجح ما لابن إسحاق ويمكن الجمع بأن من قال سنة ست أراد ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الأول قاله فى المواهب وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية: بقوله تعالى: {وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم} فالمعجل صلح الحديبية والمغنم فتح خيبر، فخرج إليها صلى الله تعالى عليه وسلم مستنجزا ميعاد ربه ومعه ألف وأربعمائة رجل ومائتا فرس ومعه أمنا أم سلمة التي كانت معه فى الحديبية.

وفى البخاري عن سلمة وهو ابن عمرو بفتح العين وسكون الميم بن الأكوع الأسلمي أبو مسلم وأبو إياس واسمه سنان ونسب لجدته لشهرته أول من بايع تحت الشجرة على ما فى مسلم ومات سنة أربع وسبعين وكان مقداما فى الحرب وكان يقاتل قتال الفارس والراجل، قال خرجنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع عم سلمة ألا تسمعنا من هنيهاتك بهاءين أولاهما مضمومة فنون مفتوحة فتحتية ساكنة وللكشميهني هنياتك بحذف الهاء الثانية وشدة التحتية وكان عامر شاعرا؛ وللكشميهني حذاء فنزل يحدو ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ماتقينا	وألقيين سكيننا علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا	إننا إذا صليح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا	ونحن عن فضلك ما استغنيا

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا السائق؟ فقالوا عامر بن الأكوع، قال يرحمه الله. ولأحمد غفر لك ربك. قال وما استغفر صلى الله

تعالى عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد، قال رجل من القوم وهو
 عمر كما فى مسلم وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا بعامر، الحديث،
 ويأتي فيه أنه بارز مرحبا فرجع ذباب سيفه على ركبته فمات منه.
 قال بعض الصحابة إن عامرا أحبط عمله فأخبر سلمة بذلك رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كذب من قاله وإن له لأجرين وقوله
 اللهم فيه الخزم كما تقدم، وقوله فداء لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة
 فإنه لا يقال للبارئ سبحانه فديتك لأن ذلك إنما يقال فى مكروه يتوقع
 حله بالمفدى فيختار شخص أن يحل ذلك به ويفديه ولا يتصور ذلك إلا
 فى حق من يجوز عليه حلول المكروه، ولعل هذا وقع من غير قصد إلى
 حقيقة معناه، بل المراد المحبة والتعظيم فخاطب بها من لا يجوز فى حقه
 الفداء إظهارا للمحبة والتعظيم كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك
 الدعاء عليه بل التعجب، وكقوله عليه السلام تربت يمينك؛ يخاطب
 عائشة فلم يقصد أصل معناها الذي هو افتقرت حتى لصقت يدك
 بالتراب بل الانكار والزجر، وقوله ماتقينا بشد الفوقية بعدها قاف
 للأكثر أي ما تركنا من الأوامر. وللأصيلي والنسفي ما أبقينا بهمزة
 قطع فموحدة ساكنة أي ما خلفنا من الذنوب، وللقاسبي ما لقينا باللام
 وكسر القاف أي من المناهي، وفي رواية للشيخين ماقتفينا أي اتبعنا
 من الخطايا وقوله عولوا علينا أي اقصدونا بالدعاء العالي أو اعتمدوا
 وقوله فجعل عامر يحدو وهذه عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل فى السير
 وممر أن الرجز لابن رواحة فيحتمل أنه هو وعامر تواردا عليه وقوله
 وجبت أي الشهادة اهـ من المواهب وشرحها.

وعن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى خيبر ليلا أي قرب منها
 فناموا دونها ثم ركبوا إليها فصباحوها كما فى طريق أخرى عن أنس
 صبحنا خيبر فلا تنافي بينهما ونزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين
 غطفان ليلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم فذكر أن غطفان خرجوا وقصدوا
 خيبر ليعينوهم فسمعوا خلفهم حسا فى أموالهم وأهليهم فظنوا أن

المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا وخذلوا أهل خيبر. وفي البخاري فى الأذان وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا غزى قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنه وإلا أغار، وروى ابن اسحاق انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأراضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها. وحكى الواقدي أن أهل خيبر لما سمعوا بقصده عليه السلام لهم كانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل مستعدين صفوفًا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات فلا يرون أحدا حتى إذا كان الليلة التي قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحي، وفي رواية أحمد إلى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم والمساحي بمهملتين جمع مسحاة من آلة الحرث وهو من السحو بمعنى الكشف والإزالة، والمكاتل جمع مكتل بكسر الميم وفتح الفوقية وهي القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره. ولما رأت اليهود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا محمد والله محمد، والخميس ومحمد، خبر هذا محذوفًا، أي وفاعل جاء مقدرا والخميس ضبطه عياض بالرفع عطف وبالنصب مفعول معه وأدبروا هرابًا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وخربت بكسر الراء صارت خرابًا والمساحة الفناء وأصلها الفضاء بين المنازل والخميس الجيش سمي به لأنه خمسة أقسام المقدمة والساقة وهي مؤخره والقلب والميمنة والميسرة ويقال لهما الجناحان وقوله خربت خيبر إلخ.. يحتمل أنه قال ذلك بطريق الوحي، ويحتمل أنه تفاؤل أنها ستخرب لما رأى المساحي لأنها من السحو أي الإزالة، ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سمو الغارة صباحًا وإن وقعت

فى وقت آخر كما فى البيضاوي والصباح مستعار من صباح الجيش المثبت لوقت نزول العذاب، وفي رواية للبخاري أنه قال ذلك ثلاثا وفيه استحباب التكبير عند الحرب وتثليثه قال الزرقاني فى شرح المواهب وهذا الحديث أصل فى جواز التمثيل والاستشهاد بالقرآن والاقتباس نص عليه بن عبد البر وابن رشيق كلاهما فى شرح الموطأ وهما مالكيان والنووي فى شرح مسلم كلهم فى شرح هذا الحديث، وكذا صرح بجوازه القاضي عياض والباقلاني من المالكية وحكى الشيخ داود اتفاق المالكية والشافعية على جوازه غير أنهم كرهوه فى الشعر خاصة، وروى الخطيب البغدادي وغيره بالاسناد عن مالك أنه كان يستعمله، قال السيوطي هذه أكبر حجة على من زعم أن مذهب مالك تحريمه وأما مذهبنا فأجمع أيمته على جوازه والأحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم فمن نسب إلى مذهبنا تحريمه فقد أفشى وأبان أنه أجهل الجاهلين انتهى. وهذا منه قاض بغلظه فيما أورده فى عقود الجمان انتهى كلام الزرقاني بلفظه.

قال مغلطاي وغيره وفرق صلى الله تعالى عليه وسلم الرايات فدفع رايته العقاب إلى الحباب بن المنذر وراية لسعد بن عباد ولواؤه وهو أبيض إلى علي وقد صرح جماعة من اللغويين بترادف الراية واللواء وهو العلم الذي يحمل فى الحرب لكن روى أحمد عن ابن عباس والطبراني عن أبي هريرة قالوا كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض وهو ظاهر فى التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية، قال الحافظ وفي المصباح ولواء الجيش علمه وهو دون الراية وكانت رايته عليه السلام العقاب من برد لعائشة وهي سوداء، وفي البخاري كان عليا رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى خيبر وكان رمدا بكسر الميم والطبراني أرمدا شديد الرمء فقال أنا أتخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت فى صبيحتها قال لأعطين الراية غدا أو ليأخذن

الراية غدا رجل يحب الله ورسوله زاد ابن إسحق ليس يقرأ وفي حديث بريدة لا يرجع حتى يفتح الله له وفي رواية سهل بن سعد لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله تعالى علي يده بغير شك. قال سهل فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ويدوكون بضم الدال المهملة أي باتوا في اختلاط واختلاف والدوكة بالكاف الإختلاط، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وفي مسلم أن عمر قال ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال أين علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال فأرسلوا إليه فأتوا به، ولمسلم عن سلمة فأرسلني إلى علي فجئت به أقوده فبصق صلى الله تعالى عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ بوزن ضرب ويجوز كسر الراء حتى كأن لم يكن به وجع، زاد بريدة فما وجعهما حتى مضى لسبيله أي مات. وروى الطبراني انه قال اللهم اذهب عنه الحر والقر أي البرد، قال علي فما اشتكيتهما حتى يومي هذا قال علي يا رسول أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم، وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد أن يكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما يتفاخر العرب بها.

قال الحافظ وقع في رواية البخاري اختصار وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة قال لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له فلما كان من الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لأدفعن اللواء غدا (الحديث). وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أنني مرحب
إذا الحروب أقبلت تلهبوا
قال وبرز له عامر بن الأكوع، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاك السلاح بطل مغامر
قال فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر
يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه إلى
آخر ما مر فبرز له علي رضي الله عنه، فقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدر
أكيلكم بالسيف كيل السندر

وفي رواية:

أوفيكم بالصاع كيل السندر

فضرب رأس مرحب فقتله. قال الإمام بن أبي جمرة وشاكي السلاح هو
الذي ظهرت حدته وشوكته والمغامر بالغين المعجمة هو المباطش يقال
غامره إذا باطشه وقاتله، ولم يبالى بالموت، قال النووي قوله مغامرا أي
يركب غمرات الموت وشدائده ويلقي نفسه فيها ويخطر بسيفه، هو
بكسر الطاء أي يرفعه مرة ويضعه أخرى، وقوله يسفل له بكسر الفاء
من التسفيل وهو التصويب، وقال النووي بضم الفاء أي يضربه من
أسفله وحيدرة اسم الأسد، وكانت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله
عنها سمتة أسدا باسم أبيها، فلما قدم أبو طالب سماه عليا، والسندرة
مكيال ضخمة ككلام ابن أبي جمرة وهو الذي ذكر الروايتين
المتقدمتين في البيت والسندرة بفتح السين، قال ابن أبي جمرة وروى
البيهقي أن مرحبا خرج وعليه مغفر يمانى وحجر مثل البيضة على
رأسه، قال فاختلفا ضربتين فبادره علي بضربة نفذ الحجر والمغفر
ورأسه ووقع في الأضراس، وما في هذا الحديث من أن عليا هو الذي
قتل مرحبا هو الصحيح عند ابن عبد البر وكذا قال ابن الأثير أنه
الصحيح، الذي عليه أكثر أهل الحديث وأهل السير، وروى موسى بن
عقبة وابن إسحاق أن الذي قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة الأنصاري
وأنه لما خرج يرتجز أجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب مفسرج الغم جرى صلب

حيث تشب الحرب ثم الحرب معي حسام كالعقيق غضب
نطؤكم حتى يذل الصعوب نعطي الجزا ويباهى النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة أنا له
يا رسول الله أنا والله الموتور الثائر قتل أخي بالأمس، قال فقم إليه،
اللهم أعنه عليه. فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة العشر
فجعل كل واحد منهما يلوذ بها وكلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما
دونه حتى برز كل منهما وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم
حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالمدرقة فوق سيفه بها
فعضت به فأمسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله وذكر ابن
إسحاق أن ياسر أخا مرحب خرج بعده يقول هل من مبارز فخرج إليه
الزبير فقتله فكان الزبير يقول إذا قيل له والله ما كان سيفك صارما
يومئذ يقول والله ما كان بصارم ولكن أكرهته، وقيل أن ابن مسلمة لما
بارز مرحبا قطع رجله، قال له مرحب أجهز علي، فقال لا، ذق الموت كما
ذاقه محمود بن مسلمة، فأجهز عليه علي والأول هو الصحيح وكان
سيف مرحب مكتوب عليه هذا سيف مرحب من يذقه يعطب، وقوله
قتل أخي بالأمس قيل أن مرحبا هو الذي قتل محمود بن مسلمة ألقى
عليه رجا من فوق حصن ناعم.

وفي حديث أبي رافع زوج سلمى قابلة إبراهيم ابن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وقابلة بني فاطمة كلهم، قال ضرب يهودي عليا
فطرح ترسه من يديه فتناول باب حصن وترس به فلما فتح الحصن
وفرغ من القتال ألقاه، قال أبو رافع فقام إليه سبعة أنا ثامنهم فجهدنا
أن نقلبه فما قلبناه. وصدر القسطلاني في المواهب بأنه لم تحركه
سبعون رجلا إلا بعد جهد، وروى البخاري عن أبي هريرة قال شهدنا
خيبر، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي

الإسلام هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت فيه الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهمًا فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين فقال يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدق حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

قوله شهدنا خيبر مجاز عن جنسه من المسلمين فالتأبث أنه إنما جاء بعد فتحها وشهد قسم غنائمها بها اتفاقًا والرجل المذكور قال الحافظ وقع لجماعة ممن تكلم على البخاري أنه قزمان بضم القاف وسكون الزاي المعجمة الظفري بفتح المعجمة والفاء نسبة إلي بني ظفر بطن من الأنصار المكنى أبا الغيداق بمعجمة مفتوحة فتحتية ساكنة آخره قاف ويعكر عليه ما جزم به ابن الجوزي تبعًا للواقدي أن قزمان قتل بأحد وكان تخلف عن المسلمين فعيّره النساء فخرج حتى صار في الصف الأول ثم فعل العجائب فلما انكسر المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول الموت أحسن من الفرار فمر به قتادة بن النعمان فقال هنيئًا لك الشهادة فقال والله إنني ما قاتلت على دين وإنما قاتلت على حسب قومي ثم ألقته الجراحة فقتل نفسه. لكن الواقدي لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف، وعن سلمة بن الأكوع أن عليًا لما أخذ الراية خرج يهرول هرولة قال وأنا نتبع أثره حتى ركز رأيته في رضم من حجارة تحت الحصن فأطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت؟ قال أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي علوتم وما أنزل الله على موسى أو كما قال، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقاتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وعدهم الشامي أربعًا وثلاثين فالله أعلم.

وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون بفوقية قبل السين وفتحها على حصنا

حصنا وهي النظاة بنون فطاء مهملة بوزن حصاة وحصن الصعب بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين وبالموحدة ابن معاذ، وعن معتب بشد الفوقية المكسورة الأسلمي أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم نجد عنده شيئا فقال اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيتهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها غنا وأكثرها طعاما وودكا ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه اهـ.

ومنها حصن ناعم بنون فالف فمهملة فميم وهو أول حصونها افتتح وعنده قتل محمود بن مسلمة ثم بعد ذلك بقليل دفع عليه السلام كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق قاتل محمود إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه وقيل أن مرحبا هو الذي قتل محمود بن مسلمة كما مرّ ومنها حصن قلعة الزبير بن العوام لكونه صار في سهمه، وكان اسمه حصن فنة لكونه على رأس جبل ومنها الشق بفتح المعجمة وكسرهما والفتح أعرف وبالقاف المشددة ويشتمل على حصون منها حصن أبي وهو أول ما بدئ به من حصون الشق فتقاتلوا قتالا شديدا ثم تحامل المسلمون فدخلوه يقدمهم أبو دجانة وهرب من فيه من المقاتلة إلى حصن النزار بالشق فغلغقه وامتنعوا به أشد الامتناع وزحف صلى الله تعالى عليه وسلم في أصحابه إليهم فقاتلهم فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل والحجارة، فأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصار فحصب به حصنهم فزحف بهم ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون فأخذوا أهله باليد، ومنها حصن البراء بفتح الموحدة وكسر البراء المخففة وبالماء ومنها القموص بفتح القاف وضم الميم وسكون الواو فصاد مهملة وقيل بغين فصاد معجمتين هو الذي فتحه علي وهو أعظم حصون الكتيبة بكاف مفتوحة ففوقية وقيل مثلثة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة ويقال بضم الكاف ومنه سبيت صفية، ومنها الوطيح بفتح الواو وكسر

الطاء فتحتية ساكنة فمهملة كما ضبطه ابن الأثير وغيره. قال البكري سمي بالوطيح ابن مازن رجل من ثمود ومنها السلالم بضم السين المهملة وقيل بفتحها وكسر اللام قبل الميم ويقال لها السلالم على ما مر من ضم السين وفتحها وهو حصن بني أبي الحقيق وكان آخر حصونها افتتاحتها وأخذ كنز آل أبي الحقيق بالتصغير وكان أولاً في مسك حمار بفتح الميم وسكون السين أي جلده فلما كثر جعلوه في مسك ثور ثم في مسك جمل قيل وخص جلد الحمار لأن الأرض لا تأكله، وكانوا قد غيبوه في خريبة فدل الله رسوله عليه فأخبره بموضعه كما عند البيهقي عن عروة وله عن ابن عمر أن أهل خيبر شرطوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم، فأتى بكنانة والربيع ابني أبي الحقيق فقال ما فعل مسك حيي الذي جاء به من بني النضير؟ قالاً أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك. وروي أنهما لما كتماه دعى رجلاً من الأنصار فأخبره بموضعه وقال إئتيني به، فأتاه به فضرب عنقهما وسبأ أهليهما بالنكت الذي نكتاه، ولما قتل كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق زوج صفية بنت حيي تزوجها عليه السلام بعد أن استبرأها وجعل عتقها مهرها وقد كانت صارت لدحية الكلبي لما جاءه فقال اعطني يا رسول الله جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية. فجاء رجل فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك؟ قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها صلى الله تعالى عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها كذا في رواية البخاري.

وفي رواية لمسلم أن صفية وقعت في سهم دحية وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها من دحية بسبعة أرؤس والأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه نصيبه الذي اختاره لنفسه لما أذن له في أخذ جارية. وإطلاق الشراء على ذلك مجاز لأنه لم يملكها إذ أذنه في أخذ مطلق جارية لم يرد به مثل هذه، وليس في قوله سبعة أرؤس ما ينافي رواية

البخاري: خذ جارية من السبي غيرها، إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة.

وذكر الشافعي انه اعطاه أخت زوجها، وإنما أخذها صلى الله تعالى عليه وسلم لأنها بنت ملكهم، وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة اختصاصه عليه السلام بها فإن في ذلك رضا الجميع وهي بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين فتحية ابن عامر بن عبد بن كعب بن سبطلاوي بن يعقوب ثم من ذرية هارون أخي موسى عليهما السلام، وأما ضرة بفتح الضاد المعجمة بنت سموا من بني قريظة، وكانت تحت سلام بن مشكم القرظي ثم فارقتها فتزوجها كنانة النضيرى وقتل عنها يوم خيبر وكانت عروسا، والعروس وصف يستوي فيه الذكر والأنثى ما دام في تعريسهما أياما، فاصطفاها عليه السلام لنفسه، فخرج حتى بلغ سد الصهباء بفتح السين المهملة وضمها موضع على يريد من خيبر فحلت له أي ظهرت من الحيز فبنى بها عليه الصلاة والسلام فصنع حيسا بحاء مهملة مفتوحة فتحية ساكنة فسين مهملة أي تمرا مخلوطا بسمن وأقط قال الشاعر:

السمن والتمر جميعا والأقط الحيس إلا أنه لم يختلط

فجعل في نطع وكان وليمة. والنطع بكسر النون وفتح الطاء المهملة وعليها اقتصر ثعلب وكذا في الفرع، ويجوز فتح النون وسكون الطاء وفتحهما وكسر النون وسكون الطاء انتهى من المواهب وشرحها. وفي القاموس الحيس الخلط، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديدا ثم ينذر منه نواه وربما جعل فيه سويق انتهى.

وفيه النطع بالفتح والكسر وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم ولما بنى بها قال المسلمون هل هي إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، فلما حجبها علموا أنها من

أمهات المؤمنين. قال الحافظ ولد صفية مائة نبي ومائة ملك، ثم صيرها الله لنبيه.

قال الزرقاني يعني أن فى أصولها ذلك. والظاهر أنه من جهة الآباء والأمهات كما قيل فى قول ابن الكلبي: كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا.

فائدة:

كانت صفية من الصفي بفتح المهملة وكسر الفاء وشد الياء وهو سهم يختاره عليه السلام من الخمس، وقيل كان اسمها قبل السبي زينب، فلما صارت من الصفي سميت صفية. وفي هذه الغزوة حرم لحوم الحمر الأهلية، وقال كعب بن مالك يوم خيبر:

ونحن وردنا خيبرا وفروضة	بكل فتى عاري الأشاجع مزودي
جواد لدى الغياث لا واهن القوى	جريئ على الأعداء فى كل مشهد
عظيم رماد القدر فى كل شتوة	ضروب بنصل المشرفي المهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة	من الله يرجوها وفوزا لأحمد
يزود ويحمي عن ذمار محمد	ويدفع عنه باللسان وباليـد
وينصره فى كل امر يريبه	يجود بنفس دون نفس محمد

والفروض ثلم فى النهر يستقى منها والله أعلم. والمذود كمنبر الحامي للحقيقة. وفي هذه الغزوة سمت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم الشاة وأهدتها له صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي أبي داود أنها أخت مرحب وبه جزم السهيلي وللبیهقي أنها بنت أخي مرحب، وروى أنها جعلت تسأل أي الشاة أحب إليه عليه السلام فيقولون أحبها الذراع، فعمدت إلى عنز لها فذبحتها وصلتها أي شوتها، ثم عمدت إلى سم بتثليث السين لا يطنئ بضم التحتية وسكون الطاء المهملة ونون بعدها همزة أي لا يلبث أن يقتل من ساعته وهو المعروف بسم ساعة، وقد شاورت يهود فى اختيار سم من جملة سموم عينتها بأن سألت أيها أسرع قتلا، فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة وأكثرت

فى الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء بن معرور بمهمات الخرجي الصحابي بن الصحابي، شهد بدرا وما بعدها حتى مات وتناول صلى الله تعالى عليه وسلم الذراع فانتهمس بسين مهملة أي أخذ بمقدم أسنانه منها وتناول بشر عظما آخر، فلما ازدرد صلى الله تعالى عليه وسلم لقمته أي ابتلع ما انفصل بريقه منها فلا ينافي رواية ابن إسحاق أنه لم يسغها فلفظها، ازدرد بشر بن البراء ما فى فيه وأكل القوم فى الامتاع أنهم ثلاثة وضعوا أيديهم فى الطعام ولم يصيبوا منه شيئا، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم بالحجامة وكأن معناه إن صح أنهم لم يبتلعوا لكنهم وضعوه فى أفواههم، فأثر قليلا فأمرهم بالحجامة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة.

وفيه ان بشر بن البراء مات من أكلته، قيل من ساعته وقيل بعد حول وبه جزم السهيلي. وروى الدمياطي أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها ورواه ابن سعد عن الواقدي بأسانيد متعددة، قال الواقدي وهو أثبت، وقال الزهري أسلمت فتركها.

وروى سليمان بن طرخان فى مغازيه انها قالت لما قال لها ما حملك على ذلك؟ قالت: إن كنت نبيا لم يضررك وإن كنت كاذبا أرحمت الناس منك وقد استبان لي الآن أنك صادق، وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. قال فانصرف عنها حين أسلمت. وجزم فى الإصابة بأنها صحابية والله تعالى أعلم. انتهى من المواهب وشرحها.

ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمي فقال يا رسول الله إن لي مالا بمكة عند صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة ومالا متفرقا فى تجار مكة فأذن لي، فأذن له. قال إنه لا بد لي أن أقول؛ قال قل؛ قال الحجاج فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا يستمعون الأخبار فلما رأوني ولم يكونوا

علموا بإسلامي قالوا الحجاج بن علاط عنده والله خبر أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع صار إلى خيبر وهي ريف الحجاز، قلت عندي ما يسركم من الخبر هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم، فصاحوا بمكة فقالوا هذا محمد إن ما تنتظرون به أن يقدم عليكم فيقتل بين أظهركم، قال قلت أعيئونني على جمع مالي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك فجمعوا لي مالي كأحب جمع فلما سمع العباس الخبر أقبل حتى وقف إلى جنبي فقال يا حجاج ما هذا الذي جئت به؟ قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال نعم؛ قلت فاسأخر عني حتى ألقاك على خلاء، حتى إذا فرغت وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ علي حديثي، فإني أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على ابنة ملكهم ولقد افتتح خيبر وصارت له ولأصحابه، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي. قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وأخذ عصاه حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا هذا والله التجلد لحر المصيبة، قال كلا والله لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرزوا أموالهم. قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما. قال انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر انتهى المراد من غزوة خيبر.

ثم يلي خيبر فتح واد القرى بضم القاف وفتح الراء مقصور وهو موضع بقرب المدينة. قال الزرقاني غاية ما يفيد كلام الجماعة المعتضد بحديث أبي هريرة أنها أي غزوة واد القرى كانت في آخر صفر أو أول ربيع الأول لأن خيبر كانت في المحرم سنة سبع أو في آخر سنة ست ومدة حصارها بضع عشرة ليلة فلما فتحها خرج إلى الصهباء وأقام بها

حين بنى بصفية ثلاثة أيام بلياليهن ومدة الذهاب والإياب ثمانية أيام فغاية المدة نحو شهر فلا يكون واد القرى فى جمادى يعنى بهذا رد ما فى المواهب والله أعلم. وروى مالك ومن طريقه البخاري ومسلم عن أبي هريرة افتتحنا خيبر ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى واد القرى انتهى.

وفى الكلاعي ولما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خيبر انصرف إلى واد القرى فحاصر أهله ليال ثم انصرف راجعا إلى المدينة. قال أبو هريرة لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خيبر إلى واد القرى نزلناها أصلا مع مغرب الشمس ومع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فوالله انه ليضع رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب فقتله فقلنا هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتحرق عليه فى النار كان غلها من فيئ المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاه فقال يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي، فقال يوقد لك مثلهما من النار. انتهى.

قوله سهم غرب قال فى القاموس وأصابه سهم غرب ويحرك وسهم غرب نعتا أي لا يدرى راميه. وفي المواهب أنه عليه السلام أقام بواد القرى أربعة أيام يحاصره، وفي الزرقاني قال الواقدي عبأ صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلى سعد بن عباد وراية إلى الحباب بن المنذر وراية إلى سهل بن حنيف وراية إلى عباد بن بشر ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحصنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم فقتله الزبير ثم آخر فقتله الزبير ثم آخر فقتله علي، ثم آخر فقتله أبو دجانة، ثم آخر فقتله أبو دجانة حتى قتل منهم أحد عشر، كلما قتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام. ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود

فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله تعالى عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصاب على أصحابه بواد القرى وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود وعاملهم عليها، وأقطع جمرة بالجيم ابن هوذة بفتح الهاء والمعجمة العذري رمية سوط من واد القرى وأصاب مدعما سهم غرب ومدعم بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين المهملتين آخره ميم عبد أسود هداه له رفاعه بن زيد أحد بني الضبيب كما فى مسلم، وهو بضم المعجمة بصيغة التصغير ولابن اسحاق الجذامي ثم الضبني بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها نون وقيل بفتح المعجمة وكسر الموحدة. وفي رواية للصحيحين فبينما هو يحيط رحل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الشملة التي غلها من خيبر تشتعل عليه نارا، والشملة كساء يلتف فيه. وقيل إنما تسمى شملة إذا كان لها هذب وتقيد بعض بالغلط إن ثبت أنه الواقع هنا وإلا فاللغة الإطلاق وقوله سهم عائر بالعين المهملة أي لا يدري راميه فهو بمعنى سهم غرب كما فى الرواية الأولى.

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر وقال كان على ثقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يقال له كركرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو فى النار فى عباءة غلها. وكلام عياض يشعر باتحاد قصته مع قصة مدعم، وقصة مدعم كانت بواد القرى ومات بسهم وغل شملة والذي أهداه له صلى الله تعالى عليه وسلم رفاعه بخلاف كركرة فأهداه هوذة بن علي وغل عباءة ولم يمت بسهم فافترقا.

نعم فى مسلم عن عمر، لما كان يوم خيبر قالوا فلان شهيد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا إني رأيته فى النار فى بردة غلها، أو عباءة فهذا يمكن تفسيره بكركرة، قاله الزرقاني.

ولما بلغ فتح واد القرى أهل تيماء صالحوه صلى الله تعالى عليه وسلم

على الجزية وصالحه أهل فذك وخيبر على أن لهم نصفها وله عليه السلام نصفها. وتيماء بفتح الفوقية وإسكان التحتية، والمد بلدة بين الشام والمدينة على نحو سبع مراحل من المدينة، ثم أجلاهم عمرو رضي الله تعالى عنه لما أتاه الثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان.

ثم بعد فتح واد القرى غزوة القضاء، كذا ترجم الكلاعي وترجم فى المواهب بعمرة القضاء. قال الزرقاني كذا ترجم البخاري عند الأكثر وللمستملي وحده غزوة القضاء. انتهى.

وترجم ابن أبي جمرة بعمرة القضاء. قال وبعضهم لم يذكرها فى غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، انتهى. ووجهوا كونها غزوة بأن موسى بن عقبة ذكر فى المغازي أنه عليه السلام خرج مستعدا بالسلاح والمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر، فبلغهم ذلك ففزعوا.

وقال ابن الأثير أدخل البخاري عمرة القضاء فى المغازي لكونها مسببة عن غزوة الحديبية، قيل سميت بذلك لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها فى الحديبية واعترض بأن عمرة الحديبية لم تفسد حتى يجب قضاؤها، بل كانت عمرة تامة حكما لثبوت الأجر فيها، ولذا عد الصحابة عمره عليه السلام أربعا، عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة من الجعرانة وكلهن فى ذي القعدة وعمرة مع حجته ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقيل لأنه عليه السلام قاضى فى شأنها قريشا أي عاهدهم وصالحهم عليها عام الحديبية ولذا يقال لها عمرة القضية. وهذا هو الظاهر، قال أهل اللغة يقال قاضى فلانا عاهده وتسمى أيضا عمرة القصاص لأنهم صدوه عليه السلام عن العمرة فى ذي القعدة سنة ست فاقتص عليه السلام منهم ودخل مكة فى الشهر الذي صدوه فيه سنة سبع، قاله ابن هشام، ورجحه السهيلي لنزول هذه الآية فيها وهي: {الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قصاص} قال ابن اسحاق لما رجع صلى الله

تعالى عليه وسلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وما بعده إلى شوال يبعث سراياه فيما بين ذلك ثم خرج في ذي القعدة مؤتمرا مكان عمرته التي صد عنها. وفي المواهب وشرحها تواترت الأخبار أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أهل ذو القعدة سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معه صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين ألفان سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم بضم الراء وسكون الهاء كلثوم بن الحصين الغفاري وقال ابن هشام عوف بالفاء مصغرا بن الأضبط بضاد معجمة وطاء مهملة الديلمي ويقال بمثلثة بدل الفاء وقال البلاذري أبا ذر، وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما بلغ ذو الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشيرا كأمر ابن سعد والد النعمان فقبل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تدخلها إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب. فقال عليه السلام أنا لا ندخله عليهم الحرم، ولكن يكون قريبا منا، فإن هاجنا من القوم هيح كان السلاح قريبا منا. وأحرم صلى الله تعالى عليه وسلم من باب المسجد ولبي والمسلمون يلبون معه ومضى ابن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران فوجد نفرا من قريش وسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصبح بفتح الصاد وشد الموحدة أي يأتي هذا المنزل غدا إن شاء الله فأتوا قريشا فاخبروهم، ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنما على كتابنا ومدتنا فقيم يغزوننا محمد؟ وبعثوا مكرزا في نفر حتى لقوه ببطن ياجج بتثليث الجيم فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر وقد شرطت أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر، فقال إني لا أدخل عليهم بسلاح، فقال هو الذي تعرف به البر والوفاء، ثم رجع إلى مكة فقال إن محمدا على الشرط الذي شرط لكم ونزل عليه السلام بمر الظهران وقدم السلاح إلي بطن ياجج موضع قال ابن الأثير على ثمانية

أميال من مكة ينظر من به إلى أنصاب الحرم أي أعلام حدوده وخلف عليه السلام أوس بن خولى بفتح المعجمة وفتح الواو ضبطه العسكري واقتصر عليه في التبصير الخزرجي البدرى فى مائتي رجل وخرجت أشراف قريش إلى رؤوس الجبال عداوة لله ولرسوله، ولم يقدرُوا على الصبر على رؤيته عليه السلام يطوف بالبيت. وفي رواية خرجوا غيظًا وحنقًا بفتح المهملة والنون وقاف وهو عطف تفسير ونفاسة أي حسدا يقال نفس بالشئ بالكسر حسده عليه. وخرج صلى الله تعالى عليه وسلم راكبا على ناقته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محيطون به مخافة أن يوذيه غلمان المشركين، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة أخذ بزمام راحلته يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمن بقيله إني رأيت الحق فى قبسوله
قوله خلوا أي تنحوا، وسبيله طريقه، وقوله نضربكم بسكون الباء للتخفيف كقراءة أبي عمر {إن الله يامرکم} وقوله:

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل
وقوله علي تنزيله أي النبي مكة:

إن عارضتم ولا نرجع كما رجعنا يوم الحديبية أو على تنزيل القرآن، وإن لم يتقدم له ذكره نحو {حتى توارت بالحجاب}. والهام جمع هامة وهي الرأس ومقيله محل نومه نصف النهار كناية عن محل الراحة أي يزيل الرأس عن العنق، قوله ويذهل الخليل إلخ.. أي لكونه يهلك أحدهما فيذهل الهالك عن الحي والحي عن الهالك، والقييل المقول.

فلما أنشده ابن رواحة قال عمر: يابن رواحة أبين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا؟ فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي فيهم أسرع من نطح النبل أي فلهي أبلغ فى نكايتهم وإيذائهم وقهرهم من رمي السهام، وفي رواية:

خلوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
في مسحف تتلى على رسوله بأن خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تنزيله كما قتلناكم على تأويله
قوله تنزيله أي القرآن، وقوله بأن الباء زائدة، وسبيله الثاني جهاد
أعدائه، وفي السابق الطريق المحسوس فلا إبطاء، وقوله على تأويله أي
على انكاركم ما أول به كما فهمنا منه، والمعنى نحن نقاتلكم على انكار
تأويله كما قتلناكم على انكار تنزيله، مصدر بمعنى اسم المفعول، أي ما
نزل عليه، الدال على رسالته وصدقه في كل ما جاء به. وقال ابن هشام
ان قوله نحن ضربناكم على تأويله إلخ.. من قول عمار بن ياسر يوم
صفين والدليل على ذلك ان المشركين لم يقرؤوا بالتنزيل وإنما يقاتل على
التأويل من أقر بالتنزيل، قال ابن كثير وفيه نظر فقد تابع ابن إسحاق
عليه موسى بن عقبة وغيره وجاء من غير وجه عن عبد الرزاق قال في
الفتح إذا ثبتت الرواية فلا مانع من اطلاق ذلك والتقدير على رأي ابن
هشام نحن ضربناكم على تأويله أي حتى تدعونا إلى ذلك التأويل انتهى
المراد من الزرقاني.

قال ابن سعد وغيره ولم يزل رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يلبي
حتى استلم الركن أي الحجر الأسود بمحجنه بكسر الميم وفتح الجيم عصا
معوجة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه وطاف على راحلته
والمسلمون يطوفون معه مشاة.

وفي الصحيحين أن المشركين قالوا إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم
بتخفيف الهاء وشدها أي أضعفتهم حمى يثرب. فأمرهم صلى الله تعالى
عليه وسلم أن يرملوا بضم الميم أي يسرعوا الأشواط الثلاثة جمع شوط
بفتح الشين وهو الجري إلى الغاية والمراد هنا الطواف حول الكعبة، وفي
جواز تسمية الطوفة شوطا. وعن الشافعي كراهته، وإنما أمرهم بذلك
ليري قريشا قوتهم وأمرهم أن يمشوا بين الركنين اليمانيين حيث لا
تراهم قريش إذ كانوا من قبل قعيقعان، فلما رملوا قال المشركون ما

وهنتهم، وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم مائتين من أصحابه حين طافوا وسعوا أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج فيقيمون على السلاح ويأتي الآخرون يقضوا نسكهم، ففعلوا وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ثلاثاً كما اشترطه مع قريش في الهدنة وتزوج عليه السلام في سفره هذا ميمونة بنت الحارث زوجها له العباس وأصدقها عنه العباس أربعمئة درهم، وكانت جعلت أمرها إلى العباس. وكانت أختها أم الفضل تحته، قال ابن عباس تزوجها وهو محرم، قال في المواهب وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه، قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها إلا بعدما حل وهل بكسر الهاء أي غلط لمخالفته للمروى عنها نفسها وعن أبي رافع وكان الرسول بينهما وعن سليمان بن يسار وكان مولاها فقد اتفقوا كلهم على أنه كان حلالاً وقال يزيد بن الأصم عن خالته ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن حلالان بسرف ورواه مسلم وهو بفتح السين وكسر الراء وبالفاء ما بين التنعيم وبطن مرو وهو إلى التنعيم أقرب وتوفيت بعد ذلك به. ويزيد هذا يقال ان له رؤية ولم تثبت وهو ابن أخت ميمونة.

غزوة مؤتة كذا ترجمها البخاري وابن إسحاق في طائفة. وفي بعض الروايات تسميتها غزوة جيش الأمراء ووجه تسميتها غزوة كثرة جيش المسلمين فيها وشدة ما لاقوا فيها من الحرب مع الكفار وسماها القسطلاني وابن أبي جمرة وغيرهما سرية لأنها طائفة من جيشه صلى الله تعالى عليه وسلم بعثها ولم يخرج معها أنظر الزرقاني وفي المواهب وهي بضم الميم وسكون الواو وبغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق وكانت في جماد الأولى سنة ثمان انتهى.

وفي الروض مؤتة مهموزة الواو قرية من أرض البلقاء بالشام وأما

الموتة بلا همز فضرب من الجنون . وفي الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، وفسره الراوي فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة انتهى، انتهى من الزرقاني.

وسببها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل الحارث بن عمير الأزدي ثم اللهبي بكسر اللام وسكون الهاء بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني فمنعه شرحبيل بضم الشين وفتح الراء وسكون الحاء بن عمرو الغساني كافر معروف من أمراء قيصر وأوثقه فضرب عنقه قال فى المواهب ولم يقتل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسول غيره . فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال ان قتل فجعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتضي المسلمون لرجل من بينهم يجعلونه عليهم، وروي انه كان ثم يهودي فقال يا أبا القاسم إن كنت نبيا فسميت من سميت قليلا أو كثيرا أصيبوا جميعا لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمي مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد أعهد فإنك لا ترجع إلى محمد إن كان نبيا، قال زيد فأشهد انه رسول صادق بار، قالوا وعقد لهم عليه السلام لواء أبيض ودفعه إلي زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا فأقول لكم استعينوا بالله وقتلوهم.

وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فودعهم ولما ودع ابن رواحة بكى فقالوا ما يبكيك؟ فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ آية {وإن منكم إلا واردها} فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود. فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مففرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
 وطعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
 حتى يقولوا إذا مروا على جدث أرشده الله من غاز وقد رشدا
 وذات فرع بكسر الفاء وسكون الراء وغين معجمة أي واسعة يسيل دمها،
 والزبد محرك رغوۃ الدم، قاله الزرقاني. وقوله تنفذ الأحشاء يقال
 نفذه كنصره خرقة كأنفذه ورشد كفرح ونصر. ولما ودع رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن رواحة قال:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أرزى به القدر
 فثبت الله ما أتاك من حسن في المرسلين ونصروا كالذي نصروا
 إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا
 وقوله نظروا يعني المشركين، قاله الكلاعي، وفي الزرقاني انه حين اهـ
 إلى قوله فثبت الله قال له صلى الله تعالى عليه وسلم وأنت فثبتك
 الله يابن رواحة. وحدث زيد بن أرقم قال: كنت يتيما لعبد الله بن
 رواحة فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله إنه
 ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه:

إذا أدبتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
 فشأنك فأنعمي فخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي وراء
 وجاء المسلمون وغادروني لأرض الشام مشتهي الثواء
 هنالك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلهما رواء
 قوله خلاك ذم أي فارقك الذم، فليست بأهل له ومشتهي الثواء أي
 الإقامة، أي لا أريد رجوعا والبعل الذي يشرب بعروقه من رطوبة
 الأرض؛ قال فلما سمعتهن بكيت فخفقتني بالدرۃ وقال ما عليك يا لكم
 ان يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل، قوله فخفقتني أي
 ضربني، والدرۃ بالكسر التي يضرب بها، ثم مضى القوم حتى نزلوا
 معان بضم الميم على ما صوبه الوقشي وغيره. ونقل مغلطاي فتحها عن
 البكري ونقل عنه الروض ضمها بعين مهملة فألف فنون وهو جبل
 بالشام، وبلغ المسلمين أن هرقل نزل مئاب بفتح الميم من أرض البلقاء

فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام وبهراء وبلي مائة ألف منهم عليهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة فأقام المسلمون ليلتين على معان لينظروا فى أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونخبره الخبر فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له، فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله ان التي تكرهون لا التي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقالتهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة. وقال ابن رواحة فى محبستهم ذلك:

جلبنا الخيل من أجاب وفرع	تغر من الشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا	أزل كأن صفحتها أديم
فقامت ليلتين على معان	فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات	تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبي منأب لناأئينها	وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت	عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيه	إذا برزت قوائسها النجوم
فراضية المعيشة طلقته	أسنتها فتتكح أو تؤيم

وفرع بالضم موضع من أضخم أعراض المدينة، وقوله تغر السهيلي تغر بالراء أي يجمع بعضها إلى بعض والصوان فعال من الصون لأنه يصون حوافرها أي اتخذنا لها نعالا من حديد وجعلها سبتا لها مجازا وأظهر من هذا ان يكون أراد بالصنوان يبيس الأرض أي لا سبت لها إلا ذلك ووزنه فعلان من قولهم نخلة صاوية أي يابسة والجموح الراحة والبريم خيط تحتزم به المرأة وقوله فراضية المعيشة أي المعيشة المرضية لأن أهلها راضون كذا رأيتهم معزوا للسهيلي، وقوله مسومات أي مضمورات حسان أو معلمة فى وجوها شية من السميت وهي العلامة وعليه فقليل العلامة هي الغرة والتحجيل وقيل الكي والله أعلم.

وفسرت في الآية بهذين وغيرهما كما في الريان للوالد رضي الله تعالى عنه والقوانس جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد وعبأنا هيأنا والسموم الريح الحارة واللجب الصوت والسبت بالكسر جلود البقر أو كل جلد مدبوغ أو بالقرظ انتهى من القاموس.

ثم مضى المسلمون إلى مؤتة فجاءهم من جموع العرب والروم ما لا طاقة لهم به من العدد الزائد على مائتي ألف والعدد بضم العين من السلاح والكراع بضم الكاف وهو جماعة الخيل خاصة والحرير والذهب إظهارا للشدة والقوة، بكثرة الأموال وآلات الحرب وفي هذا فرط شجاعة الصحابة وعدم مبالاتهم بأنفسهم لأنهم باعواها لله إذ أقدام ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب إنما هو لما وقر في قلوبهم: {إنا لننصر رسلنا} (الآية) {وإن جندنا لهم الغالبون}، فتعبد المسلمون فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري وعلى الميسرة عناية بن مالك الأنصاري قال في المواهب فقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم، قال الزرقاني قد يشعر تخصيصهم أن من عداهم قاتلوا على حالهم التي كانوا عليها من مشي أو ركوب فحمل اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل على فرسه حتى ألحمه القتال، فنزل عن فرس له شقراء فقاتل حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما لابن هشام قال اليعمري أو أربع وثلاثين ولابن عبد البر أن سنه إحدى وأربعون ضربه رجل من الروم ضربة فقطه نصفين. وفي رواية للبخاري أيضا عن ابن عمر ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية.

وللبخاري أيضا عن ابن عمر فعددت به خمسين بين ضربة بالسيف وطعنة برمح ليس منها شيء في دبره يعني ظهره وجمع بينهما بأن الزيادة باعتبار ما فيه من رمي السهام فإن ذلك لم يذكر في رواية أخرى.

والخمسون ليس منها شيء في دبره أي ظهره والباقي قد يكون في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولاهم دبره وإنما هو محمول على أن الرمي جاء من جهة قفاه أو جانبه.

وفي رواية لأبي داود وغيره أن جعفرا عقر فرسه وعقر بفتح العين

المهملة والقاف وبالراء أي ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف وفي رواية فعرقبها، قال ابن اسحاق فكان جعفر أول مسلم عقر في الإسلام قال في الروض ولم يعب ذلك عليه أحد فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين فلم يدخل هذا في النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا وهذا حديث حسن وفي بقيته انه قتل وهو يقول:
يا حبذا الجنة واقترا بها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنى عذابها كافرة بعيده أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها

وقطعت يده في تلك الوقعة وذلك انه أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه ثم قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء أخرج ابن عبد البر.

قال محمد بن عبد الباقي والمقصود ان الله أكرمه بذلك في مقابلة قطعهما فلا يستلزم عدم رد يديه بل بعد ردهما أعطاه الجناحين وأخرج الطبراني عن عبد الله بن جعفر الشبيه خلقا وخلقا كأبيه قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء. وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مر بي جعفر الليلة في ملا من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم واختلف في أن الجناحين حقيقيان وهو المختار وروي عن البخاري أنه قال يقال لكل ذي ناحيتين جناحان، قال الحافظ لعله أراد بهذا حمل الجناح على المعنوي دون الحسي وجرى عليه السهيلي فقال ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحي الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر، وقد عبر القرآن عن العضض بالجناح توسعا في قوله: {واضمم يدك إلى جناحك} وقد قال العلماء في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعينة. فقد ثبت أن لجبريل عليه السلام ست مائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك. قال فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها ولا ورد ببيانها خبر فنؤمن بها من غير بحث عن

حقيقتها انتهى.

قال الحافظ في الفتح ولا مانع من الحمل على الظاهر، وكون الصورة البشرية أشرف من الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة باقية كما هي وإعطاء الجناحين مضموماً إلى عود يديه يصيره في المنظر أتم من حال بقية نوع الإنسان فالأجنحة له كالزينة والحلي لمن تحلى وتزين وروى البيهقي مرسلاً أن جناحي جعفر من ياقوت فهو صريح في ثبوتهما له حقيقة وأنه ليس من جنس أجنحة الطير التي هي من ريش فهذا يرد قوله أنها صفة ملكية وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ أخرجه ابن مندة بفتح الميم وقد قال بعض العلماء أن هذا التأويل لا يليق مثله بالإمام السهيلي بل هو أشبه بكلام الحشوية ولا ينكر الحقيقة إلا من ينكر وجود الملائكة وقال تعالى {أولى أجنحة مثني وثلاث ورباع} انتهى من الزرقاني.

ولما قتل جعفر أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ثم تقدم وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلني	لتنزلن أو لتكرهني
ان أجلب الناس وشدوا الرنه	مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنه	هل انت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقبلي تموتي	هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت	إن تفعلي فاعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت	

يعني صاحبيه زيدا وجعفرا.

ثم نزل فأتاه ابن عم له يعرف بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم ألقاه من يده فأخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

وذكر ابن أبي جمرة أنه قال أي نفس إلى أي شيء تتوقين إلى فلانة فهي طالق وفلان وفلان غلمان له فهم أحرار وإلى معجب حائط له فهو لله ورسوله ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنهم أجمعين انتهى.

قال سعيد بن أبي هلال بلغني أنهم دفنوا زيدا وجعفرأ وابن رواحة في حفرة واحدة وفي الصحيح وما يسرهم أنهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم بفتح الهمزة وسكون القاف وبالراء والميم البلوي البدري حليف بني العجلان بطن من الأنصار فقال يا معشر المسلمين أطلخوا علي رجل منكم قالوا أنت لها، قال ما أنا بفاعل، فاصططح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس. وفي الصحيح أخذ الراية سيف من سيوف الله تعالى حتى فتح الله علي يديه، وفي رواية ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره، فمن يومئذ يسمى سيف الله.

وفي المواهب وشرحها وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وعدد من قتل منهم اثنا عشر رجلا الأمراء الثلاثة ومسعود بن الأسود وهو من بني عدي بن كعب ووهب بن سعد بن أبي سرح وهو من بني مالك بن حسل وعباد بن قيس الخزرجي والحارث بن النعمان وسراقة بن عمرو النجاريان وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث وزاد ابن الكلبي والبلاذري هويجه الضبي وهو بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الموحدة فجيم فهاء تأنيث وروي أنه لما قتل فقد جسده وفي هذا من مزيد عناية الله تعالى بالمسلمين ما لا يخفى إذ عدتهم ثلاثة آلاف وقاتلوا أكثر من مائتي ألف سبعة أيام، ولم يقتل منهم إلا ثلاثة عشر كذا ذكر ابن سعد وغيره أن الهزيمة كانت على المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وكانت الهزيمة على المشركين وهذا ظاهر حديث الصحيح كما مر قريبا، وفيه أيضا عن خالد لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية بتخفيف الياء وحكي شدها. وقال ابن اسحاق انحازت كل طائفة عن الأخرى من غير هزيمة، قال اليعمري وهو المختار لكن قال الشامي وافق ابن اسحاق شردمة لكنه خلاف ظاهر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ففتح على يديه والأكثر أن خالد والمسلمين

قاتلوا المشركين حتى هزموهم، وفي حديث أبي عامر أن خالدا لما حمل اللواء حمل على القوم فهزمهم أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شأؤوا ونحوه عن الزهري وابن عقبة وابن عائذ وعروة وغيرهم، وقال في الفتح اختلف أهل النقل في المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى فتح الله عليهم هل كان هناك هزيمة للمشركين أو المراد بالفتح انحياز المسلمين حتى رجعوا سالمين انتهى المراد منهما. وقال الامام ابن أبي جمرة اختلف العلماء في عسكر المسلمين هل كانت الهزيمة عليهم أو على المشركين فحكى ابن سعد أنها كانت على المسلمين إلى أن قال وذهب جماعة أن الهزيمة كانت على المشركين وهو الأقرب ورجحه البيهقي.

وعن العطاء بن خالد لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد فلما أصبح جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته وميسرته ميمنته فأذكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم وقالوا قد جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين فقتل منهم مقتلة لم يقتلها قوم، وكذا ذكر موسى بن عقبة. وذكر ابن اسحاق أن قطبة بن قتادة العذري وكان رأس ميمنة المسلمين قتل مالك بن رافلة ويقال رافلة البلوي وهو أمير عرب النصارى فقال يفتخر:

طعننت ابن رافلة بن الأرش برمح مضي فيه ثم انحطم
ثم قال:

وسبقنا نساء بني عمه غداة رقوقين سوق الغنم
وفيه التصريح بأنهم سبوا نساءهم وبعد البيت الأول:
ضربت على صيره جيده
فما مال كما مال غصن السلم

والصير جانب الشيء وطرفه وضميره للجيد والله أعلم. أي ضربت جيده على جانبه. ولما أصيب القوم قال صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أخذها عبد الله بن

رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا؟ فقل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى وذكر ابن عقبة ان يعلى ابن أمية الحنظلي حليف قريش وأمه منية بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية الخفيفة وبها اشتهر وبأبيه معا وقيل هي أم أبيه وهي أم العوام والد الزبير قاله الزرقاني وهو الذي قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك. قال أخبرني فأخبره خبرهم كله فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا فلم تذكره. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم.

وللطبراني عن ابي اليسر بفتح التحتية والمهمله كعب بن عمر السلمي بفتحتين البدرى ان أبا عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمصائبهم. وقال حسان يبكيهم:

تأوبني ليل بيثرب أعسر	وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هجيت لي لوعة	سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلي ان فقدان الحبيب بليسة	وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا	شعوب وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا	بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا	جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمومنين يقودهم	إلى الموت ميمون النقيبة ازهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم	أبي إذا سيم الظلامه مجسر
قطاعن حتى مال غير موسد	بمعترك فيه قنى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه	جنان وملطف الحدايق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد	وفاء وأمرأ حازما حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم	دعائم عز لا يزلن ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه	علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم	عقير وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللواء في كل مأزق	عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم وفيهم ذو الكتاب المطهر
 وشعوب بفتح المعجمة المنية، والمظلمة بكسر اللام وكثامة ما تظلمه
 الرجل قاله في القاموس، والبهاليل جمع بهلول بالضم وهو الوضيئ
 الوجه مع طول، والمأزق المضيق من مضايق الحرب والعماس كسحاب
 المظلم.

وقال كعب بن مالك:

نام العيون ودمع عينيك يهمل
 في ليلة وردت علي همومها
 واعتادني حزن فبت كأنني
 وكأن ما بين الجوانح والحشا
 وجدا على النفر الذين تتابعوا
 صلى الإله عليهم من فتية
 صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
 فمضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدون بجعفر ولوائه
 حتى تفرجت الصفوف وجعفر
 فتغير القمر المنير لفقده
 قمرم علا بنيانته من هاشم
 قوم بهم عصم الإله عباده
 إلى أن قال:

بيض الوجوه ترى بطون اكفهم
 وبهديهم رضي الإله لخلقهم
 وهمل دمه كضرب، ونصر فاض، والطباب بكسر الطاء المهملة جمع
 طبابة وهي سير بين خرزتين في المزايدة فإذا كان غير محكم وكف منه
 الماء والخنين بالمعجمة حنين ببكاء فإذا كان بالمهملة فليس معه بكاء
 (أنظر الروض) وأسندوا بالنون وروي بهمزة بعد السين من الإسناد
 وهو الاسراع في السير وصبروا حبسوا والفنق جمع فنيق وهو الفحل
 والمرفل السابغ الضافي وقوله فتغير القمر قال السهيلي قوله حق لأنه
 إن كان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعله قمرا فقد

كان تغير بالحزن لفقد جعفر وان أراد القمر نفسه فإنه حق أيضا لأن المفهوم منه تعظيم المصاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه أراد شدة تأديب الأهل وتأفل بتثليث الفاء أي تغيب ماضيه كضرب ونصر وعلم وقوله وبجدهم روي بالحاء المهملة أيضا أي شجاعته وإقدامهم.

ثم بعد مؤتة غزوة فتح مكة زادها الله تعالى تشريفا وتعظيما. قال ابن أبي جمرة وكانت في رمضان سنة ثمان، وكان المسلمون عشرة آلاف وقال الزهري وعروة أثنى عشر ألفا انتهى المراد منه.

وقال في الإكتفاء غزوة الفتح. وأقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جماد الأخيرة ورجب ثم عدت بنو بكر بن عبد منات بن كنانة على خزاعة انتهى المراد منه.

وقال في المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني ثم فتح مكة زادها الله تعالى شرفا وهو كما قال العلامة بن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمة الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيد الكفار والمشركين والإضافة للتشريف وقوله جعله هدى للعالمين أي هاديا لهم لأنه قبلتهم ومنتعبدتهم وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دينه أفواجا أي جماعات وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا أي سرورا، والاطناب جمع طنب بضم طين وهو حبل الخباء شبه العز بالخباء المتين وأثبت له الأطناب تخييلا والجوزاء يقال انها تعرض في جوز السماء أي وسطها خرج إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للتين خلتا من رمضان كما رواه أحمد بسند صحيح وهو أصح مما قال الواقدي انه خرج لعشر ليال خلون منه وليس بقوي وروي البيهقي عن الزهري انه صبح مكة لثلاث عشرة ليلة خلت منه وروي عن الزهري أيضا أنه قال لا أدري أخرج في شعبان فاستقبل رمضان أو خرج في رمضان بعدما دخل وعند مسلم أنه دخل مكة لست عشرة ولأحمد لثمان عشرة وجمع بينهما بحمل إحداهما على ما مضى والأخرى على ما بقي. وسبب خروجه نقض العهد الذي وقع في الحديبية وذلك ان الصلح وقع على ان من أحب ان

يدخل في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقده صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب وكان عليه السلام عارفاً بذلك وجاءته خزاعة يومئذ بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هشام لخزاعة إذا قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم أن بيننا وبينكم عهد الله وعقوده وما لا ينسى أبداً اليد واحدة والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدد أبد الدهر سرمداً. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة ولا حلف في الإسلام انتهى.

والحلف المنهي عنه ما كان على الفتن والقتال والغارات والذي قواه الإسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الأرحام ونصرة الحق وكان بين بني بكر وخزاعة حروب في الجاهلية وذلك أن مالك بن عباد من بني الحضرمي خرج تاجراً فعدا عليه خزاعة فقتلوه وأخذوا ماله وكان حليف للأسود بن رزن بفتح الراء وكسرها فزاي ساكنة وتفتح فنون فعدت بنو بكر على خزاعي فقتلوه حمية للأسود فعدت خزاعة على بني الأسود وهم ذؤيب وسلمى بفتح السين وكلثوم فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم فبينما هم كذلك بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشغلوا عن ذلك فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية وهو يومئذ قائد بني الديل من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة على ماء عندهم بأسفل مكة يقال له الوثير بفتح الواو وكسر الفوقية وسكون التحتية آخره راء قال السهيلي وهو في كلام العرب الورد الأبيض سمي به الماء فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه وكان ضعيف الفؤاد وكان معه رجل يقال له تميم فقال له منبه يا تميم أنج بنفسك فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني لقد أنبت فؤادي فأقلت تميم وأدركوا منبه فقتلوه واستيقظت خزاعة فاقتتلوا فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة لا إله إلا الله يا بني

بكر، أصيبوا ثأركم وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية منهم صفوان بن أمية وعثمان بن شيبه وسهيل بن عمر وحويط بن عبد العزاي ومكرز بن حفص، فلما دخلوا مكة لجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأن هذا لا يبلغه عليه الصلاة والسلام وأصبحت خزاعة مقتولين علي باب بديل فقال سهيل لنوفل قد رأيت الذي صنعنا بك وبمن قتلت من القوم وقد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم، فتركهم، وندمت قريش على ما صنعوا وعرفوا أنه نقض للعهد.

فائدة:

الدليل بكسر الدال المهملة وسكون الياء كما قاله الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما وقال الأصمعي وسيبويه وأبو حاتم وغيرهم هو بضم الدال وكسر الهمزة وإنما فتحت في النسب كما فتحت ميم النمر في النمرى ولأم سلمة في السلمي فرارا من توال الكسرات وكان عيسى بن عمر ويونس وغيرهما يكسرونها في النسب. قال الأصمعي وهو شاذ وهو الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وقول الشامي بكسر الدال وسكون الهمزة وتسهيل فيه نظر لأن الذين قالوا بكسر الدال إنما قالوا بعدها تحتية لا همزة والذين قالوا همزة إنما قالوا بكسرها والدال مضمومة نقلها العلامة الزرقاني.

ولما انقضى القتال خرج عمرو بفتح العين وقيل بضمها بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة فقدموا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبرونه بما أصابهم ويستنصرونه فقام صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يجرد رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصرت به نفسي. وفي المعجم الكبير عن ميمونة قالت بات عندي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فسمعتة يقول في متوضئه لبيك لبيك لبيك، ثلاثا، نصرت نصرت نصرت ثلاثا، فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا، نصرت نصرت نصرت ثلاثا، كأنك تكلم إنسانا! فقال هذا راجز بني كعب يستصرخني

ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر ففي أخباره به قبل قدومه علم
من اعلام النبوءة وفي آخر الحديث فأقمنا ثلاثا ثم صلى عليه السلام
بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده:
يا رب إني إلخ.. والرجز المذكور هو قوله:
يا رب إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيــــه الأتــــلدا	قــــد كنتــــم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا	فانصر هداك الله نصرا أيــــدا
ودع عــــبــــاد الله ياتو مــــددا	فيهم رسول الله قد تجردا
أبيض مثل البدر يسمو صعدا	إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشــــا أخلوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي فيك داء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عــــددا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

يقول قتلونا وقد أسلمنا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت. ثم
عرض عنان من السماء، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذه
السحابة لتستهل بنصر بني كعب. قاله الكلاعي والعنان بفتح المهملة
ونونين بينهما ألف السحاب، قوله ناشد أي طالب ومذكر، وحلف بكسر
المهملة وسكون اللام مناصرة، والأتلد أي الأقوم مما بيننا وبينه صلى
الله تعالى عليه وسلم وقول الشامى أي القديم لا يناسب أفعل التفضيل
وولد بضم الواو وسكون اللام لغة في ولد وذلك ان ولد بني عبد مناف
أهمهم من خزاعة وكذلك أم قصي وثمت حرف عطف أدخل عليها تاء
التأنيث ونصرا أي قويا مستمرا. وروي نصر اعتدا بفتح المهملة
وكسر الفوقية أي حاضرا مهيبا ومددا بفتححتين جيوشا ينصروننا
وقوله فيهم رسول الله أتى به لدفع توهم أنه يبعث سرية وتجرد روي
بمهملة أي غضب وبجيم أي شمر وتهيا لحربهم وسيم مبني للمفعول
وخسفا بفتح المعجمة وضمها أي أولى ذلا وتربدا تغير وصعدا بضممتين
والفيلق كصيقل الجيش وميثاقك: عهدك، والموكدا أي بالكتب والشهاد
ولست بضم التاء وروي بفتح التاء مع التاء في تدعوا وبيتونا أي
قصدونا ليلا من غير علم، وهجدا نوما، جمع هاجد. قال السهيلي

وأسلمنا من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد انتهى.
وتأوله بعضهم بأنهم حلفاء الذين يركعون ويسجدون ولا يخفى بعده.
وفي رواية غير زياد هم قتلونا بصعيد هجدا. نتلوا القرآن ركعا
وسجدا. وهذا يبطل التأويل انتهى من الزرقاني.
وقوله ان اعتدا بكسر التاء هو بالتحريك أيضا كما في القاموس وكداء
كسماء جبل بأعلى مكة وهو الذي دخل منه صلى الله تعالى عليه وسلم
مكة يوم الفتح وأما بالضم والقصر فهو جبل بأسفلها وهو الذي دخل
منه خالد ومن معه ومده البوصيري ضرورة في قوله وأكدى عند
اعطائه القليل كداء، قاله شراحه، ورصده رقبه، والرصد محركة
الراصدون، وروى الواقدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كأنكم
بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزدني في المدة وهو راجع بسخطه
ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان فقالا
لئن لن يصلح هذا الأمر لا يروءكم إلا محمد في أصحابه فقال أبو
سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها، قالوا
وما هي؟ قال رأت دما أقبل من الحجون يسير حتى وقف بالخندمية
مرىا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا فقال أبو سفيان هذا
أمر لم نشهده ولم أغب عنه لا يحمل إلا علي والله ما شورت فيه ولا
هويته حين بلغني ليغزوننا محمد إن صدقني ظني وهو صادق وما بد
في أن أتى محمدا فأكلمه. فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له
على راحلتين وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل
على بنته أم حبيبة فذهب ليجلس على فراشه صلى الله تعالى عليه
وسلم فطوته عنه وقالت انت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على
فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال والله يا بنية لقد
أصابك بعدي شر ثم أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه
فلم يرد عليه شيئا، فذهب إلي أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ما أنا بفاعل. فأتى عمر بن الخطاب
فكلمه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد إلا الذر لجالدتكم به ما كان من
حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا
فلا وصله الله ثم أتى عليا وعنده فاطمة وعندها حسن غلام يدب بين

يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وإن قد جئنت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي فقال علي ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم صلى الله تعالى عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلي فاطمة فقال يا بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هل لك أن تأمرني بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر. قالت والله ما بلغ بني أن يجبر بين الناس وما كان يجبر أحد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال لعلي يا أبا حسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فأنصحني. قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم إلحق بأرضك. فقال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بغيره فلما قدم علي قريش قالوا وما وراءك؟ قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو، وفي لفظ أعدى العدو، ثم أتيت عليا فقال أنت سيد بني كنانة فأجر بين الناس، فناديت بالجوار، قالوا هل أجاز ذلك محمد، قال لا. قالوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئا، والله ما زاد علي على أن لعب بك. فقال والله ما وجدت غير ذلك.

قال في المواهب فتجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير إعلام أحد بذلك، قال الزرقاني أي أولا فلا ينافي ما عند ابن إسحاق وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلم الناس أنه سائر إلي مكة وأمرهم بالجد والتهيا وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس وبغته كمنع فاجأه، وقال حسان يحرضهم ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عنانني ولم أشهد ببطحاء مكة	رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم تسل سيوفهم	وقتل كثير لم تجس ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي	سهيل بن عمر وحرها وعقابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد	إذا احتلبت صرفا واعضل نابها
فلا تجزعوا منها فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قوله عناني: عناه الأمر يعنيه ويعنوه أهمه وقوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن أم مجالد عكرمة بن أبي جهل، فكتب حاطب بن أبي بلتعة بموحدة مفتوحة ولام ساكنة ففوقية فعين مهملة مفتوحتين عمر بن عمير اللخمي حليف بني أسد اتفقوا على شهوده بدرا كتابا وأرسله إلي مكة يخبر بذلك مع امرأة استأجرها سماها ابن اسحاق سارة والواقدي كنود قيل كانت مولاة للعباس وقيل مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال عليه السلام لعلي والزبير والمقداد كما أخرجه الشيخان عن علي وللبخاري عن علي أيضا بعثني وأبا مرثد الغنوي والزبير وكلنا فارس قال الحافظ يحتمل ان الثلاثة كانوا معه فذكر أحد الراويين عنه ما لم يذكره الآخر ولم يذكر ابن اسحاق مع علي والزبير أحدا فالذي يظهر أنه كان مع كل منهما آخر تبعاه له، فقال عليه السلام انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ بخاءين معجمتين بينهما ألف على يريد من المدينة فإن بها ظعينة أي امرأة في هودج معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها. قال علي فانطلقنا تعادي بنا خيلنا بحذف إحدى التاءين أي تجري حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، ولابن اسحاق من مرسل عروة فأدركاها بالخليقة خليقة بني أحمد بقاف وخاء معجمة كسفية منزل على اثنين وعشرين ميلا من المدينة ولابن عقبة أدركاها ببطن ريم بكسر الراء وسكون التحتية وبالهزم وبالميم واد بالمدينة فيحتمل أن الروضة اسم لمكان يشتمل عليهما وإلا فما في الصحيح أصح. قاله العلامة الزرقاني. قال فقلنا أخرجني بهمزة قطع الكتاب. قالت ما معي كتاب. فأخذناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين؛ وللأصيلي بضم الكاف وكسر المعجمة مخففة، قلنا لتخرجن الكتاب بضم الفوقية وكسر الراء والجيم أو لنلقين الثياب بضم النون وكسر القاف، وللأصيلي بضم الفوقية وحذف التحتية فأخرجته، من عقاصها بكسر المهملة الخيط الذي تعتقص به أطراف الذوائب. وقال المنذري هو لي الشعر بعضه على بعض على الرأس وتدخل أطرافه في أصوله وقيل هو السير الذي تجمع به شعرها على رأسها، فأتيناه به أي بالكتاب، رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم، فإذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال يا حاطب ما هذا؟ قال يا رسول الله لا تعجل علي. ولا بن اسحاق أما والله إنني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت إنني كنت امرءا ملصقا بضم الميم وفتح الصاد في قريش أي مضافا لهم أي كنت حليفا وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما إنه قد صدقكم. زاد البخاري في بدر لا تقولوا له إلا خيرا فقال عمر يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم.

قوله لعل الله ورسوله إلخ قال النووي هذا الترجي راجع إلي عمر لأن وقوع هذا الأمر محقق عند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. وفي الفتح هي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم وقد قال العلماء الترجي في كلام الله وكلام الرسول للوقوع وعند أحمد وأبي داود بالجزم بلفظ ان الله اطلع على أهل بدر واتفقوا ان هذه البشارة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها فأنزل الله تعالى في حاطب {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة} إلى قوله: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} قال في الفتح وإنما قال عمر دعني يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به ونهيه أن يقال له إلا خيرا فيما كان عند عمر من الشدة في الدين وبغض المنافقين فظن أن من خالف ما أمر به عليه السلام من اخفاء مسيره عن قريش يستحق القتل لكنه لم يجزم به فلذلك استأذن في قتله ولو جزم به لما استأذن وأطلق عليه منافقا لإظهاره خلاف ما أبطن فلم يرد عمر انه أظهر الإسلام وأخفى الكفر وعذر حاطب ما ذكره من خوفه على أهله وماله فإنه فعل ذلك متأولا أن

لا ضرر فيه كما صرح به في قوله كتبت كتابا لا يضر الله ورسوله واستشكل قوله اعملوا ما شئتم فإن ظاهره الإباحة وهو خلاف عقد الشرع. وأجيب بأن هذا خطاب تشریف وإكرام تضمن أنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وصاروا بها أهلا لأن يغفر لهم ما يلحقهم من الذنوب بعد هذه الواقعة ان وقع وليس المراد أنهم أنجزت لهم مغفرة الذنوب اللاحقة بل لهم صلاحية أن يغفر لهم ما سيقع. فقد أظهر الله تعالى صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى يقطع بذلك من أحوالهم من اطلع على سيرهم ولذا لما شرب قدامة بن مظعون من أهلها أيام عمر وحده رأى عمر في المنام من يأمره بمصالحة قدامة. وقيل في الجواب ان ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة وما أحسن قوله:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع نقله الزرقاني عن ابن حجر والقسطلاني. ثم مضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف أو اثني عشر ألفا كما مر فسبعت سليم وقيل ألفت وألفت مزينة وفي كل القبائل عددا وأوعب المهاجرون والأنصار ولم يتخلف منهم أحد قاله الكلعي وكان العباس أسلم قديما فخرج بأهله وعياله مهاجرا ولقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة وسار معه إلى الفتح وبعث ثقله إلى المدينة، قال البلاذري وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوءتي آخر نبوءة. وكان ممن لقيه بالطريق ابن عمه وأخوه من الرضاعة أرضعتهم حليمة: أبو سفيان بن الحارث ومعه ولده جعفر وكان غلاما مدركا وشهد هو وأبوه حنينا وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ولا يفارقه فلما بعث عاداه وهجاه وأجابه حسان عنه كثيرا، قال القسطلاني وكان لقاءهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخوله مكة وقيل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا بضم السين وسكون القاف قرية جامعة والعرج بفتح فسكون قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة وبهذا

القول جزم ابن إسحاق وعين المحل فقال لقياه بنقب العقاب فأعرض صلى الله تعالى عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. يعني قوله والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه، وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله تعالى أرسلك، فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وهذا نهى لهما في الظاهر وهو في الحقيقة سؤال له عليه السلام أن يقبل عليهما وتلطفت في العبارة أدبا أن تخاطبه بصورة نهى، فلما خرج إليهما الخبر بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن أو لأخرجن بابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا. فلما بلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رق لهما ثم إذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشد أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين اهدي واهتدي
(الآبيات).

وقال علي لأبي سفيان إيت رسول الله تعالى عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف، {تالله لقد أشرك الله علينا وإن كنا لخاطئين}، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تثريب أي لا عتب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين.

ويقال أن أبا سفيان ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حياء منه منذ أسلم. وقال عند موته لا تبكن علي فإنني لم انطق بخطيئة منذ أسلمت. ولما نزل عليه السلام بمر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش فتربع من كثرتها قال الزرقاني ولم يأمر باقي من معه وهم ألفان بالإيقاد تخفيها ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون خائفون من غزوه إياهم فبعثوا أبا سفيان وقالوا خذ لنا أمانا من محمد فخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل مصغر بن ورقاء الخزاعي وأسلموا كلهم يوم الفتح حتى أتوا مر الظهران فلما

رأوا العسكر أفزعهم ولابن أبي شيبه فإذا النيران قد أخذت الوادي كله، وفي البخاري فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه النيران والله لكانها نيران عرفة فقال له بديل بن ورقاء هذه نيران بني عمرو بفتح العين وفي رواية نيران بني كعب يعني بهما خزاعة، وعمر هو ابن لحي كما في الفتح وغيره فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك أي من أن تكون هذه نيرانها يعني خزاعة فرأوهم ناس من حرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذوهم فقالوا من أنتم؟ فقالوا هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه. فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزل على أكباد قوم لم يعلموا بهم. وعند ابن اسحاق ان العباس خرج ليلا على بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم قال فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا. فقال بديل هذه خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها. قال فعرفت صوته، فقلت أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال أبا الفضل، قلت نعم. قال ما لك فداك أبي وأمي، قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الناس واصباح قریش والله، قال فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك، فركب خلفي فسرت به كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا؟ فإذا رأوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته حتى مر بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان قال أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد وركضت البغلة فسبقتة واقتحمت عن البغلة فدخلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد، فدعني فأضرب عنقه، قلت يا رسول الله إني قد أجرتة، فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لئن كان من رجال بني عدي بن كعب لما قلت هذا ولكنك قد علمت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال

مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من إسلام الخطاب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به، فذهبت به فلما أصبحت غدوت به إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أكرمك وما أوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغني شيئاً بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أنني رسول الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما والله هذه فإن في نفسي منها شيء حتى الآن. فقال له العباس ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم. قال العباس قلت يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما سار قال صلى الله تعالى عليه وسلم احبس به بمضيق الوادي عند خطم الجبل بفتح الحاء المعجمة وسكون الطاء المهملة أي أنفه، وفي رواية حطم بفتح الحاء المهملة الخيل بفتح المعجمة وسكون التحتيّة، أي ازدحامها، وحبس به العباس هناك ليرى الجميع فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة، على أبي سفيان والكتيبة بوزن عظيمة قطعة من الجيش من الكتب بفتح فسكون وهو الجمع قال الواقدي وأول من قدم عليه السلام خالد بن الوليد في سليم وهم ألف أو تسعمائة معهم لواءان يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بضم المعجمة بن ندبة بضم النون وراية مع الحجاج بن علاط فقال من هؤلاء؟ فقال خالد بن الوليد، قال الغلام؟ قال نعم. قال ومن معه قال بنو سليم، قال مالي وبني سليم؟ ثم مر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفتاء العرب فقال من هؤلاء؟ قال الزبير بن العوام، قال ابن أختك؟ قال نعم. فمرت بعدهما كتيبة في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر فقال من هذه؟ قال غفار بكسر الغين المعجمة، قال مالي ولغفار؟ أي ما كانت بيني وبينهم حرب، ثم مرت أسلم بفتح اللام كما في القسطلاني في المناقب في

أربعمائة فقال من هؤلاء؟ قال أسلم، قال ما لي ولأسلم؟ ثم مرت بنو كعب بن عمرو أخوة أسلم في خمسمائة فقال من هؤلاء؟ قال بنو كعب بن عمرو، قال هؤلاء حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم، ثم مرت مزينة فيها مائتا فرس، قال من هؤلاء؟ قال مزينة، قال مالي وما لمزينة قد جاء تني تتقعقع من شواهقها، ثم مرت جهينة في ثمانمائة، قال من هؤلاء؟ قال جهينة، قال ما لي ولجهينة، والله ما كان بيني وبينهم حرب قط، وفي رواية زيادة أشجع وتميم وفزارة وفي البخاري زيادة سعد بن هذيم وهو سعد بن زيد بن ليث بن سود بضم المهملة بن أسلم بضم اللام كما في ابن حجر والزرقاني والقسطلاني بن الحاف بمهملة وفاء ابن قضاة حتى مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتيبة الخضراء التي لم ير مثلها معه المهاجرون والأنصار مع كل بطن من الأنصار لواء وراية وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ولعمر فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم، وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد فيها. قال ابن هشام والعرب تكني بالخضرة عن السواد وبه عنها ولعله إيثار للون المحبوب لنفرة النفوس من السواد، وفي البخاري يقال فيها ألفا دارع أي بالتثنية وكان على الأنصار سعد بن عبادة معه الراية فقال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم حرب لا مخلص منه أو يوم قتل يقال لحم فلان إذا قتله اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستارها وقتل من عارض من أهل مكة وبإزالة ما يزعمون أنه تعظيم لها من أصنام وصور وقد وقع جميع ذلك فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة وخفة الميم أي الهلاك تمنى أن تكون له قوة فيحامي قومه قاله عجزا، وقيل معناه هذا يوم الغضب للحرم إن قدر عليه وقيل معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي بقربك للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع مقالة سعد رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد في قريش صولة وللواقدي أن عثمان وعبد الرحمن قال ذلك جميعا، فقال لعلي الحق وخذ الراية منه وكن أنت تدخل بها وروى الأموي أن أبا سفيان قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لما حاذاه أمرت بحذف الاستفهام بقتل قومك؟ قال لا وذكر له ما قال سعد ثم ناشده الله

تعالى والرحم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة أي الرأفة اليوم يعز الله تعالى قريشا أي بالاسلام وانقاذهم من الضلال وحجزهم عن الوقوع في المهالك.

وأرسل عليه السلام إلى سعد فأخذ الراية منه ودفعها لابنه قيس ورأى عليه السلام أن اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه. ولابن عساكر أن سعدا لما قال ذلك عارضت امرأة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا نبي الهدى إليك لجا إلخ...

فلما سمع الشعر دخلته رأفة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه. وللواقدي أنه أبى أن يسلمها إلا بإمارة منه عليه السلام فأرسل إليه بعمامته. وعند أبي يعلى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفع الراية إلى الزبير فكان معه لواء المهاجرين ولواء الأنصار والظاهر في الجمع بين هذه الثلاثة كما للحافظ أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغيير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه فخشي سعد أن يقع من ابنه شيء يكرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله أن يأخذها منه، فأخذها الزبير وعند الواقدي والأموي أن الشعر لضرار بن الخطاب الفهري قال أبو الربيع وهو من أجود شعره قال الحافظ وكان ضارا أرسل به المرأة ليكون ذلك أبلغ في انعطافه عليه السلام على قريش والشعر المذكور هو:

حيي قريش ولات حين لجائي
ض وعاداهم إله السمماء
م ونودوا بالصيلم الصلواء
ر بأهل الحجون والبطحاء
ظ رمانا بالنسر والعواء
غير سفك الدما وسبي النساء
عنه هند بالسوءة السوءائي
وابن حرب بذا من الشهداء
يا حماة الأدبار أهل اللواء
رج والأوس أنجم الهيجاء

يا نبي الهدى إليك لجا
حين ضاقت عليهم سعة الأر
والتقت حلقة البطان على القو
إن سعدا يريد قاصمة الظهر
خزرجي لو يستطيع من الغي
وغير الصدر لا يهم بشيء
قد تلظى على البطاح وجاءت
إذ ينادي بذل حي قريش
فلئن أقحم اللواء ونادا
ثم ثابت إليه من بهم الخز

لتكونن بالبسطاح قـريش فقعة القاع في أكف الإمام
فانهينه فإنه أسد الأسد سد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمـ سر سكوتا كالحية الصماء

ولجا بالألف للضرورة وهو بالهمز من باب نفع وتعب كما في المصباح وروي آخره وأنت خير لجا، وسعة بفتح السين وهو كناية عن شدة كربهم حتى كأن الأرض لم تسعهم، وقوله وعاداهم إلخ.. أي فعل لهم فعل المعادي فسلط عليهم ما لا طاقة لهم به وحلقنا البطان تثنية حلقة والبطان بكسر الموحدة حزام يجعل تحت بطن البعير، كناية عن شدة الأمر، والصيلم بفتح المهملة وسكون التحتية وفتح اللام وميم الداهية وكذا الصلعاء بفتح المهملة وسكون اللام وكأنه بحذف حرف العطف وقاصمة الظهر كاسرته يعني الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم فصاروا لا حراك لهم والنسر بفتح النون نجم والعواء بفتح المهملة وشد الواو والوغر بفتح الواو وكسر المعجمة وبالراء من الوغرة وهو شدة توقد الحر، ويهم بفتح فضم وتلظى تلهب وهند هي بنت عتبة والسوء السوءاء الخلعة القبيحة وأقحم اللواء أرسله في عجلة والأدبار جمع دبر وهو الظهر وثابت بمثلثة فألف فموحدة رجعت وبهم بضم ففتح جمع بهمة للفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه والهيحاء الحرب والفقعة بكسر الفاء ففاف فعين جمع فقاق بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف ضرب من الكمأة أبيض رخو يشبه به الرجل الذليل والقاع المكان المستوي والأسد بضم فسكون والغاب أجم الأسد والغ بالمعجمة أنظر الزرقاني.

وفي القاموس أن الفقع بالفتح ويكسر وجمعه كعنبه وفي الجوهري أن المفتوح جمع فقعه كجبا وجبأة جمع الفقع بالكسر فقعة كقرد وقردة ويشبه به الرجل الذليل لأن الدواب تنجله بأرجلها انتهى.

وروي أن أبا سفيان لما مر به المسلمون قال يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما، فقال إنها النبوة، فلما جاء قومه صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت شاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمر قبح من طليعة قوم والحميت بفتح المهملة

وكسر الميم وسكون التحتية ففوقية الزق، نسبته إلى السمن والدسم بدال فسين مكسورة، الكثير الودك، والأحمس بحاء وسين مهملتين الذي لا خير عنده؛ من قولهم عام أحمس أي لا مطر فيه (أنظر الزرقاني) فقال ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا قاتله الله، فما تغني دارك عنا. قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس في دورهم وإلى المسجد.

ولما انتهى عليه السلام إلى ذى طوى وقف على راحلته ووضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه بضم المهملة والنون بينهما مثلثة ساكنة أي لحيته ليكاد يمس رحله، ولما وقف هناك قال أبو قحافة لابنة له وقد كف بصره أظهريني على أبي قبيس فأشرفت به عليه فقال ما ذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا، قال تلك الخيل. قالت وأرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال ذلك الوزاع يعني الذي يأمر الخيل، ثم قالت والله انتشر السواد، فقال قد والله أذن، دفعت الخيل فاسرعي إلى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. ولما دخل عليه السلام المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية. قال أبو بكر هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه، فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال أسلم، فأسلم. وراه صلى الله تعالى عليه وسلم وكأن رأسه ثغامة فقال غيروا من شعره ودخل يومئذ خالد بن الوليد من أسفل مكة من كدى بالضم والقصر وكان على المجنبه اليمنى وهو بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون المشددة كما في الزرقاني وكان أبو عبيدة على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة قراء وهم الذين لا دروع لهم وكون أبي عبيدة على الحسر رواه أحمد والنسائي وروى مسلم أن أبا عبيدة كان على البياذقة بفتح الموحدة وخفة التحتية فألف فذال معجمة فقفاء فتاء تأنيث أي الرجالة، فارسية معربة، فلما دخل خالد من كدى وجد بها جموعا من بني بكر وناسا من هذيل ومن الأحابيش فقاتلوا خالدا ورموه بالنبل فقاتلهم فانهزموا، أقبح الإنهزام وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة

وعند ابن سعد والواقدي وقتل أربعة وعشرون رجلا من قريش ويحتمل الجمع بأنه من مجاز الحذف أي من حزب قريش حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة بفتح المهملة والواو وبينهما زاي ساكنة ثم راء فهاء تأنيث كانت سوقا بمكة ثم أدخلت في المسجد وهربوا حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال، ونظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى البارقة فقال ما هذه البارقة وقد نهيت عن القتال؟ فقالوا نظن أن خالدا قوتل وبدء بالقتال. قال ابن عقبة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد، لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟ فقال هم بدؤونا بالقتال وقد كفت يدي ما استطعت. فقال عليه السلام قضاء الله خير وقتل يومئذ من خيل خالد رجلان شذا عنه سلكا طريقا غير طريقه وهما حبيش بمهملة ثم موحدة ثم تحتية ثم معجمة كما رواه الأكثر وروي أنه بمعجمة فنون فتحتية فمهملة والصواب الأول كما في الإصابة وهو مصغر على كلا الضبطين ابن الأشعري بشين معجمة وعين مهملة وهو لقب واسمه خالد بن سعد الخزاعي أخو أم معبد صاحبة قصة الهجرة وثانيهما كرز بضم الكاف وسكون الراء ابن جابر بن حسل بمهملتين بكسر فسكون ابن الأحب بمهملة مفتوحة فموحدة مشددة الفهري وكان من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرجه عليه السلام في بدر الأولى وأسلم قديما وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم في أثر الرعبيين وأصيب من خيل خالد أيضا سلمة بن الميلاء الجهني، ولما دخل عليه السلام مكة عهد إلي أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات ابن الحارث القرشي العامري وكان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد وفر يوم الفتح إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له فزعموا أنه عليه السلام صمت طويلا ثم قال نعم. فلما انصرف عثمان قال لمن حوله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل هلا أومأت إلي، فقال إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين. وأفاد سبط بن الجوزي أن

الرجل عباد بن بشر وقيل عمرو حسن إسلامه وكانت له ولله الحمد
المواقف المحمودة في الفتوح، وهو الذي افتتح إفريقية ومنهم ابن خطل
بفتح المعجمة وفتح الطاء المهمة قيل اسمه عبد الله وقيل هلال ورده
القسطلاني واسم خطل عبد مناف من بني تميم ابن فهر، ذكر الواقدي
ان ابن خطل خرج إلى الخدمة ليقاتل على فرس وبيده قناة فلما رآه
خيل الله دخله الرعب حتى ما يستمسك من الرعدة فرجع حتى أتى
الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت استار البيت. فأمر
عليه السلام بقتله فقتل وفي المواهب أن أصبح ما ورد في تعيين قاتله
انه أبو برزة بفتح الموحدة والزاي بينهما راء ساكنة نضلة بنون
مفتوحة ومعجمة ساكنة ابن عبيد الأسلمي وقيل قتله الزبير وقيل
اشترك فيه أبو برزة وسعيد بن حريث المخزومي وقيل استبق إليه
سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق إليه سعيد فقتله وإنما أمر عليه
السلام بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه عليه السلام مصدقاً وبعث معه رجلاً
من الأنصار وكان الأنصاري يخدمه فنزل منزلاً فأمره أن يصنع له
طعاماً ونام فاستيغظ ولم يصنع شيئاً فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركاً.
ولأنه كان له أمتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم. وممن أمر بقتله أيضاً قينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجوه
عليه السلام والقينة الأمة غنت أم لا وكثيراً ما يطلق على المغنية، وهما
فرتنا بفاء مفتوحة وراء ساكنة فمثناة فوقية فنون فالف وقريبة
بالقاف والراء والموحدة مصغراً وضبطه الصغاني بفتح القاف وكسر
الراء أسلمت إحداهما وقتلت الأخرى. ولغير ابن أسحاق أن فرتنا هي
التي أسلمت ومنهم سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن المطلب بن
عبد مناف وهي التي وجد معها كتاب حاطب بن بلتعة وقيل كانت مولاة
للعباس وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم تغني به، ومنهم أرنب ذكر الحاكم أنها كانت مولاة لابن خطل
فقتلت، ومنهم عكرمة ابن أبي جهل أسلم وحسن إسلامه روي انه هرب
ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته أم حكيم
بنت عمه الحارث أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم، وروي أنه لما رجع معها جعل يطلب جماعها فتأبى وتقول

أنت كافر وأنا مسلمة فقال ان أمرا منعك مني لا أمر كبير. فلما وافى مكة قال عليه السلام لأصحابه يأتاكم عكرمة مؤمنا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي، ومنهم الحويرث بالتصغير بن نقيد بنون وقاف مصغرا بن وهب بن عبد بن قصي كان يعظم القول في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وينشد هجاءه ولما حمل العباس فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نخس الحويرث الجمل بهما فرمى بهما الأرض وشارك هبارا في نخس جمل زينب لما هاجرت وقتله علي ومنهم مقيس بميم فقاف ثم سين مهملة ابن صبابه بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة الليثي وكان أخوه هشام بن صبابه قد قتله رجل من الأنصار خطأ في غزوة ذي قرد يظنه من العدو فجاء مقيس المدينة مظهرا للإسلام فأخذ الدية فلما وجد غرة من قاتل أخيه عدا عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركا فأهدر دمه وقتله نميلا تصغير نملة ابن عبد الله الليثي رجل من قومه فقالت اخت مقيس في ذلك:

لعمري لقد أخزى نميلا رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فله عينا من رأى مثل مقيس اذا النفساء أصبحت لم تخرس

ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح التحتية وآخره سين مهملة وخرس المرأة صنع لها الخرسة بالضم وهي طعام النفساء، ومنهم هبار بفتح الهاء وتشديد الموحدة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ناخس جمل زينب وكان شديد الأذى للمسلمين، أسلم رضي الله تعالى عنه بالجعرانة ومنهم كعب بن زهير وأسلم بعد ذلك ومدح، ومنهم هند بنت عتبة ذكرها الحاكم فيمن أهدر دمه أسلمت فأتته عليه السلام بالأبطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم كشفت نقابها فقالت أنا هند بنت عتبة. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بك. ومنهم وحشي بن حرب أسلم وأتاه عليه السلام، قال فلما رأيته، قال وحشي!؟ قلت نعم يا رسول الله! قال أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما أفرغت قال ويحك غيب وجهك عني، فكنت

أتنكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله؛ ومنهم الحارث بن طلائل الخزاعي قتله علي ذكره أبو معشر كذا في المواهب وشرحها وذكر غير واحد أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو جمعوا أناسا بالخدمة بالخاء المعجمة ونون جبل في أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل ابن الميلاء من خيل خالد وقتل من المشركين اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا، وفي ذلك يقول جماش بن قيس بجيم مكسورة وميم مخففة وشين معجمة يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان يصلح سلاحه ويعدّها أن يخدمها بعض المسلمين ويقول:

إن تقبلوا اليوم فمالي علي هذا سلاح كـامل وأله وذو غرارين سـريع السـله

ولما فر ولامته قال:

إنك لو شهدت يوم الخدمة إذ فر صفوان وفر عكرمه أبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمه يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا تسمع إلا غمغمه لهم نهيت خلفنا وهمهمه لم تنطقي باللوم أدنى كلمه والآلة بفتح الهمزة الحربة العريضة النصل والسلاح وجميع أداة الحرب، وذو غرارين تثنية غرار بالكسر وهو حد السيف، والغمغمة أصوات الأبطال عند القتال، والنهيت الزئير والهمهمة تردد الزئير في الصدر، قاله في القاموس وقوله وأبو بقلب الهمزة وأبو يزيد سهيل بن عمرو والمؤتمه كم طفل امرأة لها أيتام وجمعها مئاتم والمؤتمه الأسطوانة قاله في الحلة السيرا ويروى هذا الشعر أي الأخير للمرعاش الهذلي.

وفي البخاري وغيره أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء زود بنسج من الدروع على قدر الرأس وفي مسلم أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء وكانت الخطبة عند باب الكعبة وجمع بينهما باحتمال أنه أول دخوله على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة، وإن العمامة ملفوفة فوق المغفر إشارة للسؤدد أو كانت تحت المغفر، وقاية لرأسه الشريف

من صدا الحديد وفي البخاري عن أسامة انه قال قبل ان يدخل مكة بيوم يا رسول الله أين تنزل غدا في دارك بمكة؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل؟ وكان عقيل وارث أبا طالب هو وطالب ولم يرثه علي ولا جعفر، لأنهما كانا مسلمين وأخرجهم الفاكهاني وقال في آخره ويقال ان الدار التي أشار إليها كانت دار هاشم ثم صارت لعبد المطلب فقسمها بين ولده ثم صار له صلى الله تعالى عليه وسلم نصيب إبيه اهـ.

وقوله في دارك بحذف الاستفهام؟ وفي البخاري قال عليه الصلاة والسلام منزلنا إن شاء الله تعالى إذا فتح الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر أي في حال كفرهم أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم وحصروهم في الشعب يعني بالخيف المحصب، قال الحافظ والخيف ما انحدر من غلط الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

وفي البخاري عن أم هانئ بنت أبي طالب انه عليه السلام يوم فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى الضحى ثمان ركعات ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته وأجارت أم هانئ حموين لها أي رجلين من أقارب زوجها وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي أي ابن أبي طالب فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بأم هانئ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ فالرجلان المذكوران الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية وقيل ثانيهما عبد الله بن أبي ربيعة، وأما ما روي من أنهما الحارث وهبيرة زوجها فليس بشيء لأن هبيرة هرب عند الفتح إلى نجران ومات بها مشركا، قاله الحافظ؛ ولما كان الغد من يوم الفتح في عشرين من رمضان قام عليه السلام خطيبا على باب البيت بعدما خرج منه بحمد الله ثم قال أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا إن الله تعالى قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما حلت لي

ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس فاليبلى شاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. قال اذهبوا فأنتم الطلقاء بضم الطاء وفتح اللام وقاف أي الذين أطلقوا فلم يفترقوا ولم يسترقوا والطلاق الأسير إذا أطلق والمراد بالساعة التي أحلت له عليه السلام من طلوع الشمس إلى العصر قوله إن الله حرم مكة أي أظهر تحريمها للملائكة وإن لم توجد يومئذ لكن أرضها موجودة إذ هي أول ما وجد من الأرض فتحريمها أمر قديم وشرعية سالفة ولا ينافيه ما في مسلم أن إبراهيم حرم مكة فإن اسناد التحريم إليه من حيث أنه بلغه ويسفك بكسر الفاء وقد تضم وهما لغتان والسفك صب الدم ويعضد بفتح التحتية وكسر المعجمة أي يقطع بالمعضد وهو آلة كالفاص قال الحافظ والمأذون له فيه القتال لا قطع الشجر وذكر الواقدي أنه قبض مفتاح السقاية من العباس ومفتاح البيت من عثمان، وروى ابن أبي شيبه أنه أتى بدلو من زمزم فغسل منها وجهه ما تقع منه قطرة إلا في يد إنسان إن كانت قدر ما يحسوها حساها وإلا مسح جلده والمشركون ينظرون، فقالوا ما رأينا ملكا قط أعظم من اليوم. قال في المواهب وقد أجاد العلامة الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة:

تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
في قاتم من عجاج الخيل والإبل
عمرم كجناح الليل منسجل
في بهو إشراق نور منك مكتمل
متوج بعزيز النصر مقتبل
ثوب الوقار لأمر الله ممثّل
بك المهابة فعل الخاضع الوجل
ملكك إذ نلت منه غاية الأمل
والجويزهر إشراقا من الجدل
والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
وسائق من قضاء غير ذي حول

ويوم مكة إذ أشـسـرفت في أمم
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب
وأنت صلى عليك الله تقدمهم
ينير فوق أغر الوجه منتجب
يسمو أمام جنود الله مرتديا
خشعت تحت بهاء العز حين سمت
وقد تباشر أملاك السماء بما
والأرض ترجف من زهو ومن فرق
والخيل تختال زهوا في أعنتها
لولا الذي خطت الأقدام من قدر

أهل تهلان بالتهليل من طرب
الملك لله هذا عز من عقسدت
شعبت صدع قريش بعدما قذفت
قالوا محمد قد زادت كتائبه
فـويل مكة من اثار وطأته
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم
أضربت بالصفح صفحا عن طوائهم
رحمت واشج أرحام أتيح لها
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف
أزكى الخليفة أخلاقا وأطهرها
زان الخشوع وقارمنه في خفر
وطفت بالبيت محبورا وطاف به
وحل أمن ويمن منك في يمن
وأصبح الدين قد حفت جوانبه

وذاب يذبل تهليلا من الذبل
له النبوة فوق العرش في الأزل
بهم شعوب شعاب السهل والقلل
كالأسد تزئير في أنيابها العصل
وويل أم قريش من جوى الهبل
تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
طولا أطال مقليل النوم في المقل
تحت الوشيح نشيج الروع والوجل
مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
أرق من خفر العذراء في كلل
من كان عنه قبيل الفتح في شغل
لما أجابت الى الإيمان عن عجل
بعزة النصر واستولى على المل

قوله أشرفت أي علوت عليها وظهرت على أخذها، وتضيق بالتاء والياء،
والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والوعث بفتح الواو
وسكون المهملة ومثلاثة المكان الواسع الدهس بمهمله فهاء مفتوحتين
فمهملة تغيب فيه الأقدام ويشق المشي فيه، والسهل بسكون الهاء
وفتحها ضرورة ونسخة بضميتين جمع سهل ما لان من الأرض ولم يبلغ
أن يكون وعثا، والإضافة بيانية؛ وخوافق بالجر بدل من أمم بتقدير
الضمير أي منها والمراد راياتها من خفقت الراية تخفق بكسر الفاء
وضمها أو صفة لأمم من خفق الأرض بنعله وخفق في البلاد ذهب، والبرق
لمع والطائر طار فوصفها بسرعة السير ولمعان الحديد وصوت وقع
الحوافر وبالرفع مبتدأ أي لها خوافق أي رايات أو خبر أي هي يعني
الأمم، والذرع الواسع والخافقان المشرق والمغرب؛ وقاتم مغبر وعجاج
بفتح المهملة أي غبار؛ والجحفل الجيش الزائد على أربعة آلاف. قال في
الحكم إن كان فيه خيل وقذف الأرجاء بفتح القاف والذال المعجمة
وبضمها أي متباعد النواحي واللجب بالتحريك كثرة الأصوات وعمرم
بفتح أوله وثانيه أي كثير العدد وشبهه بالليل في سده الأنف واسوداده

لكثرة السلاح، وفي نسخة كزهاء السيل بضم الزاي أي قدره ومنسحل بسين وحاء مهملتين اسم فاعل أي مسرع في سيره وتقدمهم بضم الدال أي تتقدم عليهم أي التقدم المعنوي لأنك الأمر المطاع لا الحسي لأنه قدم الكتائب أمامه؛ والبهو البناء العالي ومكتمل أي تام شبه جسده الشريف بالبناء المرتفع واستعار له اسمه وأضافه إلى إشراق النور المحيط به أو استعار البهو للجيش وأراد بالنور ما علاه من البهاء والمعنى وأنت تقدمهم في جيش عظيم كالبناء المرتفع في عدم الوصول إليه وذلك البناء ذو نور مشرق وقوله عقدت بالبناء للمفعول أي أظهرت والأزل بالتحريك القدم والمجور متعلق بعقدت وفوق العرش حال منه والمراد به مجرد التعظيم لأن النبوة موجودة حقيقة في الأزل قبل وجود الأشياء فلا عرش وشعبت بفتح المعجمة والمهملة، أصلحت، والصدع الشق وشعوب بفتح المعجمة وضم المهملة علم للمنية لا ينصرف من شعب إذا فرق لأنها تفرق الجماعات فشعب من الأضداد وشعاب بالنصب جمع شعب بالكسر فيهما وقذفت أي رمت والقل جمع قلة وهي هنا رأس الجبل وقالوا أي أهل مكة وزادت كثرت وتزأرتصوت والعصل بضميتين جمع أعصل وهو الناب الشديد المعوج وويل كلمة يعبر بها عن المكروه والجوى الحزن والهبل الثكل وقوله فجدت عفوا إلخ.. أي سهلا من غير كد في السؤال وقوله بفضل العفو أي ترك العقوبة مع القدرة عليها فمعنى العفو مختلف وتلمم من ألم بالشيء إذا دنا منه أو نال منه يسيرا يعني أنه عليه السلام لم يقابل أهل مكة باللوم فضلا عما فوقه بل صفح عنهم أي ترك عقابهم مع القدرة عليهم فهو بمعنى العفو وطوائهم جمع طائلة أي عداوة وطولا بالفتح أي تفضلا ومنا وواشج بمعجمة وجيم أي مختلط وإضافته لأرحام من إضافة الصفة للموصوف أي أرحاما مختلطة وأتيح بالبناء للمجهول قدر ونائبه نشيج بفتح النون وكسر المعجمة وبالجيم وهو بكاء يخالطه شهيق والوشج بفتح الواو وكسر المعجمة وبالجيم ما نبت من القنا ملتفا وقيل عامة الرماح والمعنى ان الذين رحمتهم قرابتهم شديدة الاتصال بك فأزلت عنهم البكاء لما اشتد روعهم ووجلهم من سطوة جيشك والروع والوجل مترادفان واللفظ بالتحريك وزان من الزينة وفاعله وقار

والخفر محركة شدة الحياء والكلل بكسر الكاف جمع كلة بكسرهما أيضا وهو ستر رقيق ومحبورا منعما والمنتجب المتخير من أصل نجيب أي كريم والمقتبل المستقبل الخير على كسر الياء وبفتحها المقابل بالخير من قولهم رجل مقتبل الشباب أي لم ير فيه أثر كبر. وقوله ينير بضم التحتية أي يضيء النور المذكور فوق أغر الوجه أي أبيضه ومتوج لابس للتاج الذي تلبسه الملوك وهو شبه عصابة تزين بالجواهر ويسمو يعلو ومرتديا حال والوقار العظمة والسكينة وترجف بضم الجيم تهتز أي كادت تهتز، قال تعالى: {وبلغت القلوب الحناجر} أي كادت تبلغها إذ لو بلغت لما اتوا والزهو السرور والفرق الفزع فهي تهتز من أجل السرور بهذا الجيش لإزالته ما كان بها من الفساد ومن الفزع من صولته والجو ما تحت السماء ويزهر بفتح الهاء يضيء والجدل الفرع وتختال زهوا أي تتبختر في مشيتها كبرا وعجبا فتغاير معنى الزهو هنا مع ما سبق والأعنة جمع عنان بالكسر وهو سير اللجام والعيس الإبل البيض يخالط بياضها شقرة وتنثال بفتح الفوقية وسكون النون فمثلثة فلام تنصب من كل جهة ورهوا بالراء أي ذات رهو وهو السير السهل وقال الطرابلسي أي ساكنة أو متتابعة انتهى.

وكأن المراد بسكونها أنها انتصبت مطمئنة بلا فزع وثنى بكسر المثناة وفتح النون والجدل بضممتين جمع جديل وهو الزمام الجدول أي المصفور وثنى الجدل ما انثنى منها أي التوى على أعناق الإبل والزمام ما كان في الأفق وحول بكسر ففتح أي تغير وأهل بفتحات واللام ثقيلة أي رفع صوته وثهلان بمثلثة مفتوحة جبل معروف والتهلل قول لا إله إلا الله ويذبل كينصر اسم جبل والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت وإذا قطعت كذلك كانت أجود وأصلب وتهللا صياحا من أجل الفزع انتهى. وغالب التفسير للزرقاني وبعضه للقسطلاني.

ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الأنصار بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إليه فلما قضى الوحي قال يا معشر الأنصار، قالوا

لبيك يا رسول الله قال قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال فما اسمي إذا؟ كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم الحيا محياكم والممات مماتكم، فأقبلوا إليه يبكون يقولون والله يا رسول الله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم. الضن بكسر الضاد المعجمة وشد النون أي البخل والشح به، أي ان يشركنا فيه أحد غيرنا كما ضبطه الشامي ولعله الرواية وإلا ففتحتها لغة أيضا ويعذرانكم بكسر الذاق يقبلان عذرهم وهم فضالة بفتح الفاء ابن عمير بن الملوح بضم الميم وفتح اللام والواو المشددة الليثي أن يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنى منه قال له عليه السلام أفضالة؟ قال نعم يا رسول الله. قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء كنت أذكر الله. وضحك عليه السلام ثم قال استغفر الله ثم وضع يده المباركة على صدره، فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه، قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث، فقلت لا. وانبعث يقول:

قالت هلم إلي الحديث فقلت لا يابا على الله والإسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى واضحا والشرك يغشى وجهه الإظلام
وطاف عليه السلام بالبيت سبعا على القصواء والمسلمون معه ومحمد بن مسلمة أخذ بزمام الناقة وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وقيل يوم الاثنين. قال الزرقاني ولا عارض له وكان حول البيت ثلاث مائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيبه، وفي مسلم بسية القوس وهي بكسر المهملة وتخفيف التحتية ما عطف من طرفه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فيقع الصنم لوجهه وللطبراني فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة في الأرض قد شد لهم ابليس أقدامها بالرصاص فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته ولابن أبي شيبه عن عمر فما وجدنا مناخا في المسجد حتى أنزل على أيدي الرجال وصح عن ابن عمر قال أقبل

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء وهو يقرأ سورة الفتح يرجع صوته بالقراءة وهو مردف أسامة ومعه بلال وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم دعى عثمان بن طلحة فقال إئتني بالمفتاح فذهب إلى أمه سلافة بضم السين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء بنت سعيد الأنصارية وأسلمت بعد فأبى أن تعطيه المفتاح وعن الواقدي أنها قالت له واللات والعزى لا أدفعه إليك، فقال لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه فجاء به إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ففتح الباب، وعثمان هذا له صحبة وهجرة ولا ولد له وأبوه طلحة قتل بأحد كافرا ثم دفع المفتاح إلى عثمان وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. وقال القسطلاني ويقال له أي لعثمان الحنبلاني بفتح الحاء المهملة والجيم زاد في الفتح ولآل بيته بحجبهم الكعبة ويعرفون الآن بالشيبين نسبة إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة وشيبه هذا من مسلمة الفتح وهو ابن عم عثمان بن طلحة المتقدم وعثمان لا ولد له كما مر.

خاتمة:

قال أكثر العلماء ان مكة فتحت عنوة واحتجوا بما وقع التصريح به في الأحاديث الصحيحة من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وتصريحه عليه السلام بأنها أحلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسى به في ذلك. وعن الشافعي أنها وقعت صلحا بما وقع من التأمين وإضافة الدور إلى أهلها ولأنها لم تقسم وأجيب بأن التأمين إنما يكون صلحا إذ كف المؤمن عن القتال وقريش لم تلتزم ذلك بل استعدوا للحرب وقاتلوا فقاتلهم الصحابة حتى هزموهم ودخلوها عنوة وأجيب عن الثاني بأن ترك القسمة لا يستلزم عدم العنوة وقد تفتح البلدة عنوة ويترك لهم دورهم وغنائمهم وقد فتح أكثر البلاد عنوة فلم تقسم وذلك في زمن عمر وعثمان وقد زادت مكة بأمر يمكن أن يدعى اختصاصها به دون بقية

البلاد وهي دار النسيك ومتعبد الخلق وقد جعلها الله تعالى حرما سواء العاكف فيه والبادي أنظر فتح الباري والمواهب وشرحها، وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسع عشرة وروي خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة لأنه لم ينو إقامة، قال الكلاعي ومما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان، وذكر ابن هشام أنه قالها قبله:

عفت ذات الأصابع فبالجواء
ديار من بني الحسحاس قفر
وكسنت لا يزال بها أنيس
فمدع هذا ولكن من لطيف
بشعثاء التي قد تيمته
كأن سبيئة من بيت راس
إذا ما الاشربات ذكرن يوما
نوليها الملامة ان ألما
ونشربها فتتركنا ملوكا
عدمنا خيلنا إن لم تروها
ينازعن الأعنة مصغيات
تظل جسادنا متمطرات
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
وجبريل رسول الله فينا
وقال الله قد أرسلت عبدا
شهدت به فقوموا صدقوه
وقال الله قد يسرت جندا
لنا في كل يوم من معد
فنحكم بالقوافي من هجانا
ألا ابلغ أبا سفيان عني
بأن سيوفنا تركتك عبدا
هجوت محمدا فأجبت عنه
أتهجوه ولست له بكفاء

إلى عذراء منزلها خلاء
تعفتها الروامس والسماء
خلال مروجها نعم وشاء
يؤرقني إذا ذهب العشاء
فليس لقلبه منها شفاء
يكون مزاجها عسل وماء
فهن لطيب الراح الفداء
إذا ما كان مغث أو لحاء
وأسدا ما ينهنها اللقاء
تثير النقع موعدها كداء
على اكتافها الأسل الظماء
تلطمهن بالخمير النساء
وكان الفتح وانكشف الغطاء
يعز الله فسيه من يشاء
وروح القدس ليس له كفاء
يقول الحق ان نفع البلاء
فقلتم لا نقوم ولا نشاء
هم الأنصار عرضتها اللقاء
سبأ أو قستال أو هجاء
ونضرب حين تخطل الدماء
مغلغلة فقد برح الخفاء
وعبد الدار ساداتها الإماماء
وعند الله في ذاك الجزاء
فشركما لخيركما الفداء

فمن يهجو رسول الله منكم
فإن أبي ووالده وعرضي
لساني صارم لا عيب فيه
وبحسري لا تكدره الدلاء
وكذلك ذكر موسى بن عقبة أن حسان قال هذا في مخرج رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الفتح وأنه لما دخل مكة نظر إلى النساء
يلطمن الخيل بالخمير فالتفت إلى أبي بكر رضي تعالى عنه فتبسم لقول
حسان يلطمهن بالخمير النساء، السبيئة ككريمة الخمر وببيت رأس
موضع بالشام تنسب إليه الخمر والمغث الخصام وكداء بالفتح والمد من
أعلى مكة وهو الذي دخل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكدى
بالضم والقصر من أسفلها وهو الذي دخل منه خالد ومن معه، وأما ما
في مرسل عروة أن خالد دخل من كداء بالفتح والمد من أعلاها وأنه عليه
السلام دخل من أسفلها من كدى فهو مخالف للأحاديث الصحيحة
المسندة في البخاري كما قاله الحافظ وغيره. وقوله الأسل أي الرماح
وفي نسخة الأسد جمع أسد وتمطرت الخيل جاءت بعضها يسبق بعضها
وأنكر الخليل غير يطمهن بتقديم الطاء على اللام أي ينفضن بخرهن
ما عليهن من غبار ونحوه وفي القاموس، التطليم ضربك الخبزة بيدك
ومنه قول حسان رضي الله تعالى عنه يطمهن بخر النساء ورواية
يلطمهن أي بتقديم اللام ضعيفة أو مردودة أي تمسح النساء العرق عنهن
بالخمير انتهى منه.

ومصغيات أي مميلات رؤوسهن كالمستمع، وعرضتها بالضم أي همتها،
ونحكم بضم الكاف نرد ونمنع من حكمت الدابة بالتحريك وهي ما أحاط
بحنكي الفرس من اللجام. وقال الشاعر:

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم
إني أخاف عليكم أن أغضبها
والمعنى أنا نفحهم فتكون قوافينا لهم كالحكمة للدابة، وقوله مغلفة
قال في القاموس ورسالة مغلفة محمولة من بلد إلى بلد انتهى.

وبرح الخفاء ظهر أو ذهب فسر بهما وقوله ويمدحه أي ومن يمدحه. ومن
شعر الفتح قول ابن الزبيري رضي الله تعالى عنه:

منع الرقباد بلابل وهموم
والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني
فيه فسبت كأنني محموم

عيرانة سرح اليدين غشوم
اسديت إذ أنا في الضلال أهيم
سهم وتأمرني بها مخزوم
أمر الغوات وأمرها مشؤوم
قلبي ومخطء هذه محروم
ودعت أواصر بيننا وحلوم
زلي فلإنك راحم مرحوم
نور أغسر وخاتم مختوم
مستقبل في الصالحين كريم
فسرع تمكن في الذرى وأروم
الرواق ككتاب وغراب قال في القاموس

يا خير من حملت على أوصالها
إني لمعتذر إليك من الذي
أيام تأمرني بأغسوى خطة
وأمد أسباب الردى ويقودني
فالיום آمن بالنبي محمد
مضت العداوة وانقضت أسبابها
فاغفر فدى لك والدي كلاهما
وعليك من علم المليك علامة
الله يعلم أن أحمد مرسل
قرم علا بنياناه من هاشم
البلابل: الأحزان وكذا الهموم، والرواق ككتاب وغراب قال في القاموس
هو من الليل مقدمه وجانبه انتهى.

ومعناه والله تعالى أعلم مكتنز الظلمة والبهيم الأسود والخطة بالضم
شبه القصة والأمر والأواصر الأرحام والقربات والأروم ويضم الأصل ثم
بعد الفتح «غزوة حنين» بالتصغير كما في التنزيل وهو واد قرب ذي
المجاز وهو سوق للعرب على فرسخ من عرفة بناحية كبكب كجعفر جبل
وراء الخطيب إذا وقف وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب
الطائف سمي باسم حنين بن قايين بن مهاليل وتسمى غزوة هوازن
قبيلة كبيرة فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة
بن خصفة بمعجمة فمهملة مفتوحتين بن قيس عيلان، وسببها أنه عليه
السلام لما فرغ من الفتح تملأت هوازن وثقيف على حرب المسلمين
وأشفقوا أن يغزوهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا إن محمدا
لاقي قوما لا يحسنون القتال فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم وروى
الواقدي أن هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤسائهم في
العرب فأجمعت هوازن أمرها وكان رئيسهم مالك بن عوف وهو يومئذ
ابن ثلاثين سنة وأسلم بعد غزوة الطائف وصحب فخرج إليهم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اثني عشر ألفا من المسلمين عشرة
آلاف خرج بهم من المدينة وألفين ممن أسلم من أهل مكة قاله في المواهب
والآلاف العشرة أربعة آلاف من الأنصار وألف من جهينة وألف من

مزيّنة إلى آخرها رواه أبو الشيخ قتاله الزرقاني، قال الشامي وعلى قول عروة والزهرري وابن عقبة يكون جميع من سار بهم أربعة عشر ألفاً لأنهم قالوا أنه قدم مكة بإثنى عشر ألفاً وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء قال شيخنا ولا يتعين بل يجوز أن الألفين الذين لحقوا به بعد خروجه من المدينة رجعوا بعد الفتح وبقي من خرج معه من المدينة وانضم إليهم ألفان من الطلقاء قتاله الزرقاني.

ولما خرج استعمل عتاب بفتح المهملة والفوقية المشددة وبالموحدة ابن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون التحتية ابن أبي العيص بكسر المهملة ابن أمية الأموي بن عبد شمس. وخرج معه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وكان عليه السلام استعار منه مائة درع واستعار من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح ولما أرسل إلى صفوان يستعيّره قال أغصبا يا محمد فقال بل عارية مضمونة حتى نردها إليك واختلفوا في قوله عارية مضمونة هل هو صفة موصحة أو مقيدة فمن قال بالأول قال تضمن إذا تلفت ومن قال مقيدة قال لا إلا بالشرط نقله الزرقاني. وروى الترمذي وغيره عن الحارث بن مالك خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بجاهلية وكانت لكفار قريش ومن سواهم شجرة عظيمة يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها فرأينا ونحن نسير سدرية خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر ثلاثاً، قلت والذئ نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، لتركن سنن من كان قبلكم، قال في المواهب فوصل صلى الله تعالى عليه وسلم حنيناً ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر فرجعوا إليهم وقد تفرقت أوصالهم أي مفاصلهم من الرعب، قال الزرقاني فقال ويلكم ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى والله ما نقاتل أهل الأرض أن نقاتل إلا أهل السماء، فإن

أطعنا رجعت بقومك. فقال أف لكم بل أنتم أجبن أهل العسكر فحبسهم عنده وقال دلوني على رجل شجاع فأجمعوا له على رجل فخرج ثم رجع إليه قد أصابه كنعو ما أصاب من قبله قال ما رأيت؟ قال رأيت رجلا بيضا على خيل بلق ما يطاق النظر إليهم فوالله ما تماسكت أن أصابني ما ترى فلم يثن ذلك مالكا عن وجهه، وروى ابن اسحاق أن هوازن سألت دريد بن الصمة الرياسة عليها فقال وما ذاك وقد عمى بصري وما استمسك على ظهر الفرس ولكن أحضر معكم لأشير عليكم بشرط أن لا أخالف فقالوا لا نخالفك فجاء مالك بن عوف وكان جماع أمرهم إليه فقال لا نخالفك فقال دريد إنك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود ويومك هذا الذي تلقى فيه محمدا ما بعده يوم قال مالك إنني لأطمع أن ترى ما يسرك فخرج مالك بالظعن والأموال وأقبل دريد فقال لمالك مالي أسمع بكاء الصغير ونهاق الحمير وخوار البقر قال أردت أن أجعل خلف كل انسان أهله وماله يقاتل عنهم فقال دريد راعي ضأن والله ما له وللحرب؟ وقال وهل يرد المنهزم شيء أنها ان كانت لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فارفع الأموال والنساء والذراري إلى ممتنع بلادهم ثم ألق القوم على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك أحرزت أهلك ومالك، فقال مالك والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، فغضب دريد وقال يا معشر هوازن ما هذا برأيي ان هذا فاضحك وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه. فسل مالك سيفه وقال إن لم تطيعوني لأقتلن نفسي، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر فقال بعضهم لبعض لئن عصيناه ليقتلن نفسه وهو شاب ونبقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه فاجمعوا رأيكم مع مالك فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال:

يا ليتني فيها جسدع أخب فييها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع
وطفاء بفتح الواو وسكون المهملة وبالفاء والمد والزمع بفتح الزاي والميم
صفة محمودة في الخيل انتهى كلام الزرقاني.
والصدع محركة من الأوعال والظباء الفتى الشاب القوي قاله في

القاموس ومعنى ليتني فيها جذع أي شاب وأضع أسرع كأوضع ثم إنه عليه السلام وجه عبد الله بن أبي حدرد بمهمات كجعفر الصحابي ابن الصحابي الأسلمي إلى هوازن فأقام فيهم يوما أو يومين وللواقدي أنه أي ابن حدرد سمع مالكا يقول لأصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قبل هذه المرة وإنما كان يلقي قوما لا علم لهم بالحرب فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا. قال محمد بن عبد الباقي قوله بعشرين ألف سيف صواب ويأتي تحقيقه اهـ.

وعند ابن أبي داود عن سهل بن الحنظلية الأنصاري الأوسي ممن بايع تحت الشجرة أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فأطنبوا السير أي بالغوا فيه حتى كان عشيته فجاء رجل فارس قال الحافظ هو ابن أبي حدرد فقال اني انطلقت من بين أيديكم حتى بلغت جبل كذا وكذا وإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله، قوله عن بكرة أبيهم بفتح الموحدة وسكون الكاف قاله ابن الأثير وغيره فهو الرواية هنا وفتح الكاف لغة وهي كلمة يراد بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة حقيقة وهي التي يستقي عليها فاستعيرت هنا وكان المراد اجتماع بني أب على بكرة أبيهم التي يستقي عليها وظعنهم بضممتين أي نساءهم وأصل الظعينة الراحلة يظعن عليها أي يسار وسميت المرأة بذلك لأنها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن ولأنها تحمل على الراحلة فهي من تسمية المحمول باسم الحامل وقيل الظعينة المرأة التي في الهودج ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة ظعينة قاله القسطلاني والزرقاني وروى الحاكم وصححه عن أنس لما اجتمع الناس يوم حنين اعجبته كثرتهم فقال القوم اليوم والله نقاتل حين اجتمعنا فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قالوا وروي عن ابن اسحاق قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم لأن ظاهره الافتخار وعند ابن اسحاق أيضا انه عليه السلام قال لن نغلب اليوم من قلة قال الشامي والصحيح ان قائل ذلك غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم بغلته البيضاء وعند ابن سعد وغيره انها دلل وفيه نظر لأن دلل أهداها له المقوقس وفي مسلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفثة بضم النون وخفة الفاء ومثلثة الجذامي ولبس درعين والمغفر واستقبل الصفوف وبشرهم بالفتح ان صبروا ولما كان ثلث الليل الأخير عبأ مالك بن عوف أصحابه في واد حنين وهو واد أجوف ذو شعاب ومضايق وفرق الناس فيها وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة وعبأ صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ووضع الألوية والرايات في أهلها فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من الكثرة لأنهم أكثر من عشرين ألفا وذلك في غبش الصبح بالتحريك أي بقية ظلمته ولابن اسحاق في عماية الصبح بفتح المهملة وخفة الميم أي بقية ظلمته ولا ينافي هذا ما عند أبي داود عن أبي عبد الرحمن بن يزيد انه عليه السلام أتاه حين زالت الشمس قال ثم سرنا يومنا فلقينا العدو لأنه يجمع بينهما بأنهم ساروا بقية اليوم ونزلوا حنيننا ليلا والتقوا بغبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وكانوا كامنين فيه فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة لحدوث عهدهم بالاسلام فقالوا أخذلوه وانهزم الناس قال الحافظ والعذر لمن انهزم من غير المؤلفة ان العدو أكثر من ضعفهم انتهى.

بل في النور أنهم كانوا أضعاف المسلمين وما في البيضاوي والبغوي من أن ثقيفا وهوازن كانوا أربعة آلاف لا ينافيه بأنهم انضم إليهم من العرب ما بلغوا به ذلك. قاله الزرقاني. واقتصر الثعالبي في تفسيره على أن جموع العدو بلغت ثلاثين ألفا نقله الوالد حفظه الله في الريان ولما رأى من معه من المؤلفة ما وقع تكلم رجال بما في قلوبهم فقال أبو سفيان بن حرب وكان إسلامه مدخولا لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وصرخ جبلة بن الحنبل وقيل كلدة بن الحنبل وأسلم بعد ألا بطل السحر

اليوم. فقال له أخوه لأمه صفوان بن أمية وهو حينئذ مشرك أسكت فض الله فاك لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن وقال شيبه ابن عثمان بن أبي طلحة لما رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين ذكرت أبي وعمي قتلها حمزة أي بأحد فقلت اليوم أدرك ثأري في محمد فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائما عليه درع بيضاء قلت عمه لن يخذله فجئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث فقلت ابن عمه لن يخذله فجئته من خلفه فدنوت منه فرفع إلي شواظ من نار فنكصت على عقبي فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا شيبه ادنه، فدنوت فوضع يده في صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصري فلهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال لي يا شيبه قاتل الكفار، فقاتلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما انهزم المسلمون ثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطفق يركض بغلته قبل العدو وثبت معه عمه العباس وابنه الفضل وعلي بن أبي طالب وابنا عمه أبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وابن أبي سفيان واسمه جعفر وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد وأيمن بن أيمن وقتل يومئذ وأبوه عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال الخزرجي كذا نسبه سعد وابن منده وذلك أن أم أيمن بركة الحبشية تزوجت في الجاهلية عبيدا بمكة ثم نقلها الي المدينة وولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت الي مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري وغيره، نقله الزرقاني وصرح البخاري في ذكر أسامة بن زيد بن حارثة أن أيمن هذا رجل من الأنصار قال في الفتح وأبوه هو عبيد بن عمرو بن بلال من بني الحبل من الخزرج ويقال انه كان حبشيا من موالي الخزرج تزوج أم أيمن قبل زيد بن حارثة فولدت له أيمن واستشهد يوم حنين أيمن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نسب إلى امه لشرفها على أبيه، وشهرتها عند أهل البيت النبوي وتزوج زيد ابن حارثة ام أيمن فولدت له أسامة انتهى منه بلفظه.

وعلى أنه خزرجي اختصر القسطلاني في شرح البخاري ولفظه ونسب إلي أمه لأنها كانت أشهر من أبيه عبيد بضم العين ابن عمرو بفتحها ابن هلال الخزرجي الأنصاري ولشرفها بحضانتها صلى الله تعالى عليه

وسلم انتهى .

وقوله لابن حجر ويقال انه حبشي هو قول ابن عبد البر والصواب الأول كما في الإصابة نقله الزرقاني . ففي اقتصار البديهي على أنه حبشي مخالفة لمن رأيت وهو تابع للقسطلاني في المواهب والله تعالى أعلم .

وروى مسلم عن العباس شهدت يوم حنين فلزمته صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وأبو سفيان بن الحارث وأنا أخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو وأبو سفيان أخذ بركابه وفي البخاري عن البراء بن عازب وسأله رجل أفررتم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فقال لا لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وإنما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهم ولقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

وللبخاري في الجهاد فنزل أي عن البغلة فاستنصر وفي مسلم فقال اللهم أنزل نصرنا وجمع بينهما هنا وبين ما مر عن مسلم أن أبا سفيان كان أخذاً بزمامها أولاً فلما ركضها عليه السلام في نحر العدو خشي العباس فأخذ بلجامها يكفها وأخذ أبو سفيان بالركاب وترك اللجام للعباس إجلالاً له لأنه عمه وفي مسلم عن البراء كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وإن الشجاع منا الذي يحاذيه يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المواهب قوله لا كذب فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب وكأنه قال ولست بكاذب فيما أقول حتى انهزم بل أنا متيقن أن ما وعدني به الله تعالى من النصر حق لا يجوز علي الفرار وفي ركوبه عليه السلام للبغلة في موطن الحرب والطعن والضرب مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وإنما هي من مراكب الطمأنينة دلالة على نهايته في الشجاعة وثبات القلب والتوكل على الله تعالى

وأن الحرب عنده كالسلم وقوله أنا ابن عبد المطلب إنما انتسب لجدّه لأن شهرته بجدّه كانت أكثر من شهرته لأبيه، لأن أباه توفي شاباً في حياة عبد المطلب وشهرة جدّه ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وليس هذا بشعر وإن كان متزناً إذ لم يقصد عليه السلام وزنه، وعند ابن أبي شيبه لم يبق معه عليه السلام إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث أخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل أي بقتل الملائكة على المتبادر.

وفي الترمذي عن ابن عمر لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولون وما مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مائة رجل وقال الحافظ هذا أكثر ما وقفت عليه في عدد من ثبت. وروى أحمد والحاكم أنه ثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار وللنووي أنه ثبت معه إثني عشر وممن ذكر الزبير بن بكار أنه ثبت معه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وشيبة بن عثمان الحجبي وعند الواقدي وغيره أبا دجانة وأبا طلحة وحارثة بن النعمان وسعد بن عباد وأسيد بن حضير وأبا بشر المازني وأم سليم وغير ذلك.

قال في المواهب وقع في شعر عباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط لقوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما مسسه في الله لا يتوجع
وأقشعوا أي انكشفوا، مطاوع قشع متعدياً، وعاشرنا أيمن بن عبيد كما في الاستيعاب قاله الزرقاني، وحصل فيمن ثبت خمسة أقوال أربعة دون مائة إثني عشر ثمانون مائة رواه البيهقي. وفي الزرقاني عن الحافظ أنه قال لعل هذا يعني العشرة التي ذكر العباس هو المثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل الرجوع فعد فيمن لم ينهزم، انتهى.

وقبل البيتين المتقدمين:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي بواد حنين والأسنة تشـسرع
ولما انكشف المسلمون أمر عليه الصلاة والسلام العباس وكان صيقلاً قليل
كان يسمع صوته من ثمانية أميال فقال يا عباس نادي يا معشر
الأنصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي بايعوه تحتها بيعة
الرضوان يا أصحاب سورة البقرة وخصت بالذكر حين الفرار لتضمنها
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة أو لتضمنها أوفوا بعهدي أوفي
بعهدكم، أو ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، قاله
الزرقاني. فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت
على أولادها حتى نزل صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه في حرجة بفتح
المهمله والراء وبالجيم شجر ملتف. قال العباس فلرماح الأنصار كانت
أخوف عندي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من رماح
الكفار أخرجه البيهقي أي خاف أن يصيبه منها شيء بغير قصد لشدة
عطفهم عليه. وفي رواية فأجابوا لبيك لبيك، فيذهب الرجل ليثني
بغيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه
وترسه ويقتحم عن بغيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرهم عليه السلام أن يصدقوا
الحملة فاقتتلوا مع الكفار وعند ابن إسحاق حتى إذا اجتمع عليه مائة
منهم استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوى للأنصار ثم خلصت
أخيراً للخزرج وكانوا صبراً عند الحرب فأشرف رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس، والوطيس
التنور يخبز فيه يضرب مثلاً بعد نطقه به عليه السلام إذ هو أول من
نطق به كما صرح به غير واحد من شدة الحرب التي يشبه حرها حره
وتناول عليه السلام حصيات من الأرض ثم قال شأهت الوجوه أي قبحت
خبر بمعنى الدعاء ورمى بها في وجوه المشركين، زاد مسلم ثم قال
انهزموا ورب محمد. فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تلك
القبضة بضم القاف الشيء المقبوض وهو المناسب هنا. قال البرهان
ويجوز فتحها فما رجع الناس إلا والأسرى عنده صلى الله تعالى عليه
وسلم مكتفون وروى البيهقي والطبري وغيرهما عن رجل كان في
المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهاهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا فانهزمنّا وركبوا اكنافنا. وفي رواية وكانت إياها أي الهزيمة، وفي سيرة الدميّاطي كان سيمى الملائكة يوم حنين عمائم حمراء أرخواها بين اكنافهم وفي رواية عمائم خضر فيحتمل ان بعضها حمراء وبعضها خضر، وعن جبير بن مطعم رأيت قبل هزيمة القوم أي المشركين والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبيثوث قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ولم يكن إلا هزيمة القوم والبلاد بكسر الموحدة والجيم الخفيفة آخره دال مهملة الكساء، وجمعه بجد أراد أن الملائكة لكثرتهم واختلاط بعضهم ببعض صاروا كالبلاد المتصل أجزاءه بنسجه. وعن شيوخ من الأنصار رأينا يومئذ كالبلاد السوداء هوت من السماء ركاما فإذا نمل مبيثوث فإن كنا ننفذه عن ثيابنا فكان نصر الله أيدينا به، ولعل نزولهم في صورة النمل ليظهروا للمسلمين فسألوا عنهم ويتوصلوا بذلك للعلم لأن ذلك من معجزاته عليه السلام، نقله الزرقاني. وروى أحمد والحاكم والبيهقي برجال ثقة عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله تعالى عليهم السكينة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما فجاءت به صلى الله تعالى عليه وسلم بغلته فمال السرج، فقلت ارتفع رفعك الله، فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتألت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الأدبار والسكينة الطمأنينة وجاءت بغلته لعل معناه خرجت عن الاستقامة قاله الزرقاني.

وروى البخاري في التاريخ عن عمرو بن سفيان قال قبض صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين قبضة من الحصى فرمى بها وجوهنا فما

خيل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا انتهى.

ولما ثبت معه صلى الله تعالى عليه وسلم من ثبت، كان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح أمام هوازن إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبينما هو كذلك إذ أهوى إليه علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار فأتى علي من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه وضرب الأنصاري الرجل ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، وحدث أنس أن أبا طلحة يوم حنين استلب عشرين رجلا ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم ذو الخمار ولما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة فقاتل بها حتى قتل فقال عليه السلام أبعد الله فإنه كان يبغض قريشا وكانت راية الأحلاف مع قارب ابن الأسود، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل غير رجلين يقال لأحدهما وهب، وللآخر الجلاح، فلما قتل الجلاح قال عليه السلام قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من أمر هنيذة يعني الحارث بن أوس، ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وتبعته خيله صلى الله تعالى عليه وسلم من سلك في نخلة فأدرك ربيعة بن ربيع بالفاء مصغرا دريد بن الصمت فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، فإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ما تريد؟ قال أقتلك. قال ومن أنت؟ قال أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال بئس ما سلحتك أمك. خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأني كذلك كنت أضرب ثم إذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمت، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك، ولما ضربه تكشف فإذا بطون فخذه مثل القرطاس من ركوب الخيل اعراء فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها، فقالت أما والله لقد اعتق أمهات لك ثلاثا، وقالت عمرة بنت دريد ترثي أباه:

قالوا قتلنا دريدا، قلت قد صدقوا فظل دمعني على السربال ينحدر
لولا الذي قسهر الأقوام كلهم رأيت سليم وكعب كيف ياتمروا
اهـ من الاكتفاء. وفي الزرقاني أن ربيعة أدرك دريدا في ست مائة

نفس فقتله فيما جزم به ابن إسحاق. قال وروى البزار بإسناد حسن عن أنس لما انهزم المشركون انحاز دريد في ستمائة نفس على أكمة فرأوا كتيبة فقال حلوهم لي أي صفوهم، فحلوهم، فقال هذه قضاة ولا بأس عليكم منها.

ثم رأوا كتيبة مثل ذلك، فقال هذه سليم، ثم رأوا فارسا وحده فقال حلوه لي، فقالوا معتجر بعمامة سوداء، فقال هذا الزبير بن العوام وهو قاتلكم ومخرجكم عن مكانكم، فالتفت الزبير فرأهم فمضى إليهم وتبعه جماعة فقتلوا ثلاثمائة وحز رأس دريد بن الصمت فجفلوا بين يديه فيحتمل أن ربيعة كان في جماعة الزبير، فباشروا قتله فنسب إلى الزبير مجازا نقله الزرقاني عن الحافظ، قال في المواهب: واستشهد من المسلمين أربعة منهم أيمن ابن أم أيمن وقتل من المشركين أكثر من سبعين، قال الزرقاني أي وقت الحرب فلا ينافي حديث البزار السابق، انتهى.

وبقيتهم يزيد بن زمعة بن الأسود بن مطلب بن أسد، جمع به فرسه، الجناح بلفظ جناح الطائر فقتل وسراقة بن الحارث الأنصاري وأبو عامر الأشعري كما عند ابن إسحاق وعند ابن سعد بدل يزيد بن زمعة، رقيم بضم الراء وفتح القاف ابن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بضم اللام وسكون الواو وذال معجمة لكن ابن إسحاق ذكره فيمن استشهد بالطائف، انتهى.

وذكر ابن إسحاق أن مالك بن عوف النصري بالصاد المهملة نسبة إلى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو رئيسهم لما وصل إلى ثقيف منهزما وجاءه عليه السلام وقد هوازن فسألهم عنه، فقالوا هو مع ثقيف فقال أخبروه أنه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأوتي مالك بذلك فركب مستخفيا فأتاه فرد عليه أهله وماله وأعطاه المائة وأسلم وحسن إسلامه، وقال:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي	ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عودت أنيابها	بالسمهري وضرب كل مهند

فكانه ليث على أشبـباله وسط الهبـاءة خادر في مرصد فاستعمله عليه السلام على من أسلم من قومه وتلك القبائل فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه. انتهى المراد من كلامه. وبعث عليه السلام عبيد بن سليم بالتصغير فيهما ابن حضار بفتح المهملة وشد المعجمة فألف فراء أبا عامر الأشعري وهو عم أبي موسى عبيد الله بن قيس حين فرغ من حنين، في طلب من فر من هوازن إلى أوطاس بفتح الهمزة وسكون الواو وطاء وسين مهملتين وهو واد في ديار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين، قال الحافظ والراجح ان وادي أوطاس غير واد حنين ويوضحه أن ابن إسحاق ذكر أن هوازن لما انهزموا صارت فرقة إلى الطائف وطائفة إلى نخلة وطائفة إلى أوطاس، وكان مع أبي عامر سلمة بن الأكوع الفارس المشهور، فأنتهى إليهم أبو عامر فإذا هم مجتمعون، فقاتلوه فقتل منهم أبو عامر نفسه تسعة أخوة مبارزة، بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام، ويقول اللهم اشهد عليه، ثم برز له العاشر معلما بعمامة صفراء فدعاه إلى الإسلام وقال اللهم اشهد عليه، فقال اللهم لا تشهد علي. فكف عنه أبو عامر فأقلت ثم أسلم وحسن إسلامه.

وكان عليه السلام إذا رآه يقول هذا شريد أبي عامر بالراء، كذا ذكر ابن هشام عن من يثق به وجزم الواقدي بأن العاشر لم يسلم، وأنه الذي قتل أبا عامر وعلى الأول فاختلف فيمن قتل أبا عامر رضي الله عنه.

ف قيل رماه ابنا جشم بن معاوية وهما العلاء بفتح المهملة وأوفى فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه فقتلها أبو موسى الأشعري، وقيل أن أبا عامر قتله سلمة بن دريد بن الصمت فقتله أبو موسى وخلف أبا عامر أبو موسى في استخلافه، فقاتلهم حتى فتح الله عليه وظفر المسلمون بالسبايا والغنائم وكان في السبي الشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية ويقال فيها الشماء بلا ياء بنت الحارث بن عبد العزى واسمه جدامة بضم الجيم ودال مهملة وميم أو خذافة بضم الحاء المهملة وذال معجمة فألف ففاء أو خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة أخته عليه السلام من الرضاعة، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان

قدرتم على بجاء رجل من بني سعد فلا يفلتنكم، وكان أتاه مسلم فقتله وقطعه عضوا عضوا، ثم أحرقه بالنار فظفروا به فساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء وأتعبوها بالسير، فقالت تعلمون والله أني أخت صاحبكم فلم يصدقوها فلما انتهوا بها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت يا رسول الله إنني أختك، قال وما علامة ذلك؟ قالت عضه عضضتنيها وأنا متورككتك، فعرف العلامة فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه ورحب بها ودمعت عيناه، وقال لها إن أحببت فعندي محبة مكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، فقالت بل تمتعني وتردني الي قومي فأسلمت ومتعها عليه السلام وردها إلى قومها وأنزل الله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم إلى قوله وذلك جزاء الكافرين، ثم جمعت له صلى الله تعالى عليه وسلم سبائا أهل حنين وأموالهم فأمر بها إلى الجعرانة فحبست بها حتى أدركها منصرفه من الطائف ويأتي ذكرها إن شاء الله، وقال العباس بن مرداس السلمي في يوم حنين:

فمطلى أريك قد خلى فالمصانع
رخي وصرف الدهر للحي جامع
لبين فهل ماض من العيش راجع
فإني وزير للنبي وتابع
خزيمة والمرار منهم وواسع
لبسوس لهم من نسج داود رائع
يد الله بين الأخشبين نباع
بأسيا فنا والنقع كابن وساطع
حميم وأن من دم الجوف ناقع
إلينا وضائق بالنفوس الأضالع
قراع الأعادي منهم والوقائع
لواء كخذروف السحابة لامع
بسيف رسول الله والموت كانع
مصالا لكننا الأقربين نتابع

عفى مجدل من أهله فمتالع
ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا
حبيبية ألوت بها غربة النوى
فإن تتبعي الكفار غير ملومة
دعانا إليهم خير وقد علمتهم
فجئنا بألف من سليم عليهم
يبايعه بالأخشبين وإنما
فسجسنا مع المهدي مكة عنوة
علانية والخيل يغشى متونها
ويوم حنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا
أمام رسول الله يخفق فوقنا
عشية ضحاك بن سفيان معتص
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمر حمه الله دافع

مجدل كمنبر موضع ومتالع بالضم جبل والمطلّى بكسر الميم ويمد المسيل الضيق أو الأرض السهلة وأريك كأمر واد، وغربة بفتح المعجمة وسكون الراء فموحدة فتاء تأنيث البعد، قاله البناني. وجسنا ترددنا خلال دورها، وخذروف السحاب كعصفور البرق اللامع؛ واعتص بالسيف ضرب به ضرب العصي؛ وقوله نذود أخانا إلخ.. يريد ان سليم من قيس كما أن هوازن من قيس أي نقاتل أخواننا من هوازن عن اخواننا من سليم ولو نرى في الدين مصالا مفعلا من الصولة لكنا مع الأقربين يعني هوازن.

وفي البخاري عن أبي موسى الأشعري بعثني يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته قال أبو موسى فقلت له يا عم من رماك فأشار إلي فقال ذلك قاتلي الذي رماني.

فلحقته فلما رأيته ولي فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي، ألا تثبت، فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته فقلت لأبي عامر قتل الله قاتلك، قال فأنزع السهم مني فنزعته منه فنزى منه الماء قال يابن أخي اقرئ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مني السلام وقل له يستغفر لي ثم مات فرجعت فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر ودعى بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال اللهم أغفر لعبيد أبي عامر، ورأيت بياض أبطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة في الجنة فوق كثير من خلقك. فقلت ولي فأستغفر، قال اللهم أغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما.

ثم بعد حنين «غزوة الطائف» وقدمها الناظم فى البيت السابق لأنه لم يقصد ترتيب الغزوات وهو بلد كبير على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق، كثير الأعناب والفواكه، قاله فى المواهب. قال الزرقاني ولك الجمع بأن الثلاث من عمران مكة والاثنتين من آخر ما ينتهي إليها من توابعها المنسوبة إليها انتهى. سمي بذلك لأنه طاف على الماء فى الطوفان ولأن جبريل طاف بها على البيت، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم، أو لأن رجلا من الصدف أصاب دما بحضرموت ففر إلى وج وحالف مسعود بن معتب وكان له مال عظيم فقال هل لك ان نبني طوفا عليكم يكون لكم ردة من العرب؟ فقالوا نعم. فبناه وهو الحائط المطيف به. قاله فى القاموس.

وقال فى المواهب وقيل إن أصلها أي سبب تسميتها بذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع جنة أصحاب الصريم فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف، وكانت أولا بنوا حي صنعاء، قال الزرقاني وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بزمن يسير ذكر هذا النقاش وغيره. وفى الروض قيل وج هو الطائف، وقيل اسم واد بها ويشهد له قول الشاعر:

أتهدي لي الوعيد ببطن وج — أني لا أراك ولا تراني
ويقال بتخفيف الجيم والصواب تشديدها، ويقال وج وأج بالهمز بدل الواو، قاله يعقوب. انتهى.

وعلى التشديد اقتصر القسطلاني وواوه مفتوحة سميت برجل من العمالقة وهو أول من نزلها، قاله فى الفتح، قال الكلاعي ولما قدم فلثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حنيننا ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن مسلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق؛ ثم سار صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين أهـ المراد منه.

والدبابة مشددة آلة للحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون فيها إلى الحصون فينقبونها. وسار عليه السلام إليها في شوال سنة ثمان، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته في ألف من أصحابه، قال في المواهب وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، ورموه بالتشديد أي أصلحوه، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوات لسنة وتهيؤوا للقتال؛ انتهى.

فدنى خالد من الحصن فدار به ثم نادى بأعلى صوته ينزل إلى أحدكم أكلمه وهو آمن، أو اجعلوا لي مثل ذلك وأدخل عليكم، فقالوا لا ينزل إليك رجل منا ولا تصل إلينا، إن صاحبكم لم يلق قوما يحسنون قتاله غيرنا.

قال خالد فاسمعوا من قلبي، نزل صلى الله تعالى عليه وسلم بأهل الحصون يشرب وخبير وأنا أحذركم مثل يوم قريظة حصرهم أياما ثم نزلوا على حكمه، فقتل مقاتلهم في صعيد واحد وسبى الذرية ثم فتح مكة وأوطأ هوازن في جموعها. قالوا لا نفارق ديننا. وكانت ثقيف أدخلت معها عقيلًا وغيرهم من العرب، قال في المواهب ومرّ صلى الله تعالى عليه وسلم في طريقه بقبر أبي رغلان وهو أبو ثقيف فاستخرج منه غصنا من ذهب اهـ. وكان يتوكأ عليه كما في الزرقاني.

وروي ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عمر أنه عليه السلام قال هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف وكان من ثمود بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه اهـ وليس أبو رغال هذا هو دليل ابرهة لما مرّ بالطائف فإن بين مولده عليه السلام وهلاك ثمود ألوفًا، وسار عليه السلام حتى نزل قريبا من حصنهم ولا مثل له في حصون العرب، فرمت ثقيف المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد بكسر الراء وسكون الجيم وهو الجماعة الكثيرة، فأصيب قوم من المسلمين بجراحة، واستشهد منهم اثني عشر رجلا، منهم عبد الله بن أبي أمية أخو أم سلمة لأبيها، وسعيد بن سعيد

بن العاصي الأموي، وعرفطة بضم المهملة وسكون الراء وضم الفاء وطاء
مهملة بن حباب بضم المهملة وخفة الموحدة عند ابن عقبة وابن هشام.
ولابن اسحاق انه ابن جناب بجيم ونون الأزدي ومنهم عبد الله بن عامر
بن ربيعة حليف بنى مخزوم والسائب وعبد الله ابنا الحارث بن قيس
السهمي، وجليحة بضم الجيم وفتح اللام وسكون التحتية وحاء مهملة
بن عبد الله ومن الأنصار ثابت بن الجزع بفتح الجيم والمعجمة ومهملة
السلمي والحارث بن سهل والمندر بن عبد الله ورقيم بن ثابت ذكره هنا
ابن إسحاق وذكره ابن سعد فى شهداء حنين ويزيد بن زمعة بن الأسود
الأسدي ذكره ابن سعد هنا، وأما ابن اسحاق فعده فى شهداء حنين وهو
الذى تقدم. ورمى عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بسهم فاندمل
جرحه ثم نقض بعد ذلك فمات فى خلافة أبيه رضى الله عنهم أجمعين،
وعده ابن اسحاق وأتباعه فى الاثنى عشر وأسقط منهم يزيد بن زمعة،
كما مر، لكن عبد الله ليس بشهيد لبقائه بعد الحرب مدة طويلة كما قاله
المالكية، والشافعية، وارتفع عليه السلام بعد قتل هؤلاء إلى موضع
مسجد الطائف اليوم الذى بناه عمرو بن أمية بن وهب بن معتب لما
أسلمت ثقيف، وكانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع عليها الشمس
يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض أكثر من عشر مرات بنون وقاف
وتحتية ومعجمة أي صوت، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب
وضرب لهما قببتين وكان يصلي بين القببتين فى مدة حصارهم كلها،
وهي ثمانية عشر أو خمسة عشر يوما؛ وروى بضعا وعشرين. وروى
مسلم عن أنس أنهم حاصروهم أربعين ليلة أهـ.

ونصب عليهم المنجنيق بفتح الميم وتكسر وميمه أصلية والنون زائدة
ولذا حذفت فى الجمع وهو معرب وهو أول منجنيق رمى به فى الإسلام،
وكان قدم به الطفيل الدوسي لما رجع من سرية ذي الكفين. وذكر ابن
إسحاق ان المسلمين دخلوا فى دبابة وهي من جلود البقر يوم الشدخة
فيما شدخ فيه من الناس ثم زحفوا بها إلى جدار الحصن ليحفروه،

فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فأحرقت الدبابة، فخرج المسلمون من تحتها وقد أصيب منهم من أصيب؛ فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بقطع أعنابهم، ونخيلهم وتحريقها فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إنني أدعها لله وللرحم، أي لأن أمه أمنة أمها برة بنت عبد العزى بن قصي، وأم برة هذه أم حبيب بنت أسعد وأمها برة بنت عوف وأمها قلابة بنت الحارث وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف، قاله ابن قتيبة، قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي، ثم نادى مناديه عليه السلام أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، قال الدمياطي فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، المنبعث وكان اسمه المضجع، فسماه عليه السلام المنبعث عبد عثمان بن عامر والأزرق عبد كلة بفتح فسكون ويحسن بضم التحتية وفتح المهملة، والنون المشددة والسين المهملة، النبال عبد يسار بن مالك وأسلم بعد، فرد إليه ولاءه، وإبراهيم بن جابر عبد خرشة بفتح المعجمتين والراء بينهما ويسار عبد عثمان بن عبد الله، ونافع عبد غيلان بن سلمة فلما أسلم غيلان رد عليه الصلاة والسلام إليه ولاءه، ونافع بن مسروح ومرزوق غلام لعثمان بن عبد الله، والأزرق أبو عتبة وأبو بكر، عبد الحارث بن كلة بفتحتين قاله الزرقاني.

ولما أسلمت ثقيف تكلمت أشرافهم منهم الحارث بن كلة في أولئك العبيد ليردوهم إلى الرق فقال عليه السلام أولئك عتقاء الله لا سبيل إليهم، لكنه رد ولاء بعضهم إلى ساداتهم، ثم إن خولة بنت حكيم السلمية زوجة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله اعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان، أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف. وأمر عمر بن الخطاب أن يؤذن بالرحيل، فأذن بالرحيل، فضج الناس من ذلك فقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف، فقال عليه السلام فاغدوا على القتال، فغدوا فأصاب المسلمين جراحات ولم يفتح

لهم فقالوا يا رسول الله احرقتنا نبال ثقيف فادعوا الله عليهم فقال اللهم اهد ثقيفا وإئت بهم وفي رواية زيادة مسلمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك، وفقئت يومئذ عين أبي سفيان بن حرب، وذكر ابن سعد أنه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له وهي في يده هذه عيني أصيبت في سبيل الله، فقال إيهما أحب إليك عين في الجنة أي عين ماء لا الباصرة أو أدعو الله أن يردها عليك. قال بل عين في الجنة ورمى بها.

وروى القزويني أن أبا جهل لطم فاطمة فشكت إلى أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها أيت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل، فقال الطميه كما لطمك، ففعلت، فجاءت إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لأبي سفيان.

قال ابن عباس ما شككت أن إسلامه إلا لدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره السيوطي وشهد أبو سفيان اليرموك، تحت راية ابنه يزيد فقاتل وفقئت عينه الأخرى، رضي الله تعالى عنه. وقد أجاب الله تعالى دعاءه لثقيف، فجاءوا مسلمين سنة تسع، ولما انصرف عليه السلام من الطائف، نزل بالجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وقد تكسر وتشدد الرءاء وكان حين خرج من حنين قد أمر بجمع الغنائم إليها وحبسها بها حتى قدم فقسم الغنائم بها، بعد أن استأنى بقسمها بضع عشرة ليلة كما في الصحيح، ينتظر قدوم هوازن مسلمين، وقدم عليه هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن معي من ترون، وقد استأنينا بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسمت السبي فاختاروا إما السبي وإما المال، فاختاروا السبي وكلم عليه السلام الناس في رد سبيهم عليهم فردوهم كلهم إلا عيينة بن حصن فأبى أن يرد عجوزا عنده قال هذه أم الحي لعلمهم أن

يغلوا فداءها؛ ثم ردها بست قلائص على ما لابن إسحاق. وروي البيهقي عن الامام الشافعي انه ردها بلا شيء. وذكر بن سعد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كسى كل واحد من السبي قبطية؛ وقال ابن عقبة كساهم ثياب المعقد بضم الميم وفتح العين وشد القاف، ضرب من برود هجر، وفى الاكتفاء أن عيينة لما امتنع من رد العجوز قال زهير بن صرد والله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد أي ولا لبنها بعزيز فردها بست فرائص حين قال له ذلك. وأعطى صلى الله تعالى عليه وسلم المؤلفه قلوبهم وكانوا أشرافا يتألفهم ويتألف قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية وكل هؤلاء من أشراف قريش والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النصراني أعطى كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم، مائة بغير وأعطى دون المائة رجالا من قريش منهم مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب وأعطى سعيد بن يربوع المخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خمسين، وأعطى عباس بن مرداس أبا عير فسخطها وقال يخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

وكانت نهابا تلافيتها	بكرى على المهر فى الأجرع
وإيقاظي القوم ان يرقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
وقد كنت فى الحرب ذا تدراء	فلم يعط شيئا ولم أمنع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرء منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضى، فكان ذلك قطع لسانه. انتهى من الاكتفاء.

وزاد الزرقاني ممن أعطاه مائة أسيد بفتح فكسر بن جارية بجيم

وتحتية الثقفي، وفيه أنه أعطي العباس بن مرداس دون مائة فلما قال الأبيات أتم المائة له، وعزاه لمسلم وغيره وزاد الزقاني أيضا ممن أعطاه مائة يزيد بن أبي سفيان، وقال إنه أعطاه معها أربعين أوقية، وكذا أخوه معاوية وكذا أبوهما، وأعطى النضير بمعجمة مصغرا ابن الحارث مائة بغير أيضا.

وفي مسلم أنه أعطى لصفوان مائة من النعم، ثم مائة ثم مائة، وقال الواقدي يقال ان صفوان طاف معه صلى الله تعالى عليه وسلم يتصفح الغنائم إذ مرّ بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟ قال نعم. قال هو لك بما فيه. فقال صفوان أشهد أنك رسول الله، ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي انتهى المراد منه.

ولما أعطى هذه العطايا قال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم وحدث بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم بفتح الهزمة والبدال جلد مدبوغ ولم يدع معهم غيرهم ثم قال لهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى رحالكم؟ بالمهملة أي بيوتكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. ثم قالوا يا رسول الله قد رضينا.

وروي أنهم بكوا حتى أخضلوا لحاهم. وفي البخاري عن جبير بن مطعم بينما أنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الناس مقفله بفتح الميم وسكون القاف وفتح الفاء أي زمن رجوعه من حنين علقت بفتح العين وكسر اللام الخفيفة فقاف، برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي لزمته الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فقال الحافظ شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب، ويقال هي شجرة الطلح، فخطفت رداءه فوقف عليه السلام وقال

اعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً، وفي المواهب أن السبي ستة آلاف رأس من النساء والأطفال والإبل أربعة وعشرون ألف بغير وإن الغنم أكثر من أربعين ألفاً، والفضة أربعة آلاف أوقية قال الزرقاني ولم يذكر عدد البقر، والحمير مع أنهما كانا معهم أيضاً.

ولنذكر قصة قدوم هوازن عليه، عليه الصلاة والسلام

وكان وفد هوازن أول الوفود والوفد الجماعة المختارة للقدوم في لقاء العظماء قاله النووي وأقره في المواهب، قال الزرقاني وكأنه استعمل عرفي وإلا ففي اللغة القادم مطلقاً، ذكر ابن عقبة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما انصرف من الطائف ووصل إلى الجعرانة في الليلة الخامسة من ذي القعدة وفيها سبي هوازن قدم عليه وفد هوازن مسلمين وفيه تسعة من أشرفهم فبايعوا، ثم قالوا يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات لك فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فأبي الأمرين أحب إليكم؟ السبي أم المال؟ قالوا أخيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا. ولا نتكلم في شاة ولا بغير. فقال أما الذي لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم. وفي رواية غيره وقالوا إنا إخوانكم في الدين، وإنا نستشفع برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المسلمين فتكلم خطباءهم فأبلغوا فيه ورغبوا المسلمين في رد سبيهم ثم قام صلى الله تعالى عليه وسلم حين فرغ وشفع لهم وحض المسلمين وفي رواية أنهم قالوا له إنا أهل وعشيرة فقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك.

وقام خطيبهم وهو زهير بالتصغير بن صرد السعدي الجشمي أبو جرول ويقال أبو صرد فقال يا رسول الله إن اللواتي في الحظائر جمع حظيرة

وهي السرب الذى يصنع للإبل والغنم يكفها، وكان السبي في حظائر مثلها، خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وأنت خير مكفول، ولو أنا ملحننا أي أرضعنا والملح الرضاع للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت رجونا عطفه، وأنت خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

أمن علينا رسول الله في كرم
أمن علي ببيضة قد عاقها قدر
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن
إن لم تداركهم نعماء تنشرها
أمن علي نسوة قد كنت ترضعها
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها
لا تجعلنا كمن شالت نعماته
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت
فألبس العفو من قد كنت ترضعه
يا خير من مرحت كمت الجياد به
إنا نؤمل عفو منك نلبسه
فاعفو عفى الله عن ما أنت راهبه

قال: فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الشعر، قال: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا؛ وقال عيينة أما أنا وبنو فزارة فلا. قال العباس بن مرداس وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم بلي؛ ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال لهم عباس وهنتموني، فقال عليه السلام أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا إليهم أبناءهم ونساءهم، وقوله رسول الله منادي وفي سببية وقوله فإنك المرء ال لاستغراق أفراد الجنس أي المرء الجامع للصفات المحمودة المتفرقة في

الرجال وندخر أي لما يعرض لنا من الأهوال وقوله بيضة أي أهل وعشيرة وغير بكسر المعجمة وفتح التحتية أي تغير وانتقال من صلاح لفساد، والغماء الحزن والغمر بفتح المعجمة وفتح الميم الحقد وهتافا إلخ أي صوتا مشتملا على حزن وإن لم تداركه جوابه محذوف أي هلكوا أو هو شرط فى ابقيت، فلا حذف ومحضها بفتح الميم أي لبنها الخالص والدرر بكسر المهملة وفتح الراء الدرر، والدرر بكسر الراء كثرة اللبن وسيلانه جمع درة، ويزينك بفتح الياء وشالت نعامة ارتفعت والنعامة باطن القدم أي هلك، واستبق مفعوله محذوف أي ثناء يدوم وزهر بضميتين وكفرت بالبناء للمفعول، وقوله مشتهر أي مشتهر حسنه بين الناس، ومرحت كفرح نشطت، وكمت بضم الكاف وسكون الميم جمع كमित، والهيّاج القتال واستوقد بالبناء للمفعول، وتلبسه بضم الفوقية وكسر الموحدة وهادي منادي، أي هادي البرية، وفى نسخة هذي إشارة للنسوة وقوله فاعفوا بالإشباع والظفر: الفوز. قاله الزرقاني.

وها أنا أذكر ما وعدت بذكره إن شاء الله تعالى: وهي غزوة سليم ثم غزوة بنى قينقاع، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة حوران؛ وهذه الخمس بعد بدر وقبل أحد.

أما «غزوة بنى سليم» فهي أولها، وجزم ابن إسحاق بأنها بعد بدر، بسبعة أيام وتعرف بغزوة قرقرة الكدر ويقال قرارة الكدر ويقال قراقرز وقرقرة بفتح القافين وحكى البكري ضمهما والمعروف فتحهما وبعد كل قاف راء، أولاهما ساكنة ثم هاء تأنيث. وفى الصحاح قراقرز على فعالل بضم القاف اسم ماء ومنه غزوة قراقرز، قاله محمد بن عبد الباقي.

وفى المواهب وفى أول شوال وقيل فى نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلاة والسلام فى مائتي رجل يريد بنى سليم فبلغ ماء يقال له الكدر، وتعرف بغزوة ذي قرقرة، وهي أرض ملساء والكدر طير فى ألوانها كدرة، عرف بها ذلك الموضع، فأقام بها عليه السلام ثلاثا، وقيل

عشرا، فلم يلق أحدا. قال الزرقاني والكدر بضم الكاف وسكون الدال وسببها أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أن بهذا الموضع جمعا من بنى سليم بضم السين وفتح اللام وغطفان وذكر ابن إسحاق والجماعة أنه أرسل نفرا من أصحابه فى أعلى الوادي واستقبلهم صلى الله تعالى عليه وسلم فى بطن الوادي فوجد رعاء بالكسر جمع راع فيهم غلام يقال له يسار بتحتية ومهملة فسأله عن الناس فقال لا علم لي بهم إنما أورد الخمس وهذا يوم ربي والناس قد ارتفعوا فى المياه ونحن عزاب فى النعم.

وانصرف صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فأنحدر بها إلى المدينة واقتسموا غنائمهم وكانت خمسمائة بغير بصرار وهو بكسر الصاد المهملة فراء مهملة مخففة فألف فراء ثانية موضع قريب من المدينة وقيل بئر قديمة على ثلاثة أميال منها من طريق العراق، فأخرج خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بكران، وصار يسار فى سهمه صلى الله تعالى عليه وسلم فأعتقه وخمس بكسر المعجمة من إظماء الإبل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع وأخمس الرجل وردت إبله انتهى.

وكانت غيبته عليه السلام عن المدينة خمسة عشر ليلة واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة وقيل بن أم مكتوم وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق وسباء بكسر السين المهملة فموحدة فألف فمهملة، وعرفطة بمهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة فطاء مهملة غفاري، ويقال كنانى وصحابي شهير، واستعمله عليه السلام عليها أيضا عام خيبر، وابن أم مكتوم اسمه عمرو عند الأكثر وقيل عبد الله وهو ابن قيس بن زائدة القرشي العامري وأمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية؛ قال الزرقاني ولم تسلم. وجمع بين القولين بأنه استخلف سباعا للحكم وابن أم مكتوم للصلاة على عاداته انتهى.

ثم بعد غزوة بنى سليم على ما فى المواهب، «غزوة بنى قينقاع» بتثليث النون والضم أشهر كما قاله القسطلاني وهم بطن من اليهود، رهط عبد الله بن سلام، رضى الله عنه، قيل كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا وأشدّهم بغيا، وكانت طوائف اليهود الثلاثة قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع صالحهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يحاربوه وأن لا يألّبوا عليه وقيل أن لا ينصروه ممن دهمهم من عدوه فنقض الثلاثة العهد، فأمكن الله منهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتل قريظة وأجلى الآخرين. وأول من نقض منهم بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة، ولما أصاب المسلمون قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع، فقال يا معشر يهود احذروا من الله تعالى مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فقد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتبكم، وعهد الله إليكم، فقالوا يا محمد إنك تري أنا مثل قومك لا يغرك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. قال ابن عباس ما أنزل هؤلاء الآية إلا فيهم {قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم} إلى قوله تعالى: {إن فى ذلك لعبرة لأولي الأبصار}.

وكان من أمر قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع فجلست الى صائغ يهودي، قال البرهان والظاهر أنه من قينقاع، فراودها عن كشف قناعها، فأبت فعمد الصائغ بفتح الميم وتكسر إلى طرف ثوبها من ورائها فعقده إلى ورائها وخله بشوكة فلما قامت انكشفت سوائتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون ووقع الشر بين المسلمين وبنى قينقاع، فسار إليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى نصف شوال بعد أن استخلف على المدينة أبا لبابة بشير بفتح الموحدة أو

رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي فتحصنوا فحاصروهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة بفتح القاف وكسرها وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية، فأمر عليه السلام المنذر بن قدامة الأوسي البدرى بتكثيفهم أي بشد أيديهم خلف أكتافهم، فكتفوا فمر بهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فأراد أن يطلقهم فقال له المنذر أطلق قوما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بربطهم؟ والله لا يفعله أحد إلا ضربت عنقه.

وكلم ابن أبي فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألح عليه فقال يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خلفه وكان يقال لها ذات الفضول، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك أرسلني، وغضب عليه السلام حتى رأوا لوجهه ظللا، جمع ظلة وهي السحابة كناية عن تغير وجهه، ثم قال ويحك أرسلني، قال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر بمهملتين أي لا درع معه وثلاث مئة دارع وقد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله امرء أخشى الدوائر. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هم لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم حلوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

وتركهم من القتل وأمر أن يجلووا من المدينة فيلحقوا بأذرعات، قال ابن سعد وولي إخراجهم عبادة بن الصامت وقيل محمد بن مسلمة، فما كان أقل بقاءهم فيها قيل، لم يدر عليهم الحول وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة، وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي، فتبرء عبادة من حلفهم وفيه وفي ابن أبي أنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء} (إلى قوله) {فإن حزب الله هم الغالبون} انظر الزرقاني.

«ثم غزوة السويق» فالسويق قمح أو شعير يغلى ثم يطحن، فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل، أو وحده بالسین، قال ابن دريد وبنو العنبر يقولونه بالصاد، وكانت في ذي الحجة، بفتح الحاء وكسرهما لخمس خلون على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة، كما لابن سعد، وقال ابن اسحاق في صفر، وعن ابن اسحاق أيضا إنما كان خروجه في ذي الحجة، وذكر بعضهم أنها في سنة ثلاث وعليه فيصح كونها في صفر وسميت بذلك لأنه كان أكثر زاد المشركين، فكانوا يلقونه للتخفيف، وغنمه المسلمون واستخلف أبا لبابة على المدينة وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما رجع بالعيير من بدر إلى قريش ورجع فل قريش بفتح الفاء وشد اللام أي منهزموهم نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أي لا يمس النساء وأن لا يمس الطيب حتى يغزو محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليأخذ ثأر المشركين الذين قتلوا ببدر، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى أتى العريض بضم المهملة وفتح الراء وسكون الياء التحتية وفي النور أنه واد بالمدينة وفي الكلاعي فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة على بريد أو نحوه من المدينة، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه وانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير في زمانه وصاحب كنزهم فاستأذنه فأذن له، فقراه وسقاه، وفطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا منهم فأتوا ناحية العريض فحرقوا أصوار نخل وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفاه له ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وطرحوا من أزوادهم يتخففون منها للنجاء وكان أكثر ما طرحوه السويق. فقال المسلمون حين رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال نعم.

وفي المواهب خرج عليه الصلاة والسلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جروب السويق وهي عامة أزوادهم يتخففون للهرب ويأخذها المسلمون ولذا سميت غزوة السويق، ولم يلحقه عليه الصلاة والسلام.
وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام أي بيومي الدخول والخروج كما فى الزرقاني.

وأورد ابن هشام وأبو الربيع هذه الغزوة قبل قينقاع وعند بعض أهل السير أنها فى سنة ثلاث كما مر، وقناة بفتح القاف وخفة النون واد بالمدينة وسلام بتشديد اللام وتخفيفه ومشكم كمنبر وقراه أضاف، وسقاه أي الخمر، كما قال أبو سفيان.

سقاني فرواني كميता مدامة على ظمإ مني سلام ابن مشكم والجرب جمع جراب ككتاب، وإلى هذه الغزوة أشار الشيخ البدوي بقوله:

سفيان إذ حرق نخل يثرب	وغزوة السويق فى اثر أبي
لا يقرب النساء أو ينالا	وغال نفسين وكان ألى
مخافة اللقوق فى الطريق	وكان يلقي جرب السويق
قرقرة الكدر لقوم عندها	فسميت بذاك ثم بعدها

وقوله يثرب قال الخازن فى قوله تعالى حكاية عن المنافقين: {يا أهل يثرب} يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض، ومدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناحية منها سميت باسم رجل من العماليق كان قد نزلها، وفى بعض الأخبار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب، فقال هي طابة، كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ اهـ. وفى الذهب الإبريز عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قال للمدينة يثرب فاليستغفر الله إنها طابة ثلاث مرات، نقله فى الريان.

فائدة:

ذكر القسطلاني في شرح البخاري ان للمدينة ثمانية وعشرين إسما وانها إن علقت على المحموم شفي بإذن الله تعالى. وقد كنت نظمتها قبل فأوردت نظمها هنا للتبرك وهو:

مدينة طيبة وطيبة	محفوظة مرزوقة ومؤمنة
دار السلام ودار السنه	بدار الأبرار وبالشفافية
بيت الرسول حرم الرسول	ودار الإيمان ودار الهجرة
بدار فتح قبة الإسلام	وبالمقدسة فامحق العدا
صلى عليه فالق الإصباح	إن علقت قالوا على المحمومي
وذكر غيره من أسمائها المحبة، والمحبوبة، والمرحومة، والجابرة،	والمجبورة، والقاصمة، والعذراء وغير ذلك.

وقد ذكر القاضي في المشارق بمكة ستة عشر إسما وقد كنت نظمتها وذكرتها هنا تتيما للفائدة وهي:

أسماء خير الأرض بعد الحسنه	عمن سواه في العلوم فاقا
حين بدت مششارق الأنوار	سيدنا القاضي أبو الفضل العلم
أم القري والعرش والبساسه	كسوتى المقدسة ثم مكة
وأم رجم معها البيت العتيق	بها توسلنا الى الرحمن
وفي القاموس النس: السوق واليبس، ثم قال والناسه والنساسة: مكة،	سميت بذلك لقلة الملك بها إذ ذاك، أو لأن من بغى فيها ساقته أي أخرج

منها.

ثم يلي ذلك على ما فى المواهب « غزوة غطفان »، قبيلة من مضر وعطفان بن سعد بن قيس عيلان وتسمى أيضا غزوة ذي أمر، قال القسطلاني فى المواهب بفتح الهمزة والميم، زاد شارحه وشد الراء موضع من ديار غطفان، قاله ابن الأثير وغيره.

وأفاد قول البكري فى معجمه أفعل من المראה أنه ممنوع الصرف انتهى.

وفى نظم البدوي المجلسي وبعدها ذو إمّر وغطفان كلاهما تدعا به وتستبان ولم يتعرض شارحه لضبطه ولم يذكر فى القاموس هذا الموضع، وإنما فيه إمرة كامعة بلد وجبل اهـ.

ولعل البيت فذو أمر بعدها وغطفان وتسمى أيضا غزوة أنمار فلها ثلاثة أسماء وهى بناحية نجد وكانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهر من الهجرة، وسببها أن جمعا من بنى ثعلبة بن سعد بن قيس بن ذبيان بن بغيض بفتح الموحدة وكسر المعجمة وإسكان التحتية وضاد معجمة ابن ريث براء مفتوحة وتحتية ساكنة ومثلثة ابن غطفان، قاله الزرقاني وجمعا من بنى محارب بن خصفة بفتح الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة ابن قيس عيلان وغطفان ومحارب أبنا عم تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، جمعهم دعثور بضم الدال المهملة وضم المثلثة ابن الحارث المحاربي وسماه الخطيب غورث بفتح الغين المعجمة وحكى اهمالها وبعضهم ضم أوله وواوه ساكنة وراؤه مفتوحة وآخره مثلثة ويقال غويرث بالتصغير، بمعجمة أو مهملة، وسماه غيره غورك، بكاف بدل المثلثة مع اعجام أوله واهماله، وظاهر كلام ابن بشكوال ان دعثورا غير غورث، وفى الإصابة قصة دعثور تشبه قصة غورث المخرجة فى الصحيح فيحتمل التعدد، أو أحدهما إسم والآخر لقب.

وكان غورث شجاعا فدعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المسلمين للخروج وخرج فى أربعمائة وخمسين فارساً أي شجاعاً أو تناوبوا ما معهم من الأفراس، فلا ينافي قول ابن سعد ومعهم أفراس، قال البرهان ولا أعلم عدتها فلما سمع المشركون بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بلادهم هربوا فى رؤوس الجبال، فلما كان المسلمون بذى القصة وهو بفتح القاف والصاد المهمة الثقيلة موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة أصابوا رجلاً من بنى ثعلبة يقال له حبان بكسر الحاء، قال البرهان ولا أعلم له ترجمة فى الصحاب أهـ والصواب ما فى الشامية أنه جبار بالجيم وشد الموحدة، وبعد الألف راء، فقد ذكره ابن فتحون وصاحب الإصابة فى حرف الجيم، فقالا جبار الثعلبي، أسره الصحابة فى غزوة ذي أمر، فأدخلوه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره من خبرهم، وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤوس الجبال، وأنا سائر معك فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال ليعلمه الشرائع وأصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجففهما واضجع تحتها والمشركون ينظرون إليه، وقد اشتغل المسلمون فى شؤونهم فقالوا لدعثور لشجاعته قد انفرد محمد فعليك به؛ ولما رآه قال قتلني الله إن لم أقتل محمداً. فأقبل ومعه سيف حتى أقام على رأسه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني الآن؟ فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الله. فدفع جبريل فى صدره فوقع على ظهره، فوقع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يمنعك مني؟ قال لا أحد يمنعني منك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. وأعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه، فقال أما والله لأنت خير مني، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أحق بذلك منك. ثم أتى قومه فقالوا ما لك ويلك؟ فقال نظرت إلى رجل طويل أبيض قد دفع فى صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك وشهدت بأن محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. لا أكثر عليه جمعا.

فدعاهم إلى الإسلام فاهتدى به خلق كثير وأنزل تعالى على ما ذكره الواقدي وابن سعد وغيرهما: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم} (الآية)، ثم رجع صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيذا وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة، وقيل خمس عشرة وقال قتادة ومجاهد وغيرهما نزلت في بنى النضير لما ذهب إليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهموا أن يطرحوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل فقام من ذلك المكان ورجع إلى المدينة.

وقيل قصة السيف، ونزول الآية كانا في غزوة ذات الرقاع وقال بعضهم الصواب أنهما قصتان في غزوتين، وقد مرّ الخلاف في اسم الرجل هل دعثور أو غورث أو هما اثنان والله تعالى أعلم.

ثم بعد ما مرّ «غزوة بحران» بضم الموحدة وفتحها وسكون المهملة، فراء فألف فنون، موضع من ناحية الفرع بفتححتين كما قيده السهيلي وتسمي غزوة بنى سليم قاله في المواهب، وقال الزرقاني عن البرهان الذي في الروض أنه بضمّتين من ناحية المدينة، ويقال هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه أن جمعا من سليم ببحران وخرج لست خلون من جمادى الأولى في ثلاث مائة رجل واستعمل عبد الله بن أم مكتوم على المدينة حتى إذا كان دون بحران بليلة، لقي رجلا من بنى سليم فأخبره أن القوم افترقوا فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا فرجع ولم يجد أحدا، ولم يلق كيذا، وكانت غيبته عشر ليال، ولابن اسحاق ان خروجه صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة كان إلى قريش، فسار حتى بلغ بحران، معدنا بالحجاز، من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيذا، وللشيخ البدوي:

وبعدها غزوة بحران إلى ام القرى أو لسليم الجهلا

«غزوة تبوك» وهي آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي قبل حجة الوداع بلا خلاف، وكانت فى رجب سنة تسع، قال ابن عائد وكانت بعد الطائف بستة أشهر ولا يخالف هذا كونها فى رجب إذا حذفنا الكسور لأنه عليه الصلاة والسلام دخل المدينة فى ذي الحجة رجوعه من الطائف قاله الزرقاني. وفى المواهب وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ اهـ.

وتبوك بفتح الفوقية وضم الموحدة مخففة بغير صرف للأكثر وتصرف على إرادة الموضع، مكان بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة، وبينه وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة. وقول المواهب وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق مراده على التقريب بدليل ما مر من كلام الفتح. ووقعت تسميتها بذلك فى الأحاديث الصحيحة فى مسلم والموطأ عن معاذ أنهم خرجوا معه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك، فمن جاء فلا يمس من مائها شيئاً (الحديث)، وهذا يدل على قدم تسمية المكان بذلك. وقيل سميت بذلك لقوله عليه الصلاة والسلام للرجلين اللذين سبقاه إلى العين ما زلتما تبوكانها منذ اليوم. قال ابن قتيبة فبذلك سميت العين تبوك. والبوك كالنقش والحفر وهي غزوة العسرة أي الشدة أي لأن الخروج إليها كان فى حر شديد، ليالي الخريف وجذب كثير مع قلة الظهر والنفقة، ولذا لم يور صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كعادته فى غيرها من الغزوات. فلم يغز غزوة إلا ورى بغيرها إلا فى هذه فجلى للمسلمين أمرهم فيها ليتأهبوا أهبة السفر البعيد فى الحر الشديد والقحط، وتسمى بالفاضحة، لافتضاح المنافقين فيها لما نزل فيهم نحو {وقالوا لا تنفروا فى الحر}، {ومنهم من يقول إنذن لي}، {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب}، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} إلى غير ذلك. وكان خروجه إليها صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخميس؛ وفى

البخاري قلما كان إذا خرج لسفر إلا يوم الخميس، زاد النسائي جهادا وغيره، فى أزيد من ثلاثين ألفا. وعند ابن أبي زرعة سبعين ألفا، وجمع الشامي بينهما بأن من قال ثلاثين لم يعد التابع، ومن قال سبعين عد التابع والمتبوع.

وأقل ما قيل فيه إنه ثلاثون ألفا، قاله الزرقاني. وقال ابن الخازن ذكر بعض العلماء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سار إلى تبوك فى سبعين ألفا ما بين راكب وماش، قال الحسن العشرة منهم يخرجون على بعير واحد، يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون وما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة. نقله الشيخ الوالد حفظه الله تعالى فى الريان.

وفى المواهب وكانت الخيل عشرة آلاف، قاله الزرقاني، عقبه رواه الواقدي، وقيل بزيادة ألفين وعليه حمل فى الفتح ما فى بعض طرق مسلم، والمسلمون يزيدون على عشرة آلاف، قال تحمل على إرادة الفرسان انتهى.

وسببها أنه بلغه أن الروم تجمعت مع هرقل بالشام وأجلبت معهم لخم وجذام وغسان وعامرة وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء ولم يكن لذلك حقيقة فأمر أصحابه بالتأهب وقال وهو فى جهازه للجد ابن قيس هل لك فى جلاد بنى الأصفر؟ قال أو لا تأذن لي ولا تفتني، فلقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه، وقال أذنت لك فنزل فيه {ومنها من يقول إنني لا تفتني} أي إن كان يخاف الفتنة وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ثم خرج عليه السلام قال المناوي فمسكر بثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين

ألفا، إلى أن قال وجمع بأن الثلاثين هم المتبوعون والأربعين هم الأتباع فالجملة سبعون ألفا، ومعه عشرة آلاف فرس، وضرب ابن أبي علي حدة العسكر أسفل منه وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار المصطفى تخلف ابن أبي فيمن تخلف من أهل الريب وقالوا يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، ثم سار ودفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ورايته العظمى إلى الزبير وخلف عليا على أهله، فقال المنافقون ما خلفه إلا استثقالا، فأتاه وأخبره، فقال كذبوا، لكن خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

ولما مر عليه السلام بالحجر سجدى ثوبه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا من أن يصيبكم ما أصابهم وقال لا تشربوا من ماء بئر ولا يتوضأ منه، وما من عجين عجنتموه فأطعموه الناضح، ولا تأكلوا منه، فأصبح الناس لا ماء معهم، فعطشوا فجعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها، فقال أبو بكر قد عودك الله في الدعاء فادعوا؛ فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فأمرت حتى ارتوا وحملوا. فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق، ترى ما دعى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمطرنا، فقال إنما مطرنا بنوء كذا، فأنزل الله: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} ثم ضلت القصواء وخرج الصحابة في طلبها، فقال بعض المنافقين أليس يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة، فأطلعه الله تعالى عليها، فقال عليه السلام إن رجلا قال كذا وكذا.. وإني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في الوادي في شعب كذا حبستها شجرة بزماتها فوجدوها كذلك.

ولما انتهى إلى تبوك أتاه صاحب إيلة وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوها وكتب لهم كتابا بالأمان، وبعث خالد بن الوليد إلى

أكيدر دومة فوجده يصيد البقر ليلا، هو وأخوه حسان فى نفر من قومه فأخذه خالد وأتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن قتل أخاه حسان فصالح أكيدر وأعطى الجزية اهـ المراد من كلام المناوي.
وقد مرّ بعث خالد هذا فى البعث، وفى المواهب ولما مرّ صلى الله تعالى عليه وسلم بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرجن أحدكم منكم إلا ومعه صاحبه، ففعل الناس إلا رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجة والآخر فى طلب بغيره، فأما الذى خرج لحاجته فخنق على مذهبه، وأما الذى خرج فى طلب بغيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجيلى طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ألم أنهكم ثم دعى للذي خنق على مذهبه فشفي وأما الآخر فأهدته طيء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة.

قوله: ولا يخرجن أحد منكم أي الليلة كما عند ابن اسحاق وذلك لحكمة علمها ولعلها ان الجن لا تقدم علي اثنين، وقد روى الإمام فى الموطأ مرفوعا: إن الشيطان يهم بالواحد الباجي أي باغتياله، ويحتمل أنه يهم بصرفه عن الحق، وقوله حاجة أي لتغوط، وخنق بمعجة مبني للمفعول أي صرع ومذهبه بفتح الميم والهاء بينهما معجمة ساكنة هو الموضع الذى يتغوط فيه، وقوله دعا للذي بلام الجر وفى نسخة دعا الذى أي طلبه فحضر والأولى أظهر. قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي.

وفى مسلم والموطأ عن معاذ أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وأنهم غرّفوا منها قليلا قليلا، حتى اجتمع فى شن، ثم غسل صلى الله تعالى عليه وسلم به وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فتفجرت بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال يا معاذ يوشك أن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا ملئى جنانا وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وضاد معجمة أي تقطر وتسيل هكذا، رواه ابن مسلمة وابن القاسم ورواه يحيى وطائفة بالمهملة أي تبرق قاله الباجي، قاله الزرقاني؛ ولما انتهى

عليه السلام إلى تبوك أتاه صاحب أيلة بفتح الهمزة وهو يُحنة بضم التحتية وفتح المهملة والنون المشددة فتاء تأنيث ابن رؤية النصراني فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جربى بجيم مفتوحة فراي ساكنة فموحدة تقصر وتمد وأهل أذرح بهمزة مفتوحة وذال معجمة ساكنة وراء مهملة مضمومة وحاء مهملة قيل هي فلسطين، وهما بلدان بالشام بينهما ثلاثة أميال، قال فى القاموس وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواية الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني، وهي ما بين ناحيتي حوضى كما بين المدينة وجربى وإذرح قاله محمد بن عبد الباقي. ولما أتوه أعطوه الجزية أي التزموها كما فعل يحنة، ووجد عليه السلام هرقل بضمص دار ملكه لم يتحرك ووجد ما أخبر به من تعبئته لأصحابه ودنوه من الشام باطلا، ولم يهم بذلك فكتب له كتابا يدعو إلى الإسلام فقارب الإجابة ولم يجب ثم انصرف عليه السلام بعد أن قام بتبوك بضع عشرة ليلة وقال الدمياطي عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيذا، أي حربا. وذكر الواقدي أنه شاور أصحابه فى التقدم، فقال عمر ان كنت أمرت بالمسير فسر، فقال لو أمرت بالمسير لم استشركم فيه، فقال يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة وليس بها مسلم، وقد دنونا وأفزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرا انتهى.

ولما أراد عليه السلام الخروج إلى تبوك أرسل إلى أهل مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم فجاء البكاؤون يستحملونه أي يطلبون منه ما يركبون وكلهم معسر لا يحب التخلف عن الغزو معه، فقال لا أجد ما أحملكم عليه. ومنهم سالم بن عمير الأوسي وعلبة بن زيد الأنصاري من بنى عمر وابن عوف وعبد الرحمن بن كعب المازري من بنى مازر بن النجار وحرمي بن عمر من بنى مازن أيضا ومنهم هرم بن عبد الله بن رفاعة الأنصاري والعرباض ابن سارية السلمي وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار المزنيان، وبنو مقرن المزني وهم النعمان وسويد

ومعقل وعقيل وعبد الرحمن وسنان وهند، كما فى المواهب ومقرن، بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء الثقيلة، قال الواقدي وابن نمير بنوه سبعة كلهم صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ابو عمر ليس ذلك لأحد من العرب غيرهم، قال الحافظ وقد ذكر هو فى ترجمة هند بن حارثة الأسلمي ما ينقض ذلك، فأخرج الطبراني أن ولد مقرن كانوا عشرة نزل فيهم {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، قاله الزرقاني؛ وروي أن عثمان بن عفان حمل فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا فقال ابن هشام حدثني من أثق به أن عثمان أنفق ألف دينار غير الإبل والزاد، وما يتعلق بذلك، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم ارض عن عثمان فإنني عنه راض. وذكر بعضهم أن عثمان جهز ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة. قال الزرقاني وأقل ما قيل إنهم ثلاثون ألفا فيكون جهز عشرة آلاف. وروي أنه عليه السلام قال لا يضر عثمان ما فعل بعدها. وروي أنه قال له غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها.

ولما خرج عليه الصلاة والسلام تخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب فى أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، منهم كعب بن مالك الأنصاري ثم السلمي بفتحيتين، قال فى حديث تخلفه تجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول فى نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، وأصبح صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض شيئا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو بيومين ثم ألحقهم ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا. فلم يزل بي حتى أسرعوا وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك.

ومنهم مرارة بضم الميم وراءين الأولى خفيفة بن الربيع الأوسي ثم العمري بفتح العين وسكون الميم نسبة إلى بنى عمرو بن عوف بن

مالك الأوسي وهلال بن أمية الأوسي ثم الواقفي بقاف ثم فاء نسبة إلى بنى واقف بن أمرئ القيس بن مالك بن الأوس وسبب تخلف مرارة أنه كان له حائط حين زها، فقال في نفسه قد غزوت قبله فلو أقممت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال اللهم إني أشهدك أنني قد تصدقت به في سبيلك، وسبب تخلف هلال أنه كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال لو أقممت هذا العام عندهم، فلما تذكر قال اللهم لك علي أن لا أرجع إلى أهل ولا مال. وفي هؤلاء الثلاثة نزل {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، وتخلف أبو ذر لأن بعيره كان أعجف، فقال أعلفه أياما ثم ألحق به عليه السلام، فعلفه أياما ثم خرج فلم ير به حركة فحمل متاعه على ظهره وسار، قال أبو ذر فطلعت عليه نصف النهار وقد أخذ مني العطش، أي وكان عليه الصلاة والسلام نزل في بعض الطريق، وعند بن اسحاق فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده، فقال عليه السلام: كن أبا ذر، فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر. فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده، فكان كذلك، فمات بالربذة ولم يكن معه إلا امرأته وغلّامه فأوصاهما أن أغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا به ذلك.

وأقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق، وقد كادت الإبل تطؤها فقال لهم الغلام هذا أبو ذر فأعينونا على دفنه، فاستهل ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم حدثهم ابن مسعود بالحديث. وتخلف أبو خيثمة سعد بن خيثمة فقال تخلفت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت حائطا فرأيت عريشا قد رش بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بانصاف، رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في السموم والحر وأنا في الظل والنعيم، فقممت إلى ناضح لي وتمرات

وخرجت فلما طلعت على العسكر فرآني الناس قال صلى الله تعالى عليه وسلم كن أبا خيثمة، فجئت فدعى لي. وقوله كن أبا خيثمة وكن أبا ذر معناه الدعاء، كما تقول أسلم، أي سلمك الله، أي اللهم اجعله أبا ذر، وقيل معناه أنت أبو ذر، أنت أبو خيثمة أنظر الزرقاني. قال في المواهب لما دنى صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه فخرج النساء والصبيان والولائد يقلن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مدام الله داع قال الزرقاني وبعدهما:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع وقال القسطلاني وقد وهم بعض الرواة وقال: إنما كان هذا الشعر عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام كما قدمت ذلك انتهى.

وقوله بعض الرواة هو عبد الله بن محمد المعروف بابن عائشة، وقوله كما قدمت ذلك أي في الهجرة قاله الزرقاني، وفي البخاري لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك فدنى من المدينة قال إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد معنى ما روي: نية المؤمن خير من عمله، فإن نية هؤلاء خير من أعمالهم، فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم، والمسابقة إلى الدرجات العلا بالنيات والهمم لا بمجرد الأعمال، قاله في المواهب وقوله واديا قال البيضاوي هو كل منفرج ينفرج فيه السيل اسم فاعل من ودى إذا سال وشاع بمعنى الأرض، وقوله معكم أي بالنيات، ولأحمد وأبي داود لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتهم من سير ولا أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، ولابن حبان وأبي عوانة الا اشركوكم في الأجر

والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض، قال المهلب يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: { لا يستوي القاعدون } (الآية) فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولى الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين وقوله نية المؤمن إلخ.. رواه الطبراني والديلمي مرفوعا بهذا اللفظ ورواه البيهقي وغيره بلفظ أبلغ وكلها ضعيفة لكن بمجموعها يتقوى كما أفاده السخاوي. وقوله فإن نية هؤلاء خير إلخ. أي فشاركوهم فى الثواب، وزادوا راحة الأبدان، وقصد المصنف بهذا ما عساه يقال غاية ما أفاده الحديث المشاركة أما الزيادة المستفادة من أفعل التفضيل فلا ثم لضعفه جعله مؤيدا بحديث الصحيح انتهى.

ومن الزرقاني ولما رجع عليه السلام من تبوك نزل بذي أوان بفتح الهمزة وكسرهما لغة بلفظ الأوان أي الحين، بلد بينها وبين المدينة ساعة من نهار فجاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك ابن الدخشم بضم الدال المهملة والشين المعجمة بينهما خاء معجمة ساكنة ويقال الدخيشم بالتصغير ويقال بنون بدل الميم مكبرا ومصغرا الأوسي البدرى، ومعن ابن عدي العجلاني البلوي حليف الأنصار شهد أحدا، فقال عليه الصلاة والسلام انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرقاه، فانطلقا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وذلك بعدما أنزل فيه: {الذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا} (الآية).

قال عامة أهل التفسير الذين اتخذوه كانوا اثنى عشر منهم خدام بقاء مكسورة وذال معجمتين بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير وعباد بن حنيف وبحزج بموحدة مفتوحة فمهملة ساكنة فزاي مفتوحة فجيم، بنوه يضارون به بنى عمرو بن عوف أهل مسجد قباء الذى أسسه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وصلى فيه ورأى ذلك ناس من بنى غنم بفتح المعجمة وسكون النون ابن عوف فقالوا فى طائفة من المنافقين نبني نحن أيضا مسجدا كما بنوا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد، فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه الي الشام

ابنوا مسجداً واستمدوا فيه بما استطعتم من سلاح وقوة فإنني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فكانوا يرصدون قدومه وقد خرج محارباً لله ورسوله ولما بنوه لأغراضهم الفاسدة المضارة والكفر والإرصاد أرادوا أن يصلي فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر أتاه جماعة منهم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجداً لذي العلة للمرضى والحاجة والليلة الممطرة، ونحن نحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة كما قال تعالى: {وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى} أي هذه الأمور التي أظهروها والله يشهد انهم لكاذبون.

وروي انه عليه السلام قال لبحزج ويلك ما أردت فقال والله ما أردت إلا الحسنى فنزلت الآية، ولما أتوه وهو يتجهز فقالوا له ذلك، قال عليه السلام إني على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلينا فيه فنزلت هذه الآية. وفي حديث عند البيهقي فأنزل الله تعالى: {لا تقم فيه أبداً} إلى قوله: {والله لا يهدي القوم الظالمين}. وقد قدمنا في الهجرة الخلاف في المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى وأن الصحيح أنه مسجد قباء وفي صحيح مسلم أنه المسجد النبوي ولا منافاة فكل منهما أسس على التقوى (أنظر المواهب وشرحها). ولما أشرف صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة، فلما رأى أحداً قال هذا جبل يحبنا ونحبه.

فائدة:

قال في النشر: قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عامر: الذين اتخذوا بغير واو قبل الذين، وقرأ الباقر بالواو انتهى.
وقال الثعالبي على أن قوله وآخرون مرجون لأمر الله في المنافقين يكون الذين اتخذوا باسقاط واو العطف بدلاً من آخرون أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين أهـ.

وقال ابن جزى قرأ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون، أو على تقديرهم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجين هم أهل مسجد الضرار، وقرئ بالواو عطفا على آخرون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجين انهم الثلاثة الذين خلفوا نقله الشيخ الوالد حفظه الله تعالى فى الريان وقال الزرقاني ومعتب بن قشير بقاف ومعجمة مصغر ترجم له فى القسم الأول من الإصابة، ثم قال وقيل كان منافقا وقيل انه تاب وذكره ابن اسحاق فيمن شهد بدرا انتهى.

وفى الزرقاني قبل هذا أنه عليه السلام لما قدم المدينة وهدم مسجد الضرار عرضه على عاصم بن عدي ليتخذ دارا، فقال ما كنت أتخذة وقد أنزل الله فيه ما أنزل، ولكن اعطه ثابت بن أقرن، فإنه لا منزل له فأعطاه، فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط ولا حمام ولا دجاج، وروى ابن المنذر عن ابن جبير وابن جريج وقتادة قالوا ذكر لنا أنه حفر فى موضعه بقعة فأبصروا الدخان يخرج منها اهـ.

وقال الناظم :

(وضعها البعوث دون ميين)

يعني ان البعوث التى أرسلها عليه الصلاة والسلام إلى جهاد الكفار ولم يخرج فيها بنفسه الشريفة ضعف الغزوات التى خرج فيها عليه السلام أي قدرها مرتين فهي خمسون لأن الغزوات قد مر له أنها خمس وعشرون، وقوله ضعفها بكسر الضاد المعجمة والضمير المضاف إليه للغزوات، والمين: الكذب، والبعوث: جمع بعث، وهو فى الاصطلاح من أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتال العدو ولم يحضر معه بنفسه ويسمى أيضا عندهم سرية كما فى المواهب وشرحها وسيرة العراقي وشرحها والغزوات جمع غزوة والمغازي جمع مغزى وأصل الغزو القصد، ومغزى الكلام مقصده، والغالب اطلاق الغزوة على كل عسكر حضره صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه الكريمة وقد تطلق على ما هو أعم من ذلك، فقد تطلق على ما وقع من قصده عليه السلام للكفار بنفسه أو

بجيش يرسله إليهم فيشمل البعوث ولذا ترجم كثير منهم بكتاب المغازي ثم يذكر مع الغزوات البعوث أنظر الزرقاني وغيره.

وحكمة قعوده صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعوثه الرفق بالمسلمين كما أفاد ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعونى ويشق أن يقعدوا بعدي. والذى نفسى بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أحيى ثم أقتل، ثم أحيى ثم أقتل، ثم أحيى ثم أقتل، رواه مالك والشيخان عن أحمد عن أبي هريرة بتكرير ثم ست مرات. والسرية بوزن عطية والسارية أيضا، سموا بذلك لأنهم يكونوا خلاصة العسكر وخيارهم كما فى النهاية. قال فى الفتح وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه وهي من مائة إلى خمس مائة فإن زاد فمنسر بالنون فمهملة، فإن زاد على ثمانمائة سمي جيشا فإن زاد على أربعة آلاف سمي جحفلا، انتهى.

وظاهره أن ما دون المائة لا يسمى سرية وهو مخالف لقوله نفسه فى المقدمة، قال ابن السكيت السرية ما بين الخمسة إلى الثلاث مائة وقوله منسر بوزن مجلس ومنبر قاله الزرقاني، وفى المواهب أن سراياه سبع وأربعون، قال الزرقاني كما رواه ابن سعد وبه جزم أول الاستيعاب فيما قاله الشامي، والذى فى النور عن ابن عبد البر أنها خمس وثلاثون وقال ابن اسحاق فى رواية البكائي انها ثمان وثلاثون وفى الفتح عن ابن اسحاق ست وثلاثون والواقدي ثمان وأربعون وابن الجوزي ست وخمسون، انتهى المراد منه.

وقال المناوي فى شرحه للعراقي البعوث جمع بعث، وهو كما فى المصباح وغيره الجيش تسمية بالمصدر والسرية بفتح المهملة وكسر الراء وشد التحتية القطعة من الجيش، سموا به لأنهم خلاصة العسكر؛ والسري الشيء النفيس. وفى فتح الباري السرية التى تخرج فى الليل والسارية بالنهار، سميت سرية لأنها تخفي ذهابها وهي قطعة من

الجيش تخرج منه وتعود إليه اهـ المراد منه.

قال العراقي:

عدتها من بعث أو سرية ستون فالأول بعث حمزة
لنحو سيف البحر من ناحية العيص لم يقتتلوا بالجملة

يعني أن أول بعوثة صلى الله تعالى عليه وسلم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر بكسر المهملة أي ساحله من ناحية العيص بكسر العين المهملة وسكون التحتية وصاد مهملة موضع ببلاد بنى سليم وقيل بأرض جهينة والتقوا واصطفوا للقتال فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مسالما للفريقين فانصرفوا ولم يقتتلوا بعثه في ثلاثين من المهاجرين يتعرض عيرا لقريش وعقد له لواء أبيض وحمله أبو مرثد فكان أول من غزى في سبيل الله وأول من عقدت له راية في الإسلام وذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر وقيل في ربيع الأول وقيل في جمادى ولم يعرف لمجدي إسلام قاله المناوي . وقوله فحجز بفتح الحاء والجيم وبالزاي أي فصل، ومجدي بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الدال آخره ياء مشددة واسم أبي مرثد كنان بفتح الكاف وشد النون فالف فزاي ابن الحصين بمهملتين مصغرا الغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة إلى غني ابن يعصر حليف حمزة واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وفي الفتح اللواء الراية وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه. وقال ابن العربي اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، وقيل اللواء علامة لمحل الأمير والراية يتولاها صاحب الحرب، والغير المذكورة ثلاثمائة راكب فيها أبو جهل اللعين، وقوله على رأس سبعة أشهر أي تقريبا فلا ينافي أن قدومه عليه السلام لاثنتي عشرة ليلة خلت من

ربيع وقوله وقيل فى ربيع أي سنة اثنتين أنظر الزرقاني. ثم بعد بعث حمزة سرية عبيدة المطلبي وصدر فى الإكتفاء بأنها قبل سرية حمزة ثم سرية سعد بن أبي وقاص ثم سرية عبد الله بن جحش ثم بعث عمير الخطمي لقتل عصماء بنت مروان ثم بعث سالم بن عمير الأنصاري إلى قتل أبي عفك اليهودي، ثم بعث محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف، ثم بعث زيد بن حارثة إلى القردة، ثم بعث أبي سلمة بن عبد الأسد لطلب طليحة بن خويلد وأخيه الأسديين، وأسلم طليحة بعد ثم بعث عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري لقتل سفيان بن خالد الهذلي، ثم بعث عاصم بن ثابت إلى الرجيع، ثم بعث المنذر بن عمرو ومعه القراء إلى بئر معونة، وقدمه عبد الرحيم العراقي على بعث الرجيع ثم بعث محمد بن مسلمة للقرطاء ثم بعث عكاشة إلى غمر مرزوق ماء لبنى أسد، ثم بعث محمد بن مسلمة إلى ذي القصة موضع يريد بنى ثعلبة، فبعث أبي عبيدة بن الجراح إليهم، فبعث زيد بن حارثة إلى الجموم، ثم بعث زيد أيضا إلى العيص ثم بعثة رابعة إلى الطرق، فبعثه خامسة إلى حسمى، فبعثه سادسة إلى واد القرى ثم بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل ثم بعث علي بن أبي طالب إلى فذك يريد بنى سعد بن بكر، ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة، ثم سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق ثم سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام، ثم بعث كرز بن جابر إلى العرينيين، ثم بعث عمرو بن أمية إلى قتل أبي سفيان بن حرب، ثم بعث ابان بن سعيد الأموي إلى نجد على ما ذكر العراقي، وقال انه بعد فتح خيبر، لكن قال المناوي فى شرحه قال الحافظ بن حجر ولا أعرف هذه السرية انتهى ولم يذكره فى المواهب.

ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الي تربة، ثم سرية أبي بكر رضي الله تعالى عنه الي بنى كلاب، فبعث بشير بن سعد الأنصاري لفذك، فبعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة فبعث

بشير بن سعد إلى يمن وجبار فسرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي
الي بنى سليم فسرية غالب بن عبد الله إلى بنى الملوح، فبعث غالب
ثالثة إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فسرية شجاع بن وهب
الأسدي إلى بنى عامر فبعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات إطلاق ثم
سرية عمرو بن العاصي إلى ذات السلاسل فبعث أبي عبيدة إلى
سيف البحر، وتعرف بسرية الخط، فسرية أبي قتادة إلى نجد
فسريته أيضا إلى اضم، فبعث خالد لهدم العزى فسرية عمرو بن
العاصي لهدم سواع فبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة فبعث خالد
إلى بنى جذيمة قبيلة من بنى عبد القيس، فبعث طفيل الدويسى إلى
هدم ذي الكفين صنم فسرية قيس بن سعد بن عبادة إلى صداء فبعث
الضحاك بن سفيان الكلابي إلى قومه فبعث عيينة بن حصن إلى
بنى تميم ثم بعث الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ثم سرية عبد الله
بن عوسجة إلى بنى عمرو بن حارثة بن عمرو ثم بعث قطبة بن عامر
الخرجي إلى خثعم فبعث علقمة بن مجزز بضم الميم وفتح الجيم
ومعجمتين الأولى مكسورة ثقيلة وحكي فتحها والأولى أصوب المدلجي
الي طائفة من الحبشة ثم سرية علي إلى هدم صنم طيء واسمه الفللس
بضم الفاء وسكون اللام آخره سين مهملة كذا فى المواهب وضبطه
بعضهم بالفتح وسكون اللام ثم بعث عكاشة إلى الجباب بكسر الجيم
فسرية خالد إلى أكيدر دومة الجندل فبعث خالد أيضا إلى بنى عبد
المدان فبعث علي إلى اليمن ثم بعث بنى عبس لما وفدوا عليه عليه
السلام وهم تسعة نفر فبعثهم سرية إلى عير لقريش وآخر من بعثه
عليه السلام أسامة بن زيد بعثه إلى أبنى بهمزة فموحدة فنون فألف
مقصورة بوزن حبلى بناحية البلقاء من الشام.

ولنذكر كلاما مختصرا فى البعوث إن شاء الله تعالى.

أما بعث حمزة فقد مرّ، وأما سرية عبيدة ففى المواهب التصدير بأنها
بعد بعث حمزة وكانت إلى بطن رابغ فى شوال على رأس ثمانية

أشهر من الهجرة فى ستين راكبا أو ثمانين من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد وعقد له لواء أبيض حمله مصطح كمنبر بن أثاثه بضم الهمزة وتفتح كما فى القاموس وخفة المثلثتين ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف واسم مصطح عوف، ولقبه مصطح، فخرج عبدة بمن معه حتى لقي جمعا عظيما من المشركين عليهم أبو سفيان كما قال الواقدي أنه الثببت، أو عكرمة بن أبي جهل أو مكرز بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء فزاي ووجد بخط ابن عبدة أنه بفتح الميم وقال ابن خليل بضم الميم وكسر الراء، والمعتمد الأول، وهو ابن حفص بن الأخيف العامري ولم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله أي جنسه فلا ينافي قول الواقدي أنه نشر كنانته فتقدم أصحابه وقد تترسوا عنه، فرمى بما فى كنانته وهو عشرون سهما ما منها سهم إلا جرح إنسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وفرّ الي المسلمين من المشركين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قاله الزرقاني، وللعراقي بعد ذكره لبعث حمزة

فبعثه عبدة بن الحارث	لرابع أو قبل بل ذا أو ثالث
بأنه شيع كلا منهما	معا لذاك أشكل ذا وأبهما
وكان رمى بينهم لم يعدو	أول من رمى بسهم سعد

قال المناوي عقب قوله أو ثالث، أي وقيل قول ثالث بأنه أي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم شيع كلا منهما، ولارسالهما معا أشكل ذا على بعض الناس وأبهم بضم الهمزة، قال القسطلاني هذا مشكل بقولهم أن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر لكن يحتمل أن يكون المصطفى عليه السلام عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبدة لرأس الثمانية لأمر اقتضاه اهـ.

قال فى الاكتفاء ويقال إن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال فى غزوة عبدة هذه:

أرقت وأمر فى العشيرة حادث
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
عليه وقالوا لست فينا بماكث
وهروا هريز المجحرات اللواث
فما طيبات الحل مثل الخبائث
فليس عذاب الله عنهم بلائث

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
ترى من لؤي فرقة لا يصدها
رسول أتاها صادق فتكذبوا
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا
فإن يرجعوا عن غيهم وضلالهم
وإن يركبوا طغيانهم وعقوقهم
إلى أن قال:

لنا العز منها فى الفروع الأثائث
حراجيج تخدي فى السريح الرثائث
يردن حياض البير ذات النبائث
ولست إذاء اليت يوما بحانث
تحرم أطهار النساء الطوامث
لنا العز منها فى الفروع الأثائث
حراجيج تخدي فى السريح الرثائث
يردن حياض البير ذات النبائث
ولست إذاء اليت يوما بحانث
تحرم أطهار النساء الطوامث

ونحن أناس من ذئابة غالب
فأولي بر رب الراقصات عشية
كأدم ظباء حول مكة عكف
لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق
المجحرات الداخلات فى الجحر بالضم يعنى هر واهريز الكلاب الداخلة
فى الجحر تلهث عطشا أو تعباً وأولي أحلف والحراجيج الطوال وتخدي
تسرع والسريح شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل، والرثائث البوالي،
والنبائث جمع نبیثة وهى تراب البئر، والطوامث الحيض.

تنبيه:

ذكر غير واحد أن الراجح أن هاتين السريتين قبل ودان ولذا اقتصر
عليه فى المواهب وأوردهما فى الاكتفاء بعد غزوة الأبواء أنظر
الزرقاني.

ثم سرية سعد بن مالك الزهري آخر العشرة موتاً، بعثه عليه السلام الى
الخرار بخاء معجمة مفتوحة وراءين مهملتين الأولى ثقيلة كما فى
الصفاني والمجد، والنور والمناوي، فما فى نسخة محرفة من الشامي من

أنه بتشديد الزاي الأولى لا يلتفت إليه وهو ماء لبني زهير أو واد بالحجاز يصب على الجحفة وذلك فى ذى القعدة بكسر القاف وفتحها على رأس تسعة أشهر وجعلها ابن عبد البر بعد بدر فى السنة الثانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي البدرى المعروف بابن الأسود لأنه تبناه فى عشرين من الهاجرين يعترضون عيرا لقريش، فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار ويمشون بالليل فصباحوا الخرار صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس فرجعوا ولم يلقوا كيدا أنظر المناوي، ومحمد بن عبد الباقي، وللعراقي بعد ما تقدم، فبعثه سعد إلى الخرار للعير فأنت رجعوا للدار يعنى المدينة ثم بعد بدر الأولى سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش، ابن رباب براء مكسورة فتحتية آخره موحدة الأسدي البدرى المستشهد فى أحد وذلك فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وهم ثمانية أو اثنى عشر من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد، روى البيهقي عن سعد بن أبي وقاص بعثنا صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية وقال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش فكان أول أمير فى الإسلام وقال اليعمرى سمي فى هذه السرية أمير المؤمنين وقال غيره سماه صلى الله تعالى عليه وسلم أمير المؤمنين، بعثهم إلى نخلة على ليلة من مكة والطائف وهي على لفظ واحدة، النخل، وهي موضع وهو الذى ينسب إليه بطن نخلة وهي التى اجتمع الجن بها وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما سارهما فتح الكتاب فإذا فيه: فإذا نظرت فى كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم ولا تستكره أحدا على الخروج معك، فقال سمعنا وطاعة وأخبر أصحابه أنه نهاه أن يستكره أحدا منهم فلم يتخلف أحد منهم يعتقب كل اثنين منهم على بغير وسلك على الحجاز حتى إذا كان ببحران بفتح الموحدة وضمها أضل سعد بن مالك وعتبة بن غزوان جملهما الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا

فى طلبه ومضى عبد الله فى أصحابه حتى نزل بنخلة يرصد قريشا فمرت غير لهم تحمل زبيبا وأدما بفتح الهمزة والذال أي جلودا فيها عمرو بن الحضرمي واسمه عبد الله بن عباد أو ابن غمار وعم هذا وعامر والعلاء وأختهم الصعبة أسلمت هي والعلاء والصعبة هي أم طلحة بن عبيد الله وفى العير أيضا عثمان بن نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريش فهابوهم فحلق عكاشة رأسه وقيل واقد وأشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار بضم العين وشد الميم أي معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب، إن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة، فأجمعوا على قتلهم، فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فقتله وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان وأسلم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الإسلام، فقسمها ابن جحش وعزل الخمس قبل أن يفرض فقدموا المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام، فأخر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش أن محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه} (الآية)، ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش:

وأعظم منه لو يرى الرشيد راشدا
وكفربه والله راء وشاهد
لئلا يرى لله فى البيت ساجد
وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
ينازعه غل من الحقد عائد

تعدون قتلى فى الحرام عزيمة
صدودكم عما يقول محمد
وإخراجكم من مسجد الله أهله
فإننا وإن عيرتمونا بقتله
سقيناه من ابن الحضرمي رماحنا
دما وابن عبد الله عثمان بيننا

قوله وأعظم منه أي وأشد منه، أي من القتل الواقع منا فيه، مبتدأ وخبره صدودكم، والجملة بينهما اعتراضية وجواب لو محذوف أي لعلم ان فعلكم أعظم وسقيننا خبران ومفعوله الثاني قوله دما وغل بالضم طوق من حديد يجعل فى العنق وأما بكسرها فالحقد كما فى المصباح أنظر الزرقاني.

وبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى فداء الأسيرين عثمان والحكم بن كيسان مولى أبي جهل فقال عليه الصلاة والسلام لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعدا وعتبة إنا نخشاكم عليهما فإن قتلتموهما قتلنا صاحبيكم، فقدم سعد وعتبة بعدهم بأيام ففداهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم واستشهد ببئر معونة ذكره ابن اسحاق وابن عتبة، وروى الهيثم أنه تزوج أمنة بنت عفان أخت عثمان، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ومات بها كافرا.

وللعراقي بعدما قدمته عنه:

بعث ابن جحش بعده أو أول بنخلة ففغنموا وقتلوا
 فى سلخ شهر رجب إنسانا وأنزل الله به قرآنا
 أي يسألونك أزال كسربا وبأمير المؤمنين لقبنا
 وقوله أو أول أي وقيل أن بعث ابن جحش هو أول البعوث، قوله فى سلخ شهر رجب أي آخره، وقوله به أي فيه، ثم بعد بعث بن جحش بعثه عليه السلام عمير بن عدي الأوسي ثم الخطمي بفتح المعجمة وسكون المهملة نسبة إلى جده خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس، قيل إنه أول من أسلم من بنى خطمة وكان أعمى بعثه إلى عصماء بفتح العين وسكون الصاد المهملتين والمد بنت مروان اليهودية زوجة يزيد بن زيد الخطمي الصحابي وكانت توذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليها ليلا وحولها نفر من ولدها نيام وهو أعمى كما مر فجسها بيده ونحى عنها ولدا لها كانت ترضعه فوضع سيفه على صدرها حتى

أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وأخبره بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان، فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت منه صلى الله تعالى عليه وسلم، فهي من كلامه الوجيز البليغ الذي لم يسبق إليه عليه الصلاة والسلام أي لا يعارض فيها معارض ولا يطلب بديتها.

ولابن اسحاق انه لما رجع إلى قومه وجد بنيها وهم خمسة رجال في جماعة يدفنونها فقال أنا قتلتها فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتكم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فأهدرها صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينتطح فيها عنزان وسماه البصير لكمال إيمانه وقوة قلبه، وقال من أحب أن ينظر إلى رجل كان في نصرة الله ورسوله فلننظر إلى عمير بن عدي، فقال عمر أنظروا إلى هذا الأعمى الذي يرى وسمي ابن دريد بن عدي هذا غشميرا بمعجمتين قبل الميم، وقال فعليل من الغشمة وهي أخذ الشيء بالغلبة، قال في الإصابة صحفه ابن دريد وإنما هو عمير لا شك فيه، ولا ريب أنظر الزرقاني وللعراقي:

فبعثه عميرا الخطميا لقتل عصما هجت النبيا
قال المناوي في شرحه وكان لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة أشهر من الهجرة، ثم بعده بعث سالم بن عمير بن ثابت الأوسي العقبي البدرى أحد بنى عمرو بن عوف وكان من البكائين بعثه عليه الصلاة والسلام إلى قتل أبي عفك بفتح المهملة والفاء الخفيفة فكان يقال رجل أعفك أي أحمق وهو يهودي كان في بنى عامرو بن عوف وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض علي النبي صلى الله عليه وسلم ويهجو، فقال عليه السلام من لي بهذا الخبيث فقال سالم علي نذر إن لم أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل يطلب له غرة بكسر المعجمة وشد الراء المهملة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة أي حارة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم سالم به فأقبل إليه ووضع سيفه علي كبده ثم اعتمد عليه

حتى خش، أي دخل فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار إليه أي اجتمع إليه ناس ممن هم علي قوله وأدخلوه منزله وقبروه وكان ذلك فى رأس شوال رأس عشرين شهرا من الهجرة. وقالت أمامة بضم الهمزة المريديية بضم الميم وكسر الراء وقيل بفتحها نسبة إلى مريد بطن من بلي الصحابية فى ذلك:

تكذب دين الله والمرأ أحمددا لعمرى الذى أمناك ان بيس ما يمني
حباك حنيف آخر الليل طعنة أبا عفك خذها على كبر السن
ولعمرى الذى أمناك أي وحياتي الذى أنشأك وحباك بموحدة أعطاك،
وحنيف مسلم، قاله الزرقاني والعراقي:

فبعث سالم إلى أبي عفك قتلته أذى النبي وأفك
بفتح الهمزة والفاء أي كذب على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
فيما قال. ثم بعد ذلك سرية محمد بن مسلمة بفتح الميم الأوسي، ثم
الأشلهي شهد بدرا والمشاهد كلها، بعثه عليه الصلاة والسلام ومعه أربعة
من الأوس أبو نائلة بنون وبعد الألف تحتية كما فى الفتح وللقسطلاني
وبعد الألف همزة سلكان بكسر السين المهملة وسكون اللام ابن سلامة
بن وقش بسكون القاف وفتحها الأوسي ثم الأشلهي أيضا شهد أحدا
وغيرها وعباد بفتح المهملة وشد الموحدة ابن بشر بكسر الموحدة وسكون
المعجمة الأشلهي أيضا البدرى والحارث بن أوس ابن معاذ ابن أخي سعد
بن معاذ وأبو عيس بمهملتين بينهما موحدة ابن جبر بفتح الجيم
وسكون الموحدة الأوسي الحارثى البدرى وسبب بعثتهم أنه عليه السلام
لما بعث زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة إلى من بالمدينة بخبر بدر
بشيرين قال كعب بن الأشرف وكان من طيء ثم من بنى نبهان أمه من
بنى النضير أتروا أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان
والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير لي من ظهرها، فلما
تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة فجعل يحرض علي رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ويبيكي أصحاب القلب ويهجو رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم فيهجووه هو حسان، ثم رجع إلى المدينة فشبب أي تغزل بنساء المسلمين وأذاهم فقال عليه الصلاة والسلام من لنا بابن الأشرف وفي رواية من لكعب بن الأشرف أي من ينتدب لقتله فقد استعلن لعداوتنا وهجائنا، فقد خرج إلى المشركين فجمعهم لقتالنا وقد أخبرني الله بذلك، فقال محمد بن مسلمة أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله قال فافعل إن قدرت علي ذلك. وفي رواية أنه عليه السلام أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه ففعل. وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال له إن كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ، فشاوره فقال له توجه إليه واشكوا الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما. ولابن إسحاق أنه مكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب؟ قال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا. قال إنما عليك الجهد.

ولما اجتمع القوم المذكورون علي قتله أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لا بد لنا أن نقول قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به للتمكن من قتله، قال قولوا ما بدى لكم فأنتم في حل من ذلك. ومشى معهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بقيع الغرقد وقال انطلقوا علي اسم الله، اللهم أعنهم. ثم رجع عليه السلام إلى بيته وأقبلوا حتى انتهوا الي حصنه وكان حديث عهد بعرس فهتف به أبو نائلة وكان أخاه من الرضاعة فوثب في ملحفته فأخذت امرأته بناحيته فقالت إنك امرء تحارب وإن أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة. قال انه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني، فقالت والله إنني لأعرف في صوته الشر.

وفي البخاري أسمع صوته كأنه يقطر منه الدم، قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضياعي أبو نائلة، إن الكريم إذا دعي إلى طعنة لأجاب اهـ. فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه وقالوا هل لك يا ابن الأشرف أن

تمشي إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا فقال إن شئتم فخرجوا يتماشون ثم إن أبا نائلة شام يده بمعجمة وميم مخففة أدخلها فى فود رأسه ثم شم يده، فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد بمثلها فأخذ بفود رأسه فقال أضربوا عدو الله.

وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه إذا ما جاء كعب فإنني نائل بشعره أي أخذ به فإذا رأيتموني استمكننت من رأسه فاضربوه، فنزل إليهم ينفخ منه ريح الطيب، فقال ما رأيت كاليوم ريحا، فقال عندي أعطر نساء العرب، فقال ابن مسلمة أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال نعم. فشمه ثم أشم أصحابه، وفي رواية فقال ابن مسلمة إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما ناكل وإني قد أتيتك أستسلفك، قال كعب وأيضا والله لتملننه، وفي رواية وأحب أن تسلفنا طعاما، قال وأين طعامكم؟ قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه. قال ألم يان لكم أن تعرفوا أنما أنتم عليه من الباطل اهـ؟ قال نعم، ارهنوني، قالوا أي شيء تريد؟ قال ارهنوني نساءكم؛ قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ فقال فارهنوني أبناءكم. قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكننا نرهنك اللامة، يعنى السلاح، وإنما قالوا له ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم بالسلاح.

وفي رواية أن أبا نائلة جاءه فقال له ويحك يا بن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني. قال افعل. قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال، فقال كعب: أما والله لقد كنت أخيرك أن الأمر سيصير إلى ما أقول. فقال إني أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك، وإن معي أصحابي على مثل رأيي وقد أردت أن أتيك بهم فتبيعهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال إن فى الحلقة لوفاء، وأوماً الدمياطي إلى ترجيحه. قال الحافظ ويحتمل أن كلا منهما كلمه فى ذلك لأن أبا نائلة

أخوه من الرضاعة وابن مسلمة ابن أخيه. وفى رواية الواقدي وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه اهـ. فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا. قال ابن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار فوضعت فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله والمغول بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو شبه سيف قصير تغطيه الثياب أو حديدة دقيقة لها حد ماض وثنته بضم المثالثة وشد النون المفتوحة سرته. وإنما قتلوه علي هذا الوجه لأنه نقض عهده صلى الله عليه وسلم وهجاه، وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه، قاله المازري. قال عياض وقيل لأن محمد بن مسلمة لن يصرح له بالأمان وإنما كلمه فى أمر البيع واشتكى إليه ولا يحل لأحد أن يقول أن قتله كان غدرا، وقد قال ذلك إنسان فى مجلس علي كرم الله وجهه فأمر به فضربت عنقه، وروي أنهم لما قتلوه حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة وأصاب الحارث بن أوس ذباب سيف من أسياف الصحابة فجرح فى رأسه أو رجله ونزفه الدم فاحتملوه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فتفل عليه السلام على جرحه فلم يؤذه، فقال عباد بن بشر فى ذلك شعرا:

وأوفى طالعنا من رأس خدر
فقلت أخوك عباد بن بشر
لشهر إن وفى أو نصف شهر
وما عدموا الغنى من غير فقر
وقال لنا لقد جئتم لأمر
مجربة بها الكفار نفر
به الكفار كالليث الهزبر
فسقطره أبو عيس بن جبر
بأنعم نعمة وأعز نصر
هم ناهيك من صدق وبر

صرخت به فلم يعرض لصوتي
فعدت له فقال من المنادي
وهذي درعنا رهنا فخذها
فقال معاشر سغبوا وجاعوا
فأقبل نحونا يهوي سريعا
وفي أيماننا بيض حداد
فعانقه ابن مسلمة المردى
وشد بسيفه صلتا عليه
وكان الله سادسنا فأبنا
وجاء برأسه نفر كرام

قوله فقطره بالقاف أي صرعه صرعة شديدة، ولما انتهوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبروه بقتله قال لهم أفلحت الوجوه. فقالوا وجهك يا رسول الله. وروي ووجهك بواوين وحذفها أمس بالأدب، لأنها تثبت فلاح وجهه مع وجوهمهم. ورموا برأسه بين يديه فحمد الله تعالى على قتله، فأصبحت اليهود مذعورين ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا.

وللعراقي:

فمبعثه محمد بن مسلمه في فرقة لقتل كعب الملامه
جاؤا برأسه فأذرموه قال لهم أفلحت الوجوه
ثم سرية زيد بن حارثة الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء وقيل
بالفاء أي المفتوحة وكسر الراء اسم ماء من مياه نجد قاله في المواهب،
وسببها أن قريشا لما كان من وقعة بدر ما كان خافوا طريقهم التي كانوا
يسلكون إلى الشام فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار بكسر التاء
وتخفيف الجيم وبضم الفوقية وشد الجيم، فيهم أبو سفيان واستأجروا
فرات بضم الفاء بن حيان بفتح المهملة وشد التحتية الرفعي البكري
حليف بنى سهم دليلا لهم، ومعهم فضة كثيرة قال ابن اسحاق هي عظم
تجارتهم قال الزرقاني بضم فسكون أي أكثر فبعث إليهم عليه الصلاة
السلام زيدا في مائة راكب فلقيهم بالقردة فأصاب العير فأتى بها
وأعجزه الرجال فخمسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغت
قيمة الخمس عشرين ألف درهم. وعند مغلطاي خمسة وعشرين ألف
درهم وقدموا بالدليل فرات بن حيان أسيرا فأسلم وأرسله عليه السلام
بعد ذلك إلى ثمامة بن أثال في شأن مسيلمة ومر عليه السلام به وهو
مع أبي هريرة والرحال بن عفوة فقال ضرر أحدكم في النار مثل أحد
فما زال فرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغهما ردة رحال وإيمانه
بمسيلمة فخرا ساجدين، وهذه السرية، قال ابن سعد هي أول سرية
خرج فيها زيد أميرا، قال وكان بعثه لهلاك جمادى الآخرة على رأس

ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن أمية الجمحي وحويطب بن عبد العزى القرشي العامري وعبد الله بن أبي ربيعة انتهى. وأسلموا بعد كلهم.

وفي المناوي ومعهم مال كثير منه فضة نحو ثلاثين ألف درهم وثلاثمائة مثقال ذهباً، وذكر ابن إسحاق هذه السرية قبل قتل ابن الأشرف وكان قتله بأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة. وللعراقي بعدما تقدم:

فسبعثه زيدا إلى القردة ماء بنجد بقريب غمزة فحصلوا مائة ألف مغنما وأسسروا فرات ثم أسلما قال المناوي في شرحه بعد قوله القردة بفتح الراء والقاف على الأشهر وضبطه الدمياطي بفاء مفتوحة وراء ساكنة وغمزة قال بفتح الغين المعجمة وميم ساكنة موضع بين نجد وتهامة من طريق الكوفة. وقال حسان بن ثابت في غزوة بدر الأخيرة يؤنب قريشا في أخذهم تلك الطريق:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها	جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم	وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغر من بطن عالج	فقلولا لها ليس الطريق هنالك
أقمن على الرس النزوع ثمانيا	بأرعن جرار عظيم المبسارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه	وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تدرى أصوله	مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن تلف في تطوافنا والتماسنا	فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلف قيس بن امرئ القيس بعده	نزد في سواد لونه لون حالك

ومنها كما في فتح الودود :

وأبلغ أبا سفيان عني رسالة فإنك من غر الرجال الصعالك
الفلجات بالجيم جمع فلج وهو الماء يجري ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال
الفلجة المزرعة والمخاض واحدتها خلفه من غير لفظها وقد قيل في

الواحدة ماخض وعندى ان المخاض فى الحقيقة ليس بجمع وإنما هو مصدر ولذلك وصف به الجمع، وفى التنزيل فأجاءها المخاض كذا رأيته معزوا للسهيلى. والأوارك الأكلة للأراك فتفتح أفواهاها لذلك والرس البئر المطوية بالحجارة والنزوع كصبور القريبة القعر وجيش أرعن عظيم له فضول والكميت الأحمر، والقب الضوامر والهارك أعلى الكاهل، والعامى الذى مر عليه عام، والرواتك المسرعات، والرتك سير النعام، وفرات مر قريبا ضبطه ونسبه.

ثم سرية أبى سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قطن بفتح القاف والطاء المهمة وبالنون جبل بناحية فيذ بفتح الفاء وسكون التيحتية وبالذال المهمة ماء لبنى أسد بن خزيمة ومعه مائة وخمسون من المهاجرين والأنصار وسببها أن الوليد بن زبير الطائي أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم أنه مر بطليحة وسلمة ابني خويلد الأسدي وهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه عليه السلام فنهاهم قيس بن الحارث فلم ينتهوا، فبعث إليهم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل بأرض بنى أسد، فأغر عليهم. فأسرع أبو سلمة السير حتى انتهى إلى أدنا قطن فأغار علي سرح لهم مع رعاء لهم ممالك ثلاثة وأفلت سائرهم فجاءهم وأخبروهم الخبر فتفرقوا فى كل وجه وهرب طليحة وأخوه ولم يدركهما أبو سلمة فرجع ولم يلق حربا، وللعراقي رحمه الله تعالى:

فبعده بعث ابن عبد الأسد	بقطن لولدي خويلد
طليحة مع أخيه سلمه	قد جمعا حرب نبي المرحمه
فلم يصل حتى تفرق الملا	وغنموا شاء لهم وإبلا

وطليحة أسلم بعد ذلك وارتد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى النبوة ثم اسلم إسلاما صحيحا ولم يغمض عليه فى إسلامه بعد ذلك. وجزم الشامي بأن أخاه سلمة لم يسلم، وقال ابن عبد البر أن

مسعود بن عروة قتل فى هذه السرية. وقوله حرب منصوب بنزع الخافض أي جمع الناس إلى حرب، وقوله إبلا أي كثيرة كما فى المناوي. ومدة غيبة تلك السرية عشرة أيام والله تعالى أعلم قاله الزرقاني. ثم يلي ما مر بعث عبد الله بن أنيس بضم أوله وفتح النون وسكون التحتية ابن أسعد الجهني الأنصاري، قاله الزرقاني. بعثه وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قتل سفيان بن خالد بن نبيح بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية وحاء مهملة الهذلي ثم اللحياني قاله ابن سعد وتبعه اليعمرى والعراقي وقال ابن اسحاق خالد بن سفيان بن نبيح لأنه بلغه عليه السلام أنه يجمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائتته فاقتله، فقال صفه لى حتى أعرفه، قال إذا رأيته هبته وفرقت ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال، فقلت يا رسول الله ما فرقت من شيء قط قال آية ما بينك وبينه ذلك، واستأذنته أن أقول، فقال قل ما بدا لك فقال انتسب لخزاعة قال فأخذت سيفي ولم أزد عليه وخرجت اعتزى إلى خزاعة فلما وصل إليه بعرنة بضم العين المهملة وفتح الراء والنون فتاء تأنيث موضع بقرب عرفة موقف الحاج لقيه يمشي وراءه الأحابيش قال فهبته وعرفته بنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد دخل وقت العصر فصليت وأنا أمشي أومئ برأسى إيماء فلما دنوت منه، قال فمن الرجل؟ قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد وجئت لأن أكون معك، قال أجل إنى لفى الجمع فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وقلت عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين، فارق الآباء وسفه أحلامهم، قال انه لم يلق أحدا يشبهنى وهو يتوكأ على عصى تهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به، فقال هلم يا أخا خزاعة، فجلست معه حتى إذا نام الناس اغتررته واحتز عبد الله رأسه ثم دخل غارا فى الجبل وضرب العنكبوت عليه، فجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فخرج

يسير الليل ويكمن النهار حتى أتى المدينة فرمى برأسه بين يدي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال أفلح الوجه، أي فاز، فقال أفلح وجهك يا رسول الله. فدفع إليه عصى، فقال تخصر بها فى الجنة، فإن المتخصرين فى الجنة قليل فكانت عنده فلما حضرته الوفاة وصى بأن تدرج فى كفنه فجعلواها بين جلده وكفنه وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة.

وللحافظ العراقي:

يليه بعث ابن أنيس العامد لقتل سفيان هو ابن خالد
ابن نبيح كان صوب عرنه يجمع للنبي فلما أمكنه
أي فلما هداً الناس وناموا قاله المناوي.

احتز رأسه فلما أحضره دعاه وخصه بمخصره
وهي بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة فصاد مهملة ما يمسكه الإنسان
من نحو عصى قاله المناوي وفى الزرقاي التخصر الاتكاء على قضيب
ونحوه وقال عبد الله فى ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولتسه والظعن خلفى وخلفه بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم أمام الدارعين كأنه شهاب غضى من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن أنيس فارسا غير قعد
فقلت له خذها بضربة ماجد حنيف على دين النبي محمد
وكنتم إذا هم النبي بكافسر سبقت إليه باللسان وبالييد
والظعن جمع ظعينة وقد مر أنها تقال للمرأة وإن لم تكن راكبة وهذا
التفسير هو الذى يلائم ما مر عن الزرقاني، والمناوي وفى الكلاعي انه
وجده فى ظعن يرتاد لهن منزلا وانه قال وتركت ظعائنه منكبات وتفرى
تشق والمقعد المقطع والقعد الجبان وعجمه كنصره: عضه، أو لأكه
وحنيف مسلم.

ثم بعد بعث عبد الله بن أنيس على ما للقسطلاني فى المواهب بعث
الرجيح بفتح الراء وكسر الجيم وهو اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

كانت الوقعة قريبا منه فسميت به وهو سرية عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بالقاف واللام، قيس بن عصمة بن النعمان الأوسي من السابقين، روى الحسن بن سفيان انه لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون؟ فقام عاصم بن ثابت وقال إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم، وشهد عاصم العقبة وبدر وأحدا واستشهد بعد أحد في هذه السرية كما يأتى وكانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة، فهي في السنة الرابعة كما قاله ابن سعد، ولابن اسحاق أنها في أواخر سنة ثلاث انظر الزرقاني، والمداعبة هنا المدافعة بالرماح وتقصف تكسر وسماها بعضهم سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي وبه صدر الحافظ العراقي وفي هذه السرية وقعت قصة عضل والقارة وعضل بفتح العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها لام هو ابن الديش بفتح الدال المهملة وكسرها ثم تحتية ساكنة ثم شين معجمة كما قاله البرهان وشيخه المجد في القاموس وفي السبل بسين مهملة ابن محكم بطن من بنى الهون بضم الهاء وسكون الواو ابن خزيمة بن مدركة القارة بفتح القاف وتخفيف الراء فتاء تانيث بطن من الهون أيضا ينسبون إلى الديش المذكور، والقارة أكمة سوداء فيها حجارة كانوا نزلوها فسموا بها ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي قال الشاعر:

قد انصف القارة من رماها، انظر المواهب وشرحها.

وسبب قصة أصحاب الرجيع أنه لما قتل ابن نبيح الهذلي ثم اللحياني مشيت بنو لحيان من هذيل إلى عضل والقارة فجعلوا لهم إبلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخرج إليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر منهم مقرين بالإسلام فقالوا يا رسول الله إن

فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد وأمره عليهم، وخالد بن البكري وعاصم بن ثابت وخبيب بضم الخاء المعجمة بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة والمثلثة وشد النون فتاء تأنيث الأنصاري البياضي وعبد الله بن طارق البلوي وكلهم بدريون وكون الأمير عليهم مرثدا قاله ابن اسحاق وفي الصحيح وأمر عليهم عاصما وهو الصحيح كما قاله السهيلي وغيره فخرجوا معهم حتى أتوا الرجيع غدروا بهم فاستغاثوا عليهم هذيل فلم يرعهم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم إنا والله لا نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب معكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد الغنوي حليف حمزة وخالد بن البكير بضم الموحدة وفتح الكاف البلوي حليف بنى عدي وعاصم بن ثابت الأوسي فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم.

وقال عاصم قبل قتله:

مما علتي وأنا جلد بازل	والقوس فيهما وتر عنابل
نزل عن صفحتها المعابل	الموت حق والحيياة باطل
وكل مـــــا حم الإله نازل	بالمرء والمرء إليـــــه ءائل
إن لم أقاتلكم فإني جاهل	

العنابل كعلايط الغليظ والمعابل بالموحدة بعد الألف جمع معبلة كمكنسة انتهى وهي نصب نصل السهم العريض الطويل وحم قدر، وأما زيد وخبيب الأوسي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا فلما استمكنوا منهم اطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال عبد الله بن طارق هذا أول الغدر والله لا أصحابكم أن لى بهؤلاء أسوة يريد القتل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون التحتية فراء مهمة ابن اهاب ككتاب

فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد وأمره عليهم، وخالد بن البكرى وعاصم بن ثابت وخبيب بضم الخاء المعجمة بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة والمثلثة وشد النون فتاء تأنيث الأنصاري البياضي وعبد الله بن طارق البلوي وكلهم بدريون وكون الأمير عليهم مرثدا قاله ابن اسحاق وفي الصحيح وأمر عليهم عاصما وهو الصحيح كما قاله السهيلي وغيره فخرجوا معهم حتى أتوا الرجيع غدروا بهم فاستغاثوا عليهم هذيل فلم يرعهم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم إنا والله لا نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب معكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد الغنوي حليف حمزة وخالد بن البكر بضم الموحدة وفتح الكاف البلوي حليف بنى عدي وعاصم بن ثابت الأوسي فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم.

وقال عاصم قبل قتله:

مما علتي وأنا جلد بازل	والقوس فيها وتر عنابل
نزل عن صفحتيها المعابل	الموت حق والحيياة باطل
وكل مما حم الإله نازل	بالمرء والمرء إليه أئـل
إن لم أقاتلكم فإنى جاهل	

العنابل كعلايط الغليظ والمعابل بالموحدة بعد الألف جمع معبلة كمكنسة انتهى وهي نصب نصل السهم العريض الطويل وحم قدر، وأما زيد وخبيب الأوسي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا فلما استمكنوا منهم اطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال عبد الله بن طارق هذا أول الغدر والله لا أصحابكم ان لى بهؤلاء أسوة يريد القتل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون التحتية فراء مهملة ابن اهاب ككتاب

كانت الواقعة قريبا منه فسميت به وهو سرية عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بالقاف واللام، قيس بن عصمة بن النعمان الأوسي من السابقين، روى الحسن بن سفيان انه لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون؟ فقام عاصم بن ثابت وقال إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم، وشهد عاصم العقبة وبدر وأحدا واستشهد بعد أحد في هذه السرية كما يأتى وكانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة، فهي في السنة الرابعة كما قاله ابن سعد، ولابن اسحاق أنها في أواخر سنة ثلاث انظر الزرقاني، والمداعبة هنا المدافعة بالرماح وتقصف تكسر وسماها بعضهم سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي وبه صدر الحافظ العراقي وفي هذه السرية وقعت قصة عضل والقارة وعضل بفتح العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها لام هو ابن الديش بفتح الدال المهملة وكسرهما ثم تحتية ساكنة ثم شين معجمة كما قاله البرهان وشيخه المجد في القاموس وفي السبل بسين مهملة ابن محكم بطن من بنى الهون بضم الهاء وسكون الواو ابن خزيمة بن مدركة القارة بفتح القاف وتخفيف الراء فتاء تانيث بطن من الهون أيضا ينسبون إلى الديش المذكور، والقارة أكمة سوداء فيها حجارة كانوا نزلوها فسموا بها ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي قال الشاعر:

قد انصف القارة من رماها، انظر المواهب وشرحها.

وسبب قصة أصحاب الرجيع أنه لما قتل ابن نبيح الهذلي ثم اللحياني مشيت بنو لحيان من هذيل إلى عضل والقارة فجعلوا لهم إبلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخرج إليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر منهم مقرين بالإسلام فقالوا يا رسول الله إن

التميمي حليف بنى نوفل وقد اسلم الثلاثة بعد وصحبوا ولله الحمد، وفي البخاري ان خبيبا هو الذى قتل الحارث أباهم يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى عزموا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستنجد بها فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل إليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال ما كنت لأغدر، قالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب كان يتهدد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين والله لقد وجدته ياكل قطفا بكسر القاف أي عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان ذلك إلا رزقا رزقه الله تعالى خبيبا.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال اتركونى أصلى ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال اللهم احصهم عددا بقطع الهمزة أي استأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا بفتح الموحدة والdal المهملة مصدر بمعنى التبدد يعنى متفرقين، ومن رواه بكسر الموحدة فهو جمع بدة وهي القطعة من الشيء، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي كما فى مرسل بريدة، قال السهيلي أصابت دعوته من سبق فى علم الله أن يموت كافرا ومن أسلم منهم، فلم يعنه خبيب وحاشاه أن يكره إيمانهم ومن قتل منهم بعد الدعوة فإنما قتلوا بها بددا غير مجتمعين كاجتماعهم فى أحد فنفذت الدعوة على صورتها فيمن أراد خبيبا انتهى.

وعن معاوية بن أبى سفيان قال كنت مع أبى فجعل يلقينى إلى الأرض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل إذا دعي عليه واضطجع زلت عنه الدعوة، وروي ان خبيبا قال اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه، فجاء جبريل فأخبره الخبر فزعموا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وعليك السلام.

وفي الصحيح ان الذى قتل خبيبا أبو سروعة عقبة بن الحارث وهو بكسر السين وفتحها والراء ساكنة وقال جماعة من أهل السير والنسب

أبو سروعة أخو عقبة وهو الذى تقدم، وقال العسكري من زعم أنهما واحد فقد وهم وفى الإصابة أبو سروعة هو عقبة عند الأكثر وقيل أخوه وأسلم يوم الفتح ولابن اسحاق بإسناد صحيح عن عقبة بن الحارث ما أنا قتلت خبيبا أنا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها فى يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله، ولما أرادوا قتله أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا
وكلهم مبدى العداوة جاهد
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى
ولست أبالى حين أقتل مسلما
وذلك فى ذات الإله وإن يشئ
فقد خيرونى الكفر والموت دونه
ومسا بى حذار الموت إنى لميت
فلست بمبىد للعدو تخشعا
وألبوا بشد اللام حضوا ولا يفسر بجمعوا كما فى النور ليغاير ما قبله
وما بعده، والمصرع المطرح على الأرض، وذات الإله وجه الله وابتغاء
رضاه وثوابه والأوصال الأعضاء جمع وصل، والشلو بكسر الشين
المعجمة وسكون اللام الجسد والممزع المقطع المفرق والجحم بفتح الجيم
الاضطرام والتلفع التلهب وروي انهم لما وضعوا فيه السلاح وهو
مصلوب ناشدوه أتحب أن محمدا مكانك؟ قال لا والله ما أحب أن
يفدينى بشوكة فى قدمه.

وأما زيد بن الدثنة فاتبعه صفوان بن أمية فبعث به مولى له اسمه
نسطاس بكسر النون إلى التنعيم ليقتله فقتله وروي ابن اسحاق ان
أبا سفيان بن حرب قال لزيد لما قدم ليتقل أنشدك بفتح الهمزة وضم
الشين أي أسألك بالله أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه

وأنت في أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. وأسلم نسطاس بعد وحسن إسلامه. وقال حسان يبكي خبيبا:

يا عين جودي بدمع منك منسكب وابكي خبيبا مع الفتيان لم يؤب
صقرا توسط في الأنصار منصبه سمح السجية محضا غير مؤتشب
قد هاج عيني على علاة عبرتها إذ قيل نص على جذع من الخشب
يا أيها الراكب الغادي لطيته ابلغ إليك وعيدا ليس بالكذب
بني جهينة أن الحرب قد لقحت محلوبها الصاب إذ يهدى لمحتلب
فيها أسود بنى النجار تقدمهم شهب الأسنة في معصوصب لجب
ونص بالبناء للفعول رفع والطية كالنية زنة ومعنى والصاب شجر مر،
والمعصوصب المجتمع الشديد وجيش لجب بكسر الجيم له لجة وصياح
ومؤتشب بالفتح غير صريح في نسبه، انظر القاموس.

وبعثت قريش عاصم بن ثابت من ياتيههم بشيء منه لأنه كان قتل عقبة بن معيط بعد انصرافهم من بدر بمحل يقال له عرق الظبية قتله صبورا بأمر من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن اسحاق انه لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعهوه من سلافة بضم السين وخفة اللام وبالفاء وصحفها ابن الأثير فأبدلها ميم بنت سعد بن شهيد بضم المعجمة وفتح الهاء الأنصارية الأوسية أسلمت في الفتح وهي أم مسافع بضم الميم وكسر الفاء وجلاس بضم الجيم وخفة اللام وسين مهملة ابنا طلحة العبدري وكان عاصم قتلها يوم أحد وكانت قد نذرت حين قتل عاصم ابنها يوم أحد لأن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه وهو بكسر القاف وسكون الحاء المهملة وبالفاء ما انفلق من الجمجمة وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر وهو بفتح الدال وتكسر وسكون الباء جماعة النحل. وللبخاري فبعث الله عليهم مثل

الظلة من الدبر فحمتته من رسلهم فلم يقدرُوا منه علي شيء. ولا بن اسحاق وكان قد اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك أي بمصافحة ونحوها مما يشعر بالليل إليهم فلا ينافى انه يقتلهم بسيف أو رمح.

ثم بعد بعث الرجيع على ما فى المواهب والاكتفاء سرية المنذر بن عمرو بفتح العين حبيش بن حارثة بن لوذان الخزرجي العقبي البصري إلى بئر معونة بفتح الميم وضم المهمله وسكون الواو وهي بين أرض بنى عامر وحره بنى سليم كلا البلدين منها قريب وهي إلى حره بنى سليم أقرب كما فى الكلاعي وكانت فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وقدمها الحافظ العراقي على بعث الرجيع وسببها أنه قدم أبو براء بفتح الموحدة وبالراء والمد ، ملاعب الأسنة واسمه عامر بن مالك بن جعفر العامري الكلابي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، بل قال يا محمد أنا أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد لرجوت أن يستجيبيوا لك فقال عليه الصلاة والسلام إنى أخشى أهل نجد عليهم، قال أنا جار لهم فابعثهم. فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو وبعث معه القراء وهم سبعون كما فى البخاري ومسلم من طرق واقتصر عليه العراقي وقال السهيلي هو الصحيح وقيل أربعون ويمكن الجمع بأن الأربعين كانوا رؤساء والثلاثون تبع وكانوا يجمعون الحطب بالنهار ويصلون بالليل ويشترون بالحطب الطعام لأهل الصفة وكانوا من الأنصار وفى رواية أنه أي أبا براء أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرسين وراحتين فقال عليه الصلاة والسلام لا أقبل هدية مشرك، وفى رواية إنى نهيت عن زبد المشركين بفتح الزاي المعجمة وسكون الموحدة وبالدال المهمله الرغد والعطاء قال السهيلي ولم يقل عن هديتهم لأنه إنما كره ملاينتهم أو مداهنتهم إذا كانوا حربا له لأن الزبد مشتق من الزبد

كما أن المداهنة مشتقة من الدهن، فعاد المعنى إلى معنى اللين، نقله العلامة الزرقاني.

ولما وصل المنذر ومن معه من معونة بعثوا حرام بن ملحان بكسر الميم أشهر من فتحها أخو أم سليم بكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي وهو ابن أخ براء ومات كافرا بإجماع أهل النقل.

وأما قول المستغفري أنه صحابي فغلط كما قاله البرهان، وقال الحافظ هو خطأ صريح وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي.

فلما أوتى عدو الله بكتاب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينظر فى كتابه وعدا على حرام فقتله وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح قال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عليهم بنى عامر قومه فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر بضم أوله أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية بضم العين المهملة وفتح الصاد المهملة وشد التحتية وتاء تأنيث ورعلا بكسر فسكون ابن عوف بالفاء بن مالك بن امرئ القيس بن نهية بن سليم وذكوان، وهذه الثلاثة بدل من قوله قبائل وذكوان بفتح المعجمة وسكون الكاف بطن ينسبون لذكوان بن ثعلبة بن سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رضى الله تعالى عنهم.

الأكعب بن زيد الأنصاري البخاري البدرى فإنهم تركوه وبه رمق لظنهم موته فارتث من بين القتلأفعاش حتى استشهد فى الخندق قتله ضرار بن الخطاب أو قتله سهم غرب لا يدري راميه وعمرو بن أمية الضمري بفتح فسكون كان فى سرح القوم هو ورجل من الأنصار قيل اسمه المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله إن لهذا الطير لشأنا، فأقبلا لينظرا فإذا القوم

فى دمائهم والخيىل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصارى لعمرى ما ترى؟ قال نرى أن نلحق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونخبره الخبر، قال الأنصارى لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فىه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل وأسروا عمرو بن أمية فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فلما بلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل؛ قال الزرقانى اختلف فى اسلام أبى براء وذكره جماعة من الصحابة فى الصحيح وقال الذهبى الصحيح انه لم يسلم، وقال فى الإصابة ليس فى شيء من الأخبار ما يدل على إسلامه ولقب ملاعب الأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح يوم سوبان وهو يوم كان بين قيس وتميم وجبله اسم لهضبة عالية لأن أخاه طفيل الذى يقال له فارس قرزل اسلمه ذلك اليوم وفر، فقال الشاعر:

فررت وأسلمت ابن امك عامرا يلاعب أطراف الوشيح المزعزع
فسمي ملاعب الرماح وملاعب الأسنة وهو عم لبيد بن ربيعة بن مالك انتهى من السهيلي انظر الزرقانى.

قوله ارتث أى حمل من المعركة رثيثا أى جريحا وبه رمق، قاله فى القاموس، وقتل يومئذ عامر بن فهيرة فلم يوجد جسده رضى الله عنه ودفنته الملائكة قاله فى المواهب. قال الزرقانى عقبه كما رواه ابن المبارك عن عروة وفى الصحيح عنه لما أسر عمر وقال له عامر بن الطفيل من هذا؟ فقال هذا عامر بن فهيرة، فقال لقد رأيت به بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع، قال البيهقى يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك. وفى رواية ابن المبارك وكان الذى قتله رجل من بنى كلاب جبار بن سلمان ذكر أنه لما طعنه قال فزت والله فقلت فى نفسى ما قوله فزت. فأتيت الضحاك بن

سفيان فسأله فقال بالجنة فأسلمت انتهى.
فجبار بالجيم والموحدة مثقل، وسلمى بضم المهملة وقيل بفتحها وسكون اللام والقصر. وعن أنس ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجد أي حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة انتهى.
ولعل حكمته أنه لم يرسلهم لقتال إنما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بأن الرسل لا تقتل.

وفي الصحيحين عن أنس دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، ثلاثين صباحا. وفي البخاري فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم شهرا فى صلاة الغداة بعد القراءة وذلك بدء القنوت. وفى مسلم دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل ولحيان أي بكسر اللام وفتحها ابن هذيل ابن مدركة وزعم الهمداني أنهم من بقايا جرهم دخلوا فى هذيل فنسبوا إليهم وعصية عصت الله ورسوله كذا وقع فى هذه الرواية وهو يوهم أن بنى لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك وإنما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية، ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع وإنما أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم كلهم فى وقت واحد فدعا على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين دعاء واحدا والله أعلم، قاله فى المواهب وذكر صاحب شرف المصطفى أنه لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمي إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها اذهبي إلى رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، فأتتهم فقتلت منهم سبعمئة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة، نقله الزرقاني وقال القسطلاني سياق ترجمة البخاري أي بقوله باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاص بن ثابت وخبيب وأصحابه يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لأن بعث الرجيع كانت سرية عاصم وخبيب وأصحابهما وهي مع

عضل والقارة وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان .
انتهى المراد منه .

وروى البخاري أنه قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة
سبعون ويوم اليمامة سبعون في قتال مسيلمة، قاله الزرقاني؛
وللحافظ العراقي بعد ذكره لبعث عبد الله بن أنيس:

فبعثه المنذر والقرا إلى بئر معونة فطابوا نزلا
فاستشهدت سبعون الأكعبا هو بن زيد كان رتئنا صعبا
ووجد النبي حزنا حتى قنت شهرا في صلاة بحتا
يدعو على القاتل حتى أنزلا ليس لك (الآية) ربنا عـ

قوله المنذر هو ابن عمرو لانه أمير السرية ونزلا بضم النون والزاي
تمييز محول عن الفاعل أي طاب نزلهم وهو ما يقدم للضيف عند نزوله،
ورتئنا بضم الراء وسكون المثناة، فوق، ثم همزة أي شديد القوة،
والصعب الشجاع الباسل، وقوله وجد أي حزن، وبحتا بفتح الموحدة
وسكون الحاء المهملة ثم مثناة فوقية أي خالصا، وربنا فاعل أنزل ولم
يستثن عمرو بن أمية مع أنه لم يقتل وإنما أسر ثم أطلق كما مرّ وأنزل
قرآن فيمن قتل ببئر معونة ثم رفع.

بلغوا عنا قومنا أنا لقـينا ربنا
فرضي عنا ورضينا عنه

وللعراقي بعدما مرّ :

فبعثه إلى الرجيع مرثدا أو عاصم بن ثابت وأسندا
هذا البخاري وفيه خانا بسبعة منهم بنو لحيانا
وأسروا زيدا خبيبا بيعا وقتلوا ابن طارق صريعا
ثم الذي ابتاع خبيبا قتله كذا يزيد مشتريه فعله
وقصصدت هذيل رأس عاصم حمته دبر ثم سيل عاصم
وقوله خان أي غدر وقوله بسبعة كذا في رواية وفي أخرى ستة وقوله
ثم سيل عاصم أي مانع له من الأخذ وذلك أنهم قالوا الدبر يذهب ليلا

فناخذه فأرسل الله سيلا فاحتمله فلم يقعوا منه على خبر وكان نذر أن لا يمس مشركا فأبر الله قسمه قاله المناوي. وقوله خبيبا بحذف حرف العطف وكذا قوله بيعا يقدر له واو وقوله صريعا أي وتركوه صريعا في مر الظهران وقبره بها قاله المناوي أيضا، ثم بعد ما مر بعث محمد بن مسلمة للقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم بطون من بنى بكر بن كلاب من قيس عيلان وهم قرط بضم فسكون وقريط بفتح الراء كزبير وقريط بكسرهما كأثير بنو عبد بغير إضافة كما ضبطه البرهان وتبعه الشامي فمن قال بفتح القاف كأنه اشتبه عليه أو سبقه القلم، وكذا من ضبطه بضم القاف وفتح الراء، وفي القاموس القروط بالضم بطون بنى كلاب وهم اخوة قرط كقفل وقريط كزبير وقريط كأثير انتهى من العلامة الزرقاني.

وفي شرح المناوي للعراقي انه بضم القاف وفتح الراء وإعجام الظاء قال جامع والأول هو الصواب ولم يذكره في القاموس إلا في باب الطاء المهملة والله تعالى أعلم. فبعثه عليه السلام في ثلاثين راكبا خيلا وإبلا لعشر خلون من المحرم سنة ست على رأس أي أول تسعة وخمسين شهرا من الهجرة الي القرطاء وهم ينزلون بناحية ضرية بفتح المعجمة وكسر الراء المهملة وشد التحتية فتاء تأنيث بالبكرات بفتح الموحدة وهي جبال شمش وضرية قرية بينها وبين المدينة سبع ليال، وممن بعث معه عباد بن بشر وسلامة بن وقش والحارث بن خزيمة بفتح المعجمة وسكون الزاي وقيل بفتحها وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم بفتح التحتية وضم المعجمة وبضم التحتية وكسر الشين ونون أي يفرق الخيل المغيرة، قاله الزرقاني، فقتل منهم عشرة وهرب سائرهم فاستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم قاله ابن سعد، وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمانية بضم المثناة ابن أثال بضم الهمزة وخفة المثناة فألف فلام، مصروف بن النعمان الحنفي أسيرا فربطوه بأمره عليه الصلاة والسلام

بسارية من سوار المسجد. وفي الصحيحين عن أبي هريرة بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوار المسجد فخرج إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما ذا عندك يا ثمامة، قال عندي خير يا محمد؛ ان تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علي شاكر فإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فترك حتى كان الغدو قال ما عندك يا ثمامة؟ قال ما قلت لك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي ما قلت لك.

قال أطلقوا ثمامة، فانطلق الي نجل بنون فجيم ساكنة فلام أي ماء سائل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فأسلم، وقال يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الحافظ أي بخير الدنيا والآخرة؟ أو بالجنة؟ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت؟ قال لا. ولكن أسلمت ووالله لا تاتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال رجل من بني حنيفة في شأن عمرته هذه:

ومنا الذي لبي بمكة معلنا برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم ثم خرج ثمامة رضي الله تعالى عنه الي اليمامة فممنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا فكتب إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل. وفي رواية النسائي والحاكم عن ابن عباس فجاء أبو سفيان إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز والدم والعلهز بكسر العين المهملة والهاء بينهما لام ساكنة وبزاء آخره الوبير وكأنهم كتبوا له أولا ثم لم يكتفوا بالكتابة لشدة ما هم فيه من القحط، فخرج أبو سفيان

فانظر إلى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة قوله لا والله قال الحافظ فيه حذف أي لا أرجع إلى دينكم ولا أرفق بكم فاترك الميرة تأتيكم، وفي بعض نسخ المواهب المصحفة لا تأتيكم ولا وجود لها في الصحيحين انظر الزرقاني.

فائدة:

كان ثمامة من فضلاء الصحابة ونفع الله به الإسلام كثيرا وقام بعد وفاة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما حميدا حين ارتدت أهل اليمامة مع مسيلمة فقال {بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول}، أين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين. وللعراقي:

فبعثه محمد بن مسلمه للفرط أصاب منهم مغممه
شاء لهم ونعمما أصابوا بعضهم وبعضهم هراب
لم يعرضوا للظعن أمر رامة أميرهم وأسروا ثمامه
قوله ونعمما أي إبلا، قال المناوي وبقرا، والغنم ثلاثة آلاف والنعم مائة وخمسون، والظعن النساء جمع ظعينة سميت به لأنها تظعن مع زوجها حيث ظعن، انتهى كلامه، ويعرضوا بفتح التحتية وكسر الراء كما في الدماميني.

ثم يلي ما مرّ سرية الغمر بالغين المعجمة المفتوحة قاله في المواهب. قال الزرقاني وهو الصواب المذكور في العيون وغيرها وفي نسخة مكسورة، انتهى كلامه. وقال المناوي بغين معجمة مكسورة وقيل مفتوحة انتهى. وميمه ساكنة ويقال له غمر مرزوق بصيغة اسم المفعول وزيادة ابن قبل مرزوق وهم وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون التحتية فدا ل مهملة ويقال لها سرية عكاشة بضم المهملة وشد الكاف وتخفف ابن محسن كمنبر الأسدي لأنه أميرها

عند ابن سعد، وقال ابن عائذ أميرها ثابت بن أقرم ومعه عكاشة فيمكن أنهما اشتركا بعثه في أربعين رجلا فخرج يغذ بضم التحتية وكسر المعجمة وبالذال المعجمة أي يسرع السير فنذر به القوم بفتح النون وكسر الذال كفرح أي علموا فهربوا فنزلوا على بلادهم فوجدوا ديارهم خلوا بضم الخاء المعجمة واللام وتقدير مضاف أي أصحاب ديارهم، غيبا فبعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم قريبا فتحملوا فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم علي نعم لبنى عم له فأغاروا على مائتي بعير فأرسلوا الرجل وقدموا بالإبل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلقوا كيذا أي حربا. وللحافظ العراقي فبعثه عكاشة بن محصن:

لغمـر مرزوق مـويه لبني أسد علي يومين أي من فسيـد
فهربوا وما لقوا من كيـد

وكانت هذه السرية في ربيع الأول سنة ست من الهجرة بعد غزوة الغابة وقيل في أول ربيع الآخر ثم بعد هذه السرية بعث محمد بن مسلمة الأوسي الأشهلي إلى ذي القصة بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحين موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا قاله في المواهب، قال المناوي سمي بذلك لقصة في أرضه أي جص، وقيل على يريد من المدينة وقيل على خمسة أميال بعثه عليه الصلاة والسلام ومعه عشرة منهم أبو نائلة والحارث ابن أوس إلى بنى ثعلبة بطن من ريث بفتح الراء وسكون التحتية ابن غطفان وبنى عوال قاله ابن سعد وعوال بعين مهمة مضمومة فواو مخففة حي من بنى عبد الله بن غطفان؛ وفي الشامية إلى بنى معوية بفتح الميم والعين المهملة وكسر الواو وسكون التحتية وتاء تانيث، وقوله العين أي وبالعين، وليس مراده أنها مفتوحة، ففي القاموس معوية بفتح فسكون ابن امرئ القيس بن ثعلبة قاله الزرقاني، فوردوا على القوم ليلا فأحرق بهم القوم وهم مائة فما شعر المسلمون إلا بالنبل خالطهم فوثب محمد بن

مسلمة فصاح فى أصحاب: السلاح. فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وقتل من القوم رجل، وجردوهم من ثيابهم فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحملة إلى المدينة جريحا وللعراقي: فبعثه أيضا إلى ذى القصة محمدًا إلى بنى ثعلبة فى عشيرة فأحرق الأعراب بهم وكانوا مائة أصابوا كلهم قتلوا سوى ابن مسلمة جرح جرحا سالما ما أسلمه قوله وكانوا مائة يعنى بنى ثعلبة، وقوله سالما حال، قال المناوي وقوله ما أسلمه حشو كمل به الوزن انتهى.

ويليه بعث أبى عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا لليلتين بقيتا من ربيع الآخر إلى بنى ثعلبة أيضا حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذى القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأصابوا رجلا واحدا منهم فأسلم وتركوه واستاقوا نعماء لهم وشاء وهرب القوم فى الجبال وكانت غيبة هذه السرية ليلتين. وللعراقي:

فبعثه لهم أبا عبيده لم يجسد القوم وحادوا حيدده لكن أصابوا رجلا فأسلموا وغنموا شاء لهم ونعماء وقوله لهم أي لبنى ثعلبة المذكورين فى البيت قبله.

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بضم المهملة وفتح اللام بالجموح بفتح الجيم وضم الميم مخففة ويقال له الجموح بحاء مهملة بدل الميم الأخيرة بلد بأرض بنى سليم على أربعة برد من المدينة عن يسار بطن نخل فى آخر يوم من ربيع الآخر فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها حليلة فأسروها فدلّتهم على محلة بفتح الميم والمهملة وشد اللام أي منزل من منازل بنى سليم فأصابوا نعماء وشاء وأسروا جماعة فيهم زوج حليلة المزنية، فوهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها، قاله فى المواهب وقال الزرقاني قال البرهان لا أعلم لها إسلاما ولا صحبة وليس فى الصحابييات حليلة إلا المرضعة على

الخلاف فى إسلامها، وذكر ابن الجوزي المرضعة وحليمة بنت عروة بن مسعود وذكر بنت مسعود أيضا الذهبي وسلمه فى الإصابة انتهى.
وللعراقي:

فَسَبَّحْتَ زَيْدَ ابْنِ سَلِيمٍ وَهُمْ بِبَطْنِ نَخْلٍ بِالْجَمُومِ
وَقَدْ أَصَابُوا نَعْمًا وَشَاءَ وَأَسْرُوا مَا اللَّهُ مِنْهُمْ شَاءَ
قوله ببطن نخل عن يسار بطن نخل كما قال شارحه، وغيره قال الزرقاني ولم يبين المصنف يعنى القسطلاني كغيره عدة الإبل والغنم والأسرى.

ثم سرية زيد أيضا المتلو اسمه فى مساجد المسلمين إلى العيص بكسر المهملة وإسكان التحتية فصاد مهمة موضع قرب البحر قاله ابن الأثير، قال فى المواهب على أربع ليال من المدينة قال الزرقاني وقد ينافيه قول الصغاني تبعا لابن سعد عرض من أعراض المدينة وهو بكسر العين وإسكان الراء المهملتين وضاد معجمة كل واد فيه شجر كذا فى النور بأن ما فى هذه المسافة أي التى هي أربع ليال لا ينسب لها بعثه عليه الصلاة والسلام فى جمادى الأولى سنة ست ومعه سبعون ومائة راكب، هذا هو الصواب كما قال ابن سعد وشيخه وسلمه اليعمرى والبرهان والشامي لا ما فى المواهب من أنهم سبعون انظر الزرقاني. وعلى الأول اقتصر المناوي يتعرض عيرا لقريش أقبلت من الشام فأخذها وأخذ ما فيها وأخذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسر منهم ناسا فيهم أبو العاصي واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم بكسر فسكون ففتح أو بضم ففتح فتثقل أو ياسر بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأمه هالة أخت خديجة وقدم بهم المدينة فاستجار أبو العاصي بزينب زوجته بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأجارته ونادت فى الناس بأعلى صوتها لما كبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلاة الصبح أيها الناس إني قد أجرت أبا العاصي فلما صلى المصطفى عليه الصلاة والسلام من الصلاة أقبل على الناس فقال

أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم؛ قال والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء وقد أجرت من أجرت، ثم دخل صلى الله تعالى عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه، فقبل وقال لها أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له. وروى البيهقي أن زينب قالت له عليه السلام إن أبا العاصي إن قرب فابن عم وإن بعد فأبو ولد وإنني قد أجرتة. قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاصي فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له ما لا فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم الله فأنتم أحق به، فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالأداة حتي ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله ثم قال هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا لا. قال هل أوفيت ذمتي؟ قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيك كريماً. قال فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم فلما ردها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج وقدم المدينة. وأخرج الحاكم بسند صحيح أن زينب هاجرت وأبو العاصي على دينه فخرج إلى الشام في تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج إليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه، فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحداً؟ قال نعم. قالت فاشهد أنني قد أجرت أبا العاصي. فلما رأى ذلك الصحابة خرجوا إليه بغير سلاح فقالوا له إنك في شرف قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بيس ما أمرتموني به؛ ان افتتح ديني بغدر، فمضى إلى مكة وأسلم عندهم ثم هاجر. وذكر ابن عقبة ان الذي أخذ هذه العير أبو

جندل وأبو بصير بفتح الموحدة وأن أسره كان على يد أبى بصير بعد الحديبية واستظهره البرهان وصوبه ابن القيم، قال الشامي ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخلص إليك أي لا يطأك، فإنك لا تحلين له لأن تحريم المومنات على المشركين إنما نزل بعد الحديبية انتهى. وعلى هذا القول فالأخذ للغير ليس من السرايا، انظر الزرقاني.

وقال فى المواهب وردھا النبی صلی اللہ تعالیٰ علیہ وسلم بالنکاح الأول قیل بعد سنتین وقیل بعد ست سنین وقیل بعد انقضاء العدة وفى حدیث عمرو بن شعیب ردها بنکاح جدید سنة سبع انتهى. وقال السهيلي هذا الحديث يعنى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده هو الذى عليه العمل وإن كان حديث ابن العباس أصح اسنادا يعنى الأول لكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام فرق بينهما انتهى. وقد قال الترمذي سمعت عبد بن حميد يقول حديث ابن عباس أجود اسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب قال السهيلي ومن جمع بين الحديثين قال معنى حديث ابن عباس ردها على مثل النكاح الأول فى الصداق والحباء فلم تحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره نقله الزرقاني. وللعراقي:

فبعثه للعيص حتى أخذوا عير قريش كلها ونفذوا
وفضة كثيرة وأسرا ممن مع العير أتوا والصهرا
صهر النبي زوج زبيب استجار بها أجارته وأهل أن يجار
ومعنى نفذوا أي أتوا بها الى المدينة، وقوله فضة عطف على قوله عيرا.
ثم سرية زيد رابعة إلى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ففاء.
قال فى القاموس ككتف عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة وهو
قريب من مراض بميم فراء مهملة آخره ضاد معجمة، كسحاب، وهو
موضع أو واد كما فى القاموس، بعثه عليه السلام فى جمادى الأخيرة
سنة ست فى خمسة عشر رجلا إلى بنى ثعلبة فأصاب نعماء وشاء
وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون عليه الصلاة والسلام سار إليهم

وهذه مقدمته وأصبح زيد بالنعم فى المدينة وهو عشرون بعيرا ولم يلق كيدا قاله فى المواهب وشرحها وكانت غيبته أربع ليال وكان شعار المسلمين أمت أمت أمر بالإمامة تفاؤل مع حصول الغرض من الشعار جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها فى ظلمة الليل. وللعراقي: فبعثه رابعة إلى الطرف ماء قريب من مراض فأنصرف إلى بنى ثعلبة أصابوا نعمهم وهرب الأعراب والضمير فى بعثه لزيد ثم سرية زيد خامسة إلى حسمى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين مقصور موضع وراء واد القرى بضم القاف وفتح الراء الجوهري اسم أرض بالبادية غليظة لا خير فيها، ينزلها جذام ويقال آخر ما نضب من ماء الطوفان حسمى فبقيت منه بقية الى اليوم انتهى.

وذكر أن الماء فى الطوفان أقام به بعد نضوبه ثمانين سنة وسببها أنه لما أقبل دحية بفتح الدال وكسرهما ابن خليفة الكلبي من عند هرقل لما أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم إليه يدعو إلى الإسلام وقد أجاره، وكساه ومعه تجارة له فلقية الهنيد بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية ابن عارض وابنه عارض بن الهنيد فى ناس من جذام بجيم مضمومة فزال معجمة قبيلة من معد أو اليمن بجبال حسمى قاله الزرقاني؛ وفى القاموس وجدام، كغراب، قبيلة بجبال حسمى من معد انتهى؛ فقطع الهنيد ومن معه الطريق على دحية فأصابوا كل شيء كان معه ولم يتركوا له إلا سمل ثوب وهو بفتح المهملة والميم الثوب الخلق فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة وسكون التحتية رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنفذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكانوا يسرون بالليل ويكمنون بالنهار بضم الميم وفتحها فهجموا مع الصبح على القوم فأكثروا فيهم القتل كما فى الزرقاني وقتلوا الهنيد

وابنه وأخذوا ألف بغير وخمسة آلاف شاة كما قاله ابن سعد واليعمرى وغيرهما، فما فى المواهب فيه سقط بلا شك، قاله الزرقانى. وأخذوا مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعه بن زيد فى نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان وفد عليه فى هدنة الحديبية فأسلم وأهدى له مدعما وكتب له المصطفى كتابا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعه بن زيد، بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل فى حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين.

فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث أن جاء دحية من عند قيصر فلما قدم رفاعه دفع الكتاب إليه عليه السلام وبعث صلى الله تعالى عليه وسلم عليا إلى زيد بأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهي الأهل، وأموالهم، فقال علي أن زيدا لن يطيعني. قال فخذ سيفي هذا فلما أتى علي زيدا فأخبره بذلك قال زيد علامة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي أطلب علامة، فقال علي هذا سيفه، فعرفه زيد فردده عليهم. وفى رواية وكانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل. انتهى.

والظاهر أنهم كانوا يطؤون الجوارى بلا استبراء لأن وجوبه إنما كان فى سبى هوازن والله تعالى أعلم، قاله محمد بن عبد الباقي. وللعراقي:

إلى جذام فأتاهم هجما
وأبه هنيئا المعارضا
فقطعوا طريقه بالقي
فأخذوا الأنعام والسبي فئه
فجاء زيد من جذام كانا
له وللقوم فسأل المغنما
كلا إليهم وأفيا بما عهد

فبعثه خامسة لحسمى
صبحا على القوم أصابوا العارضا
فى قسومه لدحية الكلبي
وكان زيد معه خمسمائه
مائة النساء والصبيانا
معه كتاب المصطفى إذ أسلما
أموالهم مع حريمهم فرد

قوله العارض بمهملة فضاء معجمة وقوله وأبه على لغة النقص كقوله بأبه اقتدى عدى فى الكرم إلخ...، والقي بكسر القاف وشد التحتية الأرض الخالية وقوله والسبي عطف على الأنعام، وقوله فسأل أي سأل رفاعه المصطفى أن يرد إليهم المغنم، وقوله زيد الصحيح أنه رفاعه بن زيد كما قال اليعمرى والبرهان وغيرهما وذكرهما ابن عبد البر والذهبي وغيرهما.

ثم سرية زيد سادسة إلى واد القرى وهو موضع قريب من المدينة به قرى كثيرة فى رجب سنة ست لقي به بنى فزارة فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا، وبه رمق وللعراقي:

فبعثه أيضا له مؤمرا سادسة لوجهة واد القرى به أصيب المسلمون قتلى وارتث زيد من خليط القتلى قوله لوجهة بكسر الواو منونا أي لجهة وفسرها بقوله واد القرى بضم القاف. وفى حديث كعب بن مالك انه ارتث أيضا يوم أحد والرتث والرثيث الثوب الخلق الذى فيه بقية، وقوله خليط القتلا أي القتلا المختلطين فلما قدم زيد أقسم أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فى جيش بواد القرى وسيجئ ذلك بعد سريتين قاله المناوي. ثم بعث عبد الرحمن فى سبعمائة فى شعبان سنة ست إلى كلب بدومة بضم الدال المهمة وفتحها وأنكر ابن دريد الفتح فواو ساكنة ويقال دوماء بالمد الجندل بفتح الجيم والدال وهي من بلاد الشام بينها وبين دمشق خمس ليال دعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقعه بين يديه وعممه بيده الكريمة فأرسلها من خلفه قدر شبر كما فى المناوي وكانت سوداء ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ثم قال خذه يا بن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسرية نبيه، وقال فإن استجابوا

لك فتزوج ابنة ملكهم.

فسار حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم أن لا يعطوا إلا السيف فأسلم في اليوم الثالث رئيسهم الأصبغ بفتح الهمزة وسكون المهملة وفتح الموحدة فغين معجمة ابن عمرو بن ثعلبة وكان نصرانيا وأسلم معه كثير من قومه وأقام من أقام على إعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الأسبغي قال الواقدي وهي أول كلبية نكحها قرشي، فقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة، وولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن قال الواقدي ولم تلد له غيره انظر الزرقاني.

وللحافظ العراقي نفعا الله به:

بعث ابن عوف بعده لکلب بدومة الجندل فاز الكلبی
أميرهم أصبغ بالاسلام ومعه ناس من الأقوام
وأمر النبي أن يصاها را نكح ذاك بنت ذا تماضرا
قوله نكح ذاك أي عبد الرحمن بنت ذا أي الأصبغ، قال الزرقاني وذكره في الشبل.

عقب هذه السرية سرية زيد إلى مدين ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب وأخ له فأصاب سبيا من أهل منيا وهي السواحل وفيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم، فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم؟ فقليل فرق بينهم. فقال لا تبيعوهم إلا جميعا. قال ابن هشام أراد الأمهات والأولاد انتهى. ولم يذكر هذه السرية في المواهب وكذا العراقي لم يذكرها هنا، بل ذكرها بعد سرية ابن عوف، سرية علي بن أبي طالب في مائة رجل في شعبان سنة ست إلى بنى سعد بن بكر بن عوف لما بلغه أنهم ساعون في أن يمدوا يهود خيبر ففسار علي الليل وكمن النهار حتى مشى إلى الغميم بغين معجمة فميم مكسورة فميم ماء بين فذك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا من أنت؟ قال باغ، أي طالب لشيء ضل عني، فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع

بنى سعد؟ قال لا علم لي به. فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فدلهم على فغاروا عليهم، وأخذوا خمسمائة بعير وألف شاة وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بفتح الواو وسكون الموحدة فراء، ابن عليم بضم العين المهملة وقدموا المدينة ولم يلقوا كيدا، وعزل علي صفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوحا تدعى الحفيدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء فдал مهملة فتاء تأنيث وهي السريعة السير قاله الزرقاني. وللعراقي بعد ذكره لبعث ابن عوف:

فبعثه لفدك عليا إلى بنى سعد بن بكر أحيا
الليل سيرا وكمن نهارا حتى أتاهم غفلة أغارا
فهربوا إذ جاءهم بالظعن واستاق أنعامهم وونى
قوله كمن بسكون النون للوزن والظعن بضم الظاء النساء وونى بفتح
الواو وكسر النون اسم فاعل من الونى وهو الضعف قاله المناوي.
ثم سرية زيد فى رمضان سنة ست إلى أم قرفة بكسر القاف وسكون
الراء وبالفاء وتاء تأنيث بنت ربيعة ابن بدر الفزارية وكانت ملكة
رئيسة وهي زوجة مالك بن حذيفة بن بدر وفيها جرى المثل أمنع من أم
قرفة، لأنها كانت يعلق فى بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجل كلها لها
محرم. كنيت بابنها قرفة وقتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما
ذكر الواقدي وذكر أن سائر بنيها وهم تسعة قتلوا مع طليحة يوم بزاخة
فى الردة، وسبب هذه السرية كما مر عن ابن اسحاق أن زيدا لما لقي
بنى فزارة فى سريته المتقدمة التى أصيب فيها أصحابه وارثت زيد
من بين القتلى حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى
فزارة.

وذكر ابن سعد أن سببها أن زيدا خرج فى تجارة إلى الشام ومعه
بضائع لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلقية ناس من فزارة

من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما معهم وجمع بينهما بتعدد السبب بأن يكون زيد كما صح ذهب للتجارة فنهبوه فرجع فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فبعثه إليهم فى جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحاب النهار والفعل كنصر وسمع وساروا الليل وعلم بهم بنو فزارة وجعلوا ناظورا ينظر قدر مسافة يوم حين يصبحون على جبل مشرف وجه الطريق الذى يرون أنهم ياتون منه فيقول لا بأس عليكم فإذا كان الليل أشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا بأس عليكم، فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق وهو من بنى فزارة فصار فى أخرى حتى أحسوا فعينوا الحاضر من بنى فزارة فحمد وأخطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وأحاطوا بالحاضر أي بمن حضر من فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة وعمد قيس بن المحسر قال اليعمرى بفتح السين المهملة وقد تكسر وقيل بتقديم السين على الحاء زاد فى الإصابة وقيل ابن مسحل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين فلام وهو صحابي كنانى ليثى إلى أم قرفة وهي عجوز كبيرة وكانت تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وربط رجليها بحبلين ثم ربطا إلى بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد فقرع باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام إليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله تعالى به هكذا ذكر هذه السرية ابن اسحاق وابن سعد والواقدي وابن عائد وغيرهم وإن أميرها زيد بن الحارثة وفى صحيح مسلم وأبى داود عن سلمة بن الأكوع بعث صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر إلى بنى فزارة وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أي جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذرارى فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي أم قرفة عليها قشع من

أدم معها ابنتها من أحسن العرب، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر
فحللني أبو بكر ابنتها فلم أكتشف لها ثوبا فقدمتنا المدينة فلقيني
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله
أبوك، فقلت هي لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم إلى مكة ففدى بها أسارى من المسلمين كانوا فى أيدي
المشركين قال السهلي وهذه الرواية أحسن وأصح من رواية ابن اسحاق
كونه وهبها لخاله حزن بمكة.

ويقال مثله فى كون أميرها الصديق قال الشامي ويحتمل أنهما
سريتين انتهى المراد من كلام محمد بن عبد الباقي.
وللعراقي:

فبعثه زيدا لأم قرفه سابعة وقوله بعسفه
وصح فى مسلم الطريق بأنها أميرها الصديق
قوله سابعة أي غزوة سابعة وقوله بعسفه أي بعنف وشدة، واسم أم
قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد وهذا بناء أن زيدا كان أمير السرية
وسيأتى فى رواية مسلم أن أميرها الصديق فقوله صح أي ولكن صح
فى مسلم الطريق عن أنس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه بأن أميرها أي
هذه السرية أبو بكر الصديق، انظر المناوي.

انتهى والحمد لله الجزء الأول من كتاب

«نزهة الأفكار فى شرح قررة الأبصار»

وآخره سيرة زيد لأم قرفة ويليه الجزء الثاني،

وأوله سيرة عبد الله بن عتيك ليقتل أبا رافع اليهودي سلام بن أبي
الحقيق

فهرست الجزء الأول من شرح الإمام الجليل المجدد
عبد القادر بن محمد بن محمد سالم على نظم الشيخ عبد العزيز اللمطي
«قرة الأبصار في سيرة النبي المختار»

الصفحة	الموضوع
١	بسم الله الرحمن الرحيم
٤	الكلام على البسملة
٧	والحمد لله الذي بأحمدا.... هدى...
٢٧	بيان مبعث النبي
٣٢	لما نفخ في آدم الروح
٣٤	ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء
٣٨	ولنذكر حين تم شرح هذه الأبيات
٤٤	من يعقوب اسرائيل الله
٤٥	«بيان» خبر مبتدأ محذوف
٤٧	«وحملت أمانة الزهرية»
٥٠	«وكان مولد النبي الهاد
٥٤	ولشهور القبط
٥٧	اولها الحمل بالتحريك ثم التور
٦٠	اصغر كوكب في السماء أكبر من الارض بمائة وعشرين مرة
٦١	وسأله أن يبعث له فيله محمود
٦٤	(فغاضت المياه) هذا من عجائب...
٦٧	«بيان» خبر مبتدأ محذوف
٧١	عفا جانب البطحاء من آل هاشم
٧٢	والصحيح أنها اسلمت...
٧٧	حتى ان احدهم اذا نزل به أذى يأخذ كفه

٨٦	فدلى عليها من السماء دلوا أبيض..
٩٠	نبكي الفتاة البرة الامينة..
٩٣	(فرده خوفا من اليهود عليه)
٩٩	ثم ان خديجة رضي الله عنها رغبت
١١٢	اول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١٣	(بيان مبعث النبي الهادي)
١٢١	فقام يدعو الانس والجن الى
١٢٥	فكان اول دم أريق في سبيل الله
١٣٢	(وكان قادرا على التدمير لو شاء)
١٣٩	الجن على ثلاثة أصناف
١٤٢	وفي الجن ملل
١٤٤	اوتيت بالبراق وهو دابة أبيض
١٤٧	اول من خط بالقلم
١٥٣	(بيان هجرة النبي المختار)
١٥٨	واهتز لموته عرش الرحمن
١٦١	تسح بردى هذا الاخضر
١٦٥	وأما الجمع بأن نزول اقرأ في رمضان
١٧٥	ما اكل منها جائع إلا شبع
١٨٢	ونبتغي بذلك البركة
١٨٩	يا دار خير المرسلين
١٩١	اوفوا بحلف الجاهلية
١٩٣	اولها غزوة ودان
١٩٦	هذا كتاب من محمد رسول الله
١٩٩	اما غزوة بدر فهي أعظم
٢٠٥	لها سبعة أولاد شهدوا بدرا
٢٠٩	هنيئا زادك الرحمن فضلا

٢١. واستشهد يومئذ أربعة عشر
 ٢١٦ وبعدها غزوة أحد
 ٢٢٤ أنسيتم ما قال لكم رسول الله
 ٢٣. إذا الله جازى معشرا بفعالهم
 ٢٣٢ انا ابن الذي سالت على الخد عينه
 ٢٣٦ غزوة حمراء الاسد
 ٢٤٤ غزوة دومة الجندل
 ٢٤٥ غزوة الخندق
 ٢٤٧ وليغتسل به سلمان
 ٢٥٧ فلم يقم لقريش حرب بعدها
 ٢٦. اللهم منزل الكتاب
 ٢٦٤ غزوة بني قريظة
 ٢٧٦ غزوة بين لحيان
 ٢٧٧ غزوة ذي قرد
 ٢٨١ (لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)
 ٢٨٤ قال اهل الافك في الصديقية الطاهرة
 ٢٨٦ غزوة الحديبية
 ٢٩٢ واذا توضع كادوا يقتتلون على وضوءه
 ٢٩٧ فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين
 ٣٠٣ ثم خرج في بقية الحرم الى خيبر
 ٣١١ وقتل من اليهود ثلاثه وتسعون
 ٣١٦ ثم يلي خيبر فتح واد القرى
 ٣١٩ غزوة القضاء
 ٣٢٣ غزوة مؤتة
 ٣٢٧ إن الله تعالى ابدله بيديه جناحين
 ٣٣٤ ثم بعد مؤتة غزوة فتح مكة

الموضوع	الصفحة
فتشهد شهادة الحق واسلم	٣٤٥
غزوة حنين	٣٦٣
ولما اسلمت ثقيف تكلمت اشرافهم	٣٨١
والله ما فوها ببارد ولا ثديها بناهد	٣٨١
اللهم لا تنسها لأبي سفيان	٣٨٢
ما طابت بهذا نفس احد قط إلا نبيا	٣٨٤
غزوة بني سليم	٣٨٧
غزوة بني قينقاع	٣٨٩
ثم غزوة السويق	٣٩١
غزوة غطفان	٣٩٤
غزوة بحران	٣٩٦
غزوة تبوك	٣٩٧
طلع البدر علينا	٤٠٤
والذي في النور أنها خمس وثلاثون	٤٠٨
ولنذكر كلاما مختصرا في البعوث	٤١١
ثم بعد ذلك سرية محمد بن مسلمة	٤١٨
ثم سرية زيد بن حارثة الى القردة	٤٢٢
ثم يلي ما مر بعث عبد الله بن عتيك	٤٢٥
فأنتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل	٤٣٥
ويليه بعث ابي عبيدة بن الجراح	٤٤١
ايها الناس اني قد اجرت ابا العاصي	٤٤٢
ثم سرية زيد سادسة الى واد القرى	٤٤٧

نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار

تأليف

الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم
المجلسي الشنقيطي المالكي الأشعري
المتوفى ١٢٣٧ هـ

شرح به النظم المسمى قرة الأبصار في سيرة النبي المختار
للشيخ عبد العزيز اللمطي المالكي الأشعري

حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف

الجزء الثاني

قام بنشره وطبعته على نفقته السيد الفاضل الشريف
اعزيزي بن الهادي السباعي

ثم سرية عبد الله بن عتيك بفتح المهمله وكسر الفوقية وسكون
التحتية وبالكاف ابن قيس الخزرجي ثم السلمي إلى قتل أبي رافع
اليهودي وهو عبد الله ويقال له سلام، كما جزم به في الفتح ابن أبي
الحقيق بالتصغير وهو الذي حزب الأحزاب يوم الخندق هو وحيي
وكنانة وهودة وأبو عمار كما تقدم ولكن أبو رافع أعان المشركين بالمال
الكثير وذلك أنه كان مما صنع الله تعالى لرسوله أن الأوس والخزرج
كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تصاول
الفحلين فلا يصنع الأوس شيئاً فيه غناء عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم إلا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا، ولا تفعل
الخزرج شيئاً إلا قالت، لأوس مثل ذلك، ولما أصابت الأوس كعب بن
الأشرف تذاكرت الخزرج من رجل مثل كعب بن الأشرف في العداوة
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكروا سلام بن أبي الحقيق
فاستأذنه في قتله فأذن عليه الصلاة والسلام لهم فخرج إليه خمسة
منهم في رمضان سنة ست كما ذكر ابن سعد وقيل في جمادى الأخيرة
سنة ثلاث وقيل في رجب سنة ثلاث، عبد الله بن عتيك وأمره عليهم
ومعه عبد الله بن أنيس الجهني حليف الخزرج والأسود بن خزاعي بلفظ
النسب الأسلمي حليفهم أيضاً ومسعود بن سنان بكسر السين الأسلمي
أيضاً حليف بنى سلمة وأبو قتادة الحارث أو النعمان وعمرو بن ربيعي
بكسر المهمله وسكون الموحدة السلمي وأمرهم عليهم السلام بقتله،
فذهبوا إلى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل أي سكنت عن الحركة،
وفي البخاري وهدأت الأصوات، قال السفاقي هدت بغير همز ولا ألف
ووجهه الدماميني بأنه خفف الهمزة لبدالها ألفاً فالتقت هي والتاء
الساكنة فحذفت الألف لإلتقاء الساكنين فجاءوا إلى منزله وقدموا عبد
الله بن عتيك لأنه كان يرطن بضم الطاء أي يتكلم باليهودية فاستفتح
وقال جئنا أبا رافع بهدية ففتحت له امرأته فلما رأته السلاح أرادت أن
تصيح فأشار إليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه

فعلوه بأسيافهم، ولابن إسحاق والله ما يدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة وهي بضم القاف وسكون الموحدة ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر وفى رواية البخاري وكان فى حصن له فلما دونوا منه وغربت الشمس قال عبد الله لأصحابه اجلسوا مكانكم فإنى منطلق ومتلطف للبواب لعلنى أن أدخل فأقبل حتى دخل من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإنى أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمننت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم غلق الأغاليق بالغين المعجمة وفى رواية بالمهملة وهو المفتاح بلا أسنان، قال فقامت إلى الأقاليد بالقاف أي المفاتيح فأخذتها ففتحت باب الحصن وكان أبو رافع يسهر مبني للمفعول عنده ليلا وكان فى علالي له بفتح المهملة وخفة اللام آخره تحتية مشددة جمع عالية بالضم وكسر اللام مشددة وهي الغرفة. ولابن اسحاق وكان فى عالية له إليها عجلة وهي بفتح المهملة والجيم السلم من الخشب فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت فقلت أبا رافع، فقال من هذا؟ قأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئا أي فلم أقتله فصاح أبو رافع فأمكنث غير بعيد ثم دخلت عليه كأنى أغيثه وغيّرت صوتي فقلت أبا رافع ما هذا الصوت؟ قال لأملك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى، قال فضربته ضربة أثخنه ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعرفت أنى قد قتله فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت رجلى فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعى على السور فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاة، لقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فحدثته بما وقع فقال أبسط رجلك، فمسحها فكأنى لم

اشتكتها قط. وفي رواية فلما كان وجه الصبح صعد الناعية فقال انعى
أبا رافع، فقامت أمشي ما بى قلبه بفتح القاف واللام والموحدة أي علة
أنقلب بها وظاهره التعارض مع ما مر، قال فيحمل على أنه لما سقط
وقع له ما تقدم لكنه من شدة الاهتمام بما كان فيه ما أحس بالألم وأعين
على المشي أولا ثم لما تمادى به المشي أحس بالألم فحمله أصحابه كما فى
رواية ابن اسحاق ثم لما مسحه عليه السلام زال عنه جميع الألم ببركته،
وضبيب السيف بضاد معجمة وموحدتين وزن رغيف حده.

وللعراقي:

فبعثه لابن عتيك معه قوم من الخزرج كي تمنعه
بخيبر لابن أبى الحقيق لقتله أعين بالتوفيق
قوله من الخزرج وكلهم من بنى سلمة، وقوله كي تمنعه أي تمنع هذه
الأربعة ابن عتيك أن يصل إليه أحد، قاله المناوي وقال انهم حملوه لما
انكسرت ساقه وكمنوا به يومين وخرج ثلاثة آلاف فى طلبهم فلم يروهم
فرجعوا، وقوله أعين بالتوفيق أي أعان الله قاتله على قتله بتوقيقه
لذلك وهو حشو كمل به الوزن انتهى.

وفي رواية ابن سعد ان الذى قتله عبد الله بن أنيس، وفي رواية أنهم
اختلفوا فى قاتله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتوا اسيا فكم، فقال
لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله وأرى فيه أثر الطعام وهو مرسل
ولا يعادل الصحيح المسند، قال فى المواهب ولذا كان الصواب ان الذى
دخل عليه وقتله وحده عبد الله بن عتيك كما فى البخاري ثم سرية عبد
الله بن رواحة الخزرجي فى شوال سنة ست إلى أسير بضم الهمزة
وفتح السين المهملة وسكون التحتية فراء وقال ابن اسحاق يسير بضم
التيه التحتية وفتح السين وهو ابن رزام براء مكسورة فزاي مخففة فألف
فميم اليهودي بخيبر وسببها أنه لما قتل أبو رافع أمرت بشد الميم
اليهود عليها أسيرا فسار فى غطفان وغيرهم لحربه عليه السلام فوجه
أي رسول الله عليه السلام عبد الله بن رواحة فى ثلاثة نفر سرا

ليستكشف له الخبر فسأل عن غرته بكسر المعجمة وشد المهملة وهي الغفلة فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لليال بقين من رمضان فأخبره فندب عليه الصلاة والسلام له الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له، فقال نعم، ولى منكم مثل ذلك، فقالوا نعم، فقالوا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه يستعملك على خيبر؛ وخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى إذا كانوا بقرقرة بفتح القافين قرقرة علي ستة أميال من خيبر ندم أسير ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف وكان رديفه فاقتحم ثم ضرب أسيرا فقطع رجله فسقط عن البعير وكان رديفا، لابن أنيس وضربه أسير بمخرش من شوحط فأمه والمخرش بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء محجن أو خشبة والشوحط كجواهر شجر تتخذ منه القسي، ومال كل واحد من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى صاحبه من يهود فقتله غير رجل واحد أعجزهم شدا ولم يصب أحد من المسلمين ولله الحمد.

ثم قدموا عليه عليه السلام، فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله تعالى عليه وسلم على شجة ابن أنيس فلم تقح ولم تؤذه. ثم قصة عكل وعرينة وعكل بضم المهملة وسكون الكاف فلام قبيلة من تميم الرباب، وعرينة بضم المهملة وفتح الراء حي من قضاة وحي من يجيله والمراد هنا الثاني كما قاله ابن عقبة، رواه الطبراني قاله في المواهب وشرحها، وفي البخاري عن أنس أن ناسا من عكل وعرينة، وفي رواية له من عكل فقط، وفي أخرى من عرينة أو عكل بالشك، قال الحافظ والصواب بالواو العاطفة، ويؤيده ما رواه أبو عوانة عن أنس كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل ولا يخالفه ما للبخاري أن ناسا من عكل ثمانية لاحتمال ان الثامن من غير القبيلتين فلم ينسب انتهى. ويحتمل أنه اكتفى بذكر إحدى القبيلتين عن الأخرى في هذه الرواية

انتهى.

قدموا علي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة أي كرهوا الإقامة ولم يوافقهم طعامها وفي رواية فاجتوا بجيم وواوين وهو بمعنى استوخموا فأمرهم بذود وراع أي أمرهم ان يلحقوا بهما فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتي إذا كانوا ناحية الحرة وهي بفتح الحاء وشد الراء المهملتين أرض ذات حجارة سود بظاهر المدينة كانت لها الوقعة أيام يزيد كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واستاقوا الذود فبعث عليه السلام الطلب في آثارهم فأمر بهم، فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا ناحية الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا.

قال أنس فلقد رأيت الرجل منهم يكدم بكسر الدال وضمها، أي يعض الأرض بفيه حتى مات.

وللدمياطي وابن سعد أنها كانت خمس عشرة لقحة له صلى الله تعالى عليه وسلم، واللحقة بكسر اللام وسكون القاف جمعها لقاح بالكسر ويقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر ثم هي لبون وفي صحيح مسلم ان السرية التي بعث في طلبهم كانت قريبا من عشرين فارسا من شباب الأنصار انتهى. وقوله ريف هو بكسر الراء أرض ذات زروع، وفي رواية للبخاري فأمرهم أن ياتوا ابل الصدقة وجمع بينهما بأن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة وصادف بعثه عليه السلام بلقاحه إلى المرعى طلب هؤلاء للخروج، وقوله وقتلوا راعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعند ابن حبان ثم مالوا على الرعاء فقتلوه فاحتتمل أن لإبل الصدقة رعاة فقتل بعضهم مع راع اللقاح، ويحتتمل أن بعض الرواة تجوز في الإتيان بالجمع وهذا أرجح لأن أصحاب المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غير يسار بتحتية فمهملة خفيفة راع اللقاح.

وفي صحيح أبي عوانة فقتلوا أحد الراعيين وجاء الآخر قد جزع فقال قد

قتلوا صاحبي وذهبوا بالإبل وقوله سمروا بخفة الميم ولأبى ذر بشدها ولم تختلف رواية البخاري في أنه بالراء ووقع لمسلم وسهل والسهل ففاء العين بأي شيء. قال أبو ذؤيب:

والعين بعدهم كان حذاقها سممرت بشوك فهي عور تدمع
قال الخطابي والسممر لغة في السمر وقد يكون من المسامرة انتهى.

وفي البخاري ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وقوله فقطعوا بالتخفيف إنما تركوا ناحية الحرة لكونها قرب المكان الذي فعلوا فيه ما فعلوا. وفي صحيح مسلم عن أنس إنما سمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة فكان ما فعل بهم قصاصا لا مثله، فالمثلة ما كان ابتداء بغير جزاء والله تعالى أعلم.

وفي رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع الأسلمي المهاجر فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين أميرهم كرز بن جابر الفهري وجابر هو ابن حسل بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ولام ابن الأحب بفتح المهملة وبموحدة ابن حبيب بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر ولابن عقبة أن أميرها سعيد بن زيد أحد العشرة، ولغيره أنه سعد بسكون العين ابن زيد الأشهلي البصري فيحتمل أنه رأس الأنصار وكان كرز أمير الجماعة انتهى. ملخصا من المواهب وشرحها.

وفي الاكتفاء بعث كرز بن جابر وذلك أن نفرا من قيس كبة من بجيلة قدموا إلى أن قال فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آثارهم كرزاً انتهى المراد منه.

وفي القاموس وقيس كُبة بالضم قبيلة من بجيلة انتهى. وللعراقي:
فبعثه كرز بن جابر إلي العرنين الذين مثلاً
بهم رسول الله بالقتل كما قد فعلوا هم في الرعاة مثل ما
وما رواه ابن جرير كونا جرير المرسل فاررد وهنا
وقوله العرنين أي لأن أكثرهم من عرينة بطن من بجيلة وقوله مثلاً

أي مثلما فعله النبي بهم صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الدمياطي كابن سعد أن اللقاح كانت خمس عشرة وأنها لقاح المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي رواية أنها إبل الصدقة، قال المنذري والروايتان صحيحتان ووجه الجمع ان المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كان له إبل من نصيبه من المغنم يشرب لبنها وكانت ترعى مع إبل الصدقة فأخبر عن إبله، ومرة عن إبل الصدقة، وقوله وما رواه ابن جرير إلخ. هو بفتح الجيم والطبري أي من كون المرسل في أثر اللقاح جرير بن عبد الله البجلي، فارده من أجل وهذه أي ضعفه بأن اسلام جرير كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين انتهى. المراد من المناوي ثم بعث عمرو بن أمية الضمري بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم ليقتل أبا سفيان أي يقتله غفلة وسببها أن أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحدا يغتر محمدا؟ أي يقتله خفية فإنه يمشي في الأسواق. فأثاه اعرابي فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ومعى خنجر مثل خافية النسر، قال انت صاحبنا فأعطاه بغيرا ونفقة فقال اطو أمرك فخرج ليلا وصبح الحرة صبح سادسة فعقل راحته ثم اقبل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه خنجر بفتح المعجمة وكسرها فنون فجيم مفتوحة وخافية النسر ريشة صغيرة فلما رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن هذا ليريد غدري، فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر فسقط في يديه بضم السين أي ندم، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أصدقني بهمزة وصل وضم الدال. قال وأنا آمن؟ قال نعم. فأخبره بخبره وقال يا محمد والله ما كنت أفرق الرجال بفتح الراء أي أخافهم فما هو إلا أن رأيته فذهب عقلي ثم اطلعت على ما هممت به ولم يعلمه أحد، فخلى سبيله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج ولم يسمع له بذكر؛ قال البرهان ولا أعرف اسمه.

وبعث عليه السلام عمر بن أمية ومعه جبار بفتح الجيم وشد الموحدة ابن

صخر الأنصاري السلمي العقبي ويقال سلمة بن أسلم بن حريس بحاء
 مهملة فراء مكسورة فتحتية ساكنة فسين مهملة الأنصاري البدري الى
 ابي سفيان وقال إن أصبتما منه غرة بكسر المعجمة أي غفلة فاقتلاه ثم
 دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرؤ لو أنا طفنا بالبيت فقال عمرو ان القوم
 إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وإنهم إن رأوني عرفوني وإنى أعرف بمكة
 من الفرس الأبلق فقال كلا قال عمرو فأبى أن يطيعنى فخرجنا فطفنا
 فقال رجل من أهل مكة عمرو بن أمية فوالله إن قدمها إلا لشر، وفى
 رواية أن الرجل الذى عرفه معاوية بن سفيان، فأخبر قريشا بمكانه
 فخافوه وكان فاتكا فى الجاهلية فتجمعوا له فهرب عمرو وسلمة وجبار
 فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله القرشي التيمي فقتله
 وقتل رجلا من بنى الديل سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمينا
 ولقي رسولين لقريش بعثتهما عينا إلى المدينة فقتل أحدهما وأسر
 الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم بخبره وهو يضحك ثم دعا له بخير وللعراقي:

فبعث عمرو بن أمية إلي قتل أبي سفيان فيما فعلا
 من كونه جهز أعرابيا بخنجر ليقتل النبي
 فلم يطق فأسلم الأعرابي فراح عمرو معه صحابي
 جبار أو سلمة بن اسلم وقدر الله له أن يسلم
 فلم يطيقا قتله وقتلا عمرو ثلاثة وءاسر رجلا

قوله فيما فعل أي بسبب ما فعل، وقوله فأسلم الأعرابي يعنى الذى جاء
 لغدره، عليه السلام، وقوله فراح عمرو أي لقتل أبى سفيان ، وجبار بدلا
 من قوله صحابي، وقوله أو سلمة أو لتنويع الخلاف أي وقيل هو سلمة،
 وقوله وقدر الله له أي لأبى سفيان أن يسلم بفتح أوله وثالثه أي من
 القتل أو بضم أوله وكسر ثالثه وقوله وقتل عمرو أي ورفيقه فى
 طريقه انظر المناوي.

ثم بعث إبان بن سعيد بن العاصي الأموي إلى نجد فى جمادى الأخيرة

سنة سبع، وللعراقي:

بعث ابان بن سعييد نجداً من بعد فتح خيبر قد عدا
قال الحافظ ولا أعرف هذه السرية وإبان هذا هو الذى أملى مصحف
عثمان على زيد بن ثابت بأمر عثمان، قاله المناوي.

ثم سرية عمر الفاروق فى شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلاً إلى
تربة بضم الفوقية وفتح الراء وبالموحدة وتاء تانيث واد قرب مكة يريد
طائفة من هوازن كانوا بتربة فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتاهم
الخبر فهربوا فجاء عمر إلى محالهم فلم يلق منهم أحداً فرجع إلى
المدينة، وللعراقي:

ثم إلى تربة بعث عـمـر نحو هوازن أتاهم الخيبر
فهربوا لم يلق منهم أحداً وعاد راجعاً لنحو أحـمـدا
ثم سرية أبى بكر الصديق إلى بنى كلاب بنجد، بناحية ضرية بفتح
المعجمة وكسر الراء وشد التحتية ويقال ان ضرية أسم امرأة بنت
ربيعة بنت نزار سمي بها الموضع وكانت فى شعبان سنة سبع ويقال
إلى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم أنه
بعث صلى الله تعالى عليه وسلم أباً بكر إلى فزارة وهو الصحيح
والصواب قاله فى المواهب وقد مر هذا فى سرية أم قرفة وللعراقي فى
كتابه المسمى بـ: «الدرة السنية فى سيرة خير البرية»:

بعث أبى بكر إلى كـلاب يعقبه ومر فى كتاب
بأن بعثه إلى فـزارة فى مسلم وصح مع زيادة
قوله يعقبه بفتح التحتية أوله أي يعقب بعث عمر فقتل ناساً من
المشركين وسبى ناساً وقوله مر فى كتاب يعنى بعث أم قرفة حيث قال:
وصح فى مسلم الطريق بأنما أمـسـيـرها الصديق
وفزارة بفتح الفاء، انظر المناوي، ثم سرية بشير بفتح الموحدة بن سعد
بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البصري والد النعمان فى شعبان سنة سبع
إلى بنى مرة بضم الميم وشد الراء بفدك ومعه ثلاثون رجلاً فساق النعم

فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه منهم عدد كبير فوقع القتل فى الصحابة وارتث بشير وقدم عليه بضم العين المهملة وسكون اللام فموحده بن زيد الأوسي بخبرهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد بعد أن أقام أياما عند يهود حتى ارتفع من الجراح وفى « الدرة السنية »:

فبعثه بشيرا الأنصارى لفدك فساق فى انحدر
شاء لهم ونعما وأدركوا أصحابه فقتلوا وسفكوا
وأخذوا أموالهم وسلمما من بعدما ارتث بشير قدما
وبشير هو بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بضم الجيم مخففا، وقوله ونعما
أي إبلا وبقرا وانحدر بهم نحو المدينة وقوله فقتلوا أي أصحاب بشير
وسلم بشير من بعد ما جرح جراحا كثيرة وظنوا أنه قد مات فتركوه
فتحامل حتى انتهى إلى فدك فقام عند يهود أياما فلما أشتأ أي دخل
عليه الشتاء قدم المدينة جريحا انتهى من المناوي.

قال الزرقاني بعد كلام فعلم من هذا أن بنى مرة لم يكونوا بفدك
فتسامحوا فى قولهم بفدك لجاورتها وكونها من أعمالها ثم سرية غالب
عبد الله الليثي الكناني فى رمضان سنة سبع إلى أهل الميفعة بكسر
الميم وسكون التحتية وفتح الفاء فعين مهملة بناحية نجد وأهلها هم بنو
عوال بضم المهملة ابن عبد بن ثعلبة وسببها أنه عليه السلام قال له
مولاه يسار الحبشي وليس هو يسار الذى قتله العرينيون قبل هذه
السرية فإن ذلك نوبى وهذا حبشي كما فى الزرقاني، يا نبي الله إني
قد علمت غرة من بنى عبد بن ثعلبة فارسل معى إليهم فأرسل إليهم
غالباً فى مائة وثلاثين رجلا وكان يسار دليلهم فهجموا عليهم وسط
محالهم جمع محلة بفتح الحاء وهى المكان ينزله القوم فقتلوا من أشرق
لهم واستاقوا نعما وشاء إلى المدينة وفى هذه السرية قال ابن اسحاق
وابن سعد وغيرهما قتل أسامة بن زيد مرداس، ابن نهيك بفتح النون
وكسر الهاء وسكون التحتية وبالكاف الضمري على الأرجح وقيل انه

أسلمي وقيل غطفاني وأما من قال انه نهيك بن مرداس فهو مقلوب كما في الإصابة بعد أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا أسامة من لك بلا إله إلا الله فقال يا رسول الله إنما قالها تعودا من القتل، قال ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا الله وللحاكم أن أسامة فعل ذلك في سرية كان هو أميرها سنة ثمان. وفي البخاري ما يوافقه فإنه قال باب بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات ثم روى عن أبي ظبيان بفتح الظاء المعجمة وكسرهما وسكون الموحدة فتحتيه فألف فنون حصين مصغر ابن جندب قال سمعت أسامة يقول بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الحرقاة بضم الحاء وفتح الراء المهملتين وبالقفاء وتاء تانيث من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناهم بكسر الشين المعجمة قال لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتله فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله قلت كان متعودا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. وروى ابن حاتم أنه عليه السلام أمر لأهل مرداس بدية، ورد ماله إليهم، قيل وقال له اعتق رقبة انتهى. ملخصا من المواهب وشرحها.

وللعراقي:

فبعثه الليثي غالباً إلي	ميفعة من أرض نجد قتلا
قوماً وساق نعماً وشاء	لهم ولم يستأسرن من جاء
قيل بها أسامة بن زيد	قتل من نطق بالتوحيد
قال له النبي هلا قلبه	شققت عنه هل تحس كذبه
وفي البخاري بعثه أسامه	للحرقات ساق ذاتامه
وضبط المناوي ميفعة بفتح الميم	وهو مخالف لما مر عن الزرقاني

وتحس بضم الفوقية ويستاسرن بنون التوكيد الخفيفة وتمامه منصوب
بنزع الخافض أي بتمامه.

ثم سرية بشير بن سعد الخزرجي ثانية فى شوال سنة سبع ومعه
ثلاثمائة رجل إلى يمن بفتح وقيل بضمها ساكنة الميم أي مع فتح أوله أو
ضمه وقيل أوله همزة مفتوحة وجبار بفتح الجيم وخفة الموحدة بعدها
ألف فراء وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة بعثه لجمع من غطفان
تجمعوا بالجناد بكسر الجيم من أرض غطفان قد واعدهم عيينة بن
حصن للاغارة على المدينة فسار بشير بمن معه الليل وكمن النهار فلما
بلغهم مسير بشير إليهم هربوا وجاء الصحابة محالهم فلم يجدوا فيها
أحدا وغنموا نعماء لهم كثيرة ولقوا عينا لعيينة فقتلوه ثم لقوا جمع
عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم وانكشف جمع عيينة وأسروا منهم
رجلين فقدموا بهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلما فأرسلهما.
وللعراقي:

فبعثه بشيرا الأنصاري ثانية ليمن الجبار
لغطفان هربوا وقد هجم أرضهم فلم يجد إلا النعم
فساقها ورجلين أسرا فأسلما وأرسلوا أحضرا
وجبار تقدم ضبطه. وفى المناوي عن البكري أنه بضم أوله وذكر
بعضهم أنه رآه بخط الحافظ العراقي بحاء مهملة، وقوله لغطفان أو
لفزارة وعذرة أو بين فزارة وكلب، وقوله أحضرا بالبناء للمفعول أي
أحضرهما بشير المدينة انتهى من المناوي. والجبار بحذف العاطف.

ثم سرية الأخرم بحاء معجمة فراء مفتوحة فميم ابن أبي العوجاء
السلمي بضم السين فى ذي الحجة سنة سبع ومعه خمسون رجلا إلى
بنى سليم بضم السين، وتقدمه عين لهم، فجمعوا له جمعا كثيرا فأتاهم
وهم معدون له فأحاط بهم الكفار من كل ناحية فقاتلوهم قتالا شديدا
حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء جريحا مع القتلى وظنوا أنه
قتل فتركوه ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فى أول يوم من صفر.

وللعراقي:

يليه بعث ابن أبي العوجاء هو يعيد عمرة القضاة
إلى سليم جاءهم عين لهم فجاءهم فقد أعدوا نبلهم
ثم تراموا ساعة فقتلوا أصحابه وهو قد تحاملا
من بعد جرحه إلى أن قدما على النبي سالما مسلما
قوله عين أي طليعة كان معه فسبقه وحذرهم وتحامل: تكلف المشي
على جهد ومشقة، وجرحه بفتح الجيم قاله المناوي.

ثم بعث غالب بن عبد الله الليثي ليث كلب بن عوف الكناني في صفر
سنة ثمان إلى بنى الملوح بضم الميم وفتح اللام وكسر الواو المشددة كما
في الزرقاني وفي المناوي آخره جاء بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال
وسكون التحتية فдал مهمة موضع بين الحرمين لكنه أقرب إلى مكة
بأثنين وأربعين ميلا منها. وفي الصحيح هو ماء بين عسفان وقديد. قال
المناوي وكان معه، مات مقاتلا، انتهى.

وعن الواقدي انهم كانوا بضعة عشر رجلا فلما كان بقديد لقي الحارث
بن مالك الليثي فأخذه فقال إنما جئت أريد الإسلام فقال له إن كنت
مسلمًا فلن يضرك رباط يوم وليلة وإن كان غير ذلك كنا قد استوثقنا
منك.

فأوثقوه ثم خلفوا عليه رجلا منهم فأتوا الكديد عند الغروب فبعثوا
جندب بن مكيث الجهني ربيعة لهم، فأتى تلا مشرفا عليهم قال جندب
فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته إني
لأرى على التل سوادا ما رأيته في أول يومى، فانظري إلى أوعيتك لا
تكون الكلاب جرت بعضها، فقالت لا أفقد شيئا، قال فناولتنى قوسى
وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عيني فأنزعه، وثبت
مكاني فأرسل الآخر فوضعه في منكبى فأنزعه وثبت مكاني فقال لو
كان ربيعة لقوم لقد تحرك لقد خالطه سهماي لا أبالك إذا أصبحت
فابتغيهما لا تمضغهما الكلاب، ثم دخل وأمهلناه حتى إذا ناموا وكان في
وجه السحر شئنا عليهم الغارة وقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج

صريخ القوم فجاء ما لا قبل لنا به ومضينا بالنعيم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ولا يقدر أحد أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا وأنا نسوق نعمهم ما يستطيع رجل منهم أن يجيز إلينا ونحن نحدوها سراعاً حتى فتناهم وابن البرصاء هو الحارث بن ملك وهي أمه صحابي له حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح يقول لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة، قال ابن إسحاق وقال راجز من المسلمين يحدوها:

أبى أبو القاسم أن تعرب في خضل بناته مفلولب
صففر أعاليه كلون الذهب
انتهى من الزرقاني.

يقال تعرب إذا سكن البادية، واغلولب النبت بالغين المعجمة إذا تكاثف، وصففر أعاليه أي نوره أصفر والله أعلم.
وفي هذا الشهر وهو صفر سنة ثمان قدم خالد بن الوليد سيف الله الذى سله على الكفار وعثمان الحنبل بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وعمرو بن العاصى بن وائل بن هاشم بن سعيد مصغرا بن سهم المدينة فأسلموا وذكر ابن اسحاق أن عمرو بن العاصى أسلم على يد النجاشي. قال الزرقاني وفيه إسلام صحابي على يد تابعي ولا يعرف مثله والله تعالى أعلم.
وللعراقي فى « الدرة السنية »:

فببعت غالب إلى الكديد إلى بنى الملوح الرقود
شن عليهم غارة فاستاقا نعمهم وأدركوا لحاقا
به فجاء الله بالسيل فما قدرهم أن يستردوا النعما
والرقود النيام فى بيوتهم، حشو كمل به الوزن، وشن فرق، والغارة

سرعة الجري، ولحاق بفتح اللام قاله المناوي.
ثم سرية غالب الثالثة فى صفر سنة ثمان لما قدم مؤيدا منصورا إلى
بنى مرة ومعه مائتا رجل بفدك موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد
فقال له المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم سر حتى تنتهي إليهم فإن
ظفرك الله بهم فلا تبقي فيهم، فلما دنا منهم بعث الطلائع، ومنهم علبة
بضم المهملة وسكون اللام، وممن بعث مع غالب أسامة بن زيد وابن
مسعود وكعب بن عجرة بضم المهملة وحويصة وأبو سعيد الخدري فأتى
علبة فأخبره الخبر، فأغار عليهم مع الصبح فقتلوا منهم قتلا وساقوا
نعما وشاء وذرية، وكانت سهامهم لكل رجل عشرة أبعة، وعدله من
الغنم عشر شياه لكل بعير.
وللعراقي:

فبعثه الثالثة إلى فدك أجل مصاب من بها قبل هلك
مع بشير فأصابوا النعمان وقتلوا فى الله قتلى لؤمنا
قوله فبعثه أي غالب بن عبد الله، وفدك بفتحتين ومصاب بضم الميم،
وقوله أجل أي لأجل مصاب من أصيب بها مع بشير بن سعد وقوله
فأصابوا النعم أي الكثيرة والشاء الكثيرة وأخذوا النساء والصبيان
وقوله فى الله أي لأجل إعلاء كلمة الله وكان لكل رجل عشرة أبعة أو
عدله من الغنم. قاله المناوي والعبارة الأولى للزرقاني. والله تعالى
أعلم.

ثم بعث شجاع بضم الشين ابن وهب الأسدي البصري فى ربيع الأول
سنة ثمان، ومعه أربعة وعشرون رجلا، إلى جمع من هوازن يقال لهم
بنو عامر بالسيىء بكسر السين المهملة فياء ساكنة فهمز كذا ضبطه
البرهان والشامي، وفى الصحاح والقاموس والمراسد أنه بالكسر وشد
الياء وكذا ضبطه أبو عبيد البكري قاله العلامة الزرقاني وبالضبط
الأول ضبطه المناوي وهو ماء من ذات عرق إلى وجرة على ثلاثة مراحل
من مكة إلى البصرة وخمس من المدينة، قاله فى المواهب. ووجرة بفتح
الواو وسكون الجيم كما فى الزرقاني موضع بين مكة والبصرة أربعون

ميلا فيها مرتع للوحش قاله فى القاموس. وأمره المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يغير عليهم فكان يسير بالليل ويكمن بضم الميم وفتحها بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون، ونهى أصحابه أن يمعنوا فى الطلب بضم التحتية وكسر العين المهملة أي يبعدوا فأصابوا نعماء وشاء وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وغابوا خمسة عشر ليلة.

وللعراقي:

بعث شجاع بعده إلى بني عامر بالسبي إلى هوازن
يسير ليلا يكمن النهارا فسار حتى صبح الديار
أصاب منهم نعماء وشاء وخمسوا فقسما ما جاء
ثم بعث كعب بن عمير بضم العين المهملة الغفاري بكسر المعجمة
وخفة الفاء من أكابر الصحابة ومعه خمسة عشر رجلا فى ربيع الأول
سنة ثمان إلى ذات أطلاح بفتح الهمزة وسكون الطاء وبالحاء المهملتين
وهي وراء وادي ذى القري، وقيل هي من أرض الشام. قاله المناوي
فوجدوا بها جمعا كثيرا جدا فرأهم عين لهم فأخبرهم بيلة الصحابة
فجاؤا على الخيل وروي أنهم دعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم
فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا إلا أميرهم كعب بن عمير
فنجى جريحا فتحامل حتى أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى
المواهب وأقلت منهم رجل جريح فى القتلى قال مغلطاي قيل هو الأمير
فلما برد بفتح الراء وضمها عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله
عليه الليل فأخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم
ساروا إلى موضع آخر فتركهم انتهى. وذكر بعضهم أن كعب بن عمير
قتل مع أصحابه.

وللعراقي:

فبعث كعب بن عمير من غفار لذات أطلاح فحلوا بالديار
فوجدوا جمعا كثيرا قاتلوا من أعظم القتال حتى قتلوا
إلا الأمير بن عمير كعبا نجى جريحا كان رزءا صعبا
أي كان ذلك رزءا بضم الراء صعبا، أي شديدا على المسلمين، شق على

المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، والرزء المصيبة.
ثم يليه بعث مؤتة فقد تقدم الكلام عليه فى الغزوات.
ثم سرية عمرو بن العاصى بالياء على ما عليه الجمهور قاله الزرقاني
فقد مر ذلك أول الكتاب إلى ذات السلاسل بمهملتين الأولى مفتوحة على
المشهور وقيل سمي المكان بذلك لأنه كان به رمل بعضه على بعض
كالسلسلة وضبطه لابن الأثير بالضم وقال ابن القيم بضم السين
وفتحهما لغتان فصرح البرهان بأن غير واحد ذكر اللغتين وما مر عن
الفتح صريح فى قدم التسمية قبل السرية انتهى من الزرقاني.
وفى المواهب سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض
مخافة أن يفروا وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل من المدينة على
عشرة أيام وكانت فى جمادى الأخيرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع
ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا ابن إسحاق
فقال قبلها، انتهى.

وقوله ارتبط بعضهم إلخ.. لعل المراد انضموا وتجمعوا لا أنهم
ارتبطوا لأنه يكون سببا للظفر بهم ولنافاته لما فى القصة من أنه أتاها
على غفلة وهربوا وتفرقوا، انظر الزرقاني، وسببها أنه بلغه عليه
السلام أن جمعا من قضاة وهم بلي بفتح الموحدة وكسر اللام وعذرة
بضم العين المهمة وسكون الذال المعجمة وبنوا القين بفتح القاف
وسكون التحتية قد تجمعوا للاغارة فعقد لعمرو لواء أبيض وبعثه فى
ثلاثمائة من سرات المهاجرين والأنصار بفتح السين المهمة وقد تضم أي
خيارهم ومعهم ثلاثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما وصل إلى
الماء المسمى بالسلاسل بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث أبا رافع بن
مكيث بفتح الميم وكسر الكاف وسكون التحتية فمثلثة الجهني إلى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستمده فبعث له أبا عبيدة أمين
الأمّة وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سرات المهاجرين والأنصار
فيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو فأراد أبو عبيدة أن يؤم
الناس فقال عمرو إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير وكان أبو عبيدة ليئا

سهلا فأتاع لعمر و فكان عمرو يصلى بالناس فصار حتى وصل إلى العدو فحمل عليهم المسلمون حملة رجل واحد وهم غافلون فانهزموا وتفرقوا في البلاد، قال البلاذري وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وقال بعضهم لم تكن هناك غنائم تقسم، وروي أن عمرا أمرهم في تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا وأنكر ذلك عمر فقال له أبو بكر دعه فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب فسكت ولما انهزموا أراد المسلمون أن يتبعوهم فممنعهم عمرو فلما قدموا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قتلهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره قال عمرو فحدثت نفسي انه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمرو إلا لمنزلة عندك فقلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ فقال عائشة؛ فقلت إني لست أعنى النساء، إني أعنى الرجال، فقال أبوها، فقلت ثم من؟ قال ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم. وفي الحديث جواز تامير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية، انظر الزرقاني.

فائدة:

بلي هو أبو قبيلة كبيرة وهو ابن عمرو بن الحارث بن قضاة، وعذرة أبو قبيلة كبيرة أيضا وهو ابن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بضم اللام بن الحارث بن قضاة وبنو القين ويقال لهم بلقين مثل بلحارث قبيلة من قضاة أيضا.

وللعراقي:

إلى قضاة بمرمى قاصي
عد ثلاثمائة مجتمعه
أرسل يستمد قدر الوسع
في مائتين منهما شيخا الرشدا
فلحقوه ثم سساروا طرا
فهرب الكفار للأدبار

فبعث عمرو وهو ابن العاصي
ذات السلاسل وكان معه
فبلغ ابن العاصي كثر الجمع
أرسل له أبا عبيدة ورد
العمران يلحقان عمرا
حتى لقوا جمعا من الكفار

قوله بمرمى قاصى أي محل بعيد وخص عمرا بالارسال لأن له فيهم رحما لأن أم أبيه من بلى ولعلمه بالحرب، والكثير بالضم نقيض القلة والعمران بدل من قوله شيئا الرشد واللام فى قوله بالأدبار بمعنى على أي انهزموا.

ثم سرية الخبط بفتح المعجمة والموحدة وهو ما يسقط من الشجر إذا ضرب بنحو عصى سميت بذلك لأنهم أكلوا فيها الخبط، وتسمى سرية أبى عبيدة لأنه أميرها، وسماها البخاري غزوة سيف البحر والسيف بكسر المهملة فتحتية ساكنة ففاء ساحل البحر وفى تسميته لها غزوة جرى على غير اصطلاح أهل السير إذ لم يحضرها المصطفى صلى الله عليه وسلم لكن الأقدمين لا يراعون ذلك غالبا انتهى.

بعثه عليه الصلاة والسلام فى ثلاثمائة يعترض عيرا لقريش كما فى الصحيحين وفى مسلم أيضا عن جابر إلى أرض جهينة ولا منافاة بينهما فالجهة أرض جهينة والقصد تلقى عير قريش وهي الإبل المحملة طعاما وغيره لكن فى كتب السير أن البعث لحى من جهينة بالقبلىة بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث للمقصدىين رصد عير قريش ومحاربة حى من جهينة قال ابن سعد وكانت فى رجب سنة ثمان وفيه نظر فإن تلقى عير قريش ما يتصور أن يكون فى هذه المدة لأنهم كانوا حينئذ فى الهدنة والصحيح أن تكون هذه السرية سنة ست أو قبله قبل هدنة الحديبية نعم، يحتمل أن تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة والله أعلم.

قال الحافظ بن حجر لكن قال شيخ الإسلام ابن العرقي فى شرح «التقريب» قالوا وكانت هذه السرية فى رجب سنة ثمان وذلك بعد نكت قريش للعهد وقبل الفتح فإنه أي الفتح كان فى رمضان من السنة المذكورة انتهى، قاله فى المواهب.

قال الزرقاني وبه يسقط النظر. وقال فى قوله الحملة طعاما وغيره هذا بحسب الاستعمال المشتهر فلا ينافى أنها فى الأصل التى تحمل

الميرة بالكسر أي الطعام ولما بعثهم عليه السلام زودهم جرابا من التمر وهو بكسر الجيم وقد يفتح، المزود. فلما فني بكسر النون أكلوا الخبط وهو ورق السلم كما فى الفتح والمواهب والسلم بفتحيتين شجر عظيم له شوك كالعوسج والطلع وهذا بيان للشجر الذى أخذوا ورقه وإلا فالخطب لغة ما سقط من ورق الشجر إذا خبط بالعصي نقله الزرقاني. وفى مسلم عن جابر وكنا نضرب الخبط ونبله بضم الموحدة أي ننديه بالماء وهذا يدل على أنه كان يابساً خلافاً لمن زعم أنه كان أخضر، فقد كان معه تمر غير الجراب النبوي.

وفى البخاري عن جابر خرجنا ونحن ثلاثمائة زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا ياكل فى كل يوم ثمرة ثمرة، قال رجل أين كانت التمرة تقع من الرجل؟ قال لقد وجدنا فقدناها حين فقدناها.

وفى رواية مسلم كيف كنتم تصنعون؟ قال نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها من الماء فيكفيننا يومنا إلى الليل.

وابتاع قيس بن سعد الجواد بن الجواد جزرا نحرها والجزر جمع جزور يقع على البعير ذكرا أو أنثى.

وروي أنه أصابهم جوع شديد وقال قيس من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزر هنا؟ فقال رجل من جهينة من أنت؟ فانتسب. فقال عرفت نسبك. فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق، وكان عمر بن الخطاب فى السرية فامتنع عمر لكون قيس لا مال له فقال الإعرابي ما كان سعد ليخنى بابنه فى أوسق تمر بفتح التحتية وسكون الخاء وبالنون يقصر، قال وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟ قال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة لا يقضى عنى تمرا لقوم مجاهدين، فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال إن يك قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت؟ قال نحرته. قال أصببت. ثم ماذا؟ قال

نحرت. قال أصببت. ثم ما ذا؟ قال نحرت. قال أصببت، ثم ماذا؟ قال نهيت. قال ومن نهاك؟ قال أبو عبيدة. قال ولم؟ قال زعم أنه لا مال لي. فقال أربع حوائط أدناها تجذ منه خمسين وسقا. وقدم الاعرابي مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعل قيس فقال إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت.

وفي البخاري هنا عن جابر قال كان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر بالتكرار ثلاث مرات، قال العلامة محمد بن عبد الباقي ولم يتكلم الفتح ولا المصنف هنا، يعنى القسطلاني على الجمع بينه وبين رواية أنه اشترى خمسا نحر منها ثلاثا ثم منع مع ذكرهما له فى شرح هذا الحديث ويمكن الجمع بأنه نحر أولا ستا مما معه من الظهر ثم اشترى خمسا نحر منها ثلاثا ثم نهى فاقتصر من قال ثلاثا على ما نحره مما اشتراه ومن قال تسعا ذكر جملة ما نحره فإن ساغ هذا وإلا فما فى الصحيح أصح والله أعلم . انتهى كلامه .

وأخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيذا. وفى رواية عن جابر فأكلنا منها نصف شهر حتى صحت أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام من أضلاعه فنصبه ونظر إلى أطول بغير فجاز تحته براكبه، ولابن اسحاق ثم أمر بأجسم بغير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فخرج من تحتها وما مست رأسه. وجزم الحافظ فى المقدمة أن الرجل قيس بن سعد بن عبادة، وقال فى الفتح أظنه قيسا فإنه كان مشهورا بالطول وقصته مع معاوية معروفة، لما أرسل إليه ملك الروم أطول رجل منهم ونزع له قيس سراويله فكان طول قامة الرومي بحيث كان طرفها على أنفه وطرفها بالأرض وعوتب قيس فى نزع سراويله فأنشد:

أردت لكي ما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادي نمته ثمود
وفي مسلم عن جابر فأخذ أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى

وقب عينه بفتح الواو وسكون القاف فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا؟ قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأكل منه.

وقوله فيما مر العنبر، قال أهل اللغة العنبر سمكة كبيرة ويقال ان العنبر المشموم رجييعها وقال ابن سينا بل المشموم يخرج من أصل العنبر وإنما يوجد في أجواف السمك الذي يبتلعه، وقال الشافعي سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا في البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تاكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من بطنها. انتهى ملخصا من الزرقاني والمواهب. وللعراقي:

فبعثه أيضا أبا عبيدة	في عدة وهم ثلاثمائة
وهو الذي نعرفه جيش الخبط	يلقون عيرا لقريش ففرط
وكان زادهم جراب التمر	فأكلوا الخبط فقد التمر
وفيه ألقى البحر حوتا ميتا	يدعونه العنبر حتى ثبتا
شهرًا عليه الجيش حتى سموا	من أكله وحملوا وادهنوا
وفيه قيس بن سعد نحرا	جزائرًا للجيش حتى أتمرا
عمر مع أميرهم فمنعوا	وجاء سعد شاكيًا من منعنا

قوله فرط أي فاتهم، قوله فأكلوا الخبط قال المناوي حتى تقرحت أشداقهم ومكثوا على ذلك ثلاثة أشهر، وقوله حتي ائتمرا أي تشاور عمر وأبو عبيدة أمير الجيش في اليوم الرابع فمنع قيسا من النحر، وقوله وجاء سعد إلخ، أي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يعذرني من ابن الخطاب يبخل ابني علي، انتهى.

ثم سرية أبي قتادة الخزرجي السلمي في شعبان سنة ثمان ومعه خمسة عشر رجلا إلى غطفان ليغير على أهل خضرة بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين كما في المناوي وفي الزرقاني أن البرهان ضبطها بذلك وأن الشامي قال بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وهم بنو

محارب فأمره أن يشن الغارة عليهم فसार الليل وكمن النهار فهجم على حاضر منهم عظيم وقتل من أشرق منهم أي ظهر، وسبى سبياً كثيراً واستاق النعم وكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وغاب خمس عشرة ليلة وكانت في السبي جارية وضيئة كأنها ظبي ووقعت في سهم أبي قتادة فجاء محمية بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية ابن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي فهمزة الزبيدي فقال يا رسول الله إن أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية فأرسل عليه الصلاة والسلام إلى أبي قتادة فقال هب لي الجارية فوهبها له فدفعها إلى محمية.

وللعراقي:

بعث أبي قتادة الأنصاري بعد إلى خضرة للمفار
على محارب بنجد سارا ليلاً بهم وكمن النهارا
فقتلوا من جاء واستاقوا النعم وأخرج الخمس الأمير وقسم
وقوله بعد بالضم أي بعد البعث المتقدم، وقوله بنجد لأن خضرة من نجد بعثه إلى غطفان انظر المناوي.

ثم بعث أبي قتادة أيضاً في ثمانية رجال في رمضان سنة ثمان إلى بطن إضم بكسر الهمزة وفتح المعجمة فميم على ثلاثة برد من المدينة فيما بين ذى خشب بضم المعجمتين وذى المروة كذا في المواهب وتعبيره ببطن ظاهر في أنه واد لأنهم يضيّفون بطن إلى الوادي دون الجبل، وفي السيل ان إضمّا واد أو جبل لكن في القاموس إضم كعنب وجبل الوادي الذي به المدينة انتهى قاله الزرقاني.

والذي رأيته في القاموس إضم كعنب جبل، والوادي الذي فيه المدينة النبوية صلى الله تعالى على ساكنها، عند المدينة يسمى القناة ومن أعلى منها عند الشد الشظاة ثم ما كان أسفل ذلك يسمى إضمّا، انتهى بحروفه فلعل ما للزرقاني سبق قلم من طابعه.

وفي المناوي أنه واد بينه وبين المدينة ثلاثة برد، وقيل جبل لأشجع وجهينة وسببه أنه عليه السلام لما هم أن يغزو مكة بعث أبا قتادة ليظن

أنه عليه الصلاة والسلام توجه إلى تلك الناحية فلا تستعد قريش لحربه ويدخل مكة على حين غفلة، فلقي أبو قتادة وقومه عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة ثم ميم ابن جثامة بفتح الجيم وشد المثناة فألف فميم فتاء تانيث وهو أخو الصعب بن جثامة فجاء محلم في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليستغفر له، فقال عليه السلام لا غفر الله لك. فقام وهو يتلقى دمه ببرديه فما مضت له ساعة حتى مات فلفظته الأرض ثم عادوا به فلفظته الأرض، ثم عادوا به فلفظته الأرض، فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين بضم الصاد وفتحها ودال مهملتين تثنية صد أي جبلين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه بالحجارة حتى واروه.

وروى ابن اسحاق وغيره عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال بعثنا صلى الله تعالى عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له ومعه متبع له ووطب من لبن، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بغيره ومتبعه انتهى المراد منه.

وروى ابن جرير أنهم لما ذكروا له عليه السلام أن الأرض لفظته، قال ان الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله يريد أن يعظكم. وللعراقي:

حين أراد غزو مكة وهم
عامر أشجع وبيس ما فعل
قتله وباء بالآثام

لابن أبي حدرد وهو عروة
رفاعة جاء يريد غزوا

فبعثه أيضا إلى بطن إضم
وكان في البعث محلم قتل
حياتهم تحية الإسلام
فنزلت ولا تقولوا (الآية)

ثم لقوا النبي عند السقييا
ولابن اسحاق بأن القصصة
بعثته مع رجلين نحووا

للمسلمين مع بطن من جشم قتله عروة واستاق النعم وضبط محلم المار، ذكره الزرقاي والمناوي وهو ليثي وعامر مضاف إلى أشجع في البيت وباء بالآثام أي رجع بالإثم العظيم والآية بتمامها هي {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً}. وقوله ولابن إسحاق إلخ أي وهذه الغزوة نسبها ابن إسحاق لابن أبي حدرد بمهمات كجعفر وهو عروة الأسلمي فإنه نكح ابنة سراقبة بن حارثة النجاري وكان قتل ببدر فوقعت منه موقعا عظيما فجاء إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم يستعينه على نكاحها فقال يا رسول الله لم أصب في الدنيا ما هو أحب إلى من نكاحها وأصدققتها مائتي درهم فلم أجد شيئا أسوقه إليها؛ فقال ما عندي ما أعينك به، فمكث أياما، فأقبل رجل من بنى جشم يقال له رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه، في جيش عظيم من جشم حتى نزل بالغابة يريد أن يجمع قيسا علي حربه عليه الصلاة والسلام فبعثه عليه السلام مع رجلين فقالوا أخرجوا حتى تاتوا بخبر هذا الرجل وجيشه فخرجوا حتى كانوا قريبا منهم مع غروب الشمس فكمن عروة في ناحية وكمن أصحابه في ناحية وقال لهما إذا سمعتماني كبرت وشدت على العسكر فكبرا وشدوا معي، فأبطأ عليهم راع لهم فقال رفاعه لأتبعن أثره ولقد أصابه شر، فقال له نفر نحن نكفيك قال والله لا يذهب إلا أنا فخرجت حتى يمر بي فرميته بسهمي فوضعت في فؤاده فوالله ما تكلم، فاحتززت رأسه وشدت في ناحية العسكر وكبرت وشد أصحابي وكبرا فوالله ما كان إلا النجاء بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف من أموالهم واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجئت برأسه أحمله فأعانني صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا.

ثم بعث خالد سيف الله عقب فتح مكة بخمس ليال ومعه ثلاثون فارسا لهدم العزى وهي صنم لقريش وجميع بنى كنانة وكانت أعظم أصنامهم في زعمهم وذلك لأن عمرو بن لحي أخبرهم إن الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى فبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون

للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويعرفون فضل الكعبة عليها لأنها بيت إبراهيم وأبرهم بفتح الهاء بلا ألف وفيه إبراهيم وأبراهام وأبراهوم وأبراهم مثلثة الهاء.

قال مجاهد هي شجرة وقال الضحاك صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفاني بنخلة على ليلة من مكة فأخذ حجرا من الصفي وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة وقال هذا ربكم، وكان سدنتها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاش وخرج إليها خالد لخمس بقين من رمضان سنة ثمان فلما سمع سادنها بسير خالد إليها قال:

أيا عز شدي شدة لا سوى لها على خالد ألقى القناع وشمري
أيا عز إن لم تقتلى المرء خالدا فبئس ما أتى عاجل أو تنصر
فهدمها خالد أي هدم البيت الذي هي فيه وكان على ثلاث سممرات فقطعها وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع إلى النبي عليه السلام فقال فهل رأيت شيئا قال لا. قال فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها فرجع وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على وجهها فجعل السادن يصيح وهو يقول يا عزى خبلية، يا عزى عورية، ولا تموتي برغم، فضربها خالد وهو يقول:

يا عز كفرانك لا سبحانه إنى رأيت الله قـد أهانك
فجزلها بفتح الجيم وشد الزاء قطعها اثنتين أي قطعتين ورجع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبره فقال نعم، تلك العزى وقد يؤست أن تعبد ببلادكم أبدا.
وللعراقي:

فبعث خالد لهدم العزى فجزها باثنتين جزا جزا
وجزا جزا توکید کمل به الوزن.
ثم بعث عمرو بن العاص في رمضان سنة ثمان، قال الزرقاني لم نر

خصوص يوم خروجه إلى هدم سواع وسواع اسم ابن شئث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت بموضعه من الدين ولما عهدوا في دعائه من الإجابة ويغوث ويعوق ونسرا أولاده فلما ماتوا صوروهم فلما خلفت الخلوفا قالوا ما عظم هؤلاء أبائنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة وسواع صنم هزيل على ثلاثة أميال من مكة قال عمرو فانتهيت إليه وعنده السادن فقال ماذا تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أهدمه، قال لا تقدر على ذلك فقلت لم؟ قال تمنع؛ فقلت حتى الآن أنت على الباطل، ويحك هل يسمع أو يبصر؟ قال فكسرتة ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال أسلمت لله.

وللعراقي:

فبعث عمرو ثانيا فهدما سواع والسادن عاد مسلما ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي في رمضان سنة ثمان في عشرين فأرسل إلى هدم مناة، قرأها ابن كثير بالمد والهمزة والعامّة بالقصر غير مهموز ومناة صنم الأنصار قبل الهجرة، زاد ابن سعد غسان، قالت عائشة كان الأنصار يهلون لمناة وقال قتادة صنم لخزاعة وكان بالمشلل بضم الميم وفتح المعجمة واللام الأولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى قديد فلما انتهى إليها سعد قال السادن ماذا تريد؟ قال هدم مناة؛ قال أنت وذاك تهكما لظنه أنه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشي إليها فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها وقال السادن مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد فقتلها وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه وفي المواهب إن ذلك لست بقين من رمضان، قال الزرقاني فكان اللائق تقديمه علي هدم العزى لكنه تبع العيون وغيرها لتقديمها في الذكر العزيز والاهتمام بشأن هدمها لأنها من أصنام قريش ولذا قال أبو سفيان ليلة أسلم كيف أصنع بالعزى؟ فقال له عمر تخرج عليها.

وللعراقي:

فبعث سعد وهو ابن زيد هدم مناتهم على قديد

وهدم منصوب بنزع الخافض أي لهدم، وقوله علي قديد، أي وكان بيته مشرفا علي قديد، وسمي الصنم بمناة لأن دماء النسك كانت تمنى به، أي تراق، انظر المناوي.

ثم سرية خالد إلى بنى جذيمة بفتح الجيم وكسر الذال وهو ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة.

وقول الكرمانى من بنى عبد القيس وهم، وتبعه فى المواهب، قال الزرقانى والعجب من المصنف يعنى القسطلانى كيف جزم بما حكم الشيخ الحافظ أنه وهم، وكذا قال إمام المغازي ابن اسحاق جذيمة من كنانة وتبعه اليعمرى وغيره، انتهى. وكانوا أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم، بعثه عليه السلام وهو مقيم بمكة قبل خروجه إلى الطائف باتفاق أهل المغازي فى شوال سنة ثمان لما رجع من هدم العزى فى ثلاث مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وسليم بن منصور ومدلج بن مرة وبعثه عليه السلام داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا، فوطؤا بنى جذيمة وتعرف بغزوة الغميصاء بضم الغين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وهو ماء لبنى جذيمة أوقع فيه خالد بهم، ولما انتهى إليهم قال ما أنتم، يسأل عن صفتهم قالوا نحن مسلمين بالياء ابن سعد أي نحن من قوم مسلمين أو نصب بتقدير فعل قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد وأذنا فيها، قال فما بال السلاح عليكم؟ قالوا بيننا وبين قوم من العرب عداوة فحفنا أن تكونوا هم، قال فضعوا السلاح فوضعوه. قال البخاري فدعاهم الي الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا ذلك فجعلوا يقولون صباءنا صباءنا وفى رواية ابن سعد فقال استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بفتح التاء مخففا بعضا وفرقهم فى أصحابه ولما كان السحر نادى خالد من كان معه أسير فليقتله، فقتل بنو سليم أسراهم وأطلق المهاجرون والأنصار أسراهم فانفلت رجل من القوم فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال اللهم إنى أبرؤ إليك من فعل خالد. وبعث عليا فودى لهم دماءهم وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدى لهم مئيلة الكلب. قال الخطابي يحتمل أن خالدا نقم عليهم العدول

عن لفظ الإسلام لأنه فهم أن مرادهم خرجنا إلى الدين الباطل مع أن مرادهم من دين إلى دين. انتهى.

قال الحافظ قول ابن عمر راوي الحديث فلم يحسنوا إلخ. يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة ولم يكتف بذلك حتى يصرحوا بالإسلام وهذا على رواية الصحيح؛ وأما على ما فى ابن سعد فلعله تأول أن هذا القول منهم تقية كما تأول أسامة فى السرية المتقدمة.

لطيفة وعبرة:

روي أن رجلا من بنى جذيمة قد جمعت يداها إلى عنق برمة فقال لابن أبي حدرد يا فتى هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدنى إلى هذه النسوة حتى أقضي إليهن حاجة فتصنع بي ما بدى لكم؟ فقدمه حتى وقف عليهن فقال:

أسلمي حبيش	قبل نفاذ العيش
أريتك أن طالبتكم فوجدتكم	بحلية أو أدركتكم بالخوانق
ألم يك أهلا أن ينول عشايق	تكلف إدلاج السرى والودائق
فلا ذنب لى قد قلت إذ أنا ها هنا	أثيبى بود قبل إحدى الصفائق
أثيبى بود قبل أن يشحط النوى	وينأى الأمير بالحبيب المفارق

ف قالت امرأة منهن:

وأنت فحبييت عشرا وتسعا وترا وثمانية تترى
فقامت إليه امرأة حين ضرب عنقه فأكبت فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

وحبش ترخيم حبيشة حلية بفتح الحاء المهملة وسكون اللام فتحتية والخوانق بفتح المعجمة ونون وقاف موضعان والودائق جمع وديقة وهي شدة الحر فى الظهيرة، قال السهيلي نقله الزرقاني والصفائق بصاد مهملة ففاء فألف الحوادث كما فى القاموس، وللعراقي:

فبعث خالد إلى جذيمه ثانية يدعوا لخير مله

ليس مقاتلا وكانوا أسلم
أمرهم خالد أن يقتلوا
وبعضهم أمسك كابن عمرا
قال النبي إذ أتاه الوارد
ودى لهم قتلهم النبي
قوله ثانية أي مرة ثانية بعد بعثه لهدم العزى، وقوله وكانوا أسلموا
أي قبل ذلك، وقوله وهو لفظ يفهم أي يفهم منه الاسلام عندهم، ثم
صرحوا به فقالوا نحن مسلمين، وقوله أن يقتلوا كل أسيره أي وقالوا
هؤلاء مسلمون قاله المناوي.

ثم بعث طفيل بضم المهملة وفتح الفاء ابن عمر ابن طريق وقيل عمرو
هو بن عبد الله بن ملك، وقيل عمرو بن حممة لقبه ذو النور وهو
دوسي بفتح الدال المهملة وسكون الواو، وفد عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم ودعا لقومه فقال له الطفيل ابعتني إليهم واجل لي آية فسطع نور
بين عينه، فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه
فكان يضيء له في الليلة المظلمة، بعثه عليه السلام في شوال حين أراد
السير إلى الطائف إلى ذي الكفين بلفظ تثنية كف صنم من خشب كان
لعمرو بن حممة بضم الحاء المهملة وفتح الميمين وذكر ابن الكلبي أن
عمرا هذا كان حاكما علي دوس ثلاثمائة سنة فهدمه الطفيل وجعل يشج
النار في وجهه بفتح الياء المهملة وشد الشين المعجمة أي يلقي النار
عليه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادك
إني حشوت النار في فؤادك

وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعا وكان الطفيل شريفا مطاعا
في قومه فوافوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مقدمه الطائف
بأربعة أيام هكذا ذكره ابن سعد وعند مغلطاي وقدم معه أربعة مسلمون
وهذا تباین إلا أن يقال إن الباقيين أسلموا بعد القدوم وذكر أنه قدم
بدبابة ومنجنيق والدبابة بمهملة مفتوحة فموحدة مشددة فألف

فموحدة فتاء تانيث ألة يدخل فيها الرجال فيديون فيها لنقب الأسوار،
فقوله يا ذا الكفين قال السهيلي بالتشديد وخفف للضرورة نقله
الزرقاني.
وللعراقي:

فبعثه طفيلًا الدوسيا لذي الكفين صنمًا فهيًا
نارًا له ومنشدا في ذلكا يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا إني حشوت النار في فؤادكا
قوله لذي الكفين أي إلى هدمه وأمره أن يستمد بقومه ويوافيه
بالطائف، انتهى من المناوي.

ثم بعث قيس بن سعد بن عبادة في أربعمئة فارس إلى اليمن وأمره
أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال المهملتين والمدحي من
اليمن فقدم زياد بن الحارث ويقال حارثة والأول أصح كما قال البخاري
فسأل عن ذلك البعث فأخبر فقال يا رسول الله أنا وافدهم فاردد
الجيش. أنا أتكفل بقومي، وفي رواية وأنا أتكفل بإسلام قومي وطاعتهم
فردهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قناة وهو واد بالمدينة
ورجع الصدائي إلى قومه وقدم وفد الصدائيين بعد خمسة عشر يوما
فأسلموا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إنك مطاع في قومك يا أخا
صداء، فقال بل الله هداهم. ورجعوا إلى قومهم ففشى فيهم الإسلام.
وللعراقي:

فبعث قيس وهو ابن سعد إلي صداء أمروا بالرد
لما أتى أخو صداء التزما بقوميه أتى بجمع أسلما
قوله أمروا بالرد أي أمرهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بالرجوع. وهذا الرجل هو الذي أمره المصطفى صلى الله تعالى عليه
وسلم أن يؤذن ثم جاء بلال ليقم فقال ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو
يقيم انتهى من المناوي.

ثم بعث الضحاك بن سفيان الكلابي وكان يعد بمئة فارس في ربيع
الأول سنة تسع إلى قومه بنى كلاب فلقوه بالزج بضم الزاء المعجمة

وشد الجيم كما فى المناوي موضع بنجد فدعوهم إلى الإسلام فأبوا
فقاتلوهم فهزموهم.
وللعراقي:

فبعثه ضحاكا الكلابى لقوموه وهم بنو كلاب
ثم بعث عيينة بن حصن الفزاري بفتح الفاء إلى بنى تميم بالسقيا
بضم السين المهملة وسكون القاف فتحتية مقصور قرية جامعة من عمل
الفرع والسقيا أرض بنى تميم وسببه أنه عليه السلام بعث بشر بن أبي
سفيان الكلبي إلى ناس من خزاعة يأخذ منهم الصدقات فجمعوا له ما
طلبه فاستكثره بنو تميم وقالوا ما لهذا يأخذ أموالكم منكم بالباطل،
وقال الخزاعيون نحن مسلمون وهذا أمر ديننا، فقال التميميون لا
يصل إلى بغير منها أبدا، فهرب الرسول ورجع. فأخبره صلى الله
تعالى عليه وسلم فوثب خزاعة إلى التميميين فأخرجوهم فقال عليه
السلام من هؤلاء القوم؟ فانتدب أول الناس عيينة بن حصن فبعثه فى
خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير
الليل ويكمن النهار فهجم عليهم فى صحراء قد سرحوا مواشيهم فلما
رأوا الجميع ولوا فأخذ عيينة بن حصن منهم أحد عشر رجلا ووجدوا فى
محلّتهم بفتح الميم والحاء واللام المشددة أي مكان نزولهم إحدى عشرة
امراة وثلاثين صبيا فجالبهم إلى المدينة فحبسوا فى دار رملة فقدم
عشرة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب بن زرارة قال فى الإصابة
وارتد عطارد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم مع من ارتد من تميم ومع
سجاج ثم أسلم وقال فيها:

أضحت نبينا أنثى تطوف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاج ومن بالكفر أغوانا
ومنهم الزبرقان بكسر الزاء وسكون الموحدة فراء مكسورة ابن بدر
لقب بذلك لحسن وجهه واسمه الحصين والزبرقان من أسماء القمر قال:
تضيء بها المنابر حين يرقى عليها مثل ضوء الزبرقان

وكان يرفع له بيت ويضمخ بالزعفران والطيب تحفه بنو تميم قال:
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا
ومنهم قيس ابن عاصم المنقري بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف
فراء مهملة كان قيس ممن حرم الخمر فى الجاهلية وكان عاقلا حليما
وكان له ثلاثة وثلاثون ولدا، وقال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
هذا سيد أهل الوبر، وقال عمر للأحنف ممن تعلمت الحلم، قال من قيس
بن عاصم ومنهم الأقرع بن حابس وكان شريفا فى الجاهلية، والإسلام،
ولما رآهم نساؤهم وصبيانهم بكوا فعجلوا وجاءوا إلى باب النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا محمد أخرج إلينا تفاخرنا ونفاخرك
وتشاعرنا ونشاعرك فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فلم يزد صلى الله
تعالى عليه وسلم على أن قال ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، وإنى
لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا، فقدموا عطاردا فخطب
فأجابه قيس بن ثابت بن شماس وقام الزبرقان فقال قصيدة فبعث إلى
حسان وكان غائبا فقال قم فأجب الرجل فقام فأجابه فقال الأقرع وأبى
أن هذا الرجل لموتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من
شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا فأسلموا وجوزهم بأحسن جوائزهم
ونزل فيهم: {إن الذين ينادونك من وراء الحجارت أكثرهم لا يعقلون}.
ورد عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم الأسرى والسبي بفداء النصف
والمن على النصف انتهى ملخصا من المواهب وشرحها.
قوله منقر بفتح القاف فى القاموس منقر كمنبر أبو قبيلة من تميم.
وللعراقي:

فبعثه عيينه الفزاري

ثم بعث الوليد ابن عقبة بن معيط، واسمه ابان بن ذكوان بن أمية
وهو أخو عثمان من أمه كان من رجال قريش أسلم فى الفتح ولما مات
عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد مع علي ولا غيره وأقام بالرقعة إلى أن
مات فى خلافة معاوية، قاله الزرقاني بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم
الى بنى المصطلق بطن من خزاعة حي من الأزد يأخذ صدقاتهم وكان

بينه وبينهم عداوة وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بقرب الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالجزر والغنم فرحا به لكونه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم السلاح تجملا على عادة العساكر فخاف لرؤية السلاح فرجع قبل أن يصلوا إليه وأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهم صلى الله تعالى عليه وسلم أن يبعث إليهم من يغزوهم وبلغهم ذلك فأقبل الحارث بن ضرار فلما دخل على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قال له منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال لا والذي بعثك بالحق فنزلت في الوليد: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ} (الآية) قال ابن عبد البر لا خلاف بين أهل التأويل أنها نزلت في الوليد. وبعث عباد بن بشر يأخذ صدقاتهم ويعلمهم شرائع الإسلام بعد أن بعث خالد بن الوليد خفية في عسكر الإستكشاف الخبر وأمره أن يخفي عنهم قدومه، فلما دنا منهم بعث عيوننا ليلا فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة فرجع فأخبره عليه الصلاة والسلام، فنزلت الآية، وبعث إليهم عباد بن بشر.

ثم سرية عبد الله بن عوسجة بفتح العين والسين المهملتين بينهما واو ساكنة وبالجيم إلى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو والأول أصح يدعوهم إلى الإسلام فأبوا واستخفوا بالصحيفة فقال عليه السلام ما لهم أذهب الله عقولهم فهم إلى اليوم أهل رعدة أي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم وكلام مختلط، وأهل سفه كذا في المواهب وشرحها ثم سرية قطبة بضم القاف وسكون المهملة فموحدة ابن عامر الخزرجي العقبي حامل راية بنى سلمة يوم الفتح إلى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء فموحدة من أعمال مكة وأمره أن يشن الغارة عليهم ومعه عشرون رجلا يعتقبون علي عشرة ابعة فأخذوا رجلا فاستعجم عليهم وجعل يصيح بالحي ويحذرهم فضربوا عنقه فلما ناموا شنوا الغارة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء فجاء سيل وحال

بينهم وبينه وكانت سهامهم أربعة أبعة وذكر العراقي هذه السرية بعد بعث عيينة لكن شارحه بعث الوليد بينهما وكذا القسطلاني وللعراقي:

فبعث قطبة هو ابن عامر لثعم ببيشة في صفر
سنة تسع أن يشنوا الغارة ففعلوا وواقعوهم غره
فكثر القتلى وساقوا النعما مع نسائهم فكانوا مغمما
وبيشة بكسر الموحدة وسكون التحتية فشين معجمة واد من أودية
تهامة، حذف الأحوص في شعره الهاء، وغرة بكسر المعجمة أي على غفلة
- انظر المناوي.

وذكر في المواهب بعد هذه السرية سرية الضحاك بن سفيان الكلابي
إلى قومه وقدمتها تبعا للعراقي قال الحاكم وكانت إلى القرطاء بضم
القاف وفتح الراء والطاء المهملتين والمد وهم بطن من بنى بكر واسمه
عبيد بن كلاب وهم إخوة فرط كقفل وقريط كزبير وقريط كأмир كما
تقدم.

وفي هذه السرية لحق الأصيل بن سلمة بن قرط أباه سلمة على فرس
له فدعاه إلى الإسلام فأبى وسبه وسب دينه، فضرب عرقوبى فرسه
فوقع فارتكز سلمة على رمحه فقتله أحد الصحابة ولم يقتله ابنه، ثم
سرية علقمة بن مجزر بضم الميم وفتح الجيم فمعجمتين أولاهما
مكسورة مشددة لقب بذلك لجزه نواصي أسارى من العرب ولذا صوب
جمع من الحفاظ كونه بمعجمتين ووقع في رواية أبي ذر في الصحيح
أنه بسكون الحاء وكسر الراء المهملتين المدلجي الصحابي ابن الصحابي
وهو القائد في حديث أسامة بعثه عليه السلام في ثلاثمائة الي طائفة
من الحبشة في جزيرة بناحية جدة بضم الجيم وشد المهملة فلما خاض
البحر أي مشى فيه ليصل إليهم هربوا فرجع ولم يلق كيذا، تعجل بعض
القوم إلى أهله فأمر على من تعجل عبد الله بن حذافة، بضم الحاء المهملة
فزال معجمة فألف ففاء ابن قيس بن عدي بن سعيد بالتصغير بن سهم
وكانت فيه دعابة بضم الدال ما يستملح من المزاح كما في المصباح

فنزلوا وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار، فلما هم بعضهم بذلك قال أحبسوا أنفسكم فإنما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه، وفى رواية وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النار وفى رواية أنه عليه السلام قال لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة.

وللعراقي:

وابن حذافة لبعث يمه فهاجرىوا وفى به بدأ أمر أن يقعدوا فى النار ثم منعه بذلك النبي قال منكرا معصية بل ذاك فى المعروف قوله ولا تطيعوهم بالاختلاس قال المناوي وبوب البخاري باب سرية عبد الله بن حذافة وعلقمة بن مجزر المدلجي ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال أليس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمركم أن تطيعوني، قالوا بلى، قال فاجمعوا حطباً وأوقدوا فيه نارا وأوقدوها فقال ادخلوا فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا فما زالوا كذلك حتى خمدت وسكن غضبه فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال ابن حجر والظاهر ان القصة متعددة انتهى.

ثم سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس، صنم طيء ليهدمه وهو بضم الفاء وسكون اللام آخره سين مهملة وقيل بضمها وقيل بالفتح وسكون اللام آخره سين، بعثه عليه السلام فى ربيع الآخر سنة تسع فى مائة وخمسين رجلا من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا عند الواقدي، ولابن سعد مائتين من الأنصار ومعه راية سوداء فغاروا علي أحياء من العرب وغاروا على محلة آل حاتم وهدموا الصنم وحرقوه ووجدوا فى

خزانتة ثلاثة أسياف، الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملتين وسكون الواو سمي بذلك كما فى المناوي لأنه يغيب فى المضروب من رسب إذا ذهب إلى أسفل، والمخزم بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الذال وهو السيف القاطع وسيف يقال له اليماني ووجدوا فيها ثلاثة أذراع وغنموا سبيا ونعما وشاء وفضة فلما كان بركك بفتح الراء والكاف والأولي موضع ببلاد طيء لا يعرف عزل له عليه السلام صفيا الرسوب والمخزم ثم صار له السيف الآخر وعزل الخمس وآل حاتم فلم يقسمهم وذكر بعضهم انه وهب الرسوب والمخزم لعلي وكان فى السبي سفانة بفتح السين المهملة وشد الفاء فألف فنون فتاء تأنيث بنت حاتم الطيء وهي فى الأصل الدرة فأسلمت ومن عليها أي أطلقها عليه السلام فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى، وملكتك يد اسغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لنيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سببا لردها عليه وكان اطلاقها سبب إسلام أخيها عدي إذ خرجت حتى قدمت عليه بالشام فقال لها ما تريين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يك نبيا فللسابق إليه فضيلة وإن يك ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت، فقال والله إن هذا هو الرأي فقدم وأسلم وكان كريما فروى أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك. وروي عنه انه قال ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها - انظر الزرقاني.

وللعراقي:

الفلس بالفاء وكان صنما
حلة آل حاتم حتى مالا
وخرب الفلس جميعا وغنم
مع اليماني ورسوب مغنما
عزلهم لصاحب المراحم
محمد فحين من أسلمت
بشورها جاء إلى النبي

بعث علي بعده ليهدما
لطيء فشن غارة على
أيديهم سبيا وشاء ونعم
أذراعا أي ثلاثة ومخزما
فقسم السبي وآل حاتم
قامت له سفانة فاستأمنت
خرجت الشام إلى عدي

وذكر ابن سعد ان المرسل في البعث خالد كما قد نقلنا قوله شن غارة أي فرق الجيش من كل وجه ووقف على نعم بلغة ربيعة، وقوله ومخذاً التي كانوا يسمونها بذلك، وآل بالرفع مبتدأ خبره عزلهم، والشام منصوب بنزع الخافض، وقوله بشورها أي بإشارتها عليه، وقوله وذكر إلخ.. يعنى أن ابن سعد ذكر ان الذي أرسله المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم في البعث المذكور هو خالد بن الوليد - انظر المناوي، ولا يمكن الجمع بينهما فإن خالد كان في جيش علي لأن جيش علي كان كله من الأنصار، والله أعلم، قاله الزرقاني. ثم سرية عكاشة بضم العين وشد الكاف وتخفيفها وشين معجمة قاله الزرقاني وغيره وقال المناوي بفتح أوله مع التشديد وبضمها مع التخفيف ابن محسن كمنبر الأسدي البدرى وممن يدخل الجنة بغير حساب كما في الصحيحين بعثه عليه السلام الي الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم المهملة وسكون الذال وبلى، بفتح الموحدة وكسر اللام قبيلتان كلاهما من قضاة بضم القاف وقيل أرض فزارة بفتح الفاء وقلب ولعذرة فيها شركة، ولم يبينوا عدة من ذهب فيها ولا سببها - انظر المواهب وشرحها. وللعراقي:

فبعثه عكاشة بن محسن ثانية الي الجباب موطن لغطفان أو بلى وعذرة وبين كلب وبنى فزارة وقوله ثانية أي مرة ثانية، وبلى إشارة للخلاف أي وقيل بلى، وقوله أو بين كلب إلخ، أي قيل بين ديار بنى كلب وديار بنى فزارة بفتح الفاء والزاء ولعذرة فيها شركة، قاله المناوي.

ثم بعث خالد بن الوليد في رجب سنة تسع عند رجوعه من تبوك في أربعمئة وعشرين فارساً إلى أكيدر بضم الهمزة وفتح الكاف وسكون التحتية وفتح المهملة ابن عبد الملك النصراني المختلف في إسلامه الأكثر على أنه قتل كافراً قاله الزرقاني وهو مخالف لما في القاموس انه كأجير وكان ملكاً عظيماً لهرقل بدومة الجندل ودومة بفتح الدال

وضمها حصن وقرى من طرق الشام عرفت بدومة بن اسماعيل وقال له خالد كيف لى به وهو وسط بلاد كلب وإنما أنا فى أناس يسيرين فقال عليه السلام إنك ستجده ليلا يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دومة فإن ظفرت به فلا تقتله وات به إلي فإن أبى فاقتله، فخرج خالدا حتى كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته الرباب بكسر الراء وموحدتين وقينة تغنيه وقد شرب فبان البقر تحك بقرونها باب الحصن، فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط، قال لا والله، قالت فمن يترك هذه، قال لا أحد.

وفى رواية ولقد كنت أضمر لها الخيل اليومين والثلاثة وفى لفظ شهرا، ولكن قدر الله ونزل فأسرج فرسه وخرج هو وأخوه حسان فى نفر فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر فقتل أخاه حسان وهرب من كان معهما، فدخل الحصن فأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن يفتح له دومة، فانطلق به خالد حتى أدناه من الحصن فنادى أكيدر أهله، ان افتحوا باب الحصن فأبى مضاد أخو أكيدر، فقال أكيدر لخالد إنهم لا يفتحون ما رأونى فى وثاقتك فحل عني فلك الله والأمانة أن أفتح لك إن أنت صالحتني على أهلي فصالحه على ألفي بغير وثمان مائة فرس، وأربع مائة درع وأربع مائة رمح على أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله عليه السلام فيحكم فيهما حكمه فلما قاضاه علي ذلك خلى سبيله ففتح الحصن فدخله خالد وأوثق مضادا وأخذ ما صالح عليه ثم قدم خالد بأكيدر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية فرجع إلى قريته.

وللعراقي:

ابن الوليد خالدا فى فئاة	فبعثه إلى أكيدر دومة
وهو يريد بقرا يصيده	وقال يا خالد سوف تجده
قرونها حائطه فى ليلة	فأرسلت بقرا وحش حكمت
شدت عليه خيله فاستأسرا	نشطه ذاك يصيد البقرا

أجاره خالد ثم صالحه على رقيق ودروع صالحه
مع رماح وجسممال ورحل معه الي النبي بعدما فصل
وسكن أكيدر للضرورة وبفتح الدال ضبطه المناوي وقال انه رجل من
كندة وكان نصرانيا، ويصيده بفتح التحتية وصاد مهملة ومثناة
مشددتين وأرسلت مبني للمجهول أي أرسلها الله، وقرونها فاعل حكى،
ونشطه بفتح النون والشين المعجمة، وقوله ذاك أي فى ذاك كونه
يصيد، واستأصر أسلم نفسه أسيرا، وقوله وفصل بفتح الفاء والصاد
المهملة أي بعد انفصال أمر الصلح انتهى من المناوي.

ثم بعث إلى اليمن أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، كل منهما على
مخلاف، قالوا واليمن مخلافان، وكان هذا البعث فى ربيع الآخر سنة
تسع عند أهل المغازي وقال البخاري سنة عشرة قبل حجة الوداع
والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة آخره فاء الناحية، ويطلق علي
المدينة وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن وجهة أبي موسى السفلى،
وقال لهما يسرا من اليسر أي سهلا ولا تعسرا، أي لا تشددا، أي عاملا
بالرفق فى الأمور فأقيما الأحكام مطابقة للأمر لكن برفق وبشرا ولا
تنفرا.

وفي البخاري قال لمعاذ انك ستأتى قوما أهل كتاب فإذا جئتهم
فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم
أطاعوك فاخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة،
فإن هم أطاعوك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من
أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك فأياك وكرائم أموالهم
واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، أي صارف
يصرفها.

ثم بعث خالد بن الوليد قبل حجة الوداع فى ربيع الأول سنة تسع
وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى جمادي الأولى الي بنى عبد المدان، بوزن
سحاب اسم صنم قبيلة يقال لها بنو الحارث بنجران بفتح النون
وسكون الجيم مدينة بالحجاز من شق اليمن سميت بنجران بن زيد لأنه

أول من نزلها قاله المناوي، وقال الزرقاني موضع باليمن سمي بنجران بن زيد بن سبيء وأمر عليه السلام خالدا أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وأقام خالد يعلمهم الإسلام والكتاب والسنة وبذلك كان أمره أنهم ان أسلموا ولم يقاتلوا. ثم كتب إليه عليه السلام بذلك فكتب إليه أن يقدم ومعه وفدهم، فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا إلى قومهم.

وللعراقي:

فبعثه أيضا إلى عبد المدان أو لبني الحارث نحو نجران أتاهم فأسلموا فأقبلوا معه إلى النبي حتى وصلوا الضمير في بعثه لخالد وقوله أيضا، أي بعد بعثه لأكيدر. ولم يذكر العراقي بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن وقوله أو لبني الحارث أي وقيل إلى بني الحارث بن كعب، قاله المناوي ومقتضى صيغ المواهب وشرحها أنه ليس بخلاف وعليه فأو لتنوع الاسم والله تعالى أعلم.

ولفظ المواهب إلى بني عبد المدان قال الزرقاني قال في الروض واسم عبد المدان عمرو بن الديان واسم الديان يزيد بن القطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب - انتهى المراد والله أعلم.

ثم بعث علي بن أبي طالب، قيل مرتين إحداهما إلى همدان فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، ولما بعثه إلى اليمن عقد له لواء، قال الواقدي أخذ عمامته فلفها مثنية مربعة فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه وعممه بيده ثلاثة أكوار فجعل له ذراعا بين يديه وشبرا من ورائه وقال أمض ولا تلتفت، وقال علي يا رسول الله ما أصنع؟ فقال إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم إلى قول لا إله إلا الله فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة فإن أجابوا فلا تبغي منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت ولما بعثه قال يا رسول الله تبعثنى إلى قوم أسن منى وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، قال علي فوضع يده في صدري وقال اللهم ثبت لسانه أي

اجعله دائماً على النطق بالحق واهد قلبه. وقال يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء. قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين، فخرج في ثلاث مائة فارس، وكانت أول خيل دخلت تلك البلاد وهي بلاد مذحج فلما انتهى إلى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأسبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج رجل من مذحج يدعو إلى البراز فبرز إليه الأسود بن خزاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم لحقهم فدعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا نحن على من ورائنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله.

وللعراقي:

بعث علي بعسده إلى اليمن	وهي بلاد مذحج ففرقن
أصحابه جاؤه بالنساء	وولدهم ونعم وشساء
ثم دعاهم لم يجيبوا فقتل	منهم رجالاً نحو عشرين رجلاً
فانهزموا فكف ثم إذ دعى	ثانية أجاب بعض مسرعاً
فأسلموا وجمعوا الغنائم	خمسها لله ثم قسما

قوله مذحج هو بضم الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وقيل بفتحها مع فتح الميم، وفرق بنون التوكيد الخفيفة، واحتقر بئراً باليمن فأصبحوا وقد سقط فيها أسد ونظروا إليه فسقط إنسان بالبئر فتعلق بآخر، فتعلق الآخر بآخر حتى كانوا في البئر أربعة فقتلهم الأسد فأهوى إليه رجل برمح فقتله فتحاكموا إلى علي فقال للأسفل ربع دية لأنه هلك فوقه ثلاثة وللثاني ثلث دية لأنه هلك فوقه اثنان وللثالث نصف دية لأنه هلك فوقه واحد وللأعلى دية كاملة، فلما أتوه عليه السلام أخبره فقال هو كما قضى، قاله المناوي؛ وقوله مذحج بضم الميم إلخ، قال في القاموس ومذحج كمجلس أكمة، ولدت مالكا

وطيئاً أمهما عندها فسموا مذحجا - انتهى.
ولما قفل علي من اليمن وافى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة
قد قدمها للحج سنة عشر آخر البعوث النبوية.

سرية ابن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وعن أبيه وجده إلى
أهل أبنا بضم الهمزة وسكون الموحدة فنون فألف مقصورة ويقال بميم
بدل الموحدة بالشرأة بفتح المعجمة والراء جبل بالبقاء وكانت ليوم
الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة دعاه عليه
السلام فقال له سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك
هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أبنا، وحرق عليهم وأسرع السير
تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم
العيون والطلائع وهو أول جيش جهزه أبو بكر أي أنفذ تجهيزه لما بويح
بعد وفاته عليه الصلاة والسلام لأنه كلم فيه فلم يقبل إلا انفاذه لغزو
الروم مكان مقتل أبيه المقتول بمؤتة بضم الميم وبالهمز وتركه وهي من
عمل البلقاء فلا تخالف ولما كان يوم الأربعاء وقيل الاثنين وقيل السبت
بدأ بالبناء للمفعول برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه فحم
وصدع بضم الصاد وكسر الدال المشددة أي حصل له صداع أي وجع في
رأسه ولما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءه بيده الشريفة وخرج
أسامة بلوائه فدفعه إلى بريدة بن الحصيبي بمهملتين مصغرا الأسلمي
وعسكر بالجرف بضممتين وبضم فسكون فلم يبق أحد من وجوه
المهاجرين والأنصار إلا انتدب وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد
وسعيد وتكلم قوم فقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين
وسمع عمر بعض ذلك فردده على من تكلم وجاء إلى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فأخبره به فغضب غضباً شديداً فخرج صلى الله
تعالى عليه وسلم وقد عصب رأسه وعليه قطيفة فصعد المنبر وحمد الله
وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتنى عن بعضكم في
تأميري أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم في إمارتي
أباه من قبله وأيم الله ان كان زيد للإمارة خليفاً أي أهلاً وإن ابنه من

بعده لخليق للإمارة فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم، ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو ثلاثة آلاف: سبع مائة من قريش، فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه فجعل يقول انفذوا بعث أسامة فدخل أسامة من عسكره والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فلما أفاق قال والله لا يبقى أحد في البيت إلا لدّ فما بقي أحد إلا لدّ حتى ميمونة وهي صائمة فطأ أسامة فقبله والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة، قال أسامة فعرفت أنه يدعو لي ورجع أسامة إلى معسكره ثم دخل أسامة يوم الاثنين وأصبح مقبلا فقال لأسامة اغد على بركة الله تعالى فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاء يقول إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يموت، فأقبل هو وعمر وأبو عبيدة فتوفي عليه الصلاة والسلام حين زاغت الشمس أي مالت وذلك عند الزوال لإثني عشر ليلة خلت من ربيع الأول ودفن ليلة الأربعاء ولما توفي صلى الله تعالى عليه وسلم دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا فغرزوه عند باب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بويع أبو بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضى لوجهه فخرج إلى معسكره الأول وأمر أبو بكر مناديا أن لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان أنتدب معه في حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يتخلف عنه أحد وكلم أبو بكر أسامة أن يأذن لعمر في التخلف ففعل وخرج أسامة هلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف وفيهم ألف فارس وخرج أبو بكر يشيعه فركب أسامة من الجرف وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة وقال استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوصيك فأنفذ

لأمره. فأسرع إلى ابنا فقدم عينا له فأخبره أنهم غارون ولا جموع لهم فسار إليهم فشن عليهم الغارة فقتل من أشرق له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وحرثهم وأجال الخيل فى عرصاتهم وكان أسامة على فرس أبيه سبحة بفتح المهمله وسكون الموحدة وقتل قاتل أبيه ثم أسرع السير فورد وادي القرى فى تسع ليال ثم قصد فى السير حتى أتى المدينة ولم يصب أحد من الصحابة وخرج أبو بكر وأهل المدينة يتلقونه سرورا بسلامتهم. وللحافظ العراقي:

آخر من بعثه أسامه	أهل أبني لم يرم مقامه
حتى قضى النبي قبل سفره	رد أسامة بجمع عسكره
بعثه الصديق حتى أزهقا	قاتل أبيه وسبى وحرقا
واختلفوا فى عدها فالأكثر	عن قدر ما عدت منها قصر
ولابن نضر عالم جليل	بل فوق سبعين وفى الإكليل
أن البعوث عدها فوق المائه	ولم أجد ذا لسواه ابتدأه

ولم يرم بكسر الراء أي لم يبرح من مقامه بالجرف، وأزهق بالزاء قتل، وقصروا بشد الصاد لم يزيّدوا بل نقصوا؛ فقد حكى النووي الاتفاق على أن السرايا ست وخمسون والإكليل للحاكم، وقوله ابتدأه أي بل ابتدأه بالهمز قبل الهاء، وحمله بعضهم على أنه أراد بضم المغازي إليها وعليه فلا غرابة ولا استبعاد - انظر المناوي.

وفى المواهب فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون، وفى الفتح أن السرايا تقرب من سبعين، انتهى والله أعلم.

وهنا انتهى الكلام على ما شاء الله أن أتكلّم عليه من بعوثه علي الصلاة والسلام وذكرته فى شرح قول الناظم:

وضعها البعوث دون مين

وها أنا أشرع إن شاء الله تعالى فى شرح ما بعده وهو قوله:

(وقيل فى النضير مع واد القرى قاتل والغاية أيضا ذكرا)
المجورر متعلق بقوله بعده قاتل ومع بسكون العين وهو قليل والغاية

مرفوع على الابتداء على حذف مضاف أي وقتال الغابة ذكر أيضا كما ذكر القتال فيما مر يعنى أن بعض أهل السير ذكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل فى هذه الغزوات الثلاث: غزوة النضير وغزوة وادي القرى وغزوة الغابة أي قاتل أصحابه الذين هو معهم لا أنه باشر بنفسه الكريمة القتال فيها كما مر، ومرّ أنه لم يباشر قتل أحد بيده إلا أبي بن خلف، لعنه الله، أما غزوة واد القرى فقد مر الكلام عليها فى محلها وهي بعد غزوة خيبر ومر فيها عن الواقدي أنه بارز من يهود فيها رجلا فقتله الزبير ثم آخر فقتله الزبير أيضا، ثم آخر فقتله علي، ثم آخر فقتله أبو دجانة حتى قتل منهم أحد عشر مبارزة وأصيب فيها مدعم صاحب الشملة، أما غزوة بنى النضير وهم قبيلة كبيرة من اليهود ينتسبون إلى هارون عليه السلام فذكرها ابن اسحاق بعد أحد وبير معونة وعليه فهي فى ربيع الأول سنة أربع، وعن عروة أنها كانت على رأس ستة أشهر من بدر قبل وقعة أحد ومال إليه السهيلي وسببها كما قال ابن إسحاق عن عامر بن الطفيل لما قتل أهل بير معونة اعتق عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه رقبة كانت على أمه فرجع عمرو إلى المدينة فقتل فى رجوعه رجلين من بنى عامر كان لهما عهد من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشعر به، وظن أنه ظفر بثأر بعض أصحابه فأخبره عليه السلام بذلك فقال لأدينهما أي لأعطين ديتهما لما بيننا وبينهما من العهد، وكان بين بنى النضير وبنى عامر حلف وعهد فخرج عليه السلام إلى بنى النضير يستعينهم فى دية العامريين فقالوا له نعم يا أبا القاسم اجلس نعينك حتى تطعم وترجع بحاجتك، فجلس عليه السلام إلى ظل جدار من جدرهم فخلى بعضهم ببعض والشيطان لا يفارقهم فأنتمروا بقتله وقالوا إنكم لم تجدوه على مثل هذه الحالة وكان معه نحو العشرة من أصحابه أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وطلحة وابن عوف والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عباد، وقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه، فقال عمرو ابن جحاش بفتح الجيم وشد

الحاء المهمة آخره شين معجمة أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة، فقال سلام بالتشديد عند ابن الصلاح وغيره ورجح الحافظ التخفيف ابن مشكم كمنبر لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وإنه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه، فجاءه عليه السلام جبريل فأخبره بما أرادوا فقام صلى الله تعالى عليه وسلم مظهرا أنه يقضى حاجته وترك أصحابه ورجع إلى المدينة واستبطاه أصحابه فقاموا فى طلبه حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به. قال غير واحد ونزل فيهم: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم} فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بالتهيب لحربهم والسير إليهم واستعمل ابن أم مكتوم إماما بالصلاة بأهل المدينة ولم يستعمل على أمرها أحدا لقربها فإن بينهما ميلين كما قال الزرقاني فحاصرهم ست ليال وقليل خمسة عشر يوما وجمع بينهما بأن حصار الستة كان وهم مصرون على الحرب وما زاد أخذوا فيه فى أسباب الخروج، ولما تمنعوا فى الحصار فى حصونهم قطع النخل وحرقها فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فوقع فى نفوس المسلمين شيء من هذا الكلام حتى نزل: {ما قطعتم من لينة} إلى قوله {وليخزي الفاسقين}، واللينه أنواع التمر كلها ما عدى العجوة والبرنى وقليل النخل اللينة كرام النخل، وقليل أرداه وقليل النخلة لا ثمر لها قليل وجملة ما قطع وحرق ست نخلات وبعث رأس المنافقين عبد الله بن أبي وهو من عوف من الخزرج إلى بنى النضير حين هموا بالخروج أن أثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم إن قوتلتهم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم، فقذف الله فى قلوبهم الرعب، فقتل سيدهم كعب بن الأشرف، فلم ينصروهم، وفيهم نزل: {ألم تر إلى الذين نافقوا} إلى قوله {كمثل الذين من قبلهم}، فسألوه عليه السلام أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم ولابن سعد أنهم لما هموا بغدره بعث إليهم محمد بن مسلمة أن أخرجوا من بلدى فلا تساكنونى فيها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رأى منكم بعد ذلك ضربت بالبناء

المفعول عنقه، فمكثوا أياما يتجهزون فأرسل إليهم ابن أبي أن أقيموا
 فى حصونكم فإن معى ألفين من قومى من العرب يدخلون حصونكم
 وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حيي فأرسل مع أخيه جدي
 بضم الجيم وفتح الدال وشد التحتية إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما
 بدا لك، فسار عليه الصلاة والسلام فى أصحابه إليهم وركب على حمار
 وعلي يحمل رايته فلما رأوهم قاموا على حصونهم ومعهم النبل
 والحجارة ولم تعنهم قريظة ولا ابن أبي ولا غطفان وقال ابن مشكم
 وكنانة لحيي أين الذى زعمت؟ قال ما أصنع هي ملحمة كتبت علينا
 فحاصرهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم أخرجوا منها ولكم
 دماؤكم، وما حملت الإبل إلا الحلقة بإسكان اللام أى الدرع، وقيل السلاح
 كله، فكانوا يخربون بيوتهم لينقذوا ما استحسنا منها ثم أجلاهم
 وحملوا النساء والصبيان واحتملوا امتعتهم على ستمائة بعير فلحق
 أكثرهم بخيبر وذهب بعضهم إلى الشام وحزن عليهم المنافقون حزنا
 شديدا وقبض عليه السلام الأموال فوجد من السلاح خمسين درعا
 وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، قال السهيلي ولم يختلفوا أن
 أموالهم كانت خاصة به عليه الصلاة والسلام وأن المسلمين لم يوجفوا
 عليها بخيل ولا ركاب وأنه لم يقع قتال، وفى المواهب أنها كانت حبسا
 أي وقفاً لنوائبه عليه السلام، ولم يسهم منها لأحد، لأن المسلمين لم
 يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وإنما قذف فى قلوبهم الرعب وأجلوا عن
 منازلهم ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها عليه السلام
 بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم
 فى الأموال والديار غير أنه أعطي أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما
 وأعطى سعد بن معاذ سيف سلام بن أبي الحقيقى بالتصغير وكان سيفاً
 له ذكر عندهم - انتهى.

وقوله لنوائبه جمع نائبة فكان ينفق منها على أهله ويزرع تحت
 النخل ويدخر قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبنى عبد
 المطلب وما فضل جعله فى السلاح، والكراع بضم الكاف وخفة الرء

جماعة الخيل، وقوله لم يوجفوا أي لم يتحركوا ويتعبوا، قال:

مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب أحيانا إذا القوم أوجفوا
وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال للأنصار ليست لإخوانكم من
المهاجرين أموال فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينهم جميعا، وإن
شئتم أمسكتكم أموالكم وقسمت هذه خاصة، فقالوا بل أقسم هذه فيهم،
وأقسم لهم من أموالنا ما شئتم؛ فنزلت {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة}، قال أبو بكر الصديق جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار،
فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي وهو بالمعجمة والنون:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي لاقوه منا ملت
انتهى من الزرقاني.

وما ذكره الناظم من حصول القتال في هذه الغزوة أشار به والله أعلم
إلى ما نقله العلامة الزرقاني عن السبل من أنه عليه السلام لما سار
إليهم حمل قبة من خشب عليها مسوح وأمر بلالا فضربها في موضع
المسجد الصغير الذي بفناء بنى خطمة ودخلها صلى الله تعالى عليه
وسلم وكان عزوك اليهودي أعسر راميا فيرمي فيبلغ القبة فحولت إلى
مسجد الفضيخ بفناء مفتوحة فضاد فحاء معجمتين بينهما تحتية ساكنة
فتباعدت من النبل ففقد علي في ليلة قرب العشاء فقال الناس يا
رسول الله ما نرى عليا، فقال دعوه فإنه في بعض شأنكم، فعن قليل جاء
برأس عزوك، فقد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان
شجاعا راميا فشد عليه فقتله وفر من كان معه، وبعث عليه السلام
خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا
من علي فقتلوهم وطرحوا رؤسهم في بعض الآبار - انتهى وفي المناوي
بعضه . وقد مر عن السهيلي ما يفيد الاتفاق على أنه لم يقع فيها قتال،
وروى عبد بن حميد أن هذه الغزوة كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف
وروى ابن اسحاق أن بنى النضير خرجوا ومعهم الدفوف والمزامير

والقيناة يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله وعلى نسائهم الديباج
والحرير والخز الأخضر والأحمر وحلي الذهب والفضة والمعصفر
وأظهروا تجلدا عظيما، قال ولم يسلم منهم إلا يامين بن عمير وأبو سعد
بن وهب فأحرزا أموالهما - انتهى.

وأما غزوة الغابة وهي غزوة ذى قرد فكانت عند سعد والواقدي فى
ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر
بثلاثة أيام وخيبر كانت بعد الحديبية بنحو عشرين يوما، والغابة شجر
لاحتطاب الناس ومنافعهم على بريد من المدينة وأضيفت إليه الغزوة
لأن اللقاح التى أغير عليها كانت ترعى بها والغارة عليها هي سبب هذه
الغزوة، وذو قرد بفتح القاف والراء وحكي الضم فيهما وحكي ضم أوله
وفتح ثانيه آخره دال مهملة وهو ماء على بريد من المدينة مما يلي بلاد
غطفان وقيل على مسافة يوم والقرد فى اللغة الصوف وأضيفت إليه
الغزوة لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وصل إليه وصلى به، وسببها
أنه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرون لقحة ترعى
بالغابة، وهي بكسر اللام وقد تفتح ذات اللبن القريبة العهد بالولادة
بشهر واثنين وثلاثة وهو اسم لا صفة فيقال هذه لقحة، لا ناقة لقحة،
فإن أريد الوصف فناقة لقوح أو لاقح، وقد يقال لها ذلك قبل الوضع،
قاله الزرقاني، وكان فى اللقاح أبو ذر الغفاري وابنه وامراته واسمها
ليلى، وكان أبو ذر استأذنه عليه السلام فى ذلك، فقال إنى أخاف عليك
ولا تأمن عيينة فالح عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لكأنى بك قد
قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت توكل على عصاك، قال أبو ذر عجا لى
يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكأنه والله ما قال، فلما كان الليل أحرق بنا
عيينة مع أصحابه فأشرق لهم ابني فقتلوه وكانت معه امرأتها وثلاثة
نفر فنجوا ونجت امرأة ابنه الذى قتل وأسرت امرأتها هو والعلم عند
الله. وروى الطبراني وغيره عن سلمة أن الذى غار عليها عيينة بن
حصن وروى عنه أحمد ومسلم أن الذى أغار عبد الرحمن ابن عيينة ولا
منافة فكل من عيينة وابنه كان فى القوم، وكان أول من نذر بهم بفتح

النون وكسر الذال المعجمة أي علم، سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي المهاجري وكان شجاعا يسبق الفرس وكان يريد الغابة ولما علم بهم صرخ وا صباحاه، ثم خرج يشتد بآثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم وهو على رجليه وكان عيينة في أربعين فارسا فجعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى:

خـذها وأنا ابن الأكـوع اليــــــــوم يوم الرضع
فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال:

خـذها وأنا ابن الأكـوع اليــــــــوم يوم الرضع
فيقولون أكيوعنا أول النهار، وبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة الفزع الفزع، وترامت الخيل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد الأشهلان فعقد لواء للمقداد وقال له امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أشرك وركب صلى الله تعالى عليه وسلم في خمسمائة وقيل سبعمائة فأدرك المقداد ومن معه أخريات العدو وقتل أبو قتادة مسعدة بن حكمة بفتححتين الفزاري رئيس المشركين وسجاه ببرده فاسترجع المسلمون لما رأوه، وقالوا قتل أبو قتادة فقال عليه السلام ليس بأبي قتادة ولكنه قتيله، وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه، كذا لابن عقبة ولابن اسحاق أن قتيل أبي قتادة حبيب بن عيينة وكذا في حديث مسلم ولكن سماه عبد الرحمن قال الحافظ ويحتمل أن له اسمين، وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرا وهما على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلها جميعا واستنقذ بعض اللقاح وأوبار بفتح الهمزة وسكون الواو ثم موحدة فألف فراء كذا ضبطه البرهان ولابن سعد أنه أثار بضم الهمزة فمثلثة آخره راء وقتل من المسلمين محرز بن نضلة الأسدي من بنى أسد بن خزيمة وفي البخاري عن سلمة أنه، أي سلمة، استنقذ اللقاح كلها واستلب ثلاثين برده وفي مسلم ما زلت أرميهم بالنبل وأرتجز فألحق

رجلا منهم فأمكنه سهما فى رجله وخلص السهم إلى كعبه فمازلت أرميهم وأعقرهم فإذا رجع إلي فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرت به، فإذا تضايق الجبل ودخلوا فى مضايقه علوت الجبل فرميته بالحجارة فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بغير إلا اخلفته وراء ظهرى ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها - انتهى المراد منه.

وفى المواهب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لحق عشاء فقال سلمة، فقلت يا رسول الله إن القوم عطاش فلو بعثتنى فى مائة لاستنفذت ما فى أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يابن الأكوع ملكت أي قدرت عليهم فأسجج بهمزة قطع فسين مهملة ساكنة فسيم مكسورة فحاء مهملة أي أرفق واحسن، والسجاجة بكسر السين السهولة أي لا تأخذ بالشدة فقد حصلت النكاية فى العدو ولله الحمد. ثم قال إنهم الآن ليقررون فى غطفان بضم التحتية وسكون القاف وفتح الراء وضمها وسكون الواو من القرى وهو الضيافة وقيل معنى ضم الراء أنهم يجمعون الماء واللبن ولابن اسحاق إنهم الآن ليغبقون فى غطفان من الغبوق وهو بالغين المعجمة شرب أول الليل - انتهى.

وقد تقدم فى رواية مسلم والبخاري عن سلمة انه استنقذ جميع اللقاح ولابن سعد وابن اسحاق والواقدي فلم تزل الخيل تاتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذى قرد فاستنقذوا عشر لقاح وأقلت القوم بما بقي وهو عشر، وأقام به يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال قال الشامي وما فى الصحيحين هو المعتمد لصحة سنده انتهى.

ولا يرد على كون اللقاح عشرين بمجرد أن معها زيادة عليها الجمل الذى كان لأبي جهل ولا ناقتة عليه الصلاة والسلام التى رجعت عليها امرأة أبي ذر، لأنها إنما عادت عليها بعد عوده عليه السلام إلى المدينة -

نرد كمائة المعلمين إذا انتخوا
بكل فتى حامي الحقيقة ماجد
يذودون عن أحسابهم وبلادهم
فسل ببنى بدر إذا ما لقيتهم
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم
وقولوا زلنا عن مخالف خادر
اللقطة أم حصن ابن حذيفة جدة عينة لأن حذيفة ابن بدر التقطها
فى جوار أضرت بهن السنة فأعجبتته فخطبها إلى أبيها وتزوجها وهي
بنت عاصم بن مروان وأول أبيات الحماسة محرف، والرواية بنو
الشقيقة وهي بنت عباد بن زيد قاله فى القاموس، والسبة بالضم
العار، والمداعس المطاعن، والقمع محرقة رأس السنام والأبلغ بالخاء
المعجمة المتكبر، والمتشاوس الذى ينظر بمؤخر عينيه نظرة المتكبر،
والمعلم بضم الميم وكسر اللام الذى علم نفسه بسيما الحرب، وانتخوا
بالخاء المعجمة تكبروا والمخالس الذى يخطف الشيء على سرعة وغفلة،
والمتقاعس الذى لا يلين ولا ينقاد، والقوانس جمع قونس وهي البيضة
والتمارس المضاربة فى الحرب، والخادر الأسد فى خدره أي أجمته،
والوحر الحقد.

قوله (وحج حجتين ثم الفرضي) معناه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
حج حجتين بمكة قبل أن يهاجر ثم حج بعد ذلك حجة الفرض سنة عشر
وهي حجة الوداع، واختلف فى سنة فرض الحج فالجمهور على أنه فرض
سنة ست من الهجرة وقالت طائفة بل تأخر فرضه إلى سنة تسع وقال
آخرون بل سنة عشر وفى الترمذي من حديث جابر أن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما
هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي من اليمن ببقيتها
وعن ابن عباس حج صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يهاجر ثلاث
حجج، وقال ابن الأثير كان عليه السلام يحج كل سنة قبل أن يهاجر.
وقال جابر كما فى رواية مسلم مكث صلى الله تعالى عليه وسلم أي

بالمدينة تسع سنين لم يحج، ثم أذن في العاشرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتبس أن يأت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعمل مثل عمله قاله في المواهب وقال الحافظ الذى لا ارتياب فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يترك الحج وهو بمكة قط لأن قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج، وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على إقامة الحج فكيف يظن أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يتركها انتهى نقله الزرقاني. فانظر لم اقتصر الناظم على أنه حج حجتين قبل الهجرة.

قوله: (واعتمر الأربع قالوا أيضا) معناه أنه عليه السلام اعتمر أربع مرات، عمرة مع حجته وعمرة الحديبية التى صده المشركون عنها وعمرة فى العام القابل وتسمى عمرة القضاء لأنها قضاء عن عمرة الحديبية التى صده المشركون عنها كما قاله الحنفية أو لأنه عليه السلام عام الحديبية قاضاهم عليها فى العام القابل أي عاهدهم وصالحهم ولذا تسمى عمرة القضية، وعمرة الصلح. والحديبية كدويهيبة وقد تشدد بير أو قرية على سبعة أميال من مكة والرابعة عمرته من الجعرانة بكسر الجيم وسكون المهملة وخفة الراء وبكسر العين وشدة الراء حين قسم غنائم حنين فخرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فأتى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح فى الجعرانة.

وفي المواهب ممزوجا بما يحتاج إليه من كلام الزرقاني ما نصه: وفى عدهم أي الصحابة عمرة الحديبية التى صد عنها صلى الله تعالى عليه وسلم، ما يدل على أنها عمرة تامة، لعل المراد من حيث الثواب لأنه لم يأت من أعمالها بشيء سوى الإحرام، وفيه إشارة إلى حجة الجمهور أنه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية زاعمين أن عمرة القضاء إنما سميت بذلك لكونها قضاء عن التى صد عنها، فلو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة، والصحابة والفقهاء عدوهما اثنتين، قوله:

(وقال مالك ثلاثا اعتمر وحج مفردا ..)

بصيغة اسم الفاعل حال من فاعل حج يعنى أن إمامنا مالكا بن أنس رضي الله تعالى عنه وكذا الشافعي فكل منهما قال إنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتمر ثلاث عمر فقط، لأنه نفى العمرة التي قال غيره أنها وقعت مع حجته وقال مالك إنما حج عليه الصلاة والسلام حال كونه مفردا للحج عن العمرة فلم يحرم قارنا ولا متمتعا.

ففي الصحيحين والسنن من طريق الموطأ أن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمره ومنا من أهل بحج وعمره ومنا من أهل بالحج وحده وأهل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج. وفي رواية لمسلم عنها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أهل بالحج وحده. وفي البخاري عن ابن عمر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفرد بالحج. ولابن ماجه عن جابر أنه عليه السلام أفرد بالحج، وفي الصحيحين عن عمر أن ابن حصين أنه كان قارنا وفيهما عن عائشة وابن عباس أنه كان متمتعا وجمع الإمام الشافعي ومن وافقه بأن إضافة القران والتمتع إليه اتساعا لكونه عليه الصلاة والسلام أمر بهما وإن الراجح أنه كان مفردا أو يجوز في لغة العرب إضافة الفعل إلى الأمر به كما تجوز إضافته إلى الفاعل له. يقال بنا فلان دارا أي أمر ببنائها وضرب الأمير فلانا إذا أمر بضربه، وكما روي أنه عليه السلام رجم ماعزا وإنما أمر برجمه انتهى.

والإفراد هو الإهلال بالحج وحده والتمتع هو الاعتمار في أشهر الحج، ثم التحلل من تلك العمرة والإهلال بالحج وقد يطلق التمتع على القران وهو الإهلال بالحج والعمرة معا، ولا خلاف في جوازه أو الإهلال بالعمرة ثم يدخل عليها الحج أو عكسه وهذا مختلف فيه انتهى ملخصا من المواهب وشرحها.

قوله: (... فحقق الخبر) أي حقق الأحاديث في كونه عليه السلام حج مفردا أو قارنا أو متمتعا وقد رأيت ما قال العلماء فيها وما جمعوا به بين الروايات والله تعالى أعلم.

(وكلهن كن فى ذى القعدة على الذى حققه من عده)

يعنى أن عمره عليه السلام غير التى قرننها بحجته على القول بها كان جميعها فى ذى القعدة على القول الذى حققه من عد كلهن أي تعرض لعدده، فالناظم رحمه الله تعالى تفنن فى العبارة فأنت الضمير أولا وجمعه باعتبار المعنى وأفرده ثانيا وذكره مراعاة للفظ كل، لأنها مضافة لمعرفة قال الشيخ المختار ابن بون.

وان تضاف كل إلى معرف فبينما الوجهين تخير قفي والوجهان اعتبار اللفظ واعتبار المعنى فراعى المعنى فى قوله كن واللفظ فى قوله عده لكن فى التنبيه عن المرادى ان ذلك انما هو فى المضافة معنى إلى معرفة فمثال اعتبار المعنى فيها وكل أتوه داخرين ومثال اعتبار اللفظ فكلا أخذنا بذنبه. قال والمسموع فى المضاف إلى معرفة لفظا مراعاة اللفظ فقط نحو {وكلهم آتية يوم القيامة إن كل من فى السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} قال والضمير فى احصاهم راجع لمن لا لكل، ولا يكاد يوجد فى لسان العرب كلهم يقومون وكلهن قائمات، وان كان موجودا فى تمثيل كثير من النحاة انتهى والله تعالى أعلم.

وقوله ذى القعدة بفتح القاف ويكسر سمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار قاله فى القاموس، وأشار بقوله حققه إلخ.. إلى أن التحقيق انه عليه السلام لم يعتمر إلا فى ذى القعدة كما قال أنس وعائشة. وأما ما فى البخاري عن ابن عمر أنه عليه السلام اعتمر فى رجب وان عروة بن الزبير قال لعائشة رضي الله تعالى عنها بحضرة ابن عمر يا أمه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت وما يقول؟ قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فى رجب، فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمرى ما اعتمر فى رجب وما اعتمر من عمرة إلا وانه أي ابن عمر لمعه وابن عمر يسمع كلامها فما قال لا ولا نعم بل سكت فقال العلماء إنها قالت ذلك مبالغة فى نسبته إلى النسيان حيث قال ان أحدهن فى رجب، قالوا وسكوته يدل على انه اشتبه عليه أو

نسي أو شك. وبهذا أجيب عما استشكل من تقديمهم لقول عائشة النافي على قول ابن عمر المثبت وهو خلاف القاعدة - انظر المواهب وشرحها. قوله:

(بيان أزواج النبي المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا)
فالبيان اسم مصدر بينه إذا أظهره وقوله بيان خبر مبتدأ محذوف والمصطفى المخلص من الكدر أي هذا بيان عدد أزواجه عليه الصلاة والسلام، وبعض ما يتعلق بهن من ترتيب تزويجهن وذكر قدر مهورنهن واسنان بعضهن وغير ذلك وصلى عليه أعطاه صلاة أي رحمة، يقارنها تعظيم كما في اللوامع عن الحطاب وشرفه أعلى مرتبه وهذا الدعاء إنما يعود نفعه علينا لا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن مأمورون به تعظيما له عليه السلام لا لينتفع هو به.

(وعدة الأزواج باتفـاق أي أتى....)

عدة بالكسر: العدد، قال تعالى: [فعدة من أيام أخر]؛ يعنى أن عدد أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم المتفق عليه أي اللاتي دخل بهن إحدى عشرة وإليها أشار بأي فالألف واحدة والياء عشر، ويأتى ذكرهن إن شاء الله تعالى. اثنتان منهن توفيتا في حياته: خديجة وزينب بنت خزيمة، والبواقي توفي صلى الله تعالى عليه وسلم عنهن ونظمها أبو الفضل العقباني كما في التاودي على اللامية بقوله:

توفي رسول الله عن تسع نسوة إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ثلاث وست نظمهن مهذب
قال كاتبه سمح الله تعالى له الظاهر أن قوله أتى خبر عدة وحذف
التاء منه، أما باعتبار أن العدة معناه العدد وهو مذكر وأما لأنه مجازي
التأنيث: ومع، ضمير ذي المجاز في شعر وقع
وعلى هذا فقوله أي حال فأما أن تكتب بالألف أو تكون محكية اللفظ

وأما كونها خبراً عن عدة فتبقى على تقديره أتي لا فائدة فيها والله أعلم.

(وجاء فى البواقى خلف تركنا ذكره)

يعني ان ما زاد على إحدى عشرة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم جاء فيه عن العلماء خلف بالضم أي اختلاف وترك الناظم ذكره فلم يتعرض له وها أنا أذكر ما شاء الله أن أذكره من ذلك فأقول قال الحافظ العراقي أزواجه اللاتي بهن قد دخل ثنتا أو إحدى عشرة خلف نقل

وقوله أو إحدى عشرة أي وقيل إحدى عشرة ست قرشيات وأربع عربيات، وإسرائيلية فمن قال هن اثنتا عشرة أدخل فيهن ريحانة ومن قال إحدى عشرة أخرجها واختلف فى عدتهن وترتيبهن ومن مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه، قاله المناوي وفي المواهب وقد ذكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشر امرأة، الأولى الواهبة نفسها أي التي اشتهرت بذلك واختلف من هي فقيل أم شريك العامرية واسمها غزية، بضم الغين المعجمة وفتح الزاء وشد التحتية بنت جابر بن عوف من بنى عامر بن لؤي وقيل غزية بنت دودان بن عوف وطلقها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى دخوله بها وقيل الواهبة هي أم شريك غزية الأنصارية من بنى النجار، وفى الصفوة هي أم شريك غزية بنت جابر الدوسية وقيل خولة بنت حكيم السلمى أي بضم السين، الثانية خولة بنت الهذيل تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم فماتت قبل أن تصل إليه والثالثة عمرة الكلابية تزوجها فتعوذت منه حين أدخلت عليه فقال لقد عدت بمعاذ، فطلقها، وأمر أسامة فمتعها بثلاثة أثواب وقال قتادة كان ذلك من امرأة من سليم. وقال فى عمرة هذه ان أباهما وصفها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال وأزديك إنها لم تمرض قط، قال عليه الصلاة والسلام ما لهذه عند الله من خير، فطلقها، الرابعة أسماء بنت النعمان

بن الجون بفتح الجيم ابن الحارث الكندية وكندة بكسر الكاف قبيلة من اليمن، قال ابو عمر أجمعوا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجها واختلفوا فى سبب فراقها فقال قتادة وأبو عبيدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعاها قالت تعال أنت، وأبت أن تجيء، وقال بعضهم قالت أعوذ بالله منك، قال عذت بمعاذ فقد أعاذك الله مني.

وقيل ان نساءه صلى الله تعالى عليه وسلم علمنها ذلك فإنها كانت من أجمل النساء يخفن أن تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب إذا دنا منك ان تقولى أعوذ بالله منك، وكانت تسمى نفسها الشقية وقيل المتعوذة غيرها، وقال أبو عبيدة يجوز أن تكونا تعوذتا، الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التى استعازت منه وقيل دخل بها أي وطأها وماتت عنده، والأول أصح. السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها بعد وفاة بنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير واختارت الدنيا وفارقها، فكانت بعد ذلك تلقط بضم القاف البعر، وتقول هي الشقية. السابعة عالية بنت ظبيان الكلابية تزوجها عليه السلام وكانت عنده ما شاء الله تعالى ثم طلقها وقال أبو سعد طلقها حين أدخلت عليه. الثامنة قتيلة بنت قيس أخت الأشعث زوجه إياها أخوها فى سنة عشر ثم انصرف فحملها فقُبض صلى الله تعالى عليه وسلم قبل قدومها. التاسعة سنا أي بفتح السين وخفة النون بنت أسماء بن الصلت السلمية بضم السين تزوجها وماتت قبل أن يدخل بها وقيل طلقها قبل أن يدخل بها. العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء بنت خليفة أخت دحية تزوجها فماتت قبل دخوله بها. الحادية عشر ليلى بنت الخطيم أخت قيس تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب، الثانية عشر امرأة من بنى غفار تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم فرأى بكشحا بياضا فقال ألحقى بأهلك ولم يأخذ مما أتاها شيئا انتهى المراد منه.

وقوله بمعاذ هو بفتح الميم وقوله وقيل المتعوذة غيرها أي غير أسماء

وقيل عمرة كما سبق وقيل أميمة أو مليكة أو سنى أو فاطمة بنت الضحاك أو العالية فهي سبعة أقوال وليلى بنت الخطيم قال ابن سعد هي أول من بايع من نساء الأنصار وقوله عالية بنت ظبيان بكسر الظاء ويقال بفتحها، وروى يعقوب بن سفيان عن الزهري أنه بنى بها انتهى من الزرقاني.

وذكر نساء أخر قد تزوجهن عليه السلام منهن سلما بنت نجدة بنون وجيم الليثية نكحها فتوفي عنها وأبت أن تتزوج بعده ذكره أبو سعيد ومغلطاي وغيرهما والشنباة بفتح المعجمة فنون ساكنة فموحدة فألف تانيث بنت عمرو الغفارية أو الكنانية دخل بها ومات ابنه ابراهيم فقالت لو كان نبيا ما مات أحب الناس إليه فطلقها، ذكره جرير وابن عساكر وابن رشد، فى آخر المقدمات وعمرة بنت معاوية الكندية ذكرها أبو نعيم ومليكة بنت داود ذكرها ابن حبيب وأميرة بنت النعمان ابن شراحيل ذكرها البخاري بناء على أنها غير أسماء المتقدمة وذكر غير ذلك وقد خطب عليه السلام نساء ولم يتزوجهن، منهن ضباعة بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر ابن قرط بضم القاف وسكون الراء فطاء مهملتين من بنى عامر بن صعصعة أسلمت قديما بمكة وهاجرت وكانت من أجمل نساء العرب وأعظمها خلقا وإذا جلست أخذت كثيرا من الأرض وتغطي جسدها مع عظمها بشعرها كانت تحت هوزة بن علي الحنفي فمات عنها فتزوجها عبد الله بن جدعان فلم يلق بخاطرها فسأله طلاقها ففعل بعد أن حلفها أنها ان تزوجت هشام بن المغيرة المخزومي تنحر مائة ناقة سود الحديق وتغزل خيطا يمد بين أخشبي مكة وتطوف عريانة فتزوجها هشام ونحر عنها المائة ناقة وأمر نساء بنى المغيرة بغزل خيط ومده بين الأخشبيين وأمر قريشا فأخلوا لها البيت.

قال المطلب بن وداعة وكان لدة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرجت أنا ومحمد ونحن غلامان واستصغرونا فلم نمع فنظرنا إليها فخلعت ثوبا ثوبا وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدى منه فلا أحله حتى نزع ثيابها فنشرت شعرها على ظهرها وبطنها فما ظهر من جسدها شيء فطافت وولدت له سلمة وكان من خيار المسلمين وخطبها صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ابنها سلمة ابن هشام فقال حتى استامرهما، فاستامرهما، فقالت أفي رسول الله عليه السلام تستامرني؟ إني ابتغي أن أحشر مع أزواجه، فقل له نعم قبل أن يبدو له، فقل له عليه السلام انها قد كبرت، فلما عاد ابنها وقد أذنت سكت عنها عليه السلام فلم يتزوجها - انتهى من المواهب وشرحها.

(...) فالمتفق عليه أولاهن ذكرها سبق)

قوله فالمتفق عليه بصيغة اسم المفعول مبتدأ ونائبه المجرور وأولاهن مبتدأ وذكرها مبتدأ وخبره قوله سبق والجملة الأخيرة خبر المبتدأ قبله وهو وخبره خبر للمبتدأ الأول يعنى أن أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم المجمع عليهن وعلى دخوله بهن أولاهن فى التزويج أي التى هي أول من تزوج المصطفى قد تقدم للناظم ذكرها فى صدر الكتاب وال موصولة أي اللاتى اتفق عليهن منهن أي على تزويجه عليه السلام بهن ودخوله بهن، الأولى منهن فى التزويج تقدم ذكرها فى قوله:

وإذ إلى مكة عاد وافتتح
خديجة من بعد أربعينا
خير نساء الناس أجمعينا
وأربعينا ورزق البنيينا
ستة وعشرين من العمر نكح
مضت لها من عمرها سنيينا
وقد أقامت معه عشرينا
منها سوى أحدهم يقينا

وتقدم الكلام على هذه الأبيات مستوفى، قال فى المواهب ولا خلاف فى أن أول امرأة تزوج بها منهن خديجة (بنت خويلد) بدل من أولاهن أو خبر مبتدأ محذوف أي وهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ويصح أنه منصوب بفعل محذوف تقديره أعنى ووصفها بقوله (التى قد صدقت * قبل النساء بالنبي فارتقت)، يعنى أن أمنا خديجة رضى الله تعالى عنها صدقت أي أمنت بالنبي صلى الله تعالى عليه

وسلم قبل جميع نسائه بل وقبل كل أحد من الرجال والنساء فارتقت بسبب ذلك إلى أعلى مقام أي علت إليه، قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب: إنها أول خلق الله تعالى أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة، قاله الحافظ أبو الحسن عز الدين بن الأثير، وأقره الإمام الذهبي وسبقهما لحكاية الإجماع الثعالبي وابن عبد البر فسنت أحسن السنن ولها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة - انتهى كلامه.

(وما تزوج عليها أحداً حياتها من النساء أبداً)

هذا من مناقبها التي اختصت بها يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتزوج علي خديجة رضي الله تعالى عنها في مدة حياتها بل توفيت في مكة وما في عصمته عليه السلام سواها. وهذا مما لا خلاف فيه.

فائدتان:

الأولى : أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر النساء . قال تعالى: {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن} وعبارة القاضي حسين نساؤه أفضل من نساء العالمين وعبارة المتولى خير نساء هذه الأمة ويلزم من كونها خير نساء هذه الأمة أنهن خير نساء الأمم، لأنها أفضل الأمم إلا أنه لا يلزم من تفضيل الجملة على الجملة بتفضيل كل فرد على كل فرد فقد قيل بنبوءة مريم وآسية وأم موسى فإن ثبت خصت من العموم، ذكره السبكي زاد غيره وحواء وسارة وهاجر نقله الزرقاني.

الثانية معنى كون أزواجه عليه السلام أمهات المؤمنين أي في تحريم نكاحهن على التابيد ووجوب احترامهن، لا في نظر وخلوة بهن فحرام كالأجانب قال تعالى: {وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب} أي ستر، قال عياض فلا يجوز إظهار شخوصهن وإن كن متسترات إلا

من ضرورة من براز ورده الحافظ بأنهن كن بعده عليه السلام يحتجن
ويطفن وسمع الصحابة ومن بعدهم الحديث منهن وهن مستترات
الأبدان لا الأشخاص قال الزرقاني ويمكن ان ذلك من جملة الضرورة وأن
قوله من براز أي مثلاً فلا يرد عليه ذلك - انتهى. وقوله براز هو قضاء
الحاجة قاله مؤلفه. وللعراقي:

أزواجه كلاً محرمات هن لذي الإيمان أمهات
نكاحهن مع عقوقهنه مع الوجوب لاحترامهنه
لا نظر وخلوة بهنه ولا بتحرير بناتهنه
قال المناوي صرح عياض بحرمة كشف وجوههن وأكفهن بشهادة أو
غيرها، (ثم) بعد موت خديجة رضي الله تعالى عنها (تزوج) صلى الله
تعالى عليه وسلم عائشة الصديقة (ابنت الصديق) سيدنا أبي بكر رضي
الله تعالى عنها ابن أبي قحافة واسمه عبد الرحمن ابن عثمان ابن
عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، جده عليه السلام وأما
أم رومان بضم الراء وفتحها واسمها زينب وقيل دعد بنت عامر بن
عويمر بالتصغير بن عبد شمس من بنى غنم بن مالك بن كنانة وكانت
عائشة رضي الله تعالى عنها قد خطبها المطعم بن عدي لابنه جبير بن
مطعم فخطبها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجها اما لأنه لم
يعلم بالخطبة أو كان ذلك قبل النهي وروى أحمد بن عاصم والطبراني
وغيرهما عن عائشة لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم وقالت يا
رسول الله ألا تتزوج؟ قال من؟ قالت إن شئت بكرا وإن شئت ثيباً،
فأما البكر فابنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر وأما الثيب
فسودة بنت زمعة لقد آمنت بك، قال فاذا كرىهما علي، فأتيت أم رومان
فقلت ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قالت وما ذلك؟ قلت
رسول الله عليه السلام، يذكر عائشة، قالت وددت أن تنظرى أبا بكر
فجاء فذكرت ذلك له، فقال أو تصلح له وهي ابنة اخيه ورجعت وذكرت
ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال قولى له أنت أختي وأنا
أخوك فى الإسلام وابنتك تصلح لى فرجعت وأخبرته بذلك، فقال أبو

بكر لأم رومان ان المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه والله ما أخلف أبو بكر وعدا قط فأتى المطعم وعنده امرأته فقال ما تقول فى أمر هذه الجارية فأقبل على امرأته فقال ما تقولين ؟ فأقبلت على أبى بكر فقالت لعننا ان نكحنا هذا الصبي إليك تصبئه وتدخله فى دينك فقال أبو بكر ما تقول أنت ؟ فقال انها تقول ما تسمع فقام أبو بكر ليس فى نفسه شيء من الموعد فقال لخولة قولى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليات فدعته فملكها أي تزوجها.

(وعمرها ست على التحقيق)

يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج عائشة أي عقد عليها وهي بنت ست سنين، أخرج الشيخان عن عائشة قالت تزوجنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا ابنت ست سنين وفى رواية لمسلم والنسائي عنها وأنا ابنت سبع سنين وجمع فى الإصابة بينهما بأنها أكملت السادسة ودخلت فى السابعة - انظر المواهب وشرحها.

(بالبلد الحرام قبل الهجرة بسنتين عند أهل الخبرة)

يعني أنه عليه السلام تزوجها بالبلد الحرام أي بمكة قبل الهجرة إلى المدينة بسنتين عند أهل الخبرة بهذا الفن أي العلم به، وقوله بسنتين إلخ. الذى فى المواهب هو ما نصه وتزوجها بمكة فى شوال سنة عشر من النبوءة قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين، وقوله قبل الهجرة بثلاث سنين زيادة إيضاح لما قبله، وقوله ولها ست سنين أي لأنها ولدت فى الإسلام سنة أربع من النبوءة كما فى العيون والإصابة قاله الزرقاني. وفى المواهب أيضا وماتت خديجة رضى الله تعالى عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، قال الزرقاني عقبه ما نصه على الصحيح كما فى الفتح والإصابة وزاد عن الواقدي لعشر خلون من رمضان انتهى.

وفى المواهب بعد هذا وقيل قبلها يعنى الهجرة بأربع وقيل خمس ودفنت بالحجون - انتهى. فانظر هذا الذى اقتصر عليه الناظم من أنه

تزوجها قبل الهجرة بسنتين والله تعالى أعلم.
(ثم بنى بها بعيد ما ارتحل لطيبة وعمرها تسعا وصل)
 قوله بعيد تصغير بعد وهو الذى يدل على قرب الزمن، وما مصدرية،
 وتسعا منصوب بوصل، وعمرها مبتدأ ووصل خبره، والجملة حالية،
 يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بعائشة رضي الله تعالى عنها
 أي دخل بها بعد ارتحاله بها إلى طيبة وهي المدينة المنورة على ساكنيها
 أفضل الصلاة والسلام، وكان بناؤه بها فى شوال فى السنة الأولى بعد
 مقدمه المدينة بتسعة أشهر على الصحيح، والحال أن عمرها بلغ إذ ذاك
 تسع سنين، وقيل بنى بها فى شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس
 ثمانية عشر شهرا، وعليه فتكون لها عشر سنين ونصف سنة وكونه
 عليه السلام بنى بها ولها تسع سنين ثبت عنها فى الصحيحين
 وغيرهما وهو الذى يأتى عليه أنه بنى بها فى السنة الأولى، وروى ابن
 سعد وغيره عنها قالت أعرس بي على رأس ثمانية أشهر، وبهذا صدر
 فى الإصابة والعيون وفى مسلم عنها تزوجنى صلى الله عليه وسلم فى
 شوال وبنى بي فى شوال، قال فى الفتح وإذا ثبت أنه بنى بها فى
 شوال من السنة الأولى قوي قول من قال دخل بها بعد الهجرة بسبعة
 أشهر وقد وهاه النووي وليس بواه، إذا عددنا من ربيع وجزمه بأن
 دخوله بها كان فى الثانية يخالف ما ثبت أنه دخل بها بعد خديجة
 بثلاث سنين، وقال الدمياطي ماتت خديجة وعقد على سودة فى شوال
 ثم على عائشة ودخل بسودة قبل عائشة انتهى. ملخصا من الزرقاني
 وما صدر به فى المواهب من أنه بنى بها فى شوال سنة اثنتين ضعفه
 الزرقاني، وقال انه لا يأتى على قول المواهب انه بنى بها ولها تسع
 سنين كما ثبت فى الصحيحين - انتهى.

وهذا ظاهر لأنها إذا كانت فى شوال قبل الهجرة بثلاث سنين قد
 مضى لها ست سنين وبنى بها فى شوال سنة اثنتين على رأس ثمانية
 عشر شهرا فقد كانت حين الهجرة لها تسع سنين لأنه عليه السلام عقد
 عليها ولها ست سنين وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على ما

اقتصر عليه فى المواهب قاله كاتبه والله تعالى أعلم.
وفى الصحيحين عن عائشة انها قالت تزوجنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فوكعت بضم الواو والتاء أي حممت فتمزق شعري بزاي مشددة أي تقطع. وفى رواية فتمرق بالمهملة أي تنتف فوفى جميمه ووفى بتخفيف الفاء أي كثر وفيه حذف تقديره ثم نصلت من الوعك فتربى شعري فكثر جميمه بالجيم مصغرا، مصغر جمعة يجمع شعر الناصية فأتتني أم رومان وإني لفي أرجوحة مع صواحب لى والأرجوحة بضم الهمزة وسكون الراء وضم الجيم فواو فمهملة جبل يشد فى كل من طرفيه خشبة فيجلس واحد علي طرف وآخر على طرف ويحركان فيميل أحدهما بالآخر نوع من اللعب، فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد منى فأخذت بيدي فأوقفتني على باب الدار وأنا أنهج بنون وجيم مع فتح الهمزة والهاء وضم الهمزة وكسر الهاء أي أتتني تنفسا عاليا من الاعياء حتى سكن بعض نفسى بفتح الفاء ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نساء من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير صائر أي على خير حظ ونصيب، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنى فلم يرعني بضم الراء أي لم يفزعني إلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضحى وكنت بذلك من المفاجأة على غير علم فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين، وفى رواية لمسلم ولعبتها معها.

(ومات عنها وهي بنت حيي صلى عليه رب كل شي)
يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت مدة مقامه مع عائشة تسع سنين ومات عنها عليه السلام ولها ثمان عشرة سنة كما فى مسلم وغيره عنها وإلى هذا أشار الناظم بالحاء والياء فالحاء ثمان، والياء عشر.

وقوله شي بشد الياء لغة فى شيء أي صلى عليه مالك كل شيء دعاء بلفظ الخبر. قال الزرقاني وروى أنها مدحت النبي صلى الله عليه وسلم بقولها:

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
لواحي زليخا لو رأين جبينه لئأثرن بالقطع القلوب على الأيدي
ولواحي جمع لاحية يعنى النسوة اللاتي لنها فى شأن يوسف؛ وفى
الصحيحين من حديثها أنه عليه السلام قال لها: رأيته وفى رواية
أريته بضم الهمزة فى المنام، ثلاث ليال جاءني بك أي بصورتك الملك،
أي جبريل فى سرقة حرير يقول هذه امرأتك، فاكشف عن وجهك، فإذا
هي أنت فأقول إن يكن من عند الله يمضه، والسرقة بفتح السين والراء
المهملتين فقف القطعة، ويمضه بضم أوله، قال الطبري هذا الشرط مما
يقوله المتحقق لثبوت الشيء المدلى بصحة تحقق وقوع الجزاء ونحوه.
قول السلطان لمن يحب قهره، ان كنت أميرا انتقم منك وقال عياض
يحتمل أنه قال ذلك قبل البعثة فلا إشكال، وإن كان بعدها فيحتمل
التردد، هل هي زوجته فى الدنيا والآخرة؟ أو الآخرة فقط، أو أنه لفظ
شك لا يراد به ظاهره وهو نوع من البديع يسمى تجاهل العارف، قال
الحافظ والأخير هو المعتمد، ولابن حبان هي زوجته فى الدنيا والآخرة.
وأصل السرقة بفتحات شقة الحرير البيضاء وقيل الحرير عامة، وجمعه
سرق بالتحريك والمراد هنا المعنى الثانى، بدليل أنها خضراء، لما رواه
الترمذي وحسنه ان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بصورتها فى
خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة.

وفى رواية عنده قال أتاني جبريل فقال ان الله تعالى قد زوجك
بأبنت أبى بكر، ومعه صورتها. وروى الطبراني رجال الصحيح أنها
قالت أعطيت تسع خلال ما أعطيتها امرأة؛ والله ما أقول هذا فخرا،
نزل الملك بصورتى وتزوجنى لسبع وأهديت إليه لتسع وتزوجنى بكرا،
وكان الوحي يأتيه وأنا وهو فى لحاف واحد. وكنت أحب الناس إليه
وأبنت أحب الناس إليه، ولقد نزلت فى آيات من القرآن، وقد كادت

الأمة تهلك في ورأيت جبريل ولم يره أحد من نساءه غيري وقبض في بيتي ولم يله أحد غيري وغير الملك.
وروى أبو الحسن الخلعي عنها: رفعتة يا عائشة، انه ليهون علي الموت؛ إنى قد رأيتك زوجتى في الجنة. رواه ابن عساكر بلفظ ما أبالي بالموت، قد علمت أنك زوجتى في الجنة.

(ولم يكن تزوج المختار بكرا سواها فلها الفخار)
قوله المختار اسم يكن، وتوسط الخبر وهو تزوج بينه وبين الفعل وفاعل تزوج ضمير الاسم وبكرا مفعول تزوج والفخار بالفتح التمام بالخصال، قاله في القاموس يعنى أنه صلي الله عليه وسلم لم يتزوج قط بكرا غيرها فبسبب ذلك ثبت لها الفخار أي المدح بتلك الخصلة على سائر نساءه. وهذا متفق عليه عند أهل النقل وهو في الصحيح.
وفي الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. وفيه يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام. فقالت عليه السلام ورحمة الله وبركاته.

وقال عليه السلام يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها، وكلها في الصحيح. قال في الفتح مما يسأل عنه وجه اختصاصها بذلك فقليل لمكان أبيها فسرى ذلك لابنته مع ما كان لها من مزيد حبه صلي الله عليه وسلم، وقيل كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها معه صلي الله عليه وسلم، وروى الطبراني والبزار برجال ثقات عنها: رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم طيب النفس، فقلت يا رسول الله ادع لي. فقال اللهم أغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرت وما أعلنت. فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، فقال صلي الله تعالى عليه وسلم: أسرك دعائى؟ فقالت مالي لا يسرنى دعاؤك. قال فوالله إنها لدعوتى لأمتى في كل صلاة. - انظر الزرقاني.

وفي المواهب وكانت عائشة تكنى أم عبد الله مروي أنها أسقطت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سقطا ولم يثبت، والصحيح أنها

كانت تكنى بعبد الله بن الزبير بن أختها، فإنه عليه الصلاة والسلام تفل في فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله، قالت فما زلت أكنى بها وما ولد قط. خرجه أبو حاتم انتهى.

قال الزرقاني وفي الروض بعد تضعيف حديث السقط وأصح منه حديث أبي داود أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها تكني بآبن أختك عبد الله بن الزبير ويروي بآبنك عبد الله، لأنها كانت قد استوهبته من أبويه فكان في حجرها يدعوها أما - انتهى.

(وكم حوت في مدة يسيره من العلوم الجملة الغزيرة)

كم تكثيرية وهي مفعول حوت، والمدة القطعة من الزمن ويعنى بها مدة إقامتها معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهي تسع سنين ولذا وصفها باليسارة أي القلة، والجمة بالفتح الكثرة، والغزيرة بفتح العين المعجمة مرادف له، وحوت معناه جمعت يعنى أنها رضي الله تعالى عنها قد جمعت في هذه السنين التسع من العلوم بجميع أنواعها ما لا يتعلمه غيرها في الأزمان المتطاولة، فكانت فقيهة جداً، حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها، عالمة بكل العلوم. قال أبو موسى الأشعري ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. رواه الترمذي وصححه.

وقال عروة ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة رواه الحاكم وغيره بسند حسن. وقال عطاء كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً - انتهى.

وكانت فصيحة. قال معاوية ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة رواه الطبراني. وكانت كثيرة الحديث، روي لها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألفان بالتثنية ومائتا حديث وعشرة، وكانت عارفة بأيام العرب وأشعارها، فما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً، وكانت زاهدة كثيرة الكرم والصدقة.

وعن أم درة قالت أتيت عائشة بمائة ألف، ففرقتها وهي يومئذ صائمة، وقلت لها أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت لو أدركتيني لفعلت. وكانت رضي الله عنها بيضاء وزاعم أنها سوداء كذبه ابن معين وغيره. ويقال لها عيشة فى لغة فصيحة وعائشة أفصح. وهي بالهمز وعوام المحدثين يبدلون ياء. وكان عليه السلام يقسم لها ليلتين، ليلتها وليلة سودة ولا يقسم لسودة لأنها وهبت ليلتها لما كبرت لعائشة.

وما فى مسلم عن ابن جريج ان التى كان لا يقسم لها صفية وهم، كما قاله عياض والطحاوي وغيرهما - انظر الزرقاني.

تنبيه:

مشى الناظم رحمه الله تعالى على ان عائشة هي التى تلي خديجة فى التزويج بها وهو قول محمد بن عقيل، والذي صدر به فى المواهب ان سودة هي التى تلي خديجة وانه تزوج سودة قبل أن يعقد على عائشة، وقال هذا قول ابن أبى عبيدة وقتادة ولم يذكر ابن قتيبة غيره - انتهى.

قال الزرقاني وبه جزم الجمهور، قال فى الإصابة ورواه ابن إسحاق، فقال كانت سودة أول امرأة تزوجها بعد خديجة، قال اليعمرى وهو الصحيح ويجمع بين القولين بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم عقد على عائشة قبل الدخول بسودة، ودخل بسودة بمكة قبل الدخول بعائشة - انتهى.

وقال العراقي:
خديجة الأولى تليها سودة
ثم تلي عائشة الصديقة
وقيل قبل سودة فحفصة
انتهى المراد منه.

وقال الزرقاني جرى المصنف فى ترتيبهن على ما رواه يونس عن الزهري أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج بعد خديجة سودة ثم عائشة ثم حفصة ثم أم سلمة ثم أم حبيبة.

وفى رواية عقيل عنه خديجة ثم سودة ثم عائشة ثم أم حبيبة ثم أم حفصة، ثم أم سلمة. وروى عبد الملك النيسابوري عن أبي سعيد يرفعه: ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عن ربي عز وجل - انتهى.

(وبالبقيع دفنت فى حن ليلاً...)

مراده أن عائشة دفنت ليلاً بالبقيع بوصيتها لابن اختها عروة فقالت إذا أنا مت فادفنى مع صواحبى بالبقيع. فدفنت به ليلاً، ونزل فى قبرها القاسم بن محمد ابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن وعروة وعبد الله أبناء الزبير وحضر جنازتها أكثر أهل المدينة، وصلى عليها أبو هريرة وكانت يومئذ خليفة لروان بن الحكم على المدينة، ومروان أمير المدينة من جهة معاوية فحج واستخلف أبا هريرة وتوفيت على ما قال الناظم عام ثمان وخمسين كما أشار له بقوله:

فى حن. فالحاء ثمان والنون خمسون وعزاه ابن حجر للأكثرين وصححه الشامي وذلك كما قال الواقدي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان. والذي ذكر علي بن المديني عن سفيان عن هشام بن عروة وصححه فى التقريب أنها ماتت عام سبعة وخمسين وقيل ماتت سنة ست وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين، بتقديم المثناة. فعلى قول ابن المديني عاشت ستاً وستين سنة، وعلى ما عزاه الحافظ للأكثر ألغى عام الولادة أو الموت.

(وسودة سمت فى السن فوهبت ليلتها لها لكي تحشر فى أزواجه بنت لؤي)

يعني أن أمنا سودة رضي الله تعالى عنها سمت أي علت وكبرت فى

السن فأراد صلى الله تعالى عليه وسلم أن يطلقها، فقالت لا تطلقني وأنت في حل مني، فأنا أريد أن أحشر في أزواجك وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء فأمسكها حتى توفي. وأخرج الترمذي بسند حسن عن ابن عباس وأبو داود عن عائشة أن سودة خشيت أن يطلقها صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت لا تطلقني وأمسكني وأجعل يومي لعائشة ففعل، ففعلت. فأنزل الله: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً} (الآية).

وفي مرسل رواه ابن سعد انه بعث إليها بطلاقها فنأشده أن يراجعها، وجعلت يومها وليلتها لعائشة، ففعل. لكن صحح الدمياطي وتلميذه اليعمري أنه لم يطلقها. وكانت رضي الله تعالى عنها شديدة الاتباع لأمره صلى الله تعالى عليه وسلم. وصح عن عائشة أنها قالت: ما من الناس أحد أحب إلى أن أكون في مسلاخه من سودة، ان بها إلا حدة فيها، كانت تسرع منها الفئئة. ومسلاخها بكسر الميم وسكون المهملة وخفة اللام وخاء معجمة هديها وطريققتها.

وروي ان عمر بعث إليها غرارة من الدراهم، فقالت ما هذه؟ قالوا دراهم. قالت في غرارة مثل التمر؟ ففرقتها. وكانت تضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم بالشيء أحياناً.

فائدة:

يقال كبر بالكسر إذا أسن، يكبر بالفتح، وكبر بالضم إذا عظم في الأجسام والمعاني، يكبر بالضم فيهما.

قال الدنوشري:

كبرت بكسر الباء في السن وارد مضارعه بالفتح لا غير يا صاح
وفي الجسم والمعنى كبرت بضمها مضارعها بالضم جاء بإيضاح
نقله الزرقاني. وقول الناظم فوهبت فاعله ضمير يعود على سودة
كالمجرور بالإضافة وأما المجرور باللام فهو لعائشة، وبنت نائب فاعل

تحشر وفيه إقامة الظاهر مقام المضمر، وأتى به الناظم ليبين النسب الذى يجمعها مع المصطفى عليه السلام وهو جدهما لؤي. وسودة بفتح السين هي بنت زمعة بفتح الزاي وسكون الميم وتفتح على ما فى القاموس، وبه يرد قول المصباح لم أظفر بسكونها، ابن عبد شمس، ابن عبد ود، بفتح الواو وشد الدال، وتضم الواو، ابن نضر بن مالك، بن حسل بكسر الحاء وسكون السين المهملتين فلام ابن عامر بن لؤي وأمها الشموس بشين معجمة فميم فواو فمهملة بنت قيس بن عمرو أخي سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، أم عبد المطلب.

(وبعد موت زوجها السكران تزوجت خير بنى عدنان صلى عليه ربنا وسلمنا وأله وصبحه وكرما)

قوله بعد متعلق بتزوجت والضمير المضاف إليه زوج لسودة يعنى أنها رضي الله عنها كانت قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحت ابن عمها السكران عمرو بن عبد شمس جدها هي المتقدم نسبه، فالسكران ابن عم أبيها، وهو أخو سهيل بالتصغير، وسهل بالتكبير وسليط بفتح المهملة وكسر اللام وحاطب بنو عمرو كلهم صحابة، رضي الله تعالى عنهم، والسكران أسلم قديما وهاجر معها الهجرة الثانية إلى الحبشة، كما ياتى، وهاجر سليط الهجرة الأولى إلى الحبشة على ما فى العيون كما فى الزرقاني، وكذا أخوه حاطب كما فى العراقي. وفى المواهب وكانت تحت ابن عم يقال له السكران ابن عمرو أخو سهيل بن عمرو وأسلم معها قديما وهاجرا جميعا إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها وقيل أنه مات بالحبشة، وتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة انتهى المراد منه.

وفي الزرقاني أنها ولدت للسكران ابنا يسمى عبد الرحمن، قتل بحلوله فى قتال فارس وفيه انها رأت فى المنام كأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أقبل يمشي حتى وطئ عنقها فأخبرت زوجها بذلك، فقال إن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك، ثم رأت فى المنام ليلة

أخرى أن قمرا انقضض عليها وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لئن صدقت رؤياك لم ألبيث إلا يسيرا حتى أموت وتتزوجين من بعدي فاشتكى السكران من يومه ذلك، فلم يلبث إلا يسيرا انتهى.
وقولها وتزوجها أي عقد ودخل عليها قاله الزرقاني، ثم قال في المواهب ويقال تزوجها بعد عائشة ويجمع بين القولين بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة، والتزويج يطلق على كل منهما وإن كان المتبادر للفهم العقد دون الدخول - انتهى كلامها.

وقوله في وجه الجمع عقد على عائشة قبل سودة أي قبل الدخول بسودة، لا قبل العقد عليها بدليل بقية كلامه، ودخل بسودة قبل عائشة يعني وبعد عقده على عائشة. وقوله كل منهما أي من العقد والدخول فيحمل الأول على العقد والثاني على الدخول فيتفق القولان، قاله الزرقاني.

وقوله فيحمل الأول على العقد يعني القول الأول في كلامه وهو أنه تزوج سودة قبل عائشة فيكون المراد بتزوجه بها قبل عائشة أنه عقد عليها قبل عائشة، وقوله والثاني على الدخول يعني بالثاني قوله ويقال تزوجها بعد عائشة فيكون معناه دخل بها أي بسودة بعد عائشة أي بعد عقده عليه السلام على عائشة فهذا وجه التوفيق بين القولين والله تعالى أعلم. قاله كاتبه عفا الله عنه.

وقوله صلى عليه أي أعطاه صلاة، أي رحمة، وسلم أي أعطاه سلاما، أي أمانا، وكرمه وعظمه ونزهه.

(وهاجرا في الدين هجرتين جزاهما الرحمن جنتين)
ضمير التثنية راجع لسودة وزوجها السكران بن عمرو، أخبر رضي الله تعالى عنه أن سودة وزوجها السكران هاجرا في الدين هجرتين، أي تركا وطنهما بسببه، ودعا لهما بلفظ الخبر بأن يجزيهما الله تعالى على هجرتيهما بجنتين ولكن كون السكران رضي الله عنه هاجر هجرتين

غير صحيح والله تعالى أعلم؛ لأن الهجرة إلى المدينة مات قبلها . ولم يتزوج المصطفى عليه السلام سودة إلا بعد موت السكران وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وأما الهجرة الأولى إلى الحبشة فلم يكن من أهلها والله تعالى أعلم، وأما الثانية من هجرتي الحبشة فقد هاجرها هو وسودة رضي الله تعالى عنهما.

وقد تعرض لعد أهل الهجرة الأولى غير واحد، ولم يذكر السكران فيها فيما رأينا، وللعراقي:

من أسلم البلاء هاجروا إلي
خمس مضت لهم من النبوة
من الرجال كلهم قد هاجروا
أسبقهم للهجرة المرضية
وحاطب فأمنوا من خوف
سلمة وزوجه تصاحبوا
زوجته بنت سهيل سهله
ابن ربيعة الحليف الناصر
زوجته أي أم مكتوم جمع
لم يصلوا منهم لأخذ الثار
ثم أتوا مكة في شـوال
قد أسلموا ولم يكن بالمشيت
فرجعوا للهجرة الثانية
اثنان من بعد ثمانين هم
أتم حال وتفـيـض الملا
وكتب البغـيـض في كتابه
وعلقت بالكعبة الشريفه
وحصروا في الشعب حين أقبلوا
قاسوا به جهدا بشـر مكث
فساء ذاك بعض أقـسـوامهم

لما فشى الإسلام واشتد على
أصحابه في رجب من سنة
خمس من النساء واثنـا عشر
عثمان مع زوجته رقيه
مصعب والزبير وابن عوف
كذا ابن مظعون ابن مسعود أبو
أبو حذيفة أبوه عتبـه
وابن عمير هاشم وعامر
وزوجه ليلى أبو سبيرة مع
وخرجت قريش في الآثار
فجـاوروه في أتم حال
من عامهم إذ قيل أهل مكة
فاستقبلوهم بالأذى والشدة
في مائة عد الرجال منهم
فنزلوا عند النجاشي على
على النبي وعلى أصحابه
على بنى هاشم الصـحـيفه
أن لا تناكـحـوهم ولا ولا
أول عام سبـيـعة للبعث
وسمعت أصوات صبيانهم

انتهى المراد منه.

وأصحمة بفتح الهمزة وسكون المهملة الأولى وكسر الثانية من الصحمة وهو سواد إلى صفرة أو غيره، أي سواد قليل، ومصعب هو ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف، بن عبد الدار بن قصي، وابن مظعون هو عثمان وهو أول صحابي مات بالمدينة، وأبو سلمة هو عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمرو، بن مخزوم وزوجه أمنا أم سلمة وهاجرا معا الهجرتين، وأبو حذيفة هو ابن عتبة بن ربيعة كما قال الناظم، أبوه عتبة وهاشم بن عمير أخو مصعب وقوله الحليف أي حليف الخطاب بن نفيل وأبو سبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ابن أبي رهم بضم الراء من بنى عامر ابن لؤي. وقوله من عامهم أي الذي هاجروا فيه لما أخبرهم ركب من بنى كنانة أن قريشا قد أسلموا، وبغيض هو ابن عامر بن عبد مناف بن عبد الدار، وهو بغيض كاسمه وشلت يده، وقوله ولا ولا، أي ولا تعاملوهم ولا تخالطوهم، والجهد بفتح الجيم المشقة، وقوله بشر مكث أي من ضيق العيش والأذى، وقوله أصوات صبيانهم أي من وراء الشعب يتضاغون من شدة الجوع والكرب، قاله المناوي.

(وعام ند في خلافة عمر توفيت في طيبة فاقف الأثر)
أخبر أن أمنا سودة رضي الله عنها توفيت بالمدينة عام ند، وهي أربع وخمسون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولا يخفى ما في كلامه من التناقض، لأن عمر رضي الله تعالى عنه توفي في آخر ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقد اختلف في موت سودة، هل كان في آخر خلافة عمر وهو الذي رواه البخاري في تاريخه وجزم به الذهبي، وقال ابن سيد الناس انه المشهور، وتبعه الشامي. والذي صدر به في المواهب أنها توفيت في شوال سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية وهو الذي رجحه الواقدي، وقال الحافظ سنة خمس وخمسين على الصحيح - انظر المواهب وشرحها.
وفي المناوي وماتت في شوال سنة أربع وخمسين وقال اليعمري

والذهبي ماتت فى آخر خلافة عمر - انتهى. ولم يعين هو ولا القسطلاني ولا الزرقاني وقت موتها، على أنها ماتت فى آخر خلافة عمر.

وقول الناظم فاقف الأثر معناه اتبع الأثر المروي فى تعيين وقت وفاتها والله تعالى أعلم.

وصواب الناظم إن كان ماشيا على أنها فى خلافة عمر، أن يقول:
وفى أواخر خلافة عمر ماتت بطيبة فحقق الأثر
قاله كاتبه سمح الله له.

(وحفصة تزوجت خير البشر بعد خنيس...)

يعني أن أمنا حفصة رضي الله تعالى عنها تزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سنة ثلاث من الهجرة كما فى المواهب وجزم ابن عبد البر بأنه تزوجها سنة اثنتين ورجح كل من القولين، وكانت قبل ذلك تحت الصحابي الجليل خنيس، بضم المعجمة وفتح النون وسكون الياء فسين مهملة ابن حذافة بضم المهملة فذال معجمة السهمي، هاجرت معه ومات عنها من جراحات أصابته ببدر، وقيل قتل بأحد ورجح كلا منهما مرجحون وهي بنت عمر رضي الله عنهما ابن الخطاب بن نفيل بضم النون ابن عبد العزى بن رياح، بكسر الراء وفتح التحتية، فألف فحاء مهملة، ولا يعرف فى العرب فى الجاهلية رباح بالوحدة ابن عبد الله بن قرط بضم القاف وفتح الراء وبالطاء المهملتين كما فى الجامع وغيره، ابن رزاح بفتح الراء والزاء، فألف فمهملة ابن عدي بن كعب، فبينها وبين كعب بن لؤي تسعة آباء، وأمها هي وأخوها عبد الله بن عمر زينب بنت مظعون الجمحية. من المهاجرات. وولدت حفصة قبل البعثة بخمس سنين وقريش تبني الكعبة، وكانت صوامة قوامه، وروي لها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ستون حديثا واستغرب الإمام السبكي الكبير أنها تلى عائشة فى الفضل. قالت عائشة فى حقها: وكانت بنت أبيها. تنبئها منها على فضلها.

ولما تأيمت من خنيس عرضها عمر على عثمان، فلم يجبه إلى زواجها،

ثم عرضها على أبي بكر فلم يرجع إليه شيئاً، وصمت فلبث ليالى فخطبها المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأنكحه عمر إياها. فقال أبو بكر لعمر لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً. فقال له نعم. فقال انه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أنني قد علمت أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشى سره، ولو تركها لقبيلتها. ولأبى يعلى أن عمر قال يا رسول الله ألا تعجب من عثمان عرضت عليه حفصة فأعرض عني؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: قد زوج الله تعالى عثمان خيراً من حفصة وزوج حفصة خيراً من عثمان.

ومن مناقبها أنه شهد بدرا سبعة من أهلها: أبوها وعمها زيد وزوجها خنيس، وأخوالها: عثمان وعبد الله وقدامة وابن خالها السائب بن عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عن جميعهم، واسترضاهما صلى الله تعالى عليه وسلم، لما عتبت عليه بوطأ مارية في بيتها فحرمها.

(... ثم لما أن صدر طلاقها منه بردها أمر)

أن زائدة نحو ولما أن جاء البشير. وللشيخ الجكني: وبعد لما ويمين قبل لو وكاف جر زائداً أن قد روي وطلاقها فاعل صدر أي وقع، والضمير فيه لحفصة، والمجرور بمن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو متعلق بصدر وأمر بالبناء للمفعول، ونائبه له صلى الله تعالى عليه وسلم، يتعلق بالمجرور قبله، ومراده أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع منه طلاق حفصة رضي الله تعالى عنها أمر بردها لعصمته أي أمره الله تعالى على لسان جبريل. فقال راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة. وروي أن عمر لما بلغه طلاقها حثا التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها. فنزل جبريل من الغد وقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر - انتهى.

وفي هذه الأحاديث تنبيه من الله على فضلها والثناء عليها بكثرة

الصيام والقيام والاخبار بأنها زوجة فى الجنة للمختار - انظر الزرقاني.

(وموتها عام الجماعة ذكر)

موتها مبتدأ وخبره قوله ذكر، والجماعة الظاهر أنه أراد به المعنى المصدري وهو الاجتماع ويعنى اجتماع الناس على بيعة معاوية حين بايعه الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم، يعنى أن حفصة رضي الله تعالى عنها توفيت عام اجتماع الناس على بيعة معاوية، وذلك عام إحدى وأربعين من الهجرة، وكان ذلك العام يسمى عام الجماعة كما قاله الزرقاني فى شرح المواهب فى كتابه عليه السلام عند ذكر معاوية.

وفى المواهب وشرحها وماتت فى شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة فى خلافة معاوية وصلى عليها مروان بن الحكم ونزل فى قبرها أخوها عبد الله وعاصم وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر، وقيل ماتت فى جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين حين بايع الحسن معاوية وهي ابنة ستين سنة على القول الثانى، وأما على الأول فتكون قد بلغت ثلاثاً وستين. وقيل ماتت فى خلافة عثمان سنة سبع وعشرين انتهى.

وقوله هي ابنة ستين على القول الثانى لا يخفى أن مجموع ما ذكر تسع وخمسون لا ستون لأنها ولدت قبل النبوة بخمس سنين تضم إلى ثلاث عشرة قبل الهجرة ثم إلى إحدى وأربعين بعدها كذا بهامش المطبوع وهو ظاهر. والله تعالى أعلم.

فقول الناظم رحمه الله تعالى وموتها عام الجماعة، جرى فيه على القول الثانى فى كلام المواهب.

(وزينب أم المساكين قتل بأحد عنها ابن جحش فقبل)
ظاهره انه عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد حفصة لذكره إياها بعدها. والذى فى المواهب أن حفصة تليها أم سلمة، ثم أم حبيبة ثم زينب بنت جحش، ثم زينب أم المساكين. وما للناظم نحوه للعراقي

والله تعالى أعلم.

وقوله زنيب مبتدأ وأم المساكن بدل منه أو بيان، وهو علم لها. قال في المواهب وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم - انتهى. وخبر المبتدأ الجملة بعده، والضمير المجرور بعن هو رابط المبتدأ، وقوله فقبل بالبناء للمفعول أي قبله الله تعالى، لأنه من شهداء أحد. وقد قال عليه السلام انه شهيد عليهم. وقال تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا} (إلخ..). يعنى أن زينب التي تدعى أي تسمى أم المساكين كانت تحت الصحابي الجليل عبد الله بالتكبير بن جحش، المجدع في الله تعالى وكان تمنى ذلك فأعطيه وهو من بنى أسد من بنى خزيمة بن مدركة ويأتي نسبه إن شاء الله تعالى عند ذكر أخته زينب رضي الله تعالى عنهما. واستشهد بأحد وتزوجها المصطفى صلي الله تعالى عليه وسلم بعده، كما أشار إليه بقوله:

(... تزوجت خير نبي ..)

قوله تزوجت الظاهر انه معطوف بحرف محذوف، أي وبعد ابن جحش تزوجت خير نبي، وهي بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح المعجمة والمهمله وبالفاء ابن قيس عيلان بن مضر، وكان تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بها سنة ثلاث قاله في المواهب، قال الزرقاني كذا حكاه أبو عمر عن الزهري ورواه عنه ابن أبي خيثمة ولعلها كانت حاملا منه فأسقطت بعد موته فانقضت عدتها في تلك السنة وهذا متعين وإن لم يذكره إذ وقعة أحد كانت في شوال سنة ثلاث باتفاق فلا يمكن انقضاء عدة الأشهر في السنة المذكورة انتهى. وقال قتادة كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن الحارث بن المطلب وبهذا جزم ابن الكلبي وزاد فطلقها ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث فمات شهيدا في المبارزة فخلف عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في رمضان سنة ثلاث، قال القسطلاني والأول أصح يعني كونها كانت تحت عبد الله بن جحش.

(وثوت* شهرين أو ثلاثة ثم توت)

قوله ثوت بمثلثة أوله أي أقامت وتوت بالمثلثة الفوقية أي هلكت ومراده أنها أقامت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شهرين أو ثلاثة أشهر ثم توفيت رضي الله تعالى عنها، فأو لتنوع الخلاف. وفي الشامية مكثت عنده ثمانية أشهر وقيل شهرين وقيل ثلاثة، والصحيح أنها ماتت في ربيع الأول وقيل الآخر سنة أربع، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها، انتهى. وفي العيون وصلى عليها صلى الله تعالى عليه وسلم ودفنها بالبقيع على الطريق انتهى. وكون وفاتها في ربيع الآخر سنة أربع لا يصح إلا على قول ابن الكلبي أنه تزوجها في رمضان سنة ثلاث وأقامت عنده ثمانية أشهر وأما على ما حكاه ابن عبد البر من أن العقد عليها سنة ثلاث بعد شوال ومدتها عنده شهران أو ثلاثة فلا يصح ذلك، انظر المواهب وشرحها.

واقصر المناوي على أنها أقامت عنده عليه الصلاة والسلام ثلاثة أشهر.

(ولم يميت حياته من النساء إلا خديجة وذي فاقتبسا) يعني أنه لم يميت في حياة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من نسائه إلا خديجة فقد تقدم أنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ودفنت بالحجون وإلا زينب بنت خزيمة وإليها أشار بقوله ذي بناء على أن ريحانة سرية لا زوجة، وهو الصحيح. وأما على أنها زوجة فهي ممن مات في حياته عليه السلام. وقوله فاقتبسا ألفه بدل من نون التوكيد الخفية وفي الألفية:

وأبدلنها بعد فتح ألفا وفقا كما تقول في قفن قفا وهو تتميم ومعناه خذ العلوم من الكتب، وأصل الاقتباس أخذ القبس من النار وهو الشعلة في رأس فتيلة أو عود.

(وبنت جحش بنت عمه الرسول زوجها الرحمن باري العقول خير نبي إذ قضى منها الوطر زيد (...))

قوله بنت جحش مبتدأ ومضاف إليه ما قبله وبنت الثانية نعت

للمبتدأ ويعني بعمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بالتصغير بنت عبد المطلب واختلف في إسلامها وأثبتته ابن سعد، وقال أطعمها صلى الله تعالى عليه وسلم أربعين وسقا من خيبر فعليه كانت موجودة لما تزوج بنتها، قاله الزرقاني، وخبر المبتدأ قوله: زوجها إلخ... والرحمن فاعل زوج، ومعناه المنعم بجلال النعم أو ذو الرحمة العامة في الدنيا على جميع الخلق أو المنعم بالنعم التي لا تدخل تحت كسب العباد كبعث الرسل، وبارئ نعت له، أي خالق، والعقول جمع عقل وهو نور تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية وإذ ظرف زمان والعامل فيه زوج وخير بالنصب مفعول زوج والوטר الحاجة والأرب، وزيد فاعل قضى وهو زيد بن حارثة حبه عليه السلام ومولاه ومعنى كلامه أن أمنا زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها زوجها الله خير أنبيائه صلى الله تعالى عليه وسلم.

أي تولى عقدها له بعد أن قضى زيد بن حارثة منها وطره وطلقها بعد أن مكثت عنده مدة وألقى الله كراهتها في قلبه لتعاضمها عليه بشرفها فجاء يشكوها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله. ثم طلقها لكراهته لها، لا لرغبة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحها كما زعمه من وهم وأخطأ، فأنزل الله تعالى: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه} أي بالإيمان وأنعمت عليه أي بالعتق وهو زيد كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه: أمسك عليك زوجك واتق الله في أمر طلاقها، وتخفى في نفسك ما الله مبديه، أي مظهره وهو علمك بالوحي بأنه سيطلقها وأنتك تتزوجها، كما قاله علي بن الحسين والزهري وغيرهما. وعليه أهل التحقيق. قاله المحقق محمد بن عبد الباقي.

قال جامع عفا الله تعالى عنه: وهذا هو الذي يليق بمنصب النبوة والله تعالى أعلم.
فلما انقضت عدتها من زيد قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم اذهب فاذكرني لها. ويروى أنه قال له: ما أجد فى نفسي أوثق منك، فاخطب زينب علي. قال زيد فذهبت إليها فجعلت ظهرى من وراء الباب وذلك من مزيد ورعه، حتى لا يراها وإلا فهذا كان قبل نزول الحجاب، قال زيد فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرك، أي يخطبك، فقالت ما كنت لأحدث شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل أي أستخبره، فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله تعالى: {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها} أي جعلناها لك زوجة بلا واسطة عقد على الصواب، الذى لا يجوز غيره، فإنها كانت تفخر بأن الله تعالى هو الذى زوجها. فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه بغير إذن. أخرجه مسلم وأحمد والنسائي من حديث أنس. وعند ابن سعد بسند مرسل: بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتحدث عند عائشة إذ أخذته غشية فسرى عنه وهو يبتسم ويقول من يذهب إلى زينب فيبشرها. وتلا: {وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك وتقي الله} (الآية)، قالت عائشة فأخذنى ما قرب وما بعد، لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم وأشرف ما صنع لها زوجها الله تعالى من السماء، وعنده بسند ضعيف عن ابن عباس لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها سجدت انتهى. وعن الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدى وجدك واحد، وإن الله أنكحك إياي من السماء، وأن الساعي فى ذلك جبريل، تريد عبد المطلب لأنه أبو أمها.

وروي أنها كانت تقول: يا رسول الله ما أنا كأحد من نسائك، ليست كل امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيرى، زوجنيك الله من السماء.

ولما تزوجها عليه السلام قال المنافقون: حرم محمد نساء الولد، وتزوج امرأة ابنه.

فأنزل الله تعالى: {ما كان محمد أباً أحد من رجالكم} فأذهب الله بهذه

الآية ما وقع فى نفوس المنافقين وغيرهم، وكان اسمها برة بفتح الموحدة والراء المشددة فسمّاها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زينب، كراهة أن يقال خرج من عدة برة. أو ما هنا برة مثلاً لحبه الفال الحسن، وأما أبوها فكان اسمه برة بضم الموحدة وشد الراء، فقالت زينب يا رسول الله لو غيرت اسم أبي فإن البرة صغيرة فقال لو كان أبوك مسلماً لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني قد سميته جحشاً والجحش أكبر من البرة. رواه الدارقطني وهي بنت جحش بن رباب بكسر الراء وخفة التحتية وتبدل همزة فألف فموحدة ابن يعمر بفتح التحتية وسكون العين المهملة وضم الميم ابن صبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة ابن مرة ابن كبير ضد صغير، ابن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون، ابن دودان بضم الدال المهملة وسكون الواو فдал أخرى فألف فنون، ابن أسد بن خزيمة بن مدركة. انتهى من الزرقاني.

ولما تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم أولم عليها فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً، ثم جلسوا يتحدثون فأطالوا الجلوس فإذا هو صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه يتهياً للقيام فلم يقوموا، وكان يستحي أن يقول لهم قوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة، فجاء عليه السلام ليدخل على زينب فإذا القوم جلوس فى بيتها فرجع ثم انهم قاموا، قال أنس فأخبرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... إلى قوله عظيماء}. وفى البخاري عن أنس قال عمر قلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل الله تعالى آية الحجاب.

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة: كنت أكل مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى قعب فمر عمر فدعاه فأكل، فأصاب أصبعه أصبعي فقال أوه، لو أطاع فيكن ما رأتن عین فنزلت آية الحجاب. ويمكن الجمع بأن هذا وقع قبل قصة زينب ولقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب، ولا مانع من تعدد السبب. وكان تزويجها له

عليه السلام سنة خمس وقيل أربع وقبل ثلاث.

(وماتت فى خلافة عمر إذ فتحت مصر...)

يعني أن أمتنا زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ماتت بالمدينة فى خلافة عمر سنة عشرين عام فتحت مصر وقيل توفيت سنة إحدى وعشرين عام فتح الاسكندرية وصلى عليها عمر بن الخطاب، ولها ثلاث وخمسون سنة، وقيل تزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم وهي بنت خمس وثلاثين سنة وماتت سنة عشرين وهي بنت خمسين وبعث إليها عمر بخمسة أثواب فكفنت فيها وتصدقته عنها أختها حمزة بكفنها الذى كانت هي أعدته. فقالت فيها عائشة لقد ذهبت حميدة سعيدة مفزع اليتامي والأرامل.

(... وكانت أطولا نسائه يدا كما قد نقلنا)

اسم كان ضمير يعود على زينب بنت جحش، وأطول خبرها ويدا تميز وطول اليد كناية عن كثرة الصدقة ومراده الإخبار عنها بأنها كانت أكثر زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة. وأشار بقوله كما قد نقلنا إلى ما فى الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا، فكن يتناولن أيتهن أطول يدا، قالت وكانت زينب أطول يدا لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق، وفى رواية قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم نمد أيدينا فى الجدار ونتناول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرج وتتصدق به فى سبيل الله. وصناع اليدين بفتح الصاد المهملة أي لها صنعة تعملها بيديها. وقالت عائشة أيضا كانت زينب هي التى تسامينى من أزواج النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم فى المنزلة عنده، وما رأيت امرأة قط خيرا منها فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل، الذى تتصدق به، ويقرب إلى الله تعالى؛ رواه مسلم.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب: كان عطاء زينب إثني عشر ألفا لم تأخذه إلا عاما واحدا فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابل فإنه فتنة. ثم قسمته فى أهل رحمها من أهل الحاجة فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها وأرسل بالسلام. وقال بلغنى ما فرقت فأرسل بألف درهم تستبقيها فسلكت بها ذلك المسلك.

وفى رواية أنها رفعت يديها إلى السماء فقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فماتت. انظر المواهب وشرحها. وهى أول من غطى نعشها أي من الأزواج، فإن فاطمة أول من غطى نعشها، كما نص عليه ابن عبد البر. وقد ماتت قبل زينب رضى الله تعالى عنهما.

(وهند هي كم لها من فضل تزوجت من بعد موت البعل خير الورى...)

الظاهر أن قوله هند مبتدأ وهى توكيد له بمراده وكم تكثيرية وهى مبتدأ وخبرها قوله لها: ومن فضل مميزكم ودخول من على مميزها كثير نحو: وكم من قرية، والجملة من كم وخبرها معترضة بين المبتدأ وهو هند وخبره وهو تزوجت، وفيها تقوية لما تضمنته الجملة من الاسناد لأن تزوجها للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لا فضل مثله ومعنى كلامه أن أم المؤمنين أم سلمة واسمها هند على الأصح وقيل رملة، تزوجت خير الورى أي العباد بعد موت زوجها وهو ابن عمها أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد فولدت له زينب وولدت له بعدها سلمة وعمر بضم العين الصحابييين ودرة. وهذا الترتيب فى المواهب وضعفه الزرقاني وقال ان الحافظ جزم فى الاصابة بأنها ولدت سلمة بالحبشة ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر وزينب ودرة وهى هند بنت أبى أمية واسمه سهيل وقيل هشام وقيل حذافة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بالتحريك بن مرة بن كعب وكان

أبو أمية من أجواد العرب ويعرف بزاد الרכب لأنه كان إذا سافر لم يحمل أحد من رفقته زادا بل يكفيهم هو. وأمها كما فى أس الإسلام عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك وزوجها أبو سلمة هو ابن عبد الأسد كما مر ابن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب ويكفي فى وفور عقلها إشارتها له عليه السلام يوم الحديبية حتى قال إمام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة. وقالت عائشة لما تزوجها تعنى أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكر النساء من جمالها فذكرت ذلك لحفصة فقالت ما هي كما يقال فتلطفت حتى أن رأيتها فرأيت والله أضعاف ما وصفت فذكرت لحفصة فقالت نعم ولكنى كنت غيرا وكان تزوجه عليه الصلاة والسلام بها فى ليال بقين من شوال من السنة التى مات فيها أبو سلمة وهي السنة الرابعة على الصحيح وقيل الثالثة وكانت أم سلمة قد سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها. وفى رواية لا تصيب أحدا مصيبة فيسترجع عند ذلك ثم يقول: اللهم عندك احتسبت مصيبتى هذه، اللهم أخلفنى بخير منها إلخ.

قالت فلما مات أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم عندك احتسبت مصيبتى هذه ولم تطب نفسى ان أقول اللهم أخلفنى خيرا منها، فقلت أي المسلمين خير من أبى سلمة. ثم إنى قلتها، فأخلف الله لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فأرسل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة يخطبني له بضم الطاء، وفى رواية فخطبها أبو بكر فأبى وخطبها عمر فأبى ثم أرسل إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالت مرحبا برسول الله إن فى خلا لا ثلاثا: أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصيبة بضم الميم وسكون المهملة وخفة التحتية أي ذات صبية، وأنا امرأة ليس لى هنا أحد من أوليائى فيزوجنى.

فقال أما ما ذكرت من غيرتك فإنى أرجو الله أن يذهبها عنك. فكانت لا تجد من الغيرة شيئاً. وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني. فقالت لابنها عمر كما فى رواية أحمد والنسائي ولابن اسحاق أنه سلمة أخوه وعليه الأكثر زوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمك، فزوجه إياها.

واستشكل كل من الروائتين بصغر سن ابنيها إذ لم يبلغ واحد منهما والحق انه عليه السلام زوجها من نفسه بلا ولى كما هو من خصوصياته. وقبله من ابنها صورة تطيبها ل خاطرها وبذلك جزم السيوطي.

وقوله فى الحديث المار: اللهم أجرنى. قال السيوطي بهمزة قطع ممدودة وكسر الجيم بوزن أكرمنى، وبضم الجيم بهمزة وصل بوزن أنصرنى أي أثبتنى، وقوله أخلفنى بضم اللام، وروى ابن سعد عنها قالت: قلت لابي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهما من أهل الجنة، ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله له بينهما فى الجنة. وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل فتعال أعاهدك أن لا تتزوج بعدى وأن لا أتزوج بعدك. قال فإذا أنا مت فتزوجي ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يوذيتها. فلما مات قلت: ما هذا الذى هو خير لى من أبي سلمة؟ فلبثت ما لبثت فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقف بالباب فذكر نحو ما سبق. انظر الزرقاني.

(... وفى خلافة يزيد فى عام ستين قضت بلا مزيد)

المجروح الأول متعلق بقوله قضت يعنى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قد قضت أي ماتت عام ستين من الهجرة بلا زيد على الستين فى خلافة يزيد بن معاوية، وما ذكره الناظم هو الذى صححه اليعمرى.

وقال البخاري فى التاريخ الكبير ماتت سنة ثمان وخمسين وصح فى المواهب أنها ماتت سنة تسع وخمسين.

وقال فى الإصابة وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً، فقد ثبت فى مسلم أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عبد الله بن صفوان دخل على

أم سلمة فى خلافة يزيد بن معاوية فسألها عن الجيش وكان ذلك حين جهز يزيد مسلم بن عقبة بعسكر الشام إلى المدينة فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين انتهى.

وصحح حرب أنها ماتت سنة اثنتين وستين وقيل ماتت سنة إحدى وستين وصلى عليها أبو هريرة.

أما ما حكاه ابن الأثير من أنها صلى عليها سعيد بن زيد فمدفوع لأنه مات قبلها، لأنه مات سنة خمس أو إحدى أو اثنتين وخمسين. وفى الزرقاني أنه مات قبلها باتفاق. قال فى المواهب وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة.

(وبالباقيع دفنت)

يعنى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها دفنت بالباقيع وهو مدفن المدينة.

(.... وهاجرا ثنتين فى أول من قد هاجرا)

الألف فى هاجرا، الأول ضمير تثنية يعود على أم سلمة وزوجها أبى سلمة رضى الله عنهما والألف فى هاجر الثانى ألف الإطلاق، يعنى أن أم سلمة وزوجها هاجرا هجرتين فى أول من هاجر من المسلمين ويعنى بالهجرتين الهجرة الأولى إلى الحبشة فقد تقدم عدها فى أهلها، والهجرة إلى المدينة المنورة.

وفى المواهب أن أبا سلمة هو أول من هاجر إلى المدينة. وكان أخاه عليه السلام من الرضاع وابن عمته برة، فقال فيه إنه أول من يعطى كتابه بيمينيه كما أن أول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد.

وفى النور حاصل الأحاديث فى أول من هاجر هل هو مصعب وبعده ابن أم مكتوم أو أبو سلمة أو عبد الله بن جحش، وحاصلها فى النسوة أم سلمة أو ليلى بنت أبى حثمة أو أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط والفارعة بنت أبى سفيان انظر الزرقاني.

وفى المواهب قيل أن أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل

غيرها وجمع بعضهم بين كون أولهن ليلى وبين كونها أم سلمة، لأن ليلى بنت أبى خثمة أول ظعينة مع زوجها، وأم سلمة وحدها. فقد حبسها بنو المغيرة عن زوجها ثم أذنوا لها فى اللحاق به فهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة العبدري وكان يومئذ مشركا فشيوعها حتى إذا أوفى على قباء قال لها زوجك فى هذه القرية، ثم رجع إلى مكة فكانت تقول ما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده ثم يضطجع تحت شجرة فإذا دنى الرواح قام إلى البعير فرحله ثم استأخر عني وقال اركبي فإذا استويت عليه أخذ بخطامه فقادني.

تنبيه:

قال ابن عبد البر انه عليه السلام تزوج أم سلمة بعد وقعة بدر سنة اثنتين. قال اليعمرى وليس بشيء لأن أبا عمر قال فى وفاة أبى سلمة أنها فى جمادى الأخيرة سنة ثلاث وهو عليه السلام لم يتزوجها إلا بعد انقضاء عدتها من وفاته. انتهى. نقله الزرقاني.

(ومن نساء المصطفى جويريه)

جويرية بضم الجيم مصغر مبتدأ وخبره المجرور المتقدم يعنى أنه من أمهات المؤمنين جويرية رضي الله تعالى عنها، وقصد بهذا الرد على من قال كان يطؤها بملك اليمين.

وروى الطبراني برجال الصحيح عن مجاهد قال: قالت جويرية يا رسول الله إن أزواجك يفخرن علي ويقلن لم يتزوجك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. قال أو لم أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك؟

وفي المواهب وكان اسمها برة، فحولها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمها جويرية فقد تقدم مثل ذلك فى زينب بنت جحش انتهى. فعلم أنه غير اسمهما معاً، انظر الزرقاني. وهي بنت الحارث بن أبى

ضرار بكسر المعجمة وتخفيف الراء ابن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة بجيم ومعجمة مصغر وهو المصطلق بطن من خزاعة، قاله الزرقاني.

وخزاعة اختلف فى نسبهم مع الاتفاق على انهم من ولد عمرو بن لحي بضم اللام مصغر وهو ابن حارثة بن عمرو بن ماء السماء. وعمرو بن لحي هو ابن أخي أسلم وكنيته عمرو أبو ثمامة ويقال لخزاعة بنو كعب، نسبة إلى جدهم كعب بن عمرو بن لحي.

قال ابن الكلبي لما تفرق سبأ بسبب سيل العرم نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان فمن أقام به منهم فهو غساني وانخرعت منهم بنو عمرو بن لحي عن قومهم إلى مكة وتفرق سائر الأزد وفى ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولما نزلنا بطن مرا تخزعت خزاعة منا فى جموع كراكر
وفى حديث الباب أنه عمرو بن لحي بن قمعة، ابن خندف وهذا يؤيد قول من يقول أن خزاعة من مضر وذلك أن خندف بكسر المعجمة وسكون النون وفتح الدال بعدها فاء اسم امرأة إلياس بن مضر واسمها ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة لقبته خندف لمشييتها والخندفة الهرولة واشتهر بنوها بالنسبة إليها دون أبيهم لأن إلياس لما مات حزنت عليه حزنا شديدا بحيث هجرت أهلها ودارها وساحت فى الأرض حتى ماتت فكان من رأى أولادها الصغار، يقول من هؤلاء؟ فيقال بنو خندف، وقمعة بفتح أوله وثانيه ويقال بكسر القاف وشد الميم وجمع بين القولين أعني نسبة خزاعة إلى اليمن وإلى مضر بأن حارثة بن عمرو لما مات قمعة بن خندف كانت امرأته حاملا بلحي فولدته وهي عند حارثة فتبناه فنسب إليه فعلى هذا فهو من مضر بالولادة ومن اليمن بالتبني. وكان سبب قيام عمرو بن لحي بأمر الكعبة ومكة أن أمه فهيرة بنت عمرو بن الحارث بن مضاد الجرهمي وكان أبوها أحد من ولى أمر مكة من جرهم فقام بأمر البيت سبطه عمرو بن لحي فصار ذلك فى خزاعة بعد جرهم ووقعت بينهم حروب فى

ذلك إلى أن انجلت جرهم ثم تولت خزاعة أمر البيت ثلاث مائة سنة إلى أن كان آخرهم ويدعى أبا غبشان بضم المعجمة وسكون الموحدة بعدها معجمة أيضا واسمه المحيرش بمهملة ثم معجمة ابن حليل بمهملة ولامين مصغرا ابن حبشية بفتح المهملة وسكون الموحدة فمعجمة ثم ياء نسب ابن سلول بفتح المهملة ولامين الأولى مضمومة ابن عمرو بن لحي وأبو غبشان خال قصي بن كلاب وكان فى عقله شيء فخدعه قصي فاشترى منه أمر البيت بأذواد من الإبل ويقال بزق خمر فغلب قصي حينئذ على أمر البيت وجمع بطون فهر وحارب خزاعة حتى أخرجهم من مكة.

وروي أنه عليه السلام قال رأيت عمرو بن لحي يجرقصه فى النار لأنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وسيب السائبية وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي انتهى من فتح الباري. وفى القاموس وأبو غبشان ويضم انتهى.

وقوله خندف بفتح الدال وفى القاموس انها كزبرج وان إلياس ولد عمرو أو هو مدركة وعامر أو هو طابخة وعمير أو هو قمعة وأمهم خندف، قال وكان إلياس خرج فى نجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير بالخباء فخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس أين تخندين؟ فقالت ما زلت أخندف فى أثركم. فلقبوا مدركة وقمعة وطابخة وخندف انتهى كلامه، وفيه ان قمعة بالتحريك والوصيلة الناقة التى وصلت بين عشرة أبطن وهي من الشاء التى وصلت سبعة أبطن عناقين عناقين، فإن ولدت فى السابعة عناقا وجديا قيل وصلت أخاها، فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال وتجري مجرى السائبية وقيل غير ذلك.

والحامي الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود أو عشرة أبطن ثم حام حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى والسائبية النائبة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت، وقيل غير ذلك.

(توفيت فى عام تولدت فيه)

قوله توفيت نائبه ضمير جويريه، يعنى أنها توفيت عام ست وخمسين من الهجرة وقد بلغت سبعين سنة ووفاتها فى ربيع وهذا القول حكاة فى المواهب بصيغة التمریض. والذى اقتصر علیه المناوي وصدر به أنها توفيت فى ربيع الأول سنة خمسين من الهجرة وعمرها خمس وستون. وقال الزرقاني أنه الصحيح كما فى التقريب، وتبعه فى السبل انتهى.

وقوله لتدريه أي لتعرف هذا فهو تتميم وكلام المواهب وشرحها والمناوي يفيدان ما مشى علیه الناظم خلاف المعتمد والله تعالى أعلم. (وقد سبها فى غزاة المصطلق من بعلمها مسافع بالمدلق) فاعل سبى ضمير المصطفى علیه السلام والبعل الزوج والمدلق بالبدال المهملة السيف والمجرورات الثلاث متعلقة بسبا ومراده انه صلى الله تعالى علیه وسلم سبا جويرية بالسيف أي سبها سببا ناشئاً عن القتال به فى غزوة بنى المصطلق وهي غزوة المريسيع بضم الميم وفتح المهملة وكانت تحت ابن عمها مسافع بضم الميم وبالسين المهملة والفاء المكسور بن صفوان المصطلقى المقتول كافرا يوم المريسيع كما جزم به ابن أبي خيثمة والواقدي فقصر البرهان فى قوله: الظاهر هلاكه على كفره. قاله الزرقاني.

(ودفع النجوم لابن قيس عنها....)

ضمير دفع للنبي صلى الله تعالى علیه وسلم، والمجروور بعن لأ منا جويرة رضي الله تعالى عنها. يعنى أنها لما سبيت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس بفتح المعجمة وشد الميم الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار بشره النبي صلى الله تعالى علیه وسلم بالجنة واستشهد باليمامة ولما وقعت فى سهمه كاتبها بتسع أواق ذهباً فدفع علیه السلام عنها نجوم الكتابة فاعتقها وتزوجها وسميت الكتابة نجومًا لأنها تنجم أي تؤجل شيئاً فشيئاً وذلك أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله تعالى علیه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة فوالله ما هو إلا رأيتها واقفة على باب حجرتي وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، قالت عائشة

وكانت حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فدخلت عليه، عليه السلام، فقالت يا رسول الله إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك ووقعت فى سهم ثابت بن قيس وإني كاتبت نفسى وجئتك أسألك فى كتابتى. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، فهل لك إلى ما هو خير؟ فقالت وما هو يا رسول الله؟ قال أودى عنك كتابتك وأتزوجك. قالت قد فعلت. فأرسل إلى ثابت فطلبها منه. فقال ثابت هي لك يا رسول الله بأبى وأمي فأدى عليه السلام ما كان من كتابتها واعتقها وتزوجها.

فتسامع الناس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد تزوج جويرية فأرسلوا ما فى أيديهم من السبى وقالوا أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وروي أنها طلبتهم منه ليلة دخوله بها فوهبهم لها.

قال ابن شهاب سبى صلى الله تعالى عليه وسلم جويرية يوم المريسع وهو ماء لبني خزاعة فحجبها وقسم لها. قال الزرقاني مراد ابن شهاب رد القول بأنه كان يطؤها بملك اليمين وكانت حين تزوجها بنت عشرين سنة.

قوله وكانت حلوة ملاحه، قال فى القاموس الملاحه الحسن، ملح ككرم فهو مليح وملاح وملاح.

تنبيه:

قال الشامي نظره عليه السلام إليها حتى عرف حسننها لأنها كانت أمة، ولو كانت حرة ما ملأ عينيه منها أو لأن مراده نكاحها. نقله الزرقاني.

(فمما أبركها من عرس)

ما تعجبية والبركة الخير الكثير والعرس بالكسر امرأة الرجل والمجرور تمييز ومعنى كلامه ان هذه المرأة التى هي أمنا جويرية رضى

الله تعالى عنها ذات خير كثير على أهلها فتعجب الناظم من عظم
بركتها على أهلها حين أعتقوا بسبب تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم
بها، فكان كل بنى المصطلق صهرا له عليه السلام كما أشار له بقوله:
(إذ) تعليلية أي حين (أرسل الناس) أي الصحابة رضوان الله عليهم
(السبايا) أي ما بأيديهم من بنى المصطلق ببركة جويرية إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم. (طرا) أي جميعا، حال من قوله السبايا (لما)
هي هنا بمعنى حين والعامل فيها قوله أرسل فهو كقوله:

فجلبتها لنا لبابة لما أوقد النوم سائر الحراس
وهو مضاف لقوله (غدى) أي صار واسمه قوله (المصطلق) أي الفريق
المصطلق وخبره قوله (صهرا) أي أصهارا للمصطفى متعلق بما قبله أو
يتنازع فيه معه أرسل.

وقد مر أن الصحابة قالوا: أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم (عليه من رب الأنام)، الأنام كصحاب وساباط وأمير: الخلق (وآله)
أقاربه وأتباعه كلهم، (أزكى) أي أكثر وأبرك (الصلة) هي الرحمة
المقرونة بالتعظيم كما فى الخطاب (والسلام) أي الأمان. وقوله فما
أبركها إلخ.. مقتبس من قول عائشة رضي الله عنها فما رأينا امرأة
كانت أعظم بركة على قومها منها. اعتق بسببها مائة أهل بيت أي مائة
طائفة كل واحدة منهن أهل بيت من بنى المصطلق وقد روي أنهم كانوا
أكثر من سبعمائة خرجهم أبو داود وأحمد ويقال أنه عليه السلام
اشتراها من ثابت بن قيس وأعتقها وأصدقها أربعمائة درهم وجزم
الشعبي بأنه عليه السلام جعل عتقها صداقها.

وروى ابن سعد بأن أباه جاءه عليه السلام فقال ان ابنتي لا يسبى
مثلها، فخل سبيلها، فقال أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت؟ قال بلى
فأتاها أبوها فقال ان هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحين، فقالت فإنى
أختار الله ورسوله انتهى من المواهب وشرحها.

(ورملة) بفتح الراء مبتدأ ونعته بقوله (بنت أبي سفيانا) بتثنية
السين بن حرب بن أمية وأمها صفية بنت أبي العاصي بن أمية عمة

عثمان بن عفان وخبر المبتدأ قوله (تزوجت خير الوري) أي العباد وكنيتها أم حبيبة كنيته ببنتها حبيبة بفتح الحاء المهملة بنت عبيد الله بالتصغير بن جحش ولدت بمكة وهاجرت إلى الحبشة الهجرة الثانية مع أبويها فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة نصرانيا، وثبتت أم حبيبة وبنتها على الاسلام ورجعت معها الي المدينة واسم أم حبيبة على الأصح رملة كما قال الناظم وبه جزم ابن اسحاق وخلف وقيل اسمها هند وقيل ان حبيبة ولدت فى الحبشة، وروي أن أم حبيبة قالت رأيت فى المنام كان زوجي عبيد الله بأسوء صورة ففزعت فأصبحت فإذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام، فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات فأتاني أت فى نومى فقال يا أم المؤمنين ففزعت، فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشي يستأذن فإذا هي جارية يقال لها ابرهة، فقالت إن الملك يقول لك وكلى من يزورك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية من السابقين كان رابعا أو خامسا فوكلته وأعطت لإبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به انظر الزرقاني.

(وكانا وليها) بالرفع اسم كان وخبرها قوله (خالدا) بن سعيد كما مر قريبا. (أو عثمانا) أو لتنويع الخلاف أي وقيل ان الذى ولى عقد نكاحها عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية وكلاهما يجتمع معها فى أمية، بن عبد شمس بن عبد مناف، (عند النجاشي كما أتاننا)، الظرف متعلق بتزوجت، وعند تثلث عينها، والنجاشي بفتح النون وتكسر وهو أفصح، بتشديد الياء وبتخفيفها أفصح، أصحمة ملك الحبشة، انظر القاموس.

يعني أن أمنا رملة بنت أبى سفيان رضي الله تعالى عنها كان تزويجها للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحبشة عند النجاشي سنة سبع وقيل سنة ست، والأول أشهر، كما فى الإصابة بل فى العيون ان الثانى ليس بشيء وكونه تزوجها عند النجاشي هو المشهور ولشهرته حكى غير واحد عليه الإجماع، وقضوا بالوهم على ما فى صحيح مسلم من طريق عكرمة أن أبا سفيان قال له عليه السلام: أسألك ثلاثا فأعطاه إياهن -الحديث-. وفيه عندي أجمل العرب أم حبيبة،

أزواجك إياها فيكون تزوجها بعد الفتح وهذه طريقة باطلة عند من له أدنى علم بالسير والتواريخ.

وقال ابن الجوزي فيه وهم من بعض الرواة بلا شك، للاجماع على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجها وهي بالحبشة، وأن أباها جاء زمن الهدنة فدخل عليها فثنت عنه فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يجلس عليه. وتبعه على ذلك جماعة آخرهم أبو الحسن بن الأثير في أسد الغابة انظر الزرقاني.

وقيل انه تزوجها بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة، وقصد الناظم الرد على هذا بقوله عند النجاشي كما أتانا، أي جاءنا عن أهل السير.

وقوله وكانا وليها إلخ.. روى الطبراني عن الزهري أن الذي زوجها عثمان بن عفان، والذي رواه ابن سعد عنها وذكره البيهقي وبه جزم ابن القيم أن الذي زوجها خالد بن سعيد. قال اليعمري وهو أثبت قال في المواهب لکن إن صح التاريخ المذكور فلا يصح أن يكون عثمان هو الذي زوجها لأن مقدمه من الحبشة كان في السنة الثانية من الهجرة قبل وقعة بدر انتهى.

وقيل ان الذي تولى عقدها هو النجاشي. وكان قد أسلم. حكاه اليعمري وغيره. وفيه نظر لأنه وكيل عنه صلى الله عليه وسلم، فهو الذي قبل له انظر الزرقاني. وروي أنها لما وكلت خالد بن سعيد أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضرُوا فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد فإنني أجببت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وفي رواية فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة فأجببت وقد أصدقته عنه أربعمئة دينار ذهب، ثم سكب الدنانير بين يد القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أحمدته واستعينته واستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد

أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها.

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال أجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبة فلما وصل إلى المال أعطيت ابرهة منه خمسين دينارا فردتها علي وردت علي ما كنت أعطيتها أولا. وقالت ان الملك عزم علي بذلك.

ثم جاء تني من الغد بعود وورس وعنبر وزباد كثير فقدمت به معي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ذلك في سنة سبع من الهجرة وكان أبوها أبو سفيان حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقليل له إن محمدا قد نكح ابنتك، فقال هو الفحل لا يقدح أنفه. وهو بضم التحتية وسكون القاف وفتح الدال وبالعين المهملتين، قال الجوهري أي لا يضرب أنفه وذلك إذا كان كريما.

وقول المواهب وكان أبو سفيان الذي هو أبوها الخ.. ليس ذكره مجرد فائدة لا تعلق لها بالتزويج بل لرد القول بأن أبا سفيان هو الذي زوجها عملا بما في مسلم من طريق عكرمة، قال الزرقاني ويعنى بهذا ما قد مر عن مسلم.

فائدة:

كان الذي بعثه عليه السلام إلى النجاشي ليخطبها له عمرو بن أمية الضمري بفتح فسكون نسبة إلى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكان الذي بعثه النجاشي معها إليه شرحبيل بضم المعجمة وفتح الراء وسكون المهملة ابن حسنة الكندي، قدمت معها ابرهة جارية النجاشي وصحبت، وحسنة اسم امه، وأبوه عبد الله بن المطاع.

وقوله فى الخطبة القدوس الطاهر عما لا يليق به، والسلام ذو السلامة من النقائص، والمؤمن المصدق رسله بخلق المعجزة لهم، والمهيمن الشهيد على عباده بأعمالهم، والجبار الذى جبر خلقه على ما أراد، قاله العلامة محمد بن عبد الباقي.

(فسلم المهر إليها إجمعا من الدنانير مئآت أربعاً) سلم أعطى ودفع وفاعله ضمير النجاشي والمهر الصداق وأجمع توكيده ومئآت حال من المهر وأربعاً نعت لمئات، يعنى أن النجاشي دفع الصداق كله إلى رملة رضي الله تعالى عنها حال كونه أربع مائة من الدنانير أي دفعه إلى وكيلها خالد بن سعيد فدفعه خالد إليها. وفي المستدرک أنه أمهرها عنه أربعة آلاف دينار وسكت عليه الذهبي فى تلخيصه.

وفي أبي داود أربعة آلاف درهم، وفى نسخة من العيون تسعمائة دينار، قال فى النور وهو غلط انتهى من الزرقاني.
(وعام سبع أهديت لأحمداً)

يقال أهدى العروس إلى زوجها وهداها، واهتداها أي زفها إليه، والظرف متعلق بأهديت كالمجورور يعنى أن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها تزوجها المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم عام سبع من الهجرة وأهديت أي زفت إليه فى ذلك العام وهذا هو الذى صححه فى الإصابة واقتصر عليه المناوي فى شرح السيرة العراقي وهو الذى رواه ابن سعد، وقال أبو عبيدة تزوجها سنة ست. قال اليعمرى وليس بشيء، قال الزرقاني والأول أشهر.

(وموتها فى عام مد قد بدا)

موتها مبتدأ وخبره بدا أي ظهر. يعنى أن رملة رضي الله تعالى عنها ماتت عام مد وهو أربع وأربعون من الهجرة فالميم أربعون والبال أربعة وهذا هو الذى صدر به فى المواهب وجزم به ابن سعد وأبو عبيد ورجحه البلاذري. وقال ابن حبان سنة اثنين وأربعين، وقاله ابن قانع وابن مندة. وقال ابن أبي خيثمة سنة تسع وخمسين، قال فى الإصابة

وهو بعيد، وقيل ماتت سنة خمسين وقيل سنة خمس وخمسين
والصحيح أنها ماتت بالمدينة وقيل بدمشق نقله الزرقاني. واقتصر
الناوي على أنها توفيت بالمدينة سنة أربع وأربعين.
(وكم حوت من شرف صفية لما غدت لأكرم البريه
زوجا....)

كم هنا تكثرية مفعول حوت أي جمعت، ومن شرف مبين لكم، وصفية
فاعل حوت، وغدت بمعنى صارت واسمها ضمير يعود على صفية
وخبرها قوله زوجها، والبرية الخلق، وقوله لأكرم متعلق بالخبر. ومراده
أن أمنا صفية رضي الله تعالى عنها جمعت كثيرا من الشرف أي العلو
حين صارت من أزواج أكرم الخلق صلى الله تعالى عليه وسلم وهي بنت
حيي بضم الحاء وتكسر وتحتيتين الأولى مخففة ابن أخطب بفتح
الهمزة وسكون المعجمة وفتح الطاء المهملة ابن سعية بفتح السين
وسكون العين المهملتين ومثناة تحتية بن ثعلبة بن عبيد، من سبط لؤي
بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام.
قال الحافظ ولد صفية مائة نبي ومائة ملك، ثم صيرها الله تعالى
لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أبوها سيد بنى النضير، قتل
مع بنى قريظة وأمها ضرة بفتح الضاد المعجمة وبتشديد الراء فتاء
تأنيث، بنت سموال بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وفتح
الهمزة وباللام. قال البرهان لا أعلم لها إسلاما والظاهر هلاكها على
كفرها.

نعم أخوها رفاعة صحابي وكانت صفية تحت سلام بن مشكم القرظي
ثم فارقها فكانت تحت كنانة بكسر الكاف ونونين ابن أبي الحقيق بضم
المهملة وفتح القاف مصغر فقتل عنها وهو عروس يوم خيبر في المحرم
سنة سبع من الهجرة.

(وكانت سببيت من خيبرا فاختارها لنفسه خير الوري)
الوري العباد وخير فاعل اختار والضمير المنصوب لصفية يعنى أن
صفية رضي الله تعالى عنها من سبي أهل خيبر واصطفأها صلى الله

تعالى عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها كما أشار له بقوله:

(وعتقها مهرًا لها حقًا جعل)

قوله جعل مبني للفاعل وفاعله ضمير يعود علي قوله خير الوري وعتقها بالنصب مفعول جعل وكذا قوله مهرًا وحقًا مصدر منصوب بعامل محذوف وجوبًا لأنه مؤكد لمضمون الجملة ويمنع تقدمه على الجملة على الأصح كما في التسهيل.

قال الدماميني وعبارته في المتن توهم تجويز التوسط ولكن كلامه في الشرح يرفع هذا الإيهام، فيمنع التوسط انتهى، وبعضه بالمعنى. وللشيخ الجكني:

ما وكسد النفس أو العين منع تقديمه وقيل أيضًا متسع وتقدير العامل المحذوف هنا حقًا ذلك حق.

وأشار بذلك إلى ما روي من أنه عليه السلام لما جمع السبي يوم خيبر جاء دحية بكسر الدال وفتحها ومعناه بلغة اليمن الشريف ورئيس الجند وهو ابن خليفة الكلبي، فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية، فجاء رجل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أعطيت دحية بنت حيي سيدة بنى قريظة والنضير وذلك لأن أمها ضرة بنت السموأل سيدة بنى قريظة وأبوها حيي وهو سيد بني النضير، لا تصلح إلا لك، قال ادعوه بها، فجاء بها فقال عليه السلام له خذ جارية من السبي غيرها. وروي أنه أعطى دحية أخت كنانة بن الربيع زوج صفية، قال أنس واعتقها وتزوجها؛ فقال له ثابت البناني ما أصدقها يا أبا حمزة؟ قال نفسها اعتقها وتزوجها. للطبراني عنهما اعتقني صلى الله تعالى عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا عند الأكثر من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم، وذهب أحمد والحسن وابن المسيب وغيرهم إلى جوازه لغيره، قاله الزرقاني. ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم سد الصهباء حلت له وجهتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح عروسا وسد الصهباء

بفتح السين وضمها على بريد من خيبر وأهدتها بالهمز وفي رواية بإسقاطها وهو صواب وفي رواية فقال الناس لا ندري أتزوجها أم جعلها أم ولد. قالوا ان حجبها فهي امرأته فلما أراد أن يركب حجبها. وفي رواية عن انس فانطلقنا حتى رأينا جدار المدينة هششنا إليها فدفعنا مطايانا ودفع صلى الله عليه وسلم مطيته وصفية خلفه قد أردفها، فصرع وصرعت أي وقعت فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها، حتى قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسترها، قال فدخلنا المدينة فخرج جوارى نسائه يتراءينها ويشمتن بفتح الميم أي يفرحن بصرعها.

وروي أنه عليه السلام قبل أن يتزوجها قال لها هل لك في؟ قالت يا رسول الله كنت أتمنى ذلك في الشرك فكيف إذا أمكنني الله منه في الاسلام.

وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رأي بعينها خضرة فقال ما هذه الخضرة؟ فقالت كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت قمرا وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب. وفي رواية أنها ذكرت الرؤيا لأبيها فلطمها وأنه قال لها إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب. فلم يزل ذلك الأثر في وجهها حتى سألها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته.

وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بنى بها أقام ثلاثا وأولم عليها بتمر وسمن وسويق. وعنهما أنه عليه السلام لم ينم ليلة بنائه بها. ولم يزل يتحدث معها. وروى الترمذي أنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكي فقد بلغني أن عائشة وحفصة قالتا نحن أكرم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها، نحن أزواجه وبنات عمه. فقال لها ما يبكيك؟ فذكرت له ذلك. فقال ألا قلت وكيف تكونان خيرا مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم؟
(وعام خمسين بها الموت نزل)

يعني أن أمنا صفية رضي الله تعالى عنها توفيت عام خمسين من الهجرة في رمضان في زمن معاوية ودفنت بالبقيع ولها نحو ستين سنة لأنها قالت ما بلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد، وقيل ماتت سنة اثنين وخمسين في زمن معاوية أيضا وقيل سنة ست وثلاثين. قال في الإصابة وهو غلط فإن علي بن الحسين لم يكن ولد وقد ثبت سماعه منها في الصحيحين انظر الزرقاني.

(وعام سبع بعد فتح خيبراً ميمونة نكحها معتمراً) قوله عام منصوب على الظرفية متعلق بنكح، وكذا قوله بعد، وميمونة مبتدأ وخبره نكحها، ومعتمراً حال من فاعل نكح، يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج أمنا ميمونة رضي الله عنها بعد فتح خيبر وكان فتحها في صفر سنة سبع من الهجرة على الراجح، وكان تزوجه بها بمكة وهو محرم بعمره القضية في ذي القعدة وعلى هذا فيكون تزوجها بعد صفر الذي فتحت فيه خيبر بثمانية أشهر والله تعالى أعلم.

فيقال أنه عليه السلام أرسل جعفر بن أبي طالب يخطبها له، وجعلت أمرها إلى العباس فأنكحها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محرم، بهذا جزم ابن عباس في هذه الرواية وقد رواه عنه مالك والأئمة الستة وزاد في رواية البخاري في عمرة القضاء وبه احتج الحنفية على جواز نكاح المحرم وإنكاحه غيره، وأجاب الجمهور بأن قول ابن عباس وهم وإن كانت خالته كما قاله ابن المسيب. قال ابن عبد البر الرواية أنه تزوجها وهو حلال، متواترة عن ميمونة نفسها، وعن أبي رافع وسليمان بن يسار مولاها ويزيد بن الأصم ابن أختها وهو قول جمهور علماء المدينة وما أعلم أحدا من الصحابة روى أنه تزوجها وهو محرم سوى ابن عباس والقلب إلى رواية الجماعة أميل لأن الواحد إلى الغلط أقرب انتهى. وسبقه إلى نحوه الإمام الشافعي وعلى أنه ليس بوهم فهو من خصائصه عند الجمهور النكاح حال الإحرام فلا يعارض قوله صلى

الله تعالى عليه وسلم المحرم لا ينكح ولا ينكح رواه مسلم.
قال العلامة محمد بن عبد الباقي وفي الموطأ عن سليمان بن يسار أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث أبا رافع موله ورجلا من الأنصار فزوجه ميمونة، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة قبل أن يخرج مرسل وصله الترمذي وحسنه والنسائي عن سليمان عن أبي رافع، وفي صحيح مسلم من طريق يزيد بن الأصم عن ميمونة: تزوجني صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن حلالان بسرف. قال يزيد وكانت خالتي وخالة ابن عباس.

زاد الحافظ البرقاني بفتح الموحدة بعد قوله تزوجه حلالا وبنى بها حلالا فسقط الجميع بأنها لا تنافى بين رواية ابن عباس بحملها على العقد وبين روايتها لحملها على البناء. وقد رجحت روايتها على رواية ابن عباس بأنها أعلم بنفسها وبأنها امرأة كاملة وهو ابن عشر سنين. وقد تواتر عن أبي رافع، وكان السفير بينهما أنه حلال فروى الترمذي وابن خزيمة وابن حبان عن أبي رافع قال تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت أنا الرسول بينهما وعلى هذا فيحمل قول ابن عباس وهو محرم على أنه داخل فى الحرم، أو فى الشهر الحرام لأنه عربي فصيح، والعرب تقول أحرم إذا دخل الحرم وأنجد إذا دخل نجدا كما قال الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما فدعى فلم أر مثله مجدولا
ذكر هذا الباجي فى شرح الموطأ ونقله السهيلي عن بعض شيوخه
وقال فالله تعالى أعلم أراد ذلك ابن عباس أم لا. وعلى هذا فيكون عقد عليها فى الحرم بعد انقضاء العمرة ثم خرج من الحرم الى سرف وبنى بها فيه وهي بنت الحارث بن حزن بفتح المهملة وسكون الزاي فنون ابن بجير بموحدة وجيم وراء مصغر ابن هزم بضم الهاء وفتح الزاي وميم ابن روبة بضم الراء وفتح الهمزة وتبدل واوا ابن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح المعجمة وفتح الصاد المهملة ففاء بن قيس عيلان بن

مضر وأمها هند قال البرهان لا أعلم لها إسلاما. وفي الإصابة أمها خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماسة الحميري، وكانت قبله عليه السلام عند أبي رهم، بضم الراء وسكون الهاء بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود من بنى عامر بن لئى وأبو عامر، قال البرهان لا أعلم له إسلاما. فمات عنها وقيل بل كانت عند أخي أبي رهم حويطب بن عبد العزى وأسلم يوم الفتح وقيل عند فروة أخيهما وليس بصحابي، وقيل كانت عند عبد الله بن أبي رهم وأخوات ميمونة وأمها وأبيها، لبابة الكبرى بضم اللام وخفة الموحدين من السابقين الأولين زوجة العباس ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد صحابية وتلقب عصماء وعزة صحابية أيضا وهزيمة بالزاء مصغرا أم حفيد بالفاء مصغر صحابية أيضا كما في الإصابة وذكر اليعمري أن عصماء غير لبابة الصغرى وتبعه الشامي وزاد أنها كانت تحت أبي بن خلف وجرى عليه البرهان وقال لم يعرف لعصماء إسلام لكن الأول به جزم في الإصابة وكونها زوجة أبي لا يمنع كونها أم خالد فيكون أبي نكحها بعد الوليد، وأختها أمها أسماء بنت عميس الصحابية زوجة جعفر مات عنها وخلف عليها أبو بكر ثم مات عنها، فخلفه عليها علي وأختها سلمى بنت أبي عميس صحابية أيضا كانت تحت سيد الشهداء حمزة فخلفه عليها شداد بن الهادي الليثي ومن أخواتها أمها أيضا سلامة بالتخفيف بنت عميس ولم يعرف لها إسلام وحكى الجرجاني أن زينب أم المساكين بنت خزيمة أختها أمها أيضا وكان يقال أكرم عجوز في الأرض أصهارا بنت عوف انتهى من الزرقاني والمواهب.

(وبعد عوده بها كان البناء في سرف...)

بفتح السين وكسر الراء المهملتين فقباء موضع على عشرة أميال وقيل ستة من مكة والعود الرجوع وكان تامة وبها يتعلق بقوله البناء يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حصل بناؤه بأمننا ميمونة بعد رجوعه من عمرة القضية بموضع يقال له سرف، وروي أنها لما انتهت إليها خطبته صلى الله تعالى عليه وسلم لها وكانت راكبة، رمت بنفسها

من فوق البعير وقالت البعير وما عليه لله ولرسوله.
وري أنه عليه السلام لما أقام بمكة، ثلاثاً أتاه حويطب بن عبد العزى وسهيل بن عمرو وأسلما بعد فى نفر من قريش فى اليوم الثالث وقالوا له قد انقضى أجلك فاخرج عنا فقال وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعاماً فحضرتموه، فقالوا لا حاجة لنا بك ولا بطعامك. فغضب سعد بن عبادة وقال لسهيل بن عمرو كذبت ليست بأرضك ولا أرض أبيك والله لا يبرح إلا طائعا راضيا. وفى رواية أنه قال له يا عاض بظر أمه فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا سعد لا تؤذي قوما زارونا فى رحالنا، فخرج وخلف أبا رافع على ميمونة فأقام حتى أمسى فخرج بها فلقيت من سفهاء قريش عناء فأتاه بها بسرف.

(... وكان ذاك مدفنا لها...)

الإشارة للموضع الذى بنى فيه بها يعنى أنها رضى الله تعالى عنها دفنت فى موضع قببتها التى بنى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها باتفاق قاله الزرقاني وقبرها مشهور يزار ويتبرك به قاله المناوي. وقوله مدفنا بكسر الفاء لأنه من دفنه كضرب.
(وكانت آخر النساء تزوجا له بلا امتراء)
اسم كان ضمير ميمونة وآخر بالنصب خبرها وتزوجا تمييز والامتراء الشك يعنى أنها هي آخر من تزوج صلى الله تعالى عليه وسلم بلا شك.

وللعراقي:

بنت أبي سفيان وهي رملة أم حبيبة تلى صفية
من بعدها فبعدها ميمونة حلا وكانت كاسمها ميمونة
وقوله صفية بالرفع فاعل ومفعوله محذوف أي تليها أي أم حبيبة قال
المناوي وكانت ميمونة اسمها برة وسمها ميمونة، وقوله وكانت
كاسمها ميمونة أي مباركة، وهي آخر من تزوج. ومن العجيب أنه
تزوجها بسرف وماتت بسرف، انتهى كلامه.

(عليه أذكى) أي أكثر (صلوات ربه) أي رحماته المقرونة بالتعظيم (والآل والأزواج) آل فيهما خلف عن الضمير أي وعلى آله وأزواجه، (ثم صحبه).

(وعام خمسين وواحد نزل بها الحمام عندما حان الأجل) عام منصوب على الظرفية بنزل والحمام بكسر الحاء الموت والأجل. قال فى القاموس الأجل محركة غاية الوقت في الموت وحان الشيء أن انتهى.

ومعنى كلامه أنها نزل بها الموت حين حضر أجلها وهو آخر مدة حياتها سنة إحدى وخمسين سنة من الهجرة النبوية وهذا هو الصحيح. وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها وقال ابن عباس لمن معه هذه زوجة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا رفعتم نعشها فلا تززعوها ولا تزلزلوها وارفقوا.

وقيل ماتت سنة إحدى وستين وقيل ثلاث وستين، وقيل ست وستين. قال البرهان هو باطل.

(ومهر كل كان خمسمائة من الدراهم سوى صافية ورملة فإنه تقديما بيان ما أصدق كلا منهما) يعني أن مهر كل واحدة من أزواجه عليه السلام أي صداقها كان خمسمائة درهم، فضة إلا أمنا صافية فقد مر للناظم أن مهرها عتقها وإلا رملة بنت أبي سفيان فقد قدم الناظم أن النجاشي أصدقها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أربعمائة دينار.

وقد قدمنا عن المستدرك عن الحاكم أنه أصدقها أربعة آلاف دينار وقيل غير ذلك. وقد مر أن خديجة أصدقها عنه أبو طالب اثنتي عشرة أوقية ذهباً ونشاً، والنش بفتح النون وشد المعجمة نصف أوقية. قال الزرقاني: قالوا وكل أوقية أربعون درهما فجملة الصداق خمسمائة درهم شرعى والصداق ذهب ولا ينافيه التعبير بالدرهم لأنه بيان للوزن فلا يستلزم كون الصداق فضة.

وذكر الدولابي أنه أصدقها أربعين أوقية ذهباً ونشاً. وعن المتنقى أنه

أصدقها أربعمائة دينار ومرت عن المواهب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة من ماله أي زيادة على ما دفعه أبو طالب والله تعالى أعلم.

وفي المواهب بعد ذكر أزواجه هؤلاء رضي الله تعالى عنهن ما نصه: هؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر انتهى.

قال الزرقاني عقب قوله لا خلاف في ذلك أي دخوله بهن وإن اختلف في أن جويرية سرية والراجح أنها زوجة، قال ولا شك أنهن زوجاته في الآخرة بنصه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أحد التعاليل في حرمتهن علي غيره وأما اللاتي فارقهن في الحياة دخل بهن أم لا، ففي فتاوي النجم يحتمل أنه كذلك ويؤيده أن الراجح حرمتهن على غيره، المعلن بما ذكر، ويحتمل خلافه خصوصا في المستعيضة ومن لم يردّها واختارت الحياة الدنيا ويؤيده ما روى أن المستعيضة تزوجت بعده لكنه ضعيف، انتهى.

وللعراقي بعد ذكره لزوجاته المذكورات:

وابن المثني معمّر قد أدخل	في جملة اللاتي بهن دخلا
بنت شريح واسمها فاطمة	عرفها بأنها الواهبة
ولم أجد من جمع الصحابه	ذكرها ولا بأسد الغابه
وعلها التي استعازت منه	وهي ابنت الضحاك بانت عنه
وغير من بنى بها أو وهبت	إلى النبي نفسها أو خطبت
ولم يقع تزويجها فالعدة	نحو الثلاثين فخلف اثبتوا

وقوله الواهبة أي المذكورة في القرءان وأسد الغابة في معرفة الصحابة ولابن الأثير ولم يذكرها مع إحاطته واستيعابه وقوله علها أي لعلها التي استعازت منه حين دنا ليقبلها وهي فاطمة بنت الضحاك ابن سفيان الكلابي، وقيل ان الواهبة نفسها أم شريك العامرية وقيل غير ذلك وقوله وغير من بنى بها إلخ.. أي عقد عليها ولم يدخل بها أو وهبت نفسها له أو خطبها ولم يعقد عليها انتهى المراد من شرحه.

ولما انتهى الكلام على أزواجه المطهرات أتبعه بذكر ابنائه الكرام
وبناته المكرمات عليه وعلى الجميع أطيب الصلوات فقال:
(بيان أولاد النبي أحمد صلى عليه ربنا ومجدا)
قوله بيان خير مبتدأ محذوف والبيان الإظهار والأولاد جمع ولد يقع
على الذكر والأنثى والنبي صلى الله عليه وسلم سبق تفسيره فى صدر
الكتاب والرب المالك والمبلغ للشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً والمجد
الرفعة والشرف ومجده رفع قدره وشرفه دعاء بلفظ الخبر.

(أبناءؤه أربعة فيمما ورد على اختلاف جاء فى هذا العدد)
يعنى أن أبناءه صلى الله تعالى عليه وسلم وأولاده الذكور أربعة، مع
اختلاف، جاء عن أهل السير فى هذا العدد وهو كونهم أربعة والأصح أنهم
ثلاثة فقط كما فى العراقي وهو قول الزبير بن بكار وهو قول أكثر أهل
النسب كما قاله الحافظ أبو عمر بضم العين يوسف بن عبد الله بن
محمد بن عبد البر الشهير بكنيته والنسبة إلى جد أبيه وقال
الدارقطني هو الأثبت ولذا اقتصر عليه اليزيد بن عياض وكونهم أربعة
هو قول ابن اسحاق، وقيل كانوا سبعة القاسم وإبراهيم وعبد الله
والطيب والطيب بضم الميم وفتح المهملة والتحتية الثقيلة، ولدا
توأمين والطاهر والمطهر اسم مفعول ولدا توأمين أيضاً ذكره ابن
الجوزي وابن البرقي والذى اتفق عليه من الذكور كما فى المواهب اثنا
وهما القاسم وإبراهيم فقط وأما قول المواهب وقيل ولد له قبل المبعث
أى من خديجة ولد يقال له عبد مناف انتهى، فقال عليه الزرقاني.

روى الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة وقال فى الميزان هذا افتراء
الهيثم على هشام والهيثم كذبه البخاري وأبو داود وآخرون وقال
القطب الحلبي لا يجوز لأحد أن يقول هذه التسمية وقعت بين النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزرقاني وعلى المؤلف مؤاخذه فإن
مثل هذا لا يذكر مع السكوت عليه انتهى.

(فالقاسم الذى به قد كنيا)

القاسم مبتدأ وخبره محذوف أى أكبرهم، أو خبر مبتدأ محذوف

يعنى أن القاسم هو اكبر أولاده صلى الله عليه وسلم وهذا هو الأصح الذى جزم به الزبير بن بكار وجزم به فى الإصابة ولد قبل البعثة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى ولم يبلغ حولين وقيل عاش سنتين وقال ابن المفضل الغلابى بالمعجمة وتخفيف اللام وموحدة عاش سبعة عشر شهرا سبعة أشهر منها بعد البعثة وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث والله تعالى أعلم انظر الزرقاني.

وقوله كنيا تخفيفه أنسب بقوله دعيا الآتي، (وبعد عبد الله) بعد بالضم لقطعه عن الإضافة خبر المبتدأ بعده أي وعبد الله بعد قاسم ولد بعد النبوة ومات بمكة صغيرا، (أيضا دعيا بالطيب الطاهر) قوله أيضا منصوب بدعا على المفعولية المطلقة ومعنى دعى سمي قل أدع الله (الآية)، ونائبه ضمير يعود على عبد الله أي أنه كما سمي بعبد الله يسمى أيضا بالطيب وبالطاهر، أسماؤه ثلاثة وهو واحد كما أشار له بقوله (فاللفظان مترادفا) أي اتفقا فى المعنى لاتحاد مسماهما على هذا القول وهو عبد الله. قال الزبير بن بكار، بن عبد الله بن مصعب بن ثابت، بن عبد الله، بن الزبير، بن العوام، حدثنى عمى عن مصعب قال ولدت خديجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم القاسم والطاهر، وكان يقال له الطيب واسمه عبد الله.

(وقيل بل غيران) أي وقيل الطيب والطاهر متباينان لاختلاف مسماهما وكل منهما موضوع لذات غير الذات التى وضع لها الآخر فكان له عليه السلام على هذا القول أربع ذكور: القاسم والطاهر والطيب وإبراهيم. قال فى المواهب اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة: القاسم وإبراهيم وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن واختلف فيما سوى هؤلاء فعند ابن اسحاق الطاهر والطيب أيضا فتكون على هذا ثمانية أربعة ذكور وأربعة إناث وقال الزبير بن بكار كان له عليه الصلاة والسلام سوى إبراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة يقال له الطيب والطاهر، ثلاثة أسماء وهو قول أكثر أهل النسب، قاله أبو عمر وقال الدارقطنى

وهو الأثبت ويسمى عبد الله بالطيب والطاهر لأنه ولد بعد النبوة فعلى هذا فتكون جملتهم سبعة ثلاث ذكور وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر وإبراهيم فتكون جملتهم تسعة، خمسة ذكور انتهى المراد. وفي الحلة السيرا وأما أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم فأربعة: القاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب، فهؤلاء ماتوا وهم يرضعون وإبراهيم وهو ابن مارية القبطية انتهى.

وقال الشيخ حسن العدوي بعد قول صاحب دلائل الخيرات أبو الطاهر أبو الطيب هما كنيّتان له صلى الله تعالى عليه وسلم والطاهر والطيب لقبان لواحد على الصحيح اسمه عبد الله، قال فى المواهب وهذا هو الصحيح وغيره تخطيط انتهى.

وقال الشيخ محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي فى مطالع المسرات بعد ذكر دلائل الخيرات لكُناه صلى الله تعالى عليه وسلم الأربعة ما نصه والكنى الأربع تكنية له بأولاده الثلاثة أو الأربعة، على الخلاف فى الطاهر والطيب هل هما لواحد سمي عبد الله وبالطاهر والطيب لولادته فى الإسلام وهو الصحيح، أو هما لولدين أحدهما الطاهر والآخر الطيب وهو قول ابن اسحاق والله تعالى أعلم. وقال العراقي:

كـان له ثلاثة بنونا	القاسم الذى به يكنوننا
بمكة قبل النبوة ولد	والطيب الطاهر وهو واحد
وهو الصحيح واسمه عبد الله	وقيل بل هذان الابنان سواء
والثالث إبراهيم بالمدينة	عاش بها عاما ونصف سنة

انتهى المراد.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه قد مرّ عن القسطلاني أن عبد الله ممن اختلف فيه، وظاهر كلامهم أن أولاده عليه السلام على القول بأنهم أربعة ذكور: القاسم والطاهر والطيب وإبراهيم ويسقط عبد الله، وعلى أنهم ثلاثة فمنهم القاسم وإبراهيم وعبد الله ويلقب بالطاهر وبالطيب،

لولادته فى الإسلام فصلح له اللقبان. وعلى أنهم خمسة فعبد الله غير الطاهر وغير الطيب أربعة من خديجة والخامس إبراهيم. وعلى هذا فقول الناظم: «وقيل بل غيران» أي مسماهما متباين ويسقط عبد الله والله تعالى أعلم. وعلم مما مر أن كون الذكور ثلاثة هو الراجح جدا.

(ورابع البنين إبراهيم عليهم الرضوان والتسليم)
الرضوان هنا صفة فعل ومعناه الإنعام والإحسان وعلى أنه صفة ذات فهو إرادة إنعام خاص ومثله المحبة فى هذا الخلاف لكن إن دعي به تعين فيه المعنى الأول كما صرح به السنوسي يعنى إنا إذا فرعنا على قول ابن اسحاق الذى صدر به الناظم من أن ابنائه عليه السلام الذكور أربعة يكون الرابع إبراهيم والثلاثة غير القاسم والطاهر والطيب ويكون الناظم ذكر القول بأنهم ثلاثة بصيغة تفيد ترجيحه وهي قوله «فاللفظان ترادفا». وذكر فى آخر كلامه القول فى صيغة التمرىض ففي كلامه شبه تدافع والرضوان انعام خاص والتسليم مصدر سلمه إذا أمنه.

(ميلاده) الضمير لإبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام مبتدأ وخبره قوله (بطيبة المرضية) وطيبة من أسماء المدينة ويقال لها طابة والطيبة بشد التحتية واسماؤها كثيرة. وكفى فى كونها مرضية أن الله تعالى رضىها مسكنا لخيرته من جميع خلقه دنيا وبرزخا وهي أفضل عندنا من مكة المشرفة، وقيل مكة أفضل والخلاف إنما هو فى غير البقعة التى ضمته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي أفضل بإجماع حتى من الكعبة كما أن الكعبة أفضل بلا خلاف من غير ما احتوى على الذات الشريفة من المدينة ولأبي عمران الفاسي:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحوأها
(وأمه مارية القبطية) يعنى أن إبراهيم بن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمه مارية بتخفيف التحتية وهي قبطية نسبة إلى القبط نصارى مصر، وهي من حفن انصنا وحفن بفتح المهملة وسكون الفاء ونون مدينة، قال فى الفتح وهي الآن كفر (القرية) وفى الحديث

« تخرجكم الروم منها كفرا كفرا » (أي قرية قرية) من عمل انصنا بالبر الشرقي من الصعيد فى مقابلة الأشمونيين انتهى نقله الزرقاني. وفى القاموس القبط بالكسر أهل مصر وإليهم تنسب الثياب القبطية بالضم على غير قياس وقد تكسر ثم قال ومنهم مارية القبطية أم ابراهيم انتهى. وهي بنت شمعون بفتح المعجمة وسكون الميم وبالعين المهملة وقيل بإهمالهما وقيل بإعجامهما وأما من الروم وأهداها له المقوقس صاحب مصر والأسكندرية واسمه جريج بن مينا مات على نصرانيته وأهدى له معها أختها سيرين بكسر السين والراء المهملتين بينهما تحتية ساكنة وخصيا يقال له مابور بميم فألف فموحدة فواو ساكنة فراء ويقال هابوا بهاء بدل الميم وبغير راء فى آخره قيل انه أخو مارية وقيل ابن عمها وأسلم وحسن إسلامه وكانت مارية بيضاء جميلة. وروى أن المقوقس لم يجد فى مصر أجمل ولا أحسن من مارية وأختها فأهداهما. وروى ابن سعد عن عائشة ما غرت على امرأة إلا دونما غرت على مارية أعجب بها صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أنزلها أولا بجوارنا فكان عامة الليل والنهار عندها ثم حولها إلى العارية وكان يختلف إليها هناك، وكان ذلك أشد علينا انتهى.

وأهدى معهم ألف مثقال ذهب وعشرين ثوبا ليينا وبغلة شهباء وهي لدل وحمار أشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من غسل بنهى بكسر الموحدة وفتحها وسكون النون وبالقصر قرية من قرى مصر ودعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة فى غسل بنها ولم تزل كثيرة الغسل حتى الآن ووهب عليه السلام سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن. ومن مناقب مارية تبرة الله تعالى لها ولقريبها فروي انه عليه السلام دخل عليها وهي حامل بإبراهيم فوجد عندها نسيبا لها فوقع فى نفسه شيء فخرج فلقيه عمر فعرف ذلك فى وجهه، فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف فكشف عن نفسه فرأاه محبوبا ليس بين رجليه شيء فرجع عمر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره فقال

صلى الله تعالى عليه وسلم إن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله تعالى قد برأها وقريبها مما وقع فى نفسى وأن فى بطنها غلاماً منى وأنه أشبه الناس بى وأمرنى أن أسميه بإبراهيم وكنانى أبا إبراهيم، انظر الزرقاني.

(كانت خير مرسل سرية) قوله سرية بضم السين وكسر الراء المشدد مشتقة من التسرر وأصله من السر وهو من أسماء الجماع، سميت بذلك لأنها يكتُم أمرها عن الزوجة غالباً، وضمت للفرق بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا، فهي من تغيير النسب وقال الأصمعي من السرور لأن مالكها يسر بها والضم قياسى وروى أبو داود مرفوعاً عليكم بأسماء الأولاد وفى رواية بالسراري فإنهن مباركات الأرحام. وأفاد الناظم بهذا أنها كانت توطأ بملك اليمين ومع ذلك ضرب الحجاب وحملت بإبراهيم ووضعته سنة ثمان وماتت رضي الله تعالى عنها فى خلافة عمر سنة ست عشرة وقيل خمس عشرة ودفنت بالبقيع، انظر الزرقاني.

(صلى عليه خالق البريه)، الضمير المجرور عائِد على خير من قوله خير مرسل والبرية الخلق.

(وكلهم قبل البلوغ ماتوا حياياته كما روى الثقة) كلهم مبتدأ وخبره ماتوا وحياياته منصوب بنزع الخافض أي فى حياياته والثقة الأثبات أخبر أن كل واحد من أولاده الذكور صلى الله تعالى عليه وسلم مات فى حياياته عليه السلام قبل البلوغ وراعى الناظم معنى كل، فجمع الضمير فى قوله ماتوا وللشيخ الجكني:

وإن تضيف كل إلى معرف فبينما الوجهين تضيير قفى والوجهان هما اعتبار اللفظ واعتبار المعنى وفى التنبيه عن المرادى أن المسموع فى المضاف لفظاً إلى معرفة إنما هو اعتبار اللفظ نحو وكلهم ءاتيه يوم القيامة . قال ولا يكاد يوجد فى لسان العرب كلهم يقومون انتهى.

وقد مر بأبسط من هذا عند قوله « وكلهن كن فى ذي القعدة ». أما

القاسم فقد مر أنه لم يبلغ حولين وقيل عاش سنتين وقيل عاش سبعة أيام وخطاه المفضل الغلابي وقال انه عاش سبعة عشر شهرا سبعة منها بعد البعثة وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة وأما عبد الله فمات صغيرا ولم تعلم مدة حياته وأما ابراهيم فتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره أبو داود فعليه يكون مات سنة تسع لأنه ولد باتفاق في ذي الحجة سنة ثمان ونقل صاحب النوادر أن رواية كونه عاش سبعين يوما وهم وجزم الواقدي بأنه مات سنة عشر، وفي البخاري عن عائشة عاش سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرا على الشك. وعند أحمد عنها بسند حسن ثمانية عشر شهرا بالجزم. وكذا عنده عن جابر فهو أرجح الأقوال وحمل على سرير صغير من بيت مرضعته إلى البقيع، وصلى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبقيع، وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروي ان الذي غسله أبو بردة هانئ الأنصاري وروي أنه الفضل بن عباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل في قبره الفضل وأسامة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على شفير القبر فرأى فرجة فناول الحفار مدرة فقال انها لا تضر ولا تنفع ولكنها تقر عين الحي، ورش قبره بماء بعد تمام دفنه وكانت أم رافع مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم قابله وبشر أبو رافع زوجها به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين وسماه يومئذ وتصدق بزيينة شعره ورقا ودفنوا شعره بالأرض ولما ولد تنافست الأنصار فيمن ترضع منهن إبراهيم فإنهم أحبوا ان يفرغوا مارية له عليه الصلاة والسلام مما يعلم من ميله لها، فأعطاه لأم بردة خولة بنت المنذر من بنى النجار زوجة البراء ابن أوس فكانت ترضعه في بنى مازن من النجار وترجع به إلى أمه وأعطى عليه السلام أم بردة قطعة نخل رواه ابن سعد والزبير بن بكار، وفي البخاري عن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولد لى الليلة غلام سميته باسم أبي إبراهيم ثم دفعته إلى أم سيف، امرأة قين بالمدينة يقال له أبو سيف. قال عياض هو البراء بن أوس وزوجته أم سيف هي أم بردة وتعقبه الحافظ بأنه لم

يصرح أحد من الأئمة بأن البراء يكنى أبا سيف ولا بأن أبا سيف يسمى البراء. انتهى.

قال الزرقاني وحاصل ما ذكره هنا يعنى القسطلاني تبعا للحافظ أنهما امرأتان على الصحيح، وجعلهما عياض امرأة واحدة، وفي البخاري عن أنس دخلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أبى سيف القين، وكان ظئرا لإبراهيم فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجول بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله؟ فقال يابن عوف انها رحمة. ثم اتبعها بأخرى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون. والقين الحداد ويطلق على كل صانع من قان الشيء إذا أصلحه ويجود بنفسه أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله يجود به وانكسفت الشمس يوم موت إبراهيم فقال الناس إنما كسفت لموت إبراهيم فقال عليه السلام إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والغالب أن الكسوف يكون فى الثامن والعشرين والتاسع والعشرين فكسفت يوم موته فى العاشر من الشهر عند الأكثر. وقيل فى رابعه فلذلك قالوا كسفت لموته. وفى كونه فى ربيع أو رمضان أو ذي الحجة أقوال. ولما توفي قال عليه السلام كما فى مسلم ان له ظئرين يكملان رضاعه فى الجنة انتهى. أي يرضعهما بجسمه وروحه معا بخلاف سائر أطفال المؤمنين فيرضعون من شجرة طوبا وحاضنهم إبراهيم كما أخرجه ابن أبى الدنيا وابن أبى حاتم. وعن أنس موقوفا عليه أنه قال لو بقي -يعنى إبراهيم- لكان نبيا ولكن لم يبق. لأن نبيكم آخر الأنبياء. قال الطبري وهذا إنما يقوله أنس عن توقيف يخص إبراهيم لأنه لا يلزم أن يكون ابن النبي نبيا. وقال النووي ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبيا فباطل؛ وجسارة على الكلام عن المغيبات انتهى.

قال الحافظ فى الإصابة عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده على ثلاثة من الصحابة: ابن عباس مرفوعا وأنس ابن أبي أوفى موقوفا لفظا، وحكمه الرفع، لأنه لا يقال رأيا وكأنه لم يظهر له وجه تاويله فقال ما قال وجوابه أن قضية الشرطية لا تستلزم الوقوع فى التنزيل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولا يظن بالصحابي المهجوع على مثل هذا بالظن لأنه إساءة ظن بمن عدله الله تعالى فى كتابه ورسوله فى حديثه انتهى.

والطرق الثلاثة أحدها ما أخرجه ابن ماجة والبيهقي عن ابن عباس لما مات ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا فى الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط. وفى سنده ابراهيم بن عثمان العبسي وهو ضعيف، لكن له شواهد منها ما عند ابن عساكر عن جابر يرفعه لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا. ومنها ما رواه اسماعيل بن السدي عن أنس لو عاش يعنى ابراهيم لكان نبيا، لكن لم يكن ليبقى فإن نبيكم آخر الأنبياء ومنها ما عند البخاري عن اسماعيل بن أبي خالد قال قلت يا عبد الله بن أبي أوفى رأيت ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال مات صغيرا، ولو قضي أن يكون بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكنه لا نبي بعده.

وأخرجه أحمد عن ابن أبي أوفى بلفظ لو كان بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبي ما مات ابنه ابراهيم انتهى. قال الزرقاني بعد هذه الأحاديث فهذا حديث صحيح تعددت طرقه، فكيف ينكر مع أن وجهه ظاهر والله تعالى أعلم.

وللعراقي بعد ما قدمته:

وقيل مع نقصان شهر وقضى	سنة عشر فرطا له مضى
ومات قساصم له عامان	وعسدة الأولاد من نسوان
أربعة إلخ.	

(أما بناته فأربع بلا خلف)، الخلف بالضم الإختلاف يعنى أن بناته

صلى الله تعالى عليه وسلم لم يختلف فى عددهن، بل هن أربع بالإجماع، (و) لكن، (فى الكبرى) منهن، (خلاف نقلاً) عن أهل السير، وبين الراجح من الخلاف فقال (أصح زينب) يعنى أن الأصح من الخلاف هو كون زينب أكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم. وعلى الناظم درك فى حكايته للخلاف لكون زينب هي أكبر البنات لأنه على تقدير وجوده بمكان من الشذوذ وكلامه يؤذن بأنه صحيح لما تقتضيه صيغة التفضيل من المشاركة. قال المناوي فى شرح العراقي ما نصه وهي أكبر بناته اتفاقاً ولا عبرة بمن شذ، وفى المواهب أما زينب فهي أكبر بناته بلا خلاف إلا ما لا يصح وإنما الخلاف فيها وفى القاسم أيهما ولد أولاً انتهى بحروفه.

وقال الزرقاني أن أبا عمر بن عبد البر قال ولا أعلم فيه خلافاً.
(... ثم اختلفوا فيها وفى القاسم فيما وصفوا)
يعنى أن أهل السير اختلفوا فى القاسم وزينب أيهما ولد أولاً (فقال قوم هي) أي زينب (منه) أي من القاسم (أكبر) وصححه ابن الكلبي، وقدم الناظم المجرور على أفعل، وهي نزر مع الإخبار كقول الشاعر:
فقاتلنا أهلاً وسهلاً وزودت جنى النحل بل ما زودت منه أطيّب
(وقال قوم آخرون) من أهل السير منهم الزبير بن بكار فى طائفة زينب (أصغر) من القاسم وفى المواهب أما القاسم فهو أول ولد له عليه الصلاة والسلام. وفى الزرقاني عقبه ما نصه على الأصح الذى جزم به الزبير بن بكار، وصاحب الإصابة، فقال هو بكره انتهى بحروفه. وعلى هذا فاللائق بالناظم تقديمه والله أعلم.

وحذف الناظم المفضول للعلم به وهو كثير فى القرآن نحو ذلكم أقسط عند الله، (ورتب الثلاث فى الميلاد... وأف...) قوله رتب مبتدأ وخبره قوله وأف والرتب بضم الراء جمع رتبة بضمها وهي المنزلة يعنى أن منازل البنات الثلاث البواقي بعد زينب فى الولادة رمز إليها الناظم براء ثم ألف ثم فاء فكل حرف سابق لآخر فهو إشارة على أن البنات التى تقدم حرف من اسمها مولدها متقدم على مولد ما ذكر بعدها:

فالراء إشارة لرقية بضم الراء فهي أكبر من بعد زنيب ثم أم كلثوم من بعد رقية وإليها أشار بالآلف وبعد ذلك فاطمة الزهراء فهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وإليها أشار بالفاء، وقيل أن رقية أكبر من زنيب وقيل أن رقية أصغرهن والأصح ما ذكره الناظم. (وأسلمن بلا عناد) أي بلا خلاف، يعنى أن بناته صلى الله تعالى عليه وسلم أسلمن وهاجرن كلهن ولا خلاف فى ذلك.

(وفى ثلاثين لعام الفيل قد ولدت زنيب للرسول) زنيب نائب فاعل ولدت والمجرور الأول متعلق بولدت وكذا الأخير وأما المتوسط فالظاهر أنه موضع النعت لثلاثين، واللام بمعنى من أي ثلاثين كائنة من عام الفيل أي مبتدأة منه والله تعالى أعلم. ومراده أن زنيب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولدت سنة ثلاثين عاما من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر أنه ولد عام الفيل، وعن ابن اسحاق أنها ولدت فى سنة ثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام وأدركت الإسلام وهاجرت أي بعد بدر انتهى.

(وابن الربيع أنكحت) ابن بالنصب مفعول أنكحت ونائبه ضمير زنيب يعنى ان زنيب أنكحت لأبي العاصي أي زوجها له المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابن خالة زنيب وأمه هالة بنت خويلد صحابية استأذنت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعرف استيذان خديجة فارتاع وقال اللهم هالة كما فى البخاري.

واسم أبي العاصي لقيط بفتح اللام وكسر القاف وسكون التحتية فطاء قاله جماعة ورجحه البلادري وقيل مقسم بكسر الميم وسكون القاف وفتح المهملة حكاه ابن الأثير والسهيلي وجماعة وقيل مهشم بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الشين المعجمة حكاه فى الإصابة وقيل بضم أوله وفتح الهاء وكسر الشين الثقيلة، حكاه البغوي والزبير بن بكار وقيل اسمه الزبير وقيل قاسم حكاه السهيلي والحافظ وقيل ياسر بتحتية وسين مهملة حكاه ابن مندة وأبو نعيم وكونه ابن الربيع هو الصواب،

ورواه ابن بكر ومعن وأبو مصعب وغيرهم عن مالك وروى عنه الجمهور انه ابن ربيعة وادعى الأصيلي انه ابن ربيعة فنسبه مالك مرة إلى جده ورده عياض والقرطبي وغيرهما انتهى من الزرقاني. وقال المناوي والأصح أن اسمه لقيط.

(... فلما أرسل خير مرسل لما به قریش فی فراق زینباً فلم یجبهم للفراق بل أبی) لما اسم شرط والعامل فيه قوله ألم وأرسل مبني للمفعول ونائبه خير وألم به أي بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قریش نزلوا به أي أتوه یعنی أن أبا العاصي رضي الله تعالى عنه أتاه قریش حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يريدون منه أن يفارق زینب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامتنع من فراقها، (وأسلمت وهاجرت) أي أدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت بعد بدر كما رواه ابن إسحاق. وعند ابن سعد بسند صحيح من مرسل الشعبي انها هاجرت مع أبيها ويجمع بينهما بأن المعية مجازية ذكر ابن اسحاق وغيره أن أبا العاصي لما من عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أسر ببدر، وشرط عليه أن يبعث زینب إليه فوفى بذلك، كما فی المناوي وأمرها بالحق بأبيها، وذلك بعد بدر بشهر أو أكثر فتجهزت فحملها فی هودج على بعير ساقه بها أخوه كنانة بن الربيع ومعه قوسه وكنانته فخرج رجال من قریش فأدركوها بذی طوی فسبق إليها هبار بن الأسود وأسلم بعد ذلك فراعها بالرمح فوقعت وكانت حاملا فأسقطت فقام كنانة ونثر كنانته وقال والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهما، فتكركر الناس عنه وجاء أبو سفيان فی جلة قریش فقال كف عنا نبك حتى نكلمك فقال قد عرفت مصيبتنا ونكبتنا من محمد فيظن الناس أنك إذا خرجت بها علانية انه عن ذل من مصيبتنا، وما لنا بحبسها حاجة، لكن ارجع حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث ان قد رددناها سر بها سرا وألحقها بأبيها. ففعل فأقامت ليلال وخرج بها ليلال حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبها الأنصاري وكان عليه الصلاة

والسلام بعثهما وقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فأصحابها
حتى تاتياني بها، فقدموا بها عليه انتهى نقله الزرقاني.

(... وهاجرا) من بعدها فردها خير الوري
إليه بالعقد الذي قد سبقا على الأصح لا بثان لحقا

فاعل هاجر ضمير يرجع لأبي العاصي وخير بالرفع فاعل رد ومفعوله
ضمير زينب والوري العباد ومعنى كلامه أن أبا العاصي هاجر بعد
هجرة زينب فرد إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زوجته زينب
بعدها الأول لا بعقد جديد وذلك أنه عليه السلام بعث زيد بن حارثة في
جمادى الأولى سنة ست في سبعين ومائة راكب إلى العيص بكسر
المهملة يتعرض عيرا لقريش أقبلت من الشام فأخذوها وأسروا أناسا
فيهم أبو العاصي فقدموا بهم فاستجار أبو العاصي بزينب فأجارته
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد أجرت من أجرت، وقال لها أكرمي
مثواه ولا يخلصن إليك أي لا يطوئك فإنك لا تحلين له، ثم انه رد عليه
ماله بأسره فلم يفقد منه شيئا ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذى مال
ماله وقال هل بقي لأحد منكم عندي مال؟ قالوا لا. قال فإني أشهد أن لا
إله الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. ثم خرج وقدم
المدينة وقد مر بأبسط من هذا في البعوث. وقوله على الأصح بهذا صدر
في المواهب قيل ردها إليه بعد سنتين وقيل بعد ست سنين، وكونه
ردها إليه بالعقد الأول رواية ابن عباس وفي حديث عمرو بن شعيب
ردها بنكاح جديد سنة سبع قال السهيلي وهذا هو الذي عليه العمل وإن
كان حديث ابن عباس أصح اسنادا لكنه لم يقل به أحد من الفقهاء فيما
علمت لأن الإسلام فرق بينهما وجمع بين الحديثين بأن معنى حديث ابن
عباس ردها له على مثل العقد الأول في الصداق والحباء فلم يحدث
زيادة علي ذلك من شرط ولا من غيره نقله الزرقاني. وحديث ابن
عباس أخرجه أبو داود والترمذي وقال الترمذي ليس بإسناده بأس
ولكن لا يعرف وجهه، وحديث عمرو بن شعيب رواه الترمذي وابن ماجه
نقله الزرقاني أيضا.

(وولدت أمامة عليا له...)

مراده أن زينب ولدت لأبى العاص رضي الله تعالى عنهما ولدا يقال له علي، استرضع في بنى غاضرة فاقتضه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وأبو العاص مشرك بمكة، وقال لأن شاركني في شيء فأنا أحق به منه ومات وقد ناهز الحلم بعد أمه في حياة أبيه وكان رديفه صلى الله تعالى عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له أيضا أمامة بضم الهمزة وتخفيف الميمين التي حملها صلى الله تعالى عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها. وتزوجها علي بعد وفاة فاطمة خالتها بوصية فاطمة بذلك انتهى من المواهب وشرحها؛ (وماتت عام "ح" وفيها) الوفي التام يعنى ان زينب ماتت عام ثمان من الهجرة النبوية كما أشار له بالحاء المهملة. وفي المواهب: وماتت عام ثمان من الهجرة. وصلى عليها عليه السلام ونزل في قبرها ومعه أبو العاص وجعل لها نعش. وروي مسلم عن ام عطية قالت لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أغسلنها وترا ثلاثا أو خمسا واجعلن في الآخرة كافورا. وروي ان التي غسلتها أم أيمن وسودة بنت زمعة وأم سلمة قال ابن عبد البر والتي شهدت أم عطية غسلها وتكفينها إنما هي أم كلثوم ورده الحافظ بأن المحفوظ أن قصة أم عطية إنما هي في زينب.

فائدة:

حديث أمامة في الموطأ وغيره ولفظ المقصود هنا من الموطأ أن رسول الله تعالى عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها انتهى.

ولأحمد فإذا قام حملها فوضعها على رقبتة ولأبي داود حتى إذا أراد أن يركع أخذها فوضعها ثم ركع وسجد حتى إذا فرغ من سجوده وقام

أخذها فردها مكانها. وهذا صريح فى أن فعل الحمل والوضع منه لا منها بخلاف ما أوله به الخطابي وابن دقيق العيد بأن الصادر منه هو الوضع لا الرفع لتعلقها به إذا سجد فينهض فتبقى محمولة حتى يركع فيضعها فيقل العمل واختلف العلماء فى تأويل هذا الحديث لأنه عمل كثير فروى ابن القاسم عن مالك أنه فى النافلة واستبعد المازري وعياض والقرطبي. وعند الزبير بن بكار والسهيلي أنها الصبح وهم من عزاه للصحيحين وروى أشهب وابن نافع عن مالك ان ذلك لضرورة حيث لم يجد من يكفيه أمرها. وقال الباقي ان وجد من يكفيه أمرها جاز فى النافلة دون الفريضة وإن لم يجد جاز فيهما.

وروى عبد الله بن يوسف عن مالك أنه منسوخ قال الحافظ لكنه غير صحيح وذكر عياض عن بعضهم أنه من خصائصه لعصمته من أن تبول وهو حاملها ورد بأن الأصل عدم الاختصاص وحمله أكثر العلماء على أنه عمل غير متوال. وفى التمهيد حمله العلماء على أن أمانة كانت عليها ثياب طاهرة وأنه أمن منها ما يحدث من الصبيان من البول، وقال النووي ادعى بعض المالكية انه منسوخ وبعضهم من الخصائص وبعضهم انه بضرورة وكلها دعاوى باطلة وليس فى الحديث ما يخالف قواعد الشرع لأن الأدمي طاهر وثياب الأطفال وأجسادهم محمولة على الطهارة حتى تتبين النجاسة والأعمال فى الصلاة لا تبطلها إذا قلت وتفرقت وقال الفاكهاني كان السر فيه دفع ما ألفته العرب من كراهة البنات فخالفهم حتى فى الصلاة والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول وفيه ترجيح العمل بالأصل على الغالب انتهى ملخصا من الزرقاني على الموطأ وحاصل هذا ان الحديث يحتاج عندنا إلى جوابين: جواب عن الفعل الكثير وجواب عن حمله لها مع احتمال نجاسة أجساد الصبيان وثيابهم. أما الأول فأجيب عنه بأنه منسوخ وبأنه كان فى النافلة وبأنه لضرورة وبأنه خصوصية وقال بعضهم لأنه لو تركها لبكت وشغلته أكثر من شغله بحملها وهذا الجواب لم يذكر فيما مر وهو فى الزرقاني أيضا. وأجيب أيضا بأنه عمل غير متوال. وقد مر أنه حمله عليه أكثر العلماء.

وأما شأن النجاسة فأجيب بأنها كانت ثيابها طاهرة وبأنها تحمل على الطهارة حتى تتبين النجاسة كما للنووي. ومر للفاكهاني أنه من تقديم الأصل على الغالب والله تعالى أعلم. قاله مؤلفه سمح الله تعالى له.

(وأنكحت رقية عتيبة وأم كلثوم أخاه عتيبة)

رقية كسمية كما فى القاموس نائب فاعل أنكحت، ومفعوله الآخر عتيبة بالتصغير، وأم كلثوم بضم الكاف كما فى القاموس عطف على رقية وأخاه عطف على عتيبة فهو عطف بأداة واحدة على معمولي عامل واحد وعتبة بالتكبير بدل مما قبله أو بيان ومراده أن رقية بنت رسول الله تعالى عليه وسلم تزوجت عتيبة بالتصغير بن أبي لهب وأن أم كلثوم أختها تزوجت عتبة أخاه وكان سن رسول الله تعالى عليه وسلم لما ولدت رقية ثلاثا وثلاثين سنة، وأم كلثوم اسمها كنيته، ففي النور لا أعلم أحدا سماها وما ذكره الناظم رحمه الله تعالى خلاف ما اقتصر عليه القسطلاني فى المواهب وصوبه شارحه محمد بن عبد الباقي من أن عتيبة بالتصغير الميت كافرا بافتراس الأسد بسبب دعائه عليه السلام عليه، هو الذى كانت عنده أم كلثوم وكان فراقه لها قبل الدخول وأن رقية هي التى كانت تحت عتبة بالتكبير، قال الزرقاني وعتبة أسلم يوم الفتح هو وأخوه معتب لأن النبي تعالى عليه وسلم استوهبهما من ربه فوهبهما له انتهى.

وما اقتصر عليه نحوه للمناوي فى شرح العراقي فانظر اقتصار الناظم على ما ذكره ولم أر فى ابن سيد الناس ذكرا لتزويجهما لابني أبي لهب وإنما ذكر فيما رأيت تزوج عثمان بهما وكذا محمد اليدالي فى الحلة السيرا والله تعالى أعلم.

(فطلقاهما معا إذ نزلا تبث فتبا لهما إذ فعلا)

يعني أن ابني أبي لهب لما نزل قوله تعالى: {تبث يدا أبي

لهب](السورة) قال لهما أبو لهب رأسى من رؤسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد، وقالت لهما أمهما ان أم كلثوم ورقية صبتا فطلقاهما ففارقاهما قبل الدخول كما فى المواهب والمناوي وتبت خسرت وهلكت وقوله فتبا أي خسرا وهلاكاً لهما إذ فعلا ما أمرهما به أبوهما المشؤوم من فراق ابنتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله فتبا لهما دعاء وهو ترك أدب غير لائق بالنسبة للصحابي منهما إذ الإسلام يجب ما قبله ولا سيما شرف الصحبة التي لا يلحق غبارها ولا يخاض تيارها قال ابن سيد الناس أما أبو لهب فكناه أبوه بذلك لحسن وجهه قال السهيلي كني أبا لهب مقدمة لما يصير إليه من اللهب وامراته أم جميل بنت حرب بن أمية ولداً أبي لهب عتبة ومعتب، شهدا حنيننا وثبتا فيه وأختهما درة لها صحبة وأخوهم عتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام بدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يجعل المكبر عقير الأسد وعتيبة الصحابي والمشهور الأول انتهى كلامه.

وتقدم أن رسول الله استوهب عتبه ومعتبا من ربه فوهبهما له وما شهره ابن سيد الناس فى شأن الصحابي منهما شهره غيره كما صرح به الزرقاني والله تعالى أعلم.

وفى المواهب ممزوجاً ببعض كلام الزرقاني وكانت يعنى أم كلثوم تحت عتيبة المصغر ابن أبي لهب ففارقها قبل الدخول بأمر أبيه المشؤوم ويروى أن عتيبة بالتصغير لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه وشق قميصه أي قميص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو خارج نحو الشام تاجراً، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما إنني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه. وفى رواية اللهم سلط عليه كلباً من كلابك. وأبو طالب حاضر فوجم بجيم مفتوحة أي اشتد حزنه لها أي للدعوة، وقال ما كان أغناك يا عتيبة عن دعوة ابن أخي، فخرج فى تجر بفتح فسكون جمع تاجر من قريش حتى نزلوا بالزرقاء من الشام ليلاً

فأطاف بهم الأسد فجعل عتيبة يقول يا ويل أُمى هو والله أكلي كما دعا علي محمدا، قاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام وغلبت عليه الشقوة فلم يؤمن فعدا عليه الأسد، من بين القوم فأخذ برأسه ففدغه بفتح الدال المهملة وبالفين المعجمة أي شدخه. وفي رواية فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلنى ومات.

وفي رواية أنه أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة وعند أبي نعيم عن هبار بن الأسود تجهز أبو لهب وابنه عتيبة نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا قريبا من صومعة راهب فقال الراهب ما أنزلكم ها هنا، هنا سباع، فقال أبو لهب أنتم عرفتم سننى وحقى؟ قلنا أجل. قال إن محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا له عليها وناموا حوله ففعلنا وبات عتيبة فوق المتاع فجاء الأسد فشتم وجوهنا ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فقطع رأسه فطلبنا الأسد فلم نجده انتهى من المواهب وشرحها.

وقوله جمع تاجر قال في القاموس التاجر الذى يبيع ويشترى وبائع الخمر جمعه تجارٌ وتُجارٌ وتُجرٌ وتُجرٌ، كرجال وعمال وصحب وكتب انتهى. وخدشه كضربه، مزقه كما فى القاموس.
(ثم تزوج ابن عفان الرضا رقية....)

رجل رضى بالكسر والقصر أي مرضي ثم بعد أن طلق ابنا أبي لهب بنتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج عثمان بن عفان رقية رضى الله تعالى عنهما وكانت رقية بارعة الجمال وكذا كان عثمان وكان يقال فيهما:

أحسن زوجين رأى إنسان رقية وبعلا عثمان
وفي ذلك تقول خالته سعدى بنت كريب الصحابية العيشمية:
هدى الله عثمان الصفي بقوله فأرشدته والله يهدي إلى الحق

فبايع بالرأي السديد محمداً وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحدى بناته فكان كبدر مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا بن الهاشميين مهجتي فأنت أمين الله أرسلت في الخلق

وهاجر عثمان برقية الهجرتين إلى الحبشة فولدت له هناك ابناً
يسمى عبد الله وكان يكنى به وذكر ابن قدامة أن نفراً من الحبشة كانوا
ينظرون إليها ويعجبون من جمالها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فهلكوا
جميعاً. وعن الحافظ أبي نصل الدولابي بفتح الدال وضمها أن تزويجها
به كان في الجاهلية ولكن ذكر أبو سعد وغيره ما يدل على أنه كان بعد
إسلامه، أخرجه أبو سعد في الشرق عن عثمان قال كنت بفناء الكعبة
ف قيل أنكح محمد عتبة رقية ابنته فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت
إليها فأنصرفت إلى منزلي فوجدت خالتي فأخبرتني بأن الله تعالى
أرسل محمداً وذكر حثها له على أتباعه قال وكان لي مجلس من الصديق
فأصبته فيه وحده فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي
فذكر حثه له على الإسلام قال فما كان بأسرع ممن أن مر صلى الله
تعالى عليه وسلم ومعه علي يحمل له ثوباً فقام أبو بكر فساره فقعد
صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أقبل علي فقال أجب الله إلى جنته فإنني
رسول الله إليك وإلى جميع خلقه. فوالله ما تماكنت حين سمعته أن
أسلمت ثم لم ألبث أن تزوجت رقية ذكره الزرقاني.

(أنت بنجل فقضى في عام ست بعد موت الأم
في سنة اثنين بغير وهم)

قوله أنت بحذف العاطف أي وأنت بنجل أي ولد ذكر وهو عبد الله
الذي مر ذكره وقضى مات وفاعله ضمير يعود على نجل ومعنى كلامه أن
رقية ولدت لعثمان ولداً بأرض الحبشة فقضى ذلك الولد أي مات في
عام ست من الهجرة بعد موت أمه رقية وكانت ماتت في سنة اثنين من
الهجرة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر حين وصل زيد بن
حارثة للبشارة بقتل المشرك وهي ابنة عشرين سنة وكان خروجه عليه

السلام إلى بدر على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة وهي مريضة وخلف عليها صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان وأسامة ولما قدم عليه الصلاة والسلام عزي بها فقال الحمد لله دفن البنات من المكرمات أي لأبائهن لأنهن عورة ولضعفهن بالأنوثة ولعدم استقلالهن قال بعض العلماء وهذا ورد مورد التسلية عن المصيبة وحاشاه ان يقوله كراهة للبنات كما تظنه الجهلة وهذا رواه الطبراني والبزار وابن عدي كلهم بسند ضعيف قاله الزرقاني. وقوله فقضى ذكر فى الفتح أنه عاش ست سنين ومات على ما قال ابن سعد عام أربع من الهجرة قاله الزرقاني وهذا مخالف لقول الناظم فى عام ست، والوهم الغلط والله تعالى أعلم. (وأنكح الأخرى بغير من ومن هنا لقب ذا النورين ولم تلد له...)

أنكح بضم الهمزة ونائبه ضمير عثمان والأخرى مفعوله الثاني وهي أم كلثوم والمين الكذب ولقب أي سمي بذلك اسما أشعر برفعة مسماه يعنى أن عثمان أنكحه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أم كلثوم ابنته فى ربيع الأول بوحي من الله بعد وفاة رقية ولم تلد له أم كلثوم، قال فى المواهب وكان تزوج عثمان بأم كلثوم سنة ثلاث من الهجرة وقال عليه السلام هذا جبريل أخبرني أن الله يامرني أن أزوجه وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له والذى نفسى بيده لو أن عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى. وروي عن أبي هريرة يرفعه أتانى جبريل فقال ان الله يامرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها وفى هذه الأحاديث منقبة جليلة لعثمان وروي أن عمر عرض حفصة على عثمان فقال سأنظر ثم قال قد بدا لى أن لا أتزوج يومي هذا فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك، قال نعم يا نبي الله، قال تزوجنى ابنتك وأزوج عثمان ابنتى. قال الزرقاني وبه استدل على فضل بناته على زوجاته هو انتهى.

وقوله من هنا إلخ.. الظاهر أنها إشارة للمكان المجازي أي ومن مكانته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث تزوج ابنتيه لقب ذا النورين وكان يدعى فى السماء ذا النورين وقيل لقب به لأنه كان يختم القرءان فى الوتر فالقرءان نور وقيام الليل نور قاله القسطلاني.

قال المهلب بن أبي صفرة لم يعلم أحد تزوج ابنتي نبي غيره نقله الزرقاني ونحوه فى التاج.

(وعام تسع) من الهجرة النبوية (توفيت) أم كلثوم (كما أتى فى السمع) أي المسموع عن أهل السير أي المروي عنهم وكان موتها فى شعبان كما قال ابن سعد وصلى عليها عليه الصلاة والسلام ونزل فى قبرها علي وأسماء والفضل رضي الله تعالى عنها وعنهم، وجلس صلى الله تعالى عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان بفتح الفوقية وكسر الراء المهملة أي يجري دمعهما وغسلتها أسماء بنت عميس الخثعمية زوج جعفر. ثم أبي بكر ثم علي وولدت لهم. وصفية بنت عبد المطلب وشهدت أم عطية غسلها (وبنت خير المرسلين) صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين (الصغرى) فهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم على الأصح كما قال السهيلي. وقال أبو عمر هو الذى تركن إليه النفس وقال ابن الكلبي أصغر منها رقية، قاله الزرقاني. (أسماء) أي أعلى من السمو وهو العلو، (نساء العالمين قدرا) أي منزلة وشرفا ورفعة ورتبة. أخرج ابن عبد البر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لفاطمة ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالم زمانها. واختار الزركشي والقطب الخيضري والسيوطي والمغريزي انها أفضل من مريم وروى ابن عبد البر عن ابن عباس يرفعه سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية وجزم القرطبي بأن فاطمة تلي مريم فى الفضل للاختلاف فى نبوءتها ولظاهر الاستثناء فى حديث ما يسرك أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم انتهى.

والجمهور على أن مريم لم تكن نبية كما قال عياض بل حكى عليه
الاجماع وان صحح القرطبي نبوءتها، قاله الزرقاني وقد مر الكلام على
هذا مبسوطا عند قول الناظم فى خديجة:

خير نساء الناس أجمعينا

فراجعه ان شئت واستظهر النووي أن كل واحدة من فاطمة ومريم
خير نساء الأرض فى عصرها قال فأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه
انتهى وقد تقدم هذا. وقوله بنت مبتدأ والصغرى نعت له وكذا قوله
أسمى وقوله (مولدها) مبتدأ وخبره ما بعده وهو قوله. (فى عام أم
كانا)، وهو واحد وأربعون عاما؛ (من مقدم الفيل) لمكة وهو عام ولادته
صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابن عبد البر. قال فى المواهب وهو
مغاير لما رواه ابن إسحاق من أن ولده كلهم عليه السلام ولدوا قبل
النبوة إلا ابراهيم وقال ابن الجوزي ولدت فاطمة قبل النبوة بخمس
سنين أيام بناء البيت ومعنى كلامه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها
مولدها كان عام واحد وأربعين من مولد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كما قاله أبو عمر بن البر ولم يبين هل فى أوله أو فى آخره كما
فى الزرقاني وقال ابن سيد الناس اختلف فى مولدها قال المدائني قبل
النبوة بخمس سنين وقال ابن السراج سمعت عبيد الله بن محمد بن
سليمان بن جعفر الهاشمي يقول ولدت سنة إحدى وأربعين من مولده
صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى المراد منه. وكانت تسمى البتول
لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى
الله تعالى قاله فى المواهب ونحوه فى الفتح وزاد المناوي فى شرح
العراقي وجها ثالثا وهو أنها لا شهوة لها للرجال انتهى فانظره والله
تعالى أعلم.

وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها فى فمها ويمصها بضم الياء
لسانه ليختلط ريقه بريقها فتعود بركته عليها وإذا أراد سفرا يكون

آخر عهده بها وإذا قدم أول ما يدخل عليها ثم يأتى أزواجه، وقال عليه السلام فاطمة بضعة منى بفتح الموحدة وحكي كسرهما وضمها وسكون المعجمة أي قطعة لحم منى فمن أغضبها أغضبني رواه الشيخان واستدل به السهيلي على كفر من سبها ونظر فيه الحافظ والحديث خرج على سبب فلا مفهوم له فلا يرد أن أولاده كلهم بضعة منه أو لأنه حين قاله لم يكن بقي منهم أحد لأن سبب هذا الحديث أنه لما خطب علي بنت أبي جهل قالت فاطمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم زعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل فقام صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال إني أنكحت أبا العاصي فحدثني فصدقني ووعدني فوفى لى وإن فاطمة بضعة منى وإني أكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي الخطبة، وهذه الواقعة أي خطبة علي ابنة ابي جهل كانت بعد فتح مكة، ولم يبق حينئذ من بناته صلى الله تعالى عليه وسلم غيرها وأصيببت بعد أمها بأخواتها فأدخل الغيرة عليها مما يزيدنا حزنا انتهى.

قال الحافظ وفيه أنها أفضل بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الشيخان عن عائشة أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثا فبكت ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقالت ما رأيت كالיום أقرب فرحا من حزن؛ فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سره فلما قبض سألتها فأخبرتني أنه قال إن جبريل كان يعارضني فى كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين، وما أراه إلا قد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف أنا لك. فبكيت فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت وفى رواية أحمد أفضل نساء أهل الجنة. وروى النسائي والحاكم بسند جيد عن حذيفة هذا ملك من الملائكة استأذن ربه أن يسلم علي وبشرني أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأمها

سيدة نساء أهل الجنة انتهى من الزرقاني. وسادت أخوتها وأُمها لأنهن متن في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فكن في صحيفته ومات في حياتها فكان في صحيفتها وميزانها وروى البزار أنه عليه السلام قال لفاطمة هي خير بناتى لأنها أصيبت في. (ولما بانا) أي ظهر (لها) أي لفاطمة رضي الله تعالى عنها، (من الأعوام خمسة عشر) قوله خمسة عشر فاعل بان ولما أَسْم شرط وجوابها قوله (زوجها) أي فاطمة (حيدرة) بالنصب مفعول زوج الثاني وصرفه للضرورة وحيدرة اسم الأسد قال ابن أبي جمرة وكانت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله تعالى عنها سمته باسم أبيها فلما قدم أبو طالب سماه عليا (خير البشر) خير بالرفع فاعل زوج والبشر الإنسان يعنى أن فاطمة رضي الله تعالى عنها لما بلغت خمسة عشر عاما زوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علي بن أبى طالب بأمر الله تعالى ففي الحديث ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من علي رواه الطبراني برجال ثقة.

وقوله زوجها أي عقد له عليها رضي الله تعالى عنهما في السنة الثانية من الهجرة وهل في أوائل المحرم أو في صفر أو رجب أو رمضان أقوال، وقال ابن عبد البر سنة ثلاث بعد أحد ورده الحافظ في الإصابة بأن حمزة استشهد بأحد وقد ثبت في الصحيحين قصة الشارفين لما ذبحهما حمزة وقد أراد علي البناء بفاطمة وقيل تزوجها بعد بنائه عليه السلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها علي بعد تزويجه بسبعة أشهر ونصف انظر المواهب وتزوجها ولها خمسة عشر سنة وخمسة أشهر ونصف ولعلي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر وقيل غيره انتهى.

فعلى أنها ولدت قبل النبوة بخمس سنين فيكون تزوجها ولها تسع عشرة سنة وشهر ونصف وعلى أن عليا أسلم وله عشر سنين وهو الراجح فسنه يوم التزويج أربع وعشرون سنة وشهر ونصف قاله الزرقاني. وعن أنس قال جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة إلى النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم فسكت ولم يرجع إليهما شيئاً ويروى أنه قال لكل منهما انتظر بها القضاء فانطلقا إلى علي رضي الله تعالى عنه يامرانه بطلب ذلك قال علي فذبهاني لأمر كنت عنه غافلاً فقامت أجرة ردائي فرحاً بما انتبهت له، حتى أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة؟ قال عندك شيء؟ فقلت فرسى وبدنى. بفتح الموحدة والdal أي درعي، فقال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبيعها، فبعتها من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهماً ثم ان عثمان رد الدرع إلى علي، قال علي فجئته بها أي بالدراهم فقبض منها قبضة فقال أي بلال ابتع لنا بها طيباً وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط أي مجعول فيه شرائط أي حبال ووسادة من آدم حشوها ليف، وعن جابر كان فرسهما ليلة عرسهما اهاب كبش وقال لعلى إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى أتيك، فجاءت مع أم أيمن حتى قعدت فى جانب البيت وأنا فى جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أها هنا أخي؟ قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال نعم، هو كأخى فى المنزل، فقال عليه السلام لفاطمة ائتنى بماء فقامت تعثر فى ثوبها وربما قال فى مرطها من الحياء إلى قعب بقاف مفتوحة فمهملة ساكنة قدح كبير من خشب فأئت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ادبري فأدبرت فصب بين كتفئها ثم مثل ذلك بعلي رضي الله تعالى عنه ثم قال له أدخل بأهلك باسم الله والبركة وروى النسائي أنه قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى شملهما وهو بالتحريك الجماع ولابن عساكر عن أنس بيئنا أنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ غشيته الوحي فلما سرى عنه قال ان ربى أمرنى أن أزوج فاطمة من علي فانطلق فادع لى أبا بكر وعمر وسمى جماعة من المهاجرين وبعدهم من الأنصار فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً عن هذا المجلس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع

المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالى عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا -أي لازما- لا يستغنى عنه وأمرنا مفترضا وهو قريب مما قبله فى المعنى وهو اطناب مستحسن فى الخطب أوشج به الأرحام وألزم به الأنعام فقال عزّ من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أي أصله الذى لا يغير منه شيء ثم ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من علي بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجته إياها على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك علي، ثم دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟ فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله.

وروي أن عليا سجد شكرا لله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع الله شملكما وأعز جدكما بفتح الجيم أي حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما نسلا كثيرا طيبا.

قال أنس ابن مالك فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب. قال الزرقاني فى شرحه فجعل فيهم علماء وأولياء وكرماء وملأ بهم الأرض ولله الحمد وهم نسل النبوة انتهى. وكانت وليمته ءاصعا من شعير وتمر وحيس وكبشا وءاصعا من ذرة. قال فى المواهب والحيس التمر والأقط قال الزرقاني فعطفها على التمر من عطف الكل على الجزء. والأقط قال عياض هو جبن اللبن المستخرج زبده وقيل لبن مجفف يطبخ به وفى القاموس الحيس تمر يخلط بسمن وأقط يعجن شديدا ثم ينذر منه نواه انتهى. ولا ينافي هذا قول الشاعر:

التمر والسمن جميعا والأقط الحيس إلا انه لم يختلط
لأنه أراد انه لم يختلط فيما حضره وإنما هو حيس بالقوت لوجود
الأجزاء دون الخلط انتهى المراد منه.

وقوله فيما مر وقد ثبت في الصحيحين قصة الشارفين إلخ.. أشار
بهذا إلى ما رواه البخاري وغيره ولفظ المراد منه في فرض الخمس بعد
أن أسنده إلى علي أن عليا قال كانت لى شارف من نصيبى من المغنم
يوم بدر وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعطاني شارفا من
الخمس فلما أردت أن ابتنى بفاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع أن يرتحل معى فنأتى
بإذخر أردت أن يبيعه الصواغين وأستعين به فى وليمة عرسى فبينما
أنا أجمع لشارفى متاعا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناخان
إلى جنب حجرة رجل من الأنصار فرجعت حين جمعت ما جمعت فإذا
شارفاي قد أجبت أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم
أملك يمينى حين رأيت ذلك المنظر منهما فقلت من فعل هذا فقالوا فعل
حمزة بن عبد المطلب وهو فى هذا البيت فى شرب من الأنصار
فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده زيد
بن حارثة فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهي الذى
لقيت؟ فقال ما لقيت؟ فقلت ما رأيت كاليوم عدى حمزة على ناقتي
فأجب اسنمتها وبقر خواصرها وها هو ذا فى بيت معه شرب فدعا
صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه فارتدى ثم انطلق يمشى واتبعته أنا
وزيد بن حارثة فطفق صلى الله تعالى عليه وسلم يلوم حمزة فإذا حمزة
قد ثمل حمرة عيناه. ثم قال حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبى فعرف رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ثمل انتهى المراد منه.

قوله شارف: مسنة من النوق، والإذخر بكسر الهمزة وذكر قوله

مناخان باعتبار لفظ شارف وروي مناختان باعتبار معناه وأجبت بضم
 الهمزة ولأبى ذر بحذف الهمزة أي قطعت وإنما بكى رضي الله تعالى
 عنه خوفا من تقصيره في حق فاطمة أو في تأخير الابتداء بها والشرب
 بفتح المعجمة المجتمعون لشرب الخمر وثل كفرح: سكر، والخمس الذي
 أعطاه منه الشارف من سرية عبد الله بن جحش، انظر القسطلاني،
 وقال ابن حجر في الفتح قوله رجعت حين جمعت ما جمعت زاد في
 رواية ابن جريج عن ابن شهاب في الشرب وحمزة بن عبد المطلب
 يشرب في ذلك البيت أي الذي أناخ الشارفين بجانبه ومعه قينة وهي
 الجارية المغنية فقالت:

ألا يا حمز للشرف النواء

والشرف جمع شارف والنواء بكسر النون والمد جمع ناوية وهي
 الناقة السمينة. وحكى المرزباني أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب
 المخزومي وبقيته:

وهن مـعـقـلات بالفناء ضع السكين في اللبات منها
 وضرجهن حمزة بالدماء وعجل من أطائبها لشرب
 قديرا من طبيخ أو شواء

والفناء بكسر الفاء والمد الجانب أي جانب الدار التي كانوا فيها.
 والقدير المطبوخ والتضريح بمعجمة وجيم التلطيخ انتهى المراد.

وفي القاموس القدير ما يطبخ في القدر وأطائب الجزور: الكبد
 والسنام وهذا قبل تحريم الخمر ولذا لم يواخذ النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم حمزة.

(وولدت له من الأولاد بنتين وابنتين بلا عناد)

لفاعل ضمير يعود على فاطمة والمجرور لعلي رضي الله تعالى عنهما
يعنى أن فاطمة رضي الله تعالى عنها ولدت لعلي كرم الله وجهه بنتين
وابنتين بلا عناد أي بلا خلاف:
(الحسن، الحسين ثم زينب وأم كلثوم إليهم تنسب)

هذا بدل مما قبله ورفع قاطعا له عن التبعية فهو خبر مبتدأ محذوف
أي وهما الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم رضي الله عن جميعهم
وينفعنا ببركتهم وأمانتنا على محبتهم.

قال في فتح الباري أما الحسن فولد في رمضان سنة ثلاث من
الهجرة عند الأكثر وقيل بعد ذلك، ومات مسموما بالمدينة سنة خمسين
وقيل قبلها وقيل بعدها وأما الحسين فولد في شعبان سنة أربع في قول
الأكثر وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ب كربلاء من أرض العراق
انتهى.

وفي البخاري أنه عليه السلام قال في الحسن إن ابني هذا سيد ولعل
الله تعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، قال القسطلاني فوق
ذلك لما وقع بينه وبين معاوية بسبب الخلافة وكان المسلمون يومئذ
فرقتين فرقة مع الحسن وفرقة مع معاوية وكان الحسن يومئذ أحق
الناس بالخلافة فدعاه ورعه وشفقته على المسلمين على ترك الملك رغبة
فيما عند الله عز وجل ولم يكن ذلك لقلّة ولا لذلة، فقد بايعه على الموت
أربعون ألفا انتهى منه.

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم والحسن بن علي على عاتقه يقول اللهم إني أحبه
فأحبه. وفي البخاري عن أنس أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين أي
بضم الحاء فجعل ابن زياد ينكت بالمثلثة الفوقية آخره أي يضرب
بقضيب في أنفه وعينه فقال له زيد بن أرقم أرفع قضيبك فقد رأيت
فم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في موضعه وللطبراني أنه

كان ينزع ثنايا الحسين فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك عن هاتين
الثنيتين فوالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيت شفّتي رسول الله على
هاتين الثنيتين يقبلهما ثم بكى وفى البخاري أنه صلى الله تعالى عليه
وسلم قال هما أي الحسنان ريحنتاي من الدنيا. وعند الطبراني هما
ريحانتاي من الدنيا أشمهما انتهى.

وقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين
يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات، قاله فى
الحلة السيرا وكان الحسنان يشبهان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وكذا جعفر بن أبي طالب ومسلم بن عقيل بن أبي طالب وأبو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن جعفر والسائب بن يزيد المطلبي
جد الإمام الشافعي وقثم بن العباس وعبد الله بن عامر بن كريز
العبشمي وكابس بن ربيعة بن عدي قال ابن حجر ونظمت ذلك فى
بيتين وهما:

شبه النبي لعشر سائب وأبي سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ومسلم كابس يتلوه مع قثما

قال وقد وجدت بعد ذلك ان فاطمة ابنته تشبهه فيمكن ان يغير من
البيت الأول: لعشر فتجعل لأي، وهو إحدى عشر، ويغير الطاهرين هما
فيجعل ثم أمهما، فيقال:

شبه النبي لأي سائب وأبى سفيان والحسنين ثم أمهما
انتهى المراد منه. وبعضه بالمعنى. وأخبر عليه السلام أن الحسن
والحسين سيذا شباب أهل الجنة.

(وولدت) فاطمة على نبينا وعليها الصلاة والسلام لعلي رضي الله
تعالى عنه (رقية ومحسنا أيضا) أي كما ولدت له الأربعة الذين تقدم
ذكرهم وعليه فيكون أولادها ست: ثلاثة ذكور وثلاثة إناث والله تعالى
أعلم.

(وماتا) أي الأخيرين (فى الصبا) أي قبل البلوغ (ودفنا). وضبط الزرقاني فى شرح المواهب محسنا بأنه بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة فالله أعلم بذلك.

ولا يتزن على هذا الضبط بيت الناظم إلا بحذف حرف العطف ولم يذكر ابن سيد الناس رقية هذه ولفظه وولدت حسنا وحسينا ومحسنا ومات صغيرا وأم كلثوم وزينب وماتت فاطمة بعد موت أبيها صلوات الله وسلامه عليه بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر وقيل بثمانية انتهى كلامه.

وكذا صاحب المواهب اللدنية لم يذكرها هو ولا الزرقاني ولفظ المراد منهما وولدت لعل حسنا وحسينا روى ابن مندة أن فاطمة أتت بهما إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى شكواه الذى قبض فيه فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما فقال أما حسن فإن له هيبتي وسؤددى وأما حسين فإن له جودى وجرأتى ومحسنا بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المشددة وأم كلثوم قال ابن عبد البر ولدت قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزينب قال ابن الأثير ولدت فى حياة جدها وكانت لبينة عاقلة لها قوة جنان ولم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقب إلا من ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنهما انتهى بلفظهما. ولم يذكرها أيضا الحافظ فى الفتح، وكذا المناوي فى شرح العراقى لم يذكر رقية فى أولاد فاطمة وفى الحلة السيرا والمعروف من أولاده يعنى عليا أولاد فاطمة الزهراء الخمسة: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب انتهى المراد بلفظه. قال كاتبه عفى الله تعالى عنه بمنه. وهذا يؤذن بضعف زيادة رقية والله تعالى أعلم.

(ثم ابن جعفر بنى بزینب وولدت له عليا ...)

ابن جعفر هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الصحابي ابن

الصحابي أحد الأجواد وقال فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه النسائي بسند صحيح أما عبد الله فيشبهه خلقى وخلقى وتزويجه من زينب بنت علي كان بعد أن ماتت عنده أختها أم كلثوم كما فى المواهب وغيرها فتزوجه بها متأخرا برتبة عما ذكره الناظم فى هذه الأبيات التى ذكر فيها أزواج أم كلثوم فلو ذكره بعد قوله الآتي:

فكان فيهما سنن للناقد أتى به فى مـــــــــــــــــحله

يعني أن عبد الله بن جعفر تزوج زينب بنت فاطمة رضي الله تعالى عنهم فولدت له خمسة أولاد أربعة ذكور وهم علي الذى ذكر الناظم وعون وعباس ومحمد وامرأة واحدة وهي أم كلثوم، وانتشر عقب عبد الله بن جعفر من علي هذا ومن أخته أم كلثوم فتزوجها ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ولذا لم يذكر القسطلاني من أولاده إلا عليا وأم كلثوم كما فى الزرقاني ويقال لكل من ينتسب إليهم جعفري ولا ريب أن لهم شرفا لاكن ليس كشرف أبناء الحسنين كما فى المواهب وغيرها، واعلم أن اسم الشريف كان فى الصدر الأول يطلق على كل من كان من آل البيت سواء كان حسنيا أم حسينيا أم علويا غيرهما أم جعفريا أم عباسيا أم عقيليا فلما ولى الفاطميون مصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط. فاستمر ذلك بمصر إلى الآن. قاله العلامة الزرقاني. والحاصل أن كل من كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة له فيقال له أنه من ذريته عليه السلام سواء كان ذلك من جهة أبائه أو من جهة أمهاته لكن تحريم الصدقة والاعطاء من الخمس مخصوص بمن كان من صلب بنى هاشم سواء كان ولده عليه السلام أم لا. ولأولاد الحسنين مزيد شرف لا يخفى، خصهما بذلك جدهما صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لكل بنى أم عصبية إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصيتهما أخرجه الحاكم وأبو يعلى. قال الزرقاني فخص الانتساب والتعصيب بهما دون اختهما.

(... وحبى باختها الفاروق حتى ولدت

زيدا له...)

يقال حباه يحبوه إذا أعطاه بلا جزاء، ولا من، أو عام كما فى القاموس وحبى نائبه قوله الفاروق والضمير المضاف إليه أخت لزينب والأخت أم كلثوم ومعنى البيت أن أم كلثوم بنت علي حبى بتزويجها أمير المؤمنين سيدنا عمر الفاروق رضى الله تعالى عن الجميع إلى أن ولدت له ولدا يسمى زيد بن عمر وولدت له أيضا بنتا يقال لها رقية ومات عمر رضى الله تعالى عنه وهي عنده. روى محمد بن أبى عمر شيخ مسلم فى مسنده أن عمر خطب إلى علي أم كلثوم فذكر له صغرها، فقل له إنه ردك فعاوده فقال له علي ابعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك فأرسلتها إليه فكشف عن ساقها فقالت "مه"، لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينيك.

وذكر ابن سعد أنه خطبها فقال علي إنما حبست بناتي على بنى جعفر فقال زوجنيها فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من كرامتها ما أرصد فقال فعلت، فجاء عمر إلى المهاجرين فقال رفؤنى فرفؤه وقالوا بمن تزوجت؟ فقال بنت علي. ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي وكنت قدما صاهرته فأحببت هذا أيضا وأمهرها أربعين ألفا.

قال فى المواهب فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا. قال الزرقاني فأصيب زيد فى حرب كانت بين بنى عدي فخرج ليصلح بينهم فشجه رجل وهو لا يعرفه فى الظلمة فعاش أياما وكانت أمه مريضة فماتا فى يوم واحد.

(وبعده) أي بعد موت عمر رضى الله تعالى عنه، (تزوجت) أي أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء ابن عمها (محمد بن جعفر) بن أبى طالب. روى الدولابي بفتح الدال وضمها عن الحسن بن الحسن بن علي أن أم كلثوم لما تأيمت دخل عليها أخوها فقالا لها ان أردت تصيبى بنفسك مالا عظيما لقيته، فدخل علي فحمد الله وأثنى عليه وقال أي بنيتى ان الله

قد جعل أمرك بيدك فإن أحببت أن تجعله بيدي؟ فقالت يا أبت إنى امرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء وأحب أن أصيب من الدنيا، فقال هذا من عمل هذين.

(وإذ مضى) محمد بن جعفر أي ذهب أي مات عنها (تزوجت عونا أخاه) أي أخا محمد فهو عون بن جعفر بن أبي طالب (وقضى) أي مات عنها . وما ذكر الناظم من أن الأول تزوجها بعد عمر محمد بن جعفر خلاف ما اقتصر عليه فى المواهب من أن عونا هو الذى تزوجها أولا وسلمه شارحه وعزاه للدولابي، وكان عونا يشبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم.

(فنكحت) هي أي أم كلثوم بعد موت عون على ما للناظم، (أخاه عبد الله) بن جعفر (وعنده) أي عند عبد الله بن جعفر (ماتت) أم كلثوم بنت علي رضي الله عن جميعهم، (بلا اشتباه) أي بلا التباس فى ذلك (مع ابنها زيد) بن عمر بن الخطاب (بوقت واحد فكان فيها) أي فى تلك الواقعة التى هي موتهما معا، (سنن) أي شرائع أي أحكام واضحة (للقائد) أي الفطن الذى يميز الصحيح من السقيم ويستنبط الأحكام والنقد فى الأصل تمييز الزائف من الدراهم وغيرها، فاستعير هنا للفطن والله تعالى أعلم.

قال الوالد حفظه الله فى اللوامع واحتج ابن الماجشون بتقديم الحسين بن علي لعبد الله بن عمر للصلاة عليهما معا على أن ولى الرجل يقدم فى الصلاة ولو كان مفضولا، فإن الحسين أفضل من عبد الله فقدمه للصلاة على أم كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر لما ماتا فى آن واحد وصلي عليهما معا، فكان فيهما سنن لم يورثا وحملتا معا وجعل الغلام مما يلي الإمام ودفنا فى قبر واحد وولى الغلام القبلة وأجاب ابن رشد وغيره ممن يقول بتقديم ولى المرأة على ولى الرجل فى الصلاة عليها إذا كان وليها أفضل، بأن القضية إنما تحصل بها الحجة لو كان المقدم لعبد

الله بن عمر الخليفة أو غيره من الصحابة وإلا فالحسين لكمال لا يرى لنفسه فضلا ويرى الفضل لابن عمر عليه ويستحضر سن ابن عمر وحضوره المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته عليه السلام له بالصالح. انتهى. وبعضه بالمعنى.

(وبعد موت المصطفى بأشهر ثلاثة أو ستة فى الأشهر توفيت بنت الحبيب المجتبى فاطمة أم الكرام النجباء)

الظرف متعلق بتوفيت وثلاثة نعت لقوله أشهر، وأو لتنويع الخلاف أي وقيل بعد موته بأشهر ستة والحبيب من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فعيل من المحبة بمعنى مفعول لأنه محبوب لله تعالى وبمعنى مفعول لأنه محب لله تعالى قاله الزرقاني، والمجتبى المختار وهو من أسمائه أيضا، وفاطمة بدل من قوله بنت، فهو مرفوع أو بيان. وروى عن ابن مسعود رفعه. إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها أي منعها وذريتها من النار يوم القيامة أخرجه الحافظ الدمشقي وهو ابن عساكر.

قال الزرقاني أما هي وأبنائها فالمنع مطلق، وأما من عداهم فالمنوع عنهم نار الخلود، فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير وفيه بشرى لآله صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى بالموت على الإسلام وأنه لا يختم لأحد منهم بالكفر. انتهى المراد منه. وروى الغساني والخطيب وقال فيه مجاهيل مرفوعا إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار، ففيه بشرى عميمة لكل مسلم أحبهما انتهى.

ومعنى كلامه أن فاطمة رضي الله تعالى عنها توفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاثة أشهر على قول مشهور وقيل بعده بستة أشهر وهو أشهر من الأول انتهى.

والقول بثلاثة هو الذى صدر به سيد الناس ونصه وماتت فاطمة بعد أبيها صلوات الله وسلامه عليه بثلاثة أشهر وقيل بعده بستة أشهر وقيل بثمانية انتهى منه.

والقول بأنها ماتت بعده بستة أشهر هو الذي صدر به فى المواهب وقال إنه الأصح ونصه: وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر. قال الزرقاني عقبه كما فى الصحيح عن عائشة قال الواقدي وهو الثبت، قال وذلك لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، ثم قال فى المواهب: وقيل توفيت بعده بثمانية أشهر وقيل غير ذلك. انتهى.

قال الزرقاني: فروى الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار أنها بقيت بعده ثلاثة أيام وقال غيره أربعة أشهر وقيل شهرين وقيل ثلاثة وقيل شهرا واحدا انتهى.

وروي أنها قالت لأسماء بنت عميس إني استقبحت ما يصنع بالنساء يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت يا بنت رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة؟ أي حين كانت مهاجرة مع زوجها جعفر الطيار، فدعت بجرائد رطبة فحنثها أي أمالتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة ما أحسن هذا، تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي ولا يدخل علي أحد، رواه ابن عبد البر، واستبعده ابن فتحون بأن أسماء حينئذ كانت زوجة الصديق، فكيف تنكشف بحضرة علي فى غسل فاطمة، وأجيب بأنه لا يلزم من التغسيل الانكشاف فتغسل وهي مستورة، أو تصب وعلي يغسل.

وفي حديث أم رافع قال مرضت فاطمة، فلما كان اليوم الذى توفيت فيه اغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ولبست ثيابا جددا واضطجعت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها ثم استقبلت وقالت إني مقبوضة الآن.

وفي رواية الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفني أحد ولا يغسلني ثم قبضت مكانها ودخل علي فأخبر أي من أم رافع بالذي قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها أحد، رواه أحمد بسند ضعيف، وكذا ابن سعد والدولابي، وهو مخالف لخبر أسماء بنت عميس المتقدم، قال أبو عمر بضم العين بن عبد البر وفاطمة أول من غطي

نعشها على الصفة المذكورة، فى خبر أسماء ثم بعدها زينب بنت جحش،
فقول من قال زينب أول من غطي نعشها أي من أمهات المؤمنين.

وفي البخاري أن عليا صلى عليها وروى ابن سعد أن العباس صلى
عليها ونزل هو وابنه الفضل وعلي فى حفرتها ولا خلف، فكل صلى
عليها، والإمام العباس لأنه عمه، فقدمه انتهى. ودفنت ليلا وهي أسن
من عائشة بنحو خمس سنين. ولما أنهى الكلام على أولاده عليه الصلاة
والسلام شرع فى ذكر أعمامه وعماته بادئا بذكر الذكور فقال:
(بيان أعمام النبي المصطفى وذكر عمات الحبيب المقتفى)

بيان خبر مبتدأ محذوف، أي هذا بيان وقوله ذكر بالرفع عطف على
بيان وهو عطف تفسير والمقتفى المتبع ولا شك فى كثرة أتباعه صلى
الله تعالى عليه وسلم والحبيب من أسمائه عليه السلام فعيل من المحبة،
بمعنى مفعول لأنه محبوب لله تعالى أو بمعنى فاعل لأنه محب له
تعالى، والأعمام جمع عم وهو هنا أخ الأب.
(أعمامه اثنان وعشرة تعد)

يعني أن عدة أعمامه صلى الله تعالى عليه وسلم أي اخوة أبيه عبد
الله المذكور اثنا عشر وعبد الله ثالث عشرهم وهذا هو الأصح وعليه
اقتصر العراقي وصدر به فى المواهب، وقوله تعد أي يأتى عدها فى
البيت الآتي.
(وقيل واحد وعشرة ورد)

أي وقيل عدة أعمامه أحد عشر وعبد الله هو الثانى عشر ورد هذا
القول عن العلماء وعليه فيسقط المقدم ويكون هو عبد الكعبة كما فى
المواهب والمناوي.

وفي نسخة: وقيل تسعة وعشرة ورد. أي وقيل انهم عشرة فقط قاله
فى المواهب، فأسقط الغيداق وحجلا قال الزرقاني لأنهما لا وجود لهما

عند هذا القائل، هذا ظاهره. وفي العيون فأسقط عبد الكعبة، وقال هو المقدم، وجعل الغيداق وحجلا واحدا، وتبعه في السبل ثم قال في المواهب وقيل تسعة فأسقط قثم أي كما أسقط الغيداق وحجلا، ولم يذكر ابن إسحاق وابن قتيبة غير هذا وبعضهم زاد العوام وقيل انه شقيق حمزة، فيكون الأعمام ثلاثة عشر انظر الزرقاني.

وفي شرح العراقي للمناوي أن القائل ان الأعمام عشرة أسقط الغيداق وحجلا، والقائل تسعة أسقط قثم انتهى.

وفي الزرقاني أن جملة أولاد أعمامه صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة وعشرون وصحبوا كلهم إلا طالبا وعتيبة، المصغر انتهى. ولما ذكر عدد الأعمام ذكر أسماءهم على أنهم اثنا عشر لأنه الأصح فقال:

(الحارث الزبير والمقوم)

أما الحارث فهو أكبر أولاد عبد المطلب بلا خلاف وكان يكنى به وشهد معه حفر زمزم ومات في حياة أبيه وأمه صفية بنت جندب، وأولاده أبو سفيان ونوفل وربيعة والمغيرة وعبد الله وكلهم صحابة وحفيده الحارث بن نوفل بن الحارث صحابي ولاه الشيخان وعثمان مكة؛ وأما الزبير بفتح الزاي وكسر الباء عند البلاذري وحده وبضم الزاي عند الباقيين فهو أسن من شقيقه والد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن أبى طالب وهو شقيق لعبد الله أيضا وأمه فاطمة المخزومية وكان الزبير شاعرا شريفا ذا عقل ونظر وكان رئيس بني هاشم وأحد حكام قريش ويكنى أبا الحارث وابنه عبد الله، ثبت يوم حنين، وبنات الزبير ضباعة وصفية وأم الحكم وأم الزبير لهن صحبة.

وأما المقوم فهو شقيق حمزة، أمهما هالة بنت وهيب بالتصغير بن عبد مناف بن زهرة وهو بضم الميم وفتح القاف وشد الواو مفتوحة ومكسورة ويكنى أبا بكر ولد له وانقطع عقبه وهذا كله من الزرقاني.

(وعبد كعبة) ومات ولم يعقب وهو شقيق عبد الله أيضا قاله البلاذري. (ضرار) بحذف العاطف وهو بكسر الضاد المعجمة كما فى المناوي كان من فتيان قريش جمالا وسخاء مات أيام أوحى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم، ولا عقب له، وهو شقيق العباس. قاله الزرقاني وغيره وأمهما نتلة بفتح النون وسكون الفوقية.

وقال ابن دريد نتيلة بالتصغير وجزم به فى الروض والنتلة واحدة النتل وهو بيض النعام، وصحفها بعضهم بمثلثة وهي بنت جناب بفتح الجيم وخفة النون فألف فموحدة كما فى الإكمال ابن كلب كما فى العموم والإصابة والتبصير.

وقال البرهان صوابه كليب بالتصغير، كما فى الاستيعاب والاكمال ابن النمر بالنون ابن قاسط ويقال انها أول عربية كست البيت الديباج وأصناف الكسوة لأن العباس ضل وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت فوجدته فكست الكعبة. (قثم) بحذف العاطف بضم القاف وفتح المثناة معدول عن قائم من القثم وهو الإعطاء؛ مات صغيرا وهو شقيق الحارث نقله العلامة محمد بن عبد الباقي. (كذا المغيرة) بضم الميم وكسر الغين المعجمة وهو جحل. قال فى المواهب وجحل بتقديم الجيم على الحاء وهو السقاء الضخم. وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد، والخلخال ويسمى المغيرة انتهى.

وقال الزرقاني عقب قوله وهو السقاء الضخم قال صاحب العين ونوع من اليعاسيب وقال الدينوري كل شيء ضخم فهو جحل، وقال عقب قوله وقال الدارقطني بتقديم الحاء ما نصه المهمة المفتوحة على الجيم الساكنة وفيه أن عطف الخلخال على القيد عطف تفسير وعزا للمختار أن الجحل الذى هو الخلخال بفتح الحاء وكسرهما. قال الزرقاني فلعل اقتصارهم على الفتح أي فى ضبط جحل بن عبد المطلب لأنه الذى لقب به انتهى.

(مع الغيداق) بغين معجمة مفتوحة فتحتية فدال مهملة فالف فقاف، لقب بذلك لجوده وكان أكثر قریش مالا قال ابن سعد اسمه مصعب وقال الدمیاطی نوفل وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك الخزاعية، قاله الزرقاني.

وفي المناوي الغيداق بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة تحت وأصله المطرسمي بذلك لأنه كان أجود قریش وأكثرهم طعاما انتهى.

(لم يدركوا الإسلام باتفاق) مراده أن هؤلاء المذكورين من أعمامه عليه السلام وهم ثمانية لم يدركوا الإسلام أي زمنه وهو زمن بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق العلماء وقد مر عن الزرقاني أن ضارا مات أيام أوحى إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم، وقد ذكر ذلك بعضهم عن العيون واستدرك به على الناظم والله تعالى أعلم.

(وحمزة العباس عند العلماء قد أدركا البعثة ثم أسلما)

يعني أن حمزة والعباس عمي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اتفق المسلمون على أنهما أدركا رسالته عليه السلام وأسلما رضي الله تعالى عنهما. أما حمزة فقد مر قريبا أن أمه بنت عم أمنة بنت وهب لأن أمه هالة بنت وهيب، مصغرا، ابن عبد مناف فهو أخو وهب جده عليه السلام، وأرضعته أي حمزة ثويبة مرضعته عليه السلام ويكنى أبا عمار وأبا يعلى بابنين له، أما عماره فأمه خولة بنت قيس من بنى مالك بن النجار وأما يعلى فأمه أوسية وله أيضا من الذكور عامر وروح وله من الإناث أمامة وفاطمة.

قال الزبير بن بكار ولم يعقب حمزة إلا من يعلى وحمزة أسن من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، بسنتين وقيل بأربع. وروي أنه عليه السلام قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل بعهد الله عز وجل في السماء السابعة حمزة أسد الله وأسد رسوله.

وقال عليه السلام، خير أعمامي حمزة، وقال سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب انتهى. وكان من السابقين. وصدر في الاستيعاب بأنه اسلم في السنة الثانية من المبعث وبه جزم في الإصابة وصدر به في المواهب وقيل في السادسة قبل إسلام عمر بثلاثة أيام وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة. وروي أن سبب إسلامه أن بعض نساء بنى هاشم أخبرته أن أبا جهل أذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأحد سلاحه وتعرض له حتى هم بقتله وقال له أتشتتم ابن أخي وأنا على دينه، فكان سبب إسلامه الحمية. ولما اسلم كفت قريش بعض ما كانوا ينالون منه عليه السلام خوفا من حمزة فلازم نصر المصطفى عليه السلام، وهاجر معه وشهد بدرا، وقتل بها شيبه بن ربيعة مبارزة، وكانت له أول راية عقدها صلى الله تعالى عليه وسلم لأحد من المسلمين وروي أنه كان يقاتل بين يديه عليه السلام بسيفين ويقول أنا أسد الله وأسد رسوله، ويقال أنه قتل بأحد قبل أن يقتل أكثر من ثلاثين فإن صح فلا يعارضه أن قتلى أحد من الكفار ثلاثة وعشرون لأنه لا يلزم من معرفة أسماء المقتولين أن ذلك جميع القتلى. نقله الزرقاني.

وأما العباس فكان حسن الوجه جميلا أبيض له ضفيرتان معتدلا في القامة، وقيل كان طويلا بضم الطاء أي طويلا، وروي أنه لما أسر يوم بدر أراد الأنصار أن يكسوه فلم يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبي فكسه إياه، فلما مات ابن أبي ألبسه عليه السلام ثوبه. قال سفيان فظني أنه مكافأة للعباس أي لإلباسه فكأنه توفية حق دنيوي ثبت له فلا يرد أنه كيف يفعل ذلك مع علمه بنفاقه ولعله أراد تخفيف عذاب غير الكفر جزاء لذلك ما دام عليه القميص، وكان العباس أسن منه عليه السلام بسنتين أو ثلاث وكان رأسا في قريش ذا رأي جوادا مطعما، إليه عمارة المسجد الحرام، فلا يدع أحدا يسب فيه ولا يقول هجرا وكانت قريش تعاهدت على ذلك وأسلموه إليه كما في الشامية وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وكان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في العقبة الثالثة قبل إسلامه يعقد له البيعة على الأنصار وقال فيه

عليه السلام: اللهم إن عمى العباس حاطني بمكة من أهل الشرك وأخذ لي على الأنصار وأجارني في الإسلام مؤمنا بالله مصدقا بي اللهم احفظه وحطه واحفظ له ذريته من كل مكروه.

ولما شدوا وثاقه في أسرى بدر سهر عليه السلام تلك الليلة فقل ما يسهرك يا رسول الله؟ قال لأنين العباس. فقام رجل فأرخى من وثاقه وفعل ذلك بالأسرى كلهم ووصفه عليه السلام فقال أجود الناس كفا، وأحناء عليهم أي أشد الناس عطفًا وروى أحناءهم بالجمع وكلاهما جاءئز. وروى الطبراني بإسناد حسن أن العباس أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآه قام إليه وقبل ما بين عينيه ثم أقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شاء فاليباه بعمه. فقال العباس نعم القول يا رسول الله. قال ولم لا أقول هذا؟ أنت عمى وصنو أبى ونقيبة آبائي ووارثي وخير من أخلف من أهلي. قوله ونقيبة آبائي أي بقية الشفوقين علي من أعمامى كشفقة الأب. وقوله ووارثي أي في القيام بتعلقاتي بعد موتى كولاية غسلى وتعظيم الناس لك. وقوله وخير إلخ. أي غير علي وقال عليه السلام له يا عم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة يعنى منفعة أوصلها إليكم، فلما أتاهاهم اشتمل عليهم بملاءة ثم قال يا رب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه. فأمنت أسكفت الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاث مرات.

والأسكفة بضم الهمزة العتبة العليا وقد تطلق على السفلى. وقال عليه السلام: اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا وفي رواية اللهم أغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم. قوله مغفرة ظاهرة أي بضبط جوارحهم عن المعاصي، والباطنة أن يصون أسرارهم عن الحسد والكبر ونحوهما.

وفي الحديث العباس عم نبيكم أجود قریش كفا، وأوصلها وان من

ولده السفاح والمنصور والمهدي، والسفاح أول خلفائهم واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولي الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر والمنصور أخوه كنيته أبو جعفر واسمه عبد الله أيضا ولي الخلافة اثنتين وعشرين سنة، وكان فقيها بليغا حافظا للقرآن والسنة ومات محرما بالحج، والمهدي بن المنصور وليها عشر سنين وقيل فيه انه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية.

وفى الحديث ليكونن فى ولده يعنى العباس ملوك يكونون أمراء يعز اللهم بهم الدين انتهى.

وقيل إن العباس أسلم قبل بدر ولكنه كان يكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مستكرها ولذا نهى عليه السلام عن قتله فأسره أبو اليسر ففادى نفسه ورجع الى مكة والمصطفى عنه راض وقيل أسلم يوم بدر ثم أقبل مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح بالأبواء وكان معه فى الفتح وختمت به الهجرة وروى أبو يعلى أنه استأذنه عليه السلام فى الهجرة فكتب إليه يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه فإن الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة.

وكان للعباس عشرة أولاد الفضل وهو أكبرهم وعبد الله وقال فيه عليه السلام هذا شيخ قريش وهو أعلم اخوته. وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل. اللهم أحش جوفه علما وحلما وقال له نعم ترجمان القرآن أنت دعاك جبريل مرتين انتهى.

وكان الصحابة يسمونه البحر والحبر، وكان عظيما فى الخلق والخلق واسع العلم حديثا وفقها وعربية وأنسابا وشعرا وتفسيرا ومنهم عبيد الله وكان جوادا سخيا ومعبد وقثم وعبد الرحمن وكثير والحارث وعون وتام وهو أصغرهم. ولكلهم صحبة وكان العباس يقول:

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراما برره
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

قال الزبير بن بكار كان العباس ثوبا لعاري بنى هاشم وجفنة
لجائعهم ويمنح الجار ويبذل المال ويعطى فى النوائب؛ وقال ابن المسيب
كانت جفنته تدور على فقراء بنى هاشم ويطعم الجائع ويؤدب السفية.

قال الزهري هذا والله هو السؤدد انتهى من المواهب وشرحها فى
مواضع متفرقة. وأخرج ابن الخطيب أنه قال عليه السلام إذا كانت سنة
خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولأولادك. وقال ابراهيم بن علي بن هرمة
فيه:

وكانت لعباس ثلاث أعدها إذا ما جناب الحي أصبح أشهباً
فسلسلة تنهي الظلوم وحفنة تروق فيكسوها السنام المرعباً
وحلة عصب ما تزال معدة لعار ضريك ثوبه قد تهبباً

قوله إذا ما جناب الحي إلخ.. يعنى كان زمن المحل وسنة شهباء لا مطر
فيها والمرعب بالراء والعين المهملتين المقطع والعصب بفتح العين
وسكون الصاد مهملتين ضرب من البرود وتهبب بموحدتين تقطع قاله
كاتبه سمح الله له وقال عامر بن وائلة يمدح عبد الله وعبيد الله ابني
عباس رضي الله تعالى عنهما:

كنا نزور ابن عباس فيقبسنا فقها ويكسبنا مالا ويهدينا
ولا يزال عبيد الله متسرعة جفانه مطعما ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما نزال منهن ما نبغى إذا شينا
إن النبي هو الذى به كشفت عنا عمايات ماضينا وباقينا
ورھطه عصبه فى ديننا ولهم فضل علينا وحق واجب فينا

وكان عمر يستسقي بالعباس عام الرمادة فقال اللهم ان هؤلاء عبيدك
وبنو إمائك أتوا راغبين متوسلين إليك بعم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاسقنا سقيا نافعة تعم البلاد وتحيي البلاد. فقال فى ذلك

عباس بن عتبة بن أبي لهب:.

بعمى سقى الله الحجاز وأهله
توجه بالعباس فى الجذب راغباً
ومنا رسول الله فىنا قرابة
عشية يستسقى بشيبتة عمر
إليه فما أن رام حتى أتى المطر
فهل فوق هذا فى المفاخر مفتخر

انتهى من الحلة السيرا للشيخ اليدالي. وفى الزرقاني أن عمر خطب فقال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده: يعظمه ويفخمه ويبرق اسمه؛ فاقتدوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم وفى الحديث إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، فمنزلى ومنزل إبراهيم فى الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين رواه ابن ماجه والحاكم وابن شاهين وقال هذه فضيلة تفرد بها العباس ليست لغيره وقال فيه اللهم اسكنه معى فى السناء الأعلى انتهى منه.

وتوفي العباس قبل قتل عثمان رضي الله عنهما بسنتين يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة ثلاث وثلاثين وقيل سنة اثنين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة ومع ذلك كان معتدل القامة وكان شديد الصوت يسمع صوته من ثمانية أميال، ذكره الحازمي انظر الزرقاني والمواهب.

(لكن أبو طالب مع أبي لهب قد أدركا البعث وما نالا الأرب)

قوله أبو طالب منع صرفه هنا ضرورة واسم أبي طالب عبد مناف وطالب المكني به مات كافراً اختطفته الجن ولم يعلم له خبر واسم أبي لهب عبد العزى يعنى أن أبا طالب وأبا لهب ابني عبد المطلب قد أدركا بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم أي رسالته إلى جميع الثقليين لكنهما والعياذ بالله تعالى لم ينالا إلا رب بالتحريك وهو الحاجة يعنى الإيمان أما أبو لهب فقال فيه تعالى {سيصلى ناراً ذات لهب} وأما أبو طالب

ففي الصحيح أنه فى ضحضاح من نار يغلي منه دماغه وقال بعضهم أنه المعنى بقوله تعالى {إنك لا تهدي من أحببت} وزعم بعض الروافض أنه أسلم عند الموت ورد ذلك فى الإصابة وهو شقيق عبد الله والزبير وعبد الكعبة، كما مر وكذا برة وأم حكيم وأميمة وعاتكة عماته عليه السلام فهم شقائق عبد الله وأم الجميع فاطمة المخزومية وهى بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم قال ابن هشام وعائذ بن عمران بلا واسطة، قال السهيلي وهو الصحيح وزاد ابن اسحاق بين عائذ وعمران عبد، قال السهيلي وأهل النسب ذكروا أن عبداً أخا عائذ وأنه أب لصخرة زوجة عمرو بن عائذ وهى أم فاطمة جدته عليه السلام نقله الزرقاني. ونقل قبل هذا ان الزبير بن بكار صرح بأن من كان من ولد عمران فهو عائذ بتحتية ومعجمة ومن كان ولد أخيه عمرو فعابد بموحدة ومهملة، قال نقله الأمير فى كماله والحافظ فى تبصيره وأقره فسها من ضبطه بموحدة لحفظه ذلك فى عتيق بن عائذ زوج خديجة قبل المصطفى عليه السلام انتهى. وقد تقدم بعض هذا.

وأولاد أبي طالب طالب فعقيل فجعفر فعلي وكل أكبر ممن يليه بعشر سنين وأختهم أم هانئ قيل وحماتة أخت لهم ثانية وأسلموا كلهم إلا طالبا فمات كافرا قاله الزرقاني. وأم علي وأخوته فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت وهاجرت وماتت فى زمنه عليه السلام وسمت عليا حيدرة باسم أبيها أسد وكان أبو طالب غائباً فقدم فسماه عليا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعقيل إنى أحبك حبين حبا لقرابتى وحبا لما كنت أعلم من حب عمى إياك.

وروي أن عقيلاً لما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حاز رباع النبي عليه السلام كلها ثم أسلم وهى فى يده فقال عليه السلام إنه من أسلم على شيء فهو له وأما جعفر فهو الطيار لأنه قاتل بمؤتة حتى قطعت يداه ثم قتل فأخبر عليه السلام أن الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء. قال فى الفتح، وقد ادعا

السهيلى أن الذى يتبادر فى ذكر الجناحين والطيران كجناحي الطائر لهما ريش وليس كذلك انتهى.

وأما علي فلم يرد فى أحد من الصحابة، بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فيه، وسبب ذلك كثرة مخالفه ومبغضيه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح ورباه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلزمه من صغره إلى أن مات وبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر عقب قتل عثمان، فى أواخر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وكتبت بيعته إلى الأفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية فى أهل الشام فكان بينهم ما كان وقال عليه الصلاة والسلام لعلي أنت منى وأنا منك، وقال له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدى، وقال فيه لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله فأعطاها لعلي فقال عليه السلام لعلي من أشقى الأولين قال عاقر الناقة. قال فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم. قال قاتلك. رواه الطبراني انتهى من فتح الباري.

وأما أبو لهب فأمه لبنا بنت هاجر بكسر الجيم كناه بذلك أبوه لحسن وجهه. قال السهيلى مقدمة لما يصير إليه من اللهب وكان بعد نزول السورة لا يشك مؤمن أنه من أهل النار بخلاف غيره من الكفار، فإن الأطماع لم تنقطع من إسلامهم وصحب ولداه عتبه ومعتب وثبتا يوم حنين وعتيبة المصغر قتله الأسد كافرا كما مرّ وبعضهم يجعله الصحابي والمكبر عقيّر الأسد. قال اليعمرى وغيره والمشهور الأول انتهى من الزرقاني، وامرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان.

ولما تكلم على أعمامه ذكر عماته الإناث والمراد بالأعمام هنا والعمات أخوة الأب وأخواته فقط فلا تدخل عمومة الأب ولا عمومة الجد وإن دخل ذلك فى قوله تعالى: {حرمت عليكم أمهاتكم} (الآية) وعدد العمات ستا بلا خلاف أشار لهن بقوله:

(عماته صفية المبره وأم حكيم أروى
أميمة عاتكة وبره وعنه إسلام الأولى يروى)

والمبرة بفتح الميم والباء ضد الفجور وهو مضاف إليه ما قبله
وأضافها للمبرة لإسلامها كما أشار لذلك بقوله:

وعنه إسلام الأولى

وهي صفية يروى أي ينقل وبدأ بها لشرفها بالاتفاق على إسلامها
يعنى أن عماته عليه السلام ست ولا خلاف فى ذلك، أما أربع منهن
فشقائق عبد الله كما مرّ وهن برة وأميمة وعاتكة وأم حكيم البيضاء
وأما صفية فشقيقة حمزة وأما هالة بنت وهيب بضم الواو مصغرا
وتبدل الواو همزة ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وهي أيضا أم
المقوم وحجل. وأما أروى فأما صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث
وقثم وما فى العيون من أنها شقيقة عبد الله فيه نظر أما صفية
فأسلمت باتفاق كما فى المواهب فقوله وعنه أي جميع أهل السير
وشهدت صفية الخندق وقتلت رجلا من اليهود طاف بالحصن الذى كانت
فيه مع نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مرّ وضرب لها عليه
السلام بسهم من غنائم قريظة وكانت فى الجاهلية تحت الحارث بن
حرب أخى أبى سفيان بن حرب ثم هلك عنها فخلف عليها بخفة اللام
العوام بن خويلد فولدت له الزبير أحد العشرة والسائب بن العوام وهو
بدري أيضا ولا عقب له وأما أميمة بضم الهمزة وفتح الميم بينهما
تحتية ساكنة فاختلف فى إسلامها كما فى الفتح وكما فى المواهب فى
المقصد السابع. وفى الزرقاني عن الإصابة ما يفيد اختيار القول
بإسلامها وكانت تحت جحش بن رباب بكسر المهملة فتحتية مخففة
فألف فموحدة الأسدي وقد مرّ نسبه فى أمهات المؤمنين فولدت له
زينب أم المؤمنين وعبد الله بالتنكير المجدع فى الله لدعائه المستشهد
فى أحد وأبا أحمد عبدا بلا إضافة وكان ضريرا ومع ذلك يطوف مكة

أعلاها وأسفلها هاجر إلى المدينة وشهد بدرا والمشاهد قليل وهاجر إلى الحبشة وعبيد الله بالتصغير أسلم وهاجر إلى الحبشة فتنصر ومات بها كافرا والعياذ بالله تعالى وأم حبيبة زوجة عبد الرحمن بن عوف وحمنة زوجة مصعب بن عمير وقتل عنها بأحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، وأما عاتكة فاختلف في إسلامها أيضا فعدها العقيلي في الصحابة وقال ابن سعد أسلمت وهاجرت إلى المدينة قال ابن عبد البر وأبى ذلك الأكثرون وذكرها ابن فتحون في ذيل الاستيعاب واستدل على إسلامها وذكرها ابن مندة في الصحابة وهي صاحبة الرؤيا المشهورة بها في وقعة بدر، قالت رأيت في المنام قبل قدوم خبر العير بثلاث ليال رجلا أقبل على بعير فوقف بالأبطح فقال أنفروا يا آل غالب لمصارعكم ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى ما بقي دار ولا بيت إلا دخله بعضها انتهى المراد منها. وقد تقدمت قال الزرقاني بعد هذا وأوردها في القسم الأول من الإصابة وحكى الخلاف فكأنه اختار القول بإسلامها انتهى. وكانت تحت أبي أمية بن المغيرة فولدت له عبد الله وزهيرا أسلما وصحبا وقريبة بفتح القاف وقيل بالتصغير أسلمت وصحبت كما في الإصابة وفي العيون أختلف في صحبتها وهم أخوة أم سلمة أم المؤمنين لأبيها وأما برة بفتح الموحدة فكانت عند أبي رهم بضم الراء بن عبد العزى من بنى عامر بن لؤي فولدت له أبا سبرة البدري ثم خلف عليها عبد الأسد ابن هلال المخزومي فولدت له أبا سلمة زوج أم سلمة قبل المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما أن أخاه الأسود المقتول ببدر هو أول من يأخذ كتابه بشماله ولم يذكروا لبرة إسلاما والله تعالى أعلم.

ونفى ابن اسحاق إسلام غير صفية وأما أم حكيم بفتح المهملة وكسر الكاف فقليل انها توأمة عبد الله بن عبد المطلب وكانت تقول إني لحصان فما أكلم وصناع فما أعلم وهي التي وضعت جفنة الطيب للمطيبين وهي أم أروى وعامر ابني كريب بالتصغير ابن ربيعة ابن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف وأروى هذه هي أم عثمان بن عفان ولم يذكروا

لأم حكيم إسلاما. وأما أروى فأُمها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث وما فى العيون من أنها شقيقة عبد الله ففيه نظر وكانت تحت عمير بالتصغير بن وهب بن عبد الدار بن قصي فولدت له طليبا بالتصغير ثم خلف عليها كلدة بالتحريك ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فولدت له فاطمة وابنها طليب من فضلاء الصحابة هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا واستشهد بأجنادين ولا عقب له وذكر ابن إسحاق أن أروى لم تسلم وتعقبه ابن عبد البر بأن العقيلي ذكرها فى الصحابة وذكر الواقدي بسنده أن طليبا لما أسلم دخل على أمه أروى فقال قد أسلمت. قالت: وعضدت ابن خالك، والله لو قدرنا على ما تقدر عليه الرجال لمنعناه وذبحنا عنه. فقال لها طليب: ما يمنعك أن تسلمى فقد أسلم أخوك حمزة؟ فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي. فقال إني أسألك بالله إلا ما أتيتيه فأسلمت عليه وصدقته. قال فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ثم كانت بعد تعضد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلسانها وتحض ابنها على نصرته وذكر الواقدي بسنده أيضا أن أبا جهل وعدة معه آذوه عليه السلام فعمد طليب بن عمير إلى أبى جهل فشجه فأخذه فقام أبو لهب بنصره وبلغ أروى فقالت ان خير أيامه يوم نصر ابن خاله. وجزم ابن سعد بأن أروى أسلمت وهاجرت إلى المدينة، قال ويقال أنها قالت: إن طليبا نصر ابن خاله

وأساه فى ذي دمه وماله

قال ورثت النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات منها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا
كأن على قلبى بذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا

ونسب فى المواهب هذا الشعر لصفية كما ياتى فى وفاته عليه السلام إن شاء الله تعالى. وقال الزرقاني لكن إنما نسبه ابن سعد وغيره لأروى

بنت عبد المطلب انتهى. وقال الزرقاني قال فى الهدى وصح بعضهم إسلامها يعنى أروى وأوردها فى الإصابة فى القسم الأول انتهى. وفى الفتح أختلف فى إسلام أروى وأميمة وعاتكة وللإيراقى رحمه الله تعالى:

عماته صفية عاتكة أم حكيم برة أميمة
أروى ولم يسلم سوى صفية قيل ومع أروى ومع عاتكة

قال المناوى فى إسلامها خلاف يعنى عاتكة وكانت عند أبى أميمة بن المغيرة، عرف بزاد الركب وأم حكيم اسمها البيضاء وهى توأمة والد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت تحت كريب بضم الكاف وفتح الراء ابن ربيعة وبرة بشد الراء أم أبى سلمة بن عبد الأسد وأم أبى سبرة بن أبى رهم وأروى كانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار ثم خلف عليها كلدة بن هاشم بن عبد مناف. وقوله قيل أى قال العقيلي والمستغفرى وتبعهما ابن الأثير وأسلم منهن مع صفية أروى مع عاتكة فعدهما فى الصحابة. وذكر الحاكم فى المستدرک أن أروى أسلمت انتهى المراد منه.

خاتمة:

لم يذكر الناظم أخواله عليه الصلاة والسلام وخاله الأسود بن وهب وروى حديثه ابن منده وخاله أيضا عمير بن وهب روى عنه الخرائطي بسند ضعيف وخاله أيضا عبد يغوث والد الأسود المستهزئ وخالته فريعة بنت وهب صحابية ذكرها الزرقاني ونظمت أخواله فقلت:

(أخواله الأسود مع عمير قد أسلما وصحبا بخير

كذا فريضة بها المختار باها فقد تم لها الفخار
ومنهم عبيد يغيث الوالد لأحد المستهزئين الأسود

ومباهاته عليه السلام بها هي أنه رفعها فقال من أراد أن ينظر إلى
خالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فالينظر إلى هذه. وقولي
الأسود خبر مبتدأ محذوف أي وهو الأسود.

ولما ذكر أعمامه وعماته صلى الله تعالى عليه وسلم أتبعهم بذكر
مواليه أي عتقائه وبذكر خدامه الأحرار فقال:

(بيان ماله من الموالى والخدم الأحرار باحتفال)

البيان الاظهار والإيضاح والموالى جمع مولى وهو العتيق هنا والخدم
بالتحريك جمع خادم غلاما كان أو جارية والخادمة بالهاء فى المؤنة قليل
ويجمع على خدام أيضا كما فى المصباح قاله الزرقاني. والأحرار جمع
حر والمراد به هنا الحر بالأصالة بمقابلته بالموالى والاحتفال المبالغة فى
الشيء والاهتمام به والباء للمصاحبة ومعنى كلامه أنه يبين هنا أي
يذكر عتقائه عليه الصلاة والسلام ومن كان يخدمه من الأحرار بالأصالة
حال كونه محتفلا بذكرهم أي مهتما به ومبالغا فيه بحيث لا يترك
منهم أحدا.

وفى المواهب الفصل الخامس فى خدمه ومواليه. قال الزرقاني يعلم
من كلامه الآتى ان هذا متداخل فمنهم من هو من الخدم والموالى ومنهم
خادم لا مولى وعكسه انتهى.

ثم شرع فى ذكر الموالى فقال (زيد أسامه ابنه) هذا خبر مبتدأ
محذوف أي وهم زيد بن حارثة الكلبي وأسامة بحذف العاطف وابنه
نعت لأسامة يعنى أن الأول ذكر الناظم من الموالى زيد بن حارثة المنوه
بذكره فى كتاب الله تعالى وبعده أسامة ابنه حب رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وزيد أحد السابقين حتى قيل انه أول من أسلم واختص بذكر اسمه في القرآن: قال تعالى {فلما قضى منها زيد وطرا زوجناكها} وقال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «وأي الله إن كان لخليقا للإمارة وان كان لمن أحب الناس إلى وأن هذا يعنى ابنه لمن أحب الناس إلى» رواه فى البخاري.

وفي البخاري أنه عليه السلام كان ياخذ أسامة والحسن ويقول: اللهم أحبهما فأني أحبهما.

وعن ابن عمر فرض عمر لأسامة أكثر مما فرض لى فسألته فقال إنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منك، وأبوه أحب إليه من أبك. وهو صحيح. وكان يقال لأسامة الحب ابن الحب، وهو بكسر الحاء أي محبوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وزيد هو بن حارثة بن شراحيل بفتح الشين المعجمة كما فى المناوي بن كعب ابن عبد العزى وكان زيد قد أسرف في الجاهلية لما خرجت به أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء لتزييره أهلها فأصابته خيل بنى القين لما أغارت على بنى معن فأتوا به سوق عكاظ وهو غلام يفع وفى الروض ابن ثمانية أعوام فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فاستوهبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منها فوهبته له فأعتقه فجزع أبوه جزعا شديدا فمر به ناس من كلب حجوا فعرفوه وعرفهم فقال أبلغوا أهلي هذه الأبيات:

أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا	فإني قعيد البيت بين المشاعر
فكفوا عن الوجد الذى قد شجاكم	ولا تعملوا فى الأرض نص الأباغر
فإني بحمد الله فى خير أسرة	كرام معد كابرأ بعد كابر

فلما بلغوهم الشعر أتى أبوه وعمه كعب إلى مكة فسألا عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه، فقالا يا بن عبد

المطلب يابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتعظمون الأسير جننا في ولدنا عبدك فامتن علينا واحسن في فداءه فإننا سنرفع لك. فقال أو غير ذلك ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني فداء. قالوا زدتنا على النصف. فدعاه فخيرته صلى الله تعالى عليه وسلم بين أن يدفعه لهما أو يبقى عنده، فقال ما أنا بالذي أختار عليك أحدا. أنت مني بمكان الأب والعم. فقالا ويحك يا زيد أختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك؟ قال نعم. فقال عليه السلام أشهدوا ان زيد ابني أرثه ويرثني. فطابت نفس أبيه وعمه فانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام.

وعند ابن إسحاق فلم يزل عنده حتى بعثه الله فصدقته فاتفق ابن الكلبي وابن إسحاق على أن هذه القصة كانت قبل البعثة وبه جزم في الروض وروى ابن مندة أنه عليه السلام دعا حارثة إلى الإسلام قال فأسلم وهو غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الزرقاني ولم أر لحارثة ذكرا بإسلام إلا من هذا الوجه فإن صح قهذهقدمة ثانية قدمها بعد البعثة لتفقد ولده فهذه الله فأسلم بدليل ذكرهم له في الصحابة وأورده في الإصابة في القسم الأول.

وروى الترمذي من حديث جبلة بفتح الجيم والموحدة الصحابي بن حارثة وهو أخو زيد وأكبر منه سنا قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت أرسل معي أخي زيدا فقال ها هو ذا بين يديك ان ذهب فلست أمنعه فقال يا رسول الله لا أختار عليك أحدا. قال جبلة فوجدت قول أخي خيرا من قولي انتهى من المواهب وشرحها.

وفي الكلاعي أن أباه لما فقده بكى عليه فقال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإني لسائل
ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة
تذكرني به الشمس عند طلوعها
وإن هبت الأرواح هيـجن ذكره
سأعمل نص العيس فى الأرض جاها
حياتي أو تأتي علي منيتي
أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
فحسبي من الدنيا رجوعك لى يحل
وتعرض ذكره إذا قرصها أفل
فيا طول ما حزني عليه وما وجل
ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل
فكل امرئ فان وإن غره الأمل

انتهى. وغاله أهلكه والأوبة الرجوع، وقوله يحل أي يحلي أي كفاني،
فهو بمعنى حسبي، وتعرض بفتح التاء وكسر الراء أي تأتي، وأفل سقط،
وقوله وما وجل أي ما وجلي أي فزعي، وما زائدة ونص العيس أقصى ما
عندها من السير، وقوله أو تسأم الابل بنصب تسأم أي حتى تسأم.

قاله كاتبه عفا الله تعالى عنه بمناه.

ولما تبني عليه السلام زيدا وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة
بالتحريك فولدت له أسامة قبل البعثة بثلاث سنين كما لابن سعد أو
لخمس كما لابن أبي خيثمة ثم زوجه عليه السلام زينب بنت جحش فلما
طلقها أي زيد، زوجه أم كلثوم بنت عقبة وتوفي عليه السلام ولأسامة
عشرون سنة، وكان أسامة مولى لأن أبويه معا منهم: (ثوبان عطف على
زيد بحذف العاطف)، يعنى أن ثوبان رضي الله تعالى عنه من مواليه
عليه السلام، وهو ابن بجدد بضم الموحدة وسكون الجيم ومهملتين
أولاهما مضمومة ويقال انه عربي من سعد بن حمير اشتراه ثم اعتقه
صلى الله تعالى عليه وسلم وخيره ان يرجع إلى قومه أو يقيم عنده
فأقام على ولائه ولزمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يفارقه حضرا
ولا سفرا إلى أن مات عليه السلام ثم تحول إلى حمص ومات بها سنة
أربع وخمسين وروى أبو داود أنه عليه السلام قال من يتكفل لى أن لا
يسأل الناس وأتكفل له بالجنة، فقال ثوبان أنا. فكان لا يسأل أحدا شيئا
قال العلامة الزرقاني ويكنى ثوبان أبا عبد الله كما فى المناوي. (أنسة)

بحذف العاطف أيضا فهو من الموالي ويكنى أبا سرح أو مسروح كان يؤذن على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مات فى خلافة أبى بكر قاله المناوي. (فضالة) كسحابة فهو من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غير منسوب قاله فى القاموس. (شققران) بضم المعجمة وسكون القاف فراء فألف فنون واسمه صالح بن عدي الحبشي ويقال فارسي أهده له عبد الرحمن بن عوف ويقال اشتراه منه. وذكر البغوي أنه عليه السلام ورثه من أبيه هو وأم أيمن، شهد بدرا وهو مملوك ثم اعتقه بعد بدر. وروى الترمذي أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى القبر. قال الحافظ أظنه مات فى خلافة عثمان انتهى من المواهب وشرحها. وهذا البيت قريب من بيت العراقي.

وهو زيد أسامة ابنه ثوبان أنسة وصالح شققران

(ثم رباح) بفتح الراء وموحدة خفيفة وهو نوبى أسود وكان يؤذن على المصطفى إذا انفرد وهو الذى أذن لعمر فى الدخول فى المشربة. وقال البلاذري كان يستأذن عليه ثم صيره فى لقاحه بعد قتل يسار قال الزرقاني. وفى المناوي عن الطبري أنه اشتراه من وفد عبد القيس فأعتقه انتهى.

(ويسار وارد) يسار مبتدأ ووارد خبره يعنى أن يسارا أو وارد فى الموالي أي آت فهو أيضا من مواليه عليه الصلاة والسلام وهو بتحتية فمهملة خفيفة النوبي الراعي الذى قتلتة العرينيون سنة ست ومثلوا به رآه عليه السلام يحسن الصلاة فأعتقه وروى أنه عليه السلام أصاب فى غزوة بنى ثعلبة غلاما اسمه يسار لكن قالوا فى ذلك انه حبشي وهذا نوبى فهما اثنان انظر الزرقاني.

(طهمان) يعنى أن طهمان مولى له صلى الله تعالى عليه وسلم قال

فى القاموس طهمان كسلمان ويضم مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى، وعده ابن سيد الناس أيضا فى الموالى، ولم يذكره فى المواهب إلا على انه من أسماء مواليه عليه السلام سفينة فقال وسفينة واختلف فى اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك. انتهى بلفظه. وقوله وقيل مهران قال النووي وهو قول الأكثر، وقوله وقيل غير ذلك مروان ونجران ورومان إلخ. ما يأتى عند ذكر سفينة عن الزرقاني ويأتى إن شاء الله كلام العراقي والمناوي عليه.

وفيه أن طهمان اسم سفينة والله تعالى أعلم.

(مابور) بموحدة خفيفة مضمومة وواو ساكنة ثم راء مهملة ويقال هابو بهاء بدل الميم وبغير راء فى آخره كما فى الإصابة قاله الزرقاني. وقال المناوي بضم الموحدة القبطي أهدها المقوقس للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شيخا كبيرا خصيا انتهى. وفى المناوي قيل هذا انه ابن عم مارية كان ياوي إليها فاتهمت به فبلغ المصطفى فبعث عليا ليقتله فقال يا رسول الله أقتله أم أرى رأيي فيه؟ قال بل ترى رأيك فيه. فلما رأى عليا والسياف تكشف فإذا هو ممسوح.

فأخبر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب انتهى.

(عبيد) أي من مواليه عليه السلام عبيد ذكره العراقي قال المناوي هو ابن عبد الغفار مولى عتاقة له حديث ذكره ابن عساكر. (واقد) وهو مولى له عليه السلام وهو بالقاف قال الزرقاني ذكره الحسن بن سفيان والطبراني وأخرجنا من طريق زاذان عن واقد مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رفعه من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه انتهى. (وأبواهما) ضمير التثنية راجع لقوله عبيد واقد ومعنى كلامه أن من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم مولى اسمه عبيد وآخر اسمه أبو واقد وظاهره كظاهر العيون أن هؤلاء أربعة واقد،

وأبو واقد، وعبيد وأبو عبيد وظاهر المواهب أن واقدًا وأبا واقد واحد وبه صرح الزرقاني ونصهما وواقد وأبو واقد بأو، وقال الزرقاني بعد قوله وقد ذكره الحسن بن سفيان والطبراني وأخرجاه إلى آخر ما قدمته بعد قول الناظم واقد وفيه بعد قوله أوأبي واقد ذكره ابن مندة، وقال روى عنه زاذان رفعه من أطاع الله فقد ذكره وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القراءان كذا ذكره في الإصابة في الأسماء وفي الكنى مع أن الحديث واحد والراوي واحد غاية أنه عبر أولاً بالاسم وثانياً بالكنية ولذا أحسن المصنف في التعبير بأو إشارة إلى أنه عبر عنه مرة بالاسم وأخرى بالكنية وهو واحد والعلم لله تعالى انتهى كلامه. وقال المناوي بعد قول العراقي واقد ما نصه ويقال أبو واقد ذكره ابن عساكر وغيره انتهى منه. فهذا يفيد أنهما عنده واحد والله تعالى أعلم ولم يذكر في المواهب عبيداً ولا أبا عبيد، وللعراقي:

جسد بلال بن يسار زيد حنين ما بور كذا عبيد
أبو عسيب وأبو عبيد مع أبي ضميرة سعيد

قال المناوي عقب قوله عبيد ما نصه ابن عبد الغفار مولى عتاقة ذكره ابن عساكر وغيره وأبو سيب بفتح أوله اسمه أحمر ذكره ابن نقطة وابن مندة وقال الموصلي اسمه مرة، وأبو عبيد له في مسند أحمد حديث أنه طبخ قدرا فيها لحم فقال المصطفى ناولني ذراعها، فقال كم للشاة من ذراع؟ ذكره في الموالى ابن عساكر، وأبو ضميرة بضم المعجمة مصغرا ذكره ابن عبد البر وقال كان مما أفاء الله عليه، قيل اسمه سعيد الحميري من آل ذي يزن قاله البخاري وقيل روح انتهى كلام المناوي. ومراده أنهم اثنان كما للناظم.

(ورافع) قال المناوي مولى المصطفى يكنى أبا البهاء بفتح الموحدة وكسرهما له ذكر في حديث عند ابن ماجه، قلت يا رسول الله من خير الناس؟ قال ذو القلب واللسان الصادق. وقيل كان أولاً لسعيد بن

العاصي انتهى. ويأتي إن شاء الله تعالى مزيد كلام فيه عند قول الناظم الآتي. أسلم لأن أسلم اسم أبي رافع.

(هشام) أي من الموالي هشام ذكره ابن سيد الناس ولم ينسبه، (حنين) بمهملة ونونين مصغرا ذكره ابن سيد الناس في الموالي، وأما القسطلاني فذكره في الخدم، وقال منهم يعنى الخدام حنين، والد عبد الله مولى عباس بن عبد المطلب كان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس انتهى.

وفي الزرقاني روى البخاري في التاريخ أن حنينا كان غلاما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوهبه للعباس عمه فأعتقه فكان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. وذكره العراقي في الموالي قال المناوي في شرحه عبد أسود، كان للنبي فوهبه لعمه فأعتقه فكان عند المصطفى يخدمه انتهى منه، فلعل عده من مواليه عليه السلام وجهه انه مولى لعمه ومع ذلك يخدمه هو عليه السلام والله تعالى أعلم.

(أحمر) أو من الموالي أحمر، قال ابن سيد الناس وأبو عسيب واسمه أحمر، انتهى وقد مر كلام المناوي. وذكر الزرقاني أحمد بالдал وأحمر بالراء على أن كلا منهما اسم لسفينة وعزا ذلك للإصابة. (سليم) بالتصغير يعنى أن سليما من مواليه عليه السلام وهو أبو كبشة بكاف فموحدة فمعجمة وقيل ان اسم أبي كبشة أوس وقيل اسمه سلمة أنظر المواهب. وللحافظ العراقي نفعا الله تعالى ببركته:

كذا أبو كبشة واسمه سليم أو أوس اسماه به أبو نعيم
وشهد أبو كبشة بدرا ومات أول يوم استخلف عمر.

وقول الناظم: (ذو اهتمام) الظاهر أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو ذو اعتناء بمتابعة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ويكفيه كونه بدريا وهذا على أن ذو مرفوع وهو كذلك في بعض النسخ ولو كان ذا بالنصب

لكان صوابا ويكون منادا معرا من حرف النداء وهو أظهر أي صاحب الاعتناء بالسير والله تعالى أعلم.

(كركرة النوبي) يعنى أن كركرة النوبي من مواليه عليه الصلاة والسلام وهو بفتح الكافين وكسرهما ذكره ابن قرقول ونوزع قال النووي الخلاف فى الكاف الأولى وأما الثانية فمكسورة جزما أهده له هوزة اليماني فأعتقه وجعله على ثقله وكان يمك دابته عند القتال يوم خيبر انتهى من المناوي والنوبي نسبة للنوب بالضم جيل من السودان. (زيد) يعنى ان من مواليه عليه السلام زيد بن بولى بموحدة وهو نوبى قال ابن شاهين أصابه فى غزوة فأعتقه وهو أبو يسار بن زيد التابعي المقبول رواية روى عن ابنه بلال بن يسار وليس أبوه زيد بن حارثة أنظر الزرقاني. وقوله بولى لم يتعرض لضبط الموحدة وفى القاموس انه كسكرى وزيد هذا هو الذى مر فى قول العراقي بأنه جد بلال بن يسار زيد، وفى المناوي انه عليه السلام أصابه فى غزوة بنى ثعلبة فأعتقه. (أسلم)، أي من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو رافع القبطي واسمه اسلم كما اقتصر عليه المواهب عند ذكر الموالى وذكره أيضا فى الخدام، وشهر فيه ذلك قال وكان على ثقله أي بفتح المثلة وكسرهما وفتح القاف أي امتعته قاله الزرقاني قال وكان للعباس فوهبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه، توفي قبل قتل عثمان بيسير انتهى كلام المواهب. وقال الزرقاني بعد قول القسطلاني واسمه اسلم على أشهر الأقوال العشرة وأسلم أبو رافع قبل بدر ولم يشهدا وشهد أحدا وما بعدها وروى عنه أولاده رافع والحسن وعبيد الله، والمغيرة قال الزرقاني وقال ابن حبان مات أبو رافع فى خلافة علي كما فى الإصابة، وقال أي الحافظ بن حجر فى التقريب مات فى خلافة علي على الصحيح. ومن الموالى أيضا أبو رافع آخر والد البهي قيل اسمه رافع، كان لسعيد بن العاصي فلما مات اعتق كل من بنيه نصيبه إلا خالد بن سعيد فوهبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعتقه وزعم جماعة أنه الأول،

قال فى الإصابة وهو غلط بين فإن الأول كان للعباس فالصواب أنهما
اثنان انتهى كلام الزرقاني.

وقال ابن سيد الناس وأبو رافع قيل اسمه ابراهيم وقيل هرمز وكان
للعباس ثم قال وأبو رافع أيضا والد البهي ابن أبي رافع قيل كان اسمه
رافعا وكان لأبي حيحة سعيد بن العاصي فمات وورثه بنوه فأعتقه
بعضهم وبعضهم وهب نصيبه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فأعتقه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى المراد منه وبعضه بالمعنى.
وللعراقي:

كـذا رباح ويسار مدعم	كـذا أبو رافع وهو أسلم
وقيل ابراهيم أو فـثـابـت	وهـرمـز يـزـيد خـلف ثـابـت
ورافع كـركرة فـضـالة	

انتهى المراد منه. وقوله وهو أسلم قال المناوي على الأشهر انتهى.
فذكر العراقي خمسة أقوال فى اسم أبي رافع قال المناوي وكان للعباس
فوهبه للمصطفى فلما بشر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
بإسلام العباس اعتقه، وقال بعد قوله ورافع ما نصه مولى المصطفى
يكنى أبا البهاء بفتح الموحدة وكسرهما له ذكر فى حديث عند ابن ماجه
قلت يا رسول الله من خير الناس قال ذو القلب واللسان الصادق وقيل
كان أولا لسعيد ابن العاصي انتهى

(سفينة) يعنى أن سفينة من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم
فأعتقه وقال آخرون اعتقته أم سلمة وشرطت عليه أن يخدمه عليه
السلام فقال لو لم تشترطني علي ما فارقتة فيقال له مولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ومولى أم سلمة وكان من أبناء فارس، وقيل
من مولدي العرب، قال فى المواهب واختلف فى اسمه فقيل طهمان

وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سفينة، لأنهم كانوا حملوه كثيرا فى السفر انتهى.

وقيل اسمه مروان أو نجران أو ذكوان أو شنبه بمعجمة فنون ساكنة فموحدة فتاء تأنيث أو أحمر أو أحمد أو رباح أو مفلح أو عمير أو عيسر أو عيسى أو أيمن أو قيس أو صالح أنظر الزرقاني والمناوي.

وللعراقي بعد قوله المار فضالة ما نصه:
وواقـد سـفـفـيـنـة فـزـارـة طـهـمـان أو كـيـسـان أو مـهـرـان
مـولـاه ذـكـوان أو مـروان

قوله فزاره بفتح الفاء يعنى أن هذه الأسماء مسماة على شخص واحد فقيل كذا وقيل كذا فهذه الأقوال كلها فى اسم سفينه وسماه المصطفى بذلك لأنهم كانوا يحملونه فى السفر متاعا كثيرا. وقيل ركب سفينة فانكسرت فركب لوحا فنجى فسمي بها، وقيل اسمه رومان انتهى من المناوي.

وفى الزرقاني أن الإمام أحمد روي عنه أنه قال كنا فى سفر وكان كلما أعىى رجل ألقى على ثيابه ترسا أو سيفا حتى حملت من ذلك شيئا كثيرا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، أحمل فإنما أنت سفينة، فلو حملت يومئذ وقر بغيرين أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة ما ثقل علي. وكان إذا قيل له ما اسمك؟ يقول سماني صلى الله تعالى عليه وسلم سفينة ولا أريد غيره. انتهى.

(أنجشة) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة كما ضبطه المصنف، قاله الزرقاني. يعنى أن أنجشة من مواليه عليه السلام وهو من حداته أيضا كما ياتي. وفى المناوي أنه حبشي حسن الصوت بالحذاء يكنى أبا مارية. وفى الصحيح رويك يا أنجشة، رفقا بالقوارير. وفى الطبراني أنه كان من المخنثين، على عهد المصطفى صلى

الله تعالى عليه وسلم. فقال لعن الله المخنثين أخرجوهم من بيوتكم.

(ومدعم) بكسر الميم وسكون الدال المهملة وفتح العين المهملة فميم أسلم وحسن إسلامه وقتل رضي الله عنه بعد انصرافهم من خيبر واوادي القرى قاله الزرقاني. يعنى أن مدعما من مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الأولى فتحتية ساكنة نسبة إلى بنى الضباب بالتصغير كما فى رواية مسلم وله وللبخاري أهداه أحد بنى الضباب بكسر وموحدتين بينهما ألف وفى رواية ابن اسحاق الضبن بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها نون وقيل بفتح المعجمة وكسر الموحدة نسبة إلى بطن من جذام وأهداه رفاعة للمصطفى عليه السلام كما فى الصحيحين والموطأ واختلف هل أعتقه المصطفى أو قتل رقيقا. وقيل أن الذى أهداه له هو فروة الجذامي وجزم فى الإصابة بأنه هو. وكررة اثنان، قاله الزرقاني.

(أبو لبابة أبو هند أبو ضمرة) (...)

كل واحد من الثلاثة معطوف بحرف مقدر ومراده ان أبا لبابة وأبا هند وأبا ضمرة معدودون فى مواليه صلى الله تعالى عليه وسلم أما أبو لبابة بضم اللام فذكره ابن الجوزي وغيره وكان لبعض عماته فوهيته له وأما أبو هند فذكره ابن حبيب والنيسابوري والطبري وقال ان المصطفى قال زوجوا أبا هند، وتزوجوا إليه ابتاعه منصرفه من الحديبية وأعتقه. قاله المناوي.

وأما أبو ضمرة فذكره العراقي بلفظ التصغير ولا يتزن بيته إلا به وقد مر وهو:

أبو عسيب وأبو عبيد مع أبي ضميرة سعيد

وضبطه المناوي بضم الضاد المعجمة مصغرا وقال ذكره ابن عبد البر وقال كان مما أفاء الله عليه، قيل اسمه سعيد الحميري من آل ذي يزن قاله البخاري وقيل روح وقيل غير ذلك انتهى كلامه وكذا ذكره ابن سيد الناس مصغرا والله تعالى أعلم.

(والإمساء حين تحسب مارية سلمى وأم رافع)

الإمساء جمع أمة وتحسب بالبناء للمفعول، تعدو الإمساء مبتدأ وخبره مارية إلخ، وسلمى هي أم رافع كما فى ابن سيد الناس والمناوي والمواهب والزرقاني وما رأيت من النسخ أعطف فيه أم رافع بالواو، فأما أن يكون عطف تفسير ولكن فيه إيهام التعدد، وأما أن يكون تصحيفاً أي يعنى أن موالياته صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حين تعد على ما ذكر الناظم؛ فمنها مارية أم سيدي ابراهيم القبطية وهي بنت شمعون بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وبالعين المهملة وقيل بإهمالهما وقيل بإعجامهما أهذاها له المقوقس واسمه جريح من مينا القبطي وأهدى له معها أختها سيرين بكسر السين والراء المهملتين بينهما تحتية ساكنة فياء فنون فوهب النبي عليه السلام سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن وأهدى له أيضا أختها قيصر بفتح القاف وسكون التحتية فصاد مهملة عند مغلطاي وغيره وعند اليعمرى وابن القيم بسين مهملة فراء وذكرها فى المواهب مولاة له عليه السلام وكذا عدها العراقي قال المناوي فى شرحه قيل زوجها لجهم بن قيس فولدت له ذكرا وقال الزرقاني بعد كلام المواهب قيل وهبها صلى الله تعالى عليه وسلم لأبيه جهم ابن حذيفة وقيل لجهم بن قيس العبدري ثم قال الزرقاني بعد كلام وكونها أمة لا شك فيه لأنه ملكها وهبها انتهى المراد من كلامه.

وقال ابن سيد الناس فى العيون ومن النساء أم أيمن الحبشية

واسمها بركة وسلمى أم رافع، إلى ان قال وقيصر القبطية أهداها له المقوقس مع مارية وسيرين قيل وهبها لأبي جهم بن حذيفة وقيل وهبها لجهم بن قيس.

وذكر ابن يونس أن زكرياء ابن الجهم ابن القيسر اخت مارية هذه وأما سيرين فوهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن. انتهى منه.

ومنها أم رافع واسمها سلمى وهي زوج أبي رافع مولاه عليه السلام وهو أسلم المتقدم ذكره. وفي المواهب وسلمى أي بفتح فسكون كما في الزرقاني أم رافع زوج أبي رافع.

قال الزرقاني يقال أنها مولاة له عليه السلام ويقال أنها مولاة لصفية وكانت تخدمه عليه السلام وروى الترمذي أنها قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرحة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء وروى أحمد عن عائشة: جاءت سلمى امرأة أبي رافع مولي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت إنه أي أبا رافع يضربني، فقال ما لك ولها؟ قال انها تؤذيني. قال بماذا أذيتيه؟ قالت: ما أذيته ولكنه أحدث، وهو يصلي فقلت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم ريح أن يتوضأ فقام يضربني. فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك ويقول يا أبا رافع لم تامرِك إلا بخير.

قال في الإصابة وسلمى هي أم رافع انتهى.
(بركة كانت بخير شافع حاضنة...)

قوله بركة مصروف للضرورة عطف على مارية واسم كان عائدة على بركة وحاضنة بالنصب خبر كان ويتعلق به المجرور قبله يعنى أن من مولياته صلى الله تعالى عليه وسلم بركة وهي حاضنته عليه السلام وهي أم أيمن وكان يقول عليه السلام أم أيمن أمي بعد أمي أي في الشفقة

والحنو، على أو فى رعايتي لها واحترامها وتعظيمها، وقال فيها من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فاليتزوج أم أمين فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بعد موت زوجها عبيد الخزرجي وهو أبو أيمن علي الصحيح المكناة به فهو خزرجي لا حبشي كما مر. قيل كانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها عليه السلام وأعتقها لما تزوج خديجة، حكاه ابن سعد. وقيل كانت لأمه عليه السلام حكاه ابن أبي خيثمة. أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وقد مر الكلام عليها وعلى ابنها أيمن فى صدر الكتاب عند قول الناظم: إذ حضنته..

(ميمونة) بالرفع عطف على مارية بحرف مقدر أي ومن المولات ميمونة ذكرها العراقي. وفى المناوي أنها بنت سعد انتهى. وفى العيون وميمونة بنت سعد وميمونة بنت أبي عسيب انتهى. وعليه فهما اثنتان والله تعالى أعلم.

وتقدم فى الموالى أبو عسيب .

(ريحانة) أي ومنهن ريحانة وقيل اسمها ربيعة بالتصغير كما فى الإصابة وهي بنت شمعون بمعجمتين ابن زيد بن عمر بن قنافة بالقاف أوخنافة بالخاء المعجمة وقال فى المواهب من بنى عمر بن قريظة وقيل من بنى النضير والأول أظهر انتهى. وفى الزرقاني قال ابن عبد البر قول الأكثر أنها قرظية وقيل نضيرية انتهى.

قال ابن إسحاق وسبهاها صلى الله عليه والسلام فأبت إلا اليهودية فعزلها ووجد فى نفسه فبيما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة فبشره فسرّه ذلك وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني فى ملكك فهو أخف عليّ وعليك. فتركها واصطفاه لنفسه وكان يطؤها بملك اليمين وماتت قبل وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع

وقيل اعتقها وتزوجها واقتصر عليه ابن الأثير وقال الواقدي انه الأثبت عند أهل العلم. وعند العراقي أنه الأرجح والله تعالى أعلم.

(خضرة، رضوى) أي ومنهن خضرة ومنهن رضوى. قال المناوي وهي بفتح الراء والواو ذكرها المستغفري وابن سعد انتهى كلامه.

(فعوا حسبانه) هو أمر من وعاه إذا حفظه وحسبان بضم الحاء وكسرهما العد أي فاحفظوا يا مخاطبين حد ما ذكر من مواليه وموليائه.

فوائد:

- الأولى قال النووي اعلم ان هؤلاء الموالى لم يكونوا موجودين فى وقت واحد للمصطفى بل كانوا كل منهم بعصر نقله غير واحد؛

الثانية لم يذكر الناظم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تسرى بغير مارية القبطية فقد تسرى بثلاث سواها ذكرها فى المواهب وهي ريحانة وأمة أخرى وهبتها له زينب بنت جحش والرابعة أصابها فى بعض السببي انتهى قوله وأخرى وهبتها له زينب. قال فى النور لا أعرف اسمها وفيه تقصير ففي الإصابة ان اسمها بقيسة. وقوله الرابعة أي بالنظر لمارية قال البرهان لا أعرف اسمها. قال أبو عبيد وكانت جميلة فكادها نساؤه وخفن أن تغلبهن عليه انتهى من الزرقاني. قال جامعه فقد نظمتهن تسهيلا للحفظ فقلت:

(أما سراريه سوى القبطية	فهي ثلاث فلها المزيه
ريحانة ميمونة وأخرى	لا أعرف اسمها وحازت فخرا
فكادها نساؤه وخففنا	من حسننها عليه ان يغلبنا
وكون أولاه من السراري	خلافه لابن الأثير جار
وقوله رجحه العراقي	مخالفا للمذهب الاسحاقي

المزية الفضيلة وقوله وحازت فخرا أي شرفا، لجمالها، وقوله يغلبن

بالبناء للمفعول والضمير المجرور بعلى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق بيغلبن أي خفن أن تغلبهن هذه الجارية عليه صلى الله تعالى عليه وسلم. وقوله وكون أولها يعنى ريحانة من السراري خلفه جار لابن الأثير، فإنه اقتصر على أنها من الزوجات ورجحه الواقدي وقول ابن الأثير هو الذي رجحه العراقي حال كونه مخالفا لمذهب ابن اسحاق فإنه جزم بأنها كانت توطأ بملك اليمين.

وللعراقي فى عد الزوجات بعد ذكره لأمنا جويرية:
فبعدها ريحانة المسبية وقيل بل ملك يمين فقط
لم يتزوجها وذاك أضبط

قوله وذاك أي الأولى، وهو كونها زوجة. أضبط أي أقوى وأصح أنظر
المنأوي.

قال الزرقاني والسراي بخفة الياء وشدها جمع سرية بضم السين وكسر الراء المشددة ثم تحتية مشددة مشتقة من التسرر وأصله من السر وهو من أسماء الجماع، سميت بذلك لأنه يكتم أمرها عن الزوجة غالباً، وضمت سينها جريا على المعتاد من تغيير النسب للفرق بينها وبين الحرة إذا نكحت سرا، وقال الأصمعي مشتقة من السرور لأن مالكا يسر بها فضمها قياسي انتهى.

الفائدة الثالثة بقي كثير من المأالي لم يذكره الناظم وسأذكر من نظم العراقي ما تضمنه بعض من لم يذكره الناظم وإن كان فيه بعض من ذكرهم. فمن نظمهم:

ومن مألوه أبو مويهبه حازوا به فخرا على المرتبه

وهو من مألده مزينة ذكره ابن سعد والحاكم وقال شهد المريسع وكان يقود بعير عائشة اشتراه المصطفى وأعتقه ولا يعرف له اسم غير كنيته

وقول حازوا به أي حاز به مزية قاله المناوي، ثم قال:

أفلح مع أنجـشـة وأسـلم	أيمن بإذا م وبدر حـ
دوس قـفـير سـابـق رويـع	سعيد اثنان عبيد رافع
سندر سـالم كـريـب عـيـلان	كذا عبيد الله سعد سلمان

بإذا م بموحدة وذال معجمة وبدر هو ابن عبد الله وحاتم قال اشتراني صلى الله تعالى عليه وسلم فأعتقني وقال له حاتم لا أفارقك وإن أعتقتني ودوس ذكره ابن مندة وقفيز بفتح القاف وكسر الفاء آخره زاي وسابق بمهملة وموحدة ورويغ يمانى ولا عقب له وقوله اثنان هما سعيد بن زيد ذكره الدمياطي وسعيد بن أبي كندر ذكره ابن الجوزي وسند بفتح المهملة وسكون النون وسالم ذكره أبو نعيم وكريب ذكره ابن الأثير، وغيلان ذكره ابن السكن وهو بفتح المعجمة وعبد الله هو ابن أسلم وسلمان هو الفارسي ذكره فى مواليه لأنه أدى عنه كتابته وأعانه على العتق، قال النووي اتفقوا على أنه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل عاش ثلاث مائة انتهى من المناوي.

وفى المواهب فى الموالى: وسلمان بن عبد الله الفارسي ويقال له سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير أصله من أصبهان وقيل من رام هرمز أول مشاهده الخندق ومات سنة أربع وثلاثين ويقال بلغ ثلاثمائة سنة انتهى مع بعض كلام الزرقاني. ورام هرمز بفتح الراء والميم بينهما ألف وضم الهاء والميم بينهما راء ساكنة وآخره زاي مدينة بأرض فارس مركبة تركيب مزج وينبغي كتابة رام منفصلة وهذا رواه البخاري فعلى المصنف مؤاخذته حيث جزم بالأول. ورفض الثاني. وروى الحاكم وابن حبان أنه كان ابن ملك وأنه خرج فى طلب الدين وانتقل من عابد على عابد وسمع به صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج فى طلبه فأسر وبيع بالمدينة وتداوله بضعة عشر اشتغل بالرق وروى انه شهد بدرا

وعمر طويلا حتى قيل انه أدرك عيسى عليه السلام وقيل بل أدرك وصي عيسى وروى أبو الشيخ أن أهل العلم يقولون عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين فأما مائتين وخمسين فلا يشكون فيها وهذا في عدهم سلمان من الموالى. أنظر في قصة أنه لما قدم عليه السلام المدينة أتاه سلمان ورأى علامات النبوة فأسلم فقال كاتب على نفسك فكاتب على أن يغرس ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية من ذهب، فغرس عليه السلام الكل بيده فقال أعيينوا أخاكم فأعانوه حتى أدى ذلك كله وعتق. انتهى المراد من الزرقاني.

ثم قال العراقي:

مكحول نافع نفيع وردان	محمد هو ابن عبد الرحمن
ضميرة فضالة وعمرون	هرمز واقد يسار شمعون
كذا أبو رافع آخر يقال	كذا نبيه ونبيل وهلال
أبو لقيط وأبو صفية	أبو البشير وأبو أثيبه
مع أبي هند أي الحجاج	كذا أبو الحمرا أبو سلام

ومحمد هو ابن عبد الرحمن بن ثوبان ومكحول أورده المستغفري ونافع أبو السائب كان لغيلان بن سلمان فأسلم وغيلان مشرك ففر إلى المصطفى فأعتقه ووردان قال النيسابوري سباه المصطفى من الطائف وأعتقه ومات في حياته. وهرمز ذكره النووي وجعله غير طهمان الذي قيل فيه هرمز، وشمعون أبو ريحانة سرية المصطفى وضميرة بضم المعجمة ابن أبي ضميرة وعمرون قدم على عمر بن عبد العزيز وسأله حاجته فأجابه وقال لو سألتني إلى ان توارت بالحجاب ما منعت ونبيه مصغر، وقيل بوزن عظيم اشتراه من مولدي السراة وأعتقه ونبيل بفتح النون ذكره النووي وهلال بن الحارث ويقال هلال بن ظفر أبو الجمل بجيم ولام والأكثر أبو الحمراء بحاء وراء وأبو رافع آخر أي غير أبي رافع أسلم المذكور وأبو البشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة وأبو أثيبه بضم الهمزة وفتح المثناة وأبو لقيط حبشي وأبو صفية ذكره ابن

عساكر، وأبو الحمرا بالقصر للضرورة هو هلال المار كما فى الإصابة وغيرها وأبو سلام بشد اللام أنظر المناوي، ونفيع بضم النون ابن مسروح بمهملات. روي انه قال أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإن أبى الناس إلا أن ينسبونى فأنا نفيع ابن مسروح كذا فى الزرقاني.

وفي المواهب ومنهم أبو الحمراء موله صلى الله تعالى عليه وسلم وخادمه واسمه هلال ابن الحارث أو ابن ظفرا ومنهم أبو السمع بفتح السين المهملة وسكون المميم فمهملة واسمه إياد.

تنبيه:

قول المناوي : وشمعون أبو ريحانة سرية المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. ذكره الزرقاني. نحوه عن السخاوي وابن سيد الناس لكن ذكر أن الشامي قال وهو وهم بلا شك: فإنه من النضير أو قريظة، فوالداها من بنى إسرائيل ولم يقل أحد أنه أسلم ولا أنه خدم النبي عليه السلام وأبو ريحانة المذكور فى الخدم أزدى أو أنصاري أو قرشي وجمع بين الأقوال بأن الأتصار من الأزد، ولعله حالف بعض قريش فهو غير والد ريحانة السرية قطعاً. انتهى وهو تعقب جيد. قاله الزرقاني.

وفيه فى موضع آخر أن الحافظ قال فى التبصير فى حرف الشين المعجمة واهمال العين فمارية بنت شمعون أم ابراهيم بن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبمعجمتين أبو ريحانة الصحابي، شمعون. انتهى.

وذكر العراقي فى الإمام: أميمة ذكرها ابن الأثير، وروي أنها قالت كنت أوضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ورزينة بفتح الراء وكسر الزاء وسكون التحتية فنون وقيل بزاي فراء حكاها فى الجوهرة

وركانة بضم الراء ذكره القداسي فى سراريه عن أبي عبيدة. انتهى من المناوي.

(وكان من خدامه الأحرار أنس ابن مالك الأنصاري)

المجروح خبر كان واسمها أنس بالتحريك، والخدام بضم المعجمة وشد الدال جمع خادم والأحرار جمع حر وهو خلاف المملوك يعنى أنه كان ممن خدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الأحرار، أنس بن مالك بن النضر، بالضاد المعجمة ابن خضم بن زيد بن حرام بن جندب ابن غنم بن عدي ابن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري أحد المكثرين من الرواة. وفى الصحابة أنس بن مالك القشري، فلذا قيل بالأنصاري، قاله الزرقاني شارحا لعبارة المواهب وهي كعبارة الناظم فلذا قيد هو بالأنصاري والله تعالى أعلم. وصح عنه أنه قال: قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وأن أمه أم سليم بالتصغير بنت حرام أتت به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم فقالت هذا أنس غلام يخدمك فقبله وكناه عليه السلام أبا حمزة بالحاء والزاء بلغة كان يحبها ومازحه فقال له يا ذا الأذنين، وقال محمد بن عبد الله الأنصاري خرج أنس بن مالك مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بدر يخدمه أخبرني أبي عن مولى لأنس أنه قال له أشهدت بدرا؟ قال وأين أغيب عن بدر لا أم لك. وإن لم يذكروه فى البدريين لأنه لم يكن فى سن من يقاتل.

وروى البخاري أنه غزا معه عليه السلام ثمان غزوات، ذكره فى الإصابة فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كما فى المواهب اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة.

وقال أنس رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة. فقال كما فى الزرقاني عن الطبراني فلقد دفنت من صلبى سوى ولد ولدي مائة وخمسة

وعشرين وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين وتوفي بالبصرة سنة
ثلاثة وتسعين أو اثنتين وتسعين أو إحدى وتسعين فقد جاوز المائة
بسنة أو بثلاث أو بسبع وقيل عمره مائة إلا سنة واحدة.

وروى ابن السكن عن ثابت: قال لى أنس هذه شعرة من شعر رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فضعها تحت لساني، قال فوضتها تحت
لسانه فدفن وهي تحت لسانه أنظر الزرقاني.

والعراقي:

فأنس الزمهم للخدمة أسما وهند ولدا حارثة

قال المناوي أي أول خدامه أنس بن مالك وكان ألزمهم بالخدمة، خدمه
عشر سنين متوالية ودعا له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة.
فدفن من صلبه نحو مائة وعاش نحو مائة، وصارت نخله تحمل السنة
مرتين. انتهى.

وأسماء وهند أسلميان وهند من أصحاب الحديبية وهو الذي بعثه
المصطفى لقوله يامرهم بصوم عاشوراء. وعن أبي هريرة ما كنت أرى
أسماء وهندا إلا خادمين للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
للزومهما بابه قاله المناوي. وفي الزرقاني.

ومن خدامه صلى الله تعالى عليه وسلم أسماء وأخوه هند ابنا حارثة
الأسلمي انتهى ويأتیان للناظم:

قال أبو هريرة ما رأيت أحدا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من أنس.

(ثم ابن مسعود) ثم هنا للترتيب الإخباري أي ومن خدامه عليه السلام
عبد الله بن مسعود بن غافل بالغين المعجمة والفاء ابن حبيب ابن شمع
بفتح المعجمة وسكون الميم فالخاء معجمة ابن فارعاء بألف فراء ابن

مخزوم بن صاهلة بن كامل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة فهو هذلي حليف لبني زهرة وأمه أم عبد بن عبد ود، أسلمت وصحبت قتاله الزرقاني وهو أحد السابقين الأولين. روى البغوي بسند صحيح أنه كان سادس الستة وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها معه عليه السلام ولازمه وقال له أذنت لك أن ترفع الحجاب، وأمره أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه فضحكوا فقال عليه السلام مم تضحكون لرجل عبد الله أثقل في الميزان من أحد وقال من سره أن يقرأ القرآن غضا كما نزل فاليقرأه على قراءة ابن أم عبد. وقال أبو موسى قدمت أنا وأخي فمكثنا حينما نرى ابن مسعود إلا أنه من أهل البيت لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن مسعود صاحب الوسادة، وفي الصحيح الوساد بلاهء وهما المخدة والمطهرة بالهء وبلاهء والسواك والنعلين وكان إذا قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألبسه نعليه ثم يأخذ العصى فيمشي بين يديه وإذا جلس جعلهما في ذراعيه كل فردة في ذراع حتى يقوم قال الزرقاني وكان حكمة ذلك تخلية يديه لخدمته عليه السلام، أو شغلها بالطاعة، وفضائله كثيرة. وتوفي بالمدينة سنة اثنين أو ثلاث وثلاثين وقد جاوز الستين ودفن بالبقيع قتاله الزرقاني.

(بلال) معطوف بحرف مقدر أي ومن خدامه بلال بن رباح المؤذن مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وكان يلي أمر نفقاته عليه السلام ومناقبه كثيرة. قال عمر بن الخطاب أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا. (وأبو ذر) أي ومن خدمه عليه السلام أبو ذر الغفاري بمعجمة مكسورة المعروف بالزهد وصدق اللهجة أسلم قديما بمكة وأعلن بإسلامه بين قومه وضربوه فأجاره العباس ويقال انه اسلم بعد أربعة ورجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم، ومضت بدر وأحد ولم

تتهياً له الهجرة إلا بعد ذلك وكان طويلاً أسمر اللون حنيفاً روى أحمد عنه إني لأقربكم مجلساً من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم القيامة، وقال عليه السلام ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر. وقال عليّ أبو ذر وعاء ملئ علماً، ثم أوكي عليه واختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور انه جندب بن جنادة بضم الجيم ابن السكن، وتوفي بالربذة بفتح الراء الموحدة والمعجمة بقرب المدينة انظر الزرقاني.

(ربيعة ابن كعب حسبوا) بالبناء للمفعول أي عدوا، وهو تميم ويصح أن يكون قوله ربيعة منصوب بحسبوا بعده وفاعله راجع إلى علماء السيرة، ومعناه عدوا والفعل كنصر يعنى أن ربيعة بن كعب عداه أهل السير في خدمه صلى الله تعالى عليه وسلم، وكعب هو ابن مالك بن يعمر الأسلمي بالفتح نسبة إلى أسلم قبيلة من الأزد، كان صاحب وضوءه عليه السلام بضم الواو والذي يباشره فيه بنحو صب الماء فغايرت خدمته صاحب المطهرة، وكان من أهل الصفة، ولم يزل معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قبض، فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة فبقي إلى أيام الحرة وتوفي بعده سنة ثلاث وستين في ذي الحجة أنظر الزرقاني.

وفي مسند أحمد عنه كنت أخدم المصطفى فقال سلني. فقلت أسألك أن تشفع لى وتعتقني من النار فصمت قليلاً، ثم قال إني فاعل. فأعني على نفسك بكثرة السجود. انتهى من المناوي.

(وعقبة ابن عامر) أي ومن خدمه عليه الصلاة والسلام عقبة بالقاف ابن عامر بن عيس بفتح المهملة وسكون الموحدة ابن عامر بن عدي بن

عمرو بن رفاعه وكان صاحب بغلته ويقود به فى الأسفار رفقا به عليه السلام فى صعودها وهبوطها أو خروجها عن الطريق وكان عالما بالكتاب والسنة والفرائض شاعرا فصيحاً مفوها بضم الميم اسم مفعول من فوّه الله أي أقدره الله على النطق ووسع فمه، وهو جهني. وفى الصحابة عقبة بن عامر الأنصاري وعقبة بن عامر السلمي بضم السين فلو قيده الناظم بذلك كما فعل صاحب المواهب كان أولى وروي أنه قال بينما أنا أقود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نقب بفتح النون وسكون القاف أي طريق من تلك النقاب إذ قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أركب يا عقبة فأجللت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أركب مركبه ثم أشفقت أن يكون معصية فركبت هنيهة تصغير هنة بزيادة الهاء أي شيئاً يسيراً ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. ولى مصر لمعاوية ومات سنة ثلاث وخمسين.

(وسعد) بسكون العين مولى أبي بكر الصديق وقيل اسمه سعيد بكسر العين فتحية قاله المناوي وكان المصطفى تعجبه خدمته فقال لأبي بكر اعتقه فأعتقه فلزم خدمته.

(ذو مخمر) أي ومن خدمه صلى الله تعالى عليه وسلم ذو مخمر بكسر الميم وسكون المعجمة الحبشي ابن أخ النجاشي وأبن أخته وفد على المصطفى وخدمه ثم نزل الشام قاله المناوي. وفى الزرقاني ذو مخمر بالميم ويقال بموحدة ابن أخ النجاشي وابن أخته بعثه لىخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نيابة عنه منه، وفيه نوع مخالفة لما قبله والله تعالى أعلم.

(أسماء ثم هند) أي ومن خدمه صلى الله تعالى عليه وسلم أسماء وهند أخوه وهما ابنا حارثة الأسلمي كما تقدم فى شرح بيت العراقي وهما رجلان كما علمت.

فائدة:

ترك الناظم من الخدام بكير بن شداخ بفتح المعجمة وشد الدال المهملة فحاء معجمة الليثي وأسلع بفتح الهمزة وسكون المهملة فلام فعين مهملة ابن شريك الأعرجي بالراء التميمي وروي أنه أشجعي وجمع بأنهما رجلان وأسلع صاحب راحلته عليه السلام كان يضع الرحل عليها وينزله عنها وفي الطبري عن أسلع قال كنت أخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأرحل له فقال لى ذات يوم يا أسلع قم فارحل. فقلت يا رسول الله أصابتني جنابة. فسكت صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاه جبريل بآية الصعيد قاله فى المواهب قال الزرقاني وفى إسناده الربيع بن بدر التيمي وهو متروك وعمر بن جراد وهو مجهول فهذا ضعيف ولا يعارض حديث عائشة فى الصحيحين فى سبب نزول الآية انتهى، وأربد هذا غير منسوب ومن زعم أنه ابن حبرة وابن حميد فقد وهم ذكره ابن مندة فى خدامه.

قال المناوي وترك أيضا الأسود والحدرجان ابني مالك الأسدي اليماني خدماه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله الزرقاني والذى فى العراقي أن الأسود بن مالك والآخر ابن أخيه الحدرجاني واسمه جزر بن الحدرجان وللعراقي:

ربيعة مع ابن مسعود أبو	ذر بكير سر والليث نسب
وابن شريك أسلك فأربد	كذا ابن مالك والاسم أسود
وابن أخيه الحدرجان جزر	له بخدام النبي ذكر

قال المناوي أي وكذا من خدامه الأسود بن مالك الأسدي اليماني ذكره ابن مندة وابن أخيه الحدرجان بحاء ودال وراء مهملات ابن مالك قيل إنما هو أخوه وبه جزم الحافظ بن حجر وجزر بفتح الجيم وسكون الراء وهو ابن الحدرجان ذكره ابن مندة انتهى، الحدرجان بالكسر كما فى

القاموس ومن خدامه أيضا معيقيب بكسر القاف فتحتية مصغرا فموحدة ويقال بلإياء ثانية ابن أبي فاطمة الدوسي أسلم قديما وشهد المشاهد وهاجر الهجرتين وكان يلي خاتمه ومنهم قيس بن سعد بن عبادة وكان له بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان وأقام فى خدمته عشر سنين أخرجه ابن عساكر قاله المناوي. والشرطة قال الزرقاني بضم المعجمة والراء وقد تفتح الراء الواحد شرطي أي كان قيس بمنزلة كبيرهم وهم أعوان الولا سمووا بذلك لأنهم الأشداء الأقوياء من الجند وقيل لأنهم نخبة الجند، وشرطة كل شيء خياره وقيل لمن لهم علامات يعرفون بها. وفى البخاري قال أنس أن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير انتهى.

ومن الخدام أيضا المهاجر مولى أم سلمة ومنهم أيمن ابن أم أيمن وهو أيمن بن عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال الخزرجي كما نسبه ابن سعد وابن مندة وقال أبو عمر أيمن بن عبيد الحبشي وهو ابن أم أيمن وقد فرق ابن أبي خيثمة بين الحبشي وبين ابن أم أيمن، وهو الصواب فإن الحبشي أحد من جاء مع جعفر بن أبي طالب، من الحبشة، كما فى الإصابة انتهى من الزرقاني.

ومنهم ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري كان يخدمه فبعثه فى حاجة فمر بباب رجل من الأنصار فرأى امرأته تغتسل فكرر النظر إليها فخاف أن ينزل فيه الوحي فهرب على وجهه ومات خوف من الله تعالى فى حياة المصطفى عليه السلام. ومنهم نعيم مصغيرا ابن ربيعة الاسلمي. ومنهم سابق وسالم، ذكرهما من خدامه ابن عبد البر. وللعراقي:

وسابق وسالم قد ذكرا	وقيل سلمى واعدد المهاجرا
قيس ابن سعد أيمن ثعلبة	كذا نعيم أبه ربيعة

وقوله وقيل سلمى، أي وقيل هو سالم المذكور، انظر المناوي. ومن الخدم أيضا أم عياش مولاة رقية بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورزينة براء ثم زاء مولاة زوجة صفية كما فى الإصابة ومارية جدة المثنى بن صالح لها حديث عند أهل الكوفة قالت صافحت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم أر كفا ألين من كفه أنظر الزرقاني.

(بيان حراس النبي المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا)

الحراس جمع حارس وهو الحافظ المانع له ممن يريد به سوء ويجمع أيضا على حرس بفتححتين وعلى أحراس أي هذا بيان ما كان يحرسه صلى الله تعالى عليه وسلم ويمنعه من أعدائه من أصحابه.

(حرسه فى يوم بدر سعد فتى معاذ وامرءان بعد فى أحد)

حرسه فعل ماض ومقتضى القاموس أنه ككتب ومعاذ مضاف إليه ما قبله وصدق فى أنه فتى من ولد معاذ وفتى نعت لسعد وسعد هذا هو سيد الأوس، وقد ذكروا أنه فى الأنصار بمنزلة أبي بكر فى المهاجرين وقد سوده عليه السلام حيث قال قوموا إلى سيدكم أسلم بين العقبة الثانية والثالثة على يد مصعب بن عمير فأتى إلى قومه بنى عبد الأشهل ومعه أسيد بن حضير فقال إن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلم ومسلمة. وقد مر بأبسط من هذا وشهد بدرا وأحدا والخندق فرمى فيه بسهم حتى عاش بعده شهرا حتى حكم بين قريظة ثم مات بسببه رضى الله عنه ومناقبه كثيرة.

ومعنى كلامه أن حراسه صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم بدر ويوم

أحد ثلاثة من الصحابة على سبيل التوزيع فيوم بدر حرسه سعد بن معاذ سيد الأوس حين نام في العريش فكان سعد على باب العريش متوشحا سيفه في نفر من الأنصار والصديق مع المصطفى داخل العريش شاهرا سيفه لنئلا يصل إليه أحد من المشركين، وبعد بدر في أحد حرسه محمد بن مسلمة الأنصاري وذكوان كما أشار إليه في قوله:

(محمد ذكوان). بدل من قوله امرءان، أو بيان أي وحرسه بعد بدر في أحد محمد بن مسلمة وذكوان.

(عليهما الرحمة والرضوان) الرحمة الانعام والرضوان انعام خاص فهو أخص من الرحمة وهي تعم كل ملائم هذا شرح كلامه بحسب ظاهره واقتصر في المواهب حين تعرض لحراسه على أن الذي حرسه في أحد هو محمد بن مسلمة وكذا ابن سيد الناس في عيون الأثر ولفظ العيون ويوم أحد محمد بن مسلمة وأما ذكوان فإنما ذكره بأنه حرسه بواد القرى ولفظه وحرسه بواد القرى بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد القيس، انتهى. ونقل كلامه هذا الزرقاني في شرح المواهب مقتصرًا عليه انتهى.

وذكوان بن عبد القيس أنصاري زرقى وهو مع ذلك معدود من المهاجرين سكن مع المصطفى عليه السلام بمكة ثم هاجر إلى المدينة وقد ألغزت به فقلت عاطفا له على ألغاز قبله:

وبدء من الأنصار عد مهاجرا فجاز بذاك الوصف سبقا على سبق والبدأ السيد .

(والحارس الزبير يوم الخندق) يعنى أنه عليه الصلاة والسلام يوم الخندق حرسه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ولفظ العيون، ويوم الخندق الزبير بن العوام ولفظ المواهب

ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق قال الزرقاني يحتمل حقيقة اليوم ويحتمل زمن الخندق ببقائه أياما.

(وابن أبي وقاص خير مشفق ثم أبو أيوب وابن بشر —
في خيبر المشهور دون نكر)

(قد حرسوه.) قوله ابن مبتدأ وما بعده معطوفان عليه، والخبر قد حرسوه، والمجرور متعلق بقوله قد حرسوه، والمشفق هنا الخائف من الله تعالى ووقاص غير مصروف للوزن ومراده أن هؤلاء الثلاثة قد حرسوه في خيبر دون انكار وسعد هو ابن أبي وقاص واسمه مالك ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فجده أهيب أخو وهب أبي أمية أم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو أيوب اسمه خلد بن زيد بن كليب من بنى مالك بن النجار شهد بدرًا والمشاهد وهو الذي نزل عليه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة وابن بشر هو عباد بن بشر الأوسي. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ثلاثة من الأوس لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً: سعد بن معاذ، وعباد بن بشر وأسيد بن حضير. أو كما قالت. والذي في العيون: وحرسه ليلة بنى بصفية أبو أيوب الأنصاري بخيبر وبيعض طريقها وذكر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم أحفظ أبا أيوب كما بات يحفظني. انتهى وفي المواهب كان يحرصه عليه الصلاة والسلام أيضاً عباد بن بشر. قال الزرقاني عبر بكان مع المضارع المفيد للتكرار، إشارة إلى تكرار حراسته انتهى، وأما سعد فلم يذكر حراسته له، إلا بواد القرى، فالله تعالى أعلم.

(ثم في واد القرى كان بلال حارساً بلا امتراء)

الامتراء الشك، أي وكان بلال ابن رباح المؤذن حارساً له عليه السلام في وادي القرى بلا شك وتقدم أن سعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد

القيس حرساه معه، وفي المواهب وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يصل إليه أحد من المشركين. قال الزرقاني كأنه لم يعده من الحرس، لأن فعله من نفسه خوفا وشفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصده منه انتهى.

ومقتضاه أنه لا يعد من الحرس إلا من قصد عليه السلام ذلك منه والله تعالى أعلم.

وروى الطبراني أن أبا قتادة حرسه عليه السلام ليلة بدر انتهى.

قال في الإصابة وهو غلط فإنه لم يشهد بدرا انتهى وحرسه أيضا أبو ريحانة الأنصاري في سفر، رواه أحمد وأبو أيوب ليلة دخوله على صفية وابن مسعود ومرشد ابن أبي مرشد الغنوي وحذيفة وخشرم بن الحباب ومحجن بن الأدرع الأسلمي على ما ذكره الشامي والبرهان وكان العباس عمه فيمن يحرسه رواه الطبراني أنظر الزرقاني.

(وترك الحراس لما أخبرا بعصمة الله له خير الوري)

العصمة بالكسر المنع، وأخبر مبني للمفعول وخير بالرفع يتنازع: ترك، يطلبه: فاعلا، وأخبر: يطلبه نائبا، عن الفاعل. ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحترس من أعدائه حتى أنزل الله تعالى عليه: {والله يعصمك من الناس} وترك الحراس حينئذ. وللعلماء في هذه الآية تاويلان أحدهما أن العصمة عامة في كل مكروه وأن الآية نزلت بعد أن شج وجهه أو كسرت رباعيته عليه السلام، وثانيهما أن المراد العصمة من القتل خاصة، وقال في قرّة العين في أخبار الحرمين قد عصمه الله تعالى من أعدائه حيا وميتا، وقد حصل لنا من الحكايات في هذا الباب أن الحكم العبيدي لعنه الله أراد نقل الجسد الكريم إلى مصر وبعث إلى سلطان الحجاز من الحسنين أن يحفر القبر الشريف

وينقل الجسد الطاهر الي مصر فسمع بذلك أهل المدينة فاجتمعوا بأسرهم للقتال حتى يموتوا كلهم أو يقتلوا جميع من يدنو إلى القبر الشريف لقصد حفره، وتعاهدوا على ذلك فبينما هم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم ريحا عاصفة حتى شاهد أهل المدينة الجمال والخيال تدرجها الريح فتوسلوا به عليه الصلاة والسلام حتى كشفت عنهم فأخزى الله الحكم ورد كيده خاسئا فى نحره، ثم بعث زنادقته خفية ليفعلوا ذلك، يمشون بالليل ويكمنون النهار حتى بلغوا المدينة وقصدوا الحفر تحت الأرض فأخذهم الله بشديد بطشه وخابت آمال عدو الله والحمد لله ثم كانت قصة محمود مع النصرانيين الأندلسيين وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النوم فقال له يا محمود إن هذين قد أذيانى فأنقذني منهم ثم أطلعه على صورتي شخصين أشقرين فارتحل إلى المدينة، وفرق بها المال حتى اطلع علي الشخصين المذكورين فهدهما فأقرا أنهما نصرانيان فقتلهما. وقصة اليهودي الذي أظهر الإسلام والتنسك الفائق وسكن بقرب المسجد ثم قصد الحفر تحت الأرض إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج كل يوم قفة تراب بثيابه فيرميها خارج المدينة حتى بقي لوصوله إلى الجسد الكريم قدر ما يحفر ثلاثة أيام فرأى ملك مصر الناصر فى منامه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بالقصة وبصفة اليهودي وقال له أدركني فसार إلى المدينة حتى بلغها فى مدة قريبة، فأمر بإعطاء الصدقة لجميع سكان المدينة وهو يتأملهم فلم ير الصفة التى بينها له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقليل له لم يبق إلا رجل ناسك، فقال لا بد من احضاره فإذا هو بالصفة التى رآها فى منامه فهده فأقر أنه يهودي وأطلعهم على المكان والحفر فقتلوه شر قتلة فحفروا الأساس إلى أبعد ما أمكنهم، ثم رفعوا البنيان المرصوص بحيث لا يطمع فى مثل تلك الفعلة. انتهى من الريان فى تفسير القرآن للوالد حفظه الله تعالى.

(وكان حاديا له البراء)

البراء اسم كان وحاديا خبرها والحداء بضم المهملة الغناء للإبل يعنى

أن البراء كان يحدو له عليه الصلاة والسلام أي يقول الحداء وهو الغناء للإبل والبراء هو ابن مالك بن النضر أخو أنس لأبيه وقيل شقيقه، شهد المشاهد إلا بدرا وقال عليه السلام رب أشعث أغبر لا يوبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك ولا يوبه له أي لا يتفطن له قال أنس فلما كان يوم تستور انكشف الناس فقال المسلمون يا براء أقسم على ربك فقال أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك، فحمل وحمل المسلمون معه فقتل هرمزان من عظماء الفرس وأخذ سلبه فانهزم الفرس وقتل البراء رواه الترمذي أنظر الزرقاني.

(أنجشة) عطف على البراء بحرف محذوف وأنجشة بفتح الهمزة والجيم وكان حاديا له البراء وأنجشة عبده الأسود الحبشي المكنى أبا مارية وكان حسن الحداء وقد مر في الموالي (جاءت بذا) أي بكونهما حاديين له عليه الصلاة والسلام (الأنباء) أي الأخبار، جمع نبأ فاعل جاءت. وفي الصحيحين عن أنس كان البراء ابن مالك يحدو بالرجال وأنجشة بالنساء وكان أنجشة يحدو وبنشد القريض والرجز فقال عليه السلام عبد رويدك رفقا بالقوارير وعبد منادي بحذف الأداة وفي الصحيحين عن أنس أن أنجشة حدا بالنساء في حجة الوداع فأسرعت الإبل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا أنجشة رفقا بالقوارير أي بالنساء فشبهن بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليهن الكسر كما يسرع الكسر المعنوي إلى النساء. فلم يامن عليه السلام عليهن أن يقع حداءه في قلوبهن، وفي المثل الغناء رقية الزنى. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرع فأسرعت الراكب، وأتبعته، فنهاء لأن النساء يضعفن عن ذلك لا خوفا من وقوعه في قلوبهن. قال الدماميني وحمله على هذا أقرب إلى ظاهر لفظه. وفي المستدرک عن أنس أن البراء كان حسن الصوت انتهى من المواهب وشرحها.

تتمة:

ترك الناظم من الحداة عبد الله بن رواحة، وعامر بن الأكوع. ففي المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني وكان يحدو بين يديه عليه الصلاة والسلام في السفر عبد الله بن رواحة، أي يقول الحداة بضم المهملة وهو الغناء للإبل.

وفي الترمذي عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر؟! فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: خل عنه يا عمر فلهي فيهم أسرع من نطح النبل. ونضربكم بسكون الباء كقراءة أبي عمرو ان الله يامرکم، وقوله اليوم أشرب غير مستحقب، وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال يا عمر إني أسمع فاسكت يا عمر. وقوله عن مقيله أي محل نومه وقت القائلة كناية عن محل الراحة وقوله ويذهل الخليل أي يكون أحدهم يهلك فيذهل الهالك عن الحي وعكسه.

وكان يحدو له بين يديه عامر بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله الأسلمي المجاهد بالنص النبوي وعامر عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وفي رواية لمسلم أنه أخوه. قال في الإصابة فيمكن الجمع بأنه أخوه على ما كانت الجاهلية تفعله. وفي رواية أخرى لمسلم أنه عمه. وقد مرت قصته في خيبر، ومن جملتها حداؤه بقوله: والله لولا الله ما اهتدينا إلى الخ..

قال مؤلفه سمح الله تعالى له وقد زدتها فقلت:

(ابن رواحة له أيضا حدى
خلوا بني الكفار عن سبيله
كذلك أيضا عامر بن الأكوع
والله لولا الله ما هتدينا
وقال قولا مفضيا به العدا
اليوم نضربكم على تنزيله
وقال فى حداثه المرفع
ولا تصدقنا ولا صلينا)

والضمير فى تنزيله للنبي عليه السلام كما فى الزرقاني والبيجوري ،
أي تنزيله مكة ان عارضتم ولا ترجع كما رجعنا يوم الحديبية انتهى
المراد منهما .

(صلى عليه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ربنا أي مالكننا،
(وسلما والآل والأصحاب خير من سما)
أي أفضل من علا باتباعه عليه السلام . وقد مر قريب من هذا التركيب
فلا يحتاج لشرحه .

(بيان رسل المصطفى لمن ملك:) الرسل جمع رسول وسكن عينه هنا
وذلك جائز اختيارا أي هذا بيان القوم الذين أرسلهم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم إلى الملوك جمع ملك بكسر اللام (صلى عليه الله ما
دار الفلك) وهو بالتحريك جسم مستدير ومدار النجوم، وقد مر شيء
من الكلام فيه عند قول الناظم ما دار نجم فى فلك. قال المناوي لما رجع
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية كتب إلى الملوك فقل
له انهم لا يقربون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه
ثلاثة أسطر، محمد سطر ورسول سطر، والله سطر وختم به الكتب،
وبعث ستة فى يوم واحد إلى الملوك فى المحرم سنة سبع وأصبح كل
منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم، انتهى .

أي من غير مضي زمن يمكن فيه تعلم لغتهم، معجزة له عليه السلام
كما فى الزرقاني. قال ولا ينافي هذا دعاء بعض الملوك الترجمان، لأنه
من تعاضم الأعاجم.

(إلى النجاشي النبي أرسلنا عمرا فبجل الكتاب وتلا)

بدأ الناظم برسالة عمرو لأنه أول رسول بعثه عليه السلام كما فى العراقى والمواهب وغيرهما ، والمجروح متعلق بأرسل والنجاشي بفتح النون وكسرهما أو أفصح وتخفف ياؤه وتشدد أصحابه ، ملك الحبشة . قال المناوي ومعنى أصحابه عطية ، انتهى . والنبي مبتدأ وخبره أرسل ، وعمرا بفتح العين مفعول أرسل وهو ابن أمية بن خويلد الضمري نسبة إلى جده ضمرة بفتح وسكون ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كان المصطفى يبعثه فى أموره لكونه من أمجاد العرب ورجالها قاله المناوي وبجل عظم وتلاه قرأه ومعنى البيت أنه عليه السلام أرسل عمرا بن أمية الضمري إلى النجاشي فأسلم وعظم كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعرض عن كتابه بل تلقاه بالبشر إذ قرأه وأمن به عليه السلام ووضع الكتاب على عينه ونزل عن سريره فجلس على الأرض وقال بعدما قرأ الكتاب أشهد الله أنه النبي الأمي الذى ينتظره أهل الكتاب ، ودعا بحق من عاج وجعل فيه الكتاب وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم أنظر الزرقاني فى مواضع متفرقة . وكان اسلام النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب ، سنة ست من الهجرة .

(فمات مسلما وصلى المصطفى عليه مع أصحابه أولي الصفى)

فاعل مات ضمير النجاشي ومسلما حال منه والصفاء بالمد وقصره وهو الخلوص إذا خلصت معاملتهم مع الله تعالى يعنى أن النجاشي توفى رحمه الله تعالى مسلما فى رجب سنة تسع من الهجرة كما فى المواهب وهو قول الأكثر وقيل سنة ثمان قبل الفتح كما ذكره البيهقي كما فى الزرقاني ونعاه صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه يوم توفى وصلى عليه هو وأصحابه فى المدينة .

أخرج أصحاب الصحيح عن جابر لما مات النجاشي قال صلى الله

تعالى عليه وسلم قد مات اليوم عبد صالح يقال له أصحمة، فقوموا فصلوا. وصفنا خلفه. وللدارقطني عن أبي هريرة فوثب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووثبنا معه حتى جاء المصلى فقام وصفنا وراءه فكبر أربع تكبيرات، وعن عائشة لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى علي قبره نور أخرجه أبو داود وترجم عليه النور يرى على قبره السناء نقله الزرقاني. ولفظ الكتاب كما فى المواهب: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أما بعد فإنني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس والسلام وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول، الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته وإن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإنني رسول الله وإنني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين. والسلام على من اتبع الهدى.

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية فقال النجاشي عندما قرأ الكتاب أشهد بالله انه النبي الأمي الذى ينتظره أهل الكتب وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقى من الخبر عنه ولكن أعواني من الحبشة قليل، فانظرني حتى أكفر الأعوان وألين القلوب، ثم كتب النجاشي جواب الكتاب إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذى لا إله إلا هو، الذى هداني للإسلام، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى ورب السماء والأرض أن عيسى عليه السلام لا يزيد على ما ذكر تفروق انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت علي يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني وإن شئت أتيتك بنفسي فعلت، فإنني أشهد أن ما تقوله

حق، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته. انتهى كلام القسطلاني.

قوله أحمد إليك أي أنهي إليك حمده، وقوله روح الله أي ذو روح
أضيف إليه تعالى تشريفا له لأنه أوجده بلا أب، ولأنه يحيي الموتى
والقلوب، وألقاها أوصلها وكلمته هي كن.

وقول البيضاوي لعل جبريل تمثل لها شابا أمرد تستأنس بكلامه
لتهيج شهوتها وتنحدر نطفتها إلى رحمها. قال السيوطي كان في غنية
عن هذا الكلام الفاسد، ولكن هذا ثمرة التوغل في الفلسفة انتهى.

والحصينة بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين العفيفة وقوله ونفخته
أي الله تعالى أي نفخ رسوله جبريل فهو عطف تفسير للروح، وفي
القاموس من جملة معانيها النفخ وخلق آدم بيده أي بقدرته والموالة
المتابعة والمناصرة والهدى الرشاد، وراكب الحمار عيسى عليه السلام،
وراكب الجمل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والعيان بكسر العين
مشاهدة وأصحمة بوزن أربعة وحاؤه مهملة وقيل معجمة فميم وقيل
بموحدة بدل الميم وقيل صحمة بغير ألف وقيل كذلك لكن بتقديم الميم
وقيل بزيادة الميم في أوله بدل الألف، ويتحصل من هذا الخلاف في
اسمه ستة ألفاظ ولم ارها مجموعة قاله في الإصابة وصوب النووي
أولها وقيل اسمه سليم بضم السين وقيل حازم والثفروق بضم المثناة
وسكون الفاء وضم الراء وسكون الواو، ثم قاف علاقة ما بين النواة
والقشر وأتيتك في محل المفعول، إن شئت أي اتيانني وفعلت جواب
الشرط هذا كله في الزرقاني.

وهذا النجاشي هو أصحمة الذي هاجر إليه المسلمون وكتب له عليه
السلام كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام وكتابه آخر بأن يزوجه أم حبيبة
وبعثهما مع عمرو بن أمية الضمري ونعاه صلى عليه بالمدينة، وأما
النجاشي الذي ولى بعده وكتب عليه السلام له يدعوه إلى الإسلام فكان
كافرا لم يعرف إسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم فظنهما واحد وفي

صحيح مسلم ما يصرح بأنهما اثنان أنظر المواهب والعراقي.
 أول مــــا أرسله النبي ملك عمر هو الضميري
 إلي النجاشي فلما قدما نزل عن فراشه فأسلما
 وأركب المهاجرين البحرا إليه في سفينتين طرا
 زوجته رملة عمر قبله له ومهرها النجاشي بذله

قوله وأركب المهاجرين إلخ.. أي إليه عليه السلام حين بعث إليه عليه السلام مع عمرو بن أمية أن يجهز إليه أصحابه. وطرا أي جميعا؛ وقوله زوجته رملة أي بنت أبي سفيان، وكانت هاجرت مع زوجها عبيد الله بالتصغير بن جحش فارتد ومات نصرانيا بأرض الحبشة والعياذ بالله تعالى. وقوله قبله أي قبل عمرو العقد عنه عليه السلام انتهى.

وبعث النجاشي ولده في ستين نفر من الحبشة الي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفينة فغرقوا وذلك باثر بعثه جعفرأ ومن معه في سفينة أخرى انتهى.

(ودحية إلى هرقل أرسلأ فشح ...)

دحية مفعول أرسل بعده وصرفه ضرورة وهو بفتح الدال وكسرهما وهو بلغة اليمن الرئيس، وشح بحاء مهملة أي بخل بملكه فلم يسلم حرصا على ملكه يعنى أنه عليه السلام أرسل دحية ابن خليفة ابن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الكلبي وهو صحابي جليل يضرب به المثل في الحسن وكان جبريل ينزل في صورته وكان دحية إذا قدم المدينة، لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه، قاله المناوي إلى هرقل وهو اسم ملك الروم ولقبه قيصر، وكتب له أي لدحية كتابا يدعو فيه قيصر إلى الإسلام فلم يجب بل شح بملكه، وءاثر الفانية علي الباقية، ولو تفتن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم تسلم، وحمل الخبر على عمومته أي في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه، لكن

التوفيق بيد الله قاله الزرقاني عن الفتح. وكان ارسال دحية الي هرقل فى مدة صلح الحديبية كما فى البخاري عن أبي سفيان وذلك كان سنة ست اتفاقا فما فى تاريخ خليفة بن خياط احد شيوخ البخاري ان ارساله كان سنة خمس غلط لمخالفته للصحيح انظر الزرقاني، ولفظ الكتاب بعد البسملة من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، وفى رواية إلى قيصر صاحب الروم: سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يوتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون انتهى.

ولما رأى الكتاب غضب أخو قيصر غضباً شديداً واسمه يناق، بفتح التحتية وشد النون فألف فقاف، وقال ارم الكتاب، انه بدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ولم يقل ملك الروم.

فقال له هرقل انك لضعيف الرأي، تريد أن أرمي بكتاب رجل ياتيه الناموس الأكبر، فإن كان رسول الله انه لحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق: أنا صاحب الروم. والله مالكي ومالكه، ثم أمر بإكرام دحية ورجع إلى حمص وجمع عظماء الروم وقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد آخر الأبد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فصاحوا صيحة حمر الوحش إلى الأبواب ووجدوها قد غلقت فقال انما اختبرت شدتكم علي دينكم فقد رأيت منكم الذى أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه. وفى رواية انه قال لهم: والله لقد قرأت فيما تقرؤون لياخذن ما تحت قدمي فهلم الى ان نتبعه فنخروا نخرة رجل واحد فلما ظن أنهم ان خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم، قال إنما قلت لأعلم صلابتكم على أمركم. وفى رواية ابن حبان انه قارب الإجابة ولم يجب، فدل على استمراره على الكفر فإطلاق صاحب الاستيعاب انه آمن أي أظهر التصديق لكنه لم

يستمر عليه، بل شح بملكه وأثر الفانية نقله الزرقاني عن ابن حجر. وهرقل كدمشق على المشهور وحكي سكون الراء وكسر القاف وبه جزم القزاز، وقيصر اسم لكل من ملك الروم ودعاية الاسلام بكسر الدال أي الكلمة الداعية إليه وبيان الكلمة قوله اسلم إلخ.. وتسلم بفتح اللام وإيتاؤه الأجر مرتين لإيمانه بنبيه ثم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله فإن عليك اثم الأريسيين أي مع اثمك، والأريس بفتح الهمزة وكسر الراء فياء ساكنة الأكار أي الفلاح أي الحراث، ولفظ ابن اسحاق الأكارين زاد الزرقاني يعنى الحراثين، قال ابن عبيد المراد بهم أهل مملكته وكل من يزرع فهو عند العرب فلاح سواء كان ذلك بنفسه أو بغيره، وقوله سواء بيننا أي لا نختلف فيها أي لا يختلف فيها التوراة والقرآن والإنجيل وهو أن لا نعبد إلا الله إلخ.. وفي رواية اليريسين بقلب الهمزة ياء جمع يريس ككريم، وفي أخرى بشد الياء بعد السين، وفي أخرى الإريسين بشد الراء.

والعراقي:

ودحية أرسله لقيصرًا وهو هرقل فقضا واستكبرا

قال المناوي ثبتت عنده نبوءته عليه السلام فلم يوافق الروم فخاف على ملكه فاستكبر على الايمان لكنه أمر بإكرام دحية ويقال إنه جعل الكتاب فى قسبة من ذهب تعظيما له فأخبر دحية بذلك المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ثبت الله ملكه، فلم تزل ذريته تتوارث ذلك الكتاب جيلا بعد جيل انتهى منه.

(ثم ابن حذافة الى كسرا فمزق الكتاب مزقا)

قوله ابن بالنصب عطفًا على دحية وحذافة بضم أوله، وكسرى بفتح الكاف وكسرهما، قال ابن الأعرابي وهو الأفصح واختاره أبو حاتم وأنكره الزجاج ورده ابن فارس وكسرى لقب كل من ملك الفرس ومعناه المظفر.

واسم كسرى هذا إبرويز بفتح الواو وكسرهما ويقال له ابرواز وآخره زاي معجمة، ومقتضاه فتح همزته قال السهيلي ومعنى ابرويز المظفر انتهى. ومعنى كسرى وابرويز واحد وهو ابن هرمز. ومزق الأول مبني للفاعل معناه قطع وفاعله ضمير كسرى والكتاب مفعوله ومزق الثاني مبني للمفعول ونائبه ضمير كسرى ولفظه الماضي ومعناه الدعاء أي مزقه الله يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل عبد الله بن حذافة السهمي وكان من المهاجرين الأولين إلى كسرى بن هرمز وكتب له كتابا وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين وهو المنذر بن ساوى بالمهملة وفتح الواو الميمالة نائب كسرى على البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأ الكتاب مزقه أي خرقه وقطعه فدعا عليهم المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق بفتح الزاي فيهما أي يتفرقوا ويتقطعوا فاستجاب الله له فسلط الله على ابرويز ابنه شرويه فقتله ثم قتل أخوته وكان أبوه لما علم أن ابنه يقتله احتال على قتل ابنه بعد موته فعمل في بعض خزائنه المختصة به حقا مسموما وكتب عليه حق الجماع من تناول منه كذا جامع كذا فتناول منه شيرويه فهلك بعد أبيه بستة أشهر، فلم يخلف ذكرا وملكوا أخته بوران بضم الموحدة ثم ملكوا أختها ازدميرخت فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به عليه السلام نقله الزرقاني.

وقيل بعث له الكتاب مع عمر بن الخطاب، قال الحافظ فلعله بعثه إلى كسرى مرتين وقيل بعثه مع خنيس، ابن خذافة وهو غلط لأنه مات بأحد، فتأيمت منه حفصة، وبعث الرسل كان سنة سبع وقيل مع خارجة ابن خذافة ولا يصح لأن خارجة كما في الإصابة من مسلمة الفتح ولفظ الكتاب بعد البسملة من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ادعوك بدعاية الله عز وجل فإنني رسول الله إلى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم، فإن توليت فإن عليك اثم الجوس، ذكره في

المواهب. وقال فلما قرأ عليه الكتاب مزقه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال مزق ملكه. انتهى.

قال شارحه دعاء أو إخبار ويؤيد الأول قوله الآتي: فدعا عليهم. وهرمز والد كسرى وأبوه أنوشروان وهو كسرى الأكبر باني الإيوان وملك ثمانيا وأربعين سنة، وقيل انه هو الذي كتب إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام قال الحافظ وفيه نظر لأنه عليه السلام أنذر بأن ابنه يقتله والذي قتله ابنه هو كسرى إبرويز بن هرمز قال الحافظ ولم تجر العادة الشرعية ولا العرفية بابتداء المراسلات بالحمد وقد جمعت كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم ولم يقع في واحد منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة.

وقوله وأمن بالله إلخ.. أكد في هذا الكتاب وأوضح البيان لأن أهله مجوس لا يقرؤون الكتب بخلاف قيصر، وقوله بدعاية الله بكسر الدال، ولينذر بالياء وفي نسخة بالهمز، ولم يقل هنا ويوتك الله أجرك مرتين، لأنه مجوسي عابد نار ولا كتاب له، وقيل ان المجوس كان لهم كتاب فبدلوه وقوله فإن عليك اثم المجوس أي مع اثمك، وللعراقي نفعا الله تعالى به:

وابن حذافة مضى لكسرى فمزق الكتاب بغيا نكرا وحذافة بضم الحاء وذال معجمة وكسرى لقب لكل من ملك فارس، فمزق الكتاب وبعث إليه عليه السلام ترابا ونكرا أي منكرا، فقال عليه السلام: مزق الله ملكه بعث إلى بتراب أما إنكم ستملكون أرضه. وأرسل كسرى إلى عامله باليمن باذان ان ابعث رجلين جلدين الي هذا الرجل لياتيانني بخبره فبعث قهرمانه ورجلا آخر وكتب معهما كتابا فقدا على المصطفى فتبسم ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترتعد، ثم قال ارجعا عني يومكما حتى الغد، فأتياه فقال ان صاحبكما باذان قتل

ربه فى هذه الليلة ان الله سلط عليه ابنه فقتله فرجعا إلى باذان بذلك فأسلم ولما مات باذان ولى المصطفى ابنه صنعاء وأعمالها انتهى من المناوي.

(وحاطبا إلى المقوقس ارتقا)

وحاطبا بالنصب عطف على دحية وارتقا الظاهر أنه حشو ومعناه علا وارتفع أي وأرسل حاطبا بن ابي بلتعة بفتح الموحدة والمثناة الفوقية بينهما لام ساكنة المتفق على شهوده بدرا إلى المقوقس بضم الميم فقاف مفتوحة فواو ساكنة فقاف مكسورة فسين مهملة لقبه ومعناه المطول البناء قاله البرهان. وفى القاموس وحياة الحيوان أنه لقب له. ولطائر مطوق طوقا سواده فى بياض كالحمام وليس فيهما ما يشعر بالوصف الذى ذكره البرهان قاله الزرقاني. ومتعلق ارتقا محذوف أي إليه يعنى المقوقس ومعنى البيت أنه عليه السلام أرسل حاطبا إلى المقوقس فوجد المقوقس فى مجلس مشرف على البحر فركب سفينة وحاذى بها مجلسه وجعل كتابه عليه السلام بين أصبعين من أصابعه فأشار به إليه فأمر بإحضاره فقرأ الكتاب فقارب الإسلام لكن لم يسلم على الصحيح كما أشار له بقوله:

(فقارب الإسلام حتى اهدى جاريتهن دلدا وعبدا)

يعني أن المقوقس قارب الإسلام حتى أهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هدية عظيمة ذكر منها الناظم رحمه الله تعالى جاريتهن وهما مارية القبطية وأختها سيرين وبغلة يقال لها دلدا بضم الدالين المهملتين وهي أول بغلة ريثت فى الإسلام وكانت بيضاء وقيل شهباء وقال الحميدي كان ذكرا لا أنثى قاله المناوي ويأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى فى بغاله بأبسط من هذا.

وذكر منها أيضا عبدا وهو مابور القبطي المتقدم فى الموالي وهو ابن

عم مارية فقوله دللا بحذف العاطف ولم يذكر الناظم أختهما، قيصر
بالصاد المهملة عند مغلطاي وبالسین المهملة عند اليعمری وغیره مع أنه
أهداها معهما فقد مر ذكرها فی الموالي وأهدى له أيضا حمارة يعفورا
وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً لينا وقدحا من قوارير وعسلا من عسل
بنهى بضم الموحدة وكسرهما قرية من أعمال مصر كذا فی المناوي وفي
الزرقاني انها بفتح الموحدة وكسرهما وأهدى له مكحلة، عيدان شامية
ومرءاة ومشطا وفرسا يقال له لزاز بزايين وأعطى لحاطب مائة دينار
 وخمسة أثواب كما فی المناوي.

وللعراقي:

وحاطب أرسل للمقوقس	فقال خيرا ودنا لم يونس
أهدى له مارية القبطية	وأختها سيرين مع هديه
من ذهب وقدرح ومن عسل	وطرف من مصر من بنها العسل

واسم أبي بلتعة عمرو بن عويمر بن سلمة اللخمي حليف قريش
والمقوقس ملك مصر، والاسكندرية بكسر الهمزة وتفتح وسكون المهملة
والنون وفتح الكاف والذال المهملة بلد على طرف بحر المغرب من آخر
حد مصر، نسبت إلى بانيها الاسكندر الرومي، واسم المقوقس جريج
بضم الجيم الأولى بن مينا بن قرقوب ويلقب به كل من ملك الاسكندرية
ومصر وقيل ملك مصر والشام فرعون فإن أضيف إليهما الاسكندرية
بالعزيز كما فی سيرة مغلطاي وهو عظيم القبط بالكسر والواحد قبطي
على القياس والقبط اسم لنصارى مصر، ولم يسلم المقوقس كما مر
وغلط ابن الأثير وغیره من الحفاظ ابن مندة وأبو نعيم وابن نافع وابن
قانع فی ذكرهم له فی الصحابة فيقول العراقي: أي دنا الى الإسلام،
ومارية بتخفيف الياء أصلها البقرة وقوله قدرح أي من قوارير وكان
يشرب فيه المصطفي والطرف بضم الطاء المهملة جمع طرفة وهي ما
يسطرف أي يستملح انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني.

ونصر الكتاب إلى المقوقس بعد البسملة من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يوتك الله أجرًا مرتين، فإن توليت فعليك اثم القبط {يا أهل الكتاب تعالوا.. إلى قوله مسلمون}. وبعث به حاطبا ووجده بالأسكندرية فى مجلس مشرف على البحر فركب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه فلما جيء به ووقف بين يديه فض الكتاب أي فك ختمه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا أن يدعو عليّ؟ فقال له حاطب وما منع عيسى أن يدعو على من خالفه؟! وعند البيهقي فما له لم يدع على قومه حين أخرجه من بلده؟! فقال له حاطب أتشهد أن عيسى رسول الله؟ فما له حين أخذه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم حتى رفعه الله فقال أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم، فقال حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى يعنى فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك، قال ان لنا ديننا لن ندعه إلا لما هو خير منه، فقال له حاطب ندعوك إلى دين الله وهو الإسلام الكافي به الله فقدموا سواه أن هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى أي الذين آمنوا به، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما دعاؤنا إياك إلى القرآن، إلا كدعائك أهل التوراة إلى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم من أمتهم الحق عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبي فالحق عليك اتباعه ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نامرك به.

فقال المقوقس إنني قد نظرت فى أمر هذا النبي فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجد بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبأ والإخبار بالنجوى وسأنظر وأخذ كتابه عليه السلام وضمه إلى صدره فجعله فى حق من عاج ثم ختم عليه ودفعه لجارية له لتحفظه ثم دعا كاتباً له يكتب

بالعربية فكتب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن يخرج من الشام أي لأنه مخرج الأنبياء قبله، وقد أكرمت رسولك وبعثته إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم وكسوة وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام.

قوله يؤتك الله بالجزم، جواب ثان للأمر أو معطوف بحذف العاطف، وقوله سواء بيننا وبينكم أي عدل ونصف، نستووا نحن وأنتم فيها وفسر الكلمة بقوله أن لا نعبد إلا الله إلخ. والنكال العقوبة والآخرة والأولى كلمتان قالهما فرعون، وبينهما أربعون سنة، الأولى قوله ما عملت لكم من إله غيري، والآخرة قوله أنا ربكم الأعلى. وقيل الأولى الدنيا، ونكالها بالإغراق، والآخرة يوم القيامة بالإحراق، وقوله فقد بفتح الفاء وسكون القاف ودال مهملة مفعول قوله الكافي والخبأ بفتح المعجمة المستورة كأنه يشير إلى الإخبار بالمغيبات، والنجوى ما يتناجى به أي يسارر وهي من جملة الإخبار بالغيب.

وروى الواقدي عن المغيرة بن شعبة فى قصة خروجهم من الطائف قبل إسلام المغيرة، أنهم دخلوا على المقوقس وسألهم عما يدعو إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أخبروه به قال المقوقس هذا نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه فقد أمرهم بذلك عيسى، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دينه الى منتهى الخف، والحافر فقالوا أي المغيرة ومن معه لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم فى اللعب.

وقوله وبعثت إليك بجاريتين أي مارية واختها سيرين ولم يذكر الثالثة وهي أختها قيصر بل اقتصر عليهما لحسنهما وجمالهما.

وروى الواقدي ان المقوقس أرسل إلى حاطب فسأله عن صفته عليه

السلام وإلى ما يدعو فلما أخبره قال القبط لا تطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر علي البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ها هنا وأنا لا أذكر من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك أحدا، قال حاطب، فذكرت قوله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه انتهى فكان كما قال أنظر الزرقاني.

واستمر المقوقس نصرانيا حتى فتحت منه مصر فى خلافة عمر .
(ثم إلى من ملكا عـمـانـا عـمـرا فـأـسـلم له ودانا)

عمان بضم المهملة وخفة الميم وهي التى باليمن سميت بعمان بن سبا وينسب إليه الجلندي رئيس أهلها والتى بالشام بفتح المهملة وشد الميم وهي التى أراد القائل :
فى وجهه خالان لولاهما ما بت مفتونا لعمان

وليست مرادة هنا قطعاً وإنما اختلف الرواة فى ما جاء فى بعض طريق حديث صفة الحوض النبوي نقله الزرقاني عن ابن حجر ومعنى أسلما انقادا له : وصدقاه وضمير له للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى دانا أطاعا فمعناها متقارب وعمرا بالنصب عطف على دحية من قوله (ودحية الى هرقل أرسلنا) وهو ابن العاصي بن ائـل السهمي يعنى أنه عليه السلام أرسل عمرو بن العاصي فى ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر بفتح الجيم فتحتية ساكنة ففاء مفتوحة فراء مهملة وعبد بموحدة وقيل تحتية بلا إضافة وللطبراني عباد وضبطه فى الفتح بفتح المهملة وشد التحتية وآخره معجمة ابنا الجلندي وهما المراد بقوله عن ملكا عمانا فصدقنا وانقادا لشريعته فأقرهما عليه السلام على الملك وكتب الكتاب المبعوث معه أبى بن كعب ونصه بعد البسملة:

من محمد بن عبد الله ورسوله إلى جيفر وعبدا ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأني ادعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما،

فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقربا الإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما.

قال عمرو فخرجت وسرت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت الي عبد وكان أحلم الرجلين وأسلمهما خلقا، فقلت إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيك فقال عبد أخي المقدم علي في السن والملك، وأنا أوصلك إليه ثم قال عبد وما تدعو إليه؟ قال إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع من عبد من دونه وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. فقال يا عمرو انك ابن سيد قومك وكيف صنع أبوك فإننا لنا فيه قدوة؟ قلت مات ولم يؤمن وقد وددت أنه كان أسلم وقد كنت على مثل رأيه حتى هدانا الله للإسلام، فسألني أين كان إسلامك؟ قلت عند النجاشي، فأخبرته أنه قد أسلم، قال كيف صنع قومه بملكه؟ قلت أقروه. قال والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت نعم. ثم قال ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي؟ قلت بلي كان النجاشي يخرج خرجا فلما أسلم قال لا والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته. فبلغ هرقل قوله فقال يناف أخوه اتدع عبدك لا يخرج لك خرجا ويدين دينا محدثا؟ قال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. فمكث عمرو بباب عبد أياما وهو يصل إلى أخيه ويخبره خبر عمرو ثم انه أدخله على جفیر قال عمرو فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فقال تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختوما ففضه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه عبد وقرأه مثل ما قرأه إلا أنني رأيت أخاه أرق منه، فقال جيفر: كيف صنعت قريش؟ فقلت تبعوه إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف. قال ومن معه؟ قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره، وعرفوا أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحد بقي غيرك في هذه الحرجة وإن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل فاسلما تسلم. ويستعملك على

قومك ولا تدخل عليكم الخيل والرجال. قال دعني يومي هذا وارجع إلى غدا حتى إذا كان الغدو أتيت إليه فأبى أن ياذن لى فأخبرت أخاه أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه، فقال إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدي وهو لا تبلغ خيله ها هنا. وإن بلغت خيله ها هنا، ألقت قتالا ليس كقتال من لاقى، قلت وأنا خارج غدا، فلما يقن بمخرجي خلا به أخوه، فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لى عونا على من خالفنى انتهى.

الجلندي بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون والقصر كما فى الفتح غير مبال بقول شيخه فى القاموس جلنداء بضم أوله وفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهري فقصر مع فتح ثانيه، قال الأعشى:

وجلنداء فى عمان مقيما ثم قيس فى حضرموت المنيف
وذكر بثيمة أنه عليه السلام بعث عمر الى الجلندي فأسلم وأنشد أبيات منها:

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ينادي بها فى الوادين فيصبح

قال فى الإصابة فيحتمل أن عمرا أرسل إليهم وقوله عمدت بفتح الميم بوزن قصدت، ومعناه فى لغة بكسر الميم، وقوله خلقا بضميتين والحرجة بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين فجيم شجر ملتحف وفى إسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة وهي إسلام صحابي على يد تابعي، والأساقفة رؤوس دين النصارى وقوله يطؤك الخيل زاد فى العيون ويبيد خضراءك بفتح الخاء وسكون الضاد المعجمتين والمد أي جماعتك، وفيه شدة شكيمة عمرو وقوة نفسه رضى الله تعالى عنه حيث خاطبه بهذا وأنذره بالحرب والهلاك فى محل ملكه وحضرة أعوانه مع أنه لم يتمكن من الجلوس بين يديه، ومعنى ألقت وجدت، أنظر الزرقاني.

وللعراقي:

فأرسل ابن العاص حتى أدى كتباه إلى ابني الجلندي
فأسلمنا وصدقنا وخلينا ما بين عمرو والزكاة هديا

وهديا حشو وابني الجلندي تقدم ضبطهما وضبطه الجلندي وهو في
المنابي والزرقاني وما زائدة وأقام عمرو فيهم حتى بلغتهم وفاة
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله المناوي.

(ولليمامة سليطا أرسلنا فلم يفز صاحبها إذ سألنا
إلى النبي جعل بعض الأمر له) ...

المجروح متعلق بأرسل بعده، واليمامة بلاد بالبادية أكثر نخيل من
سائر الحجاز وهي دون المدينة في الوسط الشرقي من مكة على ست
عشرة مرحلة من البصرة، قال الجوهري كانت اسمها الجو، وسميت
باسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام والفوز
النجاة والظفر بالخير وفاعل سأل ضمير يعود على صاحبها والضمير
المضاف إليه لليمامة، وقوله جعل مفعول سأل وبعض مضاف إليه ما
قبله، ومعنى كلامه أنه عليه السلام أرسل إلى اليمامة أي إلى صاحبها
هوذة بن علي الحنفي كتابا مع سليط بفتح السين المهملة وكسر اللام بن
عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بكسر الحاء وسكون السين المهملتين
فلام بن عامر بن لؤي فلم يفز هوذة أي لم ينج ولم يظفر بخير بل مات
على كفره، والعياذ بالله تعالى إذ قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اجعل لي بعض الأمر اتبعك، قال الزرقاني كأنه أراد شركته في النبوة
أو أراد الخلافة بعده ولم يرض بكونه تحت ولايته عليه السلام حيث كتب
له أسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك، انتهى. وهذا هو مراد الناظم
بقوله:

(إذا سألنا من النبي جعل بعض الأمر له)

يعني الاشراك فى النبوة أو الخلافة بعده، فقال عليه السلام لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت. والسيابة بسين مهملة وخفة تحتية فألف فموحدة فتاء تأنيث القطعة هكذا فسرّه ابن حديدة وفسره البرهان بالبلح، تبعاً للقاموس وهو أبلغ قاله الزرقاني.

ونص الكتاب على ما فى المواهب بعد البسمة: من محمد رسول الله إلى هوزة بن علي سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك، فلما قدم سليط بالكتاب أنزله وحباه واقتراً عليه الكتاب، وقال سليط يا هوزة إنك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح فى النار وإنما السيد من متع بالإيمان ثم زود بالتقوى إن قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به وإنني أمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه، أمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فإن فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار. فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع. فقال سليط يا هوزة سودني من لو سودك شرفت به، وقد كان لى رأي أختبر به الأمور ففقدته فموضعه من قلبي هواء اجعل لى فسحة يرجع إلى رأيي فأجيبك به فرد رداً دون رد، أي رداً فيه لطف دون الرد بعنف. وكتب إليه صلي الله تعالى عليه وسلم ما أحسن ما تدعو إليه والعرب تهاب مكاني فاجعل لى بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر بفتحتين فقدم على النبي صلي الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لو سألتني سيابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما فى يديه. فلما انصرف عليه السلام من الفتح جاءه جبريل عليه السلام فأخبره أن هوزة قد مات على كفره، فقال عليه السلام إما أن اليمامة سيظهر فيها كذاب يتنبأ يقتل بعدي وظهر بها مسيلمة لعنه الله تعالى وقتل انتهى.

وهوزة هو بفتح الهاء وسكون الواو وذال معجمة كما قاله البرهان تبعاً للجوهري. وقال الدميري بضم الهاء. وقوله إلى منتهى الخف

والحافر أي يصل إلى أقصى ما يصل إليه الإبل والخيول وحباه بموحدة أعطاه واقتراً الكتاب، قرأه، وهجر بلد باليمن واسم بجميع أرض البحرين كما في القاموس، وباد بالموحدة هلك، أنظر الزرقاني.

وللعراقي:

وأرسل السليط لليمامة لهوذة ملك بنى حنيففة
وأكرم الرسول إذ انزله وقال ما أحسن ما تدعوه له
وسال أن يجعل بعض الأمر له فلم يعط قضى في الكفر

ويعطى مبني للمفعول وقضى مات وفاعله ضمير عائد على هوذة
وملك بفتح الميم وسكون اللام وهوذة بدل من قوله لليمامة بتقدير
مضاف أي لصاحب اليمامة هوذة.

(ثم إلى البلقا شجاعاً أرسله) البلقاء هي عمان كشداد بلد بالشام. قال المناوي سميت بالبلقاء بن سورة من بنى غسان. وشجاعاً بضم الشين منصوب بمحذوف يفسره أرسل المشغول بالضمير وهو شجاع بن وهب بن ربيع بن أسد بن صهيب بن ملك بن كثير بن دودان بن أسد بن خزيمة أحد السابقين هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة. يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى عمان البلقاء من أرض الشام وبعث معه كتاباً إلى الحارث بن أبي شمر بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وبالراء الغساني وكان أميراً بغوطة دمشق من جهة قيصر، فلم يؤمن وهلك على كفره عام الفتح. وغوطة بضم الغين المعجمة وسكون الواو وطاء مهمة وتاء تأنيث مدينة بدمشق كثيرة الماء والأشجار أنظر الزرقاني.

ولفظ الكتاب على ما في المواهب بعد البسملة: من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله وصدق، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك

له يبقى لك ملكك انتهى كلامه .

فانتهى إليه شجاع وهو بغوطة دمشق مشغول بتهيئة الأموال والألطف إلى قيصر وهو أت من حمص إلى إيلياء، قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه إني رسول رسول الله إليه، فقال لي لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكان حاجبه روميا اسمه مري بكسر الميم مخففا سألتني عنه صلي الله تعالى عليه وسلم وكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول إني قرأت في التوراة صفة هذا النبي فأنا أو من به وأصدقه وأنا أخاف الحارث بن أبي شمر أن يقتلني . قال شجاع وكان يعنى الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحارث، قال فخرج الحارث يوما فوضع التاج على رأسه فأذن لي فدفعته إليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن علي بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيول أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب إلى قيصر بخبري فصادفه بإيلياء وعنده دحية عنده كتابه صلي الله تعالى عليه وسلم فكتب إلى الحارث أن لا تسر إليه ووافني بإيلياء، قال ورجع الكتاب وأنا مقيم، فقال لي متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت غدا، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ووصلني مري بنفقة وكسوة وقال اقرأ علي رسول الله منا السلام وأخبره أنني متبع دينه فأخبرته عليه السلام فقال باد ملكه وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال صلي الله تعالى عليه وسلم صدق . أنظر الزرقاني .

فائدة:

ما مر من أن شجاع بن وهب أرسل إلى الحارث بن أبي شمر هو الذي في المواهب وصدر به العراقي ثم ذكر انه قيل إنه أرسل إلى جبلة بن الأيهم الغساني ونصه:

كذا شجاع الأسدي يلقي الحارث الغساني ملك البلقى

رمى الكتاب قال إني سائر إليه رده هرقل قيصر
وقليل بل أرسله لجبله فقارب الأمر ولكن شغله
الملك ثم فى زمان عَمَرا أسلم ثم ارتد حتى كَفَرا

ويلقى بفتح المثناة تحت وقاف والحارث مفعوله، وقوله سائر إليه أي إلى قتاله صلي الله تعالى عليه وسلم فردده هرقل وهو قيصر عن عزمه. وقوله وقيل أي قال هشام وغيره بل إنما أرسله لجبله بفتح الجيم والموحدة ابن الأيهم بفتح الهمزة وسكون المثناة تحت الغساني وقال ابن عبد البر كان إرساله لهما معا ولما قدم على جبله قال له يا جبله ان قومك نقلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم يعنى الأنصار فأووه ونصروه وإن هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت بها الروم فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم، وإنما قال له قومك لأنه غساني وغسان قبيلة من الأزد وقوله فقارب الأمر وقال وددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي ولكن شغله الملك وكان آخر ملوك غسان وكان ينزل الجابية ثم أتى جبله عمر بن الخطاب فى خلافته وأسلم على يديه ثم لاحى رجلا من مزينة فلطم عينه فجاء الى عمر وقيل إلى أبي عبيدة وقال خذ لي حقي فقضى عمر بالقصاص فأنف جبله وقال عيني وعينه سواء لا أقيم بهذه الدار أبدا ولحق بعمورية وقوله كفر حشو ومات على كفره انتهى من المناوي.

وأرسل العلا إلى البحرين فأسلم المنذر دون مين

العلا هو ابن الحضرمي وكان مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها له، وهو أول من بنى مسجدا فى أرض الكفر وله فى قتال الردة شأن عظيم قاله المناوي والبحرين كتثنية بحر فى حال النصب والجر قاعدة من قواعد اليمن كذا فى النور ولا يخالفه قول القسطلاني ان البحرين اسم لإقليم مشهور مشتمل على مدن معروفة قاعدتها هجر لأن المراد بالقاعدة الجانب الكبير كالأقليم فلا ينافي أن هجر قاعدة من

قواعده قاله الزرقاني، والمين الكذب ومعنى البيت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل العلاء بن الحضرمي واسمه خالد بن ربيعة الى صاحب البحرين وهو المنذر بن ساوى بفتح السين المهملة والواو وقال القطب بكسر الواو وكذا فى المناوي وكتب له كتابا قال الزرقاني ولم أر من ذكر لفظ هذا الكتاب فأسلم المنذر وكتب إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا وسأوى هو ابن الأخنس ابن بيان بن عمرو بن عبد الله ابن زيد بن عبد الله بن دارم فهو تميمي دارمي عبيدي لا من عبد القيس كما ظنه بعض أفاد ذلك الرشاطي قاله الزرقاني وكان مع العلاء أبو هريرة وذكر الجلال أن أبا هريرة قال لما بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى البحرين رأيت منه ثلاثا يعنى من العلاء لما انتهينا الى شاطئ قال سموا الله واقتحموا فسمينا فاقترحنا فما بل الماء أسفل خفافنا وصرنا بفلات ولا ماء معنا وشكوا إليه فصلى ودعا وإذا بسحابة كالترس فسقينا واستقينا ومات فدفناه بالرمل فسرنا غير بعيد فقلنا يجيء سبع ياكله فرجعنا ولم نره نقله المناوي وكتب المنذر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد يا رسول الله فإنني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي يهود ومجوس فاحدث إلى فى ذلك أمرك أي بقطع الهمزة وكسر الدال فكتب إليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد البسملة: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد فإنني أذكرك الله عز وجل، أي وأمره ونواهيته فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وأنه من يتبع رسلي ويطع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لى وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإنني قد شفعتك فى قومك فاترك لهم ما أسلموا عليه أي من مال وزوجات وعفوت عن أهل الذنوب المتقدمة فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

وللحافظ العراقي:

وأرسل العلاء أي ابن الحضرمي
كان مع العلاء أبو هريرة
ووفد المنذر عام الفتح أو
(والأشعري ومعاذا لليمن)
لمنذر وهو ابن سواوي الدارمي
فانقضاء منذر لخير ملة
في عام تسعة خلافا قد حكوا

(فأسلموا دون قتال وفتن)

الأشعري بالنصب عطف على العلاء وهو أبو موسى الأشعري واسمه
عبد الله بن قيس ومعاذ هو ابن جبل الخزرجي الجشمي كان عقبيا بدريا
من فقهاء الصحابة وفي الحديث نعم الرجل معاذ بن جبل وفيه أرحم
أمتي أبو بكر وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، رواهما الترمذي انتهى من
الفتح.

ومراد أنه عليه السلام أرسل أبا موسى ومعاذا إلى اليمن أي إلى
أهله فأسلموا بلا قتال ولا فتنة ومعناهما واحد فالعطف للتفسير أي
أسلم غالبهم وبعث إليهم بعد ذلك عليا فقاتل من لم يسلم منهم حتى
أسلموا كما يأتي. وقد إلتفت الناظم إلى المضاف المحذوف فرد عليه
الضمير في قوله "فأسلموا" أي أهل اليمن.

وللعراقي:

كذلك أرسل معاذا وأبا موسى إلى مخالف واقتربا
وقال يسرا ولا تعسرا طوعا وبشرا ولا تنفرا

قوله مخالف بفتح الميم وخاء معجمة جمع مخالف بكسر الميم وهو
الكورة والأقليم، واليمن مخلافان أي بعث كل منهما إلى مخالف
واقتربا أي تقاربا في المكانين وقال لهما يسرا على الناس ولا تعسرا
وبشرا المؤمنين وكونا طوعا أي تطاوعا ولا تختلفا ولا تنفرا الناس عن
الدخول في الدين فانطلق كل منهم إلى عمله وقال لمعاذ انك ستأتي

قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله فإن أطاعوا فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن أطاعوا فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، انتهى من المناوي. وقوله واليمن مخلافان قال فى المراصد واليمن ثلاث وآيات الجند ومخاليفها وصنعاء ومخاليفها وحضرموت ومخاليفها انتهى. نقله الزرقاني.

وفي المواهب أنه عليه السلام ولى أبا موسى زبيد وعدن وولى معاذ الجند وولى أبا سفيان بن حرب نجران انتهى. وزبيد بفتح الزاء وكسر الموحدة وسكون التحتية ودال مهمة مدينة باليمن وعدن بفتححتين مدينة باليمن أيضا والجند بفتح الجيم والنون فдал مهمة مدينة باليمن ونجران بفتح النون وسكون الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمي بنجران بن زيد بن سبأ وحضرموت بفتح فسكون وفتح الراء والميم وقد تضم الميم ناحية واسعة فى شرقي عدن حولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف أنظر الزرقاني.

. وفي المواهب مع بعض كلام الزرقاني وبعث أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك وكان انصرافه منها فى رمضان سنة تسع وقيل سنة عشر وقيل عام الفتح سنة ثمان داعين إلى الإسلام فأسلم غالب أهلها من غير قتال ثم بعث عليا بن أبي طالب بعد ذلك إليهم فى رمضان سنة عشر كما قال ابن سعد فقاتل من لم يسلم فهزموا وقتل منهم فكف ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا الإجابة وكتب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمره ان يوافيه بالموسم فوافاه بمكة فى حجة الوداع انتهى المراد منهما.

فائدة:

اقتصر الناظم على ما مر من رسله عليه السلام وفى المواهب وشرحها أنه عليه السلام بعث جرير بن عبد الله البجلي بالتحريك

نسبة إلى بجيلة بفتح فكسر بنت صعب بن سعد العشيرة نسبت إليها القبيلة إلى ذي الكلاع بفتح الكاف واللام الخفيفة فألف فعين مهملة اسمه اسميفع بفتح الهمزة والميم وسكون السين المهملة والتحتية وإلى ذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا.

وروي أن ذا الكلاع قدم المدينة في زمن عمر ومعه أربعة آلاف فسأله عمر في بيعهم فأعتقهم وروى يعقوب بن شيبه أنه كان عنده اثني عشر ألف بيت فقال له عمر بعنا هؤلاء نستعين بهم على عد والمسلمين فقال لا هم أحرار، فأعتقهم كلهم في ساعة واحدة. وتوفي عليه السلام وجرير عندهم وقال جرير ما صحبتني صلي الله تعالى عليه وسلم ولا رأني إلا تبسم رواه الشيخان وقال عليه السلام جرير منا أهل البيت. رواه الطبراني. وقال فيه عمر هو يوسف هذه الأمة أي لجماله انتهى. وما قدمت من ضبط ذي الكلاع عزاه الزرقاني للقسطلاني وغيره.

وللعراقي:

كذا جريرا نحو ذي الكلاع ونحو ذي عمرو ونعم الداعي
دعاهم إلى الإسلام فاستسلما إليه باستسلام

أي بانقياد دون محاربة. قاله المناوي. وبعث أيضا عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة الكذاب بكتاب يدعو فيه إلى الإسلام فكتب إليه مسيلمة كتابا يذكر فيه أنه رسول الله مثله وأنه أشرك مع المصطفى بالنصف في الأرض وأن قريشا قوم لا يعدلون، فكتب إليه بعد البسملة من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد {فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}، بلغني كتابك الكذب والإفك والإفتراء، على الله والسلام على من اتبع الهدى وبعثه إليه مع السائب أخ الزبير بن العوام ذكره ابن سعد قاله الزرقاني. وللعراقي بعد ما تقدم:

وعمر الضمري إلى مسيلمه فلم يؤب عن كذبه ولزمه

أرسل له كتابه مع سائب ثانیة فلم یکن بالتائب

عمرا بالنصب أي وأرسل عمرا وقوله فلم يؤب أي لم يرجع عن كذبه بكسر فسكون ولزم كذبه ثم أرسل له أي لمسیلمة كتابه مع سائب بن العوام أخ الزبیر انتهى من المناوی.

وبعث أيضا المهاجر بن أمية بن المغيرة شقيق أم سلمة إلى الحارث بن عبد كلال بضم الكاف كما فی المناوی وأخويه مسروح ونعيم الحميريين وكان الحارث أحد أقبال اليمن، قال الهمداني فوجد عليه الحارث فاعتنقه وأفرشه رداءه وقال قبل أن يدخل عليه يدخل عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين صبيح الخدين فكان هو وقال فی الإصابة والذي تظاهرت به الروایات أنه أرسل بإسلامه وأقام باليمن. ولابن اسحاق ان الحارث كتب إلى المصطفى شعرا يقول فيه:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق أمر انتهى من المواهب وشرحها.

وما ذكر من أن المبعوث إلى بنی عبد كلال المهاجر خلاف ما للعراقي من أنه عياش بن أبي ربيعة المخزومي وسلمه المناوی ونصه بعد ما قدمت عنه:

وبعده عياشا أيضا أرسلنا إلى بنی عبد كلال قبلا كلهم كتابه فأسلموا نعيم الحارث مسروحهم

ونعيم بالتصغير ومسروح بسين وحاء مهملتين والحارث بيان لبني عبد كلال انتهى. وما مر ذكره الزرقاني، والله تعالى أعلم.

وبعث أيضا بريدة بضم الموحدة ابن الحبيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الأسلمي. ويقال كعب بن مالك الأنصاري إلى أسلم بفتح فسكون قبيلة من الأزد وغفار ككتاب قبيلة من كنانة وسبق إلى الإسلام منهم أبو ذر وأخوه أنيس ورجع أبو ذر إلى قومه فأسلم الكثير منهم.

وفى القبيلتين قال عليه السلام أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وفيه من جناس الاشتقاق ما يلذ على السمع وبعث أيضا عباد بن بشر الأنصاري إلى سليم ومزينة وهو اسم امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس وهي مزينة بنت كلب بن وبرة وهي أم أوس وعثمان ابني عمرو بن أد بن طابخة أنظر الزرقاني.

وبعث أيضا إلى فروة بن عمرو ويقال ابن عامر الجذامي بضم الجيم كما فى المناوي وكتب إليه كتابا ولم يسم من ذهب به وكان عاملا لقيصر على من يليه من العرب فأسلم وكتب إلى المصطفى عليه السلام بإسلامه وبعث إليه بهدية مع مسعود بن سعد الجذامي وهي بغلة شهباء يقال لها فضة بلفظ أحد النقيدين وفرس يقال له الظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء لكبره وسمنه أو لقوته وصلابة حافره وحمارا يقال له يعفور. قاله القسطلاني. قال الزرقاني بناء على أنه غير عفير الذى أهداه المقوقس وبعث إليه أثوابا وقباء بفتح القاف وخفة الموحدة والمد والقصر من قبوت الشيء إذا ضمنت أصابعك عليه سمي به لانضمام أطرافه سندسيا مذهباً أي قباء من السندس وهو ما رق من الديباج انتهى.

وللعراقي:

وأرسل النبي أيضا إذ كتب لعمرو بن عمرو الجذام لعمدة لم يسم من بها ذهب أفلح إذ أقصر بالإسلام

قوله لم يسم إلخ.. أي لم يسم من ذهب بالكتاب فكتب لفروة بن عمرو الجذامي بضم الجيم وذال معجمة وأفلح فاز وظفر ولما بلغ ملك الروم إسلامه حبسه فمات فى الحبس فصلبوه على ماء يقال له عفراء بفلسطين أنظر المناوي. وقال فى ذلك:

ابـلـغ سـمـرة المـسـلمـين بـأنـنـي سـلم لـربـي أعـظـمـي وثـيـاب

ولما ذكر رسله عليه السلام ناسب أن يذكر من كان يكتب من أصحابه الكتب التي يبعث بها رسله أو يكتب غيرها كالوحي وإلى بيانهم أشار بقوله:

(بيان من كان من الكتاب له صلى عليه ربنا وفضله)

الكتاب جمع كاتب والمراد به من كان يكتب له صلى الله تعالى عليه وسلم الوحي أو غيره أي هذا بيان من كان يكتب له عليه السلام من أصحابه، وصلى عليه أي أعطاه صلاة أي رحمة يلزمها تعظيم وفضله زاده فضلا وهذا لا يكتسب به صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة ونحن مأمورون بذلك تعظيما له عليه السلام، وفضلا منه تعالى علينا لننال به جزيل الثواب ثبتنا الله تعالى نحن وأحببتنا على محبته إلى المامة.

(زيد) قوله زيد بالرفع وما بعده معطوف عليه خبر مبتدأ محذوف أي وهم زيد إلخ.. وذكر العراقي أن عددهم اثنان وأربعون وزيد هو ابن ثابت ابن الضحاك ابن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن ملك بن النجار الخزرجي استصغر يوم بدر وشهد أحدا وقيل أول مشاهده الخندق وكانت معه راية بنى النجار يوم تبوك قدم صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وله إحدى عشرة سنة كان مشهورا بكتب الوحي وكان يكتب له المراسلات وكتب للعميرين وكان عمر يستخلفه إذا حج، مات سنة خمسسين أو ثمان وأربعين، فقال أبو هريرة اليوم مات خبر هذه الأمة وعسى الله تعالى أن يجعل في ابن عباس خلفا منه وكان أحد فقهاء الصحابة رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والفرائض، وقال عليه السلام أفرضكم زيد رواه أحمد وذهب زيد ليركب فأمسك ابن عباس بالركاب فقال تنح يا بن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا هكذا نفعل بالعلماء والخبراء وكان زيد ممن جمع القرآن في خلافة أبي بكر ونقله إلى المصحف في خلافة عثمان.

(أبي) بحذف العاطف أي ومن كتابه عليه السلام أبي بضم الهمزة

بالنار وفى ذلك تقول زوجته عاتكة:

قدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لرأيته لا طائشا رعرش الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسما حلت عليك عقوبة المتعمد

(والعلاء) أي ومن كتابه عليه السلام العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أو ابن عمارة، سكن مكة وخالف حرب بن أمية والعلاء صحابي جليل استعمله عليه السلام على البحرين فأقره أبو بكر وعمر حتى مات سنة أربع عشرة أو إحدى وعشرين ويقال أنه مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها كما مرّ.

(والخالدان) تثنية خالد كانا كاتبين له عليه السلام، ويعنى بهما خالد بن الوليد المخزومي سيف الله المسلول على المشركين وخالد بن سعيد ابن العاصي بن أمية بن عبد شمس وكان خالد هذا من السابقين قيل كان رابعا أو خامسا فعاقبه أبوه أبو أحيحة ومنعه القوت فهاجر الى الحبشة حتى قدم مع جعفر قاله الزرقاني. وفى المناوي عن شرف المصطفى للنيسابوري أن أول من كتب له عليه السلام خالد بن سعيد، قال وقيل أنه أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وهو الذى أهدى للرسول خاتمه الذى نقش عليه محمد رسول الله فوقه فى بئر أو يبس انتهى كلامه. وأما خالد بن الوليد فأسلم بين الحديبية والفتح.

(الخلفاء الفضلاء)، الخلفاء بالرفع بحذف العاطف والفضلاء نعت له يعنى أنه من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم الخلفاء الراشدون خير هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. أما أبو بكر فهو تيمي واسمه عبد الله بن أبي قحافة بضم القاف وكان يسمى عتيقا أما لحسنه أو لسبقه إلى الإسلام أو لأنه ليس فى نسبه ما يعاب أو لأن أمه استقبلت به البيت فقالت اللهم إن هذا عتيقك من الموت، قالت ذلك

لأنها كانت لا يعيش لها ولد، أو لعتقه من النار، ولقب بالصديق لتصديقه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أول مرة، ولازم الصدق فلم تقع منه هفوة ولا وقفة فى حال من الأحوال أو لأن الله تعالى صدقه أى نسبه للصدق قولاً وفعلاً فى نحو قوله تعالى: {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى}. وولي الخلافة سنتين ونصفاً، قاله فى المواهب. وفى فتح الباري سنتين وثلاثة أشهر وأياماً وقيل غير ذلك. قاله الزرقاني.

وأما عمر رضي الله تعالى عنه فهو من بنى عدي بن كعب ويلقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وعن ابن مسعود والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال قاله فى المواهب وقتله بعد أن أحرم فى صلاة الصبح أبو لؤلؤة فيروز المجوسي، غلام المغيرة بن شعبه، طعنه بخنجر له رأسان ثلاث طعنات ثم طار العليج لا يمر على أحد إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من المسلمين برنسا فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه ولما أخبر عمر أنه هو الذى طعنه قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام وكان ذلك لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فعاش حتى انسلخ الشهر ودفن هلال المحرم وعمره وعمر أبو بكر على المشهور ثلاث وستون كعمره صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما عثمان فهو ابن عفان ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ويلقب بذي النورين لتزوجه بنتي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم. وروى البيهقي أنه كان يكتب له الأمور التى يريد اخفاءها عن الناس فهو كاتب سره، قاله الزرقاني.

وقال عليه السلام لكل نبي رفيق ورفيقي فى الجنة عثمان رواه الترمذي. قال فى المواهب وكانت خلافته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ثم قتل شهيداً. وروى فى سبب قتله أن أهل مصر رحلوا يشكون ابن أبي سرح فعزله وكتب لهم كتاباً بتولية محمد

بالنار وفى ذلك تقول زوجته عاتكة:

قدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لرأيته لا طائشا رعرش الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسما حلت عليك عقوبة المتعمد

(والعلاء) أي ومن كتابه عليه السلام العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أو ابن عمار، سكن مكة وخالف حرب بن أمية والعلاء صحابي جليل استعمله عليه السلام على البحرين فأقره أبو بكر وعمر حتى مات سنة أربع عشرة أو إحدى وعشرين ويقال أنه مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها كما مر.

(والخالدان) تثنية خالد كانا كاتبين له عليه السلام، ويعنى بهما خالد بن الوليد المخزومي سيف الله المسلول على المشركين وخالد بن سعيد ابن العاصي بن أمية بن عبد شمس وكان خالد هذا من السابقين قيل كان رابعا أو خامسا فعاقبه أبوه أبو أحيحة ومنعه القوت فهاجر الى الحبشة حتى قدم مع جعفر قاله الزرقاني. وفى المناوي عن شرف المصطفى للنيسابوري أن أول من كتب له عليه السلام خالد بن سعيد، قال وقيل أنه أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وهو الذى أهدى للرسول خاتمه الذى نقش عليه محمد رسول الله فوقه فى بئر أو يبس انتهى كلامه. وأما خالد بن الوليد فأسلم بين الحديبية والفتح.

(الخلفاء الفضلاء)، الخلفاء بالرفع بحذف العاطف والفضلاء نعت له يعنى أنه من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم الخلفاء الراشدون خير هذه الأمة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. أما أبو بكر فهو تيمي واسمه عبد الله بن أبي قحافة بضم القاف وكان يسمى عتيقا أما لحسنه أو لسبقه إلى الإسلام أو لأنه ليس فى نسبه ما يعاب أو لأن أمه استقبلت به البيت فقالت اللهم إن هذا عتيقك من الموت، قالت ذلك

لأنها كانت لا يعيش لها ولد، أو لعنتقه من النار، ولقب بالصدّيق لتصديقه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أول مرة، ولازم الصدق فلم تقع منه هفوة ولا وقفة فى حال من الأحوال أو لأن الله تعالى صدقه أي نسبه للصدق قولاً وفعلاً فى نحو قوله تعالى: {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى}. وولي الخلافة سنتين ونصفاً، قاله فى المواهب. وفى فتح الباري سنتين وثلاثة أشهر وأياماً وقيل غير ذلك. قاله الزرقاني.

وأما عمر رضي الله تعالى عنه فهو من بنى عدي بن كعب ويلقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وعن ابن مسعود والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر استخلفه أبو بكر فأقام عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال قاله فى المواهب وقتله بعد أن أحرم فى صلاة الصبح أبو لؤلؤة فيروز المجوسي، غلام المغيرة بن شعبه، طعنه بخنجر له رأسان ثلاث طعنات ثم طار العليج لا يمر على أحد إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من المسلمين برنسا فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه ولما أخبر عمر أنه هو الذى طعنه قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام وكان ذلك لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فعاش حتى انسلخ الشهر ودفن هلال المحرم وعمره وعمر أبو بكر على المشهور ثلاث وستون كعمره صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما عثمان فهو ابن عفان ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ويلقب بذي النورين لتزوجه بنتي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم. وروى البيهقي أنه كان يكتب له الأمور التى يريد اخفاءها عن الناس فهو كاتب سره، قاله الزرقاني.

وقال عليه السلام لكل نبي رفيق ورفيقي فى الجنة عثمان رواه الترمذي. قال فى المواهب وكانت خلافته إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ثم قتل شهيداً. وروى فى سبب قتله أن أهل مصر رحلوا يشكون ابن أبي سرح فعزله وكتب لهم كتاباً بتولية محمد

بن الصديق فرضوا فلما كانوا اثناء الطريق أتاهاهم راكب فأخبرهم أنه من عند عثمان بكتاب بإقرار ابن أبي سرح ومعاوية جماعة من أعيانهم فأخذوا الكتاب ورجعوا وواجهوه فحلف أنه ما كتب ولا أذن، فقالوا أسلم لنا كاتبك مروان ابن الحكم فخشى عليه القتل منهم فلم يسلمه لهم فغضبوا وحاصروه فى داره واجتمع جماعة يحمونه منهم، فنهاهم عن القتال، إلى أن تسوروا عليه فقتلوه يوم الجمعة بعد العصر لثمان عشرة وقيل لسبع عشر وقيل لاثنتين وعشرين خلت من ذي الحجة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وأشهر على الصحيح فعظم ذلك على الصحابة وغيرهم من أهل الخير فكان ما كان أنظر الزرقاني.

وقال المحقق اليوسى فى حواشي الكبرى أعلم ان عثمان لم يقتله أحد من الصحابة بل ولا حضر قتله أحد منهم ولا رضى به، قال ابن حجر المكي حيث تكلم على قتل عثمان رضى الله تعالى عنه احذر لئلا تهلك أن تعتقد أن أحدا من الصحابة أراد قتل عثمان ولا عاون عليه بوجه وإنما سكنت عنه من سكنت لأحد أمرين اما الخوف على النفس لأن أولئك المتمالئين من أهل مصر والشام وغيرهما على حصره أخلاط كثيرون ولا يوقرون كبيرا ولا صغيرا واما رجاء ان ذلك الحصار يودي الي تسليم مروان ليقضى بينه وبين من سعى فى قتلهم ويقام عليه موجب ذلك فإنه لا يخلو حاله أي مروان من أن يكون افتات علي عثمان بكل ما فعل وهو الظاهر الذى لا يمتري فيه ذو لب إلى آخر كلامه أي اليوسى وفى آخر كلامه ما نصه والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم على هدى والمدخل نفسه فى خلاف ذلك موقع لها فى ورطة يخشى عليه منها سلب الإيمان والعياذ بالله تعالى وأما من قاتل عليا فإنما قاتلوه اجتهادا لا عدوانا، ولا طلبا لدنيا لكن أخطؤوا فى اجتهادهم لأن عليا هو الامام الحق وقد علم ان المجتهد لا يأثم بالخطأ بل له أجر الاجتهاد انتهى كلامه.

وقال أبو الحسن فى تحقيق المباني فى شرح قول الرسالة: والإمساك عما شجر أي وقع، من النزاع بينهم بعد كلام يجب على المسلم أن يتأول

ما نقل عنهم نقلا صحيحا أحسن التأويلات فيتأول ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما أن عليا طلب انعقاد البيعة أولا إذ لا تقام الحدود ولا يستقيم أمر الناس إلا بإمام وطلب معاوية القصاص من الذين قتلوا عثمان، فوقع ما وقع ولكن اتفق أهل الحق أن عليا اجتهد فأصاب، فله أجران وأن معاوية اجتهد فأخطأ فله أجر واحد انتهى المراد منه.

وقال القلشاني بعد كلام.. قال بعض الأئمة أصحاب النبي صلي الله تعالى عليه وسلم كلهم عيون ودواء العين أن لا تمس انتهى المراد منه.

ولاشك أن من ثبت له اسم الصحبة لا يتكلم فيه بغير الثناء إلا من أراد الله تعالى خذلانه، نعوذ بالله تعالى من ذلك. وأما علي فهو ابن أبي طالب، عم رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم، قال الإمام أحمد واسماعيل القاضي والنسائي لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجيدة أكثر مما جاء في حق علي وروى الطبراني أنه عليه السلام قال لعلي الله ورسوله وجبريل عنك راضون.

وروى هو وأحمد أنه عليه السلام قال لفاطمة أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي إسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما؟ وفي رواية للطبراني: أول المسلمين إسلاما؟

وقال له لا يحبك إلا المؤمن ولا يبغضك إلا منافق، رواه مسلم. بايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق وأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام. قال في المواهب وأقام في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص بكتابة الصلح يوم الحديبية انتهى. وعمره ثلاث وستون على الصحيح المشهور. وملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم كما قيده غير واحد منهم النووي والأسنوي وعن الاقتاع كسرهما، وذلك أنه تعهد ثلاثة من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاصي ليلة واحدة،

ليلة سبع عشرة من رمضان فقال ابن ملجم المرادي أنا لكم بعلي وقال البرك بن عبد الله التميمي أنا لكم بمعاوية وقال عمر بن بكر التميمي أنا لكم بعمر ثم توجه كل إلى المصر الذي فيه صاحبه فأتى ابن ملجم الكوفة واختفى وتزوج قطام امرأة من الخوارج كان علي قتل أباه فشرطت عليه قتل علي فلما كانت ليلة سبع عشر رمضان سنة أربعين خرج علي للصبح فضربه ابن ملجم بسيف مسموم فى جبهته فأوصله إلى دماغه فقال علي فزت ورب الكعبة فمسكوا ابن ملجم وحبسوه حتى مات علي رضي الله تعالى عنه ليلة الأحد فقطعت أطراف ابن ملجم وجعل فى مقصورة وأحرق بالنار وروى الطبراني أنه عليه السلام قال لعلي من أشقى الأولين؟ قال عاقر الناقة. قال من أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم. قال قاتلك والذي سار إلى معاوية ضربه فداووه فصيح لكن صار لا يلد وقطعت أطرافه أي صاحب معاوية وولد له فقال زياد أيولد له ومعاوية لا يولد له فقتله. وأما عمرو فاشتكى بطنه تلك الليلة فأمر خارجه بالصلاة بالناس فقتله فليل له إنما قتلت خارجه فقال أردت عمرا، وأراد الله خارجه، فقتلوه أنظر الزرقاني. ويأتي إن شاء الله تعالى مزيد كلام في الخلفاء عند ذكر الناظم لهم فيمن يقطع لهم بالجنة.

(وثابت)، أي ومن كتابه عليه السلام خطيبه ثابت وهو ابن قيس ابن شماس بفتح المعجمة وشد الميم فألف فمهملة ابن زهير ابن مالك الخزرجي خطيب الأنصار. وقال عليه السلام نعم الرجل ثابت بن قيس. رواه الترمذي ولما نزل {لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} قعد ثابت يبكي فقال له عاصم بن عدي ما يبكيك؟ فقال أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت، فرفع ذلك عاصم إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، فدعا به، فقال أما ترضى أن تعيش حميدا؟ وتقتل شهيدا وتدخل الجنة؟ قال رضيت ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فأنزل الله: {إن الذين يفضون أصواتهم} (الآية). أخرجه ابن جرير واستشهد بالإمامة سنة إحدى عشرة وأجيزت وصيته

بعد الموت ولا يعلم ذلك لغيره. فعن أنس لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت ألا ترى يا عم وجدته متحنطاً قال ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء فقاتل حتى قتل فكان عليه درع فمر به رجل مسلم فأخذه فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال إني أوصيك بوصية فأياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أخذ درعي فلان ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفى علي الدرع برمة فأيت خالدا فمره فليأخذها وليقل لأبي بكر أن علي من الدين كذا وكذا وفلان عتيق، فاستيقظ الرجل فأخبر خالدا فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر بروياه فأجاز وصيته نقله الزرقاني.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه فقد ألغزت بهذه القصة فقلت:
من ذا الذي أوصى وهو ميت فأنفذ الإيصاء منه يا فتى

وأجبت سؤالي فقلت:
ذاك خطيب المصطفى ثابت اب بن قيس الخزرجي ذا فيه أتي
وهو بتشديد الواو والخزرجي بحذف الياء وثابت هذا هو الذي كتب
كتاب قطن بالتحريك بن حارثة العليمي بالتصغير نسبة لبني عليم
بطن من كلب واسلم قطن وصحب.

(وعامر) أي ومن كتابه عليه السلام عامر بن فهيرة بضم الفاء التيمي
مولى أبي بكر أحد السابقين كان يعذب في الله فاشتراه أبو بكر
وأعتقه واستشهد في أهل بئر معونة باتفاق وفي البخاري وغيره أن
عامرا بن الطفيل سأل من رجل منكم لما قتل رأيتاه رفع بين السماء
والأرض قالوا عامر بن فهيرة (وعمر) من الكتاب أيضا وهو ابن
العاصي بن وائل السهمي قال في المواهب أسلم عام الحديبية انتهى.
وفي الإصابة أسلم قبل الفتح في صفر، سنة ثمان وقيل بين الحديبية

وخيبر وهو فاتح مصر فى أيام عمر، وكان عليه السلام يقربه لدينه وشجاعته. وروى أبو يعلى أنه عليه السلام قال عمرو بن العاصي من صالحى قريش وقال فيه عمر بن الخطاب ما ينبغي له أن يمشي على الأرض إلا أميرا وولي مصر مرتين، الأولى ولاه عمر لما فتحها وأبقاه إلى أن مات، فأبقاه عثمان ثم عزله وولى ابن سرح والثانية ولاه أمرها معاوية فمات بها سنة نيف وأربعين. قال الليث هو ابن تسعين سنة، وقال العجلي تسع وتسعين. رضي الله تعالى عنه.

(عمار سلمان بلال الصدر)

قوله الصدر صفة لبلال، ومعناه المتقدم ولا شك فى تقدم إسلام بلال رضي الله تعالى عنه وتقدمه فى الصحابة وقد قال عمر بن الخطاب: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا رضي الله تعالى عن جميعهم. ومراده أن هؤلاء الثلاثة من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم. أما عمار فهو ابن ياسر ويكنى أبا اليقظان وهو عنسي بالنون كما فى فتح البارى واسم أمه سمية بمهملة مصغرا أسلم هو وأبوه قديما وعذبوا لأجل الإسلام وقتل أبو جهل أمه سمية فكانت أول شهيد فى الإسلام انتهى كلام الفتح. وأما سلمان فهو ابن عبد الله الفارسي وتقدم الكلام عليه فى الموالي وأما بلال فهو ابن رباح وأمّه حمّامة والمشهور أنه حبشي وقيل نوبى ومر الكلام عليه أيضا.

تنبيه:

ذكر الناظم رحمه الله تعالى من الكتاب اثنين وعشرين وهؤلاء الثلاثة لم يذكرهم فى كتابه عليه السلام صاحب العيون ولا القسطلاني فى المواهب إذ تعرض لذكر الكتاب ولا العراقي مع أنه ذكر اثنين وأربعين وقال:

كتابه اثنان وأربعونا

وقال فى اثنائه:

واقترصر المزي مع عبد الغني منهم على ذا العـدد المبين
وزدت من مفترقات السير جمعا كثيرا فاحفظنه واحصري
فلعله لم يطلع على هؤلاء والله تعالى أعلم. وذكر ابن سيد الناس منهم
أربعين:

(وابن أبي سفيان)، يعنى أن من كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم
سيدنا معاوية بن أبي سفيان بن حرب، بن أمية بن عبد شمس، بن عبد
مناف وهو مشهور بكتابة الوحي ولى لعمر الشام بعد موت أخيه يزيد
بن أبي سفيان وأقره عثمان مدة خلافته ومدة إمارته من قبلهما
عشرون سنة وكان أمير المؤمنين عشرين سنة أيضا، بعد نزول الحسن
سبط سيد المرسلين له عن الخلافة صونا لدماء المسلمين لا عجزا ولا
ضعفا، وكان معاوية حاسبا وكان فصيحاً حليماً، وقورا فقيهاً، وقال عليه
السلام فيه: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب. رواه الإمام
أحمد فى مسنده أنظر المواهب وشرحها. قال المناوي وهو وأبوه وأخوه
يزيد من مسلمة الفتح وكان هو وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك وأخصهم
به، يعنى للكتب له عليه السلام. انتهى ومات فى العشر الأخير من
رجب، سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين (مع أبان) يعنى أن من
الكتاب أبانا وكذا منهم خالد وسعيد أخوهما وهؤلاء الثلاثة أولاد
أحيحة، سعيد بن العاصي الأموي وخالد قد مر الكلام عليه عند قول
الناظم: والخالدان، وأما أبان فعده ابن اسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة
وذكر الواقدي أنه أسلم أيام خيبر ووافقه عليه علماء الأخبار وهو
المشهور قاله الزرقاني، فقول المواهب فى عد الكتاب وسعيد بن
العاصي أي سعيد بن سعيد ابن العاصي بن أمية وهكذا هو فى ابن سيد
الناس ولم يبين ذلك الزرقاني. قاله مؤلفه سمح الله له.

(وابن الربيع فاستمع بيان)

وقوله فاستمع بيان تتميم والبيان الإظهار والإفصاح أي ومن كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم حنظلة بن الربيع بن صيفي بفتح المهملة وسكون التحتية ابن الحارث التميمي كتب له عليه السلام وأرسله إلى أهل الطائف وهو ابن أخي أكتثم بالمثلثة ابن صيفي وكان يقال له حنظلة الكاتب ومات في خلافة معاوية ويقال ورثته الجن وفيه تقول امرأة: إن ســـــــــواد العين أودى به حـــــــــزني على حنظلة الكاتب

وقول المواهب وحنظلة ابن الربيع الأسدي أي بضم الهمزة مصغر نسبة إلى جده الأعلى أسيد بن عمر أو بن تميم وأسيد تثقل ياءؤه وتخفف، قاله الزرقاني، وقال في قول المواهب هنا الذي غسلته الملائكة انتهى كذا في النسخ وهو غلط فاضح، فإن هذا تميمي وغسيل الملائكة أوسي وهو حنظلة ابن أبي عامر، واسمه عمرو بن صيفي بن زيد الأوسي عرف أبوه في الجاهلية بالراهب وسماه المصطفى بالفاسق، ولعله كان في الأصل غير الذي غسلته الملائكة فسقط لفظ غير، انتهى كلامه.

(ثم ابن مسعود أخو الوداد)، الوداد بالتثنية المحبة، أي من الكتاب عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب المودة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولأمته. ففي الحديث رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، يعني ابن مسعود، ولم يذكره في المواهب حين تعرض للكتاب ولا العراقي ولا ابن سيد الناس والله أعلم. وأبوه مسعود وهو ابن غافل بن حبيب ابن شمع من بنى هذيل بن مدركة بن إلياس، مات مسعود في الجاهلية وأسلمت أم عبد الله وصحبت وكانت تكنى أم عبد وروى الحاكم أن حذيفة قال لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة يوم القيامة، وكان عبد الله هذا من علماء الصحابة، وممن هاجر الهجرتين وشهد بدرا، وروى ابن حبان أنه كان سادس ستة في الإسلام ومات في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين وقد جاوز الستين قاله في فتح الباري.

(وحمزة منهم مع المقداد)، حمزة هو ابن عبد المطلب، والمقداد هو ابن عمر ويقال له ابن الأسود، لأنه كان تبناه ولم يعدهما في الكتاب من تقدم ذكرهم قريبا والمقداد كندي وذكره في المواهب فيمن يضرب الأعناق بين يدي رسول الله عليه السلام، وكذا عده فيهم ابن سيد الناس، ولم يذكره الناظم فيما يأتي، وها أنا أذكر إن شاء الله تعالى من الكتاب من وقفت عليهم ممن تركهم الناظم، فأقول ومنهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب، بن سعد بن تيم بن مرة، جده عليه السلام أحد العشرة وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى وأمه الصعبة أخت العلاء بن الحضرمي أسلمت وهاجرت. وقال عليه السلام يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول لك أنا معك، في أهوال القيامة حتى أنجيك منها رواه الديلمي وابن عساكر، وقال اللهم ألق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه، رواه الطبراني وقال طلحة خير شهيد يمشي على وجه الأرض، وقال ما أنت يا طلحة إلا فياض، وروي أنه سماه طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الطلحات، وليس هو الخزاعي الذي قيل فيه:

نضّر الله أعظمًا دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

استشهد يوم الجمل قرب البصرة سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين أو أربع وستين وقيل غير ذلك، أنظر الزرقاني، وكونه من الكتاب ذكره العراقي، وابن سيد الناس والقسطلاني وغيرهم. ومنهم سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بالهمز بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. وقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا خالي فليرني أمرء خاله، رواه الترمذي، وتقدم الكلام عليه في الحراس وذكره في الكتاب القسطلاني، ومنهم أبو سفيان بن حرب، واسم أبي سفيان صخر، ومنهم ابنه يزيد بن أبي سفيان، أسلما في الفتح، كما مر وكان يزيد من سادات الصحابة ويكنى أبا الحكم، قال ابن عبد البر وهو أفضل بنى أبي سفيان، وأمه زينب بنت نفيل من بنى كنانة ويقال له

يزيد الخير، كان واليا لعمر على دمشق، فلما مات وليها بعده أخوه معاوية، أعطاه، أي يزيد عليه السلام مائة بغير من غنائم حنين وأربعين أوقية، ذكرهما في الكتاب القسطلاني. وذكر ابن سيد الناس يزيد، وذكرهما معا العراقي، ومنهم عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف الزهري قاله المناوي، وقال الزرقاني عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم واسمه عبد يغوث بن وهب فجدّه عبد يغوث خاله عليه السلام، انتهى. وقال ابن سيد الناس وعبد الله بن الأرقم الزهري. انتهى.

ومنهم شرحبيل بضم المعجمة وفتح الراء وسكون المهلثة فموحدة فتحتية فلام ابن حسنة الصحابية، ممن هاجر إلى الحبشة مع ابنها وهي أمه على ما جزم به غير واحد، وقال ابن عبد البر بل تبنته وأبوه عبد الله بن المطاع الكندي ويقال التميمي أسلم قديما هو وأخواه لأمه جنادة وجابر ابنا سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي وهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهو أول كاتب لرسول الله صلى الله تعالى علي وسلم وسيره أبو بكر في فتوح الشام، وولاه عمر على ربع من أرباعها، وبها مات سنة ثمان عشرة انظر المواهب وشرحها، وأول من كتب له صلى الله تعالى عليه وسلم من الأنصار أبي بن كعب، قاله ابن سيد الناس، وقال المناوي وهو يعنى أبا أول من كتب للمصطفى عليه السلام بالمدينة، وللعراقي رحمه الله تعالى:

زيد بن ثابت وكان حينا	كتاباه اثنان وأربعونا
ابن أبي سفيان كان واعيه	كاتبه وبعده معاويه
عمر عثمان كذا أبي	كذا أبوبكر كذا علي
كذا شرحبيل أمه حسنة	وابن سعيد خالد حنظلة
كذا ابن أرقم بغير لبس	وعسام وثابت بن قيس
منهم على ذا العنود المبين	واقترع المزي مع عبد الغني

قوله وكان حيناً، أي من الدهر. وقوله وكان واعية أي كثير الحفظ. وفي شرف المصطفى للنيسابوري أن خالد بن سعيد هو أول من كتب له عليه السلام، وقوله كذا ابن أرقم إلخ، كتب بعده لأبي بكر ثم عمر، قال مالك بلغني أنه ورد على المصطفى كتاب فقال من يجيبه؟ فقال أنا. فأجابه فأتى به المصطفى عليه السلام فأعجبه لأنه أصاب ما أرادته وكان إذا كتب إليه بعض الملوك يأمره أن يجيبه ولا يقرأه لأمانته عنده، واستعمله عمر وعثمان على بيت المال، ثم استعفى عثمان فأعفاه وأعطاه ثلاث مائة درهم فأبى أن يقبلها وقال عملت لله، وكان عمر يقول ما رأيت أخشى لله منه. والمزي بكسر الميم هو الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي وعبد الغني هو الحافظ أبو محمد المقدسي، انتهى من المناوي.

ومنهم المغيرة بضم الميم على الأشهر وحكي كسرهما، والهاء فيه في الأصل للمبالغة ابن شعبة الثقفي أسلم قبل الحديبية وشهدها وشهد بيعة الرضوان وكان من دهات العرب، كان يقال له مغيرة الرأي، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، ومات سنة خمسين على الصحيح وقيل قبلها بسنة أنظر الزرقاني.

ومنهم عبد الله بن رواحة الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرًا وما بعدها، واستشهد بمؤتة ومنهم معيقيب بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون التحتية فقف مكسورة بعدها تحتية فموحدة قال ابن شاهين ويقال معيقيب بغير الياء الثانية وهو ابن أبي فاطمة الدوسي ويقال انه من ذي أصبح وهو حليف بنى أمية من السابقين للإسلام بمكة وشهد المشاهد، ومات في خلافة عثمان أو علي، وقيل عاش بعد الأربعين، ومنهم حذيفة بن اليمان واسمه حسيل بالتصغير، ويقال حصل بكسر فسكون ابن جابر العبسي بسكون الموحدة وكان صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ففي مسلم عنه لقد حدثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما كان وبما يكون إلى أن تقوم الساعة. وكان من

السابقين وأبوه صحابي أيضا فأراد هو وأبوه شهود بدر فصدهم المشركون، وشهد حذيفة أحدا وما بعدها واستشهد أبوه بأحد قتله المسلمون خطأ يظنونهم من المشركين، وقد مر هذا ومات حذيفة سنة ست وثلاثين وفي المناوي أن حذيفة كان يكتب له خرص النخل، ومنهم حويطب بن عبد العزى ابن أبي قيس ابن عبد ود ابن نصر بن مالك بن حلس بن عامر بن لؤي أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً وعاش مائة وعشرين سنة ومات سنة أربع وخمسين، قاله في المواهب.

ومنهم بريدة بضم الموحدة بن الحُصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الأسلمي فقد روي عن مجاهد أن المصطفى أعطاه أرضاً باليمن، انتهى من المناوي.

ومنهم السجل، روى أبو داود والنسائي وابن عباس في قوله تعالى: {يوم نطو السماء كطي السجل للكتاب} السجل كاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وروى ابن مردويه وابن مندة عن ابن عمر قال: كان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتب يقال له السجل، فأنزل الله [يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب] والسجل هو الرجل بالحبشة وأخرجه أبو نعيم والخطيب، فهذا الحديث صحيح وغفل من زعم أنه موضوع نقله الزرقاني عن الإصابة، ونحوه في المناوي.

ومنهم محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي الحارثي، ذكره الجماعة، قاله المناوي ومنهم حاطب بن عمرو قاله ابن سيد الناس، وقال المناوي حاطب بن عمرو بن عتيك الأوسي، أسلم يوم الفتح وعاش مائة وعشرين سنة، انتهى.

وهذا الذي ذكر فيه مر نحوه عن المواهب في حويطب العامري وهو صحيح وأما حاطب بن عمرو فهو معدود من أهل بدر، فلعل ما في المناوي سبق قلم، من الناسخ والله تعالى أعلم، قاله كاتبه سمح الله له بمنه.

ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ذكره ابن سيد الناس والعراقي . ومنهم أبو أيوب الأنصاري خالد ابن زيد بن كليب ومنهم عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث فهو من خيار الصحابة وأبوه رأس المنافقين، ومنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الخزرجي، صاحب الأذان كتب للمصطفى كتابا إلى من أسلم من لخم، نقله المناوي ومنهم الأرقم بن أبي الأرقم ذكره العراقي وابن سيد الناس، وقال إنه زهري وفي المناوي أنه مخزومي ابن عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وعليه فهو الأرقم بن أبي الأرقم القديم الإسلام الذي اختفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى داره والمسلمون أربعون ليلة لما خافوا المشركين وأسلم فى داره أربعون رجلا آخرهم عمر كما فى الحلة السيرا، ومنهم جهيم بضم الجيم مصغرا ابن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، تعلم الخط فى الجاهلية وهو الذى كتب هو وشرحبيل بن حسنة كتابا بأمره عليه السلام إلى بحنة بضم التحتية وفتح المهملة وفتح النون الثقيلة فتاء تانيث ويقال فيه يوحنا ابن روبة بضم المهملة فهمزة ساكنة فموحدة ابن النصراني، صاحب أيلة، بفتح الهمزة وسكون التحتية، ويقال سميت باسم بنت مدين بن إبراهيم، وروى انها القرية التى كانت حاضرة البحر، والظاهر هلاك بحنة على دينه، قاله البرهان. ولفظ الكتاب بعد البسملة على ما فى المواهب هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا وأهل أيلة وأساقفتهم وسائرهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر ولا من بحر، انتهى.

وأمانة بالتحريك أي أمان وقوله ومن كان معه، عطف على يوحنا، أي أمانة يوحنا ولمن كان معه، وقوله وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء الضمير للشأن ونائب يمنع عائد على أهل أيلة، ونسبة الكتاب إليهما معا، أما لأنه أذن لكل منهما فى كتابة بعض الكتاب، أو أن كلا كتب نسخة، أو

كتبه أحدهما بحضور الآخر، انتهى من الزرقاني.

ومنهم جهم، ذكره العراقي ولم ينسبه هو ولا شرحه وهو بالتكبير والأول بالتصغير، كما مر، ومنهم العلاء بن عتبة بضم العين المهمة فمثناة فوقية ذكره ابن عساكر قاله المناوي ومنهم حصين بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ابن نمير مصغرا كان هو والمغيرة يكتبان المعاملات والمداينات، قاله المناوي. وقال العراقي بعد ما قدمت عنه:

وزدت من مفترقات السير طلحة والزبير وابن الحضرمي وابن الوليد خالدا وحاطبا حذيفة، بريدة أبانا كذا ابنه يزيد بعض مسلمه عمرو هو ابن العاصي مع مغيرة كذا أبو أيوب الأنصاري وابن أبي الأرقم أرقم أعسدد كذا ابن زيد واسمه عبيد الإله وأعدد حميما والعلاء بن عتبة وذكروا ثلاثة قد كتبوا ابن أبي سرح مع ابن خطل ولم يعد منهم إلى الدين سوى	جمعا كثيرا فاضبطنه واحصر وابن رواحة وجهما فاضمم هو ابن عمرو وكذا حويطبا ابن سعيد وأبا سفيانا الفتح مع محمد ابن مسلمه كذا السجل مع أبي سلمة كذا معيقيب هو الدوسي فيهم كذا ابن سلول المهتدي والجد عبيد ربه بلا اشتباه كذا حصين بن نمير اثبت وارتد كل منهم وانقلبوا وأخسر أبهم لم يسم لي ابن أبي سرح وباقيهم غوى
---	---

واضبطنه بكسر الموحدة وسكون نون التوكيد الخفيفة وقوله بعض بالنصب ومسلمه بضم الميم وكسر اللام مضاف إليه ما قبله، وكذا قوله الفتح والسجل بكسر المهمة والجيم والدوسي بفتح الدال، قاله المناوي. وقد مر ضبط من يحتاج للضبط منهم، وقوله وذكروا إلخ. يعنى به أن أهل السير قد ذكروا فيمن كتب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة رجال وارتدوا بعد ذلك عن الإسلام وانقلبوا إلى الكفر والعياذ

بالله تعالى. وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وسرح بمهمات وهو أول من كتب له عليه السلام من قریش، وهو ممن أهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمه يوم الفتح، ودخل به عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم بين يديه ولم ينقم عليه شيء بعد إسلامه وولاه عثمان مصر ففتح الله تعالى علي يديه إفريقيا ومات ساجدا رضي الله تعالى عنه كذا فى ابن سيد الناس.

وفي الزرقاني أنه دعى أن يختم عمله بالصلاة، فسلم من الصبح التسليمة الأولى فهم بالثانية فقبض، والثاني منهم عبد الله بن خطل بفتح الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة فلام، واسم خطل عبد مناف، وهو من بنى تيم بن فهر بن غالب، وكان مسلما فبعثه عليه السلام مصدقا وبعث معه رجلا من الأنصار فعدى على الأنصاري فقتله ثم ارتد ولحق بمكة. وكان له جاريتان تغنيان بهجائه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل رده يكتب قدام المصطفى فإذا نزل غفور رحيم كتب رحيم غفور فقال له المصطفى ذات يوم أعرض علي ما كنت، أملي عليك، فلما عرضه عليه قال له المصطفى كذا أمليته عليك، فقال ابن خطل إن كان محمد نبيا فإني ما كنت أكتب إلا ما أريد، فلما كان يوم الفتح أمر عليه السلام بقتله وإن وجد تحت أستار الكعبة، فلما رأى خيل الله دخله الرعب، حتى ما يستمسك من الرعدة، فأتى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت أستار البيت فقتل. وقوله وءاخرا بهم إلخ.. يعنى أن الثالث منهم لم يذكر اسمه. وفى ابن سيد الناس وذكر ابن دحية فيهم رجلا من بنى النجار غير مسمى، قال كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم تنصر فلما مات لم تقبله الأرض انتهى. ومعنى لم يعد، لم يرجع، وغوى ضل، قاله كاتبه.

(وكان ممن يضرب الأعناق) بين يديه إن رأى شقا
علي الزبير وابن مسلمه وعاصم بن ثابت لتعلمه

الأعناق جمع عنق وهو الجيد والضمير فى يديه للمصطفى عليه السلام ورأى معناه أبصر والشقاق بكسر المعجمة الخلاف والعداوة والمجرور خبر كان واسمها علي وما عطف عليه والزبير معطوف بحرف محذوف أي والزبير وقوله لتعلمه أصله تعلمنه بنون التوكيد الخفيفة وحذفها وذلك مقيس بعد الفتحة ومعنى كلامه ان عليا بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح رضي الله تعالى عن جميعهم كانوا يضربون أعناق الأسارى ونحوهم من الكفار بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أبصروا من يريد مخالفته من أعدائه، قال ابن سيد الناس والذين كانوا يضربون بين يديه الأعناق: علي والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت انتهى منه.

وفي المواهب ممزوجا بكلام الزرقاني وكان كما أخرجه الطبراني برجال الصحيح عن أنيس يضرب الأعناق بين يديه علي بن أبي طالب أبو الحسن، أمير المؤمنين الهاشمي والزبير بن العوام الحواري والمقداد بن عمرو المعروف بابن الأسود الكندي ومحمد بن مسلمة الأنصاري وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري المستشهد فى بعث الرجيع، زاد فى رواية الطبراني وأبو سعيد والمغيرة بن شعبة وكان الضحاك بن سفيان الكلبي سيافه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير وكان الضحاك بن سفيان هذا يعد بمائة فارس انتهى. قال مؤلفه وقد نظمت ما تضمنه هذا الكلام فقلت:

كذا المغيرة عليهم زاد	(أبو سعيد الخدر والمقداد
سفيان وهو عندهم قد عدلا	سيافه الضحاك وانسبه إلى
كالشرطي له عظيم الجند)	بمائة وقيس بن سعد

الضمير المجرور بعلى لمن قدم الناظم ذكرهم أنهم كانوا يضربون الأعناق بين يديه عليه السلام وضمير زادوا لأهل السير. قال الزرقاني

وهذا الحديث كله رواه الطبراني يعنى الحديث المار ، وروى البخاري عن أنس قال إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، والشرطة بضم المعجمة والراء وقد تفتح الراء، الواحد شرطي أي بمنزلة كبيرهم وهم أعوان الولاة سمووا بذلك لأنهم نخبة الجند وشرطة كل شيء خياره وقيل لأن لهم علامات يعرفون بها، قاله الزرقاني:

(بيان من يقطع بالجنان لهم ومن أذن للمعدناني)

أي هذا بيان القوم الذين يقطع لهم بدخول الجنة من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم، وبيان من كان يؤذن للمصطفى عليه السلام، نسبه الناظم إلى جده الأعلى عدنان وأشار إلى بيان من ذكر فقال:

بادئا بعهد من يقطع له بالجنة

(يقطع) بالبناء للمفعول ونائبه قوله (بالجنة) أي بدخولها، (والإكرام لعشرة) من أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أفضلهم، وقوله (للخلفاء الأعلام) المجرور وما عطف عليه بدل من قوله لعشرة والخلفاء بالمد جمع خليفة وقصره للضرورة، والأعلام جمع علم بالتحريك وهو السيد وسموا خلفاء لأنهم خلفوا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حراسة ما أتى به وسياسة الدنيا، وقد أشار عليه السلام كما فى تحقيق المباني إلى مدة خلافتهم بقوله الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا، ولهذا قال معاوية لما ولى بعد انقضاء ثلاثين أنا أول الملوك، انتهى كلام التحقيق.

وقوله ملكا عضوضا أي يكثر فيه الظلم، كأن أهله يعضون، وهذا تحديد إن ضم إلى ذلك خلافة الحسن، وإلا فتقريب، قاله الشيخ زكرياء فى شرح طوالع البيضاء.

وقد مر أن خلافة الصديق سنتان ونصف، أو سنتان وثلاثة أشهر وأيام، وأن خلافة عمر عشر سنين وست أشهر وأربع ليال، وخلافة عثمان إحدى عشر سنة وإحدى عشر شهرا وثلاثة عشر يوما، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام. والله تعالى أعلم.

أما أبو بكر فكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، وفي الإسلام عبد الله بن أبي قحافة بضم القاف واسمه عثمان بن عامر بن عمر، بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وقعده إلى مرة، مستو مع قعده صلى الله تعالى عليه وسلم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن مالك بن عامر المار فهي تميمية أسلمت قديما في دار الأرقم بن أبي الأرقم وأسلم أبو قحافة يوم الفتح، وفي الحديث إن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق، وفيه ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيئين والمرسلين على أفضل من أبي بكر، وفيه تأتي الملائكة بأبي بكر مع النبيئين والصديقين تزفه إلى الجنة زفا، وفيه يا أبا بكر إن الله سماك الصديق وفيه أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة، وفيه اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة.

وكان يلقب عتيقا إما لجماله أو لأنه ليس في نسبه ما يعاب، أو لعتقه من النار وأما عمر فهو ابن الخطاب بن نفيل مصغرا، بن عبد العزى بن رباح بكسر الراء بعدها تحتية فالف فمهملة بن عبد الله ابن قرظ بضم القاف ابن رزاح براء مفتوحة فزاي فالف فمهملة ابن عدي بن كعب بن لؤي وما مر من فتح رزاح هو في الزرقاني، وفي الحلة السيرا أنه ككتاب وسحاب وعلى الفتح اقتصر المجد، ويكنى أبا حفص لشجاعته والحفص ولد الأسد، ويلقب بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ولأنه أظهر الإسلام بمكة ففرق بين الإيمان والكفر، انظر القاموس. واختلف في أول من لقبه بذلك فقليل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه ابن أبي شيبه، وقليل جبريل رواه البغوي وقليل أهل الكتب، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة وهو آخر من أسلم في دار الأرقم المخزومي وكان عند

المبعث شديدا على المسلمين ثم أسلم بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر، وعن ابن مسعود كان إسلام عمر عزا وهجرته نصرا وإمارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر. وفي البخاري مرفوعا والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك.

وفي شرح الكبرى للسنوسي أن جبريل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو لبثت فيكم ما لبث نوح في قومه وأنا أحدثكم بفضائل عمر ما وفيت. وإنه لحسنة من حسنات أبي بكر.

وفي الحلة السير أن الحسنين دخلا على عمر فقبلهما ووهب لهما ألف دينار فانصرفا إلى علي فأخبراه بذلك فقال علي سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: عمر نور الإسلام في الدينا وسراج أهل الجنة في الجنة، فعادا إليه ليخبراه بذلك، فقال أهلا بكما لا عادت ساعة إلا رأيتهما فيها، فأخبراه بما سمعا من علي فأمر ولده عبد الله أن ياتيه بدواة فأتاه بها فكتب البسملة وكتب: حدثني سيدي شاباب أهل الجنة عن أبيهما عن جدهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة، ثم قال يا بني أحفظ هذه المرقعة فإذا مت فضعها في كفني حتى ألقى الله عز وجل بهذه الشهادة. فلما مات عمر وضعها عبد الله في كفنه فلما أصبحوا وجدوا خطأ مكتوبا على قبره: صدقا، وصدق أبوهما، وصدق جدهما صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة، نقله عن أنيسر المستوحشين.

وأما عثمان فهو ابن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عمر وأبا عبد الله ويلقب بنذي النورين لتزوجه بنتي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا يعلم أحد تزوج بنتي

نبي غيره، وقيل لأنه كان يختم القرآن فى الوتر، فالقرآن نور وقيام الليل نور وقيل لأنه إذا دخل الجنة برقت برقتين، وفى الحديث لكل نبي رفيق ورفيقي فى الجنة عثمان رواه الترمذي.

وفيه الحديث من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان، وفيه من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان رواهما البخاري، وفيه والله ليشفعن عثمان فى سبعين ألفا من أمتي قد استوجبوا النار حتى يدخلهم الله الجنة. نقله الزرقاني.

وأما علي فهو ابن أبي طالب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج ابنته البتول فاطمة الزهراء، وفى البخاري وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي أنت مني وأنا منك، القسطلاني أي متصل بي قربا وعلما. ولما خلفه عليه السلام على المدينة وفي غزوة تبوك وقال له تخلفني مع الذرية، قال له عليه السلام أما ترضى بأن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فقال علي رضيت وقال أنا مدينة العلم وعلي بابها.

(وللزبير وابن عوف وسعيد)

عطف علي قوله للخلفاء أما الزبير فهو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وأمه صفية بنت عبد المطلب وتقدم عن عروة أنه هو أول من سل سيفه فى سبيل الله. وأما ابن عوف فهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب فهو وسعد من أخواله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر هذا أخو الخطاب بن نفيل تقدم نسبه قريبا. وأما الزبير فقد مر بعض مناقبه فى كتابه عليه السلام، وقد جمع له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى التفدية بين أبويه يوم الخندق كما جمعهما لسعد بن أبي وقاص يوم أحد ولم تقع هذه المنقبة لغيرهما.

وأما ابن عوف فهو أحد الستة الذين جعل عمر بينهم الشورى وكان كثير الإنفاق وروى أنه أعتق ثلاثين ألف رقبة وصح أنه إئتم به النبي صلي الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك.

(وعامر سعد وطلحة السعيد)

هؤلاء تمام العشرة المبشرين بالجنة والسعيد نعت لطلحة ومعناه من ثبتت له السعادة وهي عبارة عن المنفعة اللاحقة للعبد فى الآخرة الشقاوة أعاذنا الله منها وهي عبارة عن المضرة اللاحقة فى الآخرة والإخفاء فى ثبوت هذا الوصف الذى هو السعادة لسيدنا طلحة رضى الله تعالى عنه إذ بشره بالجنة سيد الأولين والآخرين صلي الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما عامر فهو أمين هذه الأمة كما فى الصحيح، وهو أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهو يجتمع مع النبي صلي الله تعالى عليه وسلم فى فهر، وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت جدا فيكون أبو عبيدة من حيث العدد فى درجة عبد مناف، ومنهم من أدخل فى نسبه بين الجراح وهلال رببعة فيكون على هذا فى درجة هاشم، بذلك جزم أبو الحسن بن سميع ولم يذكر غيره وأمه من بنات عم أبيه ذكر الحاكم أنها أسلمت وقتل أبوه يوم بدر كافرا ويقال انه هو الذى قتله رواه الطبراني وغيره، قاله ابن حجر فى فتح الباري.

وأما سعيد فهو ابن أبي وقاص كجبار، واسمه مالك ابن وهيب، ويقال أهيب بالهمزة بدل الواو وبالتصغير فيهما بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فجده أهيب أخو وهب جده عليه السلام وهو أحد الستة أصحاب الشورى وأحد الفرسان وأول من رمى بسهم فى سبيل الله، أسلم بعد ستة هو سابعهم.

وأما قوله لقد رأيتني وأنا ثالث الإسلام فحمل على ما أطلع عليه ، وكان مشهورا بإجابة الدعوة لقوله عليه السلام اللهم استجب لسعد إذا دعاك، وقال فيه هذا سعد خالي فليرنى أمروء خاله، وجمع له يوم أحد بين أبويه بالتفدية كما مر .

وأما طلحة فهو ابن عبيد الله بضم العين بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، بن مرة وعنده يجتمع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وعدد ما بينهما مع مرة سواء، ويجتمع مع أبي بكر فى عمر بن كعب، فجدّه عثمان وجد الصديق عامر وهما وجدعان الثلاثة أولاد عمرو بن كعب وأمهم السوداء بنت زهرة بن كلاب، قاله فى الحلة السيرا وهو أحد الستة أهل الشورى ووقى المصطفى عليه السلام بنفسه فى أحد، حتى شلت أصبعه، وحمله على ظهره حتى استقل على الصخرة وقال عليه السلام، يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام له ويقول لك أنا معك فى أهوال القيامة حيث أنجيك منها، وقال عليه السلام: طلحة والزبير جاراي فى الجنة. نقله الزرقاني.

وهؤلاء العشرة وردت بشارة فى حديث واحد، ففى الحديث أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة، وعثمان فى الجنة، وعلي فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبي وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة، ونسبه فى الجامع الصغير للإمام أحمد والضياء والترمذي. قال الحنفي لم يجمع من المبشرين بالجنة فى عبارة إلا العشرة المذكورون فلا ينافي أنه بشر غيرهم كالحسنين وأمهما وغيرهم وإنما ذكر لفظ فى الجنة مع كل واحد، مع أنه يكفي ذكرها آخرها لأن المحل محل إطناب انتهى، وبعضه بالمعنى وقد نظمهم من قال:

لقد بشرت عند النبي محمد	بجنات عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر	وطلحة والزهري والخلفاء

ويعني بالزهري عبد الرحمن وكذلك أيضا سعد الزهري لكنه قد ذكره باسمه ونظمهم أيضا بعضهم مع تبیین نسب جميعهم، فقال:

أبناء عبد مناف سادة نجب	منهم علي وذو النورين عثمان
وبابن عوف وسعد زهرة سعدت	تيم بطلحة والصدیق تزدان
أما سعيد أبو حفص فقومهما	بنو عدي الأولى في الحرب فرسان
إن الزبير به عزت بنو أسد	ما نال عزهم في الجو عقبان
أبو عبيدة فهري بجاههم	يا رب يشملنا عفو وغفران

ولما ذكر الناظم رحمه الله تعالى العشرة المبشرين بالجنة، ذكر مؤذنيه لجمعه لهم في بيان واحد فقال:

(وعمر وأوس وبلال سعد زياد المؤذنون عـــــــدوا)

عمر وما بعده مبتدأ وخبره قوله المؤذنون وقوله عدوا، خبر بعد خبر، والله تعالى أعلم. يعنى أن جملة من كان يؤذن للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم خمسة أولهم بلال ابن رباح بفتح الراء وأمه حمامة بفتح الحاء، وبها اشتهر، وهو أول من أذن للنبي صلي الله تعالى عليه وسلم حين شرع الاذان، وراه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في المنام، فقال له عليه السلام قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتا، قال في المواهب ولم يؤذن بعد لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال، فتذكر الناس النبي صلي الله تعالى عليه وسلم قال أسلم مولى عمر بن الخطاب فلم أر باكيا أكثر من يومئذ.

وفي الزرقاني عن البخاري أن بلالا قال لأبي بكر إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فامسكني وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله.

زاد ابن سعد قال أبو بكر أنشدك الله وحقي. فأقام معه حتى توفي. فتوجه إلى الشام مجاهدا بإذن عمر، قال وروى ابن عساكر بسند جيد

عن بلال أنه لما نزل بداريا رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما إن لك أن تزورني، فانتبه حزيناً خائفاً، فركب راحلته فأتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا نتمنى أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد فعلا سقف المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما قال الله أكبر ارتجت المدينة، فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله زادت رجتها، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن، وقالوا ابعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟! فما رأيي يوماً أكثر باكياً ولا باكياً بالمدينة بعده صلى الله تعالى عليه وسلم، أكثر من ذلك اليوم وتوفي بلال كما في المواهب سنة سبع عشر، أو ثمان عشرة أو عشرين بداريا وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق. وداريا بفتح الدال والراء والياء الثقيلة قاله الزرقاني.

والثاني من المؤذنين عمر عند الأكثر وقيل اسمه عبد الله ولا يمتنع أنه كان له اسمان ابن أم مكتوم وهي عاتكة بنت عبد الله المخزومية زعم بعضهم أنه ولد أعمى فكُنيت به أمه لاكتتام نور بصره والمعروف أنه عمى بعد بدر بسنتين كذا في الفتح، وتعقب بأن نزول عبس كان بمكة قبل الهجرة فلعل أصله بعد البعثة، قاله الزرقاني وهو قرشي، عامري، وهو ابن خال خديجة أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان عليه السلام يكرمه واستخلفه ثلاث عشرة مرة وشهد القادسية في خلافة عمر ومعه اللواء واستشهد بها، قاله الزبير بن بكار وقيل رجع للمدينة فمات بها.

والثالث سعد بن عائذا وابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي بالإضافة، وهو بالتحريك، ورق السلم كان يتجر فيه فأضيف إليه وبالقرظي بياء النسب نسبة للقرظ بالتحريك أيضاً، قال الزرقاني

وغلط من ضم القاف نسبة إلى بنى قريظة وليس منهم إنما هو مولى
عمار بن ياسر وقيل مولى الأنصاري. روى البغوي أن سعدا شكى إلى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قلة ذات يده فأمره بالتجارة فاشترى
أشياء من قرظ فباعه فربح فيه، فذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم، فأمره بلزوم ذلك، أذن للمصطفى عليه السلام، بقباء ونقله أبو
بكر من قباء إلى المسجد النبوي فأذن فيه بعد بلال وتوارثت عنه بنوه
الأذان وبقي هو إلى سنة أربع وسبعين.

والرابع أبو محذورة الجمحي واسمه أوس وقيل سلمة وقيل غير
ذلك، ابن معير بكسر الميم وسكون العين المهملة وفتح التحتية وقيل
اسمه سمرة وقيل محيريز علمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الأذان بمكة كما فى مسلم ورتبه لأذانها كما فى القرطبي وفى رواية أن
تعليمه إياه كان فى الجعرانة. قال ابن الكلبي وأقام بمكة حتى مات سنة
تسع وخمسين وقيل سنة تسع وسبعين وفى الروض لما سمع أبو
محذورة الأذان سنة الفتح وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا
يستهنئون ويحكون صوت المؤذن غيظا فكان أبو محذورة من أحسنهم
صوتا فرفع صوته مستهزئا بالأذان فسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم
فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح صلى الله تعالى
عليه وسلم ناصيته وصدره فامتلا قلبي نورا وإيمانا وبقينا فألقي عليه
الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة
فكان يؤذن لهم حتى مات انتهى من الزرقاني.

والخامس زياد بن الحارث الصدائي بضم الصاد نسبة إلى صداء
كغراب حي باليمن، قال الزرقاني وترك المصنف يعنى القسطلاني ممن
أذن زياد بن الحارث الصدائي بضم المهملة أذن مرة فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم من أذن فهو يقيم، أخرجه أحمد وأصحاب السنن ولم
يتكرر ونظم الخمسة البرماوي فقال:

للخير الورى خمس من الغر أذنوا بلال ندى الصوت بدأ يعين
وعمرو الذى أم لمكتوم أمه وبالقرظ اذكر سعدهم إذ يبين
وأوس أبو مـحذورة وبمكة زياد الصداء نجل حارث يعلن

فائدة:

قد مر أن عبد الله بن زيد رأى الأذان فى النوم واعلم ان الأذان إنما شرع بعد الهجرة بالمدينة وكان عليه السلام منذ فرضت الصلاة بمكة يصلي بلا أذان كما جزم به ابن المنذر والأحاديث الدالة على أنه شرع قبل الهجرة لم يصح منها شيء كما فى ابن حجر، وقال عبد الله بن زيد لما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضرب الناقوس ليجمع الناس للصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا فقلت له أتبيع الناقوس؟ فقال ما تصنع به؟ قلت أدعوه للصلاة. فقال ألا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت بلى. قال تقول الله أكبر فذكر الأذان والإقامة.

فلما أصبحت أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فقال إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن، ففعلت. فلما سمع عمر الأذان خرج مسرعا يسأل عن الخبر، فقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل ما رأى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله فإن قيل كيف يثبت الأذان برؤيا غير معصوم أجيب بمقارنة الوحي لها.

(رضوان ربنا عليهم طرا ومن تلا منها أجهم وبرا)

هذه جملة دعائية والرضوان هنا انعام خاص وإن كان الرضى قد اختلف فيه هل هو بمعنى إرادة الأنعام الخاص أو هو نفس الإنعام

بقريضة الدعاء به لهم وطرا حال بمعنى جميعا، ومن عطف على صاحب الحال وهو الضمير المجرور بعلى ولم يعد الخافض للفصل والمنهاج الطريق الواضح وتلا تبع وبر معناه أطاع ورضوان مبتدأ وخبره المجرور دعا الناظم رحمه الله تعالى لهؤلاء المؤذنين جميعا أن يرزقهم الله تعالى انعامه الخاص ولمن اتبع طريقهم الواضح وأطاع الله بمثل ذلك جزاه الله أحسن الجزاء.

قال مؤلفه سمح الله له بمنه لم يذكر الناظم رحمه الله تعالى شعراءه الذين ينافحون عنه ويمدحونه ولا خطيبه الذى كان يامر به بإجابة الخطباء وقد عقد فى المواهب لهم ترجمة فذكر أن خطيبه عليه السلام ثابت بن قيس بن شماس قال وكان خطيبه وخطيب الانصار انتهى. وروى ابن السكن عن انس قال خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فقال نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا قال الجنة، قال رضينا وقد مر بعض مناقبه فى كتابه عليه السلام وذكر أيضا أن شعراءه حسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة ونظمتهم فقلت:

(ثابت بن قيس الخطيب)

يعني أن خطيبه عليه السلام كان ثابت بن قيس وقد مر انه أنفذت وصيته بعد الموت فى ذكره فى الكتاب، ولا يعلم ذلك لغيره كما قاله الزرقاني واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وخطيب القوم لغة من يتكلم عنهم ولما قدم وفد تميم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع وكانوا سبعين نادوه من وراء الحجرات يا محمد أخرج إلينا نفاخرك ونشاجرك فإن مدحنا زين وذمنا شين فئاذى ذلك من صياحهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرج إليهم فلم يزد على أن قال ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان. إني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا. وفى رواية فقالوا إئذن لخطيبنا وشاعرنا فقال

أذنت لخطيبكم وشاعركم، فقام عطار بن حاجب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا فى الناس ألسنا برؤوس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وإنا لو شئنا لأكثرنا الكلام ولكن نستحيى من الاكثار فيما أعطانا وإنا نعرف بذلك، أقول هذا لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فأمر عليه السلام خطيبه ثابت بن قيس أن يجيبه فقام فقال الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط إلا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقاه حديثا وأفضله حسبا وأنزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى فى العالمين ثم دعا الناس للإيمان به فأمن برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمته أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعلا ثم كنا أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا. أقول قولى هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم.

وياتي ما قال شاعرهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وما أجابهما به حسان قريبا إن شاء الله تعالى.

(والشعراء حسان والنقيب نجل رباحة وكعب المنتمي لمالك الانصار ثم السلمي)

الشعراء بالمد وقصره للوزن وهو مبتدأ وخبره حسان وما عطف عليه ومعنى النقيب أنه أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها إلى

أن استشهد بمؤتة ونجل بدل من النقيب وكعب هو ابن مالك السلمي بفتحيتين نسبة إلى بنى سلمة كفرحة بطن من الخزرج وهو عقبي وتخلف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها وتخلف عن تبوك وهو أحد الثلاثة الذين ذكر الله تعالى في محكم كتابه أنه تاب عليهم وهذا من أعظم المناقب، أما حسان فهو ابن ثابت بن المنذر بن عمر بن حرام بالمهملتين الأنصاري الخزرجي وكل حرام في الأنصار فهو بالراء كسحاب وفي قریش بالزاي ككتاب، قاله في الحلة السيرا وأمه خزرجية أيضا أسلمت واسمها الفريعة ونسب هو إليها نفسه في قوله:

أمسى الجلابيب قد عزوا وكقد كثروا وابن الفريعة أضحى بيضة البلد

وروى الشيخان أنه عليه السلام قال لحسان اهجم أو هاجهم وجبريل معك وأو شك من الراوي وأخرج ابن عساكر وأبو الفرج الاصبهاني عن بريدة أن جبريل أعان حسان بسبعين بيتا، وفي الصحيحين أن عمر مر بحسان في المسجد وهو ينشد فلحظ إليه فقال كنت أنشد وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أجب عني. اللهم أيده بروح القدس. قال أبو هريرة نعم. وروح القدس جبريل. وفي مسلم عن عائشة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله، قالت وسمعتة يقول هجاهم حسان فشفي وأشفى ونافح بفاء فحاء مهملة أي دافع والمراد بذلك هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم. وروى أبو داود أنه عليه السلام كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائما يهجو المشركين الذين كانوا يهجونهم صلى الله تعالى عليه وسلم. وروى أبو نعيم أن حسان ذكر عند عائشة فقالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذلك حاجز بيننا وبين المنافقين لا يحبه إلا مومن ولا يبغضه إلا منافق وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام وكذا عاش أبوه ثابت وجده المنذر وجد أبيه حرام، لكن كلها

فى الجاهلية، ويشبهه هذا أن لسانه كان يصل لجبهته ونحره وكذا كان أبوه وابنه عبد الرحمن قال أبو عبيدة كان حسان شاعر الأنصار فى الجاهلية وشاعر المصطفى فى أيام النبوة وشاعر اليمن كلها فى الإسلام وتوفي حسان سنة أربع وخمسين وأما كعب فهو ابن مالك بن عمرو وهو خزرجي من بنى جشم كصر بن الخزرجي ثم من بنى سلمة بكسر اللام وليس فى العرب سلمة بكسر اللام سوى هذا كما فى الجوهري وسمى بالسلمة واحدة السلم بكسر اللام وهي الحجارة. والثلاثة الذين تيب عليهم هو وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، فأول إسلامهم بمكة وكعب شاعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكف بصره آخر عمره انتهى من الحلة السيرا. وروى أحمد عن كعب هذا أنه قال قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهجوا المشركين بالشعر فإن المؤمن يجاهد بنفسه وماله والذي نفس محمد بيده كأنما ينضحونهم بالنبيل، نقله الزرقاني.

وأما عبد الله فهو ابن رواحة بن ثعلبة بن امرء القيس وهو من بنى كعب بن الخزرج وأحد أمراء مؤتة وأحد الشعراء الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ونزل فيه وفى حسان وكعب بن مالك {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا} (الآية) قاله فى الحلة السيرا. وفى الزرقاني قال المرزباني كان ابن رواحة عظيم القدر فى الجاهلية والإسلام وكان يناقض قيس ابن الخطيم فى حروبهم وروى ابن عساكر أنه عليه السلام قال لابن رواحة يا سيد الشعراء أنظر الزرقاني، ولنعد إلى ما وعدنا به من ذكر شعر وفد تميم وجواب حسان له وذلك أنه لما خطب ثابت بن قيس خطبته المارة قام الأقرع فقال كما فى المواهب وذكر الزرقاني عن ابن هشام انها للزبرقان بن بدر:

أتيناك كي ما يعرف الناس فضلنا	إذا خلفونا عند ذكر المكارم
وإننا رؤوس الناس فى كل معشر	وان ليس فى أرض الصجاز كدارم

وأنا نذود المعلمين إذا انتـخـوا ونضرب رأس الأصيلد المتفـاقـم
وإننا لنا المرباع فى كل غـارة تـغـير بنجد أو بأرض الأعاجم

قوله خلفونا أي جاءوا بعدنا، وفى نسخة إذا اختلفوا عن احتضار
المواسم، وقوله وأنا بفتح الهمزة ورؤوس الناس أشرافهم قاله
الزرقاني، والمعلمين جمع معلم بكسر اللام كما فى الزرقاني فى غير
هذا الموضع وهو الذى وسم نفسه بسمى الحرب وانتخوا تكبروا من
النخوة والأصيلد الرافع رأسه كبرا والمتفـاقـم البطر الأشـر والمرباع
بالكسر ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية قاله مؤلفه
غفر الله تعالى له. فأمر المصطفى عليه السلام حسان أن يجيبه فقام
فقال:

هل المجد إلا السؤدد العود والندى نصرنا وءاويننا النبي محمدا
نصـرنـاه لما حل وسط ديارنا جعلنا بنينا دونه وبناتنا
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا ونحن ولدنا فى قریش عظیمها
بني دارم لا تفخروا إن فخرکم هبـلتم علينا تفـخـرون وأنتم
فإن كنتم جئتم لحقن دماءكم فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا
وجاه الملوك و احتمال العظام على انف راض من معد وراغم
بأسـيافنا من كل باغ وظالم وطبنا له نفسا بفيء الغنائم
على دينه بالمرهفات الصوارم ولدنا نبي الخير من آل هاشم
يعود وبالا عند ذكر المكارم لنا خول ما بين قن وخادم
وأموالكم أن تقسموا فى المقاسم ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

وقال الزبرقان بن بدر:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا وكم قسرنا من الأحياء كلهم
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا أما ترى الناس تأتينا سراتهم
منا الملوك وفينا تنصب البيع عند النهاب وفضل العز يتبع
من الشواء إذا لم يؤنس القزع من كل أرض هويا ثم نصطنع

فنخر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلاترانا إلى حي نفاخرهم الا استكانوا وكاد الرأس يقطّع

فى أبيات وكان حسان غائبا فبعث إليه عليه السلام وقال قم فأجبه
فقام فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم لقد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوي الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلاق فاعلم شرها البدع
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابعوا الناس يوما فاز سبقهم أو وازنوا أهل مجد بالندى منعوا
لا يبخلون على جار بفضلهم ولا يمسهم من مطمع طبع
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسموا إذا الحرب ناشتنا مخالبا إذ الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع أسد بحلية فى أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفوا إذا غضبوا ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فإن فى حربهم فاترك عداوتهم شرا يخاض عليه السم والشنع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفاوتت الأهداء والشيع
أهدى لهم مدحتي قلب يوازره فيما أحب لسان حائك صنع

السؤدد مصدر ساد أي فاق فى الشرف والعود بفتح العين القديم
وقوله هبلم إلخ. تفخرون استفهام انكاري بحذف الهمزة والمجرور قبله
يتعلق به والجزل محركة الملك أي تفخرون علينا والحال أنكم مملوكون
لنا دائرين بين قن وخادم، والزي بالكسر الهيئة وحقن دمه انقذه من
القتل والمقاسم المغانم وقسره قهره والقزع محركة السحاب وأنسه

أبصره وقوله هويًا في القاموس وأهوى هويًا بالفتح والضم سقط من علو إلى سفلى أو الهوى بالفتح للإصعاد وبالضم للانحدار وكعنى ويضم من الليل ساعة انتهى.

وقوله عبطا بمهملتين بينهما موحدة في القاموس عبط الذبيحة نحرها من غير علة وهي سميحة فتية واستكان ذل وخضع وقوله واخوتهم بالنصب فيعنى بهم الأنصار والسجية الطبيعة والخلائق الطبائع وأوهت شقت والطبع محرقة الشديد من الوسخ والشين والعيب والذرع بالتحريك ولد البقرة الوحشية والزعانف القصار وكل جماعة ليس أصلهم واحدا والخور الضعاف والهلع جمع هلوع كصبور وهو من يجزع من الشر ويحرص على المال أو الذى لا يصبر على المصائب واكتنع اجتمع، والفتح محرقة اعوجاج فى الرسغ، ويخاض يقتحم والسم بالتثليث والسلع محرقة شجر مر أو سم أو ضرب من الصبر، وأزره قواه ولسان صنع بالتحريك بليغ ولما قال حسان هذه القصيدة قال الأقرع بن حابس وأبى ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا فأسلموا فأحسن المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم جوائزهم.

(وكان حسان على الكفار أشدهم وكعب الأنصارى (...))

أشار بهذا إلى قول المواهب وكان أشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار حسان وكعب انتهى. قال الزرقاني لأن حسان كان يقبل بالهجو على إنسابهم فيالمون ويزيف آراءهم ويلزمهم الحجة التى لا يستطيعون لها ردا وكعب بن مالك كان كثير المناقضة لهم ويخوفهم بالحرب وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر وكانوا لا يبالون بأهاجيه فلما أسلم من أسلم منهم وجدوا أهاجيه أشد وأشق وفى مسلم عن عائشة قال صلى الله تعالى عليه وسلم أهجوا المشركين فإنه أشد عليهم من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال أهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل إلى

كعب بن مالك ثم إلى حسان فقال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال والذي بعثك بالحق لأقرينهم بلساني قرى الأديم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قریش بأنسائها وإن لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاهم حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد لخص لى نسبك والذي بعثك بالحق نبيا لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين (الحديث) انتهى كلامه.

قال الناظم رحمه الله تعالى:
(ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي دائما وأكمل)

قوله ذكر خبر مبتدأ محذوف أي هذا ذكر دوابه والدواب لغة كل ما دب على وجه الأرض وعرفا كل ذات أربع قوائم، أي هذا ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي على الدوام وأكملها وبدأ ببيان خيله عليه السلام فقال:

(له من الخيل العتاق عشرة أو سبعة فيما حكاه المهره)

قوله عشرة مبتدأ وخبره قوله له والعتاق الكرام جمع عتيق وأو فى قوله أو سبعة للخلاف، أي وقيل سبعة والمهرة بالتحريك جمع ماهر وهو الحاذق فى هذا الفن والماهر فى الأصل الحاذق بكل عمل ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له عشرة من الخيل الكرام وقيل سبعة فسبعة متفق عليها كما فى العراقي والمواهب وغيرهما. قال العراقي:

سكب لزار ظرب وسبحة مرتجز ورد لحيف سبعة
وليس فيها عندهم من خلف. انتهى المراد.

وياتي ضبطها إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لها. وذكر ابن سيد

الناس هذه السبعة المتقدمة وقال إنها متفق عليها وذكر بعدها خمسة عشر مختلفا فيها وقال المناوي فى شرح العراقية وهي يعنى الخيل ثلاثون وذكر الناظم يعنى العراقي منها ثلاثة وعشرين انتهى.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه والناظم رحمه الله تعالى لم يقتصر على السبعة المتفق عليها بل لم يذكرها كلها لأنه لم يذكر سبحة مع انها متفق عليها كما فى العراقي وابن سيد الناس ونقله عن الدمياطي وكذا فى المواهب انها مما اتفق عليه وقال الزرقاني ان البدر بن جماعة جمع المتفق عليه فى بيت وهو:
والخيل سكب لحيف سبحة ظرب لزار مرتجز ورد لها أسرار

فذكر فيها سبحة ولم يذكر هؤلاء اسما لها سوى هذا الاسم واللفظة الأخيرة كذا هي فى المطبوع فإن لم تكن مصحفة فهي بحذف الهمزة فى اللفظ والله تعالى أعلم وانظر ما أراد الناظم بالعشرة فإن من قدمت ذكرهم لم يذكروا قولاً بأنها عشرة حتى يعينوها وسأذكر ما ذكروا ان شاء الله وبدأ الناظم بذكر الخيل لحبه عليه السلام لها وفى الزرقاني روى النسائي عن أنس لم يكن شيء أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النساء من الخيل وروى مالك والشيخان من طريقه عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ابن عبد البر فيه تفضيل الخيل على سائر الدواب لأنه لم يأت عنه فى غيرها مثل هذا القول انتهى كلامه. وقال الحافظ بن حجر فى شرح البخاري قوله فى نواصيها الخير وكذا فى الموطأ ليس فيه معقود ووقع بإثباتها والمراد بها ما يتخذ للغزو ان يقاتل عليه أو يربط لأجل ذلك. وفى رواية زكرياء الأجر والمغنم وقوله الأجر بدل من قوله الخير أو خبر مبتدئ محذوف أي هو الأجر والمغنم. وعند مسلم فقال بم ذلك يا رسول الله؟ قال الأجر والمغنم والناصية الشعر المسترسل على الجبهة وخص الناصية لرفعة قدرها ولكونها المقدم منها إشارة إلى ان المفضل فى الإقدام بها إلى العدو دون المؤخر لما

فيه من الإدبار قالوا ويحتمل أنه كنى بها عن ذات الفرس انتهى المراد منه.

(أولها) عدا وملكا (السكب) بفتح السين وسكون الكاف فموحدة يقال فرس سكب أي كثير الجري كأنما يصب جريه صبا شبيه بفيض الماء وانسكابه يقال سكب الماء يسكبه بالضم سكباً وتسكاباً فسكب هو سكوبا صبه فانصب وهو أول فرس ملكه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه بعشر أواق وما مر من سكون كافه عليه اقتصر الزرقاني والمناوي وفي القاموس السكب الطويل من الرجال ثم قال وأول فرس ملكه صلى الله تعالى عليه وسلم كان وكان كميته أغر محجلاً مطلق اليد اليمنى ويحرك انتهى. وكان هو الذي يمتطي ويركب عليه كما فى العيون انتهى.

(المجل) بصيغة اسم المفعول أي أبيض القوائم وجاور بياضه الارساغ إلى نصف الوظيف أو نحوه وذلك موضع التحجيل كما فى المصباح قاله العلامة الزرقاني وفي القاموس التحجيل بياض فى قوائم الفرس كلها ويكون فى رجلين ويد وفى رجلين فقط ورجل فقط ولا يكون فى اليدين خاصة إلا مع الرجلين انتهى. وهذا وما بعده نعوت للسكب.

(الأغر) أي فى وجهه بياض فوق الدرهم قاله الزرقاني، (الطلق) بفتح فسكون أي طلق اليد اليمنى كما فى القاموس وفى المواهب طلق اليمنى قال الزرقاني بفتح فستكون. وحكى القاموس ضم الطاء واللام سمحها انتهى. (ذو) أي صاحب (السبق) أي الغلبة للخيول (الذى به) أي بالسبق والمجرور يتعلق بقوله، (اشتهر) أي عرف بذلك وكان كميته بضم الكاف، قال سيبويه عن الخليل صغر لأنه بين السواد والحمرة كأنه لم يخلص له واحد منهما فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب وقيل كان أدهم أي أسود كما أخرجه الطبراني انظر الزرقاني.

(أول ما غزا عليه المجتبى بأحد فلم يزل مهذباً)

المجتبى المختار، وهو من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم والمهذب المنقى هذبه نقاه وأخلصه وأصلحه وأول مبتدأ وما مصدرية والمصدر المأول المضاف إليه ما قبله والخبر قوله بأحد يعنى أن أول غزوه عليه السلام على فرسه السكب كان فى غزوة أحد قال ابن سيد الناس السكب كان اسمه قبل أن يشتريه الضرس اشتراه بعشر أواق أول ما غزا عليه أحدا ليس للمسلمين غيره أبي بردة بن نيار ويسمى ملاوحا وكان أغر محجلا طلق اليمين كميثا وقيل كان أدهم شبهه بفيض الماء وانسكابه والضرس الصعب السيء الخلق والملاوح الضامر الذى لا يسمن والعظيم الألواح وهو الملاوح انتهى أيضا منه ولم يضبط الضرس وفى القاموس وككتف الصعب الخلق واسم فرس اشتراه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزاري وغير اسمه بالسكب انتهى. وقوله العظيم الألواح فى القاموس اللوح كل صحيفة عريضة خشبا أو عظما جمعه ألواح ثم قال والملاوح الضامر والمرأة السريعة الهزال والعظيم الألواح انتهى. وقوله أبو بردة بن نيار هو ككتاب كما فى القاموس.

(والورد) بفتح فسكون لون بين الكميت والأشقر شبه بالورد الذى يشم أهداه له تميم الداري فأعطاه عمر بن الخطاب فحمل عليه فى سبيل الله ثم وجده يباع برخص فأراد شراءه فقال له عليه السلام لا تشره أنظر العيون والمواهب، وقوله والورد خبر مبتدأ محذوف تقديره وثانيها دل عليه قوله أولها ولا يكون عطفا على السكب لأنه يكون للمعنى أولها السكب والورد إلخ، وذلك لا يصح. (و) ثالثها (المرتجز) بضم وسكون الراء وكسر الجيم سمي بذلك لحسن صهيله كأنه ينشد رجزا وإكان أبيض وهو الذى شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين، أنظر العيون، وخزيمة أنصاري أوسي روى الطبراني وغيره أنه عليه السلام اشترى فرسا من سواء بن الحارث فجحده فشهد له خزيمة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما حملك على الشهادة ولم

تكن معه حاضرا، فقال صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا، فقال عليه السلام من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه، وإلى هذا أشار بقوله واصفا للمرتجز:

(الذي شهد له) أي النبي عليه السلام (به) عائد على الموصول، (خزيمة) بالصرف للوزن فاعل شهد، (حين) ظرف متعلق بشهد وهو مضاف لقوله، (جحد) بالبناء للفعول ونائبه ضمير يعود على المرتجز بتقدير مضاف أي أنكر بائعته بيعه وفي مسند ابن أبي أسامة عن النعمان بن بشير فرد صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس على الأعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة برجلها أي ماتت وهذه ترد على تعيين كونه من أفراسه المعلومة المعينة بأسمائها وسواء هذا صحابي من وفد محارب وأخرج ابن مندة عن المطلب بن عبد الله قال قلت لبني الحارث أبوكم الذي جحد بيعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لا تقل ذلك، فلقد أعطاه بكرة وقال أن الله سيبارك لك فيها فما أصبحنا نسوق سارحا ولا بارحا إلا منها انتهى. من الزرقاني. وقال قبل هذا وقيل أن الذي شهد فيه خزيمة الملاوح وقيل الطرف وقيل النجيب انتهى. وفي العيون بعد الكلام الذي مر عنه في شهادة خزيمة وقيل هو (الطرف) بكسر الطاء المهملة نعت للمذكر خاصة انتهى المراد منه. و رابع الخيل، الطرف بكسر الطاء وسكون الراء المهملتين ففهاء وهو مما اختلف فيه. وفي القاموس والطرف بالكسر الكريم الطرفين، منا جمعه أطراف ومن غيرنا جمعه طروف والكريم من الخيل أو الكريم الأطراف من الآباء، والأمهات، أو نعت للذكور خاصة (واللحيف) بالحاء المهملة بوزن رغيف وبالتصغير أيضا سمي به لكبره وسمنه. وقال الهروي لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض به أي يغطيها وكونه بالحاء المهملة هو المعروف حتى قيل لا وجه لضبطه بالمعجمة، قاله ابن الأثير. ويروى بالجيم. قال في الفتح فإن صح فهو سهم عريض النصل كأنه سمي به لسرعته ويروى بالحاء المعجمة وحكوا فيه التصغير والتكبير أيضا أنظر الزرقاني. وفي القاموس في باب الحاء المهملة وكأمير أو زبير

فرس للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه يلحف الأرض بذنبه. وفيه فى باب الخاء وكأثير أو زبير فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو بالحاء وأما رواية الجيم فلم يذكرها. واللحيف، قال فى المواهب أهداها له ربيعة بن أبي البراء انتهى. وقال الزرقاني واسم أبي البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري يعرف عامر بملاعب الأسنة وفى الإصاية ربيعة بن ملاعب الأسنة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ما قرأت فى ديوان حسان تصنيف أبي سعيد السكري وقال حسان لربيعة بن عامر يحرضه بعامر بن الطفيل بأخفاره ذمة أبي براء:

ألا من مبلغ عني ربيعا	بما أحدثت فى الحدثان بعدي
أبوك أخو الفعّال أبو براء	وخالك ماجد حكم بن سعد
بنسي أم المبنين أم يرعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء	ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أيفسل عن أبي هذه العذرة ان أضرب عامرا ضربة أو طعنة؟ قال نعم. فرجع فضرب عامر ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتصر، فقال قد عفوت عنه. ورأيت له رواية عن أبي الدرداء فكأنه عمر فى الإسلام، انتهى.

فقول البرهان لا أعلم لربيعة إسلاما ولا ترجمة، تقصير وأبوه أبو براء هذا من مشاهير العرب، وقد اختلف فى إسلامه وصحبته كما قدمته فى بئر معونة، انتهى. بخ.

(والملاوح)، يعنى أن الملاوح من خيله عليه السلام وهو مما اختلف فيه وهو بضم الميم وكسر الواو كما فى الزرقاني، وقال المناوي عقب قول العراقي والخلف فى ملاوح وهو الضامر الذى لا يسمن السريع العطش العظيم الألواح وكان لأبي بردة بن دينار فأهداه له، انتهى.

ومر نحوه عن ابن سيد الناس .

(والضرس) يعنى أن الضرس من خيله عليه السلام عند الناظم. وذكر ابن سيد الناس أن السكب كان اسمه الضرس قبل أن يشتريه صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي المناوي نحوه ولم يذكره فرسا مستقلا ولم يذكره فى المواهب ولا شارحه، وإنما ذكر الزرقاني عن السهيلي: الضريس بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء فتحتية فسين مهملة، قال وتبعه اليعمرى والعراقى، انتهى كلامه.

وما نقله عن اليعمرى والعراقى هو كذلك فيهما ، الحاصل أن القاموس والمناوي وابن سيد الناس إنما ذكروا الضرس على أنه كان اسم السكب قبل اشترائه له عليه السلام من الفزارى فغير اسمه ولم يضبطه منهم إلا القاموس، فقال إنه ككتف كما قدمته والله تعالى أعلم.

واللزاز، يعنى أن اللزاز من خيله عليه السلام وهو مما اتفق عليه منها وهو بكسر اللام وبزايين معجمتين بينهما ألف من قولهم لاززته أي لاصقته كأنه يلتزق بالمطلوب لسرعته، وقيل لاجتماع خلقه، واللزاز المجتمع الخلق الشديد وقال السهيلي معناه لا يسابق شيئا إلا لزه، أي أثبته. أهواه له المقوقس وكان معجبا به وكان تحته يوم بدر، ذكره سليمان النحوي. ورد بأن بدرا فى العام الثانى ورسله إلى الملوك بعد عوده من الحديبية وكان معه فى المريسيع، قاله المناوي. وزاد الزرقاني أن الزايين خفيفتان. قال روى ابن مندة من رواية عبد المهيم بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده، قال كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند سعد والد سهل ثلاثة أفراس فسمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسميهن: لزاز، والطرب واللخيف أي بالخاء المعجمة، انتهى.

(ذاك)، الإشارة إلى لزاز (السابع) أي الحسن مد اليمين فى الجري وسبح الفرس جريه، قاله فى العيون وفى القاموس والسوابح الخيل

لسبحها بيديها فى جريها انتهى. قال جامعهم سمح الله له وقد نظمت ما
اطلعت عليه من خيله عليه السلام مما لم يذكره الناظم فقلت:

(ضريس، بحر سبحة مندوب)

يعني أن هذه الأربعة من خيله عليه السلام على خلاف فيما عدا سبحة
وهي الضريس بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة فتحتية ساكنة،
فسين مهملة كما مر والبحر، وكان كميتا اشتراه من ناس قدموا من
اليمن فسبق عليه مرات، فجثى صلى الله تعالى عليه وسلم على
ركبتيه ومسح وجهه، أي وجه الفرس، وقال ما أنت إلا بحر، فسمي
بحرا لسرعة جريه، شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه، وكان سرجه دفتان
من ليف، وروى الشيخان عن أنس أنه كان فزع بالمدينة فاستعار عليه
السلام فرسا لأبي طلحة يقال له المندوب فركبه ثم خرج يركض وحده
فركب الناس يركضون خلفه فلما رجع، قال ما رأينا من شيء وإن
وجدناه لبحرا، وهذا الحديث ورد بألفاظ، وهذا الفرس لأبي طلحة
واسمه المندوب، وما قبله اشتراه هو عليه السلام من تجار من أهل
اليمن واسمه البحر نقله الزرقاني. وأما سبحة فبفتح السين المهملة
وسكون الموحدة فحاء مهملة فتاء تأنيث وهي مما اتفق عليه وهي من
قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين فى الجري وأما المندوب فهو
من ندبه فانتدب أي دعاه فأجاب.

قال ابن سيد الناس وقال ابن الأثير أي المطلوب سمي بذلك من
الندب وهو الرهن عند السباق، وقيل لندب كان في جسمه وهو أثر
الجرح وقال عياض يحتمل أنه لقب أو اسم بغير معنى كسائر الأسماء،
قاله الزرقاني.

(مرواح شحا أبلق نجيب)

يعني أن هذه الأربعة من خيله عليه السلام فأما المرواح فهو بكسر

الميم وسكون الراء فواو فألف فحاء مهملة من أبنية المبالغة مشتق من الريح، سمي به لسرعته أو من الرواح لتوسعه فى الجري أو من الراحة لأنه يستراح به، أهده له قوم من مدجج بفتح الميم وسكون المعجمة وكسر المهملة فجيم قاله فى المواهب وشرحها، ونحوه فى المناوي. وأما شحا فهي بفتح الشين المعجمة وشد الحاء المهملة والقصر قاله المناوي والزرقاني وهي من قولهم فرس بعيد الشعوة أي الخطوة، قاله فى العيون، وأما الأبلق فهو الذى فيه بياض وسواد حمل عليه بعض أصحابه، قاله الزرقاني وأما النجيب فهو بفتح النون وكسر الجيم فهو بوزن كريم معناه (وظرب ذو لمة يعبوب) يعنى أن هذه الثلاثة من خيله صلى الله تعالى عليه وسلم. أما الظرب فهو بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء المهملة فموحدة واحد الظراب وهي الجبال الصغار سمي به لكبره وسمنه، وقيل لقوته وصلابة حافره أهدها له فروة بن عمرو الجذامي، قاله القسطلاني. وقال الزرقاني ما مر من الضبط اقتصر عليه البرهان. ويقال بكسر أوله وسكون الراء وقدمه الشامي وقال بعد قوله أهدها أنثه بعد أن ذكر لأن الفرس يجوز تذكيره وتأنثه وكأنه جمع بينهما لاحتمال كونه مذكرا ومؤنثا انتهى.

وفي المناوي أنه كان معه فى المريسيع وأما ذو لمة، فهو بكسر اللام وشد الميم قال فى العيون واللمة بين الوفرة والجمة فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهي وفرة فإذا زادت حتى أملت بالمنكبين فهي لمة، فإذا زادت فهي جملة، وأما اليعبوب فهو بفتح التحتية وسكون المهملة وموحدتين بينهما واو، وهو الفرس الجواد، وجدول يعبوب شديد الجري قاله الزرقاني وفى المناوي واليعبوب الفرس الجواد الطويل الجري سمي به لشدة جريه انتهى.

(سجل وذو العقال واليعسوب) هذه من خيله عليه السلام أيضا أما السجل فهو بكسر السين المهملة وسكون الجيم بعدها لام قاله الزرقاني والمناوي وزاد من قولهم سجلت الماء فانسجل صببته فانصب، وأما ذو

العقال فهو بضم العين وشد القاف وتخفيفها، فألف فلام وهو ظلع فى قوائم الدابة كما فى العيون ورجح القسطلاني التخفيف.

وفى القاموس وكرمان داء فى رجل الدابة إذا مشى ظلع ساعة ثم انبسط انتهى.

وأما اليعسوب فأصله طائر أطول من الجراد لا يضم جناحه إذا وقع شبه به الخيل.

واليعسوب غرة مستطيلة فى وجه الفرس، قاله المناوي. وفى العيون اليعسوب سيد القوم وأمير النحل، والفرس الجواد.

(والأدهم السرحان والمرتل) يعنى أن هذه الثلاثة من خيله عليه السلام فالأدهم معناه الأسود والسرحان بكسر السين وسكون الراء المهملتين والسرحان الذئب وهذيل تسمى الأسد سرحانا، قاله فى العيون وتبعه القسطلاني والمرتل بضم الميم وسكون الراء وفتح الفوقية وكسر الجيم وباللام مأخوذ من ارتجل الفرس ارتجالا إذا خلط العنق بشيء من الهملجة فراوح بين شيء من هذا وشيء من هذا، فالعنق أن يباعد خطاه ويتوسع فى جريه والهملجة أن يقاربها مع الاسراع قاله المناوي.

(عن ابن خالويه هذي نقلوا)، يعنى أن هذه الثلاثة الأخيرة وهي الأدهم والسرحان والمرتل نقلها علماء السير عن ابن خالويه، عزاها له المناوي فى شرح العراقية وعزا له فى المواهب الأخيرين ولم يذكر الأدهم، قال الزرقاني وابن خالويه هو الحسين بن احمد الإمام المشهور المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة.

كعب بن مالك ثم إلى حسان فقال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال والذي بعثك بالحق لأقرينهم بلساني قرى الأديم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قریش بأنسائها وإن لى فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاهم حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد لخص لى نسبك والذي بعثك بالحق نبيا لأسلنك كما تسل الشعرة من العجين (الحديث) انتهى كلامه.

قال الناظم رحمه الله تعالى:
(ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي دائماً وأكمل)

قوله ذكر خبر مبتدأ محذوف أي هذا ذكر دوابه والدواب لغة كل ما دب على وجه الأرض وعرفا كل ذات أربع قوائم، أي هذا ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي على الدوام وأكملها وبدأ ببيان خيله عليه السلام فقال:

(له من الخيل العتاق عشرة أو سبعة فيما حكاه المهره)

قوله عشرة مبتدأ وخبره قوله له والعتاق الكرام جمع عتيق وأو فى قوله أو سبعة للخلاف، أي وقيل سبعة والمهرة بالتحريك جمع ماهر وهو الحاذق فى هذا الفن والماهر فى الأصل الحاذق بكل عمل ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له عشرة من الخيل الكرام وقيل سبعة فسبعة متفق عليها كما فى العراقى والمواهب وغيرهما. قال العراقى:

سكب لزار ظرب وسبحة مرتجز ورد لصيف سبعة
وليس فيها عندهم من خلف. انتهى المراد.

وياتي ضبطها إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لها. وذكر ابن سيد

الناس هذه السبعة المتقدمة وقال إنها متفق عليها وذكر بعدها خمسة عشر مختلفا فيها وقال المناوي فى شرح العراقية وهي يعنى الخيل ثلاثون وذكر الناظم يعنى العراقي منها ثلاثة وعشرين انتهى.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه والناظم رحمه الله تعالى لم يقتصر على السبعة المتفق عليها بل لم يذكرها كلها لأنه لم يذكر سبحة مع انها متفق عليها كما فى العراقي وابن سيد الناس ونقله عن الدمياطي وكذا فى المواهب انها مما اتفق عليه وقال الزرقاني ان البدر بن جماعة جمع المتفق عليه فى بيت وهو:
والخيل سكب لحيف سبحة ظرب لزار مرتجز ورد لها أسرار

فذكر فيها سبحة ولم يذكر هؤلاء اسما لها سوى هذا الاسم واللفظة الأخيرة كذا هي فى المطبوع فإن لم تكن مصحفة فهي بحذف الهمزة فى اللفظ والله تعالى أعلم وانظر ما أراد الناظم بالعشرة فإن من قدمت ذكرهم لم يذكروا قولاً بأنها عشرة حتى يعينوها وسأذكر ما ذكروا ان شاء الله وبدأ الناظم بذكر الخيل لحبه عليه السلام لها وفى الزرقاني روى النسائي عن أنس لم يكن شيء أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النساء من الخيل وروى مالك والشيخان من طريقه عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ابن عبد البر فيه تفضيل الخيل على سائر الدواب لأنه لم يأت عنه فى غيرها مثل هذا القول انتهى كلامه. وقال الحافظ بن حجر فى شرح البخاري قوله فى نواصيها الخير وكذا فى الموطأ ليس فيه معقود ووقع بإثباتها والمراد بها ما يتخذ للغزو ان يقاتل عليه أو يربط لأجل ذلك. وفى رواية زكرياء الأجر والمغنم وقوله الأجر بدل من قوله الخير أو خبر مبتدئ محذوف أي هو الأجر والمغنم. وعند مسلم فقال بم ذلك يا رسول الله؟ قال الأجر والمغنم والناصية الشعر المسترسل على الجبهة وخص الناصية لرفعة قدرها ولكونها المقدم منها إشارة إلى ان المفضل فى الإقدام بها إلى العدو دون المؤخر لما

فائدة:

لم يذكر الناظم من البغال إلا ثلاثة مع قوله كلها، وفي العيون بعد ذكر هذه الثلاثة المتقدمة وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة وقيل أهدى له كسرى بغلة ولا يثبت وعن ابن عباس أهدى النجاشي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة فكان يركبها فهذه ست انتهى منه.

وللعراقي:

بغاله خمسة أو فستة	لدل مع فضة والإيلية
وبغلة أهدى له الأكيسدر	وجاء من كسرى وفيه نظر
وبغلة أهدى له النجاشي	وهو بأخلاق النبي الفاشي

قوله بغلة مفعول مقدم والأكيدر بالتصغير صاحب دومة الجندل، وهو ابن عبد الملك النصراني واختلف في إسلامه والأصح أنه لم يسلم وإن خالدا قتله على نصرانيته وأهدى له عليه السلام مع البلغة جبة سندس جعل أصحابه يعجبون منها فقال لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا، وقوله وجاء من كسرى أي وجاء أنه أتاه من كسرى بغلة هدية، رواه الثعالبي في تفسيره عن ابن عباس، فركبها بحبل من شعر، وأردفه خلفه وأخرجه الحاكم في مستدركه.

قال الحافظ الدمياطي وفيه نظر لأنه مزق كتابه كما مر وفي اسناد الثعالبي عبد الله القداح ضعيف وأجيب باحتمال أن الذي أهداها له شيرويه ولده أو ابن عمه كسرى بن قباد أو ازدشير بن شيرويه فإن هؤلاء كلهم ملكوا بعد قتل أبرويز على أنه لا يلزم من تمزيق الكتاب أن لا يهدى له انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني.

وقوله وبغلة مفعول مقدم أيضا والنجاشي ملك الحبشة وقوله وهو بأخلاق النبي الفاشي أي وهو أي ما ذكر من أن النجاشي أهدى له بغلة

مذكور فى كتاب أخلاق النبي لأبي الشيخ بن حبان عن ابن عباس والفاشي الكبير الشهرة أنظر المناوي فهذه ست بغال وزاد بعضهم سابعة تسمى حمارة شامية رواه ابن السكن عن بسر بضم الموحدة وسكون المهملة والد عبد الله الحارثي قاله الزرقاني.

(ثم حمار اسمه يعفور)، ثم هنا للترتيب الذكرى كالتى قبلها، وحمار مبتدأ خبره محذوف أى له حمارا واسم كأن حذفته هي وخبرها أى كان له عليه الصلاة والسلام حمار اسمه يعفور بسكون المهملة وضم الفاء مصروف، قاله الحافظ وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته وقيل تشبيهه باليعفور فى عدوه وهو ولد الظبي وولد البقرة الوحشية أهده له فروة بن عمرو الجذامي قال الواقدي مات منصرفه عليه السلام من حجة الوداع وبه جزم النووي وقيل طرح نفسه فى بئر لأبي الهيثم يوم موته عليه السلام، ذكره ابن حبان فى الضعفاء، وقال لا أصل له وليس سنده بشيء. أنظر الزرقاني.

وجزم اليعمري بأن له حمارا اسمه عفير بالتصغير رأده أهده له المقوقس مع دلدل وحمارا اسمه يعفور أهده له فروة بن عمرو مع فضة انتهى. وقيل هما واحد زعمه ابن عبدوس ورده الدمياطي وصدر فى المواهب أنهما اثنان فقال وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير عفيرا أهده له المقوقس ويعفورا أهده له فروة بن عمرو ويقال هما واحد، انتهى.

وعفير بالتصغير مأخوذ من العفرة وهو لون التراب كأنه سمي بذلك للونه والعفره حمرة يخالطها بياض وروي البخاري عن معاذ قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير الحديث ثم المشهور كما فى الألفية أنهما اثنان أنظر الزرقاني.

وللعراقي:

حماره عفير أو يعفور أو فهمما اثنان وذا المشهور

وكون ذا كان اسمه زيادا أو بيبـزيد منكر اسنادا
وثالث أعطاه سعد يسنده رديفه قيس بن سعد ولده

قوله أو فهما إلخ، أي وقيل هما اثنان، وقوله وكون ذا إلخ أشار به إلى ما في تاريخ ابن عساكر لما فتح المصطفى خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال له ما اسمك قال زياد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لم يركبه إلا نبي (الحديث). قال ابن عساكر حديث غريب وفيه غير واحد من الجهولين، وقوله وثالث أي وله حمار ثالث أعطاه له سعد بن عبادة فإنه زاره ماشيا فأركبه في رجوعه حمارا وأرسل قيس بن سعد معه فأردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه فلما وصل إلى بيته أراد أن يرد الحمار فقال هو هدية رواه ابن مندة، في كتاب أسماء من أردفهم المصطفى خلفه يسنده عن قيس المذكور رديفه، وزاد في الشامية حمارا رابعا أعطاه له بعض الصحابة، انتهى من المناوي والزرقاني. (والناقة القصوى فقط ماثور)، الناقة مبتدأ وال خلف عن الضمير والقصواء خبره أي وناقته عليه السلام القصواء أي اسمها ذلك وقوله ماثور خبر مبتدأ محذوف أي ذا ماثور أي منقول عن العلماء وقط اسم فعل بمعنى انته أي وإذا ذكرتها فانتبه عن ذكر غيرها وانظر لم أفردتها عن اللقاح مع ذكره لهن وقد عدها الحافظ العراقي فيهن فقال:

كانت له لـلقاح الحناء عريس بغوم السمراء
بردة والمروة والسعدية حفيضة مهرة واليسيرة
رياء والشقراء والصهباء عضبا وجدعاءهما القصواء

وفي المواهب وكان له عليه الصلاة والسلام من اللقاح القصواء وهي التي هاجر عليها إلخ. ويأتي إن شاء الله ضبط ما ذكر في هذه الأبيات منها عند ذكر الناظم للقاح وما فعل الناظم يشبه صنيع ابن سيد الناس فإنه قال وأما النعم فكانت له ناقته التي هاجر عليها تسمى القصواء

والعضباء والجدعاء وكانت شهباء ثم ذكر بعد ذلك اللقاح، قال الحافظ بن حجر والقصواء بالفتح والمد ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى.

وقال الزرقاني فى شرح المواهب بفتح القاف والمد على غير قياس والقياس القصر كما وقع فى بعض نسخ أبي ذر، والقصو قطع طرف الأذن وقد قيل كان طرف أذنها مقطوعا، وزعم الداوودي أنها كانت لا تسبق فقيل القصواء لأنها بلغت من السبق أقصاه، قال عياض ووقع فى رواية العذري فى مسلم بالضم والقصر وهو خطأ انتهى.

وقال المناوي القصواء بفتح القاف والمد
(وهي التى امتطى بلا امتراء نبينا فى الهجرة الغراء)

قوله وهي بسكون الهاء وامتطاها جعلها مطية أي ركبها والامتراء الشك ونبينا فاعل امتطى والغراء نعت للهجرة ومعناه الشهيرة يعنى أن القصواء هي التى هاجر عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة إلى المدينة وكانت لأبي بكر ابتاعها هي وأخرى من بنى الحريش بثمان مائة درهم فاشتراها عليه السلام بأربعمائة درهم ولم يقبل هبتها من أبي بكر لتتم هجرته لله تعالى وهذا على ترادف الأسماء لها كما ياتي، وذكر الواقدي أن القصواء من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام وماتت فى خلافة أبي بكر.

ولابن إسحاق ان التى هاجر عليها الجدعاء وكانت من ابل بنى الحريش وكذا فى رواية البخاري فى غزوة الرجيع عن عائشة وهو أقوى إن لم نقل أنهما واحدة، وكان علي القصواء يوم الحديبية ويوم الفتح مردفا أسامة أنظر الزرقاني والمناوي.

وفي الشفاء أنها كانت تكلمه عليه السلام وأن العشب كان يبادر إليها فى الرعي وأن السباع تجتنبها وتناديها إنك لمحمد وان الاسفرايني ذكر

أنها لم تاكل ولم تشرب، بعد موته عليه السلام حتى ماتت.
(وكان لا يحمل له إن نزلا عليه وحي غيـرها...)

اسم كان ضمير يعود على نبينا عليه السلام وخبرها الجملة بعدها،
وغيرها بالرفع فاعل يحمل، ووحى فاعل نزل ومعنى البيت ظاهر.
(ونقلا ان اسمها العضباء والجدعاء فقد ترادفت لها الأسماء) يعنى أن
غير واحد من العلماء نقل أن القصواء والجدعاء والعضباء أسماء
مترادفة أي متفقة فى المعنى ومسامها واحد، وعليه اقتصر فى العيون
كما مرّ واقتصر عليه العراقي وكذا صاحب القاموس فإنه قال والعضباء
الناقة المشقوقة الأذن، ولقب ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.
وقال الجدع قطع الأنف أو الأذن، ثم قال والجدعاء ناقة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وهي العضباء، والقصواء ولم تكن جدعاء ولا
عضباء ولا قصواء وإنما هي ألقاب، انتهى منه.

وفي ابن سلطان بعد نقل كلام القاموس وقيل اثنتان وقيل ثلاث
انتهى منه.

وبعدم الترادف صدر فى المواهب فقال وكان له من اللقاح القصواء
وهي التى هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما غضب ولا جدع،
وإنما سميتا بذلك. وقيل بأذنها غضب، وقيل العضباء والجدعاء واحدة
والعضباء هي التى كانت لا تسبق. فجاء عربي على قعود له فسبقها
فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام إن حقا على الله أن لا
يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه انتهى. والجدعاء بفتح الجيم وإسكان
الدال المهملة. وقول الشامي المعجمة سبق قلم وهي المقطوعة الأذن، أو
الأنف، أو الشفة. والعضباء بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها موحدة
ومدّ المقطوعة الأذن، أو المشقوقتها. قال ابن فارس وكانت مشقوقة
الأذن، وقوله فجاء إعرابي قال الحافظ بن حجر لم أقف على اسمه بعد
التتبع الشديد. والقعود بفتح القاف ما استحق الركوب من الإبل وأقل

ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن يدخل السادسة فيسمى جملاً، وقوله فسبقها وللنسائي سابق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعرابي فسبقه، وفي الحديث المسابقة على الإبل والتزهيد في الدنيا وحسن خلقه عليه السلام وتواضعه وعظمته في صدور أصحابه، نقله الزرقاني.

(ومائة كانت له من الغنم) قال اليعمري وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مائة من الغنم لا يريد أن تزيد على ذلك، كلما ولدت بهمة ذبح الراعي مكانها شاة ونحوه في المواهب. وللعراقي:

كان له مائة شاة غنما ولا يريد أن تزيد كلمها
ولد منها بهمة راعيها ذبح شاة لا يزيد فيها

وإذا ذبح الشاة جعل البهمة مكانها. قاله المناوي. والبهمة بالفتح أولاد الضأن والمعز جمعه بهم ويحرك وبهام قاله في القاموس.

(ومعها) أي الغنم، (عشرون) مبتدأ خبره ما قبله، (لقحة) بكسر اللام وفتحها (تلم) بالبناء للمفعول أي تجمع مع الغنم، تتميم للبيت، واللقحة الناقة القريبة العهد بالولادة إلى ثلاثة أشهر، ثم هي بعد الثلاثة لبون وجاء اللقحة في البقر والغنم أيضا كما ذكره البرهان، قاله الزرقاني. وسمى العراقي من لقاحه عليه السلام كما تقدم: الحناء بفتح المهملة وشد النون والمد وهي التي نحرها العرينيون والعريس بضم العين المهملة وفتح الراء وشد المثناة التحتية وسين مهملة وكانت لأم سلمة وبغوم بضم الموحدة وضم الغين المعجمة وهو في الأصل صوت الناقة التي لا تفصح به، والسمراء بسين مهملة ممدودة وكانت لعائشة رضي الله تعالى عنها. وبردة أهداهما له الضحاك بن سفيان الكلابي كانت تحلب كما تحلب اللقحتان، كانت لأم سلمة وكان يرعاها هند ومروة أهداهما له سعد بن عبادة، والسعدية بفتح السين وسكون العين وكسر الدال المهملات وحفيدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء والحفيدة السريعة، ومهرة بضم الميم أرسلها له سعد بن عبادة، من نعم بنى عقيل

وكانت غزيرة اللبن جدا واليسيرة بضم الياء أوله مما استأقاه
العرينيون ورياء بفتح الراء المهملة وشد التحتية ومد ابتاعها من بنى
عامر والشقراء بشين معجمة وقاف وللعراقي عاطفا على ما تقدم من
اللقاح ما نصه:

وغيرهن والجمال الثعلب	وجمل أحمر والمكتسب
غنمه فى يوم بدر من أبي	جهل فأهداه إلى بيت النبي
فى أنفه برة أى من فضة	غاظ به كفار أهل مكة

قوله وغيرهن أي وغير ما مر مما يطول ذكره والجمال كثيرة ومنها
الثعلب بفتح المثناة وسكون العين بعث المصطفى عليه يوم الحديبية
خراش بن أمية الخزاعي حين بلغه قتل عثمان ليكشف عن أمره فعقروا
الجمال وقوله وجمل أحمر روى ابن سعد عن نبيط رأيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجته على جمل أحمر والمكتسب بضم
الميم وسكون الكاف وفتح السين المهملة على صيغة اسم المفعول غنمه
يوم بدر وكان يغزو عليه ويضرب فى لقاحه. وأهداه فى عمرة الحديبية
إلى البيت ليغيب به أهل مكة والبرة بضم الموحدة وفتح الراء المخففة
فتاء تانيث حلقة صغيرة انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني. (وكان)
عليه الصلاة والسلام (يختص بشرب) بتثليث الشين لبن (شاة تدعى)
بالبناء للمعول أي تسمى تلك الشاة (بغيثة لدى الرواة) المجرور متعلق
بتدعى وهي بالغين المعجمة فتحتية ساكنة فمثلة وقيل اسمها غوثة
بالواو بدل الياء وبه صدر فى المواهب والعيون وسيرة العراقي فيفيد
هذا اعتماده قال فى العيون وكانت له شاة تسمى غوثة وقيل غيثة
وشاة تسمى قمرا وعنز تسمى اليمز وكانت له سبعة اعنز منائح
ترعاها أم أيمن، والمنائح جمع منيحة وهي فى الأصل شاة أو بقرة
يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها ثم كثر استعمالها على كل شاة أو بقرة
معدة لشرب لبنها قاله الزرقاني ونحوه للمناوي فى شرح قول
العراقي:

كانت له منائح بركة زمزم سقيا عجرة وورشة
أطلال أطراق قمر مع يمن وغوثة أو غيثة بل فى السنن

كانت له مائة شاة إلخ وقد مر وبركة بالتحريك وسقيا بضم المهملة
وسكون القاف وعجرة بفتح العين المهملة وسكون الجيم وورشة يشين
معجمة وقوله أو غيثة أي وقيل اسمها غيثة قاله المناوي وأطلال بفتح
الهمزة كما فى الزرقاني.

(وديكه الأبيض جاء فى الخبر)

يعنى أنه جاء فى الخبر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له ديك
أبيض عزاه العراقي للمحب الطبراني. قال فى سيرته:
وكان أيضا عنده ديك له أبيض فالمحب قد نقله.

قال الزرقاني بعد نقله لهذا البيت يشير إلى ما رواه أبو نعيم
والحارث بن أبي أسامة بسند ضعيف عن أبي زيد الأنصاري مرفوعا
الديك الأبيض صديقي وعدو إبليس. يحرس داره وتسع دور حولها وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم يبيتة معه فى البيت وأحاديث الديك حكى
ابن الجوزي بوضعها ورد عليه الحافظ بما حاصله أنه لم يتبين له الحكم
بوضعها أي ليس فيها وضاع ولا كذاب، نعم هو ضعيف من جميع طرقه
والله تعالى أعلم.

انتهى منه وفى المناوي نهى عن سب الديك وقال إنه يوقظ للصلاة
كما رواه أبو داود قال الحافظ زعم أهل التجربة أن الرجل إذا ذبح
الديك الأبيض الأفرق ينكب فى ماله انتهى كلامه. وديك أفرق بالفاء
فراء فقاف أي عرفه مفروق، كما فى القاموس.

(ولم يجئ فيه اقتناؤه البقر)

الضمير المجرور عائذ على الخبر يعنى أنه لم يات فى الخبر أنه صلى

الله تعالى عليه وسلم اقتنى البقر، أي اتخذ قنية فلا ينافي أنه ضحى به عن نسائه باحتماله أنه ابتاعها عند إرادته التضحية كما فى المناوي وهذا أحسن من قول العيون وأما البقر فلم ينقل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك شيئاً منها انتهى.

قال الزرقاني بعد نقله أي للقنية فلا يرد عليه ما فى الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر فى حجة الوداع، وتجوز أنه ملكها وضحى هو بها رده البرهان بأن فى مسند أحمد عن عائشة دخل علينا يوم النحر بلحم بقر، وقلت ما هذا؟ قال نحره صلى الله تعالى عليه وسلم عن أزواجه وبوب عليه البخاري باب ذبح الرجل البقر عن نسائه من غير أمرهن.

(بيان ماله من السلاح)

أي هذا بيان ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من السلاح. والسلاح ككتاب والسلاح كعنب والسلاحان بالضم آلة الحرب أو حديدتها قاله فى القاموس.

(صلى عليه واهب الفلاح)

أي معط الفلاح وهو الله تعالى والفلاح قال القسطلاني هو جمع اسم لأنواع الخير، انتهى.

وفسره بعضهم بنيل كل محبوب والنجاة من كل مرهوب، وقال المناوي السلاح ما يقاتل به فى الحرب ويدافع به، والتذكير فيه أغلب وجمعه أسلحة وسلاحات، والسلاح بوزن حمل لغة فى السلاح ثم شرع يذكر سلاحه عليه السلام، بادئاً بالسيوف لأنها أشرف آلة الحرب فقال:

(له من الأسياف تسعة فقط) أتى بجمع القلة لمناسبته لكونها تسعة كما للناظم (أسمائها) أي تلك السيوف (مروية) أي منقولة (عمن فرط)

أي تقدم من العلماء (منها) أي من سيوفه عليه الصلاة والسلام السيف (الذي أصابه) غنمه صلى الله تعالى عليه وسلم (من) العاصي بن منبه السهمي على ما اقتصر عليه في العيون يوم (بدر) وقيل كان لمنبه بن وهب، وقيل لمنبه أو نبيه بن الحجاج قال الحاكم والأخبار في أنه من خيبر واهية وروى الطبراني بسند ضعيف أن الحجاج بن علاط أهداه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم كان عند الخلفاء العباسيين ويقال أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة وصنع منها وكونه غنم في بدر أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن، غريب، والحاكم وصححه قاله الزرقاني. (وكان) هذا السيف (يدعى) بالبناء للمفعول أي يسمى (ذا الفقار) أي صاحب الفقار بفتح الفاء وكسرهما كما في العيون والمواهب. قال الزرقاني وقال في النور حكى غير واحد فيه الفتح والكسر انتهى.

وقول الخطابي بفتح الفاء والعامية تكسره ان أراد الأكثر فصحيح وإن أراد الجملة فلا. وكان هذا السيف لا يفارقه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن ملكه يكون معه في كل حرب، لأنه نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وإن صح القول بأنه عليه السلام أعطاه لعلي وانتقل في أولاده فكأنه كان يأخذه منه في الحروب أو أعطاه له عند موته انتهى كلامه.

(فادري) أي اعلم هذا تتميم للبيت . وقال المناوي بكسر الفاء جمع فقرة وقيل بفتحها جمع فقارة سمي به لفقرات كانت في وسط ظهره، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد انتهى. وقال في المواهب وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكارتته ونعله من فضة انتهى.

وقائمته مقبضه وقبيعته بالقاف ما على طرف مقبضته وحلقته بإسكان اللام وفتحها ما في أعلاه تجعل فيه العلاقة وذؤابته بمعجمة أي علاقته كما في العيون وبكارتته حلقه التي في حليته، وهي ما يكون في وسطه ونعله حديدته التي في أسفل غمده وهذا السيف هو أشهر

أسيافه عليه السلام وسمي ذو الفقار لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر وهو غير العضب. وحكى مغلطاي أنهما واحد وقيل سمي بذلك لأنه كان فيه حفار صغار والفقرة الحفرة التى فيها الودية، قال الأصمعي دخلت على الرشيد فقال أريكم سيف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الفقار ؟ قلنا نعم. فجاء به فما رأيت سيفاً قط أحسن منه إذا نصب لم ير فيه شيء وإذا بطح عد فيه سبع فقر وإذا صفحته يمانية يحار الطرف فيه من حسنه وكذا قال قاسم فى الدلائل أن ذلك يرى فى رونقه شبيهاً بفقر الحية، فإذا ألتمس لم يوجد. وفى رواية عن الأصمعي فأذن لى فى تقبيله فقبلته انتهى المراد من الزرقاني فى مواضع (ومثله القلعي) بفتح اللام واسقاط الياء لفظاً ولم يسم كما فى العراقي يعنى أن القلعي سيف من أسيافه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المواهب بضم القاف وفتح اللام وقال المناوي بفتح القاف واللام بعين مهملة انتهى. وقال الزرقاني بعد كلام المواهب الذى فى النهاية والدر واللب وغيرهما أنه بفتح القاف وهو الذى أصابه من قلع بفتحتين موضع بالبادية يقال له مرج قريب من صلوان قريب من همدان انتهى.

(والبتار) بفتح الموحدة وشد الفوقية ومعناه القاطع. قال المناوي وهو أول سيف تقلد به صلى الله تعالى عليه وسلم. (والحتف) بفتح المهملة وسكون الفوقية بفاء وهو الموت أصابه من سلاح بنى قينقاع قال (قد جاءت بذا الأخبار) أي قد جاءت الأخبار بأن ما ذكر من أسيافه صلى الله تعالى عليه وسلم ، (كذلك المخدم) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المعجمة فميم والخدم القطع بسرعة، ومنه سمي أنظر المناوي.

(والقضيبي) بفتح القاف وكسر الضاد المعجمة وسكون التحتية وموحدة. قال المناوي أصابه من سلاح بنى قينقاع. قال وذكر عياض فى فصل أسمائه صاحب القضيبي أي السيف وقع ذلك مفسراً فى الانجيل، قال معه قضيبي من حديد يقاتل به انتهى. وقال الزرقاني يطلق يعنى القضيبي بمعنى اللطيف من السيوف وبمعنى السيوف القاطع كما فى

النور، وقيل ان القضيب ليس بسيف، بل هو قضيبه المشقوق قال العراقي:

وقيل ذا قضيبه المشقوق كان بأيدي الخلفاء شقوق وفي العيون وكان له قضيب يسمى المشقوق من شوحط. ولم يبين هو ولا المناوي ولا الزرقاني معناه فى الأصل ولعل معناه المنحوت. والله تعالى أعلم. وكان يمسك هذا القضيب بيده ثم وجدت فى الزرقاني بتفسير أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما نصه ومعنى المشقوق الطويل الرقيق من المشط وهو جذب الشيء ليطول انتهى.

(والعضب) هذا أيضا من الأسياف النبوية وهو بفتح المهملة وسكون المعجمة أرسله إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر وهو فى الأصل السيف القاطع، وسمي به هذا السيف (و) من أسيافه عليه السلام أيضا. (الرسوب) بفتح الراء وضم السين المهملتين وسكون الواو فموحدة قيل أنه من الأسياف السبعة التى أهدت بلقيس إلى سليمان. قال فى المواهب أي يمضي فى الضربة ويغيب فيها، من رسب يرسب أي بضم السين إذا ذهب إلى أسفل، وإذا ثبت قال الزرقاني لأن ضربته تغوص فى المضروب به، وتثبت فيه والرسوب والمخدم أصابهما من الفلاس بضم الفاء وسكون اللام فسين مهملة وقيل بضم الفاء واللام وقيل بفتح الفاء وسكون اللام وهو صنم لطيء كان الحارث قلده إياهما فبعث المصطفى عليه السلام عليا إليه فهدمه وعزل السيفين له عليه السلام وذكر المدائني أن زيد الخير وهبهما الي المصطفى لما وفد عليه (يا لبيب) تميم واللبيب العاقل. قال مؤلفه سمح الله تعالى له بمنه بقي من الأسياف التسعة سيف يقال له مأثور بهمزة ساكنة ومثلثة وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام، ورثه من أبيه. وبقي من أسيافه أيضا الصمصامة ويقال له أيضا الصمصام، وبقي اللحييف فتكون أحد عشر سيفاً أو عشرة إن لم يكن القضيب سيفاً، وقد نظمتها فى بيتين وهما:

(كذلك منها سيفه ماثور ومن أبيه ارثه ماثور)

الضمير المجرور بمن للأسياف، وماثور الأولى اسم السيف فهو بدل من قوله سيفه، وماثور الثانية خبر عن قوله ارثه، والمجرور قبله يتعلق به، ومعنى ماثور الثانية منقول عن العلماء فلا إيطاء فيه. ومعنى البيت أنه من أسيافه عليه الصلاة والسلام سيف اسمه ماثور بهمزة ساكنة ومثلثة. قال فى المواهب وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام وهو الذى يقال أنه قدم به المدينة فى الهجرة، انتهى.

قال الزرقاني ورثه من أبيه انتهى. وقال اليعمري كان له عليه السلام سيف يقال له ماثور ورثه من أبيه، وقدم به المدينة انتهى. وقال المناوي فى شرح العراقية بضم المثلثة وهو أول سيف ملكه وقيل ورثه من أبيه قال الدمياطي وهو الذى يقال أنه عمل أهل الجنة انتهى. وبذكر الماثور صدر اليعمري والقسطلاني فى ذكر الأسياف، وثاني البيتين هو:

(والبعض للصمصام واللعيف قد زاد فى عدة ذي السيفوف)

يعني أن بعض العلماء زاد فى أسيافه عليه السلام على الأسياف التسعة المتقدمة سيفين وهما الصمصامة سيف عمرو بن معدي كرب، وكان مشهوراً ذكره اليعمري وغيره، قال المناوي وزاد بعضهم فى أسيافه الصمصامة كانت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي فوهبها لخالد بن سعيد حين استعمله علي اليمن وكانت مشهورة عند العرب، واللعيف سيف مشهور فهذه أحد عشر سيفاً انتهى كلامه.

وقال العلامة محمد بن عبد الباقي وزاد اليعمري وغيره الصمصامة ويقال له الصمصام بفتح المهملة وإسكان الميم فيهما السيف الصارم الذى لا ينثنى كان سيف عمرو بن معدي كرب، وكان مشهوراً فوهبه صلى الله تعالى عليه وسلم لخالد بن سعيد بن العاصي واللعيف سيف مشهور فهذه أحد عشر أو عشرة إن حذف منها القضيب انتهى.

ولما ذكر الناظم الأسياف أتبعها بذكر عدد الرماح ولم يذكر أسماءها فقال:

(وكان عنده من الرماح أربعة تعد للكفاح)

قوله تعد بضم الفوقية مبني للمفعول أي تهيأ والكفاح بكسر الكاف القتال يعنى أنه عليه السلام كان عنده أربعة أرماح معدة لقتال الكفار، وفى حديث أحمد عن عمر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول جعل رزقي تحت ظل رمحي نقله المناوي وكونها أربعة هو الذى فى المواهب لكن قال الزرقاني كذا عدها مغلطاي أي أربعة فتبعه المصنف على عادته وقد عدها صاحب العيون والهدي والسبل والعراقي خمسة انتهى المراد منه. وقال العراقي:

كان له من الرماح خمسة من قينقاع وجاءه ثلاثة ورابع له يسمى المثويا والخامس المثني بذاك سميا

قوله من قينقاع لخ أي غنمها من يهود بنى قينقاع بتثليث النون وقوله المثويا من الثواء أي ان المطعون به يقيم مكانه، قاله المناوي. ولم يتعرض لضبطهما. وفى الزرقاني أن المثوي بضم الميم وإسكان المثلثة وكسر الواو ثم ياء أي القاتل سمي به لأنه يثبت المطعون، وفيه أن المثني بضم الميم وإسكان المثلثة وفتح النون وكسرهما كما فى النور قال الزرقاني ولعل وجه التسمية أنه كان لنا انتهى.

ولم أقف على اسم لسوى هذين من الرماح. وفى العيون بعد ذكر الرماح وكانت له حربة تسمى النبعة وحربة كبيرة اسمها البيضاء وحربة صغيرة دون الرمح، شبه العكاز يقال لها العترة، انتهى

وفي المواهب وشرحها وكانت له صلى الله تعالى عليه وسلم حربة كبيرة بالنسبة لما بعدها وإن كانت دون الرمح أيضا تسمى البيضاء

وحربة أخرى دون الرمح بنصفه عريضة النصل لكن سنانها فى أسفلها بخلاف الرمح فإنه فى أعلاه شبه العكاز بضم العين وشد الكاف، عصى ذات زج، بزاي مضمومة فجيم مشددة أي سنان يقال لها العنزة بفتح المهملة والنون والزاي تركز بضم الفوقية وفتح الكاف فزاي أي تغرز فيصلي إليها أي إلى جهتها. انتهى المراد منهما.

(ومثلها) أي الرماح، (قسيه) عليه الصلاة والسلام والقسي بكسر القاف وضمها جمع قوس (فى العد) يعنى أن أقواسه صلى الله تعالى عليه وسلم مماثلة للرماح فى أن عدد كل منهما أربعة على ما ذكر الناظم وعدها العراقي خمسة وذكر أسماءها فقال:

أقواسه خمسة الروحاء وقوس شوحط هي البيضاء
وقوس نبع وهي الصفراء كذلك الكتوم والزوراء

والقوس مؤنثة ويقل تذكيرها والشوحط بشين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فحاء وطاء مهملتين ضرب من شجر الجبال والنبع بفتح النون وسكون الموحدة وعين مهملة شجرة تتخذ منها القسي ومن أغصانها السهام وقوله هي البيضاء أي تسمى بذلك والصفراء اسم للأخرى وكذا الروحاء وهذه الثلاث أصابها من سلاح بنى قينقاع، والزوراء منقولة من الجنس لأن الزوراء اسم للقوس كما فى القاموس والكتوم بفتح الكاف ففوقية سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا رمي عنها وهي التي تكسرت يوم أحد حتى صارت شظايا لكثرة رميه عليه السلام عنها حتى انحاز العدو فأخذها قتادة بن النعمان وله قوس أخرى تسمى السداد بفتح السين علم منقول من السداد الذى هو الصواب انتهى ملخصا من المناوي والزرقاني. والعراقي:

أحرابه البيضاء ثم النبعة وحربة صفيرة عنزة
(والترس والجعبة مما أبدي) الترس مبتدأ والجعبة عطف عليه وخبر
المبتدأ المجرور بعده وما موصول اسمي وصلته ابدي بمضم الهمزة

ومعناه أظهر وفاعله مستتر. يعنى أن ترسه صلى الله تعالى عليه وسلم وجعبته من جملة ما يبدية الناظم أي يذكره، والترس بضم أوله معروف، وجمعه ترسة كعنبه وتروس كفلوس وتراس كسهام وربما قيل أتراس قال ابن السكيت ولا يقال أترسة كأرغفة وإذا كان من جلد لا خشب فيه يسمى درقة قاله المناوي. وذكروا له ثلاثة تروس ترس اسمه الزلوق بفتح الزاي وضم اللام فواو ساكنة فقاق سمي بذلك لأنه يزلق بفتح اللام عنه السلاح وترس اسمه الفتق بضم الفاء وفتح الفوقية فقاق قاله الزرقاني. وفي المناوي أنه بضمهما. وترس ثالث أهدي إليه وفيه تمثال عقاب أو كبش، فكرهه، فأصبح وقد أذهب الله عنه التمثال انتهى.

والجعبة بفتح الجيم والموحدة بينهما مهملة ساكنة كنانته التى يجمع فيها النبل، وكنانته عليه السلام تسمى الكافور قاله الزرقاني.
(وأدرع كنانته له بهيه أسماؤها فضة والسعدية)

قوله بهيه صفة أدرع ومعناه الحسنة والبهاء الحسن يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له أدرع سبع، ذكر الناظم منها ثلاثاً، والأدرع بكسر الدال القميص المتخذ من الزرد وهي مؤنثة فى الأكثر وتصغر على دريع بغير هاء على غير قياس وربما قيل دريعة والجمع أدرع وأدرع ودروع قاله المناوي. وفضة بكسر الفاء والسعدية بمهملة مضمومة وغير معجمة ساكنة أصابها من بنى قينقاع، وكانت درع داوود التى لبسها لقتال جالوت، وقيل السعد بلد تعمل فيه الرماح قاله المناوي وفى المواهب والسعدية ويقال بالغين وهي درع عكير القينقاعي قيل وهي درع داوود التى لبسها حين قتل جالوت. وفضة كان قد أصابهما من بنى قينقاع انتهى قوله. السعدية بفتح السين وجوز بعضهم ضمها وإسكان العين ودال مهملات منسوبة للسعد وهي جبال معروفة وفى معرب الجوا ليقى أنه بالسين والصاد لأنه قياس فى كل سين معها حرف استعلاء قال الشاعر:

وخافت من جبال السعد نفسي

وقوله ويقال بالغين أي بضم السين وإسكان الغين المعجمة. قال البرهان وهو الذي أحفظه قال ابن القطاع موضع تصنع فيه الدروع أي ناحية بسمرقند كما في اللب أنظر الزرقاني.

(ثالثها ذات الفضول تدعى كانت له يوم حنين درعا)

ومعها السعدية كما ياتي، وقوله ثالثها مبتدأ وخبره تدعى أي تسمى ونائبه مستتر وذات بالنصب مفعوله الثاني يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له درع تسمى ذات الفضول بفاء مضمومة وضاد معجمة مضمومة فواو فلام سميت بذلك لطولها أرسلها إليه سعد بن عبادة عند مسيره إلى بدر، وكانت من حديد موشحة بنحاس، وكان عليه عليه الصلاة والسلام هي والسعدية يوم حنين مظاهرا بينهما وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عليه ذات الفضول أوفضة وأفاد البرهان وغيره أنه لم يظاهر بين درعين إلا في ذينك اليومين أنظر الزرقاني والمناوي.

وللعراقي نفعا الله به:

أدرعه سبعة السعدية ذات الفضول وكذا فضيه

ذات الحواشي ما لها كفاء ذات الوشاح الخرنق البتراء

وذات الفضول هي التي كانت مرهونة عند أبي الشحم اليهودي في ثمن شعير اشتراه لأهله وكان ثلاثين صاعا كما في الصحيح وعند النسائي أنه عشرون صاعا وكان الدين إلى سنة، وذكر ابن الطلاع أن أبا بكر افتك الدرع بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم والحواشي جمع حاشية وهي في الأصل جانب الثوب، وذات الوشاح بكسر الواو وخفة الشين المعجمة فألف فمهملة وكانت موشحة بنحاس والخرنق بكسر المعجمة وسكون المهملة وكسر النون وفتحها وقاف ولد الأرنب، فكأنها

سميت بذلك لقصرها والبتراء بفتح الموحدة وسكون الفوقية والمد
سميت بذلك لقصرها وما مر من تفسير الخرنق أنها ولد الأرنب أحد
اطلاقين وثانيهما الفتى من الأرانب انتهى ملخصا من المناوي
والزرقاني والعيون.

(ومغفر يدعى السبوع كان له)

المغفر كمنبر ما يلبسه الدارع على رأسه عند الزرد وغيره قاله
المناوي. وقال الزرقاني بعد وقول المواهب وكان له عليه الصلاة والسلام
مغفر من حديد انتهى. صفة لازمة على أنه ما نسج من زرد الدرع أو
مخصصة على أنه ما يلبس على الرأس من القلنسوة والسبوع بفتح
السين المهملة وضمها فموحدة فواو فغين معجمة كما فى النور أي
السابع بمعنى الطويل، يعنى أنه عليه السلام كان له مغفر من حديد،
يدعى السبوع أي يسمى بالسبوع ويقال له أيضا ذو السبوع بالفتح
والضم أي على ما فى النور أي الطول وفى القاموس ضمه وهو ظاهر
قول الخلاصة:

وفعل اللازم مثل قعدا

له فعول انظر الزرقاني وله أيضا مغفر ثان يسمى الموشح بضم الميم
وفتح الواو والشين المعجمة المشددة فمهملة وهو من حديد أيضا كما فى
المناوي وللعراقي:

مغفره السبوع والموشح فسطاطه الكن كما قد صرحوا

ومعنى آخر البيت أنه عليه السلام كان له فسطاط أي بيت من شعر
يسمى الكن بكسر الكاف سمي بذلك لأنه يستتر من الحر والبرد
والفسطاط بضم الفاء وكسرهما وبالطاء والتاء مكانها انظر الزرقاني.

(ونحوه منطقة مجمله)، يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت
له منطقة مجملة أي مزينة بالفضة فكان فيها ثلاث حلق فضة وهي من
أديم وكان ابزيمها من فضة والطرف الذى يدخل فى الابزيم من فضة
أيضا والإبزيم بكسر الهمزة وسكون الموحدة فزاي فتحتية فميم هو

الذى فى رأس المنطقة وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر وهي بكسر الميم ما يشد به الوسط ذكر ابن سعد وغيره انه عليه السلام يوم أحد شد على وسطه منطقة وأقره اليعمرى فقول ابن تيمية لم يبلغنا أنه شد على وسطه منطقة تقصير كما فى الزرقاني. وللحافظ العراقي:

كسّانت له منطقة أديم فضة الحلق والإبزيم
أي من أديم مبشور يشد بها وسطه وكان فيها ثلاث حلق من فضة
والإبزيم الذى فى رأس المنطقة كان فضة وطرفها فضة ذكره الدمياطي
وانتطق شد المنطقة ويسمونها الناس الحياضة والأديم الجلد المدبوغ قاله
المناوي.

(وراية سوداء بالعقاب، تدعى هداك الله) أي أرشدك دعاء بلفظ الخبر
(للصواب)، ضد الخطأ أي وكان من آلات حربه صلى الله تعالى عليه
وسلم رايته مربعة كما فى العيون سوداء من نمرة أي صوف تدعى أي
تسمى بالعقاب والراية ثوب يجعل فى طرف الرمح ويخلى كهيئته
تصفقه الرياح وهي العلم الكبير روى ابن عساكر عن عائشة كان لواء
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح أبيض، ورايته سوداء
قطعة من مرط من صوف تسمى العقاب انتهى. من المناوي. وفى
العيون كان له راية سوداء مربعة يقال لها العقاب وراية بيضاء يقال
لها الزينة، وربما جعل فيها الأسود وروى أبو داود أن له راية صفراء
وروى ابن حبان من حديث ابن عباس قال مكتوب على رايته لا إله إلا
الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وقال الحافظ
الدمياطي روي أن لواءه أبيض مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. وللحافظ العراقي:

رايته العقاب كالنمراء مع راية صفراء مع سوداء
كسّانت له ألوية بيض كذا أسود مع أغير منها اتخذها
وقوله كالنمراء اسم ثان لها فتسمى بالعقاب وبالنمراء وسميت

بالنمرء لكون لونها لون النمر لما فيها من بياض وسواد. وقوله مع راية صفراء هذه الراية المخصوصة لم يكن لها اسم. وروى الطبراني أن المصطفى عقد رايات الأنصار وجعلهن صفراء، وقوله مع راية سوداء أي غالب لونها السواد أي بحيث ترى من بعد سوداء لأن لونها كان سوادا خالصا والألوية جمع لواء وهو العلم الصغير وروى ابن عساكر كان لواء المصطفى يوم دخل مكة أبيض فحمله سعد بن عباد وروى أيضا عن أنس وعائشة كان له لواء أسود وقوله مع أغبر منها اتخذ أي وربما اتخذ بعضها من أغبر ففي حواشي السنن للمنذري عن مجاهد كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لواء أغبر، انتهى. أي بين البياض والسواد.

قال ابن حجر الراية بمعنى اللواء وهو العلم الذي يحمل في الحرب ويعرف به صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يرفعه إلى مقدم العسكر وصرح بعض أهل اللغة بترادفهما والأحاديث تدل على التغاير فلعل التفرقة عرفية انتهى من المناوي.

(وكان أيضا عنده لواء أبيض قد فشت بذات الأنباء)

يريد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له مع رايته السوداء لواء أبيض كما قدمته وقد فشت أي كثرت وشاعت بذلك الأنباء بفتح الهمز جمع نبأ وهو الخبر وقد مر الكلام في ترادف الراية واللواء وتغايرهما ومر بأبسط من ذلك في أول الكتاب واختصاره ذلك أنه علي التغاير فالراية العلم الكبير يجعل في طرف الرمح ويترك تصفقه الرياح ويعرف به مكان صاحب الجيش، واللواء العلم الصغير وعلى الترادف فكل منهما العلم الذي يحمل في الحرب والله تعالى أعلم.

(بيان ما له من الثياب ومن أثاث فاستمع خطابي)

أي هذا بيان ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الثياب جمع ثوب وما كان له من الأثاث وهو بفتح الهمزة ومثلثتين متاع البيت

كالمشط والمرأة والمكحلة ونحوها والخطاب الكلام فهو بمعنى اسم
المفعول أي المخاطب به وأصله مصدر خاطبه والخطاب توجيه الكلام إلى
الغير بقصد الافهام.

وإلي ذكر كل مـاله نسبته إلى سيد المرسلين
ترتاح أنفس الطالبين وتشتاق قلوب المتذاكرين
وذكر أخباره مما يؤنق الأسماع ويهز من الحب له الطبع
ولله در الأديب الأريب حيث يقول ولقوله قبول:
يا ليت حمر الوجهه مني كانا لو طئ نعل المصطفى مكانا

(كان له من الثياب اثنا عشر على الذي نقله أهل السير)

السير كعنب جمع سيرة بالكسر وهي في الأصل هيئة السير أي
طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم وهيأته وحاله ثم خصت بحاله في
غزواته ونحوها قاله الزرقاني ومراده والله تعالى أعلم أنه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يجتمع عنده من الثياب التي أعدها للباس اثنا
عشر وهي التي ذكرها بعد ولم أقف على هذا التحديد وقال العراقي في
سيرته:

له ثلاث من جـسـباب تلبس في الحرب إحداهن منها سندس
أخضر ثم جـبـة طـيـالـسه تغسل للمرضى وكانت ملبسه
انتهى ما ذكره والجباب جمع جبة وقوله تغسل للمرضى أي وتسقى
لهم غسالتها للإستشفاء وقوله وكانت ملبسه أي غالباً، انتهى من
الناوي.

وقال في العيون قال ابن فارس ترك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يوم توفي حبرة وإزاراً عمانياً وثوبين صحراويين وقميصاً
صحارياً وآخر سحولياً وجبة يمنية وكساء أبيض، وقنانص صغار

الأطئة ثلاثا أو أربعاً وخميسة وملحفة مורسة وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة يعتم بها يقال له السحاب، وهبها لعلّي وعمامة سوداء ويلبس يوم الجمعة غير ثيابه المعتادة كل يوم ولا يخرج يوم الجمعة إلا معتماً وكان له رداء مربع وكان له فراش من أدم حشوه ليف وكساء أحمر من شعر، وكساء أسود ومنديل يمسح به وجهه انتهى المراد منه.

وسأشرح إن شاء الله بعض ما ذكره (منها قميصان له شعار) القميص اسم لما يلبس من المخطط الذي له كمان وجيب يلبس تحت الثياب ولا يكون من صوف كذا في القاموس مأخوذ من التقمص بمعنى التغلب لتغلب الإنسان فيه وقيل سمي باسم الجلد التي هي غلاف القلب فإن اسمها القميص قاله البيجوري في شرح الشمائل والشعار ككتاب من اللباس ما يلي شعر الإنسان ويفتح قاله في القاموس ومعنى كلامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له قميصان يليان جسده الشريفة وفي شمائل الترمذي من حديث أم سلمة قالت كانت أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القميص وفيه من حديث أسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الي الرسغ، انتهى. وأحب اسم كان والقميص خبرها وهو المشهور في الرواية وقيل بالعكس وإنما كان أحب إليه لأنه استتر لليدين من غيره ولأنه أخف على البدن والظاهر أن المراد في الحديث القطن والكتان، دون الصوف، لأنه يؤذي البدن، ويدر العرق ويتأذى بريح عرقه المصاحب فقد ورد أن المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سوى قميص واحد ففي الوفاء بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما رفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا زوجين من النعال قال البيجوري وهذا يخالف ما ذكره الناظم والله تعالى أعلم.

وقوله كان كم قميص، وفي رواية كان يد رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم إلخ. والرسغ بضم الراء وسكون السين أو الصاد لغتان فغين معجمة مفصل ما بين الكف والساعد وأخرج البيهقي وغيره عن علي رضي الله تعالى عنه أنه كان يلبس القميص حتى إذا بلغ الأصابع قطع ما فضل ويقول لا فضل للكمين على الأصابع، ويجري مثل ذلك في أكمامنا، قال الحافظ العراقي:

ولو أطال أكمام قميصه حتى خرجت عن المعتاد
كما يفعله كثير من المتكبرين فلا شك في حرمة ما مس الأرض منها
بقصد الخيلاء وقد حدث الناس اصطلاح بتطويلها فإن كان من غير
الخيلاء بوجه فالظاهر عدم التحريم، انتهى من البيجوري.

(ثم كساءان له دثار) ثم هنا للترتيب الذكري والكساء بالكسر معروف ويكون من صوف أو شعر أو خز أو قطن أو غير ذلك، كما صرح به الزرقاني والبيجوري والقسطلاني وغيرهم والذثار بالكسر ما فوق الشعار من الثياب قاله في القاموس، ومعنى كلامه أنه عليه السلام كان له كساءان، أي رداءان يلبسهما فوق القميص الذي يلي جسده الكريم، والكساء ما يستر أعلى البدن، ضد الإزار قاله البيجوري في باب ما جاء في صفة إزار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفي الشفاء كان صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس ما وجدته فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخرصة بالذهب ويرفع منها لمن لم يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما يؤدي الي الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك انتهى المراد منه. ابن سلطان والشملة ضبطت بالفتح وفي القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى. والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة إنما هي بالكسر أيضا والخشن الغليظ ضد الرفيع.

والبرد الثوب الذي فيه خطوط وفي الحديث: {إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس}. وقوله ما وجده أي ما صادفه، أي ما تيسر من غير كلفة ولا شهوة. وقوله ويقسم بالتخفيف ويجوز تشديده للتكثير، والأقبية جمع قباء ككساء وأكسية صنف من الثياب والديباج بكسر الدال وتفتح نوع من الحرير والمخوصة بشد الواو المنسوجة وقيل فيه طرائف من ذهب مثل خوص النخل وهو ورقه وفي رواية المزروعة بالذهب أي لها ازرار منه وقوله ويرفع أي يدخر وقوله لمن لم يحضر أي كان غائبا من أصحابه كمخرمة ابن نوفل فإنه بلغه أنه عليه السلام قدمت عليه أقبية فذهب إليه فخرج عليه السلام إليه ومعه قباء من ديباج مزروعة بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك.. وجعل يريه محاسنه ثم أعطاه له؛ فنظر إليه فقال رضي مخرمة. وقوله ليس من خصال الشرف أي ليست من شمائل أرباب الشرف والعظمة، وقوله الشهرة في الطرفين الأعلى والأدنى وقد ورد النهي عن الشهرتين. انتهى كلام ابن سلطان.

ونقل في المواهب كلام القاضي عياض هذا، قال الزرقاني في شرحها الشملة بفتح المعجمة وسكون الميم ما يشتمل به من الأكسية التي يلتحف بها وقيل يختص بما له هذب، وقال ابن دريد كساء يؤتزر به وهي البردة أو المخوصة بضم الميم وفتح المعجمة وشد الواو بصاد مهملة أي منسوجة بأعلام من ذهب كالخوص، وقيل المكفوفة، وقوله رضي مخرمة، جزم الداوودي بأنه من كلامه عليه السلام، فرجح الحافظ أنه من كلام مخرمة، وقوله إذ المباهاة إلخ.. وأكثر من يتباهى بذلك محدث النعمة، ومن لا قدر له انتهى كلامه.

(وجبتان) أي وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، جبتان تثنية جبة بالضم، قد مر عن العراقي أنها ثلاث والله تعالى أعلم. وفي شمائل الترمذي عن المغيرة بن شعبه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لبس جبة رومية ضيقة الكمين، انتهى.

قال البيجوري أي لبسها في السفر وذلك في غزوة تبوك، والجبة من

الملابس معروفة وقيل ثوبان بينهما حشو فقد تقال لما لا حشو له إذا كانت ظهارته من صوف والرومية نسبة للروم، وفي أكثر الروايات شامية نسبة للشام، ولا تناقض لأن الشام يومئذ كانت مساكن الروم، وقوله ضيقة الكمين أي بحيث إذا أراد إخراج يديه لغسلهما تعسر فيعدل إلى إخراجهما من ذيلها ويؤخذ منه كما قال العلماء أن ضيق الكمين مستحب في السفر لا في الحضر وإلا فأكمام الصحابة كانت واسعة. وعلم من كلامهم في هذا الباب أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أثر رثاثة الملابس فكان أكثر لبسه الخشن من الثياب وكان يلبس الصوف ولم يقتصر من اللباس على صنف بعينه وكان يلبس الرفيع أحيانا، فقد هديت له حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيرا، أو ناقة، فلبسها مرة، وأما السراويل فقد وجدت في تركته عليه السلام لكن لم يلبسها، على الراجح، وأول من لبسها الخليل عليه السلام، وفي حديث ابن مسعود مرفوعا كان على موسى عليه السلام، حين كلمه ربه كساء من صوف وقلنسوة من صوف وجبة من صوف وسراويل من صوف وكانت نعلاه من جلد حمار مية. انتهى المراد من كلامه.

وقال القسطلاني في المواهب، وعن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، كانت عند عائشة، فلما قبضت قبضتها وكان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يلبسها فنحن نغسلها للمرض نستشفى بها رواه مسلم، وقوله جبة طيالة بإضافة جبة إلي طيالة، وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة إلي كسرى ملك الفرس، ولبنة بكسر اللام وإسكان الباء رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ما له فرجان وأنه لا كراهة فيه، وأن المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه وأنه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فإنه يحرم كل جزء منهما قاله النووي اهـ كلاهما بحروفيه. وقوله طيالة نوع من الثياب لها علم وقوله مكفوفان إلخ.. أي عمل على جيبيها وكميها وفرجها

كفاف من حرير، وكفة كل بالضم طرفه وحاشيته وقبضت ماتت، ونستشفى به نطلب الشفاء لملاستها لعرقه وبدنه ورقعة أي قطعة حرير جعلت فيه ولو جديدا وليس المراد أنها جعلت فيه لإصلاح خله، وقوله يحرم كل جزء منهما أي على الرجال في الذهب قاله الزرقاني.

فائدة:

قال الزرقاني: قيل هذا في شرح قول قرّة ابن إياس فأدخلت يدي في جيب قميصه فمست الخاتم ما نصه بفتح الجيم وسكون التحتية يطلق على فتحة القميص المحيطة بالعنق وعلى ما يجعل في صدره ليجعل فيه الشيء وبه فسرّه أبو عبيد، وإليه أشار البخاري وقال ابن بطال كان جيب السلف عند الصدر، انتهى ونحوه للبيجوري.

(وإزار) بكسر الهمزة مرفوع عطف على ما مرّ يعني أنه عليه السلام كان له إزار يأتزر به والإزار ما يستتر أسفل البدن والرداء ما يستتر أعلاه وذكر ابن الجوزي في الوفاء بسنده عن عروة ابن الزبير قال طول رداء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أربعة ذرع وعرضه ذراعان ونصف ونقل ابن القيم أن طوله ستة أذرع في ثلاثة وشبر، وأما إزاره فطوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين، قاله البيجوري. وفي الشمائل للترمذي عن أبي بردة عن أبيه أي أبي موسى الأشعري، قال أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض روح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، في هذين، وملبد بصغة اسم المفعول والملبد المرقع وقيل الذي ثخن صدره حتى صار كاللبد، والكساء ما يستتر أعلى البدن، ضد الإزار، وقوله فقالت قبض أرادت أتهما كانا لباسه وقت مفارقتة للدنيا، صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما قيهما من الرثاثة والخشونة فلم يكثرث عليه السلام بمتاعها الفاني مع أن ذلك كان بعد فتح الفتوح، وكمال سلطان الإسلام، ويؤخذ منه أنه ينبغي للإنسان أن يجعل آخر عمره محلا لترك الزينة قاله البيجوري. وفي المواهب عن عون بن أبي جحيفة قال رأيت النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم

وعليه حلة حمراء كأني انظر إلى بريق ساقيه، قال سفيان إزاره حبرة والبريق اللمعان، وقال في القاموس الحلة بالضم إزار ورداء ولا تكون إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة، وقال ابن القيم وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود انتهى المراد منها. وفي الزرقاني البحت بفتح الموحدة وسكون المهملة فمثناة فوقية الخالص وفي المصباح الحلة لا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد. وفي الفتح قال أبو عبيد الحل برود اليمن والحلة إزار ورداء ونقله ابن الأثير وزاد إذا كان من جنس واحد اهـ المراد.

وعن أنس كان أحب الثياب إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يلبسه الحبرة والحبرة بزنة عنبة ضرب من برود القطن اليمانية سميت حبرة لأنها تحبر أي تزين والتحبير التحسين. وقال ابن بطال كانت أشرف الثياب عندهم وجمع بين هذا وحديث الشمائل المتقدم بأن حبه للقميص حين يكون عند نسائه وللحبرة حين يكون عند صحبه لأن عادة العرب الإئتزار والارتداء وبأنه كان يتخذ القميص من الحبرة انظر الزرقاني.

وعن عائشة خرج رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذات ضحوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود رواه مسلم والمرط بكسر الميم وإسكان الراء كساء من صوف أو خز، يؤتزر به، والمرحل بتشديد الحاء المهملة كمعظم هو الذي فيه صور الرجال، قال النووي الذي رواه الجمهور، وضبطه المتقنون بالحاء المهملة، أي على صور رجال الإبل ولا بأس بهذه الصور، وإنما يحرم تصوير الحيوان التام الخلق، وفي القاموس برد مرحل كمعظم، أي بالجيم فيه صور الرجال، انظر المواهب وشرحها، انظر الزرقاني، وزعم أنه جعله على رأسه يرد بأنه ليس في الحديث ما يدل عليه، وبأنهم أطبقوا على أنه كساء يؤتزر به، قاله قبل هذا اهـ.

(وثياب أربعة) مراده أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان له مع ما تقدم من الثياب أربعة أثواب أخر، ولم يبين الناظم أسماءها ولا صفتها،

والذي تقدم قميصان ورداءان وهما الكساءان في كلامه وجبتان وإزر، وفي الشمائل عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، خرج وهو يتكئ على أسامة بن زيد عليه ثوب قطري قد توشح به، والقطري بكسر القاف وسكون الطاء بعدها راء ثم ياء نسب، نسبة إلى القطر، وهو نوع من البرد اليمينية يتخذ من قطن وفيه حمرة وأعلام مع خشونته أو نوع من حلل جياذ تحمل من بلد بالبحرين اسمها قطن بالتحريك فكسرت القاف وسكنت الطاء على خلاف القياس. وقوله توشح به أي وضعه فوق عاتقه أو خالف بين طرفيه وربطهما بعنقه انتهى من البيجوري.

فائدتان:

الأولى اعلم أنه قد صح شراءه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل، فقد روى أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان أنه اشتراه وفي الهدي والظاهر أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إنما اشتراه ليلبسه، قال الحافظ وما كان ليشتريه عبثا وإن كان غالب لبسه الإزار وفي حديث ضعيف أنه لبسه وكانوا يلبسونه في زمانه وبإذنه، وهو فارسي معرب يذكر ويؤنث ولم يعرف أبو حاتم التذكير وقيل جمع سروال أو سروالة أو سرويل بكسرهن والسراويل بالنون لغة في السراويل انظر الزرقاني.

الثانية روى الطبراني مرفوعا أزرة المؤمن إلي أنصاف ساقيه وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار والأزرة بالكسر الحالة وهيئة الانتزار قاله القسطلاني. الزرقاني هذا أصوب في ضبط الحديث وإن ضمها الأكثر. وعن ابن عمر أنه عليه السلام قال الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئا من ذلك خيالا لم ينظر الله إليه يوم القيامة، رواه أصحاب السنن إلا الترمذي قاله القسطلاني، وقال إنما ورد من هذا الإطلاق يعني وما أسفل من ذلك ففي النار ونحوه محمول على أنه من قبل الخيلاء. قال الزرقاني ونص

الشافعي على ان التحريم مخصوص بالخيلاء فإن لم يكن لها كره. وفي البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة. والخيلاء بكسر الخاء وضمها الكبير، والجمة بضم الجيم وشد الميم الشعر المتدلي إلى المنكبين أو إلى أكثر وترجيل الشعر تسريحه ودهنه، ومرجل بكسر الجيم ويتجلجل بجيمين مفتوحتين ولا مين أي يسوخ والرجل المذكور جزم غير واحد أنه قارون وعن قتادة أنه يخسف به كل يوم قامه، وعن بعضهم أن الرجل اعرابي من فارس، وإعجاب المرء بنفسه ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبير، نقله الزرقاني.

(ثم العمامة السحاب)

يعني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له عمامة يعتم بها يقال لها السحاب فوهبها لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كما أشار له بقوله (أعني) أي بالعمامة التي تسمى بالسحاب، العمامة (التي وهبها) المصطفي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي أعطاها (عليها) بن أبي طالب، (فلا تكن بعلمها) أي معرفتها (غيبيا) أي بليدا لا معرفة عندك، قال في العيون وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة يعتم بها يقال لها السحاب وهبها لعلي وعمامة سوداء انتهى. وقال الزرقاني بعد قول المواهب: وعمامة اسمها السحاب وأخرى سوداء ما نصه دخل بها يوم الفتح مكة كما في حديث جابر عند الترمذي وكانت فوق المغفر أو تحته وقاية من صدء الحديد فلا يخالف حديث أنس في الصحيحين أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر.

(ثم قلانس صفار لاطيه وهي ثلاث فساغتنم بيانيه)

القلنسوة بفتح القاف وضم السين والقلنسية بضم القاف وكسر السين تلبس في الرأس جمعها قلانس وقلانيس وقلنس قاله في القاموس،

ويقال قلنساة بإبدال الواو ألفا وهي غشاء مبطن يستتر به الرأس أبيض أو أسود أو غيرهما من جلد أو غيره، قال العسكري هي التي تغطي بها العمائم وتستتر من الشمس والمطر، انظر الزرقاني. ولاطية بالياء مسهل من الهمز اسم فاعل من لطئ كمنع وفرح إذا لصق والهاء في قوله بيانية للسكت يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له ثلاث قلانس صغار لاطية أي لاصقة برأسه الشريف، قال في المواهب وكان له عليه الصلاة والسلام عمامة تسمى السحاب ويلبس تحت القلانس اللاطية وقوله تسمى السحاب أي وعمائم أخر واللاطئة اللاصقة، قال في المصباح لطئ بالأرض يلطؤ مهموز مثل لصق وزنا ومعنى، قاله الزرقاني. وفي القاموس لطئ بالأرض كمنع وفرح لصق لطنًا ولطوء انتهى.

(والمشط من عاج له) والمشط مبتدأ وخبره له ومن عاج حال أي والمشط له عليه السلام حال كونه من عاج والعاج هو الذبل كما في المواهب قال المحقق الزرقاني والعاج هو ظهر السلحفاة البحرية كما في المصباح قائلًا وعليه يحمل أنه كان لفاطمة سوار من عاج ولا يجوز حمله على أنياب الفيلة، لأن أنيابها ميتة بخلاف السلحفاة انتهى.

وعليه يحمل المشط النبوي بالأولى ومن ثم قال المصنف يعني القسطلاني وهو الذبل بفتح المعجمة وإسكان الموحدة وباللام قال المصباح شيء كالعاج وفي القاموس عظام دابة بحرية تتخذ منها الأسورة والأمشاط انتهى كلام الزرقاني. وفيه أن المشط بضم الميم مع إسكان الشين وضمها وبكسر الميم مع إسكان الشين ويقال ممشط بميمين أو لاهما مكسورة انتهى.

(والمكحلة) هي هنا الكحل نفسه لا وعاءه ففي المناوي بعد قول العراقي والمكحلة ما نصه: يكتحل منها عند النوم، والكحل بضم الكاف وكحل عينه كنصر كما في المناوي أيضا.

وقال في المواهب وكان له ربة أسكندرانية يجعل فيها المرءة ومشطا من عاج وهو الذبل والمكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا في كل عين وكان

له في الاربعة المقراض والسواك وهذه الاربعة أهدها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية انتهى المراد منها. والربعة بفتح الراء وسكون الموحدة فعين مهملة كحونة العطار بإسكان الواو وربما همزت وهي جلد يجعل في العطار الطيب وأسكندرانبة منسوبة إلي الاسكندرية وهذه الربعة يجعل فيها هذه المذكورات انظر الزرقاني. وفي العراقية:

كانت له أربعة أي مربعه كجونة يجعل فيها أمتعته
سواكه ومشطه والمكحله كذلك المرأة والمقراض له
والجونة بضم الجيم ما يجعل فيه الطيب. وقوله امتعه أي امتعته وتلك
الامتعة هي سواكه ومشطه إلخ.. وكانت هذه الأشياء لا تفارقه في
السفر قاله المناوي.

(مرآته المقراض والسواك له)، مرآته معطوف بحرف محذوف وكذلك
المقراض والمرأة بالكسر هي التي كان ينظر فيها فلم تبد أوسم من
وجهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمقراض بكسر الميم وجمعه
مقاريض وكان مقراضه يسمى الجامع كما في المناوي عن الطبراني،
والسواك بكسر السين على الأفصح كما قاله الحافظ وهو هنا الآلة،
ويطلق على الفعل أيضا، وقد مر قريبا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يجعل سواكه في ربعة كجونة العطار، وفي البخاري من حديث أبي
موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته
يسنن بسواك بيده، ويقول أع أع والسواك في فيه كأنه يتهوع وفي
البخاري أيضا عن حذيفة كان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قام
من الليل يشوص فاه بالسواك وقوله يستن بفتح أوله وسكون المهملة
وفتح المثناة الفوقية وتشديد النون يستاك إما لأن السواك يمر على
الأسنان أو لأنه يسنها أي يحدها وأع بضم الهمزة وسكون المهملة كذا
في رواية أبي ذر، وأشار ابن التين إلى ان غيره رواه بفتح الهمزة،
ورواه ابن خزيمة والنسائي بتقديم العين على الهمزة، ولأبي داود
بهمزة مكسورة ثم هاء والرواية الأولى أشهر، وإنما اختلفت الروايات

لتقارب مخارج هذه الأحرف، وكلها راجعة إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه الداخلي كما عند أحمد يستن إلى فوق ولذا قال كأنه يتهوع والتهوع التقى أي له صوت كصوت المتهوع علي سبيل المبالغة، ويستفاد منه مشروعية السواك، على اللسان طولاً أما الأسنان فالأحب فيها أن يكون عرضاً وفيه حديث مرسل عند أبي داود وله شاهد موصول عند العقيلي في الضعفاء، وفيه ان السواك من باب التطيب لا من باب إزالة القاذورات لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يختلف به وبوبوا عليه باستياك الإمام بحضرة رعيته، ويشوص بضم المعجمة وسكون الواو بعدها مهملة والشوص بالفتح الغسل والتنقية كذا في المحكم الخطابي هو ذلك الأسنان بالسواك أو بالأصابع قاله الحافظ في فتح الباري، وروى مسلم وأبو داود والنسائي عن عائشة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك قاله في المواهب، وفي الزرقاني عقبه ما نصه لأجل السلام على أهله إذ السلام اسم شريف وليطيب فمه الطيب لتقبيل أهله زيادة في حسن العشرة وتعليم الأمة لا لتغيير فمه كما زعم لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم المنزه المبرء عن أن يلحقه شيء من ذلك انتهى المراد منه.

(ثم فراش آدم قد حشياً بالليف)

الفراش بكسر الفاء بمعنى المفروش وجمعه فرش ككتاب وكتب، ويقال له أيضاً فرش من باب التسمية بالمصدر، قاله البيجوري والزرقاني، ومعنى كلامه أنه عليه السلام كان له فراش من آدم بفتححتين أي مصنوعاً منه وحشو ذلك الفراش ليف بكسر اللام أي ليف النخل، وفي الشمائل للترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إنما كان فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ينام عليه من آدم، حشوه ليف. وفي رواية حشوه من ليف، انتهى.

قوله الذي ينام عليه أي في بيته كما يدل عليه الخبر الآتي واحترزت بالذي ينام عليه من الذي يجلس عليه، وقوله من آدم بفتححتين جمع آدم

وهو الجلد المدبوغ أو الأحمر، أو مطلق الجلد، وقوله حشوه ليف أي محشوة من ليف النخل، كما هو الغالب عندهم، ويؤخذ منه أن النوم على الفراش المحشو لا ينافي الزهد، نعم لا ينبغي المبالغة في حشوه لأنه سبب لكثرة النوم، كما يعلم من الخبر الآتي، قاله البيجوري.

وقال جسوس من آدم بفتحتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو الأحمر أو مطلق الجلد وضمير حشوه للفراش والليف هو الذي يخرج في أصول سعف النخل لأول خروجها تحشى به الوسائد والفرش ويفتل منه الحبال، انتهى المراد منه.

وذكر في المواهب هذا الحديث ونسبه للشيخين. قال الزرقاني بعد قولها: الذي ينام عليه، قيد به لأن الفراش قد يكون للجالس، والمراد عندها في غالب أحواله فلا ينافي أنه نام على قطيفة، ولا ما رواه الترمذي عن حفصة كان فراشه مسحاً وأدماً بفتحتين جمع أدمة أو أديم وحشوه بالفتح انتهى المراد منه.

وفي المناوي فراشه من آدم أي بفتحتين جمع أدمة أو أديم، قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه اقتصر هؤلاء السادة على أن الأدم بفتحتين لكونه هو الرواية والله تعالى أعلم، وفي القاموس أنه بضممتين جمع أديم وبالتحريك اسم للجمع انتهى.

وفي الشمائيل أيضاً عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين قال، أي محمد، سألت عائشة ما كان فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتك؟ قالت من آدم حشوه من ليف. وسألت حفصة ما كان فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتك؟ قالت مسحاً يثنيه ثنيتين فينام عليه.

فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة؟ قالت قلنا هو فراشك إلا أننا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا هو أوطأ لك. قال ردوه لحالته الأولى فإنه منعطني وطأته صلاتي الليلة.

قوله مسحاً بكسر الميم وسكون السين قال ابن حجر ثوب خشن من

صوف، وقال في المحكم كساء من شعر يلبسه الزهاد، والرهبان وقوله
ثنيناه من باب ضرب، يقال ثناه إذا عطفه ورد بعضه على بعض،
وثنيتين بكسر المثلثة تثنية ثنية كسدره، وفي رواية بحذف الفوقية
وكسر المثلثة أيضا، تثنية ثني كحمل، وذات بالرفع فاعل كان تامة
ويروى بالنصب على الظرفية والفاعل ضمير يعود على الوقت وعلى
الروايتين فلفظ ذات مفخم، وقلت أي في نفسي أو لبعض خدمي وأوطأ
أي ألين من وطأ الفراش كحسن، وقوله فإنه أي الشأن ووطأته بفتح
فسكون فهمزة أي لينه فنعني تهجدي، انتهى ملخصا من جسوس
والبيجوري.

فائدتان:

الأولى روى مسلم وغيره أنه عليه السلام قال فراش للرجل وفراش
لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان.

قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال
والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم، وكل مذموم
يضاف للشيطان لأنه يرتضيه ويحسنه، وقيل انه علي ظاهره وأنه إذا
كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، وأما تعداد الفراش
للزوج والزوجة فلا بأس به لأنه قد يحتاج كل منهما إلي فراش عند
المرض ونحوه قاله القسطلاني.

وقوله فراش مبتدأ ومخصصه محذوف أي واحد، قال القرطبي بين به
غاية ما يجوز للإنسان أن يتوسع فيه من الفرش لا أن الأفضل أن يكون
له فراش يختص به وامرأته فراش، فقد كان، صلى الله تعالى عليه
وسلم، ليس له إلا فراش واحد، وأما فراش الضيف فيتعين للمضيف
اعداده لأنه من إكرامه ولأنه لا يتأتى له شرعا الاضجاع ولا النوم معه
وأهله على فراش واحد انتهى من الزرقاني.

وقال جسوس في شرح الشمائل وهل الأولى أن يكون لكل واحد من
الزوجين فراش وهو الذي ذكره في الإكمال قائلا لأنه أصلح للجسم وأقل

لاستدعاء الموافقة وتحريك الشهوة أو الأفضل اجتماعهما في فراش واحد، وهو الذي ذكره النووي قائلًا لأنه الذي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل، مع ملازمته قيام الليل، فإذا أراد القيام قام وتركها لا سيما إن علم من حال المرأة الحرص على المباشرة، فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب ونقل الخطاب عن البرزلي أنه يندب مبيته معها في فراش لما يدخل عليها من المسرة، إلا أن يكون لقصد عدم الوطأ لما يدخل عليه من الضرر في جسمه أو تكون هي مائلة إلي الكبر قمبيته معها مما يضر بدنه.

الثانية: روى البيهقي وغيره عن عائشة قالت دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قطيفة وفي رواية عباءة مثنية فبعثت إلي بفراش حشوه الصوف، فدخل علي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما هذا يا عائشة؟ قلت فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلي بهذا. فقال رديه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة. انتهى. فاتخاذي لهذا ليس عجزا عن غيره، بل اختيارا لعدم الترفه المشعر بالمباهاة وحظ النفس.

وعن ابن مسعود نام رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، على حصير فقام وقد أثر في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك؟ قلت كسرى وقيصر على الخز والديباج وأنت نائم على هذا الحصير يا رسول الله! بأبي أنت وأمي لو كنت أذنتنا ففرشنا لك شيئا يقيك منه. فقال ما لي والدنيا. ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها. وروى الحاكم عن عمر قال دخلت عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، في مشربة وإنه لمضطجع على خصفة وإن بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وأن فوق رأسه لاهاب عطين وفي ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه وجلست، فقلت أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر علي سرر الذهب وفرش الحرير والديباج؟ فقال أولئك عجلت لهم طيباتهم في الدنيا وهي وشيكة الإنقطاع وإنا قوم ادخرت لنا

طيباتنا في آخرتنا.

والمشرفة بفتح الميم وسكون المعجمة وضم الراء وفتحها، غرفة يرقى عليها، والخصفة بفتحات وعاء من خوص، وفي رواية فإذا هو مضطجع على رمال حصير بكسر الراء وتضم أي سرير مرمول بما يرمل به الحصير أي ينسج ورمال الحصير ضلوعه المتداخلة فيه كالخيوط في الثوب والوسادة المخدة، وقوله لإهاب بالنصب اسم إن، وكتب بحذف الألف على لغة ربيعة وكثير من المحدثين يكتبون المنصوب بصورة المرفوع اكتفاء بالنطق به منصوبا، وعطين أي متغيرا منتنا، والقرظ محركة ورق المسلم الذي يدبغ به.

وروي أنه عليه السلام ما عاب مضطجعا قط ان فرش له اضطجع وإلا اضطجع علي الأرض. انتهى من المواهب وشرحها.

(ثم قدحان فعيا) الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة وهو أمر من وعاء إذا حفظه وثم للترتيب الذكري، أي ثم بعد ما مر أذكر أن له عليه السلام قدحين تثنية قدح بالتحريك وهو إناء بين لا صغير ولا كبير وربما وصف بأحدهما وجمعه أقداح كسبب وأسباب، (فواحد) مبتدأ وصفته محذوفة أي منهما (بفضة) متعلقة بقوله (مضبيب) بصيغة اسم المفعول وهو خبر المبتدأ ومعنى مضبيب مشدود بضباب ثلاث من فضة. روى البخاري أن قدح المصطفى انكسر فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة قاله المناوي. وقال جسوس ثبت في الصحيح أن قدح النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان عند أنس قدح جيد عريض أي طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وخفة المعجمة ومعناه العود الخالص وقال بعض أرباب السير أصله من النبع بفتح النون وسكون الموحدة وقيل كان من الإثل يميل إلي الصفرة. وفي الصحيح أيضا أنه انصدع فسلسل بفضة انتهى المراد منه.

(والتور من حجارة ومخضب)

قال المناوي وكان توره الذي يتوضأ منه من حجارة والتور إناء كبير

يتطهر منه وقال الناظم ومخضب عطف على التور فهو من حجارة أيضا والله تعالى أعلم.

وفي البخاري باب الغسل والوضوء في المخضب والقدر والخشب والحجارة ثم ساق حديث أنس: أوتي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمخضب من حجارة فيه ماء، فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم، قلنا كم كنتم؟ قال ثمانين وزيادة، قال الحافظ في شرحه هو بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة بعدها موحدة والمشهور أنه الإناء الذي تغسل فيه الثياب من أي جنس كان وقد يطلق على الإناء صغر أو كبر، والقدر أكثر ما يكون من الخشب مع ضيق فمه وعطف الخشب والحجارة على المخضب والقدر ليس من عطف العام على الخاص بل بين هاذين وهاذين عموم وخصوص من وجه، وقال في شرح باب الوضوء من التور، التور بفتح المثناة شبه الطست وقيل هو الطست انتهى. وفي القاموس التور إناء يشرب فيه. انتهى.

ويصح أن يكون قول الناظم ومخضب عطف تفسير ويكون أشار إلى أن ذلك التور بعينه يقال له المخضب ففي عيون الأثر وكان له قدر يسمى الريان، وآخر مضرب يقدر بأكثر من نصف المد فيه ثلاث ضباب من فضة، وحلقة وكان له تور من حجارة يقال له المخضب يتوضأ فيه وكان له مخضب من شبه تكون فيه الحناء وركوة تسمى الصادرة ومغتسل من صفر انتهى.

وفي القاموس الشبه والشبهان محركتين النحاس الأصفر انتهى. قال هذا الشارح: والحاصل من كلامه أن المخضب هنا يصح أن يكون عطف تفسير قصد به بيان أن التور الذي يتوضأ فيه يسمى المخضب، ويصح أن يراد به إناء الحناء فيكون عطفا على التور مفايرا له وهو الأصل في العطف، ويكون وصفه محذوفا أي وكان له مخضب من شبه أي من نحاس، أصفر وهذان الاحتمالان يؤخذان من كلام العيون المتقدم. ويصح أن يريد بالمخضب الإناء الذي تغسل فيه الثياب كما مر عن ابن حجر أنه هو المشهور في تفسير المخضب والله تعالى أعلم.

(ومن زجاج قدح) يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان له قدح من الزجاج، قال الشيخ أبو حيان بعثه إليه النجاشي وروى البزار وابن ماجه عن ابن عباس أهدى المقوقس للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه وآخر من فخر وروى ابن مندة عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده رأيت المصطفي أخرج شيئا من فخر انتهى من المناوي. وللعراقي:

أقداحه الريان والمغيث وأخر مضرب يغيث
 به إذا مسهم من حاج وقدح آخر من زجاج
 وقدح تحت السرير عيدان يقضي به حاجته في الأحيان
 مركنه من شبيهه وتوره حجارة من ناله يميّره
 والريان بفتح الراء وشد التحتية والمغيث بضم الميم فغين معجمة آخره
 مثناة ومضرب فيه ثلاث ضباب من فضة وحلق يعلق بها وقوله يغيث
 به أي وكان له قدح آخر مضرب بفضة وكان يغيثهم به إذا مستهم حاجة
 فيشربون منه فيشفون رواه أبو يعلى وغيره. فمن زائدة كما في
 المناوي والعيدان بفتح أوله وكسره كما نقله قاضي القضاة السعد
 الحنبلي وكان يجعله تحت سريره يبول فيه في الأحيان ليلا رواه أبو
 داود والنسائي وقوله مركنه أي مخضبه، من شبه وهو ضرب من
 النحاس وكان له مغتسل من صقر انتهى من المناوي. والمركن كمنبر
 وآخره نون كما في القاموس. وفي شمائل الترمذي من رواية ثابت قال
 أخرج إلينا أنس بن مالك قدحا غليظا مضربا بحديد فقال يا ثابت هذا
 قدح رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه أن أنسا قال لقد
 سقيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا القدح الشراب كله:
 الماء والنبيد والعسل واللبن. وقوله مضربا أي مشدودا بضباب من
 حديد جمع ضبة بالضم وهي حديدة تجمع بها الخشب وتمنعها من التفرق
 وقوله هذا قدح رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إشارة إلي كمال
 تواضعه. قال البيجوري المشار إليه هو القدح بحالته التي هو عليها
 فالمتبادر من ذلك أن التضبيب كان في زمنه، صلى الله تعالى عليه

وسلم وتجويز كون التضييب من فعل أنس حفظا للقدح غير مرضي واشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانية آلاف درهم. وعن البخاري أنه رآه بالبصرة وشرب منه كذا في شرح المناوي. والذي في شرح القاري أن الذي أشتري من ميراث النضر وشرب منه البخاري كان مضيبا بفضة ويمكن الجمع بأنه كان مضيبا بكل من الفضة والحديد. والنبذ ماء حلو يجعل فيه تمرات ليحلو وكان ينبذ له، صلى الله تعالى عليه وسلم، أول الليل ويشرب منه إذا أصبح يومه ذلك، وليلته التي يجيئ والغد إلى العصر فإن بقي منه سقاه الخادم إن لم يخف منه اسكارا وإلا أمر بصبه وهو له نفع عظيم في زيادة القوة انتهى كلامه.

وقال جسوس في قوله لقد سقيت يقال سقى وأسقى وكل منهما يستعمل في الخير وضده. {وسقاهم ربهم شرابا طهورا} {وسقوا ماء حميما} {وأسقيناكم ماء فراتا} {لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه} خلافا لابن حجر لقوله سقى للخير وأسقى للضد انتهى وقال لعله إنما سقاه الخادم لما حدث فيه من الرائحة التي تكره وقوله العسل أي ماء العسل لأنه يلحس ولا يشرب انتهى منه.

(ومغتسل له من الصفر) أي وكان له عليه السلام إناء من الصفر يغتسل فيه والصفر بالضم من النحاس وصانعه الصفار والذهب والخالي ويثلاث وككتف قاله في القاموس (وقصعة تمل) الظاهر أنه بضم الفوقية وكسر الميم ومفعوله محذوف أي الأكلين يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له قصعة تسمى الغراء وكانت كبيرة جدا تمل الأكلين منها أي تشبعهم حتى يملوا من الأكل لعظمها وبركتها والله تعالى أعلم.

وللحافظ العراقي:

ركوته كانت تسمى الصادرة قصعته الغراء ليست قاصره قال الإمام المناوي سميت الصادرة لأنه يصدر عنها بالري رواه أبو الشيخ وكانت قصعته تسمى الغراء ليست قاصرة أي ليست قليلة السعة بل كانت كبيرة جدا لا يحملها إلا أربعة رجال رواه أحمد وأبو

داوود ورواه أيضا أبو الشيخ وكانت له حفنة لها أربع حلق انتهى.
والركوة بالتثليث.

(والصاع والسريير ثم المد)

يعني أن هذه الثلاثة كانت له عليه السلام. أما الصاع فأعده لإخراج زكاة الفطر كما قاله العراقي. قال في القاموس الصاع والصواع بالكسر والضم الذي يكال به، وتدور عليه أحكام المسلمين أو الصاع غير الصواع ويؤنث وهو أربعة أمداد معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، انتهى بحذف. وأما السريير فكان، صلى الله تعالى عليه وسلم، ينام عليه، وعن عائشة رضي الله عنها كان لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، سريير مرمّل بالبردي وعليه كساء أسود قد حشونه بالبرد فدخل أبو بكر وعمر عليه فإذا النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، نائم عليه، فلما رءاهما استوى جالسا فنظرا فإذا أثر السريير في جنب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالا يا رسول الله ما يؤذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وأهل كسرى وقيصر علي فرش الديباج والحرير؟ فقال عليه السلام لا تقولوا هذا، فإن فراش كسرى وقيصر في النار وإن فراشي هذا عاقبته إلي الجنة. رواه ابن حبان في صحيحه قاله القسطلاني. ومرمّل بضم الميم وفتح الراء وشد الميم والبردي بفتح فسكون نبات يعمل منه الحصر، المعنى أن قوائم السريير موصولة مغطاة بما نسج من ذلك النبات وقوله ما يؤذيك بحذف الإستفهام انظر الزرقاني.

وروى البلاذري عن عائشة قالت كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إليها من السريير تنام عليه فلما قدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ونزل منزل أبي أيوب قال ما لكم سريير؟ قال لا. فبلغ ذلك أسعد بن زرارة فبعث إليه بسريير له عمود وقوائمه ساج فكان ينام عليه حتى تحول إلي منزلي فكان فيه فوهبه لي فكان ينام عليه حتى

توفى وصلي عليه وهو فوقه، فطلبته الناس يحملون عليه موتاهم فحمل عليه أبو بكر وعمر والناس طلبا لبركته ثم اشترى ألواح عبد الله بن إسحاق، مولى معاوية بأربعة آلاف درهم ذكره ابن حماد وأنه بيع في ميراث عائشة رضي الله عنها قاله المناوي وفي الفتوحات السنية. وللعراقي:

كان له سرير أهده له أسعد وهو ساج استعمله
موشح بالليف ثم وضعا عليه لما مات ثم رفعوا
عليه أيضا بعده الصديق كذا أيضا عمر الفاروق
وأسعد هو ابن زرارة كما مر وقوله وهو ساج أي قوائمه من ساج قاله
المناوي. والساج شجر وأما المد فمكيال معروف وهو بالضم وهو رطل
وثلاث أو ملاء كفي الإنسان المعتدل مع مدهما وبه سمي مدا قال في
القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا انتهى.
وفي البخاري أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفتسل بالصاع
ويتوضأ بالمد والصاع أربعة أمداد ومعنى يفتسل بالصاع ويتوضأ بالمد
بملئه كما في الفتح والحافظ العراقي:

كان له صاع لأهل الفطرة وقعبه كان اسمه بالسعة
وقوله لأجل أي لإخراجها وقوله وقعبه إلخ.. أي وكان له قعب من
صفر يسمى السعة، انتهى من المناوي. وفي القاموس القعب القدح
الضخم أو يروي الرجل.

(وخاتم من فضة يعد)

أي وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم من فضة وقوله يعد معناه
معدود مع ما مر مما يتصل به صلى الله تعالى عليه وسلم من لباس
وغيره. والخاتم بفتح التاء وكسرهما. قال ابن حجر ويقال فيه خيتام
وخاتام وخيتوم والمراد به هنا الحلقة من الفضة التي كان يلبسها صلى
الله تعالى عليه وسلم وفي القاموس الخاتم حلي للأصبع، كالخاتم والخاتام

والخاتيام والخيتام والختم محركة والخيتام انتهى المراد منه. وقال المناوي أشهر لغاته كسر التاء وأوصلها بعضهم إلي عشر، قال ابن عدي والخاتم عادة في الأمم الماضية وسنة في الإسلام قائمة وما زال الناس خلفا وسلفا يتخذونها من غير نكير انتهى.

وفي المواهب وتحصل السنة بلبس الخاتم ولو مستعارا أو مستاجرا، لكن الأوفق للسنة الملك، والاستدامة على ذلك، ويجوز تعداد الخواتم اتخاذا وأما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي، عدم الجواز وبه صرح المحب الطبري. وعن الخوارزمي أنه يجوز أن يلبس زوجا في يد، وفردا في الأخرى. ثم قال القسطلاني والذي يظهر كلام المحب الطبري، انتهى المراد منها.

والخوارزمي بضم الخاء المعجمة وكسر الراء وسكون الزاي وقول الطبري هو مذهب مالك ولو كان وزن المتعدد درهمين قاله الزرقاني وقال جسوس في شرح شمائل الترمذي: اعلم ان اتخاذ خاتم الفضة مستحب ولو لم يحتج إليه للختم، وقوله يكره إلا لذي سلطان لحديث في ذلك كالقاضي لأنه يحتاج إليه للختم به لكن قال ابن عرفة هذا إذا اتخذ للسنة وأما اليوم فلا يفعله إلا من لا خلاق له، ويقصد به غرض سوء، فأرى أن لا يباح لمثل هؤلاء، انتهى.

وعلي هذا فإذا صار شعار السفلة، ومن لا خلاق له من أهل المجون والفسقة لم يجز لأن صيانة العرض بترك سنة واجب. وفي المعيار عن عز الدين لا يجوز ترك السنة بمشاركة مبتدع فيها، وما زال العالمون والصالحون يقيمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين، ولو ساغ ذلك لترك الأذان والإقامة، والسنن الرواتب، انتهى.

وهذا عند التأمل غير ما منعه ابن عرفة لأنه لا يلزم من منع ما صار من شعار من لا خلاق له ومنع ما فيه مطلق المشاركة فقط، وقال الأبي لو اختص أهل الفسق والظلم بشيء مما أصلته السنة كالخاتم والخضاب فينبغي لأهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم، انتهى كلام جسوس. وفي الشمائل عن ابن عمر اتخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاتما

من فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفيه عن أنس لما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب إلى العجم، قيل له أن العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم، فاصنع خاتما، انتهى.

وفي الزرقاني وكان اتخذه سنة سبع كما جزم به ابن سيد الناس، وجزم غيره بأنه في السادسة، وجمع الحافظ بأنه كان في أواخر السادسة، وأول السابعة لأنه إنما اتخذه لما أراد المكاتبه للملوك في مدة الهدنة مع قريش، وكانت في ذي القعدة سنة ست ورجع إلى المدينة في ذي الحجة ووجه رسله للملوك في المحرم فاتخذه قبل توجيه الرسل وكان صانع الخاتم يعلي ابن منيه بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية وهو اسم أمه واسم أمه أبيعة. روى الدارقطني عنه قال أنا صنعت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاتما لم يشركني فيه أحد، نقش فيه محمد رسول الله انتهى.

والحافظ العراقي:

خاتمه من فضة وفصه	منه ونقشه عليه نصه
محمد سطر رسول سطر	الله سطر ليس فيه كبر
وفصه لباطن يختم به	وقال لا ينقش عليه يشتهبه
يلبسه كما روى البخاري	في خنصر يمين أو يسار
كلاهما في مسلم ويجمع	بأن ذا في حـالتين يقع
وخاتمين كل واحد بيد	كما بفص حبشي قد ورد
والفص بتثليث أوله وهو هنا ما ينقش فيه اسم صاحبه ومن في قوله	
منه تبعية والضمير للخاتم أي فصه بعضه، روى أبو داود عن أنس:	
كان خاتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فضة كله وفصه منه ولا	
ينافيه ما في مسلم عن أنس أيضا أنه كان من ورق وكان فصه حبشيا	
لأن المراد أن صائغه حبشي أو مصنوع كصنع الحبشة أو إن له خاتمين	
أحدهما فصه حبشي والآخر فصه منه، كما سيذكره الناظم، ونقشه بفتح	
النون وسكون القاف وضم الشين، ونص الشيء ذكره، على الهيئة التي	
ورد عليها أي وهيأته التي كان منقوشا عليها ما ورد أنه كان فيه ثلاثة	

أسطر. وكبر بكسر الكاف وسكون الموحدة أي ليس فيه ما يدل على تكبر وظاهر البخاري وغيره أن السطر الأول محمد وهذا الترتيب قد جاء في التنزيل، وقول الاستوى في حفظي أنها تقرأ من أسفل ليكون اسم الله فوق، رد بأنه لا وجود له في شيء من الأحاديث، وقوله وفصه لباطن أي باطن كفه وحكمته أن ذلك كما قال الناظم أبعد من العجب، وأحفظ للنقش، قال المناوي فجعله كذلك أفضل اقتداء به وقولهم يختم به إذا أرسل إلي ملوك العجم وغيرهم، وقوله وقال لا ينقش إلخ. بالبناء للمفعول أي لا ينقش عليه أحد من الناس لئلا يشتبه نقش خاتمه بخاتم غيره ففي مسلم لا ينقش أحدكم على نقش خاتمي ويلبسه بفتح الموحدة، وخنصر بالخاء والصاد والتنوين انتهى من المناوي.

وقال جسوس ظاهره أن الكتابة لم تكن على السياق العادي فإن ضرورة الختم تقتضي أن تكون الأحرف منقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا، وعن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة وتنطبع كتابة مستقيمة انتهى.

وروى الترميذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه، قال البيجوري، أي فكان يختم به الكتب التي يرسلها للملوك ولا يلبسه في يده، ويجمع بينه وبين الأخبار الدالة على أنه كان يلبسه بأن له خاتمين أحدهما منقوش بصدد الختم به ولا يلبسه والثاني كان يلبسه ليقترن به أو أنه لا يلبسه دائما بل غبا، ثم قال البيجوري بعد هذا قال ابن جماعة ونقش الخواتم ان لم تكن كتابة بل لمجرد التحسين، فمقصد مباح، إذا لم يقارنه ما يحرمه، كنقش نحو صورة كبش وإن كان كتابة، فتارة النقش من الحكم ما يذكر الموت كما روي أن نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظا وتارة ينقش اسم صاحبه كما هنا. انتهى.

فوائد:

الأولى أخذ من إثارة النبي صلى الله عليه السلام الفضة كراهة التختم بنحو حديد أو نحاس وروي أنه عليه السلام رأى بيد رجل خاتما من

صفر، فقال ما لي أجد منك ريح الأصنام، فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال مالي أرى عليك حلية أهل النار.
وروى أنه عليه السلام أمر أن يعمل له خاتم من حديد فجعله في أصبعه فأتاه جبريل فقال انبذه من أصبعك فنبذه فأمر بخاتم يصاغ له فعمل له خاتم من نحاس فجعله في أصبعه فقال له جبريل أنبذه، فنبذه وأمر بخاتم يصاغ له من ورق فجعله في أصبعه فأقره جبريل الحديث لكن اختار النووي أنه لا يكره، لخبر الشيخين التمس ولو خاتما من حديد نقله البيجوري.

الثانية كان خاتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده في يد أبي بكر، ثم في يد عمر مدة خلافتهما ثم كان في يد عثمان ست سنين من خلافته حتى وقع من عثمان كما في البخاري في بئر أريس بهمزة مفتوحة فراء مكسورة فتحشية ساكنة فسين مهملة حديقة قرب مسجد قباء.
قال القسطلاني لا تصرف، وقال الكرمانى الأصح الصرف. وفي رواية لمسلم أنه سقط من معيقيب في بئر أريس وعليه فتكون نسبة سقوطه إلى عثمان مجازية ويكون معناه في يد في تصرف، وفي الصحيح عن أنس: كان خاتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعد أبي بكر فلما كان عثمان جلس في بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده قال الحافظ وغيره كان ذلك في السنة السابعة من خلافته ومن يومئذ انتقض أمر عثمان وخرج عليه الخوارج قال ابن بطلال يؤخذ منه أن قليل المال إذا ضاع يجب البحث في طلبه والاجتهاد في تفتيشه. قال الحافظ فيه نظر فإن فعل عثمان لا حجة فيه لأن الظاهر أنه إنما بالغ في التفتيش عليه لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم قد لبسه، وختم به ومثل ذلك يساوي قدرا عظيما من المال ولو كان خاتم غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لاكتفى في طلبه بدون ذلك انتهى انظر الزرقاني.
الثالثة ما ورد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالتختم لم يثبت

نحو من تختتم بالعقيق لم يزل يرى خيرا قال الحافظ بن رجب وكلها يعني الأخبار الواردة فيه لا تثبت وقال السخاوي في بعضها أنه موضوع انظر المواهب وشرحها.

(وكان قد أهدى له خفين أصحمة أيضا بدون مين) اسم كان عائد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها الجملة بعدها والخف معروف، فقال جسوس في شرح الشماثل هو ما صنع على هيئة القدم ساترا محل الفرض من جلد انتهى. وأصحمة بهمزة مفتوحة وسكون الصاد وفتح الحاء المهملتين فميم وقيل حاؤه معجمة وقيل بموحدة بدل الميم وقيل بغير ذلك والأولى صوبها النووي، وقف على ما قلت عند قوله:

إلى النجاشي النبي أرسلنا عمرا..

ومعنى البيت أنه عليه السلام كان له خفان أهداهما له أصحمة النجاشي بفتح النون وكسرهما وتخفف ياءه وتشدد بدون مين، أي كذب، قال جسوس، والنجاشي لقب ملوك الحبشة كتبع اليمن وكسرى للفرس وقيصر للروم والشام وهرقل للشام فحسب وفرعون للقبط والعزيز لمصر وخاقان للترك وهذه ألقاب جاهلية انتهى منه. ومعنى أصحمة عطية وفي البيجوري إنما قيل له النجاشي لانقياد أمره والنجاشة بالكسر الإنقياد انتهى.

وروى الترمذي عن ابن بريدة عن أبيه أن النجاشي أهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خفين أسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما وقوله خفين أي وقميصا وسراويل وطيلسانا وقوله ساذجين بفتح الذال المعجمة وكسرهما قال المحقق أبو زرعة أي لم يخالط سوادهما لون آخر وهذه اللفظة تستعمل في العرف لذلك المعنى ولم أجدها في كتب اللغة ولا رأيت المصنفين في غريب الحديث ذكروها وقوله ومسح عليهما يدل لجواز المسح على الخفين وهو اجماع من يعتد به وقد رواه ثمانون صحابيا وأحاديثه متواترة ومن ثم قال بعض الحنفية أخشى أن

يكون انكاره كفرا، انتهى من البيجوري.
وقال جسوس في قوله ساذجين بفتح الذال المعجمة أي غير منقوشين أو
لا شية فيهما تخالف لونهما أو لا شعر عليهما كما في قوله نعلين
جرداوين وفيه بعد هذا ان النجاشي كتب إليه صلى الله تعالى عليه
وسلم إنني قد زوجتك امرأة من قومك وهي على دينك أم حبيبة
وأهديتك هدية جامعة قميص وسراويل وعطاف وخفين ساذجين، قال
الهيثم رواية العطاف الطيلسان انتهى منه.

وفي الشمائل أيضا عن المغيرة بن شعبة قال أهدى دحية للنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم خفين فلبسهما وقال إسرائيل وجبة فلبسهما حتى
تخرقا لا يدري النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أذكرهما أم لا وقوله
تخرقا أي الخفان أو الجبة، والخفان وذكى مبتدأ أي مذكى وهما فاعل سد
مسد الخبر، وروى الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن ابن عباس
كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوما فقعد
تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف،
فحلق به في السماء فانسلت منه سالخ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
هذه كرامة أكرمني الله بها.

وفي رواية فجاء غراب فاحتمل الآخر فخرجت منه حية فقال من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفذهما انتهى المراد
منه.

تتمة:

في ذكر نعله صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي القاموس النعل ما وقيت
به القدم عن الأرض، كالنعلة مؤنثة جمعه نعال وفي المناوي النعل كل ما
وقيت به القدم عن الأرض فلا تشمل الخف عرفا بل ولا لغة إن ثبت قيد
الأرض في كلام أهل اللسان انتهى.
وقال جسوس النعل تجيئ مصدرا وتجيء اسما وهي لباس الأنبياء

وكان يلبسها غالب حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وربما مشى حافيا بلا نعل تواضعا لله وطلبا للثواب، لاسيما في عيادة المريض، قال الحافظ العراقي:

يمشي بلا خف ولا نعل إلى عيادة المريض حوله الملا
وكانت نعله صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة معقبة ملسنة كما رواه
ابن سعد والمخصرة هي التي لها خصر دقيق، والمعقبة هي التي لها عقب
أي سير من جلد في مؤخر النعل يمسك به عقب القدم والملسنة هي التي
في مقدمها طول على هيئة اللسان لأن سبابة رجله صلى الله تعالى
عليه وسلم كانت أطول أصابعه فكان في مقدم النعل بعض طول يناسب
طول تلك الأصبع انتهى من البيجوري.

وروى الترمذي عن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قبالة مثنى شراكهما أي لكل منهما قبالة مثنى
قبال بكسر القاف وبالموحدة زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها
ويسمى شسعا بكسر المعجمة وسكون السين المهملة، وكان عليه السلام
يضع أحد القباليين بين الإبهام والتي تليها والأخرى بين الوسطى والتي
تليها. وقوله مثنى بضم الميم وفتح المثلثة وشد النون المفتوحة أو بفتح
الميم وسكون المثلثة وكسر النون وشد الياء روايتان أي كان شراك نعله
مجعولا اثنين من السيور انظر البيجوري. والشراك بكسر السين
المعجمة أحد سيور النعل التي تكون على وجهها قاله جسوس. وفيه قبل
هذا ان الشراك هو الذي يكون على ظهر القدم يربط فيه أي القبال
انتهى. وذكر المناوي عن الحريري وغيره أن المصطفى كان يضع أحد
الزمامين بين الإبهام والتي تليها والآخر بين الوسطى والتي تليها
ويجمعهما إلى السير الذي بظهر قدميه وهو الشراك انتهى كلامه.
وللعراقي نفعا الله تعالى ببركته:

ونعله الكريمة المصنونه طوبى لمن مس بها جبينه
لها قبالة بسير وهما سبتيتان سبتوا شعرهما

وطولها شبر وأصبعان وعرضها مما يلي الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم خمس وفوق ذا فست فاعلم
ورأسها محدد وعرض ما بين القبالين أصبعان اضبطهما
وهذه تمثال النعل ودورها اكرم بها من نعل
قوله المصونة أي عن الادناس ابن العربي والنعل المعروفة لباس الأنبياء
وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين وقوله طوبى أي راحة
وطيب عيش حاصل لمن مس موضع قدمه تبركا به، وفي الحديث قابلوا
النعال يقال قابلت النعل وأقبلتها إذا جعلت لها قبالا، ويقال نعل مقابلة
ومقبلة والباء في بسير بمعنى من، أي قبالة من سير، والسبت
بالكسر جلد البقر يدبغ مطلقا أو بالقرظ وتجلب من اليمن سميت بذلك
لأنها سبت عنها شعرها أي حلق وأزيل، إذ البست القطع أو لأنها أسبتت
بالدباغ أي لانت والأصبع بتثليث الهمزة والموحدة وقوله مما يلي
الكعبان أي من جهة الكعبين وقوله وفوق ذا أي فوق بطن القدم فعرضه
ست من الأصابع فاعلم هذه الحدود وقوله وعرض ما بين القبالين
أصبعان، أي متلاصقان، وقوله وهذه أي هذه الصفة، صفة تمثال تلك
النعل ودورها ومما جرب من بركتها أن من أمسك تمثالها عنده متبركا
به أمن منبغي البغاة وغلبة العداة وحرز من كل شيطان مارد وعين
حاسد وإن أمسكتها المرأة الحامل بيدها وقد اشتد عليها الطلق سهل
وضعها ذكره ابن عساكر، انتهى من المناوي.

وقوله اضبطهما بكسر الموحدة من باب ضرب كما قاله الهلالي في شرح
خطبة القاموس وروى الشيخان من طريق ابن جريج أنه قال لابن عمر
رأيتك تلبس النعال السبتية قال إني رأيت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها فأنا أحب
أن ألبسها.

ابن الأثير وجه السؤال كونها نعال أهل النعمة ولم تنعلها الصحابة
والسبتية بكسر المهملة وسكون الموحدة المدبوعة بالقرظ والتي سبت
عنها الشعر أي حلق وعن ابن عمرو حريث بضم الحاء ومثلثه القرشي

المخزومي قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفين مخروزين والخصف ضم شيء إلي شيء والمراد أن نعله وضع فيها طاق على طاق، وكانت له أيضا نعل من طاق واحدة كما دلت عليه الأخبار وكان لنعله قبالة ولنعل أبي بكر قبالة ولنعل عمر قبالة وأول من اتخذ قبالة واحدا عثمان ووجه بأنه أراد أن يبين أن اتخاذ القبالة ليس لكراهة قبالة واحد ولا لمخالفة الأولى بل لكونه عادة وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب التيمن فما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وشأنه كله وفي الحديث إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين وإذا نزع فليبدأ بالشمال وفي أبي داود أنه نهى عليه السلام أن ينتعل الرجل قائما وهو نهى تنزيه وإرشاد وخصه الطيبي وغيره بما في لبسه قائما تعب كالناموسة والخف لا قبقيب انتهى من المواهب وشرحها.

ومثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم مجرب للبركة، كما ذكر العلماء وهو لعمرى بذلك حقيق وجدير فقد حاكى ما كان موطئ القدم للبشير النذير صلى الله تعالى عليه وسلم ما عكف على لثمه مشتاق وما حن محب إلي زيارة قبره واشتاق صلاة وسلاما يدومان الي يوم التلاق. وذكر الشيخ الورع أحمد بن عبد المجيد أنه حذى تمثال النعل لبعض الطلبة قال فجاءني يوما فقال رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجا أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم أشف ببركة هذا النعل زوجي وفي نسخة اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل، فشفها الله للحين. وللشيخ أبي الحسن البلسني رحمه الله تعالى:

يا مبصرا تمثال نعل نبيه	قبل مثال النعل لا متكبرا
واعكف به فلطال ما عكفت به	قدم النبي مروحا ومبكرا
أو ما ترى أن المحب مقبيل	طللا وإن لم يلف فيه مخبرا

والمسعودي مذيلا على ما قبله:

ولربما ذكر الحبيب حبيبته
ويظن حين يرى اسمه في رقعة
لاسيما في حق نعل لم يزل
فعساك تلثم في غد من لثمها
بشبيبه فغدى له متصورا
أن قد رأى فيها الحبيب مصورا
صونا لأخمص خير من وطء الثرا
كأس النبي إذا وردت الكوثر

انتهى من المناوي وللإمام أبي بكر أحمد بن أحمد الإمام الأنصاري
القرطبي:

ونعل خضعنا هيبة لبهائها
فضعها على أعلى المفارق إنها
بأخمص خير الخلق حازت مزية
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر
سلونا ولكن عن سواها وإنما
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزه
شفاء لذي سقم رجاء لبائس
المزية الفضيلة والمفرق بزنة مسجد حيث يفرق الشعر، وحلو بضم الحاء
المهملة واللام من حلي الشيء يحليه إذا صيره حلوا ولم يقل حليت
تنزيلا للبحار منزلة العقلاء وقوله سلونا إلخ. أي عما شئتم فلنا به علم
وإحاطة ولكن عن غيرها فلا تسألونا ومعناها بغين معجمة محلها،
والغريب أي البعيد في الصفة عن الأماكن المعروفة قاله الشيخ العلامة
محمد بن عبد الباقي وها أنا أن شاء الله تعالى آتي بما استطعت من
تمثال هذه النعل الشريفة موطأ القدم الزكية المنيفة وأجعله في متن هذا
الشرح رجاء لبركته راجيا من الله تعالى الدخول في أهل خدمته
والموت على سنته، والحشر في زمرته وليكون ذلك وسيلة لقبوله
وتمامه على الوجه الحمود وحصوله نسأل الله تعالى أن يمتعنا في
الدارين بقرب نبيه الكريم وأن يجعلنا نحن وأحببتنا عقب الموت في
جنات النعيم وهذه صورة ما أمكن من تمثال النعل في المحول والله در
شاعر العلماء وخطيب البلغاء في قوله:

يا ليت حر الوجهه مني كسانا
ولله در أبي اليمن بين عساكر حيث يقول:

يا منشدا في رسم ريع خال
دع ندب آثار وذكر مآثر
والثم ثرى الأثر الأثير فحبذا
أثر له بقلوبنا أثر لها
قبل لك الإقبال نعلي أخص
ألصق بها قلبا يقابه الهوى
صافح بها خدا وعفر وجنة
سبيل حر جوى ثوى بجوانح
يا شبه نعل المصطفى نفسي الفدى
هملت لمرءك العيون وقد نئا
وتذكرت عهد العقيق فنأثرت
وصبت فواصلت الحنين إلي الذي
أذكرتني قدما لها قدم العلى
أذكرتني من لم يزل ذكرى له
ولها المفاخر والمآثر في الدنيا
لو أن خدي يحتذى نعلها
أو أن جفاني لوطأ نعلها

قوله يا منشدا أي للشعر، فمفعوله محذوف، والمناشد المخاطب، والطلل
ما شخص من الآثار، نزل الأطلال منزلة العقلاء وأثبت لهم المناشدة،
وقوله دع ذكر آثار أي أترك ذكر محاسن، والمآثر جمع مآثر بفتح الثاء
وضمها وهي المكرمة، وفي المصباح هي كالأثرة المكرمة، المتورثة، وخال
أي ماض، وخال الأولى أي خال من أهله، واللثم التقبيل، لثم كضرب
وسمع، كما في القاموس، أي ألثم التراب الذي حصلت له النداة من
أثر النعل الكريمة إن أمكن ذلك وإلا فقبل مثالها فحبذا اللثم إن ظفرت
بلثم ذا التمثال، وقوله أثر خبر مبتدأ محذوف أي هذا التمثال أثر، من

آثار المصطفى له بقلوبنا أثر أي تأثير بمعنى صورة منتقشة لها أي لأجل الصورة فلذا أنت الضمير العائد على الأثر وشغل بالبناء للمجهول والخلي الفارغ، والخال الشامة في الخد، تخالف لونه فتزيده حسنا، والمعنى أنه يتذكر بحسن صورة ما انتقش في قلبه من ذلك الأثر حسن الشامة بخد محبوبته، والأخمص القدم المرتفع عن الأرض ووجلا بكسر الجيم خائفا وعلى بمعنى اللام، أي اجعل قلبك مشغولا بتلك النعل حالة كونه خائفا من الأوجاع وأنواع الخوف لتقصيره في محبتها، وقوله سبيل أي ما ذكر من المصافحة والتعفير حر جوى أي حرقه، وجد وثوى أقام، والجوانح الضلوع تحت الترائب وقوله في الحب أي لأجل الحب وجنحت مالت، والإبلال بكسر الهمزة وسكون الموحدة الإذهاب، والعقيق موضع قرب المدينة وعقيق المدمع أي الدمع المشبه بالعقيق في الحمرة، والبال القلب، والبلبال بالفتح الهم، وأذكرتني بكسر التاء خطاب لصورة التمثال وقدا بفتححتين وقدم العلا بكسر القاف وفتح الدال والابكار جمع بكرة ويحتذى يقطع انظر الزرقاني.

وقال أبو الحكم مالك بن المرحل بالفتح أحد فضلاء المغاربة، وله نظم حسن كما في الزرقاني:

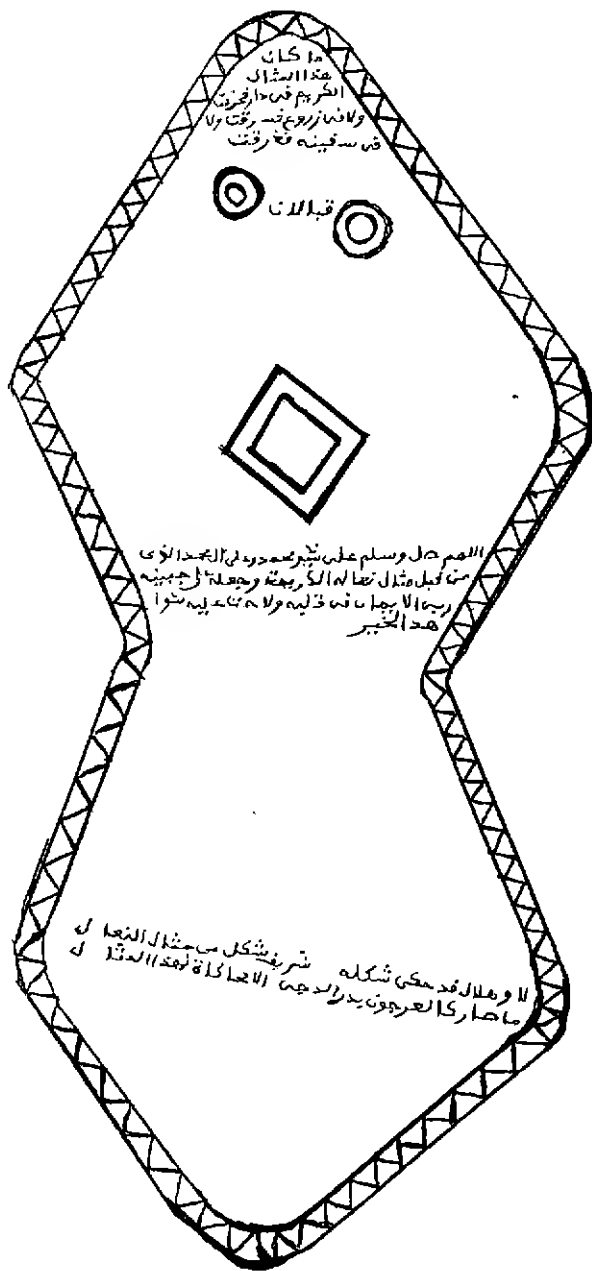
ونمنم خد الطرس بالنقش راقمه	بوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه
وجادت عليهم بالنوال غمائم	رؤف عطوف أوسع الناس رحمة
فئاثاره محبوبه ومعاله	له الحسن والإحسان في كل مذهب
وكل فعال صالح فهو خاتمه	به ختم الله النبيئين كلهم
تقاسمه قومي كفتهم قسائمه	أحب رسول الله حبا لو أنه
من الورق خفاق أصيبت قوادمه	كان فؤادي كلما مر ذكره
ومن لفؤادي إن تهب نواسمه	أهيم إذا هبت نواسم أرضه
نوافحه جاءت به ولطائمه	فأنشق مسكا طيبا فكأنما
إلي الشوق أن الشوق مما أكاتمه	ومما دعاني والدعاوي كثيرة

مثال لنعلي من أحب هويته
أجر على رأسي ووجهي أديمه
أمثله في رجل أكرم من مشي
أحرك خدي ثم أحسب وقعه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي
سأجعله فوق الترائب عوذة
وأربطه فوق الشؤون تميمه
ألا بأبي تمثال نعل محمد
يود هلال الأفق لو أنه هوى
سلام عليه كلما هبت الصبا

فها أنا في يومي وليلي لاثمه
وألثمه طورا وطورا ألامه
فتبصره عيني وما أنا حاله
على وجنتي خطوا هناك يداومه
لماش علت فوق النجوم براجمه
لقلبي لعل القلب يبرد حاجمه
بجفني لعل الجفن يرقى ساجمه
لطاب لحاذيه وقدس خادمه
يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
وغنت بأغصان الأراك حمائم

نمن بنونين وميمين زخرف ونقش والطرس بالكسر الصحيفة وراقمه
كاتبه شبه الورق الأبيض بعد كتبه بحسنا زينت بنقش والنوال
بالفتح العطاء، ولو أنه بدرج الهمزة، وقسائمه جمع قسيمة وهي
النصيب، والورق بضم الواو وسكون الراء الحمام، والخفاق شديد
الخفقان وهو الاضطراب، والقوادم عشر أو أربع ريشات في مقدم
الجناح، جمع قادمة، وأهيم لا أدري أين أتوجه والنواسم الرياح جمع
ناسمة، ونوافحه جمع نافحة وهي وعاء المسك، ولطائمه جمع لطيمة
وهي الإبل، تحمله وأديمه جلده والمراد الرقعة المصور فيها جلدا أو غيره،
والأزمه أضمه إلي صدري وأمثله، أقرض أنني أشاهده وقوله فتبصره
عيني أي كأن عيني تبصره لشدة حضوره في ذهني وحاله بلام قبل
الميم كالتأكيد لقوله فتبصره، وفي نسخة حاكمه بالكاف أي لا أتمكن من
حقيقته وإنما أحكم بمثاله فقط والوجنة ما ارتفع من لحم الخد وخطوا
بفتح فسكون أي مشيا منه صلي الله تعالى عليه وسلم والعوذة الرقية،
وحاجمه بحاء مهملة فالف فجيم حرارته الشديدة، والتميمة الحرز،
وأربطه بضم الباء وكسرها وساجمه دمه السائل، والاستفتاح أي أفدي
بأبي تمثال نعل محمد، واللام في لطاب جواب قسم مقدر، أي والله لقد
طاب ذلك التمثال لصانعه.

صورة النعل



فائدة:

روى الترمذي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يمشين أحدكم في نعل واحد لينعلهما جميعا أو ليحفيهما. والنهي للكراهة ومحلّه إن لم تكن ضرورة وإلا فلا كراهة. وعليه يحمل ما روي أنه عليه السلام ربما فعله ويحتمل أنه لبيان الجواز انظر جسوسا. وقوله لينعلهما أي القدمين بضم الياء من أنعل وبفتحها يقال نعل بفتح العين وتكسر، ويحفيهما بضم أوله من الإحفاء وهو الإعراء عن نحو النعل قاله البيجوري.

وروى الترمذي أيضا مرفوعا: إذا انتعل أحدكم فاليدأ باليمين وإذا نزع فاليدأ بالشمال. قال جسوس والأمر للاستحباب قال عياض اجماعا انتهى، ومما ورد في باب التنعل أنه يكره قائما لكن حمل علي نعل يحتاج في لبسهما إلي الاستعانة باليد لا مطلقا، قاله البيجوري.

(وكان ثوبان له للجمعة غير ثياب لبسه المرتفعه)
ثوبان اسم كان والخبر له، ولبسه بضم اللام. ومعنى البيت أنه عليه السلام كان له ثوبان يلبسهما للجمعة غير أثوابه الشريفة المعدة للبس. وفي العيون ويلبس يوم الجمعة ثوبا غير ثيابه المعتادة كل يوم، ولا يخرج يوم الجمعة إلا معتما بعمامة يرسلها بين كتفيه ويديرها ويفرزها انتهى.

وفي الموطأ أنه عليه السلام قال: ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين للجمعة سوى ثوبي مهنته. والاستفهام متضمن للتنبيه والتوبيخ فيقال لمن أهمل شيئا أو غفل عنه ما عليه لو فعل كذا، وقوله ثوبين هما قميص ورداء أو جبة ورداء.

قال ابن عبد البر: ومهنته بذلته وخدمته، والرواية بفتح الميم وقد تكسر، وفيه النذب لمن وجد سعة أن يتخذ الثياب الحسان للجمع. وكان عليه السلام يفعل ذلك ويعتم وفيه الأسوة الحسنة انتهى من شرح الزرقاني عليه.

(وكان منديل له ليمسحاً به على الوجه المنير الأصباحا)
المنديل بالكسر والفتح وكمنبر ما يتمسح به والمنير المضيء المشرق
والأصبح الحسن، وهو نعت مقطوع عن التبعية مفعول فعل محذوف
تقديره أعني، ومعنى البيت أن المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
من جملة ما كان عنده من اللباس منديل يمسح به وجهه الشريف. وفي
العيون وكان له منديل يمسح به وجهه انتهى.
(صلى عليه ربنا) أي أولاه رحمة يقارنها تعظيم، والرب المالك (وسلما)
أي أمنه من كل ما يخاف، (وآله وصحبه وكرما) أي أعطاه وإياهم كل
كمال يناسبهم.

(بيان بعض معجزات المصطفى صلى عليه ربنا وشرفا)

أي هذا الباب يذكر فيه بعض ما أظهره الله تعالى على يديه من
المعجزات ووقع تصديقا له من خوارق العادات:
وهو أمر كثير لا تحيط به الأفهام، ولا تضبطه المحابر والأقلام، صلى الله
تعالى عليه وسلم، عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.
والمعجزة في الأصل اسم فاعل من الإعجاز وهي لفظ أطلق على الآية
الدالة على صدق النبي. قال اليوسي والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى
الإسمية أو للمبالغة كعلامة وتسميتها معجزة مجاز، لأن المعجز في
الحقيقة هو الله، وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها. وهي
أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي الرسالة مقارنا لدعوى
الرسالة متحد به قبل وقوعه غير مكذب، سالم من المعارضة وعبر بأمر
دون فعل، لشمول ما كان عدميا كعدم الإحراق بالنار وخرج بالخارق
للعادة ما كان موافقا لها. ويقول على يد مدعي الرسالة، الكرامة، لأنها
على يد مدعي الولاية واحترز به أيضا عن أن يتخذ الكاذب معجزة نبي
قبله معجزة له لأنه لم تظهر على يده، والتحدي هنا عبارة عن قول
الرسول: آية صدقي أن يكون كذا.. وهو في الأصل طلب المعارضة في

الحداء بالضم أي الغناء للإبل، يكون حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره، يستحدي كل منهما صاحبه، أي يطلب حذاءه. ثم توسع فيه واستعمل في كل مباراة، يقال تحديت فلانا، إذا نازعته الغلبة، وخرج ب قيد التحدي الآيات الإرهاسية بكسر الهمزة نسبة للمصدر. يقال أرهصت الحائط ورهصته إذا جعلت له رهصا أي أساسا كما في حاشية اليوسي وذلك كشق الصدر وإظلال الغمامة ونحوهما مما وقع له صلي الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة إرهاسا أي تأسيسا لنبوءته.

وفي المنح المكية أن قيد التحدي لا يخرج المتأخر عن التحدي لأنه يلزم عليه إخراج أكثر آياته صلي الله تعالى عليه وسلم كنبيع الماء ونطق الحسا والجذع، مع أن إصطلاح السلف على إطلاق المعجزة على كل خارق، وليس بسحر انتهى.

واحتترزت بقولي غير مكذب بأن يقول أية صدقي أن ينطق هذا الجمد بتكذيبه ويقيد عدم المعارضة من السحر فإنه يمكن الإتيان بمثله وهذا مبني على دخول السحر في الخارق، وقال السنوسي ومن المعتاد السحر وإن كان سببه العادي نادرا خلافا لمن جعل السحر خارقا، وقال ابن أبي شريف الحق أن السحر ليس من الخارق، وإن أطبق القوم على عده منه، لأنه يترتب على أسباب كلما باشرها أحد خلقه الله تعالى عقبها كترتب شفاء المريض على تناول الأدوية الطبية فإن هذا غير خارق.

(منها) من معجزاته صلي الله تعالى عليه وسلم (القرآن) بنقل حركة الهمزة إلي الراء قبله، وحذف الهمزة مبتدأ وخبره المجرور قبله، (المعجز) لجميع البلغاء أو الفصحاء أي المظهر لعجزهم عن أن يأتوا بمثله أقصر سورة منه كالكوثر أو قدرها، (الذي بهر) أي غلب، وفي القاموس بهر كمنع غلب ضوءه ضوء الكواكب وفاعل بهر قوله (إعجازه) والمفعول قسوله (كل العقول) جمع عقل وهو نور روحاني تدرك به العلوم الضرورية والنظرية، (وقهر) موافق في المعنى لبهر، ومعنى البيت أن من معجزاته صلي الله تعالى عليه وسلم القرآن الذي بهر إعجازه كل أهل العقول وقهرهم فلم يقدرُوا على حصر وجوه إعجازه مع عدهم

لكثير منها كحسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة لعادة العرب، ونصاعة ألفاظه، وتوافق مقاطع آياته وتناسب كلماته، وما احتوى عليه من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة والمواعظ والحكم والأحكام وضرب الأمثال وإفحام الخصوم وروعة القلوب التي تلحق عند سماعه والهيبة التي تعتري عند تلاوته وكون قارئه لا يملّه وسامعه لا يمجّه، بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن ما بلغ يمل مع التردد ويعادي إذا أعيد وحسبك بقاؤه على مر الدهور محفوظا من كيد الكافرين وتحريف الملحدين وهو الأنيس في الخلوات والوسيلة الكبرى في الأزمات أماتنا الله تعالى على الإيمان به ووفقنا لاجتناب ما نهى عنه وامتنال ما أمر به.

والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد صلي الله تعالى عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته، قاله في جمع الجوامع، فخرج باللفظ المنزل الأحاديث غير الربانية فلم ينزل لفظها بل معناها والتورية والإنجيل مثلا، ويقيد الإعجاز الأحاديث الربانية، كأنا عند ظن عبدي بي إلخ.. وبالمتعبد بتلاوته أبدا ما نسخت تلاوته أي نحو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتت. قال عمر فإنا قد قرأناه انظر المحلي.

فائدة:

قال بعض القراء القرآن العظيم له أنصاف باعتبارات فنصفه بالحروف النون من نكرا في الكهف، والكاق من النصف الثاني ونصفه بالكلمات الدال من قوله والجلود في الحج، ولهم مقامع من النصف الثاني ونصفه بالآيات: يأفكون من سورة الشعراء، وقوله فألقي السحرة من النصف الثاني، ونصفه بالسور آخر الحديد والمجادلة من النصف الثاني انظر الإتقان.

(فلم يجئ بمثله ولن يجي إنس ولا جن)
هذا بيان لكونه معجزا والفعالان يتنازعان فيما بعدهما وكأنه يقول إنما حكمنا بإعجاز القرآن لأنه لم يجئ فيما مضى إنس ولا جن بما يماثل ما تحدى به وهو أقصر سورة منه ولا يجيئون به فيما يأتي ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي معينا ...

((...)) وكم من مزعج لهم مقرر على الإتيان به..)
المزعج المحرك، والمقلق قال في القاموس زعجه كمنعه ألقه، وقلعه من مكانه كأزعجه والتقريع التعنيف، واغلاظ القول والضمير المجرور بالباء عائد على مثل، وكم للتكثير يعني أنهم لم يقدرُوا على الإتيان بمثل القرآن مع أنهم وجدوا ما يحملهم على الإتيان به من حضهم على ذلك وتعنيفهم، قال تعالى {فاتوا بسورة من مثله فاتوا بسورة مثله}، {فاتوا بعشر سور مثله}، {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}، قال القاضي في الشفا فلم يزل يقرعهم، صلى الله تعالى عليه وسلم، أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم، ويشئت نظامهم ويذم ألهتهم وأبائهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته، مخادعون أنفسهم بالتشغيب. وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين، والرضى بالدنية، كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه، وفي أذاننا وقر، (وهم)، أي العرب الذين بعث فيهم النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، (فرسان هذا الشأن) يعني به فصاحة الكلام وبلاغته فقد أوتوا من فصاحة اللسان ما لم يؤت أنسان وخصوا من البلاغة والحكم بما لم يخصص به غيرهم من الأمم.

(قد امتطوا منه جواد السبق)
يعني أن العرب قد امتطوا من هذا اللسان كل فرس جواد يسبق الخيل

عند الرهان اتخذوه مطية فهم يتصرفون فيه كيف شاؤوا ويتوصلون به إلي ما أرادوا (وأحرزوا) أي حازوا وأخذوا عنانَه أي الجواد (في النطق) أي الكلام، جعل الكلام جوادا يمتطى وأضاف إليه العنان لأنه يضاف للخيل، وأخبر أنهم ملكوا مقود ذلك الجواد في حال تكلفهم بزمam البلاغة والفصاحة بأيديهم لكنهم لما سمعوا القرآن لم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم، فانقادوا إليه مذعنين من بين مهتد ومفتون وعجزوا عن معارضته وصرخوا بجحده كما قال (بل خسروا) بكسر الراء أي انعقدت ألسنتهم عن مباراته (وهم ألد اللد) الألد الخصم الذي لا يريع إلي الحق جمعه لد بضم اللام والجملة حالية واللد مضاف إليه ما قبله أي والحال أنهم أشد لددا ممن يوصف باللد، (إلا عن الدعوى) أي إلا عن مجرد دعوى المعارضة مع العجز بقلوبهم لو نشاء لقلنا مثل هذا، وقد قال لهم الله: {ولن تفعلوا} فما فعلوا وما قدروا، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة الكذاب، كشف عواره لجميعهم وسلب ما ألفوه من فصيح كلامهم (ومحض الجحد) أي الإنكار المحض، أي الخالص فهو من إضافة الصفة للموصوف، فقالوا والعياذ بالله تعالى إن هذا إلا إفك افتراه. وقالوا أساطير الأولين وغير ذلك. وفي الشفا في وصف العرب: وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الأبواب، يوتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلي كل سبب، فيخطبون في المقامات وشديد الخطب، ويرتجلون فيه بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوصلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فياتون من ذاك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللئال ويجرئون الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان، ويصيرون الناقص كاملا، ويتركون النبيه خاملا، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة، والقدر الفالج، والمهيح الناهج، لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم. والبلاغة ملك قيادهم. قد حووا

فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعلوا صرخا لبلوغ أسبابها، وتناولوا في القل والكثير، وتساجلوا في النظم والنثر، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. أحكمت آياته، وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا، وأشهد في الخطابة رجالا، وأكثر في السجع والشعر سجالا، وأوسع في الغريب واللغة مقالا، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخا بهم في كل حين، ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين، أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا انتهى. المراد منه قوله وتظافر إيجازه وإعجازه، بالظاء المشالة كما في النسخ المصححة أي تعاون وتصحف على الدلجي فقال إنه بالضاد ومقرعا بفتح القاف وكسر الراء المشددة أي موبخا قاله ابن سلطان. (فعند ذاك أمر القراء ان تضرب الأعناق والبنان) الإشارة راجعة إلى اتضح صدق رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالآيات الدالة على تصديقه وتضرب بالبناء للمجهول ونائبه الأعناق جمع عنق وهو الجيد والبنان قيل هي المفاصل وقيل الأصابع ومعنى كلامه أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقام بمكة بعد بعثته ثلاث عشرة لم يشتغل إلا بتقرير أدلة ما أوتي به من توحيد الله وإرساله هو إليهم وترديد ذلك في المحافل عليهم وإقامة البراهين لديهم فأتاهم بما لا يعده البشر من المعجزات التي لم تبق معها شبهة لمنصف ولا معاند فلما اتضحت لهم رسالته وصدقته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذبوه عنادا أمره الله تعالى بالهجرة والسيف فقام بما أمره الله تعالى به وجاهداهم أشد الجهاد فقتل الرجال وسبى النساء والأولاد ودوخ البلاد وشهر الإسلام وكسر الأصنام، جزاه الله عنا أفضل ما جازى به

نبياً عن قومه. قال تعالى {فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان}، قال الوالد حفظه الله تعالى في الريان الأعناق جمع عنق وهي الرقبة والخطاب قيل للملائكة فيكون متصلاً بما قبله وقيل للمؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله، قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بني آدم فعلمهم الله ذلك وفوق قيل صلة أي أضربوا الأعناق وقيل على حقيقتها وأراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وقيل أراد المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبج وكل بنان يعني كل مفصل وقيل هي أطراف أصابع اليدين، قال البغوي قال عطية يعني كل مفصل وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الأطراف جمع بنانة، قال ابن جزي البنان قيل المفاصل وقيل الأصابع وهو أشهر في اللغة، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره. وقيل إنه تعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وأشرفه وهو الرأس وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد. (لله ما حواه) القرآن العظيم أي جمعه (من عجائب) تبين لما أي من الأمور التي يتعجب منها، (جلت) أي عظمت (عن الحصر) بالعد، (ومن غرائب) قريب مما قبله كإخباره عن الأمم السالفة كأمة نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم فإن معرفة ذلك لا تكاد تحصل للأفراد، من علماء أهل الكتب فضلاً عما كان أمياً لم يتعاط كتاباً قط ولم يعان دراسة من قوم ليس لهم كتاب ولم يبعث فيهم نبي بعد إبراهيم وإسماعيل وإخباره عن المغيبات الآتية فبعضها شوهده فيما مضى كقوله تعالى «لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين (الآية) {وعدكم الله مغنم كثيرة} (الآية) وقوله تعالى {وهم من بعد غلبهم سيفلبون} أي الروم من بعد غلبة الفرس لهم سيفلبون الفرس وسبب نزولها أن الفرس لما غلبوا الروم فورد مكة خبرهم فرح المشركون وقالوا للمسلمين نحن وفارس أميون لا كتاب لنا وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن عليكم، ونزلت الآية إلى قوله {في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله} إلى قوله: {غافلون}. فقال أبو

بكر لا يقرن الله عيونكم فوالله لتظهرن الروم على فارس في بضع سنين وقال أبي بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك فقال البضع ما بين الثلاث إلي التسع فزايده أي في الإبل وماده في الأجل يجعلها مائة قلوص إلي تسع سنين ومات أبي بعد قفوله من أحد بجرح من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبي فأمره عليه السلام أن يتصدق بها وبه أخذ أئمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة في دار الحرب وأجاب الشافعية بأنه كان قبل تحريم القمار والله تعالى أعلم. انتهى من شرح على القاري للشافا.

ومما أخبر به ولم يات بعد ولكنه ياتي بلا شك الساعة وأشراطها. وفي الإضاءة:

وما احتوى عليه من أنباء غيب بتصريح أو الإماء أي الإشارة، ففيه من هذا أمور تكثر، والبعض بالفيض عليها يعثر، ومنه ما ابن برجان أظهر، في أخذ بيت المقدس المطهر، من قوله بضع سنين قبل أن، يكون ثم كان طبقا في الزمن، أي والبعض يطلع عليها أي على أخذ المغيبات التي اشتمل عليها بطريق الإشارة بسبب الفيض الإلهي عليه وهي طريقة أرباب القلوب نفعا الله تعالى ببركتهم ويعثر هذه مقتضى القاموس انه من باب كتب وما أشار إليه من عجائب ما اتفق وهو ان ابن برجان في تفسير سورة الروم ذكر أن بيت المقدس يبقى بيد الروم لما تغلبوا عليه سنة اثنين وتسعين وأربعمائة بعد حصارهم شهرا أو نصفاً وقتلوا أكثر من سبعين ألفاً منهم جمع من العلماء والزهاد وهدموا المساجد وجمعوا من هناك من اليهود وحرقوهم فأخذ ابن برجان رضي الله تعالى عنه من قوله تعالى في بضع سنين انه يبقى بأيديهم إلى سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة ثم يغلبون

ويخرجون منها وتصير دار إسلام إلي آخر الأبد، فبقيت في أيديهم إلي أن أخذها السلطان صلاح الدين منهم، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت مدة بقاءه بأيدي الروم إحدى وتسعين سنة، ووجه أخذه لذلك أن الباء اثنان والضاد تسعون والعين سبعون والسين ثلاثمائة والنون خمسون والياء عشر والنون خمسون ومجموع ذلك اثنان وسبعون وخمسمائة فأخذ هو هذا العدد وأضاف إليه معنى البضع وجعله عشرة احتياطاً أوزاد المجرورة بفي فصار مجموعه اثنين وثمانون وخمسمائة وهي غاية غلبهم عليه فأخذ ولله الحمد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ومات هو رضي الله تعالى عنه قبل أخذه من الروم بدهر، وهو قد مات في أيام المقتفي وكانت وفاة المقتفي سنة خمس وخسين وخمسمائة فشاهد ما أخبر به ابن برجان بعد موته بدهر، على وفق ما أخبر به انتهى، نقله ابن الأعمش عن السيوطي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: جميع العلم في القرآن لكن، تقاصر عنه افهام الرجال، وسئل بعض الحكماء، من بعض العلماء ما في كتاب الله تعالى من علم الطب؟ فقال كله في نصف آية هي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت نقله ابن سلطان على القاري (لو لم يجئ) رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، (بآية) أي معجزة تدل على صدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (سواه) أي غيره والضمير عائد على القرآن وجواب لو كفاه إلا أنني اعترضت بينهما جملة «صلى عليه ربنا» أي مالكننا نحن جميع الحوادث، (كفاه) عما عداه من المعجزات وقد ذكروا أن في القرآن نحواً من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف وقيل غير ذلك وعدد إنا أعطيناك عشر كلمات وقد تحدى بأقصر سورة وإذا قسم القرآن على نسبة إنا أعطيناك كان أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز بنفسه بوجهين: بلاغته أي ما فيه من مراعاة الوجوه التي يطابق بها اللفظ، مقتضى الحال فهي من جهة المعنى والثاني نظمه أي كونه أعلى نسق لا يشبهه غيره من الكلام نظماً وسجاً ونثراً وتناسب كلماته وإيتاء كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها في محل لا يليق به غيرها ابن عطية

الذي عليه الجمهور في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وذلك أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله، فإذا تركبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك، والبشر يعترهم الجهل والنسيان، انتهى المراد من الزرقاني. وبيان القسمة المتقدمة أن سبعين ألفا إذا قسمت على عشرة خرج لكل واحد منها سبعة آلاف فإذا قسمت السبعة آلاف خرج لكل واحد منها سبعمائة فيصير الحاصل أن كل جزء سبعة آلاف وسبعمائة والنيف يختلف الخارج بحسب الخلاف في عدده انتهى ومنه أيضا: وفي المواهب بعد كلام وإنما المعجز ربط المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف (لكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم أتى من عند الله تعالى تصديقا (بما أعيا البشر) البشر محركة الإنسان وهو مفعول أعى أي أتعبهم إحصاءه وفاتهم عده (من معجزات بينات) المجرور مبين لما يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، جاء من المعجزات أي الخوارق الدالة على صدقه الظاهرة لكل أحد بما بلغ من الكثرة مبلغا لا تقدر الإنس أن تحصيه بالعد قال اليوسي في حواشي الكبرى لا يخفى أن لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، معجزات لا تنحصر ولا يدرك قعر بحرها وقد اشتمل القرآن على نيف وأربعة عشر ألفا ذكر بعضهم أنه وقف في بعض الكتب المدونة في هذا العلم الشريف من الآيات على ما انتهى إلي مئتي ألف بل تنيف، ومصنفه مع ذلك مصرح بالاعتذار انتهى. وقال المناوي في شرح العراقي وهو أكثر الأنبياء معجزة فقل إنها تبلغ ألفا وقليل ثلاثة آلاف سوى القرآن فإن فيه نحو ستين ألف معجزة انتهى المراد منه وقوله (كالقمر) مثال لبعض معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، يعني أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر له فرقتين لما كذبه كفار قريش وسألوه آية تصدقه وذلك قبل الهجرة بنحو خمس سنين كما نص عليه القرآن وتواترت به الأحاديث كما حققه السبكي وغيره، وأجمع عليه المفسرون وأهل السنة ولم يقع انشقاقه لغيره، صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله الهيتمي في

شرح الهمزية وقال القاضي في الشفا أخبر الله تعالى بوقوعه بلفظ الماضي وأعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون على وقوعه كما في الصحيح عن ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، اشهدوا والجبل حراء وفي رواية أنس حتى رأوا حراء بينهما وقوله فرقتين إلخ روي باللام أيضا أي فلقنتين وروي أنهم لما رأوه قالوا هذا سحر ابن أبي كبشة قال ابن مسعود فقال انظروا ما ياتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فأخبروهم بذلك فقالوا هذا سحر مستمر أي قوي من المرة وهي القوة أو دائم مطرد فيدل على أنهم رأوا قبلها آيات متتابعة وقوله ابن أبي كبشة بفتح الكاف وسكون الموحدة ومعجمة قيل أحد أجداده لأنه قالوه عداوة لأن عادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض وقيل أبوه من الرضاعة كذا في الزرقاني ونقل البيهقي عن الحلبي أن من الناس من قال إن المراد بقوله تعالى {انشق القمر} سينشق قال الحلبي فإن كان كذلك فقد وقع في عصرنا مشاهدة الهلال ببخارى في الليلة الثانية منشقاً نصفين عرض كل منهما عرض القمر ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا وصار في شكل أترجة إلى أن غاب، قال وأخبرني من أثق به أنه شاهده في ليلة أخرى قاله المناوي.

(وغسل قلبه وشق الصدر وحشوه بسر أي سر)

هذه الثلاث بالجر عطف على قوله كالقمر والسر الأمر الخفي وأي صفة لما قبله ويعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من معجزاته شق صدره الشريف وغسل قلبه المنيف وحشو ربه اللطيف له بما لا يعلمه إلا هو من أنوار النبوءة والحكمة وتقدم الكلام على هذا مستوفى في صدر الكتاب ومر أنه لم يجد لذلك الشق مسا أي ألماً، أما شقه عند حليلة فرواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر كما مر والراجح أنه وقع وهو ابن أربع سنين خلاف ما مر للناظم وأما شقه للبعث عند نزول اقرأ

فرواه أبو داود الطيالسي والحارث البغدادي والبيهقي وأبو نعيم وأما شقه عند الإسراء فرواه الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي والبرقاني وغيرهم ولا عبرة بمن نفاه لأن رواته ثقة مشاهير انظر الزرقاني. وقال العراقي أنكره ابن حزم وعياض وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق في الصحيحين وقال القرطبي لا يلتفت لانكاره وقال العسقلاني استنكره بعضهم ولا انكار في ذلك فقد تواردت به الروايات نقله ابن سلطان وهذا الذي ذكرت هو الذي ذكر الناظم أنه وقع له من شق الصدر وروى عبد الله بن الإمام أحمد بسند رجاله ثقة وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء أن صدره شق قبل البعثة وقد مر الحديث في ذلك وروى أيضا شقه مرة خامسة وهو ابن عشرين ولا يثبت وذكروا أن شق الصدر وغسل القلب شاركته فيه الأنبياء راجع ما مر.

(وجيء بالبراق للإسراء به إلي الأقصى من السماء) نائب جيء ضمير النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، والبراق بضم الموحدة من البريق لشدة لمعانه أو من البرق لسرعة سيره وطيرانه قالوا ليس بذكر ولا أنثى. والإسراء مصدر أسرى يقال سرى وأسرى إذا سار ليلا ومعنى البيت أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه أتى ليلا بالبراق مسرجا ملجما فركبه وأسرى به إلي الأقصى من السماوات وظاهره أنه ركب على البراق إلى أعلى السماوات وهو ظاهر البخاري كما قاله ابن المنير، قال ابن حجر الهيتمي والمشهور أنه استمر على البراق إلى بيت المقدس ثم نصب له المعراج وهو مرقاة من ذهب ومرقاة من فضة صعد فيه هو وجبريل ولنذكر أولا حديث مسلم في الإسراء فقد قال عياض إن ثابت البناني بضم الموحدة وخفة النون جود روايته له عن أنس وفي الشفا من حديث مسلم من رواية ثابت عن أنس بن مالك أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركتبه حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط

بها الأنبياء ثم دخلت المسجد وصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام أخذت الفطرة ، ثم عرج بنا إلي السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرحب بي ودعى لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء الثالثة فذكر مثل الأول، ففتح لنا فإذا أنا بـيوسف، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعى لي بخير، ثم عرج بنا إلي السماء الرابعة وذكر مثله، فإذا بإدريس، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرحب بي ودعى لي بخير، قال الله تعالى {ورفعناه مكانا عليا} ثم عرج بنا إلي السماء الخامسة، فذكر مثله فإذا أنا بهارون صلي الله تعالى عليه وسلم فرحب بي ودعى لي بخير ثم عرج بي الي السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرحب بي ودعى لي بخير ثم عرج بنا إلي السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسندا ظهره إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم عرج بي الي سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله تعالى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة إلي آخر الحديث وفي قصة الإسراء ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام رواه ابن عباس، وفي حديث أنس أنه صلي بالأنبياء ببيت المقدس وروى غير أنس أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمهم في السماء والأسراء قال غير واحد انه قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا ومذهب معظم السلف

والمسلمين أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمرو وأبي هريرة ومالك بن أبي صعصعة وأبي حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وابن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب والحسن وابن زيد وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج والطبري وابن حنبل وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وعليه تدل الآثار وصحيح الأخبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التاويل إلا عند الإستحالة. وأما تسميتها رؤيا في قوله تعالى {وما جعلنا الرؤيا إلخ} فقوله تعالى فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين إذ ليس في الحلم فتنة، ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه على أن بعض المفسرين ذهب إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك. وأما تسميتها مناما، في حديث، وفي آخر بين النائم واليقظان فيحتمل أن وصول الملك إليه وهو نائم وقوله ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام ولعله أراد أنه استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته أو يكون لما غمره من عجائب ما اطلع عليه وخامر باطنه ومن مشاهدة ما شاهده فلم يستفق ويرجع إلى البشرية إلا وهو في المسجد الحرام ويكون عبر بالنوم عن هيئة النائم من الإضطجاع انتهى من الشفا.

قال مؤلفه سمح الله تعالى له ويشهد للتاويل الأخير حديث البخاري: من صلى نائما فله نصف أجر القاعد أي من صلى مضطجعا فله نصف صلاة من صلى جالسا، والله أعلم.

وقال القسطلاني قوله بين النائم واليقظان أي في ابتداء الحال ثم استمر يقظانا في القصة كلها ومثلت له أرواح الأنبياء بالصور التي كانوا عليها والبراق ليس بذكر ولا أنثى وفي رواية شاذة أنه له جناحان وفي أخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقرة وصدرة ياقوتة حمراء قاله الهيثمي في شرح الهمزية.

وها أنا أذكر إن شاء الله تعالى ما يحتاج إليه من كلام الإمام علي

القاري على الحديث المتقدم قوله أتيت بصفة المجهول المتكلم وطويل أي مائل الى الطول وطرفه بفتح فسكون أي نظره وبيت المقدس بفتح فسكون فكسر أو على زنة محمد أيضا لأن فيه يتقدس من الذنوب أو لأنه منزّه عن العيوب والحلقة بإسكان اللام وفتحها ويربط بضم الموحدة وكسرها معموه محذوف أي دوابهم أو البراق وفي ربطه دليل على أن الإيمان بالقدر لا يمنع الحازم من الحذر ومنه قوله عليه السلام أعقل وتوكل، وقوله بإناء من خمر وإناء من لبن وفي البخاري وإناء من ماء وروي أنها ثلاثة: لبن وخمر وعسل، وروي أربعة لبن وخمر وعسل وماء، ولعله الأظهر. حيث عرض عليه من الأنهار الأربعة الموعود بها في الجنة واختار اللبن لأنه مغن عن غيره بخلاف غيره وقوله اخترت الفطرة أي علامة الإسلام حيث أعرض عن الخمر وأخذ اللبن لكونه طيبا طاهرا سهل المرور في الحلق سليم العاقبة والخمر أم الخبائث جالبة لأنواع شرور الحوادث وقوله عرج بنا الضمير إلي الله أو جبريل أو البراق وفي نسخة صحيحة بالبناء للمجهول وكذا فيما بعده وهو في غاية من القبول مع الإشارة إلي ان سيره من المسجد الأقصى الي السماوات لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذي له درجة من ذهب وأخرى من فضة وبه سميت القصة. وقوله ابني الخالة أي لأن أم يحيى إيشاع أخت مريم. وقوله دعوا في نسخة صحيحة دعيا وفي القاموس دعيت له لغة في دعوت وشطر الحسن نصفه أو بعضه وأراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم. وقوله إدريس هو سبط شيث وجد والد نوح أول مرسل بعد آدم. وقوله مكانا عليا هو شرف النبوة والقربة؛ وعن الحسن هو الجنة إذ قال لملك الموت أذقني الموت ليهون علي، ففعل بإذن الله تعالى ثم حيى؛ فقال له ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل؛ ثم قال ملك الموت اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج فقال الله تعالى بإذني دخل دعه؛ وقيل في السماء الرابعة لهذا الحديث والبيت المعمور يقال له الضراح بمعجمة مضمومة فراء فألف فحاء

مهمة من الضراحة أي المقابلة إذ هو مقابل للكعبة وسدرة المنتهى أي ينتهى علم الخلائق عندها فإليها ينتهي ما تصعد به الملائكة من الأرواح والأعمال وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها. قال ابن عباس والمفسرون سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والله أعلم.

والآذان بالمد جمع إذن والفيلة بكسر ففتح جمع فيل وقوله وإذا ثمرها كالقلال في رواية الدلجي وإذا نبقها والقلال بالكسر جمع قلة كقبة وقباب وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل فيها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت به قلة لأنها تقل أي ترفع وتحمل وليست بهجر التي من توابع البحرين. وقوله ان الإسراء كان قبل الهجرة بسنة قاله كثير من المحدثين وذكر النووي أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الاجماع على أنه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة في ربيع الأول انتهى وفي روضة الأحباب أنه كان في سبع وعشرين من رجب على وفق ما عليه عمل الحرمين الشريفين؛ وقيل في ربيع الآخر وقيل في رمضان وقيل في شوال وقيل كان بعد نقض الصحيفة وأجمعوا على أنه كان بعد الوحي. وقوله ظهرت بمستوى أي صعدت بمكان عال ومستوى اسم مفعول وصريف الأقلام صوت حركتها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ وفي نسخة صرير براءين وهو أشهر في اللغة انتهى المراد منه. وقد مر كثير من الكلام على هذه القصة عند قوله شرفه الرحمن بالإسراء إلخ.. (بل لم يزل)، صلى الله تعالى عليه وسلم، (يرقى) أي يصعد فوق السماوات (إلي أن نالا)، صلى الله تعالى عليه وسلم، فألفه للإطلاق (منزلة) من القرب والدنو إلي الله تعالى دنو تقريب واصطفاء ورؤية عيان لا دنو حيز ومكان جلست أي عظمت تلك المنزلة التي نالها عليه الصلاة والسلام عن أن ينالها ملك مقرب ولا نبي مرسل غيره (فلن

تنالاً) أي لا ينالها أحد فيما ياتي ولم ينالها أيضا فيما مضى. وروي أن جبريل لما وصل معه سدرة المنتهى قال له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ها أنت وربك هذا مقامي لا أتعداه ومقامي بفتح الميم أي موضعي المشار إليه بقوله تعالى: {وما منا إلا له مقام معلوم وهو سدرة المنتهى التي لا يتجاوزها أحد إلا نبينا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله النووي. قال الزرقاني واعلم أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ان كان استمر على البراق في عروجه يكون بلوغه أعلى السموات في سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه والصحيح خلافه وهو انه إنما ركبته إلى بيت المقدس ثم رقى في المعراج وهو السلم له درجة من ذهب ودرجة من فضة وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة انظر المواهب وشرحها وذكر الشيخ علي القاري في شرح الشفا أنه عليه السلام سأل جبريل أن يراه علي صورته التي جبل عليها فقال لن تقو على ذلك، قال بلى، قال فأين تشاء أن تخيل لك فقال بالأبطح فقال لا يسعني. قال فبمنى قال لا يسعني. قال فبعرفات قال ذلك بالحري أن يسعني فواعده فخرج النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، للوقت فإذا جبريل قد استوى له أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالأفق الأعلى في جانب المشرق في أقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الأفق من المغرب فلما رآه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى إذا دنا منه قدر قوسين أفاق فأراه في صورة الأدميين كما في سائر الأوقات فضمه إلي نفسه فقال لا تخف يا محمد، فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا. قال كيف لو رأيت إسرافيل عليه السلام إن العرش على كاهله وإن رجليه قد خرقتا تخوم الأراضين السفلى وأنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتي يكون كالوضع يعني كالعصفور الصغير قيل ولم ير جبريل عليه السلام أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد فإنه رآه فيها مرة في الأرض ومرة في السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى،

ذكره الأنطاكي.

(حباؤه والعزق بالمقام فيها (...))

الضمير المنصوب له عليه السلام وذو فاعل والعزة بكسر العين من الصفات الجامعة للتنزه عن كل نقص والاتصاف بكل كمال والمقام مقام الشفاعة الكبرى للفصل بين الخلائق وهي عامة في جميع من ضمه المحشر وهو المقام المحمود الموعود به في الآية الكريمة لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون والضمير المجرور عائد على ليلة المعراج المفهومة من السياق. وفي القاموس حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولا من أو عام. ومعنى البيت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة أسرى به أعطاه الله تعالى مقام الشفاعة العظمى التي يتبرء منها ويسلمها له أكابر الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام. قال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهد بك نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا. قوله أقم الصلاة الآية إشارة إلى الوقت الذي تقام فيه الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها وهو إشارة لوقت الظهر والعصر وغسق الليل ظلمته إشارة إلى المغرب والعشاء معا، وقرآن الفجر صلاة الصبح، سميت بذلك لطول القراءة فيها قليل عطف على الصلوات وقليل معمول إقرا مضمرا ومعنى مشهودا حضره ملائكة الليل وملائكة النهار، وقوله من الليل متعلق بمقدر أي وقم وقتا من الليل وتهجد، اسهر به، أي في ذلك الوقت أو بالقرآن ونافلة لك أي زيادة على الصلوات المفروضة وفي قيام الليل كثير من الفوائد منها أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس وينور القلب ويحسن الوجه، ويذهب الكسل، وموضعه تراه الملائكة كما يتراءى لنا الكوكب الدري في السماء.

وفي الحديث من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف كتب من المقنطرين رواه أبو داود. وقوله عسى، قال في اللباب قيل أجمع المفسرون على أن عسى

واجب من الله. وهو كالعلة لما قبله وانتصاب مقاما على الظرفية بإضمار فيقيمك أو على الحال أي ذا مقام محمود. وفي القسطنطيني في شرح وابعثه مقاما محمودا انه مفعول به على تضمين ابعث اعط ابن العربي وفي وجه كون قيام الليل سببا للمقام المحمود قولان: أحدهما أنه تعالى يجعل ما يشاء سببا لفضله من غير معرفة لنا بوجه الحكمة والثاني أن قيام الليل فيه الخلوة بالبارئ تعالى ومناجاته دون الناس فيعطى الخلوة به ومناجاته في القيمة فيكون مقاما محمودا ويعطى فيه من المحامد ما لم يعط أحد ويشفع فيشفع، انظر الريان.

وفي الشفا من رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض ممزوجا ببعض كلام شارحه ابن سلطان قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون بشد الميم أي يحزنون حزنا شديدا إلا أنه لا يهتم أحد إلا لنفسه ولا يلتفت إلي غيره، ولو كان أقرب أهله. وقال فيلهمون إلي طلب الشفاعة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا أي لكان حسنا أو لو للتمني، لا جواب لها، وعن أبي هريرة قتدنو الشمس أي تقرب من رؤوسهم قدر الميل على اختلاف في أن المراد ميل الفرسخ أو ميل المكحلة قيل بلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده أي بقدرته من غير واسطة في خلخته ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى تريحنا من مكاننا أي بالإزالة عن محل الغضب إلى موضع حكم الرب من دار الثواب أو دار العقاب فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله أي فلا يمكنني الشفاعة فيه لاسيما ونهاني عن الشجرة فعصيت أي بذوقها وهل هي شجرة الكرم أو السنبل أو النخلة أي التين نفسي نفسي، أي أهم عندي من غيري أو أخلص نفسي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي نوح فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض أي

من الكفار فلا ينافي أن آدم أيضا مرسل إلي أولاده الأبرار وكذا شئت بن آدم وادريس وسماءك الله عبدا شكورا، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا بفتح الغين وجوز اسكانها أي وصلنا من الشدة، ألا تشفع لنا إلى ربك، فيقول إن ربي قد غضب اليوم أي أظهر غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي، وفيه إيماء إلي قوله تعالى {يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها}. قال أي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويذكر سؤاله ربه بغير علم يعني قوله ان ابني من أهلي، وفي رواية أبي هريرة لقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلى ابراهيم فإنه خليل الله فياتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله أي مثل ما تقدم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها . ولكن عليكم بموسى فإنه كلم الله قال فياتون موسى فيقول لست لها. ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس وهو عطف تفسيره وسماء خطيئة على عادة الأنبياء في استعظامهم محقرات جائزة صدرت منهم إذ لم يكن هذا عن عمد بل عن خطأ في كافر ظالم لمسلم سبطي ولكن عليكم بعبسى فإنه روح الله تعالى أي ذو روح خاص من خلقه أجراه فيه بنفخ جبريل في جيب درع أمه فأوجد في بطنها غلاما بلا توسط مادة أو إضافة تشریف كبيت الله وناقاة الله وكلمته أي حيث أوجد بكلمة كن فياتون عيسى فيقول لست لها، عليكم بمحمد عبد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأوتى بصيغة المفعول المضارع وابدال الهمزة الثانية واوا للاجتماع الذي وقع فيه الاجتماع أي فياتوني فأقول أنا لها أي معد ومؤخر ومخلوق لها فأنطلق فاستاذن على ربي فياذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا، الحديث، وفي آخره فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي. وقوله ثلاث كلمات كذبهن أي في صورة كذبات وهي: اني سقيم، وفعله كبيرهم، وانها اختى لسارة. وليست كذبات وإنما هي معاريض أراد إنني سقيم لأن من عاش

يسقم أو يهرم ويموت، وأختي أي في الإسلام، وأراد بقوله فعله كبيرهم التبكيك بدليل إن كانوا ينطقون. والحكمة في الاتيان لمن ذكر قبله عليه السلام اظهار عظم جاهه عند الله اذ لو أتوه أول مرة لما ظهر أن غيره لا يشفع انتهى.

وفي الصحيحين لكل نبي دعوة أي عامة يدعو بها واختباء دعوتي شفاعاة لأمتي يوم القيامة أي أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، منها ما لا يعد، لكن حالهم في باقي دعواتهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من الإجابة وفي رواية في الصحيحين فتعجل كل نبي دعوته أي طلب حصولها في الدنيا وإنني ادخرت شفاعتي لأمتي في العقبى فإنها أعم وأبقى زاد مسلم فهي نائلة إن شاء الله تعالى. من مات لا يشرك بالله شيئاً. اللهم يا أرحم الراحمين اجعلنا ممن تناله شفاعته، صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك. (وبالرؤية والكلام) يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أعطاه الله تعالى ليلة المعراج رؤيته بلا مكان ولا مقابلة، ولا جهة للمرءى تعالى عن ذلك، وكلمه مباشرة بلا واسطة ملك، أما رؤيته له فقال بها ابن عباس وأنس وعكرمة وكان الحسن يحلف لقد رآه محمد ربه وقال الخازن روي عن ابن عباس أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكي عن أبي الحسن الأشعري وجمع من أصحابه أنه رآه وأنكرته عائشة وجاء مثله عن أبي هريرة وهو المشهور عن ابن مسعود ثم قال الخازن والحجج وان كانت كثيرة فإننا لا نتمسك إلا بالأقوى وهو حديث ابن عباس، قال الشيخ محي الدين والراجح عند أكثر العلماء أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رآه ربه عز وجل يعني بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم.. هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه، ثم

أن عائشة لم تنف الرؤية عنه بحديث عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على الاستنباط، والجواب عن احتجاجها بقوله لا تدركه الأبصار إن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا تحيط به الأبصار ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية انتهى. انظر الريان. وللمقري:

وقد رآه خير الوري الديانا ليلة أسراء به عيانا
في المذهب المصحح المشهور وهو الذي ينمى إلي الجمهور
وقال ابن سلطان والراجح كما قال النووي عند أكثر العلماء أنه رآه
بعيني رأسه وإثبات هذا ليس إلا بالسمع منه، صلى الله تعالى عليه
وسلم، وهو مما لا شك فيه وإنكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته
واحتجت بقوله تعالى {لا تدركه الأبصار}، وقلنا الإدراك الإحاطة ولا
يلزم من نفيها نفي الرؤية انتهى. وأما تكليمه تعالى له فحكى عن
الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه وعزا بعضهم هذا القول إلى جعفر
ابن محمد وابن مسعود وابن عباس انظر الخازن نقله الريان وفي
حديث المعراج الذي في الشفا في تعليمه عليه السلام الأذان فقل من
وراء الحجاب، صدق عبدي أنا أكبر قال عياض ظاهره انه سمع في هذا
الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب، كما قال تعالى وما كان لبشر أن
يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، أي وهو أي البشر لا يراه أي
الحق سبحانه حجب بصره عن رؤيته تعالى انتهى.

وقال ابن سلطان والمراد بقوله من وراء حجاب أن يكون البشر من وراء
حجاب البشرية المانعة من شهود الذات الصمدية بل يسمعه ولا يراه
كما كلم موسى عليه السلام وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا
عن موضع ويدل على تحديد المحجوب وإنما هو بمنزلة ما يسمع من وراء
الحجاب حيث لم ير المتكلم والله تعالى أعلم. وبهذا يؤول الإشكال من
إيهام سماع كلامه تعالى في الحديث المتقدم من جهة محصورة انتهى .
وبعضه بالمعنى وروى أحمد عن معاذ أنه عليه السلام قال إني قمت من
الليل فصليت ما قدر لي فنعست، وفي رواية فوضعت جنبي فإذا أنا

بربي في أحسن صورة. فقال يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى قلت أنت أعلم أي رب مرتين، قال فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردتها بين ثديي فعلمت ما في السماء والأرض. وفي الرواية الثانية فتجلى لي كل شيء، وعرفت ما في السماء والأرض ثم تلا هذه الآية: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} ثم قال فيم يختصم الملائة الأعلى يا محمد؟ قلت في الكفارات. قال وما هو؟ قلت المشي على الأقدام إلى الطاعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإبلاغ الوضوء أماكنه على المكاره من يفعل ذلك يعيش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه، الحديث. قوله في أحسن صورة صورة يحتمل أنه حال من الرائي ومعناه رأيته وأنا في أحسن صورة من غاية انعامه أحوال من المرءى تعالى وصورته ذاته المنزهة عن المماثلة. وقال الخطابي الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وعلى معنى صفته، تقول صورة هذا الأمر كذا أي صفته والمراد بالاختصاص تقاؤلهم في فضل تلك الأعمال، وقوله فوضع كفه كناية عن تخصيصه تعالى إياه بمزيد الفضل، وإيصال الفيض إليه وإلا فلا كف ولا وضع حقيقة، كما أن من عادة الملوك إذا أراد أحدهم أن يقرب بعض خدمه ويذكر معه أحوال مملكته أن يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفاً به وتعظيماً لشأنه. والبرد الراحة والضمير في بردها يعود إلى الكف وأراد بقوله بين ثديي قلبه وهو كناية عن وصول ذلك الفيض إلى قلبه ذكره الانطاكي قاله على القارئ وقال تعالى {والنجم إذا هوى} إلى قوله تعالى {فأوحى إلي عبده ما أوحى}، النجم الثريا وهوى سقط وصاحبكم أي نبيكم المبعوث إليكم وهو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقوله إن هو أي القرآن، أو نطق محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، والشديد القوي هو جبريل والقوي جمع قوة، روي أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين والمرة القوة أو المنظر الحسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن وقال في الضياء

شديد القوى في خلقه ذو مرة أي شدة في عقله ورأيه، واستوى استقام واعتدل، بمعنى أنه ظهر للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، على حقيقته التي خلق عليها وهو أي جبريل بالأفق أي جانب المشرق عند مطلع الشمس والأعلى الأرفع وهذه هي المرة التي رآه فيها على حقيقته في الأرض، وقوله دنا أي جبريل من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، حين خر مغشيا عليه لما رآه وتدلّى زاد في القرب، وكان جبريل من النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، قدر قوسين عربيتين أو أدنى علي تقدير كم فأوحى الله تعالى إلي عبده جبريل ما أوحاه جبريل إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل الضمائر في الآية كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه، إلي جناب قدسه وقاب قوسين كناية عن تأكيد القرب وأصله أن الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران. نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان. وروي في حديث الإسراء عنه عليه السلام فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك بفتح الراء أي ليسكن فزعك يا محمد ادن، ادن، وان روي بضم الراء فالمعنى لتطمئن نفسك والروع بالضم القلب، ومنه الحديث نفث جبريل في روعي انظر ابن سلطان) (وفرض) أي أوجب والفاعل عائد إلي قوله ربه، (الخمسین) صلاة علينا أول مرة (ثم) لم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يتردد بين ربه تعالى وموسى عليه السلام يطلب من ربه الكريم التخفيف على أمتة شفقة منه علينا إلى أن (خففا) المولى الكريم (عنا) معاشر الأمة، (به) أي بجاهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى أن انتهت الخمسون (الخمسة) من الصلوات في اليوم والليلة ولله الحمد. (وضعفا) المولى تبارك وتعالى بفتح العين المشددة أي كثر (ثوابها) أي الصلوات الخمس، (إذ) أي حين، (كثر) هو أي الله تعالى لنا معاشر الأمة (الأمدادا) بفتح الهمزة جمع مدد بالتحريك وهو العطاء (تفضلا) من المولى جل وعز، والتفضل الإعطاء عن اختيار لغير عوض ولا استحقاق يصح أنه

نصب بفعل محذوف أي تفضل بهذا تفضيلاً ويصح أنه مفعول له عند من لا يشترط كونه قلبياً (وقل) هو أي الله تعالى (الأعدادا) المفروضة علينا أولاً فجعلها خمسا بعد أن كانت خمسين وجعل ثواب كل واحدة من الخمسة قدر ثواب عشرة من الخمسين، ومعنى البيتين أنه تعالى فرض ليلة أسري بالنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة ثم في تلك الليلة خفف عنا الخمسين بجاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انتهى العدد المفروض لخمس صلوات في كل يوم وليلة فقلل العد وكثر ثواب تلك الخمس فجعل كل واحدة ثوابها قدر ثواب عشر صلوات مع أننا لا نستحق عليه ذلك فله الحمد على ذلك وعلى أن جعلنا ببركة نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، خير أمة أخرجت للناس.

ولنذكر تمام حديث الإسراء المتقدم وهو فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت مما غشيها فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلي موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك؟ فقلت خمسين صلاة، فقال ارجع إلي ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل فخيرتهم فرجعت إلي ربي أي إلي الموضع الذي ناجيته فيه أولاً، فناجيته فيه ثانياً فقلت رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلي موسى فقلت حط عني خمسا، قال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلي ربك فاسأله التخفيف فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنها خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلي ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. قوله لكل صلاة عشر أي ثواب عشر صلوات وقوله فلتك خمسون أي بحسب

المضاعفة ولعل هذه المراجعة لما ألهمها لم يكن الوجوب مبرما أو أوجبها أولا ثم رحمنا فنسخها بيانا فيجوز نسخ وجوب الشيء قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح إسماعيل عليه السلام قصده تبينا لمحل فضله وكرمه. وقوله استحيت بياءين وفي نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو أن المبالغة في تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين من باب الوفاء في تحمل البلاء لحصول الولاء انظر ابن سلطان. (وأم خير مرسل للرسول) يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أم الرسل ليلة الإسراء في السماء كما أمهم في الأرض ببيت المقدس وقد مر عند قول الناظم صدر الكتاب، شرفه الرحمن بالإسراء إلخ الحديث الذي فيه تعليمه عليه السلام الأذان تلك الليلة، وفي آخره. وقال أي الراوي ثم أخذ الملك أي المؤذن بيد محمد فقدمه، فأمر أهل السماء فيهم آدم ونوح، رواه عياض في الشفاء. وقوله خير فاعل أم وللرسول مفعوله واللام زائدة (وعاد) هو أي خير مرسل أي رجع إلى منزله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمكة بعد أن عرج به من المسجد الأقصى وهو بيت المقدس (من قبل انقضاء) أي تمام (الليل) ففي رواية ابن اسحاق والطبراني وابن جرير عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأهبنا بشد الموحدة أيقظنا، انظر ابن سلطان، فأخبر هو أي المصطفى عليه السلام، (الناس) أي قريشا وغيرهم ممن حضر (بما قد اطلع عليه) أي أعلمه الله تعالى به وعرفه وأراه (في مسراه) أي سيره ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد القدس والمراد بالبركة حوله بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى إلي زمن عيسى عليهم السلام وهو محفوف بالأنهار والأشجار والأزهار والثمار قاله ابن سلطان. (لما) ظرف زمان أي حين (أن رجع) وإن زائدة وأخبرهم أيضا بما رآه في معراجه مما شاء الله أن يخبرهم به وأراد المصنف بالمسرى ما يشمل العروج ووجه تسمية بيت المقدس بالأقصى لبعد مسافته من المسجد الحرام وقد مر أن من جملة ما أخبرهم به ركوب البراق وسرعة

سيره وربطه بصخرة ببيت المقدس وصلاته بالأنبياء فيه وعروجه إلي
المحل الذي لم يصل إليه غيره ورؤيته لله تعالى وكلامه إياه ورؤيته
جبريل على صورته التي خلق عليها ورؤية الجنة وتعليمه الأذان وصلاته
بالأنبياء في السماء وغير ذلك ، وأخبرهم بصفة بيت المقدس ففي مسلم
لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن أشياء أي من بيت المقدس لم
أثبتها أي لم أضبطها فكربت بالبناء للمجهول كربا أي غما يأخذ
بالأنفس ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى لي لانظر إليه وما سألوني
عن شيء إلا أنبأتهم وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في
حديث الإسراء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لما رجعت إلي خديجة
وما تحولت عن جانبها أي إلى جانب آخر منها وفيه إشعار بتقليل زمن
الإسراء مع أنه كان إلي مقام قاب قوسين أو أدنى ولعله، صلى الله
تعالى عليه وسلم، أول ما رجع دخل على خديجة انتهى من الشفا وشرح
القاري له.

تنبيه:

قد مر للنظام أن الإسراء كان ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،
ابن أشهر وواحد وخمسين عاما وذلك ينافي أن خديجة رضي الله تعالى
عنها أدركت الإسراء لأنها ماتت هي وأبو طالب في آخر السنة العاشرة
من البعث بعد انقضاء الحصار والحديث المار أنفا عن الشفا صريح في
انها أدركت الإسراء والجواب أن الذي قاله الزهري ورجحه عياض
والقرطبي والنووي ثلاثتهم في شرح مسلم أنه كان بعد المبعث بخمس
سنين وفي الفتح عن الزهري انه قبل الهجرة بخمس سنين انظر
المواهب وشرحها وفي شرح ابن سلطان ان النووي ذكر أن معظم السلف
وجمهور المحدثين والفقهاء أن الاسراء بعد المبعث بستة عشر شهرا
انتهى. وهذا يفيد أن الراجح إدراك خديجة للإسراء وإن اختلف العزو
فيه للنووي لكن صدر في الشفا بأنه قبل الهجرة بسنة وفي ابن سلطان
ان السبكي اختاره والله تعالى أعلم قاله مؤلفه سمح الله تعالى له.

(فمن سعيد مؤمن بما ذكر ومن شقي خاسر به كفر)
 معني البيت أنه عليه السلام لما أخبر الناس بقصة الإسراء كان الناس
 على قسمين فمنهم سعيد مؤمن أي مصدق بما أخبر به، صلى الله تعالى
 عليه وسلم، ومنه شقي خاسر أي ضال كفر به والعياذ بالله تعالى. خسر
 كفرح وضرب: ضل، قاله في القاموس. ولما كذبه من كذبه صلى الله
 تعالى عليه وسلم في الإسراء صدقه الصديق وروي أنه لقب به في ذلك
 اليوم.

وقوله فمن سعيد مؤمن إلخ، يصح عندي أن مجرور من محذوف وما
 بعد من مرفوع بالابتداء أي فمنهم سعيد ومنهم شقي، والضمير عائد
 على قوله الناس، وحذفه لدلالة الكلام عليه، كقوله:

وحاجة ما إن لها عندي ثمن ميسورة قضاؤها منها ومن
 أراد ومني. ويصح أنه بمعنى إلى والمجرور متعلق بمحذوف أي فانقسموا
 إلي سعيد وإلى شقي ويصح أن الفاء زائدة ومن للبيان أي فأخبر
 الناس الذين هم سعيد مصدق بما أخبره به وشقي كافر به. ويكون
 كقوله:

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
 من منادوم من مجيب ومن تصهال خيل ل خلال ذاك رغاء

والله تعالى أعلم. وأعلم أن بعضهم قال إن الإسراء كان يقظة بجسده إلي
 بيت المقدس وبروحه إلى السماء وذهب بعضهم إلى أنه رؤيا منام وأنه
 إسراء بالروح مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، والحق هو ما
 قدمته من أنه بالجسد يقظة في القصة كلها والصحيح أن الإسراء
 والمعراج في ليلة وقيل كان الإسراء في ليلة والمعراج في أخرى.

(والشمس بالصهباء للمختار وددت ((...))
 الشمس مبتدأ وردت بالبناء للمجهول ونائبه ضمير الشمس، والجملة

خبره والصهباء بالمد ويقصر موضع على مرحلة من خيبر يعني أن من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم أن الله تعالى رد له الشمس بعد غروبها فرجعت من مغربها وحديثها خرج الطحاوي وابن مردويه. قال في الشفاء وأما رد الشمس له فخرج الطحاوي عن أسماء بنت عميس بمهملة مضمومة مصغرا من طريقين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل أي علي العصر حتى غربت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أي بعد ما أفاق من الاستغراق أصليت يا علي؟ قال لا. فقال اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس. قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء. وقوله وقفت ويروى وقعت بالعين بدل الفاء. قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقة أي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما فجعلهما حديثين لروايته لهما من طريقين، هذا وقال ابن الجوزي أنه موضوع وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف أساند الطحاوي وقال ابن الجوزي أنا لا اتهم بوضعه إلا ابن عقدة لأنه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى. ولا يخفى أن مجرد كون الراوي رافضيا أو خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه إذا كان ثقة وكأن الطحاوي لاحظ هذا المعنى ثم من المعلوم أن من حفظ حجة على من لم يحفظ والأصل العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية. وأما ما ذكره ابن الجوزي من أن في الصحيح أن الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع فالجواب أن الحصر باعتبار الأمم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية قاله ابن سلطان. وقال في الشفاء وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوءة. قال ابن سلطان والصحاوي هو الإمام الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبراني وغيره وهو مصري من أكابر علماء الحنفية، لم يخلق مثله وكان أولا شافعيًا يقرأه على خاله المزني ثم صار حنفيًا توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وطحا من قرى مصر، انتهى. وهذا

الحديث ذكره في المواهب وذكر ان ابن تيمية ذكر أنه موضوع، وقال والعجب من القاضي عياض مع جلالة قدره في علوم الحديث كيف سكنت عنه موهما صحته، موثقاً رجاله انتهى. قال الزرقاني ولا عجب أصلاً لأن إسناده حديث أسماء حسن، وكذا إسناده أبي هريرة الآتي كما صرح به السيوطي قائلًا ومن ثم صححه الطحاوي والقاضي عياض وذكره ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ كما بينته وقد نص ابن الصلاح وغيره على تساهل ابن الجوزي في الموضوعات حتى أنه أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة، قال السيوطي:

ومن غريب ما تراه فاعلم فيه حديث من صحيح مسلم
فهذه غفلة شديدة منه، يحكم بوضع حديث في الصحيحين وقال في الفتح أخطأ ابن الجوزي وكذا ابن تيمية في زعم وضعه يعني الحديث المتقدم انتهى المراد من كلام الزرقاني.

ثم قال في المواهب: وقال شيخنا أي السخاوي، قال الإمام أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزي لكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض، وأخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث أسماء وابن مردويه من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني بإسناد حسن انتهى.

وأسماء هذه خثعمية تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر ثم علي وولدت لهم وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، لأمها والحجر بتثليث الحاء الحُضْن، والأظهر أن الرأس كان على ركبته وهو نائم وتمكن الرأس من الفخذ فجعل الحُضْن محلاً للرأس، تجوزاً، قاله الزرقاني والطحاوي بفتح المهملتين وروى الطبراني بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل علياً في حاجة هي قسم غنائم خيبر ورجع وقد صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العصر ووضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك علي احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس. قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى

وقعت على الجبال وعلى الأرض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت
وذلك بالصهباء.

وفي لفظ آخر، كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل عليه الوحي يغشى
عليه فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي، فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لما سرى عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا
الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر وقوله وفي لفظ آخر أي
للطبراني أيضا انظر المواهب وشرحها.

(ويوم العير في الأخبار)

المجروح متعلق بمحذوف أي روي هذا في الأخبار ومعنى كلامه أن
الشمس ردت أيضا معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم يوم قدوم
عير قريش التي مر بها ليلة أسري به فأخبرهم أنها تقدم يوم الأربعاء
فلما ولى النهار ولم تجئ العير أشرفت قريش ينظرون فدعا، صلى الله
تعالى عليه وسلم، أن يمد له ذلك حتى تقدم عير قريش قبل انقضائه
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ذكره في الشفاء وذكره
في المواهب وقال الزرقاني في قوله حبست عليه أمسكها الله تعالى
وعوقها عن سيرها حتى قدمت العير قبل غروبها انتهى.

وقال ابن سلطان في شرح الشفاء في تفسير حبست أي ببطء حركتها
وقيل توقفت وقيل ردت كما تقدم انتهى

الناظم مشى على هذا القول الأخير في كلام ابن سلطان ويقدر لكلامه
حبست إذ لا يشترط تقدير العامل بعد العاطف كما قال ناظم التسهيل:

لم يشترط تقديرنا ما يعمل من بعد عـاطف

وقوله أشرفت أي قامت على شرف وهو المكان المرتفع لتنظر العير

قادمة أم لا وولى النهار أدبر بمقاربة الغروب وقال الزرقاني وعورض

هذا بما ورد واقتصر عليه البيضاوي والزمخشري أنه عليه السلام قال

يقدمها جمل أ ورق عليه غرارتان مخططتان تطلع عليكم عند طلوع

الشمس فخرجوا ينتظرون طلوعها فقال قائل منهم هذه الشمس قد

طلعت وقال آخر هذه الإبل قد طلعت يقدمها إلخ.. فقالوا ان هذا إلا سحر مبین.

وعند ابن أبي حاتم فلما كان ذلك اليوم الذي قال انهم ياتون فيه أشرف الناس ينتظرون حتى إذا كان قرب نصف النهار أقبلت العير يقدمها ذلك الجمل كما وصف صلى الله تعالى عليه وسلم ولا معارضة لأنه مر بعيرين بل بثلاثة، وكان إحداهما تأخرت. روى ابن مردويه والطبراني عن أم هانئ قالوا أخبرنا عن عيرنا قال أتيت على عير لبني فلان بالروحاء قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت إلي رحالهم فليس بها منهم أحد وإذا قدح ماء فشربت منه ثم انتهيت إلي عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان: غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت إلى عير بني فلان بالتنعيم يقدمهم جمل أورق عليه مسح أسود وعليه غرارتان سوداوان (الحديث) انتهى.

وذكروا أيضا أن الشمس حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق وتعقب بأن الثابت في الصحيح أنه عليه السلام صلى العصر في وقعة الخندق بعدما غربت الشمس وأجيب بأنه كان في يوم آخر إذ وقعة الخندق كانت أياما انتهى المراد من كلام الزرقاني. (وإذ) معمول اذكر محذوفا (أتى الفجار) يعني كفار قريش (نحو الباب) أي داره التي هو فيها صلى الله تعالى عليه وسلم (لقتله) أي لأجل قتله صلى الله تعالى عليه وسلم والعامل فيه أتى وذلك حين أراد الهجرة فعلموا أنه أجمع لحربهم فتشاوروا فيما يفعلون به فأشار إليهم اللعين أبو جهل بأن ياخذوا من كل بطن من قريش رجلا فيقتلوه دفعة ليتفرق دمه في قريش ووافق اللعين إبليس على الرأي كما مر مستوفى في الكلام على الهجرة فأتاه جبريل فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبست عليه ، فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابة صلى الله تعالى عليه وسلم يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه فلما رء صلى الله تعالى عليه وسلم مكانهم أمر عليا أن ينام مكانه وقال تسبح برداءي هذا

الأخضر فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه ثم خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من الباب ونثر على رؤوسهم كلهم ترابا كان في يده فما ترك رجلا منهم إلا ووضع على رأسه ترابا. وعند ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم كما في المواهب فما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل ببدر كافرا. وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

(فقام) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالتراب) الذي كان بيده عليه السلام وهو يتلو علي ما في المواهب قوله: يس إلي قوله تعالى: فأغشيناهم فهم لا يبصرون. (وذره) أي التراب، أي فرقه، (على رؤوس القوم) الذين كانوا يريدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم (فسقطت أذقانهم) جمع ذقن بالتحريك وهو مجمع اللحين، (بالنوم) أي بسببه ثم انصرف عليه السلام حيث أراد فلم يره أحد منهم. وروى أحمد بإسناد حسن أنه خرج حتى لحق بغار ثور وفي البيضاضوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر إلى الغار انتهى. وروى أن القوم أتاها من ممن لم يكن معه فقال ما تنتظرون ها هنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا هو عليه تراب، (وقال) عليه السلام (شاهت الوجوه) أي قبحت، (ودعا) عليهم، (فمن أصابه ببدر صرعا) أي فكل من أصابه ذلك التراب صرع أي قتل ببدر كافرا والعياذ بالله تعالى. وفي العيون في عدد المعجزات: وإن الملائكة من قرئش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فحفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال شاهت الوجوه وحبسهم فما أصاب رجلا منهم بشيء من الحصباء إلا قتل يوم بدر انتهى منه.

تنبيه:

قد مر عن المواهب أنه عليه السلام تلا عند خروجه يس، قال الزرقاني عن السهيلي يؤخذ منه أن من أراد النجاة من ظالم أو أراد الدخول عليه

يتلو هذه الآيات وقد روي في فضل يس مرفوعا أن من قرأها خائف
أمن أو جائع أشبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي انتهى.
وفي الشفا ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش
اجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد
ضرب الله على أبصارهم أي حجبها عن رؤيته وذر التراب أي فرقته
ونثره على رؤوسهم وخلص منهم. قوله ومنه أي ومن قبل أخذ الله
أبصار الأعداء وبيتوه بشد التحية أي دبروه ليلا ليقتلوه غيلة على
غرة وغفلة، قال الحلبي وكانوا مائة ومعنى خلص نجا من غير أن يصيبه
شيء وفي رواية أنه خرج من ظهر البيت طأطأت له جارية اسمها مارية
خادمتة عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدران الذي للبيت من ظهره
قاله على القارئ. وللعراقي:

كذا التراب في رؤوس القوم قد وضعه ولم يره منهم أحد
والقوم كفار قريش وذلك لما أراد الهجرة فاجتمعوا ببابه فأخذ كل منهم
سيفا ليضربوه ضربة رجل واحد فخرج عليهم ووضع التراب على
رؤوسهم ولم يره منهم أحد قاله المناوي.

(وفي حنين إذ رمى الأقواما بقبضة فانهزموا انهزاما)
قوله في حنين متعلق برمي بعده وإذ معمول لأذكر محذوفا أي وأذكر
من معجزاته صلى الله عليه وسلم إذ رمى جيوش الكفار على كثرتهم
في غزوة حنين بقبضة من التراب بضم القاف وتفتح بمعنى مقبوضة
كما في ابن سلطان وفي رواية تناول حصيات وفي رواية أخذ كفا من
تراب فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم إلا امتلأت
عينه وفمه ترابا، فولى المشركون الأدبار وانهزموا انهزاما شديدا
وروي أن الكفار كانوا نحو ثلاثين ألفا ووصول تلك الحصيات إلى كل
واحد من هذه الألوف حتى هزمتهم وشتت شملهم من أعظم المعجزات.
قال المناوي وهو أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها حبال السحرة
انتهى. وللعراقي رحمه الله تعالى:

والجيش في يوم حنين إذ رموا منه بقبضة ترابا هزموا وأنزل الله به كـتـابا وامتـلأت أعـينهم ترابا وترابا تمييز وقوله به أي في شأن الرمي فقال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى قاله المناوي وما ذكر من أن الآية نزلت في شأن الرمي يوم حنين غير متفق عليه قال ابن جزي في تفسير هذه الآية كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب أوحصى ورمى بها في وجوه الكفار فانهزموا فمعنى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة انتهى.

وقال الثعالبي في تفسيرها روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ يومئذ ثلاث قبضة من حصى أو تراب فرمى بها في وجوه القوم فهزموا عند آخر رمية ويروى أنه قال يوم بدر شأهت الوجوه وهذه الفعلة أيضا كانت يوم حنين بلا خلاف انتهى وقال الخازن بعد كلام في تفسيرها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى عليه تراب فرمى في وجوه القوم وقال شأهت الوجوه يعني قبحت فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم فذلك قوله عز وجل وما رميت (الآية) انتهى. واقتصر على أن هذا يوم بدر كما يعلم بالوقوف عليه انتهى. وكلام المفسرين هذا من الريان تفسير الوالد حفظه الله تعالى:

(وفي حمام الغار والعناكب حاككت وباضت أبداع العجائب) قوله أبداع أفعل تفضيل وهو مبتدأ وخبره المجرور قبله والبدة في اللغة ما فعل على غير مثال قال تعالى: {قل ما كنت بدعا من الرسل} والعناكب جمع عنكبوت وحاكت أي نسجت راجع للعناكب، وباضت أي ألقى بيضها راجع للحمام وباضت وحاكت الظاهر أنهما بدل اشتغال مما قبلهما بتقديران يعني وفي بيض الحمام على الغار ونسج العنكبوت على فمه مع أن فيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله تعالى عنه معجزات لم يقع مثلها قبلهما، وذلك من أعظم

الأمور التي يتعجب منها لأنها لم تكن مألوفة لأن هذين الحيوانين متوحشان لا يالفان معمورا فمهما أحسا بإنسان فرا منه وروي أن المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا إلي بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام، وروي أن بعض قریش قال لهم ادخلوا الغار فقال أمية ابن خلف وما أربكم إلي الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد، وروي أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيتا بالنسل وحمايته في الحرم وفي المثل أمن من حمام الحرم والعنكبوت دويبة تنسج في الهواء واستعمال الحوك في فعلها مجاز لما بينهما من المشابهة وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل انه عليه الصلاة والسلام لما دخل هو وأبو بكر الغار أنبت الله على بابه الرأة وهي بالراء المهملة والمد والهمز أم غيلان، ضرب من العضاء وعن الدنيوي انها تكون مثل قامة الإنسان لها زهر أبيض تحشى به المخاد كالريش في الخفة واللبن وما أحسن قول صاحب البردة:

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
وتنسج بفتح التاء وكسر السين وضمها أي العنكبوت ولم تحم أي الحمام
ففيه لف ونشر مقلوب وقوله وقاية الله إلخ. أي حفظه لحبيبه بهذين
الضعيفين جدا من عدوه مع شدة بأسه كفت عن الدروع المضاعفة وهي
المنسوجة حلقتين حلقتين وعن العالي من الأطم بضميتين وهي الحصون
التي يتحصن فيها. وقال أيضا في لاميته:

وا غيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبي معمور وما هول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قدءا واهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها وما مكائدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما

كأن أبصارهم من زيغها حول

قوله كمثّل قلبي صفة مصدر محذوف أي تعميرا وتهويلا كتعمير وتأهيل قلبي، والغيل بكسر المعجمة الشجر الكثير الملتف والعناية بكسر العين وفتحها. وجلال بجيم غطى، ووهن ضعف، وقوله ينظرون أي إلي الحمام وبيضه ونسج العنكبوت انتهى من الزرقاني. والنسج بفتح النون بمعنى المنسوج قاله السجلماسي في شرح الهمزية وقوله فيما مر ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد، رواية الشفا أن ألبا قال ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى انه قبل ان يوجد محمد.

(وإذا رأى سراقلة الهلاك بك استغاث فنجا هناكا)
سراقلة هو ابن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين بينهما مهملة ساكنة ثم ميم ونقل النووي في التهذيب والبرهان في النور فيه فتح الجيم والشين وهو من بني مدلج بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة أسلم بالجرمانية، منصرفه عليه السلام من الطائف قاله الزرقاني والخطاب في البيت للنبي صلى الله عليه وسلم لحضوره في الذهن أي وإذ عاين وتيقن سراقلة الهلاك حين أراد المكر بك يا رسول الله استغاث بك أي طلب منك أن تغيثه أي تخلصه من الهلاك الذي عاينه فدعوت له فنجا أي خلص مما كان خافه وهناك الأقرب فيها أنها للزمان هنا نحو هنالك ابتلي المؤمنون أي نجا تلك الساعة وأشار بهذا الى القصة المتقدمة في الهجرة. قال في الشفا قصته حين الهجرة وقد جعلت قریش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه وأتبعه حتى إذا قرب دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبي وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم: أتينا. فقال لا تحزن إن الله معنا، فساخت ثانية إلي ركبتها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره صلى الله

تعالى عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. قوله الهجرة بكسر الهاء وقال التلمساني بفتح أو كسر قوله جعلت قريش فيه قال السهيلي بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وأنذر بالبناء للمجهول أي أعلم سراقته به أي بتوجهه عليه السلام إلى المدينة وساخت بالحاء المعجمة أي غاصت وغابت والأزلام جمع زلم بفتححتين أو بضم ففتح وهي سهام لا ريش بها ولا نصل يكتب على أحدها افعل وعلى آخر لا تفعل، وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة وكان بعضهم يضعها في متاعه وجعبته فإذا عرض له مهم أخرج سهمها فإن خرج افعل، فعل أو لا تفعل ترك وإن خرج المغفل اعاد العمل وقيل المكتوب على الواحد أمرني ربي وعلى الثاني نهاني والثالث غفل لا شيء عليه وأصل معنى استقسم ضرب بها لإخراج ما قسم الله له من أمره ونهيه، قاله ابن سلطان.

وفي البخاري أن قريشا جعلوا دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره وللإسماعيلي أن سراقته لما نجا قال هذه كنانتي فخذ منها سهمها فإنك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا وخذ منهما حاجتك فقال لا حاجة لنا في إبلك وفي رواية أن سراقته قال يا نبي الله مرني بما شئت قال فقف مكانك لا تترك أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له رواه البخاري. وقوله مسلحة أي حارسا له بسلاحه. ولابن عقبة وابن اسحاق عن سراقته فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين خرجت للقاءه ومعني الكتاب فألقيته بالجعرانة فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر، ادن، فدنوت منه وأسلمت، انتهى.

ولما بلغ أبا جهل أمر سراقته لأمه على تركهم فقال:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمدا نبي ببرهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القسوم عنه فإنني أرى أمره يوما ستبدوا معاله وروي انه عليه السلام قال له يوم لحقهما في الهجرة كيف بك إذا لبست سوارى كسرى فعجب من ذلك فلما أوتي بها عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقه فألبسه السوارين وقال ارفع يدك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقه بن مالك، إعرابيا من بني مدلج. ورفع عمرو صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين انظر الزرقاني. (ودرت الألبان) أي كثرت (إذ) أي حين (مسحتا) بيدك المباركة على (ضروع من شياه) لا لبن لها، (شتى) جمع شتيت بمعنى متفرق نعت لشياه، يعني أن ذلك وقع معجزة له عليه السلام غير ما مرة، والمسح كالمنع امرار اليد على الشيء ومثل الناظم رحمه الله تعالى لما ذكر من درور الألبان بثلاثة أمثلة أولها أشار له بقوله (كشاة عبد الله) بن مسعود الهذلي القديم الإسلام من علماء الصحابة وقال فيه المصطفى عليه السلام رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وكانت حائلا لا لبن لها ولم ينز بفتح الياء وسكون النون وضم الزاي أي لم يثب ولم يعمل عليها فحل للضراب فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود قاله ابن سلطان (والمقداد) أي وشاة المقداد وكانت حائلا لا لبن لها وهي في صحيح مسلم، قال ابن سلطان وقصة شاة المقداد مختصرة ما روي عنه قال أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهب أسماعنا وأبصارنا من الجهد يعني الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي فانطلق بنا إلي أهله فإذا ثلاث أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا، فكنا نحلب فكان يشرب كل انسان نصيبه ونرفع للنبي نصيبه فيجيء من الليل فيشرب به فوق في نفسي ذات ليلة ان نبي الله ياتي الأنصار فيتحفونه ما به حاجة إلي هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية أنه إذا جاء فلم يجده يدعوا علي فأهلك وجعل لا يجيء النوم وأما صاحبائي فناما فجاء صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيئا فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعوا علي فقال اللهم اطعم من أطعمني

واسق من سقاني قال فأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز أيتها أسمن أذبها له فإذا هي حفل كلهن فعمدت إلي إناء فحلبت فيه حتى علتة رغبة فجئنت به إليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الأرض، فقال أفدني سواك يا مقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي؟ قال فقلت يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذه إلا رحمة من الله ، انتهى كلامه.

(وأم معبد) أي وشاة أم معبد وتقدمت قصتها في الهجرة مبسوطه، واختصارها أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مر هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ومعهم دليلهم عبد الله بن الأريقط وهو على الكفر على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية بقديد وكانوا مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال عليه السلام أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت نعم. فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت وحلب وسقى القوم حتى رووا، وشرب هو آخرهم الحديث. وشاة أم معبد أختلف فيها هل هي عنز أو نعجة والأصح أنها نعجة بيضاء نقله حماد في شرع كتاب الأنساب عن السهيلي.

(من الأفراد) الظاهر أنه خبر مبتدأ محذوف أي وهذه المعجزات من الأفراد جمع فرد وهو الذي لا نظير له، وفسرها بعضهم بقوله: أي الأشخاص الذين وقع ذلك في شياهم والله تعالى أعلم. وفي الشفا ومنه أي من هذا النوع بركته في درور الشياخ الحوافل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليلة وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد انتهى. قال ابن سلطان في شرحه وكلها كانت مثل شاة أم معبد ودرت ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم. وقوله الحوائل بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن. ومعاوية بن ثور وفد على النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له ومسح رأسه وأعطاه أعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية في أبيه:

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات انتهى. وفي شرح صلاة ربي للشيخ اليدالي أنه عليه السلام اجتاز هو وأبو بكر بعبد يرعى غنما فاستقياه لبنا فأتاهما بشاة لابن فيها وحلبها، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد أن دعى فسقى أبا بكر ثم الراعي ثم شرب، وهذا محمول على علم سيد العبد مع ظن رضاه والجواب بأنه مال حربي لا يصح لأن هذا قبل مشروعية الجهاد. انتهى.

(وكم من الأعيان قلبه انجلى بلمس يمينك بمشهد الملا) كم هنا تكثيرية وهي مبتدأ ومن الأعيان مميزها وقلبه مبتدأ وانجلى خبره والجملة خبر كم والباء في بلمس سببية، والملا جماعة الأشراف أي ومن معجزاتك يا رسول الله أن كثيرا من الأشياء انقلبت عينه أي تحولت ذاته بسبب لمس يدك المباركة وحضر ذلك جماعة أصحابك الأشراف ونقلوه لمن بعدهم جزاهم الله أحسن الجزاء ومثل لذلك بقوله: كئاية العرجون إذ أضاء لولد النعمان في سوداء العرجون بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو أصل العرق الذي يعوج وينعطف ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً ولعله العذق مطلقاً قاله ابن سلطان. وقال الزرقاني أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى يابساً على النخل، سمي بذلك لانعراجه وانعطافه. ونونه زائدة انتهى. والنعمان بضم النون ويعني بولده قتادة بفتح القاف الأوسي البدرى صاحب العين التي ردها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقوله في سوداء نعت لمحذوف أي في ليلة سوداء أي مظلمة (مظيرة) فعيلة بمعنى فاعلة واسناد المطر إليها مجاز ولا يقال أنها بمعنى مفعولة أي ممطر فيها لوجود الهاء قاله الزرقاني.

(عشوا) بالقصر أي صاحبها أعشا فلا يبصر فيها لظلمتها. وقوله (إلى أن ولجا) غاية لقوله أضاء ومعنى ولج دخل ومفعوله محذوف تقديره بيته. (فضرب الشيطان حتى خرجا) وكان يراه علي غير صورته

والمعنى أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما رواه أحمد بسند صحيح كما في ابن سلطان أن قتادة بن النعمان صلى معه صلى الله تعالى عليه وسلم، العشاء في ليلة مظلمة مطيرة فأعطاه عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا، أي من الأذرع ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان. فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج ونسبه في المواهب لأبي نعيم قال الزرقاني والمخرج هذه القصة الطبراني وقال انه كان في صورة قنفذ قال وأخرج أحمد عن أبي سعيد قال هاجت السماء فخرج النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، لصلاة العشاء فبرقت برقعة فرأى قتادة فقال ما السري يا قتادة؟ قال يا رسول الله إن شاهد العشاء قليل، فأحببت أن أشهدها. قال إذا صليت فأت فلما انصرف اعطاه عرجونا فقال خذ هذا فسيضيء لك فإذا دخلت البيت ورأيت سوادا في زاوية البيت فاضربه قبل أن تتكلم فإنه شيطان انتهى. وقوله سوادا أي جسما ذا سواد. ومراد الناظم بقلب العين هنا تحول عرض العرجون إلى كونه ضوءا ولم يذكره ابن سلطان ولا الزرقاني في انقلاب الأعيان وإنما ذكر ذلك من رأيت في جذل عكاشة ونحوه ويأتي إن شاء الله. قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه ومما يناسب إضاءة العرجون إضاءة العصي لعباد بن بشر وأسيد بن حضير وإضاءة أصابع حمزة بن عمرو الأسلمي حتى جمعوا على ضوء أصابعه ركابهم وما سقط من متاعهم وكان كل مما ذكر في ليل شديد الظلمة وقد نظمت ذلك في ثلاثة أبيات فقلت:

(ولابن بشر وأسيد ابن حضير	ضوء العصا كمثل مصباح منير
كذا أصابع ابن عمرو الأسلمي	حمزة ضوءها بدا في الظلم
حتى ركابهم عليها جمعوا	وعزوا هذا للبخاري يسمع)

ابن بشر هو عباد بن بشر بن وقش بفتح الواو أسلم قبل الهجرة وشهد بدرًا وأبلى في الإمامة بلاء حسنا واستشهد بها وأسيد بضم الهمزة

وحضير بضم المهملة ابن سماك وهما أوسيان أشهلان وروى البخاري في تاريخه عن عائشة قالت ثلاثة من الأنصار لم يكن أحدا يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر، انتهى.

وقصتهما باختصار انهما كانا عند النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبید كل منهما عصی فأضاءت لهما عصی أحدهما فمشيا في ضوئها، اكراما لهما ببركة نبيهما، آية له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإظهار السر.

قوله عليه السلام بشر المشايين في الظلم إلي المساجد بالنور التام يوم القيامة، رواه أبو داود وغيره. وأدخر لهما يوم القيامة ما هو أعظم وأتم من ذلك، قاله الزرقاني. قال في المواهب حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه أي مقصده. وفي رواية ومعهما مثل المصباحين وقولي كذا أصابع ابن عمرو هو حمزة بحاء مهمة ابن عمرو بن عويمر بن الحارث بن سعد الأسلمي صحابي جليل، كان يسرد الصوم أخرج البخاري في تاريخه عنه قال كنا مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في سفر فتفرقنا في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وان أصابعي لتنير قاله في المواهب وساقه الشامي بلفظ وما سقط من متاعهم. وتنير بضم التاء أي تضيء، انتهى من الزرقاني. وساق هاتين القصتين في المواهب عقب قصة العرجون.

(والجذل لابن محصن ببدر دفعته (...))

الجذل بكسر الجيم ويفتح وسكون ذال معجمة أي أصل شجرة والمراد به هنا عود وقيل هو الخشبة الغليظة ومحصن كمنبر وابنه هو عكاشة الأسدي البصري وهو بضم المهملة وشد الكاف وتخفيفها، انظر ابن سلطان، والجذل الأرجح رفعه على الابتداء وخبره دفعته ويتعلق به المجروران، (فعاد) هو أي الجذل أي صار ببركته، صلى الله تعالى عليه

وسلم، (سيفا) خبر عاد، (يفري) بفتح التحتية أي يقطع صفة لقوله سيفا أي فصار في يده سيفا قاطعا يعني أن من قلب الأعيان معجزة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما رواه البيهقي من أنه عليه السلام دفع لعكاشة بن محصن حين انكسر سيفه يوم بدر جذل حطب وقال له اضرب به فعاد في يده سيفا صار ما طويل القامة أبيض أي بريق اللمعان شديد المتن من المتانة وهي القوة أو قوي الظهر فإن المتن هو أصل الشيء الذي به قوامه بمنزلة الظهر للأعضاء، قاله علي القارئ.

(ولم يزل) ذلك السيف، (لديه) أي لدى عكاشة أي عنده يشهد به المواقف (حتى استشهدا) بالبناء للمجهول في قتال أهل الردة، (عونا) أي معينا له على القتال، وفيه إيماء إلى اسمه فإنه كان يسمى العون، (به) يتعلق بقوله (يضرب أعناق) جمع عنق وهو الجيد (العدا) بكسر العين وضمها جمع عدو، (وإذ دفعت) يا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، (لابن جحش) بفتح الجيم وسكون المهملة يعني بابن جحش عبد الله البدري المجدع في الله وهو بن أسد خزيمة (بأحد) بضم التين أي في يوم أحد عسيب نخل العسيب كأمير، قال في ابن سلطان في تفسيره أي جريدة منه، مما لا خوص عليه وما نبت عليه الخوص فهو سعف، والخوص الأوراق انتهى منه.

وفي القاموس والعسيب جريدة من النخل مشتقة من دقيقة يكشط خوصها والذي لم ينبت عليه الخوص من السعف فعدا اسمها عائد على العسيب وخبرها قوله سيفا أي صار سيفا يحد بفتح فضم جيم أي يقطع والمعنى أن من انقلاب الأعيان معجزة له عليه السلام أنه دفع جريدة من النخل لعبد الله بن جحش يوم أحد فصار في يده سيفا قاطعا كما رواه البيهقي. قال مؤلفه سمح الله تعالى له ومما يناسب هذا من انقلاب الأعيان ما نقله ابن سلطان على القارئ شارح الشفا أنه عليه السلام أعطى سلمة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في يده فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد. وقد نظمت ذلك فقلت:

(أعطى قضيباً يوم بدر سلمه أعني ابن أسلم نبي المرحمه)
وذا القضيب من عراجين ابن طاب فصار سيفاً صارماً بلا أرتياب
وقولي نبي فاعل أعطى وابن طاب نخل بالمدينة كما في القاموس
انتهى. وقال الناظم نفعا الله تعالى ببركته وجمعنا وإياه في جنته:

(والماء قد زودت قوماً رفداً فعاد أيضاً لبنا وزبداً)
يشير به إلى ما في الشفا للقاضي عياض ونصه ومن ذلك تزويده
أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرته الصلاة نزلوا
فحلوه فإذا به لبن طيب وزبده في فمه، انتهى منه. السقاء بكسر أوله
وأوكاه ربط وكاءه، وأوكاه ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء وقوله
فإذا به وفي نسخة فإذا هو لبن وقوله في فمه في نسخة، في فيه انتهى
من ابن سلطان. وما في الشرح المعزو للمامون من أن القاضي عياض لم
يذكر هذه القصة في الشفا فيه نظر ولعلها خرجت من النسخة التي
بيده والله تعالى أعلم، قاله جامع. وقول الناظم الماء منصوب بزودت
بعده، والرصد بالكسر العطاء وهو منصوب على الحال وزبداً بضم الزاء
المعجمة والمعنى ومن قلب الأعيان معجزة لك يا رسول الله، الماء الذي
قد جعلته زادا لبعض أصحابك فانقلبت عينه لبناً طيباً وزاداً وعاد
كصار معنى وعملاً.

(وأخبرتك الشاة بعد الشى بأنها سمت فداك حي)
سمت بضم السين جعل فيها سم بتثنية السين جعلت فيها زينب بنت
الحارث اليهودية سما قاتلاً لوقت، اجتمعت لها اليهود على ذلك السم
بعينه فسمت الشاة جميعاً وأكثرت السم في الكتف والذراع لأنهما
بلغها أنه عليه السلام يحبهما وهي زوجة سلام بالتشديد ابن مشكم وقد
يخفف كما مرّ ولما أهدتها له عليه السلام ومعه ناس من أصحابه تناول
عليه السلام الكتف على ما في المناوي ولما ازدرد منه لقمة قال إن هذا
الكتف يخبرني أنه مسموم وفي رواية غيره أن الذراع هو الذي أخبره
وذلك بعد ما أكل منها بشر بن البراء فمات وهل مات في الحال أو بعد

سنة فقتلت به وقيل أنها لم تقتل وجمع بأنها لم تقتل أولاً ولما مات أسلمها لأوليائه فقتلوها وقال الزهري تركت لأنها أسلمت وقالت استبان لي أنك صادق وهي اخت مرحب وروي أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال لها ما حملك على هذا؟ قالت إن كنت نبيا لن يضرك وإن كنت ملكا أرحمت الناس منك. فاحتجم عليه السلام على كاهله وقال في وجعه الذي توفي فيه مازالت أكلة خيبر تعاودني فالآن قطعت ابهري والعداد بالكسر احتياج وجع اللديغ بعد سنة قال الشاعر:

ألا قي من تذكـر رءـال ليلـى كما يلقي السليم من العداد
وعلي هذا فهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، شهيد مع ما أكرم به من النبوءة، نقله اليدالي. وقد تقدمت هذه القصة في خيبر. وفي المناوي وعاش عليه السلام بعد ذلك أربع سنين، وفي رواية أنها أسلمت وعفا عنها وفي رواية أنه قتلها. وجمع البيهقي بأنه تركها لأنه لا ينتقم لنفسه ثم قتلها وليه قصاصا ويحتمل أنه قتلها لنقضها العهد بما فعلته. وفي رواية أنه صلبها انتهى كلامه.

(والطفل في المهد بتصديقك يا أذكى الوري قد فاه فيما روبا)
المهد الموضع يهياً للصبي ويوطأ والطفل مبتدأ وخبره فاه أي نطق ويتعلق به المجروران قبله والوري العباد وأزكاهم معناه أظهرهم وتقرير البيت أن نقول ومن معجزاتك يا أظهر العباد أن الطفل تكلم في المهد بتصديقك فيما روي أي نقل وأشار بهذا إلى ما رواه البيهقي وغيره عن معرض بن معيقب اليماني قال حجبت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ورأيت منه عجبا، جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، وقد لفه في خرقة وقال له رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يا غلام من أنا؟ قال أنت رسول الله. قال صدقت بارك الله فيك. ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، فكنا نسماه مبارك اليمامة. ومعرض بضم الميم وفتح المهملة وكسر الراء المشددة ثم ضاد معجمة كما في الإصابة وفي التلمساني وغيره اسم فاعل من أعرض وروي بكسر أوله كأنه آلة وفي

الشفاء انه يعرف بحديث شاصونة اسم راويه وهو بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة ونون وله طرق وغاية ما يفيدته تعدد طرقه أنه ضعيف لزوال ما كان يخشى أنه من وضع الكريمي. أما الحسن فمن أين له ومداره على ثلاثة مجاهيل شاصونة وشيخه وشيخ شيخه قاله الزرقاني في شرح المواهب. وقوله ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب أي بلغ زمن التلكم، قاله على القارئ في شرح الشفاء. قال هذا الشارح ويناسب هذا شهادة الأخرس له عليه السلام بالرسالة كما في الشفاء والمواهب عن البيهقي وقد نظمته معزوا له فقلت:

(وبرسالتك الأخرس شهد وعزوه للبيهقي قد عهد)
أي عرف ولفظ المواهب. وعن فهد بن عطية أن النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط وقال من أنا؟ فقال أنت رسول الله، ونحوه في الشفاء. وفهد بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفي نسخة وراء مهملة قال في المنتقى ولا أعرف بدال ولا براء والذي في البيهقي أنه عن شمر بن عطية انتهى. وهو كما قال إذ ليس في الصحابة من اسمه ذلك لا بدال ولا براء. وإنما هو شمر بكسر المعجمة وسكون الميم وراء بلا نقط ابن عطية الأسدي الكاهلي صدوق من أتباع التابعين قاله الزرقاني. وفي ابن سلطان ولعله تصحيف وإنما روى البيهقي عن شمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم آخره راء انتهى منه.

وقوله قد شب أي كبر وصار شابا قاله الشارحان الماران أنفا. قال الزرقاني فأنطقه الله بعدما كان أبكم، فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق انتهى. ثم ذكر الناظم رحمه الله تعالى شهادة الجمادات والبهايم له بالرسالة فقال:

(وكم جمادات وعجماوات فاهت بتصديقك في آيات)
كم للتكثير والجماد ما لا روح فيه والعجماء البهيمة أي ومن معجزاتك صلى الله تعالى عليك وسلم أن كثيرا من الجمادات والحيوانات قد نطقت بتصديقك. وقوله في آيات، في بمعنى مع، أي مع معجزات أخر

دالة على صدقك وقعت في الجمادات والحيوانات غير الشهادة بالرسالة كتسبيح الحصى والطعام بيدك الشريفة وطاعة الراجي له وسجود الجمل وشكواه إليه والله تعالى أعلم.

فمن شهادة الجماد له بالرسالة أن قريشا لما طلبته عليه السلام حين خرج عليه السلام مهاجرا وكان قد صعد ثبيرا فقال له ثبير اهبط يا رسول الله إني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله تعالى. وقال له حراء إني يا رسول الله بتشديد الياء أي إئت أواقبل. وقال عليه السلام لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن علي قال كنت مع النبي في ابتداء النبوة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل أي حجر كما في ابن سلطان ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وروى الحاكم بإسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، في سفر فأقبل إعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أين تريد؟ قال إلى أهلي. قال هل لك إلى خير؟ قال وما هو؟ قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هذه الشجرة. وفي رواية هذه السمرة. فدعاها، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو على شاطئ الوادي فأقبلت تخذ الأرض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت إلى منبتها ورجع الإعرابي إلي قومه وقال يا رسول الله إن يتبعوني آتيك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك.

وقوله تخذ بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة أي تشق والسمرة بفتح المهملة وضم الميم شجرة عظيمة ذات شوك من الطلع، وجمعها بفتح السين وضم الميم وسكونها ومنبتها بفتح الموحدة قياسا وكسرهما سماعا. قاله الزرقاني.

وأما شهادة الحيوانات له فمنها قصة الذئب ولها طرق من حديث أبي سعيد وأنس وأبي هريرة وابن عمرو فحديث أبي سعيد رواه أحمد

والترمذي والحاكم وصحاحه، قال أبو سعيد عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فألقى الذئب على ذنبه، وقال ألا تتقي الله تعالى تنزع مني رزقا ساقه الله تعالى إلي. فقال الراعي يا عجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس. فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما سبق. وفي طريق ألا أخبرك بأعجب من كلامي؟! رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما سبق وما يكون. وفي لفظ يدعو الناس إلي الهدى وإلي الحق وهم يكذبونه. قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلي زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبره وقد اختلف في مكلم الذئب ف قيل أهبان بن أوس وقيل سلمة بن الأكوع، وكان ذلك سبب إسلامه، وقيل أهبان بن الأكوع الأسلمي عم سلمة وقيل أهبان بن الأكوع الخزاعي وقيل رافع بن عميرة وقال ابن عبد البر، كلم الذئب ثلاثة من الصحابة: رافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس، قاله الزرقاني. وأما حديث أنس فرواه أبو نعيم بنحوه وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور عنه قال أبو هريرة جاء الذئب فاقعى بين يدي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجعل يبصيص بذنبه أي يحركه فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، هذا وافد الذئب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا. قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فأدبر الذئب وله عواء (الحديث). وروى ابن وهب أن أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل إسلامهما رأيا ذئبا وجد ظبيا فجرى خلفه لياخذه فدخل الظبي الحرم فأنصرف عنه فعجبا من ذلك. فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلي الجنة وتدعونه إلي النار. فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها. وقيل معناه خالية بأن يسلم أهلها ويهاجروا قاله الزرقاني.

ورى الطبراني والبيهقي وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي عن ابن عمر واللفظ للطبراني أن النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان في محفل من أصحابه إذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا فقال على من هؤلاء الجماعة؟ فقالوا على هذا الذي يزعم أنه نبي. فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك، فلولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس بقتلك أجمعين. فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله. فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا؟ ثم أقبل الاعرابي على رسول الله فأخرج الضب من كفه وقال واللات والعزى لا أمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال من تعبد؟ قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك. فأسلم الإعرابي. وفي آخر الحديث فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلايتي وقد طعن في هذا الحديث بالضعف وقد رواه الأئمة الكبار. وأما تسبيح الطعام والحصى ففي البخاري عن ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.. وفي الترمذي عنه كنا نأكل مع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الطعام ونحن نسمع تسبيحه. وفي ابن عساكر عن انس أخذ النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن. وفي البزار والطبراني والبيهقي عن أبي ذر أنهن سبحن في كف عثمان انظر الشفا وشرح القاري عليه وأما طاعة الداجر له فعن عائشة قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، جاء

وذهب وأما سجود الجمل له فعن أنس قال كان أهل بيت من الأنصار
 لهم جمل يسنون عليه أي يسقون وأنه استصعب عليهم ومنعهم ظهره
 وإن الأنصار جاؤا إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالوا
 إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد
 عطش النخل والزرع فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأصحابه قوموا
 فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى، صلى الله تعالى عليه
 وسلم، نحوه فقالت الأنصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب، الكلب
 وإننا نخاف عليك صولته فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليس علي
 منه بأس فلما نظر الجمل إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،
 أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ، صلى الله تعالى عليه وسلم،
 بناصيته أذل ما كان قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه يا
 رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نفعل، فنحن أحق
 بالسجود لك فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يصح لبشر أن يسجد
 لبشر، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من
 عظم حقه عليها انتهى. ونسني بالنون أي نسقي والكلب الحيوان
 المعروف والكلب بفتح فكسر صفة له، أي الذي أصابه كالجنون من أكل
 لحم الإنسان ونحوه وخر ساجدا أي واضعا مشفره بالأرض باركا والحائط
 البستان وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع النبي،
 صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ مررنا ببعير يسنى عليه أي يسقى عليه
 فلما رآه البعير جرجر فوضع جيرانه بالأرض وجرجر بجيمين وراءين
 صوت كثيرا بشدة ورد ذلك لكن بالصوت المعتاد للإبل على المتبادر
 وفهم عليه السلام من جرجرته شكواه كما قاله في آخر الحديث فإنه شكا
 كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه. والجران بكسر الجيم فراء مهمة
 فآلف فنون مقدم عنق البعير من مذبحة إلي منحره، انظر المواهب
 وشرحها. وفي الشفا في حديث الجمل كان لا يدخل أحد الحائط إلا شد
 عليه الجمل فلما دخل عليه النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، دعاه
 فوضع مشفره على الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء

والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس أي إلا كافر الثقلين، ومشفره بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء فراء أي شففته وبرك بتخفيف الراء أي ناخ، وفي رواية أنه عليه السلام قال لهم إنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره. فقالوا نعم. قال بنس الجزاء. وروى أحمد والبزار بسند صحيح عن أنس دخل النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها! قوله فسجدت له الظاهر أن سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام قاله شارحه ابن سلطان. وفي الزرقاني عن البيهقي عن جابر في قصة الجمل أنه عليه السلام قال فما شأنه؟ قالوا سنونا عليه عشرين سنة فلما كبر سنه أردنا نحره فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، تبيعونه؟ قالوا هو لك يا رسول الله. فقال احسنوا عليه حتى يأتي أجله انتهى.

(وقبضة التمر التي قد أطعما منها جميع الجيش وهي نحو ما كانت بل أربى منه ...)

القبضة بالضم وتفتح ملؤ الكف بمعنى مقبوضة قال ابن سلطان مأخوذة من القبض وهو الأخذ بجميع الكف وفي القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شيء انتهى. وقوله قبضة مبتدأ خبره محذوف أي ومن معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ملء كف من التمر أطعم به جيشا كله حتى شبعوا وبقي نحو ما كان قبل أكلهم بل أربى أي أزيد وأكثر مما كان. فقله نحو بالرفع خبر قوله وهي بسكون الهاء أي قدر ما كانت وأشار بهذا إلي ما في الشفا عن أبي هريرة قال أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هل من شيء؟ قلت نعم؛ شيء من التمر في المزود. قال فاتيني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوها حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به

(الحديث). وتأتي بقيته بعد قوله (بل قد أنفقا من ذلك التمر ابن صخرا وسقا ولم يزل لديه) أي لدى أبي هريرة يأكل منه. ويطعم حياة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحياة أبي بكر وعمر وعثمان إلي أن قتل عثمان عام خمس وثلاثين فاستلب منه كما أشار له بقوله (حتى انتهبا) بالبناء للمجهول أي سلب منه. (مقتل) مصدر نائب عن ظرف الزمان أي وقت مقتل (ذي النورين) وهو عثمان بن عفان لقب بذلك لتزويجه بنتي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما مر مع زيادة (فيما انتهبا) من الأموال وتمام القصة وقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبي بكر وعمر وعثمان إلي أن قتل عثمان فانتبه مني. فذهب. وفي رواية لقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل. وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة انتهى كلام الشفا.

وقوله في أوله: هل من شيء؟ أي هل عندك من شيء؟ والتذكر للتقليل وقوله قلت نعم شيء. أي عندي شيء يسير. والمزود بكسر الميم وفتح الواو، وعاء من جلد يجعل فيه الزاد وقوله خذ ما جئت به أي مع الزيادة الحاصلة من البركة، وقوله وأدخل يدك أي فيه ولا تكبه بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم، أي لا تقلبه، وقوله وأطعمت أي غيري وانتبه بصيغة المجهول أي سلب، وقوله فذهب أي استمر غائبا عني قاله العلامة ابن سلطان. وقول الناظم ابن سخر: فاعل انفق ومفعوله أوسقا جمع وسق والوسق ستون صاعا والصاع أربعة أمداد بمدد عليه السلام وابن صخر هو أبو هريرة واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي الصحابي المشهور أحد الكثيرين أسلم أيام خيبر ومات في آخر خلافة معاوية.

(وكم من القليل قد أكثرتا)

الخطاب له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكم تكثيرية مفعول أكثرت أي ومن معجزاتك يا رسول الله صلي الله تعالى عليك وسلم تكثيرك

القليل وقد وقع ذلك منه عليه السلام كثيرا بحيث لا يحصر وللجزائري بعد ذكر شيء من المعجزات:

أما القليل وتكثير له مدد حدث ولا حرج عن خيرة الرسل ومن ذلك حديث أبي هريرة في البخاري حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي أمره أن يتبعه فوجد لبنا أي قليلا وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت أي في نفسي ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها، فدعوتهم وذكرت أمر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، له أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروي ثم يأخذه الآخر فيشرب حتى يروي وهكذا حتى روى جميعهم، قال فأخذ النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب. فشربت ثم قال اشرب فما زال يقولها حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فأخذ القدح وحمد الله وسمى وشرب الفضلة. ومن ذلك حديث أبي أيوب الأنصاري النجاري العقبي البصري واسمه خالد بن زيد أنه صنع لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما بضم الزاي أي مقدار ما يشبعهما فقال له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ادع ثلاثين من أشرف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك، ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع. وقال أبو أيوب فأكل من الطعام مائة وثمانون رجلا قال في الشفا قال ابن سلطان وكان عشرين أكلوا بعد المائة والستين ومن ذلك حديث سمرة بن جندب أتى النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوما ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا عند النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثلاثين ومائة وصنعت شاة، فشوى سواد بطنها قال وإيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة بفتح الحاء وتضم أي قطع له قطعة من سواد بطنها وسواد بطنها هو الكبد خاصة. وقيل القلب، انظر ابن سلطان. ومن ذلك حديث أبي هريرة أنه أصاب الناس في غزوة

تبوك مجاعة فقال عمر يا رسول الله أرى أن تامر الناس أن ياتوا بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة قال {نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيئ بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع شيء يسير قال سلمة بن الأكوع فخرزته بكريضة العنز فدعا، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليه بالبركة ثم قال خذوا أو عيتكم قال فأكلوا حتى شبعوا ولم يبق في الجيش وعاء إلا ملئوه حتى ان الرجل ليعقد قميصه فيأخذ فيه وبقي منه فضحك، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى بدت نواجذه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، لا يلقي الله عبد بها غير شاك فيحجز عن الجنة. قوله نطع بكسر النون وفتح الطاء على أفصح لغاته وفتح النون والطاء وفتح النون وكسرها مع اسكان الطاء ما يتخذ من الأدم ويحجز بالنصب أي يمنع قاله الزرقاني وروي ابن أبي عاصم وابن أبي خيثمة عن أم مالك الأنصارية أنها جاءت بعكة سمن إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأمر بلالا فعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة فجاءت فقالت أنزل في شيء؟ قال وما ذاك؟ قالت رددت علي هديتي. فدعا بلالا فسأله فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحيت فقال هنيئاً لك هذه بركة يا أم مالك، ووقع لأم سليم شبهه بهذه أخرج الطبراني عنها: كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت أم سليم فرأت العكة مملوءة تقطر سمناً فقالت يا زينب ألسنت أمرتك أن تبلغني هذه العكة لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ياتدم بها قالت قد فعلت فإن لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأخبرته فقال قد جاءت بها. فقلت والذي بعثك بالهدي إنها ممتلئة سمناً فقال أتعجبين إن الله أطعمك. نقله الزرقاني. ومن ذلك ما رواه أحمد والبيهقي بسند جيد عن علي قال جمع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق وصنع لهم مداً

من الطعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو، ثم دعا بعس فشربوا حتى روي وبقي كأنه لم يشرب منه. قاله في الشفا. والجذعة الشاة الداخلة في السنة الثانية وقيل المراد بها هنا الإبل كما ورد مفسرا في بعض الأحاديث والفرق بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة أصع بكيل الحجاز وقيل يسع اثني عشر صاعا بصاع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، والعس بضم العين وشد الشين المهملتين قدح من خشب يروي الثلاثة والأربعة من لبن ورويوا بضم الواو. قاله ابن سلطان ومن ذلك ما روي أنه في غزوة الخندق أشبع ألفا من صاع شعير أو دون صاع وشاة صغيرة فانصرفوا وبقي بعد انصرفهم أكثر مما كان. قال العراقي:

وأطعم الألف زمان الخندق من دون صاع وبهيممة بقي بعد انصرفهم عن الطعام أكثر مما كان من طعام والبهيممة تصغير بهمة بالفتح ولد الضأن الذكر والأنثى. وأطعم أيضا جيش الخندق بتمر قليل جدا أتت به جارية صغيرة السن بنت بشر بن سعد، كما رواه أبو نعيم في الدلائل وأشار له العراقي بقوله:

كذلك قد أطعمهم بتمر أتت به جارية في صفر أي صغيرة السن. وضمير أطعمهم عائداً على أهل الخندق انظر المناوي. وللعراقي أيضا:

كذلك أقراص شعير جعلت من تحت ابط أنس فأكلت جماعة منها ثمانون وهم قد شبعوا وهو كما أتى لهم يعني أنه بقي بعد شبعهم كأنه لم يمسه أحد والأقراص المذكورة لفتها أم سليم في خمار لها وأرسلت بها ابنها أنسا.

(وكم من الأموات قد أحييتا)

كم للتكثير مفعول أحييت والخطاب له، صلى الله تعالى عليه وسلم، من ذلك ما روي عن الحسن البصري أن رجلا أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو وامرأته فذكر الرجل أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلي الوادي وناداه باسمها يا فلانة اجيبي بإذن الله تعالى

فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك. فقال لها ان أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما. وأخرج أبو نعيم أن جابرا ذبح شاة وطبخها وثرده في جفنته وأتى بها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأكل القوم وكان عليه السلام يقول كلوا ولا تكسروا عظمها ثم انه، صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فإذا الشاة قامت تنفض ذنبها. وفي الشفا عن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناها وعزيناها فقالت مات ابني؟ قلنا نعم. فقالت اللهم إن كنت تعلم أنني هاجرت إليك وإلي رسولك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملني هذه المصيبة فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا بكسر العين أي فعاش مدة فأكل وأكلنا معه وفيه إشارة إلي ان الكرامات نوع من المعجزات، قاله ابن سلطان وفي شرح المواهب للزرقاني أنه عاش إلي وفاة النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وروي أنه بقي بعده وهلك أمه في حياته. قال الزرقاني ووجه ذكره في المعجزات أنه أحيا بالدعاء باسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحضوره ومن ذلك ما أورده السهيلي والخطيب وغيرهما أن أبويه عليه السلام أحيا له فآمنا به كما مر وروي عن سعيد بن المسيب أن رجلا من الأنصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله وعن النعمان بن بشير كان زيد بن خارجة بن زيد بن سراوة الأنصاري فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة إذ خر فتوفي فاحتملوه إلي بيته وسجوه حتى إذا كان بين المغرب والعشاء سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا، فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب، فحسروا عن وجهه فإذا القائل يقول على لسانه: محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتب الأول، ثم قال صدق، ثم قال هذا رسول الله، السلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته. وزيد هذا شهد بدرا وأبو خارجة قتل هو وابنه سعيد بن خارجة بأحد.

(وكم من الأشجار إذ دعوتها أتت مطيعة لما أمرتا) كم مبتدأ وخبره أتت، ومطيعة منصوب على الحال من فاعل أتت، وما مصدرية أي مطيعة، لأمرك ويصح أنها موصول اسمي، أي للذي أمرتها به، ومعنى البيت أن كثيرا من الأشجار جاءت مطيعة ومنقادة لأمره عليه السلام حين دعاها. فمن ذلك ما في مسلم عن جابر أنه ذهب، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقضي حاجته، فلم ير شيئا يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلي إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله تعالى، فانقادت معه كالبعير المخشوش يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى كذلك، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتئمتا. وفي رواية قال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله ألحقي بصاحبتك حتى يجلس خلفكما رسول الله فرجعت حتى لحقت بصاحبتها وجلس خلفهما، فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مقبلا والشجرتان قد افترقتا نقله في الشفاء، وقوله المخشوش بخاء وشينين معجمات أي الذي جعل في أنفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويجعل في أنفه لينقاد بسهولة وإن كان من شعر فهو خزامة وإن كان من صفر أو حديد فهو برة بضم الموحدة وتخفيف راء ويصانع يلاينه وينقاد له، والمنصف بفتح الميم وسكون الميم وفتح الصاد وتكسر الوسط والإلتئام الاجتماع، وألحقي بفتح الحاء وزحفت بفتح الزاء والحاء والفاء انتقلت من محلها وفي رواية فرجعت أي عن حالتها، وأحضر بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة أي اعد أو اجر وإنما فعل ذلك ليلا يحس عليه السلام بأنه قريب منه فيتأذى بقربه. وقوله أحدث نفسي أي بهذا الأمر الغريب قاله ابن سلطان ومن ذلك حديث يعلى بن سيابة وهي أنه وأبوه مرة بن وهب الثقفي قال كنت مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في مسير فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاء تين وسيابة بسين مهمة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة

ووديتين بفتح الواو وكسر الدال المهملة وشد التحتية أي نخلتين صغيرتين وأشاءتين بفتح الهمزة وشين معجمة ممدودة بمعنى وديتين وضبطه بكسر الهمزة سبق فلم قاله على القاري. وللعراقي:

وجاء مرة قضاء الحاجه فلم يجد سسترا سوى أشاء ومثالها لكن هما بعدتا أمر كلا منهما فأتتا تخذ الأرض ذي وذي حتى قضى حاجته أمر كلا فمضى وقوله بعدتا أي بعدت كل منهما عن صاحبتهما وتخذ بضم الخاء المعجمة وشد الدال المهملة أي تشق وقوله أمر كلا منهما روى أحمد والطبراني والحاكم عن يعلى بن مرة أنه عليه السلام قال له اذهب إلي تلك الشجرتين فقل لهما رسول الله يأمركما أن تجتمعا فذهبت، فقلت لهما فاجتمعا فقضى حاجته، ثم رجع فقال اذهب فقل لهما افترقا، فقلت، فتفرقتا. وفي رواية فرجعت كل واحدة إلي مكانها.

وروي أن اعرابيا قال له بم أعرف أنك رسول الله؟ قال بأن تدعو هذا العرق من هذه النخلة يشهد بأنني رسول الله. فدعاه فسقط إليه وشهد ثم قال ارجع فعاد فأسلم الاعرابي. انتهى من المناوي.

وفي الشفا عن يعلى ان طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به أي دارت حوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم رجعت إلى منبتها فقال صلى الله عليه وسلم إنها استاذنت أي ربها أن تسلم علي أي فأذن لها فجاءت وسلمت. انتهى. وهذا كثير.

(والجذع قد حنن الثكلي إليك حتى نال منك وصلا)

الجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ساق النخلة والحنين بفتح المهملة ونونين بينهما تحتية ساكنة صوت كالأنين يكون عند الشوق لمن يهواه إذا فارقه وتوصف به الإبل كثيرا والثكلي بفتح المثلثة وسكون الكاف فاقدة الولد والمراد بحنين الجذع شوقه وانعطافه إليه صلى الله عليه وسلم لأن الحنين شوق المرأة إلى ولدها فشبه شوق الجذع بشوق المرأة على ما يفهم من قصر المصباح الحنين على ذلك، لكن في الجوهر

الحنين الشوق وتوقان النفس وفي القاموس الحنين الشوق وشدة البكاء انتهى. والذي في الأحاديث المسوقة هنا أنه صوت فالمراد من الحنين الصوت الدال على شوقه انظر المواهب وشرحها. ومعنى البيت: ومن معجزاتك يا رسول الله اشتياق الجذع الذي هو جمادا إليك لما فارقتة فلم يزل يحن إليك إلى أن نال منك وصلا أي مواصلة يعني بذلك ما روي أنه عليه السلام التزمه وضمه إليه كما يأتي. (لو لم ينزله) أي لو لم ينل الجذع الوصل منك يا رسول الله (لم ينزل) إلي يوم القيامة (كنيبا) أي حزينا باكيا عليك يا رسول الله (ما لاح) أي ظهر، (سنى) أي ضوء أي ما ظهرت الشمس وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام ذلك، وقوله (غريبا) أي بمنزلة الغريب وهو البعيد عن الأهل والوطن وأشار بهذا إلى ما روي أنه عليه السلام قال والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوت هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال في المواهب قال العلامة التاج بن السبكي الصحيح أن حنين الجذع متواتر انتهى. وسبقه إلي ذلك القاضي عياض فقال في الشفا الخبر به متواتر ففي حديث أبي بن كعب كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي مستندا إلي جذع إذ كان المسجد عريشا أي مسقفا بالجريد وكان يخطب إلي ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه وهو تميم الداري كما في أبي داود هل لك أن تجعل منبرا تقوم عليه ويسمع الناس خطبتك؟ قال نعم. فلما صنع له المنبر من أثل الغابة كما في الصحيح وضعه صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان إذا بدا له صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخطب تجاوز الجذع الذي كان يخطب عليه خار حتى تصدع وانشق. وفي رواية أنس فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره أي ارتعد واضطرب بأهله. وفي رواية جابر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية سهل بن سعد الساعدي وكثر بكاء الناس لما رأوا به أي من الحنين. وفي رواية حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه أي تسلية له فسكت. وفي رواية عن أنس والذي نفسي

بيده لو لم التزمه أي اعتنقه لم يزل هكذا أي باكيا إلي يوم القيامة
تحزنا على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي إظهارا للحزن
الزائد على الصبر على فراقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأمر به،
صلى الله تعالى عليه وسلم، فدفن تحت المنبر وفي طريق فدفنت فأراد
الخشبة، وما أحسن قول بعض أرباب الحال:

الصبر يحمد في المواطن كلها
إلا عليك فإنه مذموم

وفي رواية أنه عليه السلام دعاه فجاء يخرق الأرض بضم الراء وكسرهما
أي يشقها فالتزمه أي اعتنقه توديعا ثم أمره فعاد إلي مكانه. وفي
حديث بريدة أنه عليه السلام قال له إن شئت أردك إلي الحائط الذي
كنت فيه ينبت لك عروقه ويكمل خلقك ويجدد لك خوصك وثمرك،
والخوص بضم الخاء ورق النخل وإن شئت أغرسك بكسر الراء في الجنة
فياكل أولياء الله تعالى من ثمرك. ثم أصغى له النبي، صلى الله تعالى
عليه وسلم، يستمع ما يقول، فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني
أولياء الله تعالى وأكون في مكان لا أبلى فيه بفتح الهمزة واللام أي لا
أفنى فسمعه أي كلام الجذع من يليه أي من يقرب من النبي، صلى الله
تعالى عليه وسلم، قيل وممن سمعه ابن عمر قال غاب الجذع فلم ير بعد
ذلك. فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد فعلت. اختار دار البقاء على
دار الفناء. فكان الحسن البصري إذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله
الخشبة تحن إلي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، شوقا إليه
فأنتم أحق أن تشفقوا إلي لقاءه انتهى من الشفا وشرحه.

قال القاري وما أحسن قول من قال:

وألقي حتى في الجمادات حبه	فكانت لإهداء السلام له تهدي
وفارق جذعا كان يخطب عنده	فأن أنين الأم إذ تجد الفقد
يحن إليه الجذع يا قوم هكذا	أما نحن أولى أن نحن له وجدا
إذا كان جذع لم يطق بعد ساعة	فليس وفاء أن نطيق له بعدا

انتهى منه.

قال الهيثمي بعد الكلام على قصة الجذع وذلك يدل على أن الله خلق فيه الحياة والشوق لأن مذهب الأشعري أن الإدراك شرطه الحياة ولذا عامله النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، معاملة الحي بالتزامه كما يلتزم الغائب أهله انتهى.

وقال القاضي عياض اختلف أئمة النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله تعالى فيها دون تغيير أشكالها عن هيأتها وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر؛ وذهب آخرون إلى إيجاد الحياة أولا ثم الكلام بعدها وحكي هذا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله تعالى أعلم.

إذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها بمجرد عدم الحياة، أما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شروط الحياة إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي وأحال الجبائي من بين سائر الفرق وجود الحروف والأصوات إلا من حي والتزم ذلك في الحصى والذراع والجذع انتهى.

وفي المواهب والحنين صوت المتألم المشتاق عند الفراق وإنما يشترك إلى بركة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويأسف على مفارقتة أعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على أن الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا حنّ وأنّ، فإن قلت مذهب الشيخ الأشعري أن الأصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحياة ولا العقل أجيب بأنه كذلك إلا أن الشوق إنما يكون شوقا معنويا عقليا ومذهب الشيخ أن الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها. ولله در القائل:

وحن إليه الجذع شوقا ورقية ورجع صوتا كالعشار مرددا
فببادره ضما فقر لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا
ومرددا بفتح الدال صفة صوتا وبكسرهما حال من فاعل رجع، وقر سكن
وقوله لكل امرئ إلخ. يعني أنه أمر مطرد في كل من اعتاد أمرا وانقطع

عنه فإنه يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته، فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفرا طويلا قاله الزرقاني. والعشار جمع عشراء وفي القاموس انها من النوق التي مضى من حملها عشرة أشهر أو ثمانية وهي كالنفساء من النساء انتهى.

فائدة:

أشبه الأقوال بالصواب أن صانع المنبر النبوي اسمه ميمون، وهو مولى امرأة من الأنصار كما في الصحيح وقيل مولى سعد بن عبادة فكأنه في الأصل مولى امرأته ونسب إليه مجازا، أو اسمها فتية أسلمت وبايعت. وأما أن صانعه تميم الداري أو باقول باللام آخره أو الميم الرومي أو صباح بفتح المهملة وخفة الموحدة أو قبيصة أو مينا بكسر الميم أو صالح مولى العباس أو ابراهيم أو كلاب مولى العباس فلا اعتداد بها لو هائها كما بسطه في فتح الباري قاله الزرقاني.

(وكم عمى وعمه اذهبتا عن أعين وعن قلوب حتى أدركت الأبصار والبصائر ما لم تكن تكنه الضمائر) العمى ذهب البصر كله والعمه بالتحريك التردد في الضلال والبصائر جمع بصيرة وهي نور القلب والضمائر القلوب والضمير في الأصل داخل خاطر وكم للتكثير مفعول أذهبت والخطاب له، صلى الله تعالى عليه وسلم، والأعين جمع عين وهي الباصرة والمعنى وأذهبت يا رسول الله العمى عن الأعين والتردد في الضلال عن القلوب اذهبا كثيرا حتى أدركت الأبصار أي العيون التي كانت متصفة بالعمى من المحسوسات ما لم تكن تظن أهل العقول أنها تدركه، وأدركت أهل البصائر من العلوم والمعارف بعد أن كانت متصفة بالضلال ما لم يكن يخطر في البال أنها تدركه وهذا كله ببركتك يا رسول الله صلى الله تعالى عليك وسلم.

والمرء في ميزانه أتباعه فاقدرا إذا قدر النبي محمد

روى النسائي عن عثمان بن حنيف قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري قال انطلق وتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في.

قال فرجع وقد كشف الله عن بصره، قاله في الشفا والنسائي بالقصر ويمد، وحنيف بالتصغير وعثمان هذا شهد أحدا وما بعده وهو أخو سهل وعبادة وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي والحاكم وصحاه وابن ماجه قاله على القاري وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين قاله في الشفا. وحبيب بفتح المهملة وروي بضم المعجمة مصغرا وفديك بالذال المهملة والتصغير كما رواه البيهقي والطبراني وبالثاني وهو الرءاء المهملة رواه ابن أبي شيبه وروي أنه عليه السلام سأل عما أصابه قال كنت أقود جملا فوقع رجلي على بيض حية فعميت. وقوله يدخل الخيط إلخ.. في رواية وإن عينيه لمبيضتان، قاله علي القاري، وفي الزرقاني أن فديكا هذا من بني سلامان وقال بعد ذكر القولين المتقدمين فيه ما نصه وقيل فويك بالواو، قاله البغوي والأزدي وابن شاهين والمستغفري وابن عبد البر وغيرهم. وقال ابن فتحون رأيته في كتب ابن أبي حاتم وابن السكن بالواو وقال الزرقاني بعد قول المواهب وإن عينيه لمبيضتان وهذا أعظم في المعجزة، انتهى.

ويناسب هذا وإن لم يكن فيه إذهاب العمى ما روي أنه عليه السلام قال في غزوة خيبر لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فتشوق الناس لذلك فسأل عن علي فقبل به رمد، فدعاه فجاء وانسان يقوده لشدة الرمد ففتح عينيه وتفل فيهما وقال خذ الراية وامض بها يفتح الله عليك فبرئت لما خالطهما ريقه الشريف الذي هو الشفاء الأكبر، فذهب بتلك الراية ففتح الله على يديه

وكان يضرب بعينه المثل من حدة الإبصار ويبصر كما يبصر العقاب وفي رواية البيهقي فما رمدتا حتى مضى، والطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع المصطفى إلي الراية يوم خيبر، وسقطت عين قتادة بن النعمان يوم أحد وقيل يوم بدر وقيل الخندق فردها المصطفى بيده فكانت أصح عينيه، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى وقيل أصيبت عيناه معا فسقطتا على وجنتيه فأتى بهما النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان، قاله الدارقطني غريب تفرد به عمار بن نضر بن مالك وهو ثقة. وأما اذهابه العمه وهو الضلال فمن المعلوم أنه لم تصل نعمة من نعم الله تعالى إلي مخلوق من هداية وغيرها إلا وهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، أصلها ومصدرها، ومادتها.

من رحمة تصعد أو تنزل	مــــا أرسل أو يرسل
من كل ما يختص أو يشمل	في ملكوت الله أو ملكه
نبيه مختاره المرسل	إلا وطه المصطفى عبده
يعلم هذا كل من يعقل	واسطة فيهما وأصل لها

وكان عليه السلام كثيرا ما ياتيه الكافر يريد قتله فإذا دنا منه أو مسه أذهب الله تعالى عنه ما كان في قلبه، وألقى الإيمان في قلبه ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم.. وتأمل ما وقع لفضالة بفتح الفاء بن عمير يوم الفتح حين هم أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال أفضالة؟ قال نعم يا رسول الله. قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء.. كنت أذكر الله. فضحك عليه السلام ثم قال استغفر الله ثم وضع يده المباركة على صدره. فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئا أحب إلي منه، وقد مر هذا.

وتأمل ما وقع لأبي محذورة حين سمعه المصطفى يحكي الأذان متلعبا به في فتية من قريش، فناده، فلما قام بين يديه عليه السلام ألقى الله

تعالى الإيمان في قلبه، فتشهد ورتبه للأذان وكان حسن الصوت جدا.
ومثل هذا كثير.

(وكم من الأدواء قســد أبرأتا في الحال بالراحة إذ لمستا)
الداء المرض جمعه أدواء وأبرأه شفاه والراحة الكف، ولمسه يلمسه
ويلمسه مسه بيده قاله في القاموس، يعني وأبرأت يا رسول الله
كثيرا من الأمراض حين مسسته بيدك المباركة وحصل برؤه في حال
لمسك له أي في وقته فهو في المعنى مؤكد بقوله بعده إذ. فمن ذلك
حديث ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها به جنون فمسح النبي، صلى
الله تعالى عليه وسلم، صدره فتش ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو
الأسود فشفي ذكره في الشفا وثع ثعة بمثلة وعين مهملة مشددة فيهما
أي قاء مرة والجرو بتثليث الجيم ولد الكلب والسبوع وشفي بصيغة
المجهول أي برئ من جنونه والحديث رواه أحمد والبيهقي وابن أبي
شيبه قاله ابن سلطان.

ومن ذلك أن خبيب بن يساق بفتح الياء وفي نسخة بكسر الهمزة
ويفتح أصيب يوم بدر بضربة علي عاتقه حتى مال شقه فرده، صلى الله
تعالى عليه وسلم، ونفث عليه حتى صح فانطلق فقتل الذي ضربه
وتزوج ابنته بعد ذلك، وكانت تقول لا عدمت رجلا وشجك هذا الوشاج،
فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار وخبيب بضم المعجمة مصغرا
وهو خزرجي شهد بدرا وما بعده انظر الشفا وشرح القاري له ومن ذلك
أن معاذ بن عمرو بن الجموح جاءه عليه السلام يحمل عاتقه يوم بدر
فألصقه وبصق عليه فالتصق وتقدم ذلك مبسوطا، ومن ذلك أن
شرحبيل بضم أوله ويقال شراحيل الجعفي بضم الجيم كانت في كفه
سلعة بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهي زيادة تحدث بين الجلد
واللحم كالغدة وكانت تمنعه القبض علي السيف وعنان الدابة، شكاهها
للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فمزال يطحنها بيده حتى رفعه ولم
يبق لها أثر. ويطحنها بفتح الحاء أي يعالجها ورفعها أزالها من كفه انظر

الشفاء وشرحه.

ومن ذلك أن عبد الله بن عتيك الأنصاري لما قتل أبا رافع بن أبي الحقيق نزل من درج أبي رافع قال فأنتهيت إلي درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، وفي رواية فأخبر أصحابه بقتله فحملوه فلما وصل إلى النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسح رجله قال ابن عتيك، فكأنني لم أشكها.

ومن ذلك ما وقع لعتبة بضم المهمله وسكون الفوقية ابن مرقد السلمي فإنه أصابته الشرى فأقعده النبي عليه السلام بين يديه قال فألقيت ثوبي على عورتني فنفت عليه السلام في يديه ثم ذلك بها الأخرى ثم أمرها على ظهري وبطني فبرئ وبقي بعد ذلك بعتبة طيب عجيب وكان له ثلاث نسوة وما منهن واحدة إلا تجتهد في التطيب لتكون أطيّب ريحا من صاحبته، وكان عتبة أطيّب منهن ريحا مع أنه لا يمس طيبا، والشرى بفتح الشين المعجمة بعدها راء مهملة مقصورة قروح صغار حمر، حكاكة، مكربة، كما في القاموس ذكر هذه القصة جسوس في أول شرح الشمائل.

(بل فار منها الماء لما ظمئوا حتى ارتوى الأصحاب بل توضؤوا) فار الماء يفور نبع وجاش وظهر مرتفعا، وبل هنا للانتقال دون ابطال ما قبلها وظمئ كفرح، ظمئًا وظمئانا عطش أو أشد العطش، قاله في القاموس. وارتوى وروى بمعنى وضمير منها عائد على الراحة في البيت قبله يعني أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، نبع الماء من راحته الشريفة حين عطش أصحابه، فشربوا حتى رووا وتوضؤوا ووقع ذلك منه مرارا.

وفي المواهب قال القرطبي قصة نبع الماء بين أصابعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد تكررت منه في عدة مواطن، في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي انتهى. وقال في الشفا هذه القصة رواها الثقة من العدد الكثير والجم الغفير

عن الكافة متصلة بالصحابة انتهى المراد منه.

وفي المواهب لم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه، قال الملزمي ونبع الماء من بين أصابعه أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا لأن خروج الماء من الحجارة معهود قال تعالى: {وإن من الحجارة لما يتفجر منها الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء}. وقال الشاعر:

إن كان موسى سقي الأسباط من حجر فإن في الكف معنى ليس في الحجر
وفي الصحيحين عن أنس حانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فأتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بوضوء فوضع
يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع أي
بتثليث الموحدة من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند
آخرهم. وفي لفظ للبخاري كانوا ثمانين رجلاً. وفي لفظ له فقلنا لأنس
كم كنتم؟ قال كنا ثلاثمائة. قال النووي من هنا بمعنى إلى وهي لغة
المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة إلى الآخر. وقوله بوضوء بفتح
الواو وروي المهلب أنه قدر وضوء رجل واحد وعن أنس كنت مع النبي،
صلى الله تعالى عليه وسلم، في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول
الله عطشت دوابنا وإبلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل بشيء من
ماء في شن، فقال هاتوا صحيفة فصب الماء ثم وضع راحته أي كفه مع
أصابعه في الماء، قال أنس فرأيتها تتخلل عيوننا بين أصابعه فسقيننا
إبلنا ودوابنا وتزودنا فقال أكفيتم قلنا نعم يا رسول الله فرفع يديه
فارتفع الماء والشن بفتح المعجمة والنون الثقيلة القربة البالية وعيونا
تميز محول عن الفاعل أي تتخلل عيونها أي تنفذ والضمير في رأيتها
للصحفة انظر الزرقاني. وعن سالم بن أبي الجعدى عن جابر عطش
الناس يوم الحديبية وكان بين يديه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ركوة
فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه فقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك
فوضع، صلى الله تعالى عليه وسلم، يده في الركوة فجعل الماء يفور من

بين أصابعه كأمثال العيون، فقلت كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة انتهى.

وعطش كفرح والحديبية بالتخفيف، وتشدد بئر بين مكة وجدة والركوة بتثليث الراء إناء من جلد يتوضأ فيه نحو الإبريق ذكره الدلجي وهو غير ملائم لوضع اليد فيه اللهم إلا أن يقال المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء وفي التلمساني أنها للماء من الأدم كالتور يتوضأ منه انظر ابن سلطان، ومن ذلك حديث ابن مسعود كنا مع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في سفر وقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال غير واحد والحكمة في طلبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فضلة الماء في هذه المواطن ليلا يظن أنه الموجد للماء، ففعل ذلك ولم يخرج من غير ملابس ماء ولا وضع إناء تأدبا مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابتداع المعدومات على غير مثال سبق.

فائدتان:

- الأولى: أختلف في كيفية نبع الماء المذكور فذهب أكثر العلماء إلى أنه يخرج من ذات أصابعه عليه السلام. قال القسطلاني وهذا هو الصحيح، وذهب بعضهم إلى أن الماء كثر في ذاته فسار يفور أي يظهر مرتفعاً من بين أصابعه؛

- الثانية هذا الماء أشرف من جميع المياه كما قاله البلقيني وغيره. قال السيوطي:

وأفضل المياه ماء قد نبع	بين أصابع النبي المتبّع
يليه ماء زمزم فالكوثر	فنيل مصر ثم باقي الأنهر
انظر الزرقاني.	

ومطروا سبتا إذا استسقيتا بها وأقلعت إذا استصحيتا

قوله مطروا بصيغة المجهول أي أرسل الله تعالى عليهم المطر، وهو ثلاثي وهو بمعنى الرباعي. وقال بعضهم الثلاثي في الرحمة والرباعي في العذاب، والأحاديث واردة بخلافه، ففي الصحيح مجيء الرباعي في الرحمة، وسببنا بفتح المهملة وسكون الموحدة أي أسبوعا، وإذا بالكسر لالتقاء الساكنين ظرف زمان للمضي في الموضعين والاستسقاء طلب السقي والضمير في قوله بها للراحة، ويعني بالاستسقاء بها رفعه عليه السلام لها في الاستسقاء كما يأتي. وأقلعت كفت مبني للفاعل وفاعله يعود على السحاب المفهوم من السياق، والاستصحاء طلب الصحو وهو هنا انكشاف السحاب، ومعنى البيت أن من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن الناس لما قحطوا جاءه رجل فسأله السقي، وكان يخطب يوم الجمعة، رفع عليه السلام يديه وقال {اللهم اسقنا} ثلاثا، وفي رواية اللهم أغثنا وما في السماء قزعة إذ ذاك، فأرسل الله عليهم المطر من الجمعة إلى الجمعة فلم يروا الشمس سببنا أي أسبوعا، فلما كانت الجمعة الثانية جاءه ذلك الرجل أو غيره فسأله أن يدعو الله أن يكشفها عنهم فدعا فانكشفت عن المدينة وخرجوا يمشون في الشمس والحديث في الموطأ والبخاري وغيرهما.

ففي البخاري عن أنس أن رجلا دخل المدينة يوم الجمعة ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قائم يخطب ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يديه ثم قال اللهم أغثنا ثلاثا.

قال أنس فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ولما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت فلا والله ما رأينا الشمس سببنا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة يعني الثانية ورسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال فرفع، صلى الله تعالى عليه وسلم، يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الأكام

والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، قال فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك سألت أنس بن مالك أهو الأول فقال ما أدري. قوله هلكت الأموال أي المواشي وانقطعت السبل أي الطرق، فلم تسلكها إلا بل لهلاكها أو ضعفها من قلة الكلأ أو بعدم الأقوات فلم يوجد ما يحمل عليها، ويغيثنا بضم أولها من أغاث أي أجاب وبفتح من غاث أي انزل المطر، والسحاب المزن المجتمع، والقزعة بالتحريك وتسكن القطعة الرقيقة من السحاب، كأنها ظل إذا مرت تحت السحاب الكثير، وخصها بعضهم بزم من الخريف، وقوله من ورائه أي سلع، والترس الدرقة وسبتا بفتح السين المهمة وسكون الموحدة أي أسبوعا وفي رواية ستا أي ستة أيام ولا تنافي بينهما فمن قال ستا ألغى الكسر ومن قال سبتا أضاف إلي الستة يوما ملفقا من الجمعتين. ولأبي ذر عن الكشميهني سبعا بالعين بعد الموحدة وقوله هلكت الأموال أي بسبب غير الأول وهو كثرة الماء المانعة لها من الرعي وانقطاع السبل لتعذر سلوكها من كثرة المطر وقوله يمسكها أي السحابة بالجزم جواب الأمر وحوالينا أي أنزله حولنا ولا تنزله علينا حيث نستضر به ولم يطلب رفعه بالكلية لأنه رحمة، وهذا من حسن الأدب في الدعاء، والإكام بكسر الهمزة وبفتحها مع المد جمع أكمة بالتحريك وهي ما دون الجبل وأعلى من الرابية، والظراب ككتاب جمع ظرب ككتف جبل منبسط بالأرض، أو الروابي الصغار دون الجبال، وبطون الأودية المواضع التي يستقر بها الماء ويبقى ومنابت الشجر أي المواضع التي ينبت بها الشجر، وأقلعت بفتح الهمزة أي كفت، السحابة الماطرة عن المدينة انتهى من النهر الجاري في شرح البخاري للوالد حفظ الله تعالى.

(ومن عليه أو له دعوات أصاب في الحالين ما سألتا) يعني أن من معجزاتك يا رسول الله أن كل من دعوت له بخير أو كل من دعوت له بشر أصاب ما سألت له من خير أو شر، لإجابة دعائك. والحال يقال للوصف وللزمن وتصح هنا إرادة كل منهما، أي نال ذلك في وقت دعائك له أو عليه، وتكون في ظرفية أو ناله كان على أي صفة من

كونه محبوبا مدعوا له أو مبغضا مدعوا عليه والعياذ بالله تعالى، وتكون في للمصاحبة والأول أظهر والله تعالى أعلم قاله القاضي عياض في الشفا.

وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، لجماعة بما دعا لهم أو عليهم أمر متواتر في الجملة معلوم ضرورة. وقوله في الجملة أي لا على التفصيل وفي البخاري أنه دعا لأنس بن مالك فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أتيت. قال أنس فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة.

وفي رواية للصحيحين يدون النساء، وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش ما أصبت. ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطا، ولا ولد ولد، قوله يعادون بضم الياء وشد الدال أي يعد بعضهم بعضا ويزيدون. وفي رواية عنه دفن لصلبي مقدم الحاج البصرة عشرون ومائة، قيل وكان مقدمه سنة خمس وتسعين وقد ولد لأنس بعد ذلك أولاد كثيرون، وتوفي بسنة ثلاث وتسعين واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لأنس علي تفضيل الغنى على الفقر وأجيب بأنه مختص بدعائه عليه السلام وبأنه قد بارك فيه فلم يكن فيه فتنة ولم يحصل بسببه مضرة انتهى من ابن سلطان. ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ففتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي بفتح الجيم وتكسر أي تقطعت وأخذت كل زوجة من زوجاته ثمانين ألفا وكن أربعا، وقيل مائة ألف، وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه بنيف، بشد التحتية وسكونها وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله وأوصى بألف فرس في سبيل الله، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها وهذا مع صدقاته الفاشية في حياته: اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بغير فيها سبعمائة بغير تحمل من كل شيء وتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها، وتصدق مرة بشطر ماله أربعة آلاف ثم

بأربعين ألفاً، ثم تصدق بخمسة مائة فرس في سبيل الله، ثم بخمسة مائة راحلة، وحث عليه الصلاة والسلام يوماً على الصدقة فجاءه بأربعة آلاف درهم، وقال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة، فقال، صلى الله تعالى عليه وسلم، بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت، انتهى ملخصاً من الشفا وشرح القاري له.

ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فقال ذلك، وروي أنه عليه السلام قال اللهم علمه الكتاب ومكنه في البلاد وقه العذاب. وقال لسعد بن أبي وقاص اللهم استجب له إذا دعا، فما دعا على أحد إلا استجيب له.

وفي الصحيح أن رجلاً نال من علي كرم الله وجهه بحضرته، فقال اللهم إن كان كاذباً فأرنا فيه آية. فجاء جمل فتخبطه حتى قتله. وفي البخاري أنه عليه السلام دعا على أبي سعدة اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. قال الراوي فلقد رأيته شيخاً كبيراً سقط حاجباه علي عينييه من الكبر يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد. وقال اللهم أيد الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب فاستجيب له في عمر. وروى الحاكم عن عائشة أنه قال اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة. وقال صحيح على شرط الشيخين. وأما ما يدور على الألسنة من قولهم اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين، فلا يعلم له أصل في المبنى وإن كان يصح نقله في المعنى على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم أبي جهل وكان يكنى أبا الحكم فكناه النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أبا جهل فغلبت عليه قاله علي القاري. وقال لأبي قتادة أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره بفتححتين أي ظاهر جلده. فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة رواه البيهقي. ودعا لابن عباس كما رواه الشيخان اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان بعد يسمى الحبر وترجمان القرآن بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما وفتحهما أي مفسره. وقال للناطقة الجعدي لما أنشدته قصيدته الرائية: لا يفضض الله

فاك بضم المعجمة الأولى فما سقطت له سن. وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا، وإذا سقطت له سن تنبت له أخرى، وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وثمانين وقيل مائتين وأربعين، وروي أنه لما أنشده قوله فيها:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
قال عليه السلام إلى أين يا أبا ليلى؟ قال فقلت إلى الجنة. قال نعم إن شاء الله. ولما أنشده قوله فيها:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن له تأن إذا ما أورد الأمر أصدر
قال عليه السلام أجدت ودعا لعروة بن أبي الجعد بالبركة وقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا. والكناسة بضم الكاف موضع وسوق بالكوفة، وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم. ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الصيف ثياب الشتاء وفي الشتاء ثياب الصيف ولا يصيبه حر ولا برد. ودعا لفاطمة ابنته بعدم الجوع، قالت فما جعت بعد. ومن دعائه عليه السلام على غيره أي بالشر، دعاؤه على كسرى بأن يمزق الله ملكه لما مزق كتابه، فمزق ملكهم ولم يبق للفرس رئاسة في سائر أقطار الدنيا. ودعا على ابن أبي لهب: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد. والمشهور أنه عتيبة بالتصغير كما مر وأن المكبر هو الصحابي وكذا أخوهما معتب صحابي وسبب الدعوة أنه أراد الخروج إلى الشام فأتى المصطفى عليه السلام فقال يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى بالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجهه صلي الله تعالى عليه وسلم وطلق ابنته فدعا عليه ورجع إلى أبيه فأخبره ثم خرج مع أبيه في نفر من قريش إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه غثونا يا معشر قريش إني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا جمالهم وأناخوا حولهم وأحدقوا بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وقيل ان المصغر هو الصحابي والمكبر هو قتيل

الأسد والله تعالى أعلم. وقد تقدمت هذه القصة. ودعا على الحكم بن أبي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي يجلس خلفه عليه السلام فإذا تكلم حرك هو شفته وذقنه حكاية لفعله فرآه عليه السلام فقال كن كذلك فلم يزل يختلج أي يرتعد إلي أن مات. والحكم هذا أبو مروان وعم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح ومات في خلافة عثمان، قال بعضهم إنما فعل ما فعل من جهالة ولا يخرج ذلك عن عداد الصحابة والله تعالى أعلم.

ودعا على محلم بكسر اللام المشددة ابن جثامة بفتح الجيم وشد المثناة فمات لسبع ودفن فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة. وقوله صدين بفتح الصاد ويضم جبلين أو واديين هذا كله من الشفا وشرح ابن سلطان له ودعا على قريش بالقحط فأصابتهم سنة هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاء أبو سفيان يستعطفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال يا محمد تامر بصلة الرحم وإن قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا الغيث وأطبقت عليهم سبعا فشكوا كثرة المطر فسأل الله رفعه، فارتفع، قاله المناوي. وسبب الدعاء على محلم المتقدم أنه عليه السلام بعث سرية فيها محلم فأمر عليهم عامر بن الأضبط فقتله محلم غدرا فجرى ما جرى والعياذ بالله انظر ابن سلطان.

ودعا على قريش لما وضعوا السلا على رقبتة وهو ساجد مع الفرث والدم، فقال اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة إلخ.. قال ابن مسعود فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر أي معظمهم لأن أشقاهم وهو عتبة بن أبي معيط الذي وضع السلا حمل من بدر أسيرا فقتله علي بعرف الظبية مقفلهم من بدر بأمره عليه السلام، وعمارة ابن الوليد لم يقتل ببدر أيضا بل سحر بأرض الحبشة فصار مع الوحش وهلك على كفره بأرض الحبشة في زمن عمر انظر الشفا وشرحه.

(وكم من الغيوب قد نبأتنا بها فلم تعد الذي ذكرتنا)
الغيوب جمع غيب وهو ما غاب عنا، ونبأ معناه أخبر، وتعد بفتح
الفوقية وسكون المهملة وضم الدال مضارع عداه يعدوه إذا جاوزه جزم
بحذف آخره، وكم للتكثير وهي مبتدأ وخبره نبأتنا والخطاب للنبي،
صلى الله تعالى عليه وسلم، والضمير المجرور عائذ على الغيوب أي
وكثير من الأمور المغيبة عنا أخبرتنا بها قد أطلعك الله تعالى عليها فلم
تتجاوز الوصف الذي ذكرته لأنك لا تخبر إلا بما أوحاه الله إليك فلا
يكون خبرك إلا مطابقاً لما في نفس الأمر. قال تعالى: {إن هو إلا وحي
يوحى}.

ولنا في هذا المعنى في عد بعض المعجزات:

وكم من الغيبات ذكرنا فبعضها مضى وبعض سيرى
وإخباره عليه السلام بالغيوب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره وقد
مر في وجوه اعجاز القرآن كثير من أخباره عن الأمم الماضية والعصور
الخالية ومما أخبر به عليه السلام مما سيأتي أشراف الساعة كالرجال
وعيسى وخروج ياجوج وماجوج، والدابة وطلوع الشمس من مغربها
ومعها القمر، وخروج النار من قعرة عدن ترحل الناس إلي محشرهم
تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا والنفخ في الصور عند
فناء الخلق، والنفخ فيه عند بعثهم، وباليوم الآخر وما فيه من حشر
ونشر وصراط وحوض وميزان وجنة ونار وغير ذلك. وأخبر بخروج
المهدي وهو بفتح الميم وشد الياء كما قاله ابن سلطان وهو من ولد
فاطمة، يملأ الأرض عدلاً كما ملأت جوراً ويملك سبع سنين أو أكثر
واسمه محمد بن عبد الله، ويباع بين الركن والمقام وتنصره عدة أهل
بدر رهبان بالليل وأسود بالنهار، ويصلي عيسى خلفه ويساعده على
قتل الدجال بباب لد وقبله علامات يخسف القمر في رمضان أول ليلة
منه أو ثالثة، وتخسف الشمس في نصفه وهاتان العلامتان لم تكونا
منذ خلقت الدنيا، وتظهر النار في السماء جهة المشرق ثلاث ليال قبل
خروجه وقبله صوت في نصف رمضان يوقظ النائم ويفزع اليقظان

وقبله السفيفاني وهو كافر يقتل العلماء والزهاد، ويظهر الفجور والفساد.

وورد أن قبل السفيفاني رجلا من بني هاشم وأخبر بأن الأرض زويت له فرأى مشارقها ومغاربها وقال سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ووقع ذلك. وقال لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة أي إلي قرب قيامها، فسرّه علي بن المديني بالعرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو العظيمة، وفسره غيره بأنهم أهل المغرب وقد ورد أهل المغرب، قال علي القاري يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، تكون بالغرب مدينة يقال لها فاس، أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة وهم على الحق متمسكون به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون إلي يوم القيامة، وقيل المراد بأهل الغرب أهل الشام. وعن حذيفة: قام فينا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلي قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، والله ما ترك من قائد فتنة إلي أن تقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته. وقوله قائد فتنة أي أمير لها يقود إلي المحاربة. وأخبر بأن أمته تنفق كنوز كسرى وقيصر فوق ذلك، وباقتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هم الذين قال فيهم النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي، وهم أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لخلو مذهبهم من البدعة. وأخبر بظهور الفتن وكثرة الهرج بفتح الهاء وسكون الراء وهو القتل. وأخبر بملك بني أمية والمراد بهم بنو مروان وأول من ملك من بني أمية بعد الخلفاء سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه بقي تسع عشر سنة وثلاثة أشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين وأشهرًا ثم معاوية بن يزيد ومات بعد أربعين يوما، ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة أشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات في شوال سنة ست وثمانين، ثم ابنه

الوليد ومدته تسع سنين، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك وولايته سنتان، ثم عمر بن عبد العزيز وولايته سنتان، ثم هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو المسمى يزيد الناقص وولايته خمسة أشهر، ثم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما، ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو آخرهم قاله ابن سلطان. وأخبر بملك بني العباس وبغير هذا مما لا يكاد ينحصر:

(فكل ذي علم وذى عرفان) منك استمدده سوى الرحمان العرفان بالكسر المعرفة، والمادة أصل الشيء المأخوذ منه، يعني أن كل عالم وكل عارف بالله تعالى إنما استفاد علمه ومعرفته منه لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو أصل المخلوقات كلها وقد حبر الله تعالى نعمه أن يصل منها شيء إلي مخلوق إلا بواسطته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما قول الناظم رحمه الله تعالى: سوى الرحمن فالصواب حذفه والله تعالى أعلم، لأن الله تعالى لا يوصف بالمعرفة كما هو معلوم ولأن علمه تعالى لا يوصف بأنه مستمد لقدمه حتى يحتاج إلي الاستثناء، والله تعالى أعلم.

(هذا وكم من أية لا تحصي عدا منحتها ولا تستقصي) هذا خبر مبتدأ محذوف أى الأمر هذا، وكم تكثيرية والآية المعجزة، ومنحتها بالبناء للمجهول أي أعطيتها أي أعطاكها الله تعالى تصديقا لك ولا تستقصي أي لا تستوفى أو هذا منصوب بمحذوف أي اعرف هذا الذي ذكرت لك من معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكثير من المعجزات أعطاه الله تعالى له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا تحصي بالعد ولا تستوفى فلا نتعرض لعددها.

(فالحمد لله الذي أعطاك ما لم ينله أحد سواك)

الحمد الوصف بكل كمال، والخطاب في أعطاك للمصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أي الوصف بما لا يحاط به من الكمالات ثابت لله الذي أعطاك يا رسول الله من الفضائل ما لم يعطه لمخلوق غيرك لا من الأنبياء ولا من الملائكة وأحرى غيرهم، وتفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع المخلوقات قد تقدم أنه مما يجب اعتقاده كما نص عليه الزركشي ونقله الأيسى في شرح الهمزية عن العلامة البلقيني وقال الإمام السنوسي في شرح الجزائري يكاد ذلك أن يكون مما علم من الدين ضرورة انتهى.

وفي المواهب في ذكر خصائصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ما نصه: ومنها أن آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله وقال الزرقاني بعده ما نصه: رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه عن ابن عباس أوحى الله إلي عيسى أن آمن بمحمد وأمر أمتك أن يامنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار الحديث وهو لا يقال رأيا فحكمه الرفع، وروى ابن عساكر لقد خلقت الدنيا وأهلها أعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا. ولما ذكر الناظم ما وفقه الله تعالى لذكره من سيرته ذكر اتمام الله تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته إلى حضرة القدس وهي الجنة دار كرامة أوليائه فقال:

(ذكر وفاته صلاة ربه عليه ثم ءاله وصحبه)
قوله ذكر خبر مبتدأ محذوف أي هذا ذكر وفاته أي موته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي المصيبة العظمى التي لم يصب الأولون والآخرون بمثلها ولن يصابوا بمثلها أبدا ولذا قال عليه الصلاة والسلام لتعز الناس في مصيبتهم المصيبة بي، قال في المواهب وهذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان، انتهى.

اللهم اجعل نبينا لنا فرطا وأجرا واجعله لنا سلفا وذخرا واجعل حوضه لنا موعدا لأولنا وآخرنا ولا تحل بيننا وبينه يوم القيامة بمنك يا أرحم الراحمين، اللهم شفعه فينا بجاهه عندك، اللهم أجرنا في المصيبة به

أجرا يكون على قدر عظمها بجاهه الرفيع، وأحلنا في الدارين في حرزه المنيع وجنابه المريع صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه وجميع أتباعه، صلاة وسلاما يدومان إلي يوم الدين. قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه لم أطق التطويل في هذا الباب لما اشتمل عليه مما تذوب لسماعه الألباب.

(توفي المختار عام أي وعمره صج على المرضي) قوله توفي مبني للمجهول ونائبه قوله المختار وهو من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه المفضل على جميع المخلوقات أي توفاه الله تعالى أي أماته، صلى الله تعالى عليه وسلم، إكراما له. قال تعالى: {وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضي} وعام منصوب على الظرفية وعامله توفي وأي مجرور بالإضافة أي توفي عام إحدى عشرة من مقدمه المدينة المنورة أي توفي بعد أن مكث فيها عشر سنين وتوفي في أول الحادية عشرة. وقوله عمره بفتح العين وضمها مبتدأ وخبره قوله صج، أي ثلاث وستون سنة، فالصاد ستون والجيم ثلاث والعمر مدة الحياة، والجملة في موضع الحال أي والحال أن عمره حين وفاته ثلاث وستون سنة على القول المرضي، أي المختار المعتمد وأشار به إلي ما في الشمائل عن عائشة وابن عباس ومعاوية أنه صلى الله تعالى عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال الامام البيهقوري في شرحه: واتفق العلماء أن هذه الرواية أصح الروايات الثلاث الواردة في قدر عمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومقابل قوله على المرضي أن عمره ستون سنة وأن عمره خمس وستون. قال البيهقوري ورواية أنه ابن ستين محمولة على أن راويها اقتصر على العقود وألغى الكسور. ورواية خمس وستين محمولة على ادخال سنة الولادة وسنة الوفاة، قال واتفقوا على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقام بالمدينة عشرا بعد الهجرة كما اتفقوا على أنه أقام بمكة قبل البعثة أربعين سنة وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد البعثة

والصحيح أنه ثلاثة عشرة سنة فيكون عمره ثلاثا وستين. وقيل أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين، وحملت هذه الرواية على ما عدى مدة فترة الوحي وهي ثلاث سنين فتوافق رواية ثلاث عشرة انتهى.
وللشيخ عبد الرحيم بن الشيخ حسين العراقي :
عاش ثلاثا بعد ستين على أصحابها والخلف في هذا خلا أي سبق في عصر التابعين فمن بعدهم إلى عصرنا، قاله المناوي.

(وقت الضحى في مثل يوم ولدا فيه عليه الله صلى أبدا)
قوله وقت منصوب على الظرفية وناصبه توفي، وقوله يوم يصح إعرابه مجرورا، وبنائه على الفتح وهو الراجح بإضافة إلي مبني، وأبدا منصوب بصلى، ومعنى البيت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي في وقت الضحا، في مثل اليوم الذي ولد فيه من ربيع الأول وهو يوم الإثنين، وعبرة غيره حين اشتد الضحاء بالفتح والمد وهو قرب الزوال كما ياتي، والظاهر تمشية المصنف عليه فيضبط الضحا بالفتح ويكون مقصورا للوزن على حذف مضاف فقوله وقت الضحى أي وقت اشتداد الضحاء، وكونه توفي يوم الاثنين أمر متفق عليه عند أهل العلم. وقال أكثرهم إنه في ثاني عشر ربيع. قال المناوي: قال السهيلي: اتفقوا على أنه مات يوم الاثنين، قالوا كلهم في ربيع الأول غير أنهم قالوا أو أكثرهم في ثاني عشر ولا يصح أن يكون مات يوم الاثنين إلا في ثاني الشهر أو ثلاث عشرة أو خامس عشره لأن وقفة الوداع كانت يوم الجمعة بإجماع المسلمين فيكون أول ذي الحجة يوم الخميس، فيكون المحرم إما بالجمعة أو بالسبت فإن كان بالجمعة فصفر، أما أن يكون بالسبت أو بالأحد فإن كان بالسبت فيكون أول ربيع الأحد، أو الاثنين وكيفما كان فلم يكن ثاني عشر ربيع يوم الاثنين بوجه، انتهى.
وإلى هذا أشار العراقي بقوله:

في يوم الاثنين لدى الجميع وفاته إما بثنائي الشهر
أو مستهل أو بثنان عشر وهو الذي أورده الجمهور

لكن عليه نظر كبير
لأن وقفة الوداع الجمعه
وقيل بل في ثامن بالجزم
وكان ذاك عندما اشتد الضحا
وقوله وهو الذي أورده الجمهور أي هذا القول الذي هو أنه توفي يوم
الاثنين ثاني عشر ربيع، وقوله فلا يصح كونها أي الوقفة، فيه أي في
يوم الجمعة معه، أي مع وفاته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سواء
تمت الشهور أو نقصت، أو تم بعضها و نقص بعضها. وقوله وقيل بل في
ثامن، أي من ربيع الأول، والضحا بالقصر للوزن في مثل الوقت الذي
دخل فيه المدينة وهذا قول أكثر المؤرخين، والآخر أنه حين زاغت
الشمس وصححه الحاكم وخلف بضم المعجمة وسكون اللام وصرح أي به،
مبني للمفعول، أي صرح به الأئمة انتهى من المناوي.
وقوله الضحا بالقصر للوزن أي مع الفتح وهو قرب الزوال، ففي
المواهب وقد كانت وفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الاثنين بلا
خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء وهو كما في
الزرقاني بالفتح والمد قرب الزوال انتهى.
وفي البيجوري جزم أهل السير بأنه مات حين اشتد الضحا بل حكى
صاحب جامع الأصول عليه الاتفاق.

(وخير المختار في البقاء في هذه الدار وفي اللقاء
لربه فاختر أن يلقاه)

يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم تقبض روحه الكريمة حتى
خير الله تعالى بين لقائه لله تعالى بالموت عاجلا وبين بقاءه في دار
الدنيا أي إلي انقضائها كما يدل عليه ما يأتي فاختر لقاء الله تعالى
فحينئذ نقله الله تعالى إلي دار كرامته عن هذه الدار التي هي دار
الأكدار والفناء وكذا يخبر غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من
الأنبياء، عليهم السلام. قال في المواهب: ولما كان الموت مكروها بالطبع،

لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير، انتهى.

قال الزرقاني في قوله يخير بضم الياء وفتح الخاء المعجمة كما في الصحيح من حديث عائشة ويأتي في المتن انتهى.

(صلى عليه الله ما أرقاه)

أي ما أعلاه إلى مقام لم يحم حوله نبي مرسل ولا ملك مقرب إذ هو المختص بسيادة الأولين والآخرين وقد اعترف له بذلك جميع المقربين صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم أجمعين.

وروي أنه عليه السلام خطب الناس قبل موته بخمس فقال: «إن عبدا خيره الله بين أن يوتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختر ما عنده. فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد فعجبنا له. وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن عبد خيره الله بين أن يوتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول فدينك بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد فكأن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به. وعن عائشة أنه عليه السلام كان يقول ما من نبي يقبض إلا يرى الثواب ثم يخير ولأحمد من حديث أبي مويهبة قال قال لي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك، وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة.

قوله والخلد أي البقاء في الدنيا إلى انقضائها، وقوله وبين لقاء ربي أي عاجلا، وقوله فاخترت لقاء ربي والجنة أي حبا في لقاء الله وزهدا في الدنيا مع أن الجنة معطاة له على التخييرين وعن عائشة قالت كان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو صحيح يقول أنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيي بضم التحتية وفتح الحاء المهملة وشد

التحتية أي يسلم إليه الأمر و يملك في أمره أو يسلم عليه تسليم الوداع أو يخير بين الدنيا والآخرة وأو شك من الراوي قاله المصنف، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بفتحتين بصره نحو سقف البيت أي ارتفع ثم قال اللهم في الرفيق الأعلى، أي اجعلني في الرفيق الأعلى أو في بمعنى مع، فقلت إذا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح. وفي رواية أبي موسى أسأل الله الرفيق الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل وظاهره أن الرفيق المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين أي في الآية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن الملائكة الثلاثة المذكورين في الحديث لا معهم فقط.

وقال ابن الأثير الرفيق الأعلى جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى، لأن الرفيق من أسمائه تعالى، وقيل المراد به حضرة القدس وهي الجنة وبه جزم الجوهرى وابن عبد البر وغيرهما.

وفي الصحيحين وغيرهما عن عائشة قالت دعا النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فاطمة في شكواه الذي قبض فيه وللشميهني فيها فسارها بشيء فبكت ثم دعا فسارها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت أي بعد وفاته سارني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكت ثم سارني فأخبرني أنني أول أهله يتبعه فضحكت. وفي رواية للصحيحين عن مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال لها مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها. ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن عائشة قالت ما رأيت أحدا أشبه سمته وهديا ودلا برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في قيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قام إليها وقبلها وأجلسها في محله، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فانكبت عليه فقبلته، قال القسطلاني

واتفقت الروايتان على ان الذي سارها به أولا فبكت هو إعلامه إياها بأنه يموت من مرضه ذلك، واختلفتا فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة أنه اخبره إياها بأنها أول أهله لحوقا به وفي رواية مسروق أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقا به مضموما إلى الأول وهو الراجح، انتهى.

وقولها سمنا بفتح المهملة وسكون الميم ففوقية وهديا بفتح فسكون ودلا بفتح الدال المهملة وشد اللام والثلاثة عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيبة كما في النهاية، انتهى من المواهب وشرحها.

(ومدة السقم يد (...))

مدة مبتدأ وخبره قوله يد والسقم بضم السين المهملة وسكون القاف المرض، وفيه في غير هذا المرض التحريك أيضا وكذلك العرب والعجم والرشد والبخل والشغل والعدم والسخط والحزن والولد فهذه الألفاظ فيها ضم الفاء مع سكون العين وفيها فتحهما معا. ومعنى البيت أن مدة مرضه عليه السلام أربعة عشر يوما أشار له بقوله يد، فالياء عشر والدال أربعة وهذا القول حكاه ابن الجوزي كما في المناوي وحكاه في المواهب بصيغة التمرريض فإنه قال واختلف في مدة مرضه فالأكثر أنها ثلاثة عشر يوما وقيل أربعة عشر وقيل اثنا عشر وقيل عشرة أيام وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح، انتهى.

وقال الزرقاني ان القول الذي صدر به في المواهب هو المشهور، قال وجمع شيخنا بجواز اختلاف أحواله في ابتداء مرضه فذكر كل منهم اليوم الذي علم بحصول ما رآه من حاله وشدة مرضه التي انقطع بها عن الخروج في بيت عائشة كانت سبعة أيام، انتهى.

وللعراقي:

أقام في شكواه ذاك اثني عشر	مرض في العشر الأخير من صفر
أو بثلاث عشرة قد ذكره	أو أقام أربع عشرة

كذا ابن عبد البر، انتهى المراد منه.

قال المناوي بعد قوله من صفر قال ابن عبد البر بداية وجعه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة ثم انتقل حين اشتد به وجعه إلي بيت عائشة انتهى. وفي البيجوري ان ابتداء مرضه كان في ثاني ربيع، انتهى.

وعن عائشة أتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذات يوم من جنازة لبعض أصحابه بالبقيع وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وأأساه.. فقال بل أنا وأأساه.. ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك.. فقالت لكنني بك والله لو فعلت أي لو قام بي ذلك فهو بضم التاء أو بفتحها خطابا أي لو فعلت الغسل وما بعده لقد رجعت إلي بيتي فأعربت فيه ببعض نسائك فتبسم، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه.

وقوله بل أنا وأأساه، اضراب بمعنى دعي ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي فإنك لن تموتي في هذه الأيام، بل تعيشين بعدي، وقد تبين أن أول مرضه عليه السلام كان صداع الرأس والظاهر أنه كان مع حمى فإن الحمى اشتدت به فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحل أو كيتهن يتبرد بذلك وقد قيل ان لهذا العدد خاصية في دفع ضرر السم والسحر، وقد ثبت حديث من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر .

وللنسائي في قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات وسنده صحيح، انتهى ملفقا من المواهب وشرح الزرقاني.

وفي شمائل الترمذي عن عائشة قالت رأيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعني على منكرات الموت أو قال سكرات الموت ومنكرات بالنون أي شدائده فإنها أمور منكرة لا يألفها الطبع وسكراته استغراقات، وهذا إنما بحسب الظاهر للناس مما يتعلق بحاله الظاهر لأجل زيادة رفع الدرجات والترقي في أعلى

المقامات، أما حاله مع الملائة الأعلى فكان على خلاف ذلك، فإن جبريل أتاه في مرضه ثلاثة أيام يقول له كل يوم إن الله أرسلني إليك إكراما وإعظاما وتفضيلا يسألك عما هو أعلم به منك، كيف تجدك؟ وجاءه في اليوم الثالث بملك الموت فاستأذنه في قبض روحه الشريفة فأذن له ففعل، قاله البيجوري. وقال جسوس فمئال المنكرات والسكرات واحد وفي الشمائل أيضا عن عائشة قالت لا أغبط أحدا بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأغبط بكسر الموحدة من الغبطة وهي ان يتمنى أن يكون له مثل ما للغير من غير أن تزول عنه، وهون الموت سهولته ومرادها بذلك إزالة ما تقرر في النفوس، من تمنى سهولة الموت لأنها لما رأت شدة موته، صلى الله تعالى عليه وسلم، علمت أنها ليست علامة ردية بل مرضية فليست شدة الموت علامة على سوء حال الميت ولا سهولته علامة على حسن حاله. والحاصل أن الشدة ليست علامة على سوء ولا ضده والسهولة ليست إمارة على خير ولا ضده انتهى من البيجوري.

وفي المواهب عن ابن مسعود دخلت على النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو يوعك وعكا شديدا أي يحم فقلت يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا قال أجل إنني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت ذلك إن لك لأجرين قال أجل كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري. والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل ألم الحمى، وقيل ارعادها الموعك وتحريكها إياه وكان عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها، فقليل له في ذلك، فقال إنا معاشر الأنبياء كذلك، يشدد علينا البلاء وتضاعف لنا الأجور. واعلم أنه عليه السلام استأذن أزواجه في مرضه أن يقيم في بيت عائشة فأذن له فأقام عندها سبعا. وفي الطبراني أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، انتهى كلام المواهب مع يسير من كلام الزرقاني.

وفي الشمائل عن أنس قال: لما وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كرب الموت أي شدة ما وجد قالت فاطمة: وا.. كرباه.. فقال النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا كرب على أبيك بعد اليوم. قال جسوس في شرحه نقلا عن ابن سلطان بين لها أن كرب أبيها سريع الزوال منتقل إلى حسن الحال فأنت أيضا لا تكربي فإن محن الدنيا فانية وان العبرة بالمحن الباقية انتهى.

وأخر الحديث الماضي انه قد حضر بأبيك ما ليس بتارك منه أحدا والموافاة يوم القيامة، قال جسوس هذه تسلية أخرى سلاها أولا بأن ذلك الكرب غير مستمر وإنما هو منقطع بالقرب وثانيا بأن هذا الأمر النازل عام لجميع الخلائق والمصيبة إذا عمت هانت فاصبري ولا تحزني والموافاة الملاقاة يوم القيامة وموت العارفين مجرد انتقال من هذه الدار الضيقة الأقطار الموسومة بالفناء ودوام الأكدار إلى دار النعيم المقيم ولذلك يتمنون الموت وهو أحب إليهم من البقاء وقد كتب سيدي رضوان عند وفاته:

قرب الرحيل إلي الحبيب فمرحبا أهلا به أهلا وسهلا مرحبا

وينسب للإمام أبي حامد الغزالي:
قل لإخوان رأوني ميتا
أتخالون بأنني ميتكم
فبكوني ورثوني حزنا
ليس ذاك الميت والله أنا

إلي أن قال:
كنت قبل الموت ميتا بينكم
وأنا اليوم أناجي ملكا
فحييت وخلعت الكفنا
وأرى الله جههارة علنا

إلي أن قال:
لا ترعكم هجمة موتي فما
لا تظنوا الموت موتا إنه
هي إلا نقلة من ها هنا
لحياة هي غايات المنى

وقد نص المحققون على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وسائر الأنبياء
أحياء في قبورهم، وقد نقلوا قضايا تدل لذلك منها سماع رد سلامه
على من سلم عليه ومنها مده يده الشريفة لسيدي أحمد الرفاعي لما
انشد تجاه الحضرة الشريفة.

في حالة البعد روي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
فهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وقد ورد ما يدل على دعائه لأمتة واستغفاره لهم بعد موته، صلى الله
تعالى عليه وسلم، انتهى المراد من كلام جسوس.

الحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد المصطفى فهي نعمة لا يحصى
شكرها ولا يستوفى.

(وقد دفن) ليلة الأربعاء خير من أمن)
دفن بالبناء للمجهول أي ووري ونائبه خير وأمن مبني للمجهول أيضا
أي جعله الله أمينا وكان معروفا بالأمانة قبل البعثة ومعنى كلامه أنه،
صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي يوم الاثنين قرب الزوال وتأخر دفنه
عليه الصلاة والسلام إلى ليلة الأربعاء فتم دفنه في آخرها. وفي
الترمذي عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر بن علي زين العابدين
بن الحسين قال قبض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم
الاثنين فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن من الليل قال سفيان
وغيره سمع صوت المساحي من آخر الليل قوله ودفن آخر من الليل أي
ليلة الأربعاء وهذا قول الأكثر وقيل ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء.
وقوله من آخر الليل فيه بيان لإجمال رواية الباقر، وإنما أخروا دفنه
مع أن المطلوب الإسراع بالتجهيز لشدة دهشهم حتى صاروا كأجساد بلا

روح وأجسام بلا عقول أو لاشتغالهم بأمر الخلافة ليكون لهم إمام يرجعون إليه عند التنازع في شيء من أحواله أو لعدم اتفاقهم علي موته أو على محل دفنه أو للأمن من تغييره أو ليبلغ موته النواحي القريبة فيحضرُوا جنازته اغتناماً للثواب، قاله جسوس. وقوله مكث بضم الكاف وفتحها وقوله سمع بصغة الجهول ومحمد الباقر من التابعين فالحديث مرسل والمساحي بفتح الميم جمع مسحاة بكسرها وهي كالمجرفة إلا أنها من حديد وهي من السحو بمعنى الكشف والإزالة، قاله البيجوري وفي الشمائل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال توفي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء، قال أبو عيسى هذا حديث غريب انتهى. وأبو عيسى هو الترمذي ومعناه ابتدئ في مقدمات دفنه بتجهيزه يوم الثلاثاء فلا ينافي أنه فرغ من دفنه في آخر ليلة الأربعاء، وحيث أمكن الجمع فلا حاجة لما قيل أن هذا الحديث سهو من شريك، قاله البيجوري.

(ودهش الأصحاب إذ مات النبي)

دهش كفرح، تحير أو ذهب عقله من وله، قاله في القاموس. يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما مات دهش أصحابه وطاشت عقولهم من عظم المصيبة التي نزلت بهم وحق لهم الدهش. قال جسوس في شرح الشمائل، قال في عيون الأثر لما توفي رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك. فأما عمر رضي الله تعالى عنه فكان ممن خبل فجعل يقول والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم. وأما عثمان فأخرس حتى جعل يذهب به ويجاء وهو لا يتكلم وأقعد علي وأضنى عبد الله بن أنيس من الضنى وهو المرض، انتهى.

وقال القشيري والسلمي سقمت البصائر عند وفاته، صلى الله تعالى

عليه وسلم، إلا رجل وهو أبو بكر رضي الله تعالى عنه. فإن الله تعالى أيدته بقوة السكينة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. فصار الكل مقهورا تحت سلطان مقالته لما بسط الله تعالى عليه من نور جلالته، فالشمس بطلوعها يندرج في شعائها أنوار الكواكب، انتهى.

(ولم يكن أثبت فيهم من أبي بكر)

أثبت بالرفع اسم يكن وفيهم خبره، يعني أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن في الصحابة عند وفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أحد أثبت منه قلبا ولا أشد جلدا، فلم يقع له عند نزول هذه المصيبة العظمى والداهية الدهياء ما وقع لغيره من أكابر الصحابة بل وجد عنده من العلم والقوة والثبات ونور اليقين المانع من استيلاء المصائب على قلبه ما لم يوجد عند غيره، ووافقه على ذلك العباس عمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أشار له الناظم بقوله:

(...وعمه الرضى العباس)

قوله عمه بالجر عطف على أبي بكر والرضى بالكسر والقصر المرضي نعت له والعباس بدل من عمه ومعنى كلامه ان أصحابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليس فيهم إذ ذاك من هو أثبت قلبا من أبي بكر والعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما. فروى ابن اسحاق وعبد الرزاق والطبراني أن العباس قال لعمر هل عندكم عهد من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ذلك؟ قال لا. قال فإنه قد مات! ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة واضحة، وهذا من موافقة العباس للصديق، قاله الزرقاني. ووافقه أيضا المغيرة بن شعبة ففي المواهب من رواية الإمام أحمد عن عائشة قالت سجدت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة واستاذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر إليه عمر فقال

واغشياه. فقال المغيرة يا عمر مات. قال عمر كذبت! إن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يموت حتى يفني الله المنافقين! ثم جاء أبو بكر من السنح فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال إنا لله وإنا إليه راجعون. مات رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ووافقهم أيضا ابن أم مكتوم كما في مغازي أبي الأسود عن عروة قال ان ابن أم مكتوم كان يتلو: {إنك ميت وإنهم ميتون}. والناس لا يلتفتون إليه، نقله الزرقاني.

(فخطب الصديق خير الناس وثبت القوم)

خطب كنصر، أتى بخطبة، والصديق فاعل وخير الناس نعت له، أي خير من حضر من الناس بلا خلاف. وقوله وثبت القوم أي سكن اضطرابهم لما خطب خطبته المشهورة فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} إلى قوله {الشاكرين}، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}، {إنك ميت وإنهم ميتون}. قال ابن عباس والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم منه، فما أسمع بشرا إلا يتلوها، يعني {وما محمد إلا رسول} (الآية).

وروى الترمذي بإسناده عن سالم بن عبيد وكأنت له صحبة، قال أغمي على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في مرضه فأفاق فقال حضرت الصلاة؟ فقالوا نعم. فقال مروا بلالا فليؤذن، ومروا أبا بكر أن يصلي للناس أو قال بالناس. قال ثم أغمي عليه فأفاق، فقال حضرت الصلاة؟ فقالوا نعم. فقال مروا بلالا فليؤذن ومروا أبا بكر فليصل بالناس. فقانت عائشة إن أبي رجل أسيف إذا قام ذلك المقام بكى فلا يستطيع فلو أمرت غيره. قال ثم أغمي عليه فأفاق، فقال مروا بلالا فليؤذن وأبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب أو صاحبات يوسف.

قال فأمر بلال فأذن، وأمر أبو بكر فصلى بالناس، ثم إن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجد خفة فقال انظروا إلى من أتكنى عليه، فجاءت بريرة ورجل آخر فاتكأ عليهما، فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص فأومأ إليه أن يثبت مكانه حتى قضى أبو بكر صلاته، ثم إن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض، فقال عمر والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض، إلا ضربته بسيفي هذا. قال وكان الناس أميين لم يكن فيهم نبي قبله؛ فأمسك الناس فقالوا يا سالم انطلق إلى صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فادعه، فأتييت أبا بكر وهو في المسجد فأتيته أبكي دهشا فلما رأيته قال أقبض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قلت إن عمر يقول لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبض إلا ضربته. فقال لي انطلق فانطلقت معه، فجاء والناس قد دخلوا على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال أيها الناس أفرجوا لي فأفرجوا له، فجاء حتى أكب عليه ومسه فقال إنك ميت وإنهم ميتون. ثم قالوا يا صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أقبض رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قال نعم. فعلموا أن قد صدق. قالوا يا صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أئصلي على رسول الله؟ قال نعم. قالوا وكيف؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون ثم يدخل قوم، فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون حتى يدخل الناس. قالوا: يا صاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أئدفن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قال نعم. قالوا أين؟ قال في المكان الذي قبض الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أن قد صدق. ثم أمرهم أن يغسله بنو أبيه واجتمع المهاجرون يتشاورون فقالوا انطلق بنا إلى أخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر بن الخطاب من له مثل هذه الثلاثة؟ {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} منهما قال ثم بسط يده

فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة، انتهى.

قوله أغمي عليه أي لشدة ما حصل له من الضعف، وفتور الأعضاء، فالإغماء جائز على الأنبياء، لأنه من المرض، وقيده الغزالي بغير الطويل، وجزم به البلقيني بخلاف الجنون، فليس جائزا عليهم لأنه نقص، وليس اغماؤهم كإغماء غيرهم لأنه إنما يفتر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم، وأسياف حزين، أي يغلب الحزن فلا يطيق أن يشاهد محلك خاليا منك، وصواحب أو صاحبات يوسف صواحبات جمع صواحب فهو جمع الجمع ووجه التشبيه إظهار خلاف ما يبطن لأن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة وأضمرت أنهن ينظرن إلى حسن يوسف فيعذرنها في حبه وأمنا عائشة أظهرت أن سبب محبتها صرف الإمامة عن أبيها أنه رجل أسيف وأضمرت أن لا يتشاءم الناس به لأنها ظنت أنه لا يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، وبريرة بفتح الباء وكسر الراء الأولى بنت صفوان وهي قبطية أو حبشية مولاة عائشة، والرجل الآخر في رواية أنه نوبة عبيد أسود وفي رواية للشيخين خرج ابن عباس ورجل آخر وهو علي وفي رواية العباس وولده الفضل وفي رواية العباس وأسامة ويمكن التوفيق بتعدد خروجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، واتكأ عليهما: اعتمد عليهما كما يعتمد على العصى وينكص أي يرجع القهقري وفيه ضم الكاف وكسرهما وقوله قبض أي وأبو بكر غائب بالعالية عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية بعد إذنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ذلك لحكمة إلهية وأكب عليه قبله وقوله وكان الناس أميين أي لا يقرؤون ولا يكتبون والمراد أنهم لم يحضروا موت نبي فقولهم لم يكن فيهم نبي قبله تفسير له وقوله فأمسك الناس، أي عن النطق بموته، خوفا من عمر، وصاحب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا ينصرف إن أطلق إلا لأبي بكر وإنما دعوه لأنه قوي القلب عند الشدائد راسخ القلب عند الزلازل فهو الذي يسكن الفتنة والسئم بضم السين موضع بأدنى عوالي المدينة بينه وبين المسجد الشريف ميل، وقوله وقالت الأنصار قائل ذلك هو الحباب

بن المنذر، قاله على عادتهم في الجاهلية أن يكون لكل قبيلة رئيس ولما قالوا ذلك رد عليهم أبو بكر محتجا بالحديث الذي رواه نحو أربعين صحابيا الأئمة من قريش، وفي رواية الخلافة لقريش، والثلاثة التي اجتمعت لأبي بكر أحدها ثاني اثنين إذ هما في الغار، وثانيها إثبات الصحبة، والثالثة إثبات المعية في قوله {إن الله معنا}، وقوله فليصل بالناس نقل الدمياطي أن أبا بكر صلى بالناس سبع عشرة صلاة أولها عشاء الجمعة وآخرها صبح الاثنين، وانتهى المراد من البيجوري.

(...) وجاء الخضر معزيا لهم على ما أثروا) يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما توفي جاء أبو العباس أحمد الخضر فسمعوا صوته من ناحية البيت معزيا لهم والتعزية هي الحمل على الصبر، ومعزيا حال من قوله الخضر، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قوله ما أثروا أي العلماء أي علي ما نقلوه، وفي المواهب عن جعفر الصادق عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثلاث ليال نزل عليه جبريل فقال يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟ فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم استأذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على أدمي قبلك ولا يستأذن على أدمي بعدك، قال إيذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها. قال وتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال نعم. أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني. قال جبريل يا محمد إن الله قد اشتاق إلي لقائك، قال، صلى الله تعالى عليه وسلم، فامض يا ملك الموت لما أمرت به، فقال جبريل يا رسول الله،

هذا آخر موطني من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه .
فلما توفي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجاءت التعزية سمعوا صوتا
من ناحية البيت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، {كل
نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة} إن في الله عزاء من
كل مصيبة وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه
فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب. فقال علي أتدرون من هذا، هو
الخضر عليه السلام، رواه البيهقي ورواه الحاكم. ولا يصح لضعف سنده
ولكنه وجد في مشهور من كتب الحديث.

وقالت عائشة ان من نعم الله علي أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه
وسلم، توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري بفتح فسكون
فيهما . وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي بذال معجمة وقاف مكسورة
والنحر موضع القلادة من الصدر والسحر الصدر، وفي الأصل الرئة
والحاقنة بحاء مهملة وقاف مكسورة قليل طرف الحلقوم وقليل نقرة
الترقوة وقليل تحت السرة وقليل غير ذلك. والذاقنة ما علا من الحلقوم
والمراد أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، توفي ورأسه بين عنقها
وصدرها ولا يعارض ما سبق من أن رأسه كان علي فخذها لأنه محمول
علي أنها رفعت من فخذها إلي صدرها، انتهى منها مع شرحها.
وأخرج أبو نعيم عن علي قال لما قبض، صلى الله تعالى عليه وسلم، صعد
ملك الموت باكيا إلي السماء والذي بعثه بالحق نبيا لقد سمعت صوتا
من السماء ينادي وأحمداه.. الحديث قاله في المواهب في محل بعد
هذا وقوله عن جبريل هذا آخر موطني من الأرض المنفي نزوله بالوحي
المتجدد فلا ينافي ما ورد أنه ينزل ليلة القدر ويحضر قتال الكفار مع
المسلمين ويحضر من مات على طهارة من المسلمين ويأتي مكة والمدينة
خروج الدجال ليمنعه منهما وينزل على عيسى لا بشرع جديد انظر
الزرقاني.

فائدة:

قال ابن حجر في فتح الباري في كتب العلم وخضر بفتح أوله وكسر ثانيه أو بكسر أوله وإسكان ثانيه ثبتت بهما الرواية وبإثبات الألف واللام فيه وبحذفهما، انتهى.

واختلف فيه، فقليل نبي مرسل، وقليل نبي غير مرسل، وقليل ولي، قال الحافظ في الفتح في كتب أحاديث الأنبياء وذكر المصنف في هذا الباب حديث أبي هريرة إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضرا زاد عبد الرزاق في مصنفه الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه، انتهى. ووافقه الحريري وقال ابن الأعرابي الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه. وعن مجاهد أنه سمي بذلك لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، قال الحافظ وقد اختلف في اسمه قبل ذلك، وفي اسم أبيه وفي نسبه، وفي نبوءته وفي تعميره، فقال وهب بن منبه هو بليا بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها تحتية وقليل اسمه إلياس وقليل اليسع وقليل عامر وقليل خضرون بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وعليه فولد قبل إبراهيم، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم وقد حكى الثعلبي قولين في كونه قبل الخليل أو بعده، قال وهب وكنيته أبو العباس وروى الدارقطني عن ابن عباس أنه ابن آدم لصلبه، وهو ضعيف وذكر أبو حاتم إنه ابن قابيل بن آدم رواه عن أبي عبيدة وغيره وعن اسماعيل بن أبي أويس أنه ابن مالك بن عبد الله بن نضر بن الأزد وعن ابن لهيعة أنه ابن فرعون نفسه وقليل ابن بنت فرعون وقليل ابن عابيل بن معمر بن عيصوا بن اسحاق بن إبراهيم وقليل كان أبوه فارسيا رواه الطبري.

وروى ابن إسحاق أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده حتى يدفنه بالتعمير فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذي تولى دفنه الخضر، انتهى المراد

من كلام ابن حجر . وفي سنن ابن ماجه انه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال في مرضه أيها الناس إن أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعزى بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتني، انتهى من المواهب.

وما أحسن قول القائل:

واصبر لكل مصيبة وتجلدي	واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها	فاذكر مصابك بالنبي محمد
واصبر كما صبر الكرام فإنها	نوب تنوب اليوم تكشف في غد

وقال الآخر:

تذكرت أن قد فرق الدهر بيننا	فعزيزت قلبي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا	فمن لم يمت في يومه مات في غد

(وغسل المختار في الثياب)

يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجرد من ثيابه التي مات فيها عليه السلام، بل غسل وهي عليه والمراد بها قميصه فالمراد بالجمع المفرد والله أعلم.

قال الحافظ العراقي:

غسل من بيهره بئر غرس ولم يجرد من قميص اللبس قال المناوي في شرحه اللبس بضم اللام وروي ابن إسحاق عن عائشة لما أرادوا غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالوا ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله بثيابه؟! فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه ثيابه يصبون الماء فوق القميص، انتهى.

ونحوه في المواهب وعزاه للبيهقي، إلا أن لفظه فغسلوه وعليه قميصه يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص، وقوله غسل من بيره إلخ أي بوصية منه، رواه ابن ماجه عن علي مرفوعا إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بيري بير غرس، وكانت بيرا لسعد بن خيثمة، وكان المصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، يشرب منها، وغرس بفتح الغين المعجمة وسكون الراء فسين مهملة، انتهى من المناوي.

وذقنه هو بفتح الذال والقاف مجتمع لحبيه، جمع القلة أذقان والكثرة ذقون كأسد وأسود، قاله في المصباح نقله الزرقاني وفي المواهب عن ابن ماجه فاغسلوني بسبع قرب من بير غرس، ثم قال وروى ابن النجار أنه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الليلة أني على بير من الجنة، فأصبح على بير غرس فتوضأ منها وبزق فيها، انتهى المراد منها. وقوله من بيري أضافها إليه لأنه كان يشرب منها وبزق فيها وهي بقاء وحديث ابن ماجه سنده جيد، انتهى.

وغسل، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح بفتح القاف أي الخالص الذي لم يخالطه كافور ولا غيره والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وهو طيب معروف شجره بالهند والصين يظل خلقا كثيرا وتالفه النمر انظر الزرقاني.

(وولي الغسل من الأصحاب علي والعباس ثم ابنه قثم الفضل ومولياؤه شقران مع أسامة) يعني أن الذين تولوا غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، من أصحابه هؤلاء المذكورون وهم علي بن أبي طالب وهو الذي باشر الغسل وعمه العباس وابنه الفضل يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بضم القاف ابن العباس ومولياؤه عليه السلام شقران بضم المعجمة وأسامة بن زيد وهؤلاء الثلاثة كانوا يصبون الماء وأعينهم مربوطة بعصابة وكان علي يدلكه بخرقه كما في العراقي، وقال ان ذلك من تحت

القميص ونصه بعد قوله ولم يجرد من قميص اللبس.

يدلّكه بسخرقة علي من تحته وهو له ولي قال المناوي من تحته أي القميص، وقوله وهو له ولي أي وعلي هو الذي تولى غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بوصية منه كما رواه الواقدي عنه. وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الحارث قال غسل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، علي وعلى يد علي خرقة فأدخل يده تحت القميص يغسله والقميص عليه انتهى كلام المناوي.

وفي المناوي وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامه وشقران مولياه يصبان الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي وأخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فكان يقول بأبي وأمي طبت حيا وميتا. وأخرج أبو داود عنه ذهب انتظر ما يكون من الأموات فلم أر شيئا وكان طيبا حيا وميتا، وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها وجعل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص وذكر ابن الجوزي عن جعفر الصادق كان الماء يستنقع بكسر القاف أي يجتمع في جفونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فكان علي يحسوه أي يشربه، انتهى المراد منها.

وقوله والعباس مبتدأ وابنه عطف عليه والخبر يعينانه أي في تغليب جسمه الشريف وضمير أعينهم للعباس ومن بعده لا لعلي، فإنه لم يعصب عينيه وطمست بفتح الطاء والميم زال ضوؤها وصورتها أي فإني أخشى على غيرك أن تحين منه لفظة فتطمس عيناه، وأما أنت يا علي فأعرف تحركك عن ذلك فلا أخشى عليك.

وروي أن عليا نوذي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا أن يديم النظر إليه، وقوله سطعت أي ارتفعت قاله الزرقاني، قال مؤلفه سمح الله تعالى له وانظر ما مر عن البيهقي من أنهم يصبون فوق

القميص ويدلكونه بالقميص هل يخالف رواية ابن سعد والحاكم، من أن عليا كان يدلك بخرقه تحت القميص أم لا، ولم يتعرضوا لذلك.

((...)) وذكرنا أن ابن خولى معهم قد حضرا

فكان ينقل الماء وقيل حضر ذلك المكان ولم يل شيئا، قوله ذكرنا بصيغة المجهول يعني أن بعض أهل السير كالعراقي وابن سيد الناس وغيرهم قد ذكر أن هؤلاء المذكورين حضر معهم في غسله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أوس بن خولى بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ومثناة تحتية ساكنة بعد اللام وهو خزرجي سالمي من بني عوف شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها، قاله المناوي، وهذا الضبط هو الذي صدر به وعزاه للقطب الحلبي ونقل أيضا عن الشاطبي والزمخشري والعسكري أنه بفتح الخاء والواو وشدة الياء، انتهى. وللعراقي:

غسله علي والعباس وقثم والفضل ثم ناس
أسامة شقران يصببان الماء وأوس حاضر المكان
وقيل كان ينقل الماء له وأن عمه لم يشاهد غسله
وأوس هو ابن خولى حاضر المكان، أي الذي غسل فيه من غير أن يلي
وقيل كان ينقل الماء لغسله، روى البغوي عن ابن عباس كان الذي غسله،
صلى الله تعالى عليه وسلم، علي والفضل فقالت الأنصار ناشدناكم الله
فأدخلوا معهم رجلا يقال له أوس بن خولى وهو من أهل بدر، انتهى من
المناوي.

وقال جسوس، قال في عيون الأثر غسله علي والعباس، وابناه الفضل
وقثم ومولياه، أسامة وشقران وحضرهم أوس بن خولى الأنصاري،
انتهى. ثم قال جسوس إلا أن الذي باشر غسله علي، انتهى المراد منه
فقول الناظم قد حضرا يصح أن يفسر بكل من القولين أي حضر معهم
مكان الغسل من غير أن يلي شيئا، أو حضر وولي نقل الماء كما مر والله
تعالى أعلم. ولم يذكر في المواهب حضور ابن خولى وذكر أنهم حنطوا

مساجده ومفاصله ووضعوا ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه أي
بخروه عودا ونذا بفتح النون وتكسر، وشد الدال طيب معروف أو
العنبر، صلى الله تعالى عليه وسلم، تسليما.

(وكفن المختار في أثواب بيض ثلاثة بلا ارتياب) يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفن في ثلاثة أثواب بيض يمنية بلا ارتياب أي بلا شك.

(دون عمامة ولا قميص ولا خيطة على المنصوص) معنى كلامه أن الأكفان الثلاثة لم يكن فيها قميص ولا عمامة ولم تخط عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(بل جعلت لفائفها وأدرجا فيها (...)) أي لف، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيها، أي في تلك اللفائف.

((...)) عليه الله صلى وسلم تسليما (مدرجا) بضم الميم وفتح الراء منصوب على المفعولية المطلقة بأدرج أي أدرج فيها إدراجا. وفي الرسالة وقد كفن النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ثلاثة أثواب بيض سحولية أدرج فيها إدراجا، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال أبو الحسن أي لف فيها لفا، انتهى. وما صرح به الناظم من أنها لفائف يمكن أنه ظاهر كلام الرسالة، وذكر الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح الموطأ وفي شرح المواهب ان في طبقات ابن سعد التصريح بأن الثلاثة المذكورة أزرة ورداء ولفافة، انتهى، والله تعالى أعلم. ولفظ الموطأ مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، زوج النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، انتهى. قال الزرقاني والحديث رواه البخاري وأصحاب السنن عن مالك بهذا السند

وتابعه السفينان ويحيى القطان وغيرهم، كلهم عن هشام، وقوله ثلاثة أثواب في طبقات ابن سعد أزرة ورداء ولفافة، زاد ابن المبارك من كرسف، أي قطن. وقوله سحولية بضم المهملتين ويروى بفتح أوله نسبة إلى سحول قرية باليمن، وقال الأزهري بالفتح المدينة وبالضم الثياب، وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أي ليسا معدودين من جملة الثلاثة، بل زائدان عليها فلا يخالف قول مالك وأبي حنيفة باستحبابهما ويحتمل أن معناه لم يكن مع الثلاثة غيرها وهو قول الشافعي والجمهور بعدم استحبابهما وإنما ذلك جائز. وقالت الحنابلة بالكراهة والنفي في الحديث نحو ما قيل في قوله تعالى: {بغير عمد ترونها} أي بغير عمد أصلا، أو بغير عمد مرئية، وقال بعض الحنفية معناه ليس فيها قميص جديد، انتهى منه.

وقال القباب في شرحه لقواعد عياض الحديث محمول عند مالك على أنهما كانا في الكفن إلا أنهما ليسا محسوبين في ثلاثة الأثواب، انتهى. ونحوه للعدوي في حاشية الرسالة. وفي المواهب والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح أشهر وهو رواية الأكثرين، وفي النهاية تبعا للهروي بالفتح منسوب إلى السحول وهو القصار لأنه يسحلها أي يغسلها أو إلى سحول وهي قرية باليمن، وأما الضم فهو جمع سحل، وهو الثوب الأبيض النقي اهـ. قال الزرقاني وفيه شذوذ لأنه نسب إلى الجمع وقيل إن اسم القرية بالضم، انتهى. ثم ذكر في المواهب أن النووي صوب تفسير الشافعي وقال إن الثاني وهو تفسير مالك ضعيف لأنه لم يثبت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كفن في قميص وعمامة، انتهى. قال الزرقاني وهو مشترك الإلزام إذ لم يثبت أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يكفن فيهما والحديث يحتملهما، انتهى. وقال العراقي بعد أن ذكر أنه عليه السلام كفن في ثلاثة:

وقد روى الحاكم أن قد كفنا في سبعة وبالشذوذ وهنا أي وضعف بأنه شاذ، قاله المناوي.

(وفرشت للمصطفى في القبر قطيفة حمراء دون نكر) القطيفة بفتح القاف وكسر الطاء المهملة فتحتية ساكنة ففاء كساء له خمل وفرشت بصيغة المجهول أي بسطت ونكر بضم النون أي انكار يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فرشت له في لحدّه قطيفة حمراء نجرانية كان يتغطى بها ويروى كان يجلس عليها، قال الزرقاني ولا خلف بينهما لجواز أنه فعل الأمرين، فرشها له، صلى الله تعالى عليه وسلم، مولاه شقران بضم الشين، وقال والله لا يلبسها أحد بعدك. وقولي نجرانية قال الزرقاني بفتح النون وإسكان الجيم نسبة لبلد بين اليمن وهجر، انتهى.

ولم يذكر الناظم رحمه الله تعالى القول بأنها أخرجت بعد ذلك قبل إهالة التراب عليه وعزاه المناوي للواقدي، وفي المواهب ان ابن عبد البر قال ثم أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبنة التسع، انتهى. وللعراقي:

وفرشت في قبره قطيفة وقيل أخرجت وهذا أثبت وظاهر العراقي ترجيح كونها أخرجت والله تعالى أعلم. وقال المناوي في شرح القول الأول روي في الإكليل عن ابن عباس كان شقران حين وضع المصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، في حفرته أخذ قطيفة كان النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، يلبسها ويفرشها ودفنها معه في القبر، وقال والله لا يلبسها أحد بعدك، انتهى.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه وقد صرح في هذه الرواية بأن القطيفة كان يلبسها ويفرشها عليه السلام أي يفعل الأمرين اللذين جمع الزرقاني بين الروايتين بجواز أنه فعلهما وقوله يفرشها مقتضى القاموس أنه بضم الراء، وفي المواهب قال النووي وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مخدة

ونحو ذلك تحت الميت في القبر، وشذ البغوي من أصحابنا فقال لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهة ذلك، كما قاله الجمهور. وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك، انتهى.

(وكان في طيبة حافران وألحد القبر له (...))

يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أرادوا حفر قبره الشريف اختلفوا في الشق واللحد فقال المهاجرون شقوا كأهل مكة وقالت الأنصار الحدوا كما نحفر بأرضنا وكان في طيبة وهي المدينة حافران أحدهما مهاجري يشق وهو أبو عبيدة بن الجراح والثاني أنصاري يلحد وهو أبو طلحة زيد بن سهل، فقالوا تبعث إليهما فأيهما جاء قبل الآخر فعل فعله، فبعثوا إليهما فجاء أبو طلحة أولاً فألحد له فعلموا أن اللحد هو الذي اختار الله تعالى لنبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنه الأفضل قال في المواهب وحفر أبو طلحة لحد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، في موضع فراشه حيث قبض وقال الزرقاني في شرحه روى ابن سعد اختلفوا في الشق واللحد فقال المهاجرون شقوا كأهل مكة وقالت الأنصار الحدوا كما نحفر بأرضنا، فقالوا ابعثوا إلي أبي عبيدة وأبي طلحة فأيهما جاء قبل الآخر فليعمل عمله، فجاء أبو طلحة فقال والله إنني لأرجو أن يكون الله قد اختار لنبيه أنه كان يرى اللحد، فيعجبه فألحد له، انتهى منه.

وقوله وألحد القبر له فاعل ألحد ضمير يعود على قوله الثاني وهو أبو طلحة لأنه هو الحافر للحد، وفي القاموس لحد القبر كمنع وألحد عمل لحدا انتهى. والضمير المجرور في البيت للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، فمعنى قوله ألحد القبر له أي عمله له لحداً، وفي الحديث اللحد لنا والشق لغيرنا وفي الرسالة واللحد أحب إلي أهل العلم من الشق وهو أن يحفر للميت تحت الجرف، في حائط قبلة القبر إذا كانت الأرض

صلبة لا تتهيل وتتقطع وكذلك فعل برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال القلشاني فسر اللحد ولم يفسر الشق وهو أن يوسع القبر ثم يحفر في وسطه قبر آخر قدر الميت، وجاء اللحد لنا والشق لغيرنا ولما توفي عليه السلام بعث الصحابة لرجلين أحدهما يشق والآخر يلحد واتفق الصحابة على أن يحفر له السابق فسبق الذي يلحد فاختر الله تعالى لنبيه اللحد فكان هو الأفضل، انتهى منه.

وفي المواهب واختلف فيمن أدخله قبره وأصح ما روي أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس. ويقال دخل معهم أوس بن خولى وكان آخرهم عهدا برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قثم بن العباس، انتهى. قال الزرقاني أي أنه تأخر في القبر حتى خرجوا، انتهى كلامه. وصدر العراقي بأن الذين غسلوه دخلوا قبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونصه:

ودخل النفر الألى في الغسل وقيل لا أسامة وخولى زاد ابن سعد أيضا ابن عوف مع عقسيل امنو من خوف قوله الألى في الغسل أي الذين مر ذكرهم في الغسل والنفر الجماعة وقيل دخلوا قبره إلا أسامة وأوس بن خولى انظر المناوي والنفر هنا بسكون الفاء قاله مؤلفه.

((...)) وأطبقا عليه تسع لبنات مطبقا

قوله أطبق بالبناء للمفعول ونائبه تسع، ومطبقا بضم الميم وفتح الموحدة منصوب على المفعولية المطلقة، يعني أنه لما وضع في قبره الشريف أطبق عليه تسع لبنات اطبقا. قال في المواهب وروي أنه بني في قبره تسع لبنات، انتهى. وقال الحافظ العراقي:

ولحدوا لحداء له ونصبت عليه تسع لبنات أطبقا قال المناوي لحدوا بفتح الحاء واللحد الشق في جانب القبر وتسع بتقديم المثناة على السين واللينه بكسر الموحدة ما ضرب من الطين قبل الطبخ، وأطبقا أي جعلت على مقداره من جميع جهاته كالغطاء، انتهى.

وقال في القاموس الطبق محرقة غطاء كل شيء وأطبقتة جعلته وطبقته فانطبق وتطبق والطبق أيضا من كل شيء ما ساواه، وقد طابقه انتهى.

(في بيت عائشة)

المجروح متعلق بقوله ألد يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، حفر قبره الشريف في بيت أمنا عائشة رضي الله تعالى عنها، أي تحت فراشه، في الموضع الذي قبض فيه، وذلك أنه لما فرغوا من الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قالوا أين ندفنوه؟ فقال ناس عند المنبر وقال آخرون بالبقيع، فجاء أبو بكر فقال سمعت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول ما دفن نبي إلا في مكانه الذي توفي فيه. فحفر له فيه، أخرج الإمام في الموطأ. قال الزرقاني في شرحه وأخرج الترمذي عن أبي بكر مرفوعا ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، قال الزرقاني هذا من خصائص الأنبياء كما ذكره غير واحد والأفضل في حق من عداهم الدفن في المقبرة ومن كل مدينة جبانة، انتهى. وقولي ولما فرغوا من الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، اعلم أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، صلى عليه الناس أفلاذا لا يؤمهم أحد كما في الموطأ وغيره وكان الناس يدخلون عليه فوجا فوجا فيصلون صفا صفا ليس لهم إمام، وروى ابن سعد أن عليا قال هو إمامكم حيا وميتا. وقال الزرقاني بعد كلام ذهب جماعة إلي أنه لم يصل عليه، وإنما كان الناس يدخلون فيدعون ويصدقون، وقال عياض الصحيح الذي عليه الجمهور أن الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كانت صلاة حقيقة لا مجرد الدعاء فقط، انتهى. نعم لا خلاف أنهم لا يؤمهم أحد فليل تعبدى وقيل ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه إليه، وقال الشافعي وذلك لعظم أمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه وقيل لعدم اتفاقهم على خليفة وقيل لوصيته

بذلك، وروى البزار والحاكم من سند فيه مجهول أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما جمع أهله في بيت عائشة قالوا فمن يصلي عليك؟ قال إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سرير اخرجوا عني فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة بأجمعهم ثم ادخلوا علي فوجا فوجا وسلموا تسليما. وفي الترميذي أن الناس قالوا لأبي بكر أنصلي على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم،؟ قال نعم. قالوا وكيف نصلي عليه؟ قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يدخل قوم ويصلون فيكبرون فيدعون فرادى انتهى المراد من كلامه.

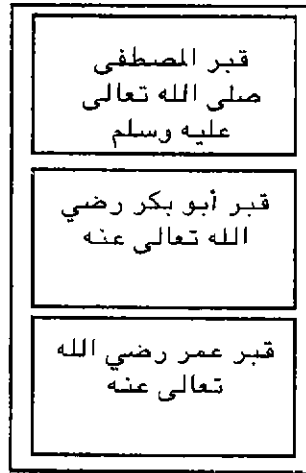
وللعراقي:

صلوا فرادى ومضوا خروجا	ثم أتى الرجال فوجا فوجا
في حديث وبه جهالة	ثم النساء بعدهم فالصبية
ثمت ميكلائيل إسرافيل	صلى عليه أولا جبريل
جنوده الملائك المجتمعة	ثم يليه ملك الموت معه

وقوله خروجا أي خارجين ثم بعد الصبيان دخل العبيد فصلوا أفذاذا إرسالا وقوله وبه جهالة أي في اسناده، عبد الملك بن عبد الرحمان مجهول، قاله المناوي، وفي الحديث الذي أشار إليه هو ما قدمته عن الزرقاني والصديق يليه ثم حوله الفاروق الصديق مبتدأ ويليه خبره يعني أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قبره هو الذي يلي قبر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وراءه وقبر سيدنا عمر وراء قبر أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وهذا مراده بحوله والله تعالى أعلم.

وروى أبو بكر الأجري من طريق إسحاق بن عيسى عن عثيم بن نسطاس قال رأيت قبر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في إمارة عمر بن عبد العزيز ورأيت مرتفعا نحو من أربعة أصابع ورأيت قبر

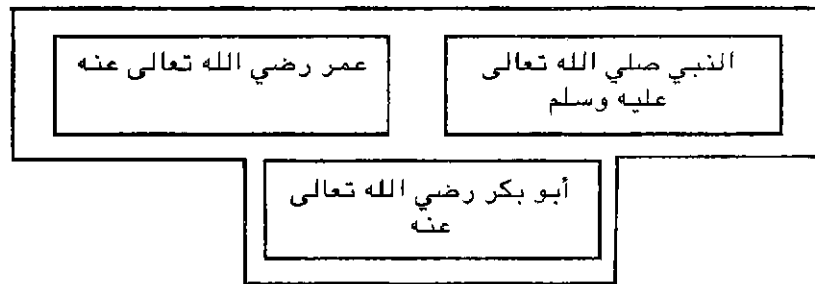
أبي بكر وراء قبره ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه، قال في المواهب والأجري بضم الجيم المعجمة وشد الراء المهملة نسبة إلي عمل الأجر وبيعه وعثيم بمهملة فمثله مصغر ونسطاس بكسر النون وسكون المهملة ورواه أبو نعيم بزيادة وصوره لنا قاله الزرقاني.



ولمؤلفه شوقا إلي هذه الروضة الشريفة:

يا روضة طاب منها الرق والقلم ولاح نور الهدى وانجابت الظلم
 فيها النبي وأبو بكر خليفته وسيدي عمر فاروقنا العلم
 يا ليتني كنت فيها قاطنا أبدا بل ليتني زرتها بل ليتني أم
 عليه والآل والأصحاب أجمعهم أزكى صلاة وتسليم يعمهم
 وفي البخاري من طريق سفيان التمار وهو من كبار التابعين أنه رأى
 قبر النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، مسنما، زاد أبو نعيم وقبر أبي
 بكر وقبر عمر كذلك، وروى أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن
 محمد بن أبي بكر، قال دخلت على عائشة فقلت يا أمه أكتفي لي عن
 قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة
 قبور لا مشرفة ولا لاطئة أي لا مرتفعة كثيرا ولا لاصقة بالأرض يقال
 لطى بكسر الطاء ولطا بفتحها أي لصق مبطوحة ببطحاء العرصة

الحمراء، قال الزرقاني وغاية ما يفيد هذا أنها لم تكن غاية في الارتفاع وهو المطلوب فكيف يتأتى احتمال أنه لم يكن مسنماً، انتهى. زاد الحاكم فرأيت رسول الله أي قبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، مقدماً وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعمر رأسه عند رجلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الزرقاني قال أبو اليمن بن عساكر وهذه صفته:



وفي المواهب قال رزين ورش قبره، صلى الله تعالى عليه وسلم، رشه بلال بقربة بدأ بها من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره عن الأرض قدر شبر ولما دفن، صلى الله تعالى عليه وسلم، أخذت فاطمة من تراب القبر ووضعتة علي عينها وأنشأت تقول: ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليها صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليها والغوالي بمعجمة جمع غالية أخلاط من الطيب وروي أنها قالت: اغبرء افاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران والارض من بعد النبي كئيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان فليبكه شرق البلاد وغربها وليبكه مضر وكل يمان انظر الزرقاني. وقال المناوي الغالية أخلاط من الطيب مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور. وقال النووي هي عنبر ومسك مخلوطان بدهن وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك، انتهى كلام المناوي.

قاصر على أسماء الأجناس مع المشي على الضعيف قاله الزرقاني. وقوله الموضوع على الذات أراد به ما دل عليه اللفظ، وقوله لتعريفها كأسمائه تعالى فإن مدلولها لا يلتبس بغيره حتى يراد تمييزه والمراد منها تعريف عباده به تعالى، وقوله أو تخصيصاً أي تمييزها عن غيرها كأسماء المخلوقات وقوله والمسمى هو الذات أراد به المسمى جوهرًا أو عرضاً كمسمى البياض وقوله إذا أطلق أي كالألفاظ الموضوعية وقوله أحس كالنقوش الدالة عليها فإذا تصورت انتقل منها إلي الألفاظ ثم منها إلي معانيها وقوله فهم منها ذلك المعنى أي للعالم بالوضع، قاله الزرقاني. وفي الزرقاني بعد هذا بنحو أربع أوراق: ونقل الغزالي الاتفاق وأقره في الفتح على أنه لا يجوز لنا أن نسميه، صلى الله تعالى عليه وسلم، باسم لم يسمه به أبوه ولا يسمي به نفسه، انتهى. أي لا يجوز لنا أن نختار له علماً وإن دل على صفة كمال ولا يرد على الاتفاق الخلاف في أسمائه تعالى لثبوت صفات الكمال كلها له تعالى، والنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، إنما يطلق عليه الكمال اللائق بالبشر فلو جاز ما لم يرد به سماع لربما وصف بما يليق بالله دونه على سبيل الغفلة، انتهى كلامه.

(وذكر بعض الوصف والثناء)

ذكر بالرفع عطف على بيان أي هذا ذكر بعض أوصافه، صلى الله تعالى عليه وسلم، سواء كانت خلقية بفتح الخاء وهي الراجعة للصورة الظاهرة وتذكر بالبصر أو خلقية بضمها كالحلم والزهد ونحوها من الأوصاف المدركة بالبصيرة، وقوله الثناء أراد به هنا أوصافه التي يثنى عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بها فهو في المعنى مقارب لقوله في الوصف، (وكان أجمل الوري) الوري الخلق، يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو أجمل الخلق، أي أحسنهم صورة. قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله، صلى الله تعالى

عليه وسلم، رواه الشيخان. وقال أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا تبسم يتلألأ، الجدر، وقوله كالشمس إلخ.. أي يتوهج كتوهج الشمس بحسنه وصفائه وبهاء ضيائه، وقوله يتلألأ بهمزتين أي تلمع ثناياه كاللؤلؤ، والجدر بضمّتين جمع جدار وهو حائط الدار، والحديث رواه أحمد والترمذي وابن حبان، قاله ابن سلطان. وقال جابر بن سمرة وقال له رجل أكان وجهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مثل السيف؟ فقال لا. بل مثل الشمس والقمر. وكان وجهه مستديراً، قاله في الشفا. وقوله مستديراً أي غير مستطيل فلا ينافي ميلانه إلي الطول، قاله ابن سلطان، وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به كما مرّ أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسسته من قريب قوله وأحلاه بالافراد أي الناس وكذا قوله وأحسنه أي تبين حلاوة ملاحظته وطراوة فصاحته من قريب.

وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تألؤ القمر ليلة البدر وخصه لأن ذاك زمان كماله وسمي بدراً لمبادرته الشمس في الغروب ليلاً ومبادرتها إياه في الطلوع صباحاً، وقال علي رضي الله تعالى عنه في آخر وصفه، من رآه بديهة هابه، أي خافه، مخافة العظمة، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله، صلى الله تعالى عليه وسلم، والناعت الواصف والأحاديث الواردة في هذا لا تكاد تنحصر. ولا يدرك قعر بحرها المنهمر انظر الشفا وشرح القارئ له. وقال الإمام التسولي لو لم يكن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، سوى ما اشتملت عليه ذاته من المحاسن لكفاه فإن جميع الواصفين له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يدركوا من أوصافه إلا اليسير، لأن ما حوت ذاته من المحاسن خرق عادة ولم يوجد لبشر سواه فقد قالوا أن الله تعالى أخفى عن الصحابة جل جماله لطفاً بهم لأنه لو أبداه لهم لذهبت عقولهم فلا يبلغون عنه شيئاً، ولذا أسلم أبو ذر رضي الله عنه عند رؤيته، انتهى. وفي مطالع المسرات أن كل واحد منهم ينظر إليه على قدر طاقته بل

منهم من لم يكن يملأ عينيه منه، صلى الله تعالى عليه وسلم..

((...)) وأكملنا خلقا وخلقنا بل لعمري أفضلنا

يعني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أكمل من جميع الخلق في الخلق بفتح المعجمة وسكون اللام وهو ما يرجع إلى صورته الظاهرة وفي الخلق بضممتين وهو ما يرجع إلي الأوصاف الباطنة كالشجاعة والحلم والصبر والحياء والكرم ووفور العقل الذي هو أصل كل كمال والجود والسخاء والإحتمال أما الشجاعة فهي قوة القلب عند البأس وكان عليه السلام أشجع الناس وما ولى العدو ظهره قط، وتأمل ما تقدم مما وقع له يوم حنين وهو راكب على البغلة التي لا تصلح للكر ولا للفر ومع ذلك يركضها في نحور العدو وينادي باسمه ووصفه الذي هو موجب غضبهم عليه وتكذيبهم له: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأما الحلم فهو حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات للغضب الباعث على العجلة في العقوبة والصبر حبس النفس على ما تكره فهو أعم من الحلم، فالصبر يكون على العبادة وعن المعصية وفي المصيبة وأما الجود والكرم والسماحة ومعانيها متقاربة فلا شك أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان منها بالمحل الذي لا يدركه غيره. وفرق بعضهم بين هذه الحقائق فقال الكرم الإنفاق بطيب النفس أي انبساطها فيما يعظم خطره بفتحتين ويسكن أي قدره والانتفاع به فلا يطلق على ما يقل نفعه وسموه مزية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة أي صعوبة الخلق والسخاء سهولة الإنفاق على الأقارب والأجانب والغني والفقير وقال بعضهم من أعطى البعض فهو سخي ومن بذل الأكثر فهو جواد، ومن بذل الكل فهو كريم. وأما الحياء فهو رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله وكان عليه السلام أشد الناس حياء، انتهى من الشفا وشرح ابن

سلطان له.

وقوله بل لعمرى أفضل بل هنا للانتقال بغير ابطال ولعمرى مبتدأ وخبره محذوف أي قسمي ولا شك أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أفضل من جميع المخلوقات. (أخطأت) يصح أنه للخطاب، أي أخطأت يا مادم، ويصح أن الضمير للمتكلم أي أخطأت أنا. (إن شبهته بالبدر في الحسن) وكأنه رحمه الله تعالى في هذه الأبيات يشير إلي الأخذ على مجلي حلبة المديح النبوي حيث قال كالزهر في ترف إلخ.. وما فعل الإمام البصري هو الجاري على ألسنة العرب نظما ونثرا وتأمل قول ابن رواحة أو حسان على الخلاف في ذلك:

روح من النور في جسم من القمر كحلة نسجت بالأنجم الزهر
وقول حسان:

واق وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأناجيل
وقول أمنا عائشة رضي الله عنها: وقد نظرت إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، يوما فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنت والله أولى بقول أبي بكر الهذلي.. وإذا نظرت إلى أسرة وجهه... برقت كبرق العارض المتهلل... وقد مر قول ابن أبي هالة فيما تقدم يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، وقول أبي هريرة كأن الشمس تجري في وجهه كما مر، وقال جابر بن سمرة فيما مر أن وجهه مثل الشمس والقمر، وهذا كثير جدا. ومن أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، النجم والشمس كما في المواهب، والسراج.

(أو جعلته كالبحر في الجود)

أي أخطأت إن جعلته في الجود مثل البحر وجوابه ما تقدم، (أو مثلته بالزهر، في ترف)، الزهر بالفتح النور والترف النعومة، أي وأخطأت إن قلت إنه مثل الزهر في النعومة، ترف كفرح تنعم، وترفته نعمته (أو قلت نحو الدهر في همم)، تهمم الشيء طلبه والهمة بالكسر ويفتح ما

هم به من أمر ليفعل والهوى قاله في القاموس أي وأخطأت أيضا إن قلت أنه مثل الدهر في الهمم أي في أنه لا يطلب أمرا إلا أدركه كما قال البصيري كالزهر في ترف والبدر في شرف والبحر في كرم والدهر في همم، وفيه من البديع أن كلا شطريه متصارع في نفسه.
وقال حسان بن ثابت:

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أُنْدَى من البحر
له همم لا تنتهي لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
والعذر للإمام البصيري كثرة ذلك في ألسن الشعراء، كقوله:
إذا أعجبتك الدهر حال من امرئ فدعه وواكل أمره والليالي
وقوله:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا
وقول ابن دريد:

إن الجديدين إذا ما استوليا على جديد أدنياه للبلال
ومن نحو تشبيهه قوله تعالى: {كأنهن بيض مكنون، كأنهن الياقوت والمرجان} جريا على لغة العرب.

((...)) ولو عكست المثالا كان عندي خطئنا بل خطلا
العكس قلب الشيء والمثالا محركة الصفة ومنه مثل الجنة والخطأ ضد الصواب والخطل محركة الخفة والكلام الفاسد الكثير ومعنى كلامه ولو قلبت الصفة فشبهت هذه الأشياء المتقدمة به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما ذكرت فقلت إن البدر كهو في الحسن إلى آخرها لكان ذلك غير صواب بل كان كلاما فاسدا، والبدر إنما اكتسب الحسن منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن نوره مستفاد منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا جود البحر وهمة الدهر ونعومة الزهر ولينه، إنما استفيد جميع ذلك منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا لولا هو عليه السلام ما خلق قمر ولا شمس ولا بر ولا بحر ولا جنة ولا نار، ولا إنس ولا جان ولا

غير ذلك. وفي الحديث القدسي خلقتك من أجلي و خلقت الخلق من أجلك أو كما قال. أي خلقت الخلق لأعرفهم كرامتك علي. انظر الزرقاني.

(من أين للبدر بهاء خده) البهاء الحسن. (من أين للدهر وفاء عهده)، أي من أي جهة وصل للبدر حسنه؟ ومن أي جهة وصل للدهر، إنه لا يعاهد بشيء إلا وفى به، أي لم يصل لهما ذلك إلا من جهته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (من أين للأزهار لين عطفه؟) الأزهار جمع زهر وهو النور واللين بالكسر والعطف بالكسر جانب الشيء أي من أي جهة حصل للزهر لين جانبه ونعومته؟ (من أين للبحر سخاء كفه؟) السخاء الكرم شبه البدر بشخص والبحر بشخص وأضاف إليهما ما هو من لوازمهما وكذا ما بينهما.

(لا والذي أعطاه كل الحســن ما إن له من مشبه في الكون) لا زائدة والذي قسم وجوابه قوله ما إلخ... ومن زائدة ومدخولها مبتدأ وخبره المجرور قبله وإن مؤكدة لما أي وأقسم بالله الذي أعطى النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كل الحسن ما له عليه السلام من مشبه في الكون. أي المخلوقات المكونات وقد تقدم أن الصحابة رضوان الله عليهم منهم من لم يكن يملأ عينيه منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مع أن الله تعالى أخفى عنهم جل جماله لطفاً بهم لئلا تطيش عقولهم وقوله لا والذي أعطاه إلخ.. قال الشيخ البوني:

... وكثيراً جداً وجود لا زائدة قبل القسم كمثل لا أقسم، لا أفعل ذم. وزيادتها قبله وجوابه مثبت كثير نحو: {فلا أقسم بمواقع النجوم} (الآية)، {ولا أقسم بهذا البلد} وقد تزايد قبله وجوابه منفي كبيت الناظم ونظيره قوله:

أخلاي لا تنسوا مواثيق بيننا
فإني لا والله ما زلت ذاكرا

قال مؤلفه غفر الله تعالى له ولأحبابه وها أنا إن شاء الله تعالى أذكر
نظم الحافظ العراقي لوصف أم معبد بنت خالد الخزاعية به، صلى الله
تعالى عليه وسلم، وأذكر ما يحتاج له من كلام شارحه المناوي قال
العراقي:

تقول فيه بلسان ناعت أبلج وجهه ظاهر الوضوء
الخلق منه لم تعب به ثجله كلا ولم تزر به من صعله
أدعج والأهداب فيهما وطف من طولهما أو غطف أو عطف
والجيد فيه سطع وسيم والصوت فيه صحل قسيم
قوله بلسان بالتنوين وناعت صفة له، أي بلسان واصف لمحاسنه
الظاهرة هو رجل أبلج وجه أي نيره مشرقه ولم ترد بلج الحاجب لأنها
وصفته بالقرن الذي هو ضده والوضوء الحسن والجمال. قال ابن عباس
لم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط
إلا غلب ضوءه ضوء السراج، رواه ابن الجوزي. والخلق بفتح المعجمة
وسكون اللام وتعبه بفتح الفوقية وكسر العين وثجلة بمثلثة مضمومة
وجيم ساكنة وهي عظم البطن مع استرخاء أسفله والمراد لم يوجد في
بدنه شيء يعاب وروي بنون مفتوحة وحاء مهملة ساكنة أي لم تعب
رقة هزال، قال القتيبي ولم أسمع بالنحل أي بنون وحاء مهملة في غير
هذا الموضع إلا في العطية. وقوله كلا، ردع لمن عابه بشيء من ذلك ولم
تزر بضم المثناة الفوقية وسكون الزاي من الأزراء الاستحقار
والاستخفاف بالشيء والصعلة بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر
الرأس. وكان عليه السلام عظيم الهامة وأدعج شديد سواد العين
والأهداب جمع هذب بضم فسكون ووظف بفتح الواو والطاء المهملة
وغطف بفتح الغين المعجمة بدل الواو وهما بمعنى وهو أن يطول شعر
الأجفان وينعطف. وفي رواية عطف بعين وطاء مهملتين مفتوحتين
وهي بمعناها والجيد بكسر الجيم بمعنى العنق الوارد في رواية أم
معبد، وسطع بمهملتين مفتوحتين أي طول ووسيم أي حسن مضيء وفي

حديث أبي هالة أن عنقه كان في صفاء الفضة وليس وصفه بالوسامة في حديث أم معبد وصحل بفتح الصاد والحاء المهملتين هو كالبحّة أي لم يكن حاد الصوت وقسيم جميل الوجه كله أي كل موضع منه أخذ قسما من الجمال، انتهى المراد من كلام المناوي.

والعراقي بعد ما قدمت:

كثيف لحية أزج أقرن أحمله من بعد وأبهى كذاك يعلوه الوقار إن صمت فصل الكلام ليس فسيه هذر لا بائن طولاً ولا يقتحم كثيف لحية أي في لحيته اجتماع والتفاف، وهو بمعنى كث اللحية، وأزج مقوس الحاجبين مع ظهور الشعر وطول في طرفه وهذا خلقة فيه وأقرن أي متصل أحد الحاجبين بالآخر، كذا وصفته أم معبد، وعورض برواية ابن هالة سوابغ في غير قرن وأجيب بأنه كان بحسب ما يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمل وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلاً دقيقاً فهو أبلج في الواقع أقرن بحسب ما يبدو للناظر بغير تأمل وأحلاه بالافراد أي من تأمله من قرب رآه أحلى الناس وأحسنهم ومن رآه من بعد رآه أبهى الناس وأحسنهم ووحد الضمير حملاً على لفظه أو على الجنس أي أحلى هذا الجنس أي الناس وقوله يعلوه إذ ما يتكلم البها، لفظ أم معبد إن تكلم سماه وعلاه البهاء أي ارتفع وعلا بكلامه على جلسائه والوقار الرزانة وتحشرت تساقطت وفصل الكلام أي بينه يفصل بين الحق والباطل لفظ أم معبد حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أي ليس بقليل لا يفهم ولا كثير يمل، ولا يقتحم من قصر بالبناء للمفعول ولفظ أم معبد ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزته إلى غيره احتقاراً له، انتهى المراد منه ثم قال العراقي:

بمنظرة المنظر والمقــدار
إن أمروا تبادروا امتثالا
تصفه الرفقة بائتمار
أو قال قولاً انصتوا اجلالا
فهو لدى أصحابه محفود
أي يسرعون طاعة محشود
ليس بعابس ولا مفند
بذاك عرفته أم معبد
نضرة المنظر حسنه وهي بفتح النون وسكون المعجمة وقوله والمقدار
أي وعظم مقداره وتحفه، يطوفون به؛ ويدورون حوله؛ وقوله بائتمار أي
مع ائتمارهم بأمره، والمحفود المخدم، والمحشود من يجتمع الناس حوله
ليمتثلوا قوله ويهتدوا بأفعاله والعابس كالح الوجه لمن يجالسه والمفند
بفتح الفاء وكسر النون مشددة من يكثر اللوم أو المنسوب إلي الجهل
وقلة العقل انظر المناوي.

ومن نظم العراقي لوصفه هند بن ابي هالة له عليه السلام:
مفلج الأسنان سهل الخد، أشنب بادن طويل الزند... عنقه يرى كجيد
دمية... مع صفاء لونه كالفضة... قال في القاموس: مفلج الثنايا
منفرجها وظاهرها اختصاصه بالثنايا ويؤيده إضافته الى الثنيتين في
خبر ابن عباس وقول بعضهم يحتمل الانفراج مطلقا يرده أن المقام مقام
مدح وقد صرح جمع بأن تباعد الأسنان كلها عيب عندهم وسهل الخد أي
غير مرتفع الوجنتين وهو معنى أسيل الخدين وأشنب أي لأسنانه غاية
البريق واللمعان والبياض وبادن ضخم البدن لا مطلقا بل بالنسبة لما
مر، من كونه شتن الكفين والقدمين جليل المشاش والكتد، ولما كانت
البدانة قد تكون من كثرة اللحم والسمن المفرط الموجب لرخاوة البدن
وهو مذموم أردفه ابن أبي هالة الوصاف بنفي ذلك فقال: متماسك أي
يمسك بعض أجزائه بعضا، من غير ترجرج ولا استرخاء فهو على الخلق
الأول لم يضره السمن فهو لما بلغ السن الذي شأنه استرخاء اللحم كان
كالشباب والزند كفلس قال الزمخشري ما انحسر عنه اللحم من الذراع
والدمية الصورة من نحو رخام أو عاج والمراد الصورة التي بولغ في
تحسينها فشبه عنقه بالدمية في الاستواء والاعتدال وبالفضة في اللون

والأشراق، انتهى من المناوي.

(ما أبصر الراؤون قط مثله)

ما نافية والراؤون جمع راء فاعل أبصر وقط ظرف زمان للتعميم في الزمن الماضي يعني أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم ير الراؤون مثله في الحسن فيما مضى ولن يروا مثله فيما يأتي لأنه لا مماثل له في الحسن أصلا حتى يرى. وفي الترمذي عن علي كرم الله وجهه لم ار قبله ولا بعده مثله. وللعراقي:

يقول من ينعتة ما قبله أو بعده قط رأيت مثله

ويشمل المثل هنا المساوي فقط أو مع زيادة والمنفي هنا عموم الشبه فلا ينافي نوعا منه وهو المثبت للذين يشبهون به، صلى الله تعالى عليه وسلم، انظر المناوي. وقال أبو بكر نظرت إلي النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، في ليلة مقمرة فجعلت انظر إليه مرة وإلى القمر أخرى، وحسن جماله يزيد على القمر، فقلت صدق الله إذ قال وسراجا منيرا.

(يا ما أحيلاه وأبهى شكله (...))

الشكل الصورة وأبهى معناه أحسن وما تعجبية أي ما أحلاه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وما أحسن صورته والتصغير في أحلى للتعظيم وفي الدماميني وغيره أن التصغير لم يسمع إلا في أحسن وأملح، كقوله: يا ما أميلح غزلانا شذن لنا من هؤلاء كن الضال والسمر وشذ تصغير أفعل مقصورا على السماع خلافا لابن كيسان في اطراده، انتهى المراد منهما.

قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه التصغير هنا وإن كان للتعظيم والمحبة فالصواب أن يصاب عنه هذا الجنب الرفيع لأنه يدخل الأسماء المعظمة فكذلك المعاني المفخمة، وهذا هو الأبلغ في الأدب في حق من

إليه جميع من ضمه المحشر في الشفاعة يرغب، صلى الله تعالى عليه وسلم، صلاة وتسليما منه إليه علي قدر جاهه العظيم، نسأله سبحانه بمنه أن يحلنا نحن وأحبتنا بجاهه عقب الموت جنات النعيم، آمين، آمين آمين يا أرحم الراحمين. (فهو)، صلى الله تعالى عليه وسلم، (لعمري) قسم اعترض بين المبتدأ وهو قوله فهو بسكون الهاء وخبره الذي هو قوله (مفرد) أي واحد لا ثاني له (في الحسن) أي ما أعطي له عليه السلام من الحسن الذي لم يشاركه فيه غيره فلا ينافي أن غيره أعطي بعض الحسن فالمنفي إنما هو مشاركة مخلوق له في حسنه بحيث يكون مماثلا له في الحسن. وقوله (معنى وصورة) أراد بالمعنى الأوصاف الباطنة كالسجايا من كمال العقل والحلم والصبر والزهد والكرم وغيرها وبالصورة الذات الظاهرة وأوصافها المرئية بالبصر قد أوتي عليه السلام من حسن الخلق ما لم يؤته مخلوق غيره وحسن الخلق ملكة نفسانية ينشأ عنها جميل الأفعال، قال العراقي:

بعثه الرحمن بالارفاق كيما يتم صالح الأخلاق
قال المناوي أشار به إلى ما في حديث أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق، وفي رواية للبزار مكارم بدل صالح، والمراد بذلك أن الأنبياء بعثوا بمكارم الأخلاق وبعثت منها بما بعثوا وبإتمام ما بقي، انتهى المراد منه. (ولا أستثنى) أحدا من الخلائق في قولي أنه عليه السلام أحسن من جميعها بل ذلك على عمومه بلا خلاف، وقد أوتي، صلى الله تعالى عليه وسلم، كل الجمال والجلال ويوسف أعطي شطر الحسن أي شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة إذ كانت لا تفارق الحور إلا فيما يطراً على الأدميات من الحيض وغيره انظر ابن سلطان، وفي الشفا عن أنس ما بعث الله تعالى نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا أي من الكل فشمّل صورة يوسف وصوت داود وفي الحديث دلالة على جواز مثل هذه الإضافة إذا لم يرد بها المهانة قاله

(له من الأسماء والصفات ما به على كل الأنام قد سما) يعني أنه عليه السلام له من الأسماء الحسنة والأوصاف العلية ما يدل على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد سما أي علا وارتفع على جميع الأنام وهو كسحاب الخلق والمراد بالأسماء الألفاظ التي جعلت دالة على ذاته الشريفة وقد مر أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى والاعتناء بشأنه ولذا يكثرون أسماء الشيء الذي لهم به عناية وقد مر أن أسماءه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلام وأوصاف في حقه وإن كانت أعلاما فقط في حق غيره، فمحمد علم في حقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وصفة لأنها منقولة من اسم مفعول حمد بالتشديد للتكثير فمعناه كثرة حمد الخلائق له عليه السلام مرة بعد مرة والمراد بالصفات المشار لها في بيت الناظم سائر أخلاقه العلية وأوصافه السنية وآدابه الشرعية كالدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والتواضع والوقار والصمت والمروءة وحسن العشرة بكسر العين كما في المناوي أي الصحبة والمخالطة، وغير ذلك مما جبل عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم إن أشهر أسمائه، عليه السلام، كما في المواهب، زاد الشامى: وأجلها: محمد، والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة كالممدح. قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها إلى الماجد القرم الجواد المحمد وبها سماه جده عبد المطلب ليطلب ما سماه الله تعالى به، فقليل له لم سميت ابنك محمدا وليس من أسماء آبائك، وعادة العرب تسمية المولود باسم أحد آبائه؟ فقال أردت أن يكون محمودا في السماء لله وفي الأرض لخلقه، فحقق الله رجاءه. وقيل سماه بها لرؤيا رآها وهي أنه رأى في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم

عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور قال وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس بسبعين ضعفاً، وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وناسا من قریش تعلقوا بها وقوما منهم يريدون قطعها فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع عيونهم فرفعت يدي لأتناول منها فلم أنل فقل لي النصيب للذين تعلقوا بها، فقصصها على كاهنة قریش فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء وأهل الأرض وعق عنه عبد المطلب بجزور يوم سابعه وقيل بكبش. ويلي محمدا في الشهرة أحمد كما في الفتح قاله الزرقاني. وقال المناوي محمد وأحمد أعظم أسمائه وأشهرها وأبلغها، وإليهما ترجع جميع صفاته، قال السهيلي وغيره كان المصطفى أحمد قبل أن يكون محمدا لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب القديمة وتسمية محمد وقعت في القرآن، انتهى. ونحوه في المواهب عن السهيلي ونقل نحوه عن القاضي، قال وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس. قال الزرقاني وكذلك في الآخرة، يحمده ربه فيشفعه فيحمده الناس وأحمد معناه أحمد الحامدين لله تعالى. وقال ابن القيم اختلف في اسمه أحمد فقل بمعنى فاعل فمعناه أحمد الحامدين، وقيل بمعنى مفعول فمعناه أحق الناس وأولاهم أن يحمده.

(ماذا عسى يا فائق الأنام حسنا وإحسانا على التمام
أن يبلغ المثنون باللسان طرا (...))
قوله ماذا ملغاة ولا يصح أن تكون موصولة لأن جملة عسى غير خبرية
كما قالوا في قوله:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق
وفائق اسم فاعل من فاقه فوقا وفواقا، علاه بالشرف، وحسنا وإحسانا
منصوب بنزع الخافض، وطرا حال من المثنون، أي أي شيء عسى أن

يبلغه المثنون عليك، أي المادحون لك يا رسول الله جميعا بألسنتهم يا من علا على جميع الخلق بالشرف ففاقهم في حسن ذاته وكمال صفاته البشرية وفاقهم في الإحسان إلى غيره أي الإنعام عليه مع تمام هذين الأمرين فبيك يا رسول الله فقد بلغت مرتبة من الحسن لم يبلغها مخلوق سواك كما بلغت من الإحسان إلى الغير ما لم يبلغه مخلوق غيرك فإن الله تعالى بمحض اختياره جبر نعمه أن يصل منها شيء إلى مخلوقه إلا من تحت يده، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلوه علي التمام، على بمعنى مع، كما قررت أي لا يبلغ المثنون عليك مبلغا يناسب قدرك، ولو أثنوا عليك أي مدحوك. (مدى الزمان) أي إلى منتهاه ومدى الشيء غايته والزمان اسم لليل والنهار وما اشتملا عليه من الساعات

(بعد ثناء الله في القرآن عليك بالخلق العظيم الشأن)

أي منتهاه. وهذا مقتبس من قول لسان الدين بن الخطيب:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم يفتح له اغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثنى على أخلاقك الخلاق
وقال:

وإذا كتاب الله أثنى مفصحا كان القصور قصار كل فصيح
أي غايته. وقال سلطان المحبين عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه
ونفعنا ببركته:

أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثنى عليه وأكثر
إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى
وأشار الناظم بهذا إلى قوله تعالى: {وإنك لعلی خلق عظیم}. قال ابن
الخان لما كانت أخلاقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كاملة وأفعاله
الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحسن الخلق قوة نفسانية
يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية ويدخل
في حسن الخلق التحرز من الشح والتشديد في المعاملات والتحبب إلي

الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب، والمعاشرة مع الأقارب والأجانب والتساهل في جميع الأمور وترك التهاجر والتقاطع واحتمال الأدنى من الأدنى والأعلى مع طلاقة الوجه وإدامة البشر، ولقد كان جميع ذلك في رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم}. وقال الحسن هو آداب القرآن. قالت عائشة كان خلقه القرآن، انتهى المراد منه. نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان. وقال المناوي ولما اجتمع فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من خصال الكمال ونعوت الجلال ما لا يحصى أثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم بقوله: {وإنك لعلى خلق عظيم}، وأتى بعلی المشعرة بأنه استعلى على معالي الأخلاق واستولى عليها ووصف بالعظيم دون الكريم لأن الكريم يراد به السماحة واللين وخلقه غير مقصور عليه فعنده غاية الرحمة للمؤمنين وغاية الغلظ على غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم يكن همه سوى الله تعالى ولهذا قالت عائشة، رضي الله تعالى عنها، كان خلقه القرآن. أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه وغير ذلك. وإليه أشار الناظم يعني العراقي بقوله:

أكرم به خلقه القرآن فهو لدى غضبه غضبان
يرضى بما يرضى إلخ..

وضمير فهو للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولدى بمعنى عند، أي فهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، غضبان عند غضب القرآن أي عند كل ما جاء فيه غضب الله تعالى على أحد من الكفار ويرضى بما يرضاه القرآن ويتأدب بآدابه بكل ما أثنى عليه القرآن ودعا إليه تحلى به وكلما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه.

واعلم أن كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل والحق أن أصل حسن الخلق غريزي وتاممه مكتسب، انتهى المراد منه.

(صلى عليه ربنا وسلمنا والال والأصحاب أنجم السما)

أي الذين هم في الاهتداء بهم إلى طريق الحق بمنزلة نجوم السماء في الاهتداء بها في البر والبحر. وفي الحديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.

**(واغفر لعبدك الذليل الجان ذنوبه يا واسع الغفران
ما لاذ بالبيت العتيق واحتمى ببابك السامي مسيء قد سما)**
ما مصدرية ظرفية ولاذ به لودا ولوإذا مثلثة تحصن به واستتر، والبيت العتيق الكعبة شرفها الله تعالى قيل لأنه أول بيت وضع بالأرض، أو أعتق من الغرق أو من الجبابرة أو من الحبشة، أو لأنه حرام لم يملكه أحد، قاله في القاموس. واحتمى تمنع وقوله ببابك خطاب للنبي، صلى الله تعالى عليه وسلم، بدليل قوله الآتي: يا أكرم من تبسما؛ وقوله قد سما صفة لقوله مسيء ومعنى سما نهض وأتى قال امرء القيس:

سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
وفي القاموس سما سموا ارتفع، والقوم خرجوا للصيد، انتهى. وفسر الأعلام سموت بنهضت ويدل على هذا التفسير نسخة قدم بالقاف والذال المكسورة أي أتى. (يروم)، حال من فاعل سما أي نهض وأتى يروم أي يطلب (غفرانا) للذنوب ويروم أي يطلب. (وتوفيقا لما يرضيك يا أكرم من تبسما) وذلك هو الذي فيه مرضاة الله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله. وأشار بهذا إلى أن غالب ضحكه التبسم وربما ضحك حتي بدت نواجزه.

(ظلمت نفسي وأتيت ارتجي ببابك الغفران (...))
ظلم نفسه جنى عليها أي جنيت على نفسي بالمعاصي وأتيت أرجو الغفران بسبب الاحتماء والوقوف ببابك يا رسول الله وعادة الكرام أن السائل إذ وقف بباب أحدهم لا يرد فكيف به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فما سئل شيئاً قط فقال لا. والباب هنا كناية عن الالتجاء إليه

والتعرض لنفحاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (يا من يلتجئ) لجأ إليه كمنع وفرح لاذ به أي تحصن (إليه كل الناس يوم الفزع)، الفزع الذعر والفرق والفعل كمنع وفرح فزعا ويكسر ويحرك قاله في القاموس ويوم الفزع يوم القيامة ويعني بهذا أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هو الذي يستغيث الناس به يوم القيامة في الموقف الهائل بل حين تراكمت الأهوال عليهم وضاق بهم الخناق وطال وقوفهم وأجمعهم العرق واتهم البراء أنفسهم وكشف عن ساق فيشفع هو، صلى الله تعالى عليه وسلم، الشفاعة العامة في جميع من ضمه المحشر بعدما أسلمها له أكابر الرسل وقال كل واحد منهم لست لها. وينادى يا محمد سل تعطه، واشفع تشفع، فيقول يا رب أمتي أمتي. (كن لي شفيعا) أي ضمني إليك في جاهك يا رسول الله والشفاعة لغة الضم ومنه الشفع ضد الوتر والشفعة لأنها ضم أحد الشريكين نصيب شريكه إلي نصيبه، والشفاعة ضمك للغير في جاهك كما في المفهم للقرطبي. (وأجر) أي أعذ وانقذ شخصا (ذا جزع) يعني نفسه. والجزع نقيض الصبر قاله في القاموس. (فأنت خير شافع) ولذا لا يشفع أحد إلا بعد فتحك له يا رسول الله باب الشفاعة، (وأعطف) أي أشفق شافق. ومن أسمائه عليه السلام العطوف أي الشفوق لكثرة شفقتة علي أمته، قاله الزرقاني. (وأنت بالامة منها أرأف)، المجروران يتعلقان بأرأف أي أنت أشد رأفة بأمك منهم بأنفسهم والرأفة أشد الرحمة وأبلغها، قاله أبو عبيدة وقال ابن دحية الرأفة لدفع المكاره والرحمة لطلب المحاب وقال غيره الرأفة إحسان مبدؤه شفقة المحسن والرحمة إحسان مبدؤه فاقعة المحسن إليه قاله الزرقاني وروى الشيخان عن أبي هريرة رفعه إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا أخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها والحجزة بضم المهملة حيث ينتهي طرف الإزار، فكأنه قال أخذ بأوساطكم لأنجيكم من النار قاله الزرقاني في محل آخر. (فلا تكلني) يا رسول الله إلى غيرك أي لا تسلمني إليه

ولا تتركني. وكل إليه الأمر وكلا ووكولا سلمه وتركه (وأجرني) أي أعذني يا رسول الله أنا (وأبسي والام) بالنصب أي أمي (والأهل) أي أقاربي وفي حكمهم الزوجة (غدا) يعني به يوم القيامة قال تعالى: {ولتنظر نفس ما قدمت لغد} (من نصبي) بالتحريك وهو التعب وذلك اليوم يوم تعب إلا من وقاه الله بمحض فضله من ذلك، قال تعالى: {وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة} أجارنا الله تعالى وأحببتنا وجميع المسلمين. (بجاهك الأكرم لذت سيدي) أي تحصنت بجاهك الأكرم عند الله تعالى والجاه القدر والرفعة وسيدي منادا بحذف يا، (ومن يلذ به) أي يتحصن به من مكاره الدنيا والآخرة (إلى الرشدهدي) الرشدهدي وهو ضد الغي وهدهاء أرشده والمجورور متعلق بما بعده. أي ومن يتحصن بجاهك هدي في الدنيا إلى طريق الرشده وذلك علامة على نجاته في الآخرة.

(بجاهك الأعظم يا خير نبي ما يبلغ الراغب أقصى مطلب) الراغب السائل وهو منصوب ببيلغ بضم التحتية وأقصى مفعوله الثاني وما مبتدأ وخبره المجورور أول البيت، ومعنى كلامه أن في جاهه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من العظم عند الله تعالى ما يوصل كل سائل بجاهه، عليه السلام، إلى أقصى مطالبه، وفي الحديث توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم. اللهم شفعه فينا بجاهه عندك، اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدك ومحبتك وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام.

فأنت باب الله أي امرئ واقاه من غيـرك لا يدخل يا أكـرم الخلق على ربه يا خير من فيهم به يسأل غيره.

الله عظم قدر جاه محمد وأناله قدرا عليه عظيم

في محكم التنزيل قال لخلقه صلوا عليه وسلموا تسليما
إلهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

(ومطلبي ببابك الغفران والعفو والتوفيق والرضوان
والأمن يوم الروع والقبول والفوز بالمحبوب والوصول)

لما ذكر الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به أن جأه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من توسل به حقيق بنيل أقصى مسؤوله بين مطالبه هو وهي شريفة فقال: ومطلبي إلخ... والخطاب لله تعالى وبابه نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتقدم وأنت باب الله إلخ.. ودعاؤه مرجو الإجابة ففيه وصفه لنفسه بغاية الاضطرار والالتجاء والاحتماء وقرع الباب ومدح المسؤول به، صلى الله تعالى عليه وسلم، ووصفه بأنه أرأف بالامة من أنفسهم والاعتراف بالذنب على وجه الانكسار وقد قيل من فتح له في الدعاء فتح له في الإجابة. أما الغفران فهو ستر الذنب. وقد ورد أن من العباد من ينسي الله حفظته ذنوبه والعفو عدم المؤاخذه بالذنب والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وضده الخذلان أعاذنا الله تعالى منه. والرضوان هنا إنعام خاص وقد اختلف فيه هل هو صفة ذات فيكون معناه إرادة الانعام الخاص أو صفة فعل فيكون معناه ما قدمته لكن السؤال إنما يتعلق بالفعل لحدوثه لا بالإرادة لقدمها كما صرحوا به وهو ظاهر. ومن مسؤوله أيضا الأمن من المخاوف يوم القيامة وهو مراده بيوم الروع والروع الفزع وقبول أعماله، والفوز أي الظفر بكل محبوب له فهو عطف عام على خاص، وأما قوله والوصول فيحتمل أن معناه الوصول إلى ما يحب فيكون من عطف المرادف ويحتمل أن يريد به الوصول الذي هو من اصطلاح السادة الصوفية. نسأل الله تعالى النصيب الأوفر من طريقتهم بلا محنة وقد قالوا لا مسافة تقطعها فتصل منها إلى الله تعالى، إنما الوصول زوال حجابك حتى تعلم أنك

من الله تعالى بحيث يراك وهو أقرب إليك من حبل الوريد فيكون ذلك منتجا لمراقبتك له بحالك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو مقام الإحسان.

تنبيه:

ذكر في المواهب عن ابن عبد السلام أن من خصائصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه يجوز أن يقسم به على الله تعالى دون غيره من الأنبياء والملائكة والأولياء. قال الزرقاني وأما الاستشفاع بهم فمستحب كما استشفع عمر بالعباس، فقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، رواه البخاري. وكذا يستشفع بما فعله من خير يذكره في نفسه فيجعله شافعا لأن ذلك لا تُق بالشدائد كما في خبر الثلاثة الذين آووا في الغار قال وتعقب ما لابن عبد السلام بأنه لا اتجاه لما ذكره لأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال بل في بعض الأخبار التصريح بخلافه وذكر التستري عن معروف الكرخي أنه قال لتلامذته إذا كان لكم إلى الله تعالى حاجة فاقسموا عليه بي، فإنني الواسطة بينكم وبينه الآن بحكم الوراثة عن المصطفى، انتهى كلامه.

(فيا هناء من قبلتموه ويا عناء من رددتموه)

الخطاب في الموضعين لله تعالى والهناء بالفتح والمد السرور والفرح، والعناء بالفتح والمد التعب وهذا تعجب، أي فما أشد سرور من قبلتموه وما أشد تعب من رددتموه والعياذ بالله تعالى، وضمير الجمع هنا للتعظيم.

(حاشى أولى الرحمة والإحسان من أن يردوا راجي الغفران)

قال الأشموني الصحيح أنها يعني حاشى التنزيهية اسم مرادف

للتنزيه منصوب انتصاب المصدر بدلا من اللفظ بالفعل سبحانه الله وقراءة حاشا بالتنوين أي تنزيها لله تعالى، انتهى المراد منه. ومعنى البيت أنزه أولي الرحمة والإحسان أي الإنعام تنزيها أن يردوا عبدا يرجو غفران الذنوب وهذا تذلل واستعطاف لله تعالى أن يجيب دعاءه، ثم ذكر ما يدل على التوكل وتفويض الأمر إلى الله تعالى فقال:

(فليس للعبد سوى مولاه أدناه فضلا منه أو أقصاه)

أي فليس للعبد ملجأ سوى ماله تبارك وتعالى سواء أدناه أي قرببه بالإنعام عليه فضلا منه أي بمحض فضله أو أقصاه أي أبعداه عدلا منه فعذبه لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه فإن أنعم ففضل وإن عذب فعذل، لأن من تصرف في ملكه بما أراد فقد عدل. فحذف الناظم عدلا بعد قوله أو أقصاه اكتفاء بقوله فضلا (فما لنا) معشر العباد (في الحاليتين) أي حالتي الإدناء والاقصاء نعوذ بالله تعالى من الخذلان (مذهب) أي مكان نذهب فيه (عن باب مولانا) أي ما لكنا عز وجل (إلى من نذهب) أي لا أحد نذهب إليه، إذ هو المتصرف في جميع المخلوقات بلا واسطة ولا شريك له ولا معين نسأله سبحانه التوفيقا... وكونه غدا بنا رقيقا... والدفع للضرأ والبلاء... والسبق في ميدان الأصفياء... فهو على ما شاءه قدير وبسماع من دعا جدير أي إجابته آمين يا رب العالمين.

(يا رب من للهالك الغريق ليس له سواك من رفيق)

الرفق اللطف، وفي هذا البيت إظهار الفاقة والاضطرار إلى الله تعالى إذ جعل نفسه بمنزلة الغريق في البحر فلا يرى حولا ولا قوة ولا شيئا ينفعه إلا إعانة مولاه ولطفه. (يا رب أنقذه) الضمير منصوب للهالك الذي عبر به الناظم عن نفسه ومعنى أنقذه أعذه وأجره (من الحريق) أي الإحراق أو فعيل بمعنى مفعول فهو بمعنى محرق وهو النار وبالأول فسر

المحلي والضياء وذوقوا عذاب الحريق، وفسره البيضاوي بالثاني، نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان. (بالمصطفى الهادي إلي الطريق) أي المستقيم أي بجاه المصطفى الهادي، والمصطفى والهادي من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمصطفى المختار من جميع الخلق والمصطفى من الكدر والهادي المرشد والداعي.

(يا رب من للمقعد الكسير المفرط المفرط الأسير)

المقعد بضم الميم وسكون القاف وفتح المهملة العاجز عن القيام والكسير فعيل بمعنى مفعول والمفرط بسكون الفاء وكسر الراء مخففة المكثّر من المعاصي والمفرط بفتح الفاء وكسر الراء المهملة المقصر في فعل الطاعات والأسير من أسرته ذنوبه وهذا تواضع منه رحمه الله تعالى واستدعاء لقبول التوبة. وفي الحديث: إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعامله من الأرض حتى يلقي الله تعالى وليس عليه شاهد من الله بذنبه، وفيه التائب من الذنب كمن لا ذنب له وفيه ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يسغفر منه قاله المنذري في الترغيب. وفي الحديث والذي نفسي بيده لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، رواه مسلم وغيره. اللهم أغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

(بالمجتبى جرنى وكن مجيرى بوجهه من لفحة السعير)

المجتبى من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعناه المختار واجرنى بإسقاط همزة القطع كقوله:

إذا بكيت قبلتني أربعاً فأربعاً ثم أربعاً ثم أربعاً

أي أعذني واللفحة الاحراق، والسعير تطلق على النار وعلى الخامس من أبوابه، أعاذنا الله تعالى من جميعها بجاه سيد الأولين والآخرين عليه

أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين.

(يا رب عبد جاء مستجيـرا مستشفعا بمن أتى بشيرا)

عبد مضاف إليه ما قبله ويعني به نفسه ومستجيـرا حال أي طالبا أن يجار ومستشفعا أي متوسلا ومتوجها والمجرور يتنازعه الحالان قبله وبشيرا حال من فاعل أتى أي مبشرا لمن أطاعه بالجنة وهي من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(له وللإخوان ولأهلينا طرا) (..)

قوله له يتنازعه مستجيـرا ومستشفعا وطرا حال ومعناه جميعا وأبدل من قوله بمن قوله (بطه المصطفى ياسينا) أما طه فعده خلأق من أسمائه عليه السلام وقيل إنه هو المراد بقوله تعالى طه فقيل أراد يا طاهر من العيوب ويا هادي إلى كل خير وأما المصطفى فمعناه المختار وقد تقدم، وأما يس فذكره جماعة في أسمائه عليه السلام وجاء في بعض التفاسير يس : يا سيد، حكاه السلمي وغيره انظر المناوي، وفي المواهب وأما طه فروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لي في القرآن سبعة أسماء فذكر منها طه، وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان، وقيل يا طاهر يا هادي وقيل معناه يا عظيم الشفاعة للأمة انتهى المراد منها. وقوله قيل معناه يا رجل أي رجل، وحرف النداء مقدر معه وهذا بالنبطية وهي لغة سواد العراق أو عك أو عكل وقوله يا طاهر أي من كل ذنب وعيب، ويا هادي إلى كل خير وقوله يا مطعم بضم الميم وسكون الطاء اسم فاعل من أطمع قتاله الزرقاني. والمعتمد أن طه من أسماء الحروف التي رجح جماعة أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه. وأما يس فقيل معناه يا إنسان بلغة طيء قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقيل بالحبشية قاله مقاتل وقيل بالسريانية حكاه الكلبي وعن ابن الحنفية معناه يا محمد، وعن أبي العالية يا رجل وعن أبي بكر الوراق معناه يا

سيد البشر، وعن جعفر الصادق يا سيد انظر المواهب.

(بالعبد عبد الله بالمزمل أجب دعاء مستغِيث وجل)

المجرور متعلق بقوله أجب، وعبد الله معطوف بحذف العاطف والمستغِيث طالب الإغاثة والوجل بكسر الجيم الخائف ويعني به نفسه والعبد وعبد الله والمزمل من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فاسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، العبد، ذكره في المواهب، قال الزرقاني مأخوذ من نحو {سبحان الذي أسرى بعبده} سمي به لأنه الكامل في العبودية، انتهى. وأما عبد الله فقال في المواهب سماه الله تعالى به في أشرف مقاماته، انتهى. قال تعالى {وإنه لما قام عبد الله وقال وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا} وقال: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} الانس والجن اتفاقاً والملائكة على الصحيح، وقال {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب}، وقال: {فأوحى إلى عبده ما أوحى} ولو كان له اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية. ولما رفعه الله تعالى إلي حضرته السنية ورقاه إلى أعلى المعالي العلوية ألزمه تشريفاً له اسم العبودية ولما خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً اختار أن يكون نبياً عبداً وكان يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله. وتطروني بضم أوله أي لا تتجاوزوا الحد في مدحي بأن تقولوا ما لا يليق بي. وليس للعبد إلا اسم العبد ولذا كان عبد الله أحب الأسماء إليه، انتهى.

قال الزرقاني فالنهي إنما هو عن ذلك وإلا فمدحه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مطلوب من كل أحد وقد سمعه وأجاز عليه مع أن أحداً لا يبلغه، وروى مسلم أنه عليه السلام قال أحب الأسماء إلي الله عبد الله وعبد الرحمن وللطبراني وغيره إذا سميتم فعبدوا وللطبراني بسند ضعيف مرفوعاً أحب الأسماء إلي الله ما تعبد له، انتهى. ومن أسمائه، صلى

الله تعالى عليه وسلم، عبد الكريم وعبد الجبار، وعبد الحميد وعبد المجيد، وعبد الوهاب، وعبد القهار، وعبد الرحيم وعبد الخالق، وعبد القادر، وعبد المهيمن، وعبد القدوس، وعبد الغياث، وعبد الرزاق، وعبد السلام، وعبد المومن، وعبد الغفار انظر المواهب وغيرها.

وأما اسمه المزمّل، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً، فأصله المزمّل فأدغمت التاء في الزاي وسمي به لما روي أنه عليه السلام كان يفرق بفتح الراء أي يخاف من جبريل أول ما جاءه ويتزمّل بالثياب وقيل سمي به لأنه أتاه وهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، متزمّل في قطيفة وقال السدي معناه يا أيها النائم، وكان متلففاً في ثياب نومه. وعن ابن عباس يعني المزمّل بالقرآن وعن عكرمة بالنبوءة وقيل من الزمّل بمعنى الحمل أي المتحمل بأعباء النبوءة وقال السهيلي ليس المزمّل باسم من أسمائه يعرف به، وإنما هو مشتق من حالته التي كان متلبساً بها، حالة الخطاب والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها حال النداء كقوله عليه السلام لعلي وقد نام ولصق جنبه بالتراب قم أبا تراب، قال سهل بن سعد وما كان لعلي اسم أحب إليه منه.

(بالحاشر العاقب بالمدثر يا رب علّني بحوض الكوثر)

الإضافة بيانية أي الحوض الذي هو الكوثر وقد قيل إن الكوثر هو الحوض وقيل نهر في الجنة يشخب منه ميزابان في الحوض وقيل الخير الكثير وقيل غير ذلك وفي القاموس العل والعلل محركة الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعاً، علّ يعله ويعله علا وعلا وأعله، انتهى ولم يذكر علّله بهذا المعنى بل قال بعد هذا وعلّله بطعام وغيره تعليلاً، شغله به، فيصح أن معناه يا رب فاشغلني بشرب الحوض، أو يكون قاس التضعيف والله أعلم. وهذه الثلاثة من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم. أما اسمه عليه السلام العاقب، ففسر بأنه آخر

الأنبياء. قال أبو عبيدة كل شيء خلق بعد شيء فهو عاقب، ولذا قيل لولد الرجل عقبه، وكذا آخر كل شيء. وروى ابن وهب عن مالك قال معنى العاقب ختم الله تعالى به الأنبياء وختم بمسجده هذا المساجد، يعني مساجد الأنبياء. وقد زاد يونس عن الزهري عند مسلم الذي ليس بعده نبي، انتهى من الزرقاني على الموطأ. وقوله زاد يونس أي بعد قوله عليه السلام وأنا العاقب. وأما اسمه الحاشر ففي الموطأ وغيره وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي بكسر الميم وخفة الياء والافراد وبشد الياء مع فتح الميم مثني روايتان واختلف في معناه فقل على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي وقل معناه علي أثري أي انه يقدمهم وهم خلفه لأنه أول من تنشق عنه الأرض وقل معناه علي أثري بمعنى ان الساعة على اثره أي قريبة منه كما قال بعثت أنا والساعة كهاتين. وفي فتح الباري اي على أثري أي انه يحشر قبل الناس وهو موافق لرواية يحشر الناس على عقبي بالافراد ولبعضهم بالتثنية ويحتمل أن يريد على زماني إشارة إلى أنه ليس بعده نبي واستشكل بأنه يقتضي أنه محشور فكيف يفسر به حاشر وأجيب بأن اسناد الفعل الى الفاعل إضافة وهي تقع بأدنى ملابس فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده نسب الحشر إليه لأنه يقع عقبه انظر الزرقاني على المواهب، وأما المدثر فأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال والمدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو ما يلي الجسد ومنه الحديث: الانصار شعاري والناس دثاري، ذكره المناوي. وفي الصحيح أنه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئاً فنظرت فوقي فإذا الملك الذي جاءني بحراء على عرش بين السماء والأرض فرعبت منه ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني، فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر، والمعنى يا أيها المدثر بثيابه على ما عليه الجمهور. وعن عكرمة يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها.

(بصاحب القضيبي والنجيب أدعوك يا رب فكُن مجيب)

أي أدعوك يا رب بصاحب القضيبي والنجيب فأجب دعائي وهذا ان اسمان من أسمائه عليه السلام. أما صاحب القضيبي فمعناه صاحب السيف، كما وقع مفسرا به في الانجيل، ففيه معه قضيبي من حديد يقاتل به وأمته كذلك، وهذا كناية عن شجاعته وكثرة جهاده، وفتوحاته هو وأمته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد يحمل على أنه قضيبيه المشوق الذي كان يمسكه وكان يستلم به الركن ويكون هذا عبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم لأن عادة عظمائهم وخطبائهم اتخاذ العصي ومعنى المشوق الطويل الرقيق من المشق وهو جذب الشيء ليطول قاله الزرقاني، وقد مر قول العراقي:

وقيل ذا قضيبيه المشوق كان بأيد الخلفا يشوق

وأما قوله والنجيب فظاهره ان من أسمائه عليه السلام صاحب النجيب، والذي في دلائل الخيرات راكب النجيب، وهو الذي في الشفا، وفسره شارحه ابن سلطان بناقته التي كان يركب في حجة الوداع وغيرها. قال فهو تفسير للناقة في قوله راكب الناقة، قال والنجيب يطلق عرفا على الخفيف السريع من الإبل، انتهى كلامه.

(بصاحب المعراج والبراق قني فأنت الله خير واق)

قوله قني أمر من وقاه إذا صانه وحفظه وحذف متعلقه ليعم الوقاية من كل مرهوب في الدارين أي احفظني يا الله من كل ما يخاف في الدارين بجاه صاحب المعراج وهو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمراد بالمعراج هنا القصة التي اختص هو، صلى الله تعالى عليه وسلم، بها في تلك الليلة، ويطلق المعراج على آلة العروج أي السلم الذي هو مرقاة له درجة من ذهب ودرجة من فضة والله أعلم.

وقوله والبراق الذي في دلائل الخيرات والشفا أن اسمه راكب البراق، والبراق تقدم وصفه في محله.

(بصاحب المقام واللواء عني أمط يا رب كل داء)

ماطه، يميطة ميطا نجاه وأبعده كأماطه، ومعنى البيت نح وأبعد عني يا رب كل داء بجاه نبيك صاحب المقام المحمود، أي الذي يحمده فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة العظمي. فقوله المقام على حذف الصفة كما قررت وقوله واللواء أي صاحب اللواء، وهو من أسمائه عليه السلام أيضا، والمراد به لواء الحمد. قال الزرقاني والصحيح أنه حقيقي. والله تعالى أعلم بكيفيته، انتهى المراد منه.

(بالهاشمي المصطفى محمد يا رب وفقني وقوم أود)

الأود محركة مصدر أود كفرح بمعنى اعوج والهاشمي من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، نسبة إلى جده هاشم كما في المواهب والتوفيق، خلق القدرة على الطاعة، توسل الناظم رحمه الله تعالى إلى ربه أن يوفقه لطاعته ويقوم عوجه بجاهه عليه السلام.

(بأحمد المختار خير مرسل يا رب فاغفر لي وأصلح عملي)

المختار من أسمائه عليه الصلاة والسلام ومعناه المفضل على جميع الخلائق إنسا وجنا وملكا إجماعا، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما، وإصلاح العمل إخلاصه لله تعالى وأراد بالعمل ما يشمل القول والنية.

(وبنبي الرحمة المقف يا رب وفقني عسى أوف)

معنى أوفي أتمم ما أمرتني به، قال تعالى: {وإبراهيم الذي وفي} أي تم ما أمر به، ونبي الرحمة من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا نبي الرحمة. وفي الحديث إنما أنا رحمة مهداة. أي ذو رحمة أو بالغ فكأنه عينها ومهداة بضم الميم وللطبراني بعثت رحمة مهداة، ابن دحية معناه أن الله بعثني رحمة للعباد، لا يريد لها عوضا، انتهى.

وفي المواهب وشرحها بعثه الله رحمة لأمته ورحمة للعالمين فرحم الله به الخلق مومنينهم بالهداية وكافرهم بالأمن من الخسف والمسح وعذاب الاستئصال والمنافقين بالأمن من القتل وتأخير عذابهم وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له تعظيماً له إذ كان في صلبه، وقبول توبته إذ توسل به وحظ نوح خروجه من السفينة سالماً إذ كان في صلب ابنه سام، وحظ إبراهيم أن كانت النار عليه برداً وسلاماً إذ كان في صلبه كما أفاده العباس بقوله:

وردت نار الخليل مكتتماً في صلبه أنت كيف يحترق
فرحمته عليه السلام لا تخص وجوده بل عمت من قبله ومن رحمته ما ألقى الله له من دعوة الشفاعة التي ادخرها لأمته وجعل أمته أمة مرحومة وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء، وقال الراحمون يرحمهم الله. وأما المقفي فقال الزرقاني هو بضم الميم وفتح القاف وكسر الفاء المشددة ورد في حديث عند أحمد وغيره برجال ثقة، انتهى. وذكره في الشفا. قال ابن سلطان بكسر الفاء المشددة أي الذاهب المولي فمعناه آخر الأنبياء والمتبع لهم كالمقفي فكل شيء يتبع شيئاً فقد قفاه انتهى. وقال المناوي بكسر الفاء المشددة بصيغة اسم الفاعل أي التابع للأنبياء وقافية كل شيء آخره وكل من تبع شيئاً فقد قفاه قال تعالى: {ثم قفينا على أثيرهم برسلاً} والمفعول أي جعله الأنبياء عقبهم وسبقوه بالزمان، انتهى. فقد زاد على الأولين أن فيه صيغة المفعول والله تعالى أعلم. ومعنى البيت أن الناظم توسل إلي الله تعالى باثنين من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهما نبي الرحمة والمقفي بكسر الفاء أن يخلق له القدرة على الطاعة رجاء أن يوفي أي يتمم ما أمره الله تعالى به. وقال ابن سلطان بعد قول الشفا في موضع قبل ما نقلت عنه أنفاً في تفسير وأنا المقفي قفيت النبيين ما نصه أي جئت بعدهم واتبعته هديهم أو أريد به المولي الذاهب والمعنى أنه أراد آخر النبيين فإذا ذهب فلا نبي بعده. وأما قول الدلجي

قال الله تعالى: {ثم قفينا على آثيهم برسلنا} فيوهم أن الوصف بصيغة اسم المفعول وليس كذلك، انتهى بحروفه. وكذا القسطلاني اقتصر على ضبطه بصيغة اسم الفاعل وقال أي قفى من قبله من الرسل فكان خلفهم وهي لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه قفوا إذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس لمؤخره وقافية البيت، انتهى.

قال الزرقاني عقبه ان ابن الأعرابي قال إن معناه المتبع للرسل لأن معنى قفى: تبع، انتهى.

قال جامعهم فعلم من هذا أنه بالكسر لا غير ذلك إذ لم يذكر الفتح فيه ممن تقدم إلا المناوي بعد أن صدر بالكسر وقد مر نفي ابن سلطان للفتح، وتعقبه له والله تعالى أعلم.

(وبنبي التوبة الماحي امح من قلبي سوى حبك حتى يطمئن)

معنى البيت أنه يتوسل باسمين من أسمائه عليه السلام وهما نبي التوبة والماحي أن يمحو الله تعالى من قلبه كل شيء سوى حبه لله تعالى حتى يطمئن قلبه أي يثبت ويرسخ فلا يلتفت إلى غيره. والمحبة الميل إلي ما يوافق المحبوب. قال بعضهم وطمأنينة القلب ثبوته على الإيمان ورسوخه حتى لا يتزلزل، أما اسمه عليه السلام نبي التوبة فإن الأمم رجعت لهدايته عليه السلام بعدما تفرقت بها طرق الضلال إلي الصراط المستقيم، قاله في المواهب وقال الزرقاني والتوبة الرجوع ولكونه سببا في توبتهم أضيف إليها وقيل لاخباره عن الله تعالى بقبولها أو لأنه كثير التوبة قال إمام الحرمين إذا أضيفت إلي العباد أريد بها الرجوع عن الزلات إلي الندم عليها وإذا أضيفت إلي الرب أريد بها رجوع نعمه وآلائه، انتهى.

وقال ابن سلطان في شرح قول الشفا وبنبي التوبة أي من حيث أنه يتوب على يده جمع كثير أو لأن توبة أمته حاصلة بمجرد الندامة بخلاف توبة الأمم السالفة فإنها كانت بارتكاب الأمور الشاقة أو لأنه

كثير التوبة لحديث البخاري: إني استغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة أو لأن باب التوبة يغلق في آخر هذه الملة، انتهى.

وأما اسمه الماحي ففي الموطأ والصحيحين وغيرهم لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، قوله يمحو الله بي الكفر أي العام أو غلبته علي دين الإسلام، ابن التلمساني معناه يذهب أصله والشرع به حتي يكون معتقدا ومذهبا قاله ابن سلطان، وفي المواهب في تفسيره فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار ما بين عباد أوثان ويهود ونصارى وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معادا أو من عباد الكواكب والنار وفلاسفة لا يعرفون شرئع الأنبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى أظهر دينه علي كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار، انتهى، وبعضه بالمعنى.

قوله وأهل الأرض كلهم كفار لا يرد عليه إلياس والخضر لأنهما لما لم يخالطا أهل الأرض لم يعدا من أهلها ولا المتمسكون بما لم يبدل من الشرائع لقلبتهم جدا فكأنهم لا وجود لهم. وقوله وصابئة قال في الكشف قوم خرجوا من اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة وقال غيره طائفة تميل إلي النصارى واعتقدوا تأثير الأفلاك وقدم العالم وألوهية الشمس وأنكروا الرسالة في البشر والدهرية بفتح الدال انظر الزرقاني.

(بكل ما له من الأسماء أدعوك يا معلم الأسماء)

لما توسل الناظم رحمه الله تعالى بما ذكر من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، على الخصوص توسل بجميع ما له من الأسماء في علم الله تعالى وذلك مظنة الإجابة. وقوله يا معلم الأسماء هو الله تعالى ويحتمل أن يريد تعليمه تعالى أسماء المسميات لمن عرفها له من خلقه على العموم إذ لم يعلم مخلوق شيئا ولا يعلمه إلا بتعليم الله له، ذلك [والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا] ويحتمل أن معناه يا

معلم أسماء كل شيء، لآدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كما قال:
{وعلم آدم الأسماء كلها}.

قال الثعالبي وعلم، معناه وعرف وتعليم آدم هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول، أما بواسطة ملك أو بتكليم قبل هبوطه إلي الأرض فلا يشارك موسى عليه السلام في خاصيته، انتهى.
وقوله الأسماء أي جميع أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء كالفرس والشجرة وغير ذلك قال ابن جزى. وقال البغوي علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة، انتهى. وقال في الذهب الأسماء كلها حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية، والمعرفة بأن ألقى في قلبه معرفتها فلما تفرق أولاده تكلم قوم بلسان أحبوه وتناسوا غيره، انتهى، نقله الوالد حفظه الله تعالى في الريان.

(فلا تخيب سيدي رجاء فيك وظني فاستجب دعاء)

خاب، يخيب خيبة حرم ولم ينل ما طلب وخيبه الله والرجاء قال الشاذلي في شرح خطبة الرسالة تعلق القلب بمطموع يحصل في المستقبل مع الأخذ في عمل محصل له وإن تجرد عن العمل فهو طمع وهو قبيح والرجاء حسن، انتهى.

وقوله بمطموع أي دنيوي أو أخروي ولا يخفى أن اتصافه بكونه مطموعاً إنما هو بعد التعلق ففي العبارة مجاز وقوله وهو قبيح أي شرعاً إن كان المطموع مأموراً أو عرفاً إن كان دنيوياً انظر العدوي. وقوله إن كان المطموع مأموراً أي إن كان سببه مأموراً كالجنة مثلاً، فسببها وهو العبادة مأمور به، وقوله وظني أي حسن ظني فيك وهو أن تنيلني ما سألتك.

(يا رحمة للعالمين إنني بك استعنت للذي أهمني)

قوله يا رحمة بالنصب لأنه شبيه بالمضاف واستغاث به، طلب بجاهه، أن يغاث وأهمني معناه أحزنني، وقوله رحمة للعالمين من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ذكره غير واحد وقال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} قال الزرقاني في شرح المواهب فهو رحمة لجميع الخلق المؤمن بالهداية والمنافق بالأمن من القتل والكافر بتأخير العذاب عنه، انتهى. ونحوه للمناوي وزاد لجميع الحيوانات لأن بوجهه يستسقى الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت النبات ويكون لها سقيا ورعيا، وروي أن المصطفى قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال نعم. كنت خائفا فأمنت.

(ويا رؤوفا ورحيما أنت من نفسي أولى بي فخذها وارتهن)

هذان اسمان من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعنى البيت يا رسول الله أنت أولى بي من نفسي أي أحق بي منها فخذها وارتهن أي خذها رهنا عندك يقال ارتهن إذا أخذ رهنا، وقوله أنت أولى بي من نفسي قال الله تعالى: {النبيء أولى بالمؤمنين من أنفسهم}. ومعنى الرؤوف شديد الرحمة وبليغها والرحمة رقة القلب وهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، أرحم الخلق، وأعطفهم وأشفقهم وأرقهم قلبا قال تعالى: {بالمؤمنين رؤوف رحيم}. قال أبو عبيدة الرأفة أرق من الرحمة إذ هي رقة القلب والرأفة أشد الرحمة وأبلغها انتهى. وقيل معنى الآية رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين يستغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم إلا في الحدود، ومع إقامتها عليهم يمنع من آذاهم ثم هو في قبره عليه الصلاة والسلام تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ثم هو يوم القيامة همه أمته فيشفع لهم حتى لا يبقى منهم أحد في النار وهذان الإسمان مما سماه الله تعالى به من أسمائه الحسنی لكنها بهذا المعنى من المحال عليه فتؤول باللازم وهو إرادة الخير لأهله واعطاء ما لا

يستحقه العبد من الثواب ودفع ما يستوجبه من العقاب، قاله الزرقاني
والرؤوف يستعمل بحذف الواو، قال جرير:
كفعل الوالد الرؤوف الرحيم
وللعراقي:

وهو المسمى بنبي الرحمة في مسلم وبنبي التوبة وفيه أيضا بنبي
الملحمة وفي رواية نبي المرحمة والمتوكل النبي الأمي والرؤف الراحم
أي رُحِمَ انتهى المراد منه.

(ولست أبتغى فكاك الرهن يا حبذا ان صح حوز العين)
ابتغاه طلبه، وفك الرهن فكا وفكوكا خلصه كافتكه، والاسير فكا وفكاكا
وقد يكسر خلصه وفكاك الرهن ويكسر ما يفتك به، قاله في القاموس
ويا الداخلة على حبذا للتنبيه لا للنداء.
قال الدماميني قال المصنف لأن قائل أحد الثلاثة قد يكون وحده كقول
مريم يا ليتني مت قبل هذا، انتهى.
ويعني بالثلاثة ليت ورب وحبذا، ومقتضى القاموس أن قول الناظم
فكاك اسم عين لا مصدر ومعنى البيت أن الناظم لما سأل من المصطفى،
صلى الله تعالى عليه وسلم، أن يأخذ نفسه تكون عنده رهنا أخبر أنه لا
يحب أن يجد ما يخلص به نفسه من الرهنية بل يحب أن يحوز مع
نفسه ذاته عنده عليه السلام إن كان يصح حوز العين أي الذات ونبه
أصحابه على أن ذلك محبوب عنده، انتهى.

(يا ليت حر الوجه مني كانا لوطاً نعل المصطفى مكانا)
ثم استشعر أنه لا يملك نفسه مع الله تعالى حتى يرهنها فأخبر أنه قد
أساء الأدب حيث رهن ما لا يملك فقال:

(هذا وقد أسأت في ارتهان ما ليس لي يا مالك الأعيان)

رهن الشيء كمنع وأرهنه جعله رهنا وارتهن منه أخذه قاله في القاموس. والناظم استعمل مصدر ارتهن بمعنى وضع الرهن كما هو ظاهر، وهذا خبر مبتدأ محذوف أي الأمر هذا، ثم قال: وقد أسأت أي فعلت سيئاً في جعلي ما لست أملكه -وهو نفسه- رهنا وخاطب المولى تبارك وتعالى فقال: يا مالك الأعيان: الذوات كلها، قال استغراقية وهو ما لك الأعيان والأعراض والمتعالي في أفعاله وأحكامه عن أن يتصف بالأعراض.

(قامن على عبد العزيز الجان بالعفو والرحمة والغفران)

من عليه منا أنعم والجاني المذنب لأنه جنى على نفسه وهذا هضم منه لنفسه وتواضع. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، أي أقر واعترف فأغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت والعفو عدم المؤاخظة بالذنب وكذا الغفران والرحمة النعمة أي أنعم يا الله على المؤلف الذي هو عبد العزيز اللمطي بغفران الذنوب ودخول الجنة، أمين يا رب العالمين واغفر لنا وله ولجميع المسلمين.

(وصل يا رب على المختار) أي المفضل علي جميع الحوادث بلا خلاف، (وآله وصحبه الأبرار) جمع بر وهو المطيع والكريم، أي وصل علي آله أي أقاربه المؤمنين وهم بنو هاشم أجمعاً وقال الشافعي وبنو المطلب بن عبد مناف، وقال أصبغ هم كل من خرج من لؤي وقيل هم أتباعه وأصحابه، كل من آمن به واجتمع معه ومات على دينه.

فائدة:

اختلف في عدة الصحابة الذين توفي صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم فقيل مائة ألف وعشرون ألفاً وقيل مائة ألف وأربعة عشر ألفاً وقيل كانوا ثمانين ألفاً، قال المناوي والتحديد بعيد بل هو كالمعتذر مع تفرق

الصحب في الأقطار والبوادي والبراري والقرى والأمصار، انتهى المراد منه.

(قد تم نظم قرّة الأبصار بحول رب ماجد غفار)

الحول الإعانة والماجد والمجيد الرفيع العالي والكريم والغفار كثير المغفرة للذنوب. (في غرة الشهر) أي أوله والمجرور يتعلق بتم (الأغر) وصفه بذلك لإشراقه بظهور ذاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (مولد اسمى السورى) أي أعلاهم مقاما، نبينا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما، (بطيبة) متعلق أيضا بتم وطيبة من أسماء المدينة المنورة (الغراء) أي الحسناء المنيرة ووصفها بذلك لإشراقها بنور المصطفى، صلى الله تعالى عليه وسلم، (دار المصطفى، صلى عليه ربنا وشرفا وإله وصحبه ومن تلا) أي تبع (منهاجهم) أي طريقتهم (من الأنام) كسحاب وساباط وأمير الخلق (مسجلا) أي مطلقا.

يقول جامع العبد الفقير إلى رحمة ربه اللطيف القدير المالكى الأشعري عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي أعلى الله تعالى في الدارين رتبتهم بجاه ذي المقام السمي النبي العربي القرشي الزمزمي، نبينا وحبیبنا ومولانا وقرّة أعینا ومقتفانا صلى الله تعالى عليه وسلم أتم صلاة وأزكى سلام ما أنیل من توسل بجاهه أقصى المرام ونتوسل إلى الله به أن يرزقنا نحن وأحبتنا حسن الختام وال طول عقب الموت في دار السلام قد انتهى ما أردت جمعه من شرح قرّة الأبصار المسمى بنزهة الأفكار على حسب ما أردنا من البيان الذي قصدناه ولم أل جهدا في تهذيبه وتنقيحه وتبيينه لكلام المؤلف وتوضيحه لكن من هو مثلي من أبناء الزمان عرضة للخطأ والنسيان مع أنني لم أجد لها شرحا يحل مشكلا ويفصل مجملا أو يحل مقفلا، جعله الله تعالى بمنه

من الأعمال الناجحة في الآخرة والحمد لله أولاً وآخراً، الحمد لله على ما أسبغ علينا من نعمه وأولاه وأتحفنا به من آلائه وأسداه، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، يا الله يا أرحم الراحمين ويا عفو عن المذنبين ويا مالك الخلائق أجمعين أغفر لنا ولوالدينا ولأشياخنا ولذريتنا وأحببتنا ولجميع المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الخميس الموافق عشرين من شوال عام إحدى وثلاث مائة بعد الألف، عرفنا الله تعالى خيره ووقانا شره وضيئه آمين، آمين، آمين.
رب وفقني فلا أعدل عن سنن الساعين في خير سنن

انتهى.

فهرست الجزء الثاني من شرح الإمام الجليل المجدد
عبد القادر بن محمد بن محمد سالم على نظم الشيخ عبد العزيز اللمطي
«قرة الأبصار في سيرة النبي المختار»

الصفحة	الموضوع
١	سرية عبد الله بن عتيك
٣	سرية عبد الله بن رواحة
٤	قصة عكل وعرينة
٧	بعث عمرو بن أمية
١٠	سرية غالب بن عبد الله
١٤	قدوم خالد بن الوليد سيف الله الذي سله على الكفار
١٧	سرية عمرو بن العاصي
٢٠	وأبتاع قيس بن سعد الجواد بن الجواد جزرا
٢٥	ثم بعث خالد سيف الله
٣١	ثم بعث قيس بن سعد بن عبادة
٣٤	ثم سرية عبد الله بن عوسجة
٣٦	ثم سرية علي بن أبي طالب
٣٧	شكرتك يد افتقرت بعد غنى
٤١	والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا
٤٣	ثم سرية أسامة بن زيد
٤٥	(وقيل في النضير مع واد القرى قاتل)
٤٩	جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت
٥٠	وأما غزوة الغابة
٥٤	(وحج حجتين ثم الفرض)
٥٨	بيان أزواج النبي المصطفى

الموضوع	الصفحة
وإن أول امرأة تزوج بها منهن خديجة	٦٢
أعطيت تسع خلال ما أعطيتهن امرأة	٦٨
وهاجرا في الدين هجرتين	٧٥
ومن مناقبها أنه شهد بدرا سبعة من أهلها	٧٩
أن أبا سلمة هو أول من هاجر إلى المدينة	٩٠
الوصيلة الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن	٩٣
الحمد لله الملك القدوس السلام	٩٨
(بيان اولاد النبي أحمدا)	١١٠
ودعا النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة	١١٤
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك	١٢٦
(ثم تزوج ابن عفان الرضى رقية)	١٢٧
والجمهور على أن مريم لم تكن نبية	١٣١
إن الله امرني أن أزوج فاطمة من علي	١٣٥
أما حسن فإن له هيبتي وسوددي وأما حسين فإن له جوددي وجرأتي	١٤٠
فلما ولى الفاطميون مصر قصرُوا الشرف علي ذرية الحسن والحسين	١٤١
(بيان اعمام النبي المصطفى)	١٤٦
حمزة أسد الله وأسود رسوله	١٤٩
وكان عمر يستسقي بالعباس عام الرمادة	١٥٣
(عماته صفية المبره)	١٥٧
(أخواله الأسود مع عمير)	١٦٠
(بيان ما له من الموالي)	١٦١
بكيت على زيد فلم أدر ما فعل أحي فيرجى	١٦٣
(أما سراريه سوى القبطيه فهي ثلاث	١٧٦
فغرس عليه السلام الكل بيده وقال أعينوا صاحبكم	١٧٩
فلقد دفنت من صلبى سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين	١٨٢
(بيان حراس النبي المصطفى)	١٨٨

الموضوع	الصفحة
وبدء من الانصار عدمها جراً	١٨٩
وقصة اليهودي الذي اظهر الإسلام والتنسك	١٩٢
(بيان رسل المصطفى لمن ملك)	١٩٥
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد	١٩٧
من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس	٢٠٢
إلى المقوقس بعد البسملة من محمد	٢٠٦
لطيفة وهي اسلام صحابي على يد تابعي	٢١٠
أما أن اليمامة سيظهر فيها كذاب	٢١٢
وهو أول من بنى مسجداً في ارض الكفر	٢١٥
من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب	٢١٩
(بيان من كان من الكتاب له)	٢٢٢
وقتله بعد أن أحرم في صلاة الصبح أبو لؤلؤة فيروز	٢٢٦
أحذر ليلا تهلك أن تعتقد أن أحداً من الصحابة	٢٢٧
أتى ابن ملجم الكوفة واختفى وتزوج قطام	٢٢٩
وأجيزت وصيته بعد الموت	٢٢٩
أمه سمية فكانت أول شهيد في الاسلام	٢٣١
وروى أنها القرية التي كانت حاضرة البحر	٢٣٨
(بيان من يقطع بالجنان لهم)	٢٤٢
تأتي الملائكة بأبي بكر مع النبيئين تزفه	٢٤٣
كان اسلام عمر عزا وهجرته نصراً وإمارته رحمة	٢٤٤
والله ليشفعن عثمان في سبعين ألفاً من أمته	٢٤٥
وهو أول من أذن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم	٢٤٨
جبريل أعان حسان بسبعين بيتاً	٢٥٤
(ذكر دوابه عليه أفضل صلاة ربي)	٢٥٥
أنها تأكل ولم تشرب بعد موته عليه السلام	٢٧٩
(بيان ما له من السلاح)	٢٧٩

٢٨. لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي
- ٢٨٢ من الاسياف السبعة التي اهدت بلقيس إلى سليمان
- ٢٨٦ درع داوود التي لبسها حين قتل جالوت
٢٩. (بيان ما له من الثياب)
- ٢٩١ تغسل للمرضى وتسقى لهم
- ٢٩٣ المباهات في الملابس والتزين بها
- ٢٩٦ تطلب الشفاء للملابس لعرقه وبدنه
- ٢٩٨ من جر شيئاً من ذلك خيلاء لم ينظر الله إليه
- ٣٠١ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك
- ٣٠٤ فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف
- ٣٠٥ كسرى وقيصر على الخز والديباج
- ٣١١ فطلبتة الناس يحملون عليه موتاهم
- ٣١٢ لأن صيانة العرض بترك سنة واجب
- ٣١٩ من امسك تمثالها متبركا به امن من بغى البغاة
- ٣٢١ واجعله في منى هذا الشرح رجاء لبركته
- ٣٢٥ النعل
- ٣٢٧ (بيان بعض معجزات المصطفى)
- ٣٣٤ فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين
- ٣٣٨ ولنذكر أولا حديث مسلم في الاسراء
- ٣٤٣ ها أنت وربك فهذا مقامي لا أتعداه
- ٣٤٤ من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين
- ٣٤٦ يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع
- ٣٤٩ اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه
- ٣٥٢ لم يكن الوجوب مبرما
- ٣٥٦ وذكره ابن الجوزي في الموضوعات فاخطا
- ٣٦٣ إن فيه لعنكوبتا أقدم من ميلاد محمد

٣٦٥	الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز
٣٦٦	والأصح أنها نعجة بيضاء
٣٧١	بشر المشائين في الظلم إلى المساجد
٣٧٤	(وأخبرت الشاة بعد الشئ بأنها سمت
٣٧٥	فقال له جزاء لي يا رسول الله
٣٧٧	وأما سجود الجمل له فعن أنس
٣٧٧	لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه
٣٨٣	لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما
٣٨٧	بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله
٣٩٠	اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد
٣٩١	ما أرسل الرحمن أو يرسل
٣٩٣	وكان عتية أطيّب منهن ريحا مع أنه لا يمس طيبا
٣٩٩	ودعا معاوية بالتمكين في البلاد فنال ذلك
٤٠٠	فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتية
٤٠٢	وهاتان العلامتان لم تكونا منذ خلقت الدنيا
٤٠٥	ومنها أن آدم وجميع المخلوقات خلقوا لأجله
٤٠٥	(ذكر وفاته صلاة ربه عليه)
٤١٠	اللهم في الرفيق الأعلى
٤١٢	من أصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره
٤١٥	ومنها مده يده لسيدي أحمد الرفاعي
٤١٨	من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات
٤٢١	(وجاء الخضر معزيا لهم)
٤٣٥	يا روضة طاب منها الرق والقلم
٤٣٨	(بيان ما له من الاسماء)
٤٤٠	من رآه بديهة هابه
٤٤٣	لولا هو عليه السلام ما خلق قمر ولا شمس ولا بر

الصفحة

الموضوع

٤٤٥	تقول فيه بلسان ناعت ابلج وجه
٤٥٣	أرى كل مدح في النبي مقصرا
٤٥٥	فيقول يا رب أمتي أمتي
٤٥٧	من العباد من ينسي الله حفظته ذنوبه
٤٥٨	وأنا توسلنا إليك بعم نبينا فاسقنا
٤٦٧	الراحمون يرحمهم الله
٤٧١	تعرض عليه أعمال أمته يستغفر لهم
٤٧٣	اختلف في عدة الصحابة الذين توفى صلى الله عليه وسلم عنهم